
بقلم كاردينيا٧٣
الجزء السادس من سلسلة قلوب تحكي
جَمرٌ .. في حشا روحي
254
جمرٌ في حشا روحي (254) بقلم الكاتبة كاردينيا٧٣
احدق في المرآة..
ابحث عن موطن علّتي
هل تشكو زينة شعري من شيء ؟
ام ربما هو فستان زفافي ؟
هل سال الكحل من عيني
ام تلطخ احمر شفاهي ؟!
لا ..
انه فقط.. انت ..
جمرٌ .. في حشا روحي
www.rewity.com
روايتي
تصميم كاردينيا٧٣


احدق في المرآة..
ابحث عن موطن علتي
هل تشكو زينة شعري من شيء ؟
ام ربما هو فستان زفافي ؟
هل سال الكحل من عيني
ام تلطخ احمر شفاهي ؟!
لا ..
انه فقط.. أنت..
جمرٌ.. في حشا روحي
بقلم كاردينيا٧٣
جمر.. في حشا روحي
الجزء السادس من سلسلة قلوب تحكي
www.rewity.com
روايتي
قصص من وحي الاعضاء
تصميم كاردينيا٧٣


هاجر
طفلتي.. توقفي عن قرع الأبواب
فالبيوت التي تقصدينها باتت مهجورة
طفلتي.. يكفيك بكاء على من غاب
فمن رحل رحل .. تاركا القلوب مفطورة
طفلتي .. تراقصي على القدمين
حتى الطير المذبوح يؤدي رقصته المشهورة
بقلم كاردينيا٧٣
جمرٌ.. في حشا روحي
تصميم كاردينيا٧٣
www.rewity.com


فرقد
بيني وبينكِ كلام كثير
بيني وبينكِ حديث طويل
ليس كلام عشق...
ليس حديث غرام...
انه فقط... حساب قديم
بقلم كاردينيا٧٣
جمرٌ.. في حشا روحي
تصميم كاردينيا٧٣
www.rewity.com



منذر
يا غامضة القلب
أيّ لعبة حب تلعبين ؟!
و أيّ مناورة تنتهجين
أوَ تجرؤين ؟!
و مع قلبي تعبثين ؟!
بقلم كاردينيا٧٣
جمرٌ.. في حشا روحي
تصميم كاردينيا٧٣
www.rewity.com


هيثم الجراح
ونظن يا حبيبتي
اننا نولد من جديد
فنكتشف
ان لا ولادة نقية غير ولادتنا الاولى
فشوائب الماضي تلاحقنا ..
ومن جديد !
بقلم كاردينيا٧٣
جمرٌ.. في حشا روحي
تصميم كاردينيا٧٣
www.rewity.com


ويتغزلون في الاشعار "الفتاة كالزهرة"
لكننا شعوب تهوى حرق بتلاتها لا ان تسقيها
بل الفتاة في عرفهم جمرة ..!
نفخة هواء واحدة فتتأجج النيران فيها
دينا
بقلم كاردينيا٧٣
جمرٌ.. في حشا روحي
تصميم كاردينيا٧٣
www.rewity.com



بقلم كاردينيا٧٣
جَمرٌ.. في حشا روحي
تصميم كاردينيا٧٣
www.rewity.com
وقلبي تولّه بجنيّة ..
ملكت كلي مني ولم تترك لي بقيّة ...
تتوه مني فأتوه من نفسي
ويا ويلي ان ارتكبت فيها المعصية ...
فرقد



أحبي نفسك يا من أهديت انوثتها من الحور العين
عطية من المولى فلا يجعلنك ظلم العباد تنكرين
دلليها معك بأجمل الامنيات وانت تحلمين
وارفعيها لنيل المجد وانت تطيرين .. تحلقين
وقاتلي بها ولاجلها فإنها تستحق كما تستحقين
الدكتورة فريدة
بقلم كاردينيا٧٣
جمرٌ.. في حشا روحي
تصميم كاردينيا٧٣
www.rewity.com


بقلم كاردينيا
جمرٌ.. في حشا روحي
عبد الجبار الشيخ
نار في حشاشة روحه تحرقه
لاتعرف انطفاء كلعنة تلاحقه
مالك انت ومال عشق الحشا ونيرانه
ذل هو ياابن الشيوخ لو تعلم بهوانه
تصميم كاردينيا
www.rewity.com


هيثم الجراح
جَمرٌ.. في حشا روحي
بقلم كاردينيا٧٣
تصميم كاردينيا٧٣
www.rewity.com
ننحني ونطأطئ للريح الشديدة الرؤوس
ننحني لكن ... عيوننا بالنظر مرفوعة
نتبع خطى الحبيب ونتعلم من الصبر الدروس
نكتم بالحشا والقلب خفقاته مسموعة
سحرك يا شهرزاد الليالي يؤثر في النفوس
فلا تلومينا وقد باتت كل الاسلحة مشروعة


بقلم كاردينيا
جَمرٌ.. في حشا روحي
تصميم كاردينيا
www.rewity.com
عجمية
سبيتِ قلب ابن الشيوخ يا عِجمية اليوم
انه قلبك الذي يشع بالنار يا امرأة النار ..
وابن الشيوخ عالق يحترق فيها...
لا تتخلي عما لديك ..
انها نارك فلا تسمحي لاحد باطفائها ..


فرقد
تصميم كارديليا٧١
www.rewity.com
شقيّ في الهوا من ينتظر على حر الجمر ،
نظرة الحبيب اليه ويعلم لن يرى فيها الا الأهوال ..
شقيّ في الوصال شقيّ في الجفا ،
سيان بين الاثنين ما دام ذاك الحبيب ينشد للفراق موّال
بقلم كاردينيا٧١
جمر.. في حشا روحي


جَمرٌ.. في حشا روحي
بقلم كاردينيا٧٣
تصميم كاردينيا٧٣
www.rewity.com
بعد كل ما كان .. ألم تفهمي بعد كيف عشقتني يا طفلة ؟!
إفتحي اذنيك واسمعيني اشرح لك لوهلة
غرزت قلبي في قلبك كطعنة من جمرة
لتنزفي ناراً فأنزفُ بركاناً وكانت بيننا أول الثورة
لا تغضبي من ضحكتي فقد تذكرت للتو كل صولة وجولة
ثم وسط الجحيم زرعت من روحي في رحمك بذرة
فكانت أنس لك وعذاب لي وقد سرق (جزء مني) الحظوة
الا زلت لا تفهمين ؟! آه منكِ ومن عشقك يا بلوة البلوة ...!
فرقد


تعلم جيدا انها مجرد سكينة وقتية ..
هبة مُنحت لها دون سبب او تفسير ...
ولا يهم حقاً التفسير ....
كل شيء اصبح مستكينا .. هادئا ..
خفيفا طائراً كأوراق الشجر المحمرة
وهي تتطاير من اشجارها وقت الخريف ...
اجل انه الخريف ... لطالما احبته ...
هي عكس اغلب البشر فالخريف يجذبها ..
هدوءه .. شجنه .. حفاوة اوراقه الراقصة..
غموضه .. حياء ألوانه التي لا تفتقر للجمال..
الخريف هو ريح ..
ريح عذبة لا تخلو من الحزم كالام الرؤوم تطمئننا
فتخفف عنا صدمة برد الشتاء دون ان تكذب علينا ..
بل تذكرنا دوماً ان الشتاء قادم لا محالة ...
امممم.... كم تحب الخريف ...
تحب حفيف الاشجار الصامدة
وهي تخلع رداءها البهي
لترتدي حلة مختلفة دون ان تخشى رأي البشر ...
انها فقط تستجيب باعتداد للطبيعة..
واثقة جميلة جريئة ...
انه فصل التحدي .....
اقتباس من الفصل الرابع من رواية
جمرٌ في حشا روحي
الجزء السادس من سلسلة
قلوب تحكي
بقلم كاردينيا73
21-03-2017،



شعر على لسان فرقد لهاجر
من الفصل االسابع عشر من رواية
جمرٌ في حشا روحي
الجزء السادس من سلسلة
قلوب تحكي
بقلم كاردينيا73
16-05-2017م
يا من تغار منها كل فتيات الصحارى والوديان
طفلة تلعب بمواطن الحنان ..
وصبية تتلاعب بشغاف قلوب الانام ..
وامرأة بكل جبروتها تبحث بضعف عن الاختباء في الاحضان
حُسنها ليلة زفافها يعذب الروح فيهمس القلب في أذن الزمان حيران ..
يقول هل سمعت بهذا الحُسن ام هل أجوب مزيداً من البلدان ..؟
يجيب الزمان..
سافر وابحث ما شئت رحّالاً بين الشطآن..
سيظل الحُسن فيها قابعاً في حشا روحك كربوع الأوطان
تنادي بالحروف إسماً حامله يتوجع بلوعة الحرمان ..
يتوله بها فيثور ويمزق لاجلها الأبدان
يشتاق وصالها .. يشتاق روحها.. يشتاق منها ما لم يصل اليه أنس ولا ..جان
ارحمني من عذابي.... يا رحمن
تصميم كاردينيا73

اطلقت فريدة تنهيدة رقيقة ثم عادت ملامحها لتتخذ تعابير مهنية بحته
وهي تفسر لها جوانب أخرى من علاقتها الماضية بزوجها وكيف تنعكس على حاضرها
" اسباب فشل زواجك في السنوات الاولى انك جعلتِ زوجك محور حياتك ..
هو الشمس وانت مجرد كوكب يدور في فلكه ..
فلا تلومي الشمس اذا زاغت عينها
لكوكب جديد يدور في فلكها وتمنحه بعض الضياء.."
نظرة متوهجة شعت من عيني شهرزاد بينما تضيف فريدة
" كوني انت شمساً لذاتك .. شمساً منيرة لاجل نفسك .. "
تتقبض يدا شهرزاد وهي تدافع عن نفسها بالقول " لكني فعلت هذا ... وتغيرت .."
لتشرح لها فريدة بصبر " نعم فعلت الكثير لا انكره عليك ..
لكنك وقعت بنفس الفخ دون ان تشعري .
. انت تجعلين زوجك (مرة اخرى) محور حياتك... على الدوام تفكرين به ..
هل سيخونني ؟ هل سيفعلها ؟ هل ستغريه أخرى ؟
هل سيستسلم للاغراء ؟ هل يريد هذا الاغراء ؟! "
كان صدر شهرزاد يعلو ويهبط بعنف وملامحها تتقلص بوجع واضح ...
كل ما قالته فريدة صحيح ..
انه يدور في رأسها طوال الوقت يتغذى على مخاوفها ويحطم حياتها مع هيثم...
أخيراً قالت فريدة أهم ما تريد ايصاله لشهرزاد
" هل تعلمين ما مشكلة نسائنا يا شهرزاد ؟ انهن يحتجن ان يحببن انفسهن ..
يحببنها بجدية .. يقدرنها ... نحن كائنات مستقلة لكن ناقصة في ذات الوقت ..
لذلك نحتاج لانس الشريك ودعمه وتبادل المشاعر معه ..
ليس بالضرورة ان يكون الشريك رجل ..
قد نكمل حياتنا مع اناس مختلفين يمنحونا ما نحتاج ..
لكن المهم في كل الاحوال والخيارات ان لا ننصهر في احد ... لا احد
على الاطلاق .. لن تنقلب الدنيا لاجل اي شخص .. فالدنيا باسرها زائلة ..
اذن لنعشها بشكل صحيح .. ولانوقفها لاجل اي انسان .. هل تفهمين ما أعنيه عزيزتي ؟ "

حوار بين الدكتورة فريدة وشهرزاد
من الفصل االتاسع عشر من رواية
جمرٌ في حشا روحي
الجزء السادس من سلسلة
قلوب تحكي
بقلم كاردينيا73
04-07-2017،

تصميم كاردينيا73



هدر بخشونة وهو يمد كفيه باسطاً اياهما نحوها " تعالي بحضني الآن ..."
صرخت بعنف " لا!!!!! ..."
امسكها من اعلى ذراعيها ليسحبها عنوة لحضنه وهو يزمجر بجنون خشن
" انت امرأة يجب ان تؤخذ غصباً على الدوام
لانها لا تعرف الاستسلام في الوقت الصحيح .."
كان يغلي قهراً وهي تنهار ببكاء رهيب في حضنه ..
ودون ان يسأل كان يشعر انها تستعيد كل لحظة
في ذاك اليوم الذي طلقها وهجرها فيه ..
يعتصرها ويضمها أكثر لدفء حضنه قرب قلبه الذي يتلوع فداء لعشقها ....
اللعنة على غبائها .. واللعنة على غبائه ..
لماذا فعلا ينفسيهما كل هذا ؟!
اخذ نشيجها الرهيب يهدأ فيتقطع تقطيعاً وهو يشعرها تضم نفسها اليه ...
وجهها المبلل بالدموع مغمور في تجويف عنقه
وكأنها تبحث عن شيء ما أرجف قلبه ...
عيناه متسعتان صدمة وذهولاً وهو يتمتم في سره
" يا الهي ... ما هذا الذي تفعله هاجر به ؟!"
احساس لا يوصف انتزعه حتى من روحه ..
تكاد ذراعاه تذيبان لحمها وعظامها من اعتصاره لها فلا هي تشكو
ولا هو قادر ان يوقف ما يشعر انها تحتاجه منه في هذه اللحظات ..
انها .. تريد حضناً كحضنه هذا ....
بالغريزة يعرف هذه الحقيقة وكفى ..
يشتم رائحة جوعها للاحتضان كما لم يشعرها يوماً منها ...
الطفلة الغبية العنيدة .. كيف يشرح لها غباءه وجنونه وانتقامه ؟!
اقتباس من الفصل الثالث عشرمن رواية ،
جمرٌ في حشا روحي
الجزء السادس من سلسلة
قلوب تحكي
بقلم كاردينيا73
02-05-2017،


شعر مقتبس من الفصل الثلاثون والاخير من رواية
جمرٌ في حشا روحي
الجزء السادس من سلسلة
قلوب تحكي
بقلم كاردينيا73
10-10-2017م
انثى مخلوقة من صلصال مزاجها من نار
تماثلك توهجاً أو تتجاوزك بمقدار
هي من آلاء العاطي الجبار
لكنها تتعلق باذيال مقاتل مغوار
بيرق ... بارق
يسبق خروجها للدنيا بلا زمن فارق
يرفرف في سماء حياتها كشهاب حارق
وكما رافقها في ظلمة احشائك يرافقها في النور
غيور.. جسور
في الغضب شعلة تنور
وفي الهدوء غامض أعمق من اعمق البحور



جمرٌ في حشا روحي

الجزء السادس من سلسلة

قلوب تحكي

بقلم الكاتبة كاردينيا73

حصرياً على شبكة روايتي الثقافية

www.rewity.com

(تنويه من الكاتبة .. كل الخواطر والاشعار داخل الرواية وفي التواقيع المصممة هي بقلمي انا "كاردينيا73" لا احلل نقلها واقتباسها في روايات اخرى)

ابتدأت بتاريخ 19-02-2017

وانتهت بتاريخ 24-10-2017

رابطها على منتدى روايتي

https://www.rewity.com/forum/t368676.html

تنقيح لغوي : كاردينيا73

تصاميم الرواية (الغلافان الرسمي وغير الرسمي ، التواقيع ، الفواصل ، وسام التفاعل المميز ، قالب الصفحات الداخلية ، الكتاب الالكتروني) : كاردينيا73

تصميم البنر الاعلاني : دينا عبدالله*

كلمة للكاتبة كاردينيا73

2017-02-19

رواية (جمرٌ.. في حشا روحي)

اعتقد العنوان وضح لكم قليلا لماذا قلت عنها سابقا انها ستكون رواية نارية...

رواية هي كـ الجمرة التهبت في داخلي منذ نهاية الجزء الخامس من سلسلة قلوب تحكي (ازهار قلبك وردية) والتي انهيتها بتاريخ 26-05-2015 ، اتذكر من اول ما اخترت اسم فرقد وذكرته خلال احداث (ازهار قلبك وردية) وانا اول شي عملته رحت ادور على صور له تعكس خيالي...

اصمم غلافها وتواقيعها والرواية تتقلب وتشتعل..

صديقاتي المقربات فاطمة وعلا وهبة ومنى ومهاتي شاهدات على تأثير الرواية علي منذ ان فاجأتهم بالتصاميم قبل عامين...

لكن ... حظ الرواية ان تتأخر ... فبعد (ازهار قلبك وردية) كتبت (واني قتيلك يا حائرة) ثم كتبت بعدها (جدائلك في حلمي) ، ورغم ان الروايتين كانتا ضخمتين بالشخصيات والاحداث الا ان الثلاثي (هاجر .. فرقد .. منذر) كانوا في خيالي دوماً...

لم يفارقوني حتى وانا اكتب عن شخصيات واحداث اخرى بكل تركيزي واحساسي..



غالبا عقلي يشتغل بأكثر من اتجاه هي حالة معتادة عندي .. لكن مع هذا قليل تحصلي هذه الحالة بهذه القوة...

اتمنى من كل قلبي ان اقدمها بشكل مختلف كما اشعرها في داخلي انها مختلفة...

تنويه انساني : الرواية فيها احداث تحمل اخطاء كثيرة للشخصيات .. ليست غايتي ان احاكم احد لأبرأه او ادينه في النهاية...

قد لا اقدم حلولا قدر ما اسلط ضوء .. غايتي مناقشة حالة معينة ستعرفونها لاحقاً .. هي السبب الاساسي في اختياري لفكرة الرواية منذ عامين...

لذلك لكل قرائي اقول .. شخصياتي تحمل الكثير من الاخطاء والعيوب ويرتكبون الكثير من الحماقات .. وربما المعاصي

انا لااقدم رسالة دينية مباشرة .. لا اجرؤ ولا افكر حتى ان اعتلي منبرا دينيا اكبر مني بكثير...

انا ببساطة اقدم رسالة انسانية بروح الدين الاسلامي كما اؤمن به...

هذه ثاني رواية اكتب فيها خواطر للابطال .. دوما اكتفي بخاطرة الغلاف لكل رواياتي..

لكن حصلت معي مرة مع (تسألينني عن المذاق) لاكتب خواطر الابطال وها هي تحصل معي ثانية مع (جمرٌ .. في حشا روحي)



ملاحظة هامة : من الضروري وبشكل خاص قراءة جزئين معينين من سلسلة قلوب تحكي وهما الجزء الخامس (ازهار قلبك وردية) والجزء الثالث (سحر التميمة)

ملاحظة عابرة : معنى اسم فرقد لمن يسأل

فَرقَد: (اسم)

الجمع : فَراقِدُ

الفَرْقدُ : نجمٌ قريب من القطب الشَّمالي ثابت الموقع تقريبًا ، ولذا يُهتدَى به ، وهو المسمى : [ُطبي]، وبقُربه نَجمٌ آخرُ مماثلٌ له وأصغر منه ؛ وهما فرقدان

المقدمة

مشهد في عرس سعد وجودا * (أزهار قلبكِ وردية)

قال ياسر بخشونة

" من الذي دعا هاجر للعرس ؟"

ردت سهر بحرج " اهدأ ياسر .. ارجوك لاتحرجني اكثر .. انت تعرف لم يكن لائقا ان لا ادعوها .. كما انها حضرت بصحبة خطيبها .."

فيعلق ياسر بصلف وعيناه تبحثان عن رافد تحديدا

" انه ليس خطيبها رسميا .."

لترد سهر بنزق هذه المرة " بل انه خطيبها الرسمي .. عقد قرانهما الاسبوع المقبل وسيرتديان خاتميّ الخطبة "

ثم تأففت قبل ان تضيف " هل تظن انها ستجرؤ على احضاره معها في مناسبة عامة وامام ابي دون ان يكون الارتباط رسمي فعلا ؟"

زمّ ياسر شفتيه محبطا من عدم ايجاد رافد حتى اللحظة بينما يتطلع من بعيد لحمراء الشعر تلك .. ابنة عم زوجته التي تتمتع بالجرأة وقلة الحياء كتمتعها بالجمال الجذاب..

بفضول امعن النظر في خطيبها المفترض ..

شاب من سنه تقريبا بملامح خشنة وقامة متوسطة لكن نظراته لهاجر كان فيها شيء ما .. شيء لم يعجبه !

" شريكي العابس .. ألن تبتسم في وجوه المدعوين كثواب لوجه الله ؟"

ضحكت سهر رغما عنها بينما يلتفت ياسر لرافد وهو يقول " يكفي انك تبتسم ابتسامتك البلهاء هذه نيابة عنا نحن الاثنين!"

جلجلت ضحكات سهر ورافد وياسر يرمقهما مبتسما ...

سأل ياسر وهو يبحث بعينيه

" اين زوجتك ؟"

فيرد رافد وعيناه تلتمعان " نسيت حقيبتها في السيارة .. ستأتي حالا"

" مساء الخير .."

التفت الثلاثة ناحية غالية وهي تلقي تحية المساء ببهجة محببة وقد بدت متألقة قلبا وقالبا بثوبها البرونزي ...

في ركن بين اوراق الشجر ، يختلط صوت الحفيف مع الانفاس المتسارعة اللاهثة من شدة اللهفة

" غاليتي .. معشوقتي .. طفلتي انا .."

" را..فد .. توقف .. يا الهي كفى .. سيرانا احدهم .. آآآه .."



الهمسات العاطفية التي تفيض شوقا تنغمس وتذوب في القبلات المحمومة ..

فتتوه الانفاس مع ارتواء القلوب العطشى ..

اما هي .. تقف وحيدة على بعد خطوات ... تتخفى منهما دون ان تسمح لطيفهما بالاختفاء عن ناظريها .. تستند بيد على جدار بني جوارها ويدها الاخرى تتكور فوق صدرها الذي يعلو ويهبط باضطراد ...

تتقطع انفاسها مع تقطع نياط قلبها وهي تراقب منظر العاشقين المتهورين في ظلمة باهته ظنّا انها تسترهما كفاية ..

ارتفعت اصابع هاجر لشفتيها تكاد تشعر برفرفة ارتعاشهما بينما ترمش عيناها بقوة تمنعان انفجارا مدويا لسيل دموع كانت ينابيعه عصية بسد منيع من كبرياء صاحبتهما..

همست والألم يشتد ويعصف ويفعل افاعليه

" انه يناديها ... طفلتي ! ألهذه الدرجة رافد ؟! اتعشقها لهذه الدرجة ؟! وماذا عن .. "

جزعت الحروف فلم تتشكل الكلمات على لسانها الا بشق الانفس فتهبط يدها حتى مكان القلب هامسة بوجع قديم حاضر

" وماذا .. عن .. طفلتي انا ؟! ألن تجد من يناديها ويعتصرها بين ذراعيّ عاطفته؟ "

ما زالت لهفة العاشقين تعذب مسامعها فلم تلتقط اذناها خطوات تقترب منها من الخلف...

اجفلت هاجر بقوة بينما تشعر بيد على كتفها ليصلها همس ابنة عمها الحانق الساخط وهي تقول من بين اسنانها " هاجر ! ايتها المجنونة ماذا تفعلين هنا ؟"

لم تكن هاجر بحاجة للرد وصوت لهاث العاشقين يصل بوضوح فتتمتم سهر بجزع وهي تسحب هاجر بعيدا رغما عنها " يا الهي .. هل لحقت برافد مع زوجته عندما غادرا القاعة ؟! لا اصدق !.. هل جننت هاجر ؟ تتركين خطيبك للتلصص عليهما في الظلام ؟"

صوت تحرك سهر مع هاجر نبّه رافد وغالية لوجود (صحبة) حولهما مما جعلهما ينسحبان بعيدا عائدين للقاعة وهما يكتمان ضحكاتهما دون ان يدركا ان هناك من كانت تتلصص عليهما عن عمد وترصد ...

استندت هاجر بظهرها على جدار بارد جديد وهي تقول بعينين تشرقان بوهج غريب

" انه مجنون بطفلته ..! اي نوع من النساء هي لتفعل هذا برجل كرافد ؟! كـ..ـكيف .. استطاعت ... ان .. تحصل عليه ؟! "

للحظة انخرس لسان سهر وهي تستوعب كلمات هاجر وذاك الوهج في عينيها...

لا تصدق انها نفسها ابنة عمها التي تألقت خلال سنوات بقوة حديدية هي نفسها من تتحدث بهذا الضعف والوهن المخيف ...!



تمالكت سهر نفسها فأمسكت بكتفيّ هاجر تهزها قليلا تحاورها بحنق وحزم رغم اشفاقها عليها " ارحمي نفسك وارحميني هاجر .. لم يكن الامر صادما لك الان وانت ترين بنفسك مدى عشقه لزوجته ... ماذا كنت تظنين ها ؟ اخبريني .. ؟ ماذا كنت تريدين اثباته لنفسك من مراقبتهما هكذا ؟ وماذا عن خطيبك ؟ فرقد سيـ..."

هدرت هاجر تقاطع جملة سهر بالقول

" كفى سهر .. كفى ... فرقد فرقد فرقد ... الا يكفي حصاره الخانق الغامض لي ؟"

تطلعت سهر لعيني هاجر ببعض القلق لتسألها دون مواربة

" ماذا تقصدين ؟ هل يعاملك بشكل سيء ؟ هل يضايقك ؟ ألهذا السبب عدت للحنين لرافد؟ "

اطرقت هاجر براسها وهي تتمتم بلا معنى

" لا شيء .. لا شيء .. فقط دعينا .. نذهب من هنا .. اشعر بالاختناق ! "

زمّت سهر شفتيها وهي تمنع نفسها من طرح المزيد من التساؤلات .. انها تعرف هاجر منذ الصغر وتعرف كم هي عنيدة ورأسها حجر عندما تشاء ..

العند والتعنت كانا سلاحها لتقتل في داخلها شخصية رومانسية تحب الشعر وتكتب الخواطر منذ نعومة اظافرها ..



لكنها هجرت كل شيء ورمته خلف ظهرها لتكون كما هي الان ..

هاجر الصلدة الجريئة الواثقة ذات الانفة التي لاتسمح لأحد ان يتدخل بشؤونها او يجادلها في تصرفاتها وقرارتها ...

انها لا تخشى ان تقف بوجه رياح أعتى التقاليد لتزدريها دون مخافة العواقب ...

لقد تحولت لشعلة نشاط لاثبات الذات والاعتماد على النفس ...

رغم كل هذه القوة الظاهرية الا ان سهر غير مرتاحة لما يحدث مع ابنة عمها .. غير مرتاحة للاسلوب الذي اتخذته للارتباط بفرقد وبنوع من الاقصاء لدور العائلة ...

شعرت سهر بمزيد من الضيق والقلق وهي تتذكر ليلة الامس وكيف كان والدها غاضباً للغاية بعد مكالمة هاتفية مع اخيه الاصغر الذي ابلغه خصيصاً ان يدع ابنته هاجر تتزوج بالطريقة التي تشاؤها وان لا يتدخل في التفاصيل...

لقد صُدم والدها بلا مبالاة اخيه ناحية ابنته الوحيدة .. صُدم لانه لم يهتم حتى بالسؤال جدياً عن فرقد هذا من يكون واكتفى ببضع معلومات عرفها من ابنته .. ولم يهتم ان يلتقي به شخصيا او بعائلته .. بل ترك كل الامور لهاجر تتخذ كل القرارات بنفسها ولوحدها وكأنها لا تعنيه في شيء ...



وحجته انها هي من اختارت الاستقلالية وهو منحها الحرية الكاملة لتتحمل مسؤولية استقلاليتها هذه ولا يريد لاحد ان يتدخل...

لأول مرة ترى سهر والدها يغضب لهذه الدرجة وقد عجزت هي وامها عن تهدئته ..

لكنه في النهاية اتخذ قرارا صارماً انه لن يتحمل مسؤولية هذا العبث ولن يلعب اي دور حقيقي في زواج غريب كهذا ...

تحركت سهر مع هاجر عائدتين للقاعة بصمت كئيب وافكار مكتومة ، غافلتين تماما انهما كما كانتا في وضع التلصص على رافد وزوجته فأن هناك من كان يتلصص عليهم جميعا ويراقب كل ما يحدث بتدقيق يموج بالغضب الاهوج..

برقت عينا فرقد البنيتان بقساوة جليدية يطبق فكيه وكأنه سيحطم اسنانه .. لقد علم الان كل شيء ... لقد وضع يده وسط نار شكوكه ليمسك بجمر الحقيقة براحة كفه ...

اغلق اصابعه لتتقبض يده وهو يهمس بتوعد مجنون " اذن عرفت الان سر قبولك المفاجئ بي .. غبية ان ظننتني غبيا لايفكر لمجرد انك نهشتِ اسوار قلبه فاستوطنت فيه بعشقك .. "

رائحة الانتقام فاحت من كل خلاياه ليطحن الكلمات بين ضروسه وهو يقول " لم تعرفي من هو فرقد الشيخ يا هاجر .. لكنك مؤكد.. ستعرفين .."

بعد بضع ساعات .. بعد انتهاء العرس..

على باب شقتها تودعه وهي تبعثر نظراتها في كل اتجاه كما تتبعثر بقايا فتات تماسكها منها فيكاد يفلت زمام سيطرتها ...

يده خشنة قاسية وهي تمتد فجأة لتمسك جانب وجهها فتشهق بخفوت من مفاجأة حركته وترفع نظراتها اليه بوجل فتراه يميل بوجهه جانبا قريبا جدا من فمها يتمتم من بين شفتيه شبه المغلقتين

" الا احظى بقبلة ؟"

تمتمات لاهثة أفلتت منها تشي بنفور غريب وهي تهرب بفمها حاملا حججها الواهية

" لا .. ارجوك .. ليس بعد .. نحن لم .. لم .."

هل تنغرز اصابعه في لحم خدها ام انها فقط باتت اشد هشاشة واكثر تحسساً من لمسته ؟!

مضت لحظات ثقيلة وهو على نفس الحال حتى نطق اخيرا دون ان يفلتها هامسا قرب اذنها

" معك حق .. حتى الآن ارتباطنا ليس رسمياً وخاتمي لم يصل لبنصرك ... لكن هانت !



اسبوع فقط ونعقد القران وعندها سيكون بيننا حديث آخر !...امممم.. تبدين شاحبة .. هل انت مرهقة من ..الـ...عرس؟"

اغمضت هاجر عينيها وشعور غامض مخيف يتملكها نحوه دون ان تقوى على الرد عليه ..

لماذا تستمر معه ؟ لماذا رمت نفسها بغباء في تجربة الارتباط به ؟!

لكنها غبية .. غبية وعنيدة حتى مع نفسها..

ستستمر .. رغم كل الألم والضياع ستستمر..

ستتعلم التعامل مع فرقد وستعلمه كيف يعاملها بندية .. ان يحسب الف حساب لها ..

لكن .. ليس الليلة .. الليلة هي مرهقة .. مرهقة لابعد حد لتنظر في عيني فرقد وتتحداه ان ينكر عشقه لها وضعفه امامها..

اجل .. فرقد سيناسبها .. لن تضيع مزيدا من العمر .. لن تنتظر ان تلتقي بـ(رافد) جديد يعوض طفلتها المستنجدة في اعماقها ...

وهل هناك (رافد) آخر في هذه الدنيا ؟!

رفرفت برموشها الكثيفة بينما تهمس له بانهاك ردا على سؤاله المعلق

" اجل .. انا مرهقة .. جدا واحتاج للنوم .. غدا.. غدا ساستعيد نشاطي .."

انسلخت اصابعه القاسية عن خدها بينما يتمتم بنبرة غير مفهومة

" تصبحين على خير .."

لم تهتم بالتفسير قدر اهتمامها بالتشبث بفرصة الهرب ..

ردت له تحيته بخفوت وهي تستدير مبتعدة عن مرمى نظراته التي تغفل عن نارها لتفتح باب شقتها وتسارع بالدخول وتغلق الباب خلفها باحكام !..

هربا منه .. هربا من الناس .. هربا من نفسها...

يرفع قبضتيه الاثنتين يسندهما على الباب المغلق في وجهه .. يغلق عينيه وهو يميل بجبينه ليلامس سطح الباب الامس ..

انه واثق انها لن تكون خلف هذا الباب لتراقب رحيله ..

انه واثق انها ما ان اغلقته حتى غرقت في نفسها وفي ذاك الرجل الذي تعشقه ..

اخذ يحرك قبضتيه على الباب وجسده يرتعش وانفاسه تهدر ..

لعام كامل لاحقها دون هوادة لترضى الزواج به .. جن بها وبشعرها الاحمر مُذ وقعت عليها عيناه.. وها هو يدفع ثمن جنونه...

تمتم بشراسة " بيننا حساب طويل يا هاجر .. حساب طويل"

ثم تحرك مستديرا بعنف ليغادر المكان لكن دون ان يهجر فكره اصحابه ...



في نفس الوقت .. بيت منذر الطحّان

في ظلمة غرفته يستلقي منذر على سريره وشعور كئيب بالملل يسيطر عليه ..

الملل .. النزق .. الحاجة لشيء ما مجهول ...

عاد اليه طيف غالية ... لكن هذه المرة عاد بشكل مختلف ...

لم يعد يغضبه الامر او يجرح كرامته ..

لا يعرف لماذا تغير كل شيء عندما رأى تلك النظرة في عيني رافد نحو غالية اخر مرة رآهما معاً في بيت عائلتها ..

شعر تلك اللحظة ان غالية لم تكن له من البداية وأنه كان واهماً تماما ومغاليا في غضبه بطريقة غير ناضجة..

او ربما لانه يعتبر رافد نداً له كرجل .. فترتضي كرامته ان يخسر امامه ..!

بينما قبل سنوات كان يرى في راغب مجرد فتى غر أبله اناني عرفه عبر المصاهرة بين عائلتيهما عندما تزوج حازم من ناهد ...

مؤكد راغب ليس ندا له كأخيه رافد ..

و... ربما هو .. منذر الطحّان .. مجرد مغرور أبله كراغب تماماً ..! مغرور و ذكوري ايضا ...

كذكورية المجتمع الشرقي الذي افسده ،
ابتداء من عائلته التي اعتبرته رجلا مميزا
ولامعاً فخراً لكل عائلة ثم عاش حياته مثار
حسد اصدقائه لوسامته وذكائه وكونه
مقبولا بشكل سخي من جنس الفتيات ومطمع
لهن كزوج تتوفر فيه مواصفات جيدة..

وعندما اختارت مشاعره فتاة كغالية ظن انه
امر بديهي انها سترضى به زوجاً ...

لكن ان ترفضه لاجل .. ذاك الـ (راغب) ؟!

كانت صفعة مدوية ...

وظل دويها في اذنيه لسنوات حتى رآها مع رافد
ذاك اليوم ليهدأ ويستكين كل شيء ..

فادرك في لحظة ان رافد عشقها طوال حياته
و غالية هي قدره فحسب ...

عقد منذر حاجبيه وهو يتمتم لنفسه " اي
حياة كان يعيشها رافد وهو يرى معشوقته
متزوجة بأخيه ؟! اي عذاب هذا الذي تحمله؟!
و .. كيف استطاع الزواج بها ببساطة
هكذا؟! لا اصدق كيف تزوج طليقة اخيه ..
كيف واجه المجتمع بفعلة منكرة كهذه؟
هل هو شجاع لهذه الدرجة ام انه مجرد عاشق
ملهوف ؟! "

تتعمق عقدة حاجبيه ويفتك به الفضول
ليعرف كيف فعلها رافد حقا ؟!

عاوده شعوره الكئيب وكأنه يشعر بالنقص !

هل يغار من رافد لما اقدم عليه بينما يعرف يقيناً انه لو كان مكانه فلن يجرؤ على تحدي المجتمع وفعلها ؟

ام انه يغار منه لانه حظي بعشق حقيقي كهذا ؟!

مؤكد هو عشق حقيقي والا كيف عاش هذا العشق لثلاث سنوات وهو يراها متزوجة من اخيه وتتجنب منه دون ان يشعر بعذابه احد ؟!

انه ... مجنون ! مجنون حتماً ...

لم يشعر منذر الا وهو يتمتم

" وانت تغار من جنونه هذا يا منذر .. فهل ستجرؤ يوماً لتتحرر و ... تجن ! "

بعد ساعة .. شقة هاجر الاحمدي

أكملت حمامها وجففت شعرها الناري الطويل فتتهادى حافية القدمين بمنامة قطنية قصيرة تسير في ظلمة غرفتها حتى وصلت كرسيها لتجلس عليه امام مكتبها الخشبي الصغير المنمق ..

ليست ليلة عمل .. انها ليلة خاصة بالبوح ..

اشعلت الانارة المنضدية ثم فتحت احد الادراج واخرجت كراسة قديمة ..

تطلعت لتلك الكراسة المدرسية التي استخدمتها ايام دراستها الثانوية لتسجيل كل خاطرة تائهة تجد طريقها لعقلها ..



كراسة تنقلها معها في كل ترحال تتصفحها احيانا فتستمد طاقة لتصمد..

مضت سنوات طويلة دون ان تجد خاطرة جديدة تطرق بابها ..

لكن الليلة .. مختلفة ..

الليلة كلها يصرخ بكلها ان تثور ولو بخاطرة بليدة على ورق قديم من زمن مضى ...

اغمضت هاجر عينيها فعاد لمسامعها صوت همسات رافد لـ(طفلته) فترتعش يدها بالقلم فتكتب وكأنها تنزف الكلمات نزفا من روحها المتمردة الصارخة

" طفلتي.. توقفي عن قرع الأبواب

فالبيوت التي تقصدينها باتت مهجورة طفلتي..

يكفيك بكاء على من غاب فمن رحل رحل

.. تاركا القلوب مفطورة طفلتي .. تراقصي

على القدمين حتى الطير المذبوح يؤدي

رقصته المشهورة "

سجلت نزيف قلبها ثم اغلقت الكراسة

واغلقت معها مآقي العين لتوقف سيل الدموع ..

اطفأت الانارة و ووقفت على قدميها لتذهب

مباشرة للسرير ...

تسللت بين اغطيتها بينما ومضات هاتفها تعاود

الألحاح تأففت وهي تنظر للهاتف وتعرف هوية

المتصل الذي باتت تخافه ..

همست باختناق

" كفى فرقد ... كفى .. ماذا تريد اكثر وقد استسلمت لك واخترتك بديلا لوحدتي.."

يكاد يحطم الهاتف بين اصابعه ..

انها لا ترد وقد اطفأت انارتها للتو ..

ليست نائمة تلك الانتهازية التي تستغله ..

انها فقط لا تحتاج لخدماته ليلا ..!

يرفع رأسه وهو يقف وسط الشارع الذي لم يغادره منذ اكثر من ساعة يتطلع للشقة في الطابق الثاني ..

انها شقتها التي تتوهم هاجر انها تمنعه عنها ..

تتوهم ان الباب المغلق في وجهه و الجدران الصلدة تحميها من غضبه وانتقامه..

اعاد الهاتف لجيبه بينما يشعل سيجارة جديدة وعيناه لا تفارقان شباكها المظلم فينفث الدخان وهو يقسم باحتراق ان يجعلها – قريباً جدا- تسهر الليل قرب ذاك الشباك تحديدا تطلب خلاصا لروحها منه لكنها لن تناله ابدا!

الجمرة الاولى

بعد مرور اكثر من شهرين على زفاف سعد وجودا .. مساء... حفل لعوائل الموظفين في مؤسسة الجراح

عوامة على ضفاف النهر .. * (أزهار قلبكِ وردية)

زوج من عينين بلون بني داكن لا تحيدان بعيدا عنها .. بنظرات تفيض خشونة كخشونة ملامحه القاسية الغاضبة ..تلكما العينان تتركزان على يدها .. تحديدا اليد التي تمسك بيد عمها .. فيشعر فرقد بارتعادة تداهم جسده وتجعله ... يتذكر ملمس اناملها على جلده..

همس من بين اسنانه وغليان من مشاعر شتى تداهمه " وهل نسيت لحظة يا فرقد؟! هل تستطيع ان تنسى؟!"

حمى .. حمى لاهبة اشعلت كل خليه فيه جعلته ينفض رأسه بعنف ...

عاود النظر اليها فيرى فستانها الاحمر كدعوة صارخة تتحداه ان يظهر ميولا عدوانية شرسة كثور هائج مجنون ..

وهو كان هائجا في عمقه بالفعل وكأكثر الثيران عنفا وشراسة وإلغاء للعقل ...

بعنف أشد استدار ... يوّلي رؤيتها ظهره ..

لقد فعل الصواب بطلاقها .. انها لا تستحق ..



بعنف مقاومته التي تضادد عنف مشاعره نحوها اجبر فرقد نفسه ليحرك قدميه مغادرا مكانه الذي كان يختبئ فيه عن الانظار ليترك العوامة بمن فيها دون ان ينظر للخلف..

يتحرك هو بعيدا متوجها لطريق يقوده الى شقته فطائرته ستقلع قبيل فجر الغد وعليه توضيب باقي حاجياته ..

غادر فرقد بينما تتحرك خطوات لـ..رجل اخر .. بعينين رماديتين ... داخل العوامة ووسط المدعوين يتجه بفضوله الذكوري (المعجب) ناحية الصهباء التي اثارت اهتمامه مذ رآها تدخل برفقة طاهر الاحمدي ...

يعتصر منذر ذاكرته وهو يقترب بتهمل يحاول جهده التذكر اين رآها سابقا ..

السيد هيثم الجراح انسحب للتو ليبقى السيد طاهر الاحمدي بمفرده مع الشابة المميزة ..
يرى منذر كيف يميل السيد طاهر نحوها يهمس في اذنها ويشد يدها بايحاء مفهوم ..

انه يشد أزرها ..! يرفع معنوياتها بطريقة ما او ربما يسألها ان كانت بخير ...

" مرحبا سيد طاهر .."

التفت الرجل الذي تجاوز الستين لكنه ما زال يحتفظ بوسامته ناهيك عن هيبة من نوع محبب تفرض الاحترام دون ان تشعره يكبرك بالسن ..



رد السيد طاهر بابتسامة مجاملة متألقة

" اهلا منذر .. كيف حالك ؟"

طرفت عينا منذر ناحية الفتاة التي بدت اكثر شحوبا عن قرب ثم يعاود باهتمامه للسيد طاهر قائلا " بخير الحمد لله .. "

ثم تعمد ان ينظر مباشرة للفتاة التي تتجاهل وجوده على نحو يثير الدهشة ليقول

" مساء الخير انستي .."

انتفضت بشكل غريب أجفله هو شخصيا واربك السيد طاهر معه وهو يسألها بقلق

" هل انت بخير يا ابنتي ؟!"

بدت الفتاة تائهة حقا للحظات مشوشة بطيئة بردود افعالها وهي ترد بهمهمة (انها بخير) ثم اثارت اهتمام منذر اكثر وهي تستعيد رباطة جأشها لتتصلب ملامحها بعناد اثار اعجابه بها اكثر وهي ترفع وجهها اليه بعنفوان فتقول بثقة واهية لكنها تغذي اعجابه

" مساء الخير .. سيد .. عفوا لم ألتقط اسمك.. كنت سارحة تماما وانت تكلم عمي.. أخذني التفكير ... بعملي الجديد الذي سألتحق به "

اذن علِم لم أجفلت هكذا ...عملها الجديد ..

امممم ... لكن .. فتاة مثلها ما الذي يجعلها مرتبكة بهذه الطريقة من عمل جديد ؟!

فتاة غريبة لكنها ملفته ..

تطوع السيد طاهر ليعرفهما ببعض

" هاجر ابنة اخي .. ستلتحق معنا بمؤسسة الجراح في القسم الاعلامي .."

ارتفع حاجبا منذر بشكل طفيف بينما تتفتق ذاكرته لتهمس له اين رآها سابقاً...

انه عرس سهر الاحمدي الذي حضره ..

اجل .. تلك الفتاة الصهباء.. لقد تذكرها ...

العرس كان مشوشا بتفاصيله في ذهنه خاصة وقد حضره متأخرا عندما التقى بغالية ثم غادره سريعا بعد ان ادّى الواجب للسيد طاهر..

اذن اسمها ... هاجر ...

قال منذر باسلوب لطيف يحمل نبرة فيه مسحة رقة رجولية " يسعدنا انضمامك انسة هاجر.. مؤسسة الجراح صرح اقتصادي من العيار الثقيل .. ستكون اضافة حيوية لمشوارك العملي .."

بعينيها النرجسيتين حدقت فيه بجمود بارد قبل ان ترد بنبرة هادئة

" احتاج لهذه الحيوية وهذه الاجواء .."

لايعلم منذر لماذا شعرها تنطق الكلمات بقساوة من نوع ما !

هل تحاول ان تحجمه مثلا ؟!

ربما هي من النوع الذي لا يحب .. الرقة !

ابتسم منذر بخفة وهو يدعي تجاهلها عن عمد بينما يوجه كلامه للسيد طاهر الذي بدى هو الآخر مراقبا عن كثب لابنة اخيه فيقول منذر بسلاسة عملية

" ما رأيك بتهميشاتي على بنود عقد الاسمنت الجديد؟ السيد عبد الرازق لم يقتنع تماما واخبرني سيأخذ برأيك كمستشار اقتصادي.."

اخفى طاهر الاحمدي امتعاضه الشخصي من رئيس القسم القانوني الممثل بشخصية مغرورة متصلبة الرأي كعبد الرازق هذا ..

النقاش ظهر اليوم كان منهكاله خاصة مع مزاجه المتعكر الذي عاد به من المحكمة

بعد سلسلة طويلة من الاجراءات لاتمام فسخ عقد زواج هاجر بشكل قانوني ورسمي ...

التزم طاهر الاحمدي برأيه لنفسه فتكلم بنبرة دبلوماسية مع منذر قائلا

" لقد تناقشت معه حول بعض تهميشاتك لكن سنكمل النقاش غدا حول الباقي .."

ابتسم منذر مثمّنا اسلوب السيد طاهر الدبلوماسي قبل يشكره ثم تحيد عينا منذر ناحية هاجر الصهباء ذات الرداء الاحمر فيبتسم لها قائلا بأدب بارد

" اهلا بك مرة اخرى في مؤسسة الجراح .."

ثم استدار دون ان ينتظر اي رد منها واذناه تلتقطان سؤال هامس من السيد طاهر لها

" هل انت مصرة على العودة لشقتك الليلة؟"

لم يستطع منذر سماع رد الصهباء الغامضة لكن حجم تساؤلاته وفضوله يتضخم ويتضخم حولها ..

نظرت هاجر في عيني عمها وبملامح منحوتة من الصخر قالت " نعم عمي .. مصرة .. منذ اسبوعين وانا معكم وهذا يكفي .."

التزم طاهر الاحمدي الصمت بينما يمعن النظر فيها ..

منذ صغرها وهي تتخذ من المكابرة والعند الصلب مسلكا لكل خطواتها .. ما يعجبه فيها انها مهما تهتز لكنها تعاود الوقوف بجبروت .. لكنه ليس بغافل عن ذاك الضعف الطبيعي الذي تخدره وتحجبه خلف واجهة من الثقة والسيطرة والجرأة..

رد اخيرا وهو يبتسم في وجهها بهدوء

" تعلمين انني وحياة نرحب بك دائما .. البيت اصبح فارغا منذ .. زواج سهر .."

تردد للحظة وهو يذكر حقيقة (زواج ابنته) ليستدرك تأثير هذه الحقيقة على ابنة عمها..

امتقع وجه هاجر وشمخت بذقنها قائلة

" ستملؤه لكم باطفالها ان شاء الله .."



ضيق طاهر عينيه قليلا يتفرس في تلك الخلجات المرتعشة التي تفلت منها لتداعب ثنايا ملامحها ...

يعلم بغيرتها الخفية الدائمة من سهر ..

لم تكن غيرة قدر كونها احساسا بالنقص..

رغم ان هاجر تفوق ابنته جمالا وجاذبية وتتخطاها نجاحا مهنياً الا ان شعورها بالنقص لا يتعلق بالشكل والمستقبل الوظيفي بل تمس الجوهر ..

انه شعور يعود لايام المراهقة عندما كانت تغار لنفسها من شخص سهر ..

من اتزانها النفسي ..

فتقارن حياة سهر الطبيعية بين والدين محبين بينما هاجر عانت من علاقة متزعزعة بين والديها انتهت بفراق ...

ثم موت امها وسفر ابيها الذي اضطرها لتسافر معه وتترك الوطن قبل دخولها الجامعة ..

لايزال طاهر يذكر قبل سنوات عندما فسخت ابنته خطبتها على اسامة الهاشمي وجاءت هاجر في زيارة سريعة للبلد ..

لايزال يذكر نظرة فرح لامعة افلتت من عينيها رغما عنها وهي تحاول شد أزر ابنة عمها ...

انها تحب سهر .. حقا تحبها ...

لكنه أمر يفوق قدرتها على كبحه ..

يرضي فيها ذاك الجانب الخفي من الشعور بالنقص ...نقص تسبب به والدها للاسف ..

لا ... انها ليست الغيرة حقاً ..

بل الرغبة في الاثبات ان سهر لا تملك كل شيء كما تعتقد هاجر انها تملكه ..

ان العدالة تحققت والرؤوس تساوت ...

الانسان غريب حقاً عندما يجد ان ما يفتقده هو يملكه اخرون غيره فيتوهم الكمال فيهم ناسيا او متناسيا ان للاخرين نواقصهم الخاصة وقد يرون الكمال فيه في المقابل !...

لكن كل هذه المشاعر السلبية من ابنة اخيه خفت وتضاءلت بمرور السنوات حتى كادت تتلاشى .. او هذا ما بدا له !...

فهاجر نضجت واصبحت فخورة بانجازاتها ونجاحها وواثقة اكثر في خطوات اكثر ثباتا واتزانا تقطعها في طريق الحياة .. مستقلة بذاتها ...

احيانا يراها تبالغ باظهار بعض التحرر لكن لايستطيع فرض قناعاته عليها وقد منعه أخاه من تقييد ابنته واصر انها باتت ناضجة وتجيد العناية بنفسها دون وصاية احد خاصة وهي ستبلغ الثلاثين قريبا ...

لقد حز في نفسه ان اخاه تعامل مع فسخ عقد قران ابنته بلا اهتمام حقيقي ...!



كما تعامل منذ البداية بلا اهتمام بهذا الزواج الذي انتهى بكارثة كادت تقضي على هاجر نهائيا...

دوما كان اخاه الاصغر انانيا ومشاعره متبلدة نحو الاخرين ويكتفي بألقاء الاوامر التي يتوقع تنفيذها والا سيتجاهل من يرفضها .. وهذا كان سبب فشل زواجه الاول من والدة هاجر ...

صحيح الاثنان كانا ملامين على فشل العلاقة ولم يأبها للاذى الذي يقع على ابنتهما المراهقة لكن يبقى اخاه من يتحمل الذنب الاكبر ..

اطبق طاهر الاحمدي فكيه متوترا ..

كم هو نادم لانه استسلم لغضبه من اخيه ولتعنت ابنة اخيه ولم يتدخل بشكل لائق في تفاصيل زواجها من فرقد بما يضمن صالحها.. على الاقل ربما كان سيتدارك فداحة ما حصل بخسائر أقل ..

كانت ملامح طاهر متجهمة عندما اقتربت زوجته لتميل نحوه وتهمس له بقلق

" ابتسم قليلا يا طاهر .. وجهاكما المتجهمان انت وابنة اخيك يلفت انظار الحضور اليكما.. دعها تبتسم قليلا .. لانريد لاحد ان يشمت فيها وفينا ..."

تطلع طاهر لوجه زوجته واشفق عليها وهو يقرأ ملامحها المتوترة التي تعكس توتره..

وان كان هو يشعر بالندم والذنب فزوجته حياة متوترة لانها تتذكر ما حصل قبل سنوات لابنتهما سهر عندما قرر اسامة الهاشمي الانفصال عنها..

لكن .. شتان ما بين الحدثين رغم تشابههما ظاهريا .. شتان ما بين اسامة الهاشمي وبين فرقد الشيخ..

رغم غموض شخصية اسامة وبعض طباعه الغريبة الساخرة احيانا الا انه كان رجلا نبيلا بالفطرة ... ولم يخيب ظنه لانه اختار الانفصال عن ابنته قبل ان يؤذيها معه ...

اما فرقد .. يا الهي .. لا يعرف حتى كيف يصفه ! لا يعرف حتى مدى الاذى النفسي الجسيم الذي ألحقه بهاجر ..

كان محرجاً وغاضباً عندما اضطر لسؤالها قبل اتمام الطلاق بالمحكمة ان كان فرقد (قد اختلى بها)..

فاكتفت هاجر ان ترد عليه بكلمة ايجاب واحدة مقتضبة مكتومة النبرات بينما وجهها يمتقع بطريقة مخيفة ..

ردها كان تحصيل حاصل فلا مكان حتى للصدمة .. لكن الخيبة مريرة .. علقم ..

اجل لم يصدم .. هو تحديدا لن يدعي الصدمة حتى وان اراد اقناع نفسه بها ..

فقد كان الشاهد الوحيد على ما عانته .. لم تسمح لاحد بالاقتراب منها عداه هو .. منذ لجأت لبيته في ليلة مظلمة غبراء قبل اسبوعين تخبره بانهيار ان فرقد رمى عليها يمين الطلاق ثم تغيب عن الوعي بين ذراعيه..

وظلت لثلاثة ايام منهارة تبكي على صدره في هستيرية وكأن وجعاً لايحتمل دبّ في كل جسدها ..

اقسمت عليه عشرات المرات ان لا يتكلم مع فرقد في شيء وان ينهي الطلاق باسرع وقت ..

كان عاجزا عن فعل شيء الا انتشالها قبل ان تجن من انهيارها ذاك..

انهيار كتمه عن الجميع حتى عن ابنته سهر التي انشغلت بحياتها مع زوجها وحملها ووحامها فلم تشعر بهول ما يجري وعندما علمت كانت هاجر قد استعادت هدوءها النسبي فظنت سهر انه مجرد خلاف بين هاجر وفرقد ادى الى انفصال لا رجعة فيه ..

اما زوجته حياة فالتزمت الصمت وآثرت عدم التدخل نزولا على رغبته بينما تسمع صوت بكاء هاجر في غرفة سهر القديمة كل ليلة...

وبعد مرور بضعة ايام هدأت هاجر واستعادت سيطرة مقبولة على نفسها لكنها لم تتوقف عن طلب الاسراع بانهاء معاملات الطلاق ...



الحقير فرقد اختفى ولم يستطع مواجهته ..

حتى في المحكمة لم يره .. فقد اكتفى

الخسيس بارسال المحامي لينوب عنه بانهاء

كافة الاجراءات المتبعة في هذه الحالات ...

الكارثة ايضا ان طاهر لم يعرف له أهل حتى

يحاسبهم على فعلة ابنهم !

كل ما يعرفه عن فرقد ان أباه شيخ احدى

العشائر في احدى البلدات المحافظة ..

لكنه لم يلتق لا بأبيه ولا بأيّ من افراد

عائلته ..

لقد تم اقصاؤه عن تفاصيل هذا الارتباط

المتسرع تحت عناد واصرار هاجر العجيب التي

سارعت لعقد قرانها دون ان تأخذ بمشورته ..

هو عمها كان حاله من حال الغريب !

حاول مرارا ان ينصحها بالتروي .. ان ينصحها

بضرورة ان يتم الزواج بتعارف العائلتين

لبعض.. لكنها عنيدة ..! عنيدة جدا ...

وقد حصل ما كان يخشاه وانفض الارتباط

بخسائر جسيمة طالتها هي وحدها ..

فقط لو يعرف ماذا حصل بينهما ؟!

فقط لو يعرف لماذا فعل معها فرقد هذا ؟

صباح هذا اليوم عندما استلمت هاجر ورقة

طلاقها الرسمية تخيلها ستنهار في بكاء

جديد ..



لكنها فاجأته وهي تتنهد بارتياح مبالغ فيه ثم طوت الورقة بعناية لتضعها في جيب ثوبها وصرحت بعدها بابتسامة مرتجفة انها تريد الخروج !

يعترف انها اربكته بطلبها الخروج للترفيه ! وبشكل آلي اقترح عليها ان تحضر معه حفلة مؤسسة الجراح التي يسعى فيها ليتحصل لها على وظيفة فوافقت هاجر من فورها ..

بل كانت تظهر حماساً مفتعلا ... وقبل ان يغادر عمها الغرفة نادته وجعلته يقسم لها قسماً جديدا .. جعلته يقسم انه لن يخبر احدا عما حصل بينها وبين فرقد ..

حتى خالتها حياة لم تكن تريدها ان تعرف بل حتى سهر .. توسلته ان لا يخبرها ..

وهو ماشاها في مطلبها وان كان يدرك انه مطلب مؤقت فالحقيقة ستُعرف عاجلا ام آجلا.. المهم ان تهدأ الآن وتستعيد توازنها .. بعدها سيحادثها من جديد ... والاهم من اي شيء اخر حاليا.. انها تصلب عودها وتعافر لتبقى ثابتة..

عفويا شدد طاهر من امساكه بيد هاجر وشعور بالتوجس يكتنفه مما ينتظرها ...

عنادها ومكابرتها تقلقانه .. ولا سلطة له عليها ليحكمها ... انها تتعجل ادعاء الشفاء والعلة لم تبارح روحها..!

بعد ساعة ...

امام مبنى شقة هاجر ..

ترجلت من المقعد الخلفي لسيارة عمها بينما يترجل عمها بنفسه من مقعد السائق وزوجته تجلس على المقعد المجاور تنظر اليها بقلق واضح لكنها لم تتدخل ...

اغلقت هاجر الباب وهي تبتسم لزوجة عمها بينما يلتف عمها طاهر حول سيارته مقتربا منها وهو يقول بصوت الجذاب المهيب

" لآخر مرة اسألك يا ابنتي.. هل انت واثقة؟ "

ترفع وجهها لعمها وترد بتعابير جامدة

" كل الثقة عماه ..."

ودون ان تمنحه فرصة لمواصلة سعيه على تغيير رأيها كانت تستدير لتوليهما ظهرها وتتحرك مبتعدة وهي تلقي بتحية المساء ..

امام باب شقتها التي هجرتها منذ اسبوعين تقف مسمرة ... مشدوهة ... مأخوذة !

يدها تعتصر مفتاح فضي في راحة كفها بينما تهاجمها الذكريات ...

ذكريات شرسة بتطلبها .. عنيفة بعواطفها.. تمزق صفحات اي ذكريات اخرى في حياتها ...

قلبها يخفق بجنون لتلك الذكريات ...

وارادتها في سباق لاهث مع الوهن الذي يزحف لاطرافها فتكاد تدور بها الدنيا وتقع مغشياً عليها ...

فجأة هتفت " لاا!..."

وبصراع عنيف رفعت يدها لتضع المفتاح في قفل الباب وتفتحه ..

قدماها تخطوان للامام برعب حقيقي وكأنهما تخطوان داخل هوة مظلمة سحيقة ...

يدها بجزع تبحث عن مفتاح الانارة قرب الباب حتى وجدت لتفتحه وتتنفس الصعداء ...

لحظات فقط وكانت تخطو على مهل عبر غرفة الجلوس الانيقة بطرازها الخاص الذي اختارته بعناية وبحثت كثيرا على النت لتلتقط قطع الاثاث من مزادات وباسعار رخيصة نسبيا تلائم ميزانيتها ودخلها...

وفي اخر الغرفة تسمرت خطواتها امام مرآة طولية كبيرة الحجم نسبياً تستند على الارض بمسند خلفي طولي..

مرآة باطار خزفي ذو نقوش كلاسيكية قديمة.. اشترتها قبل بضعة اشهر عندما كانت تتجول في احد اشهر محلات الانتيكات في البلد (محلات أيهم سليماني).. كان والدها قد بعث لها بمبلغ من المال كهدية مفترضة لشقتها الجديدة ..

وحالما رأت هذه المرآة وقعت في غرامها ..

أنتيكة بهرتها مذ وقعت عيناها عليها

فالتقطت حواسها هذا الجمال الفني واشترتها

دون إبطاء ودون أسف على ثمنها الغالي ..

من كان يصدق ما ستشهده هذه المرآة ...؟!

هل كانت للحظة تتخيل ما ستسجله هذه

المرآة من اخزى لحظات حياتها ...

تجحظ عيناها وهي تحدق في المرآة الفارغة

الا من انعكاس سخيف لهيئتها في ثوب أحمر

لكنها لم تكن ترى هيئتها هذه بل .. بل ترى

جسدها عارياً بين ذراعيه ....!!

ارتعدت اوصالها بعنف تهزها ذكريات هوسه

برؤية انعكاس جسدها في المرآة وهي بين

احضانه يخضعها بعاطفة كانت جاهلة بها

ليوهمها هو انها العاطفة التي تريدها

وتحتاجها فتنهار امامه في رغبة حارقة لقتل

وحدتها وملأ حياتها مع من ظننته سيكون

شريك العمر ..

من ظننته نجمها الوحيد الذي ستهتدي به في

سواد ليلها الطويل البارد حتى تصل لبر الدفء

والانتماء .. لبر وطن يكون وطنها ...

اخذت هاجر تلهث وهي تشهق شهقات متتابعة

شرسة حادة على حنجرتها لتهمس من بين

اسنانها وعيناها ما زالتا جاحظتين من الصور

المتعاقبة التي تدمر سكونها الواهن "

استطيع تكسير هذه المرآة يا فرقد ..

لكنك لن تسلبني شيئا عزيزاً اخر .. لن

تسلبني اي شيء ايها الحقير ..."

العرق يتصبب من جبينها والدموع تتجمع في عينيها من جديد لكنها تقاوم وتقاوم ...

همست بحشرجة البكاء المكتوم وهي تتطلع لخصلات شعرها النارية التي كان فرقد يهوى لفها على اصابعه ويناديها (اسواط النار).. همست

" منذ الغد اعدك انك لن تعرفني يا فرقد اذا رأيتني مصادفة في الشارع .. اعدك انك ستعجب بي وكأني امرأة غريبة لم ترها قبلاً في حياتك .. اعدك .. وأعد نفسي قبلك .. طعم الذل الذي اسقيتني اياها قسرا حتى تكسّر كأسك المهين المحشور في فمي .. سيكون مجرد ذكرى عابرة ستتذكرها روحي بابتسامة ساخرة ..."

بعد ساعة ...

تتقلب في سريرها والعرق يتصبب منها و الحلم يضيق خناقه عليها ... تتأوه وكأنها تتألم في ذاك الحلم .. ترفضه ولا تستطيع الفرار منه..

في مطعم أنيق تجلس قبالته بتوتر وخداها يتخضبان بحمرة قانية وانفاسها تتسارع بينما تتهرب من نظراته الغريبة المحدقة فيها ...

تتشابك اصابعها فتتحسس خاتم الخطبة في بنصرها ... صادم احساسها حتى اللحظة ... صادم انها باتت قانونيا زوجته بعد ان تم عقد قرانهما ظهر اليوم في المحكمة ...

كل شيء جرى بشكل ضبابي .. ورئتاها تتقلصان فيضيق نفسها مع كل خطوة ...



عندما تمت الاجراءات وبعد انتهاء المباركات ممن حضر وجدت نفسها على الرصيف جواره والكل يغادرهما ليتركهما بمفردهما يقضيان اليوم معاً ...

لسبب مجهول كانت قد غيرت رأيها بخصوص اعداد حفل للخطوبة وعقد القران ولا تعرف لما شعرت ان هذا اغضب فرقد اكثر لكنه صمت و... ابتسم ..!

تلك الابتسامة الرهيبة التي لا تفهمها وتخيفها في نفس الوقت ..

ابتسامة تشعر انها تعريها قلباً وقالباً ..

لم تشعر الا بيده تجرها ببعض الخشونة ليجعلها تركب سيارته ثم ينطلق بصمت تام حتى وصل هذا المطعم فيجلسها قبالته ملتزما الصمت الا من جملة واحدة قالها بخشونة مرعبة جعلت خديها متضرجين هكذا

" استطيع اتمام زواجنا ها هنا على هذه المائدة التي تفصلنا فأمتلكك واطفئ تلك النار التي تشعلينها فيّ منذ عام كامل يا هاجر .. مذ رايتك لاول مرة .."

ثم يصمت ويراقبها كأسد ضارٍ بتلك النظرات التي تتعبها فتشعره جزءا لايتجزأ من اللون الاحمر الذي يزحف ذاك على خديها...

فجأة بدا مسترخيا وابتسم بجذل عجيب وهو يفرقع باصبعيه لينادي النادل وبكل سلاسة يطلب الطعام له ولها !

امضت ما يقارب الساعة وهي في حالة تشوش وفرقد صامت تماما .. فقط تلك الحركة المباغتة من اصابعه عندما يمدها ليلامس خاتم الخطبة في بنصرها ونظرات عينيه شاردة في جحيم خفي..

اجل كان جحيما .. جحيم تشعره ولا تبالي ..

ما الذي سيحدث ؟! ان فشلت مع فرقد ولم ترتح له خلال فترة الخطبة فستلغي الزواج من اساسه ... اجل ستلغيه ...

عندما خرجا من المطعم كانت تشعر انها استنفدت كل طاقتها وتحتاج حقا لساعات طويلة من النوم ..

شعور الخيبة المريرة يخنقها بينما تطلب منه وهي تمسد على جبينها بانهاك

" أعدني للبيت فرقد .. اشعر اني احتاج لحمام ساخن وبعض النوم .."

رجفة ابتسامة منه لم تمنحها الانذار المطلوب! .. كانت خيبتها ووحدتها قد أثقلت اجفان بصيرتها فلم تر القادم ...

قادها ببساطة لتركب السيارة من جديد وانطلق ...

متوتر .. متشنج .. اصابعه تتقلص حول المقود بشكل عجيب .. لكن صداع رأسها منعها التفكير فيما يحصل له ..

على باب شقتها ودعته وهي تتحاشى النظر
لعينيه .. كانت تشعر برغبة مريرة لتبكي
حالها .. لتبكي وحدتها وبؤس حظها ...

يا الهي ما الذي ينقصها لتعيش حياة طبيعية ؟

لماذا لم يحبها رافد ؟! لماذا؟ لماذا ؟

لماذا .. لا يبثها فرقد حبه الذي لاحقها به
طوال اشهر طويلة حتى رضيت به زوجاً ..؟!

زادت كآبتها وهي تسمع تحية فرقد الباردة
فتفتح باب شقتها وتدخلها على عجل ثم تعاود
غلقها في وجه فرقد دون ان تنظر اليه ..

رفعت يدها لفمها تكتم شهقة عندما اجفلت
فزعة وقبضة مجنونة تنهمر على بابها !

تجمدت بفزعها للحظة عندما سمعت صوت
فرقد اللهث بخشونة غير عادية

" افتحي الباب .. هاجر .. نسيت امرا .."

كانت تعرف انه لم ينس اي شيء .. كانت
تعرف في قرارتها انها عندما تفتح الباب
سيحصل امر مهول .. تشعره حتى قبل ان تعرف
ماهيته ...

كانت تعرف ان فتح الباب له غلطة ...

ومع هذا اذنبت وارتكبتها ...

فتحت الباب لاعصار لا يرحم ...

فتحت الباب لهجوم ساحق مباغت لا يعرف
معنى كلمة (لا) ...

عيناه المجنونتان اخبرتاها ان كلمة (لا) لن توقفه وهو يعبر حدود باب شقتها ليدخل ويغلقه خلفه ..

قالت (لا) له مرارا وتكرارا وهو يعبث بانوثتها التي لم يلمسها رجل قبله .. قالت (لا) واصابعه الخشنة تجردها من ملابسها قطعة قطعة امام مرآتها الكبيرة ويفرض سيطرته على مقاومتها بقوته البدنية التي تفوقها اضعافا واضعافا ...

هل حقا قاومته ؟ هل حقا قالت له (لا) ؟

ام انها كانت تبادله عنف قبلات وحرارة عواطف مخزونة تحتاج ان تجد صدى لها ...

كانت تحتاج له .. يا الهي .. كانت تضيع وتضيع وهو يفرض عليها امرا ترفضه لكنها تريده ربما اكثر منه !

تريد ان تكون محبوبة هكذا ..

تريد ان يجن بها رجل فلا يقاومها ..

تريد .. تريد ان يحبها احدهم هكذا ويفقد صوابه لاجلها ...

(طفلتي .. طفلتي .. طفلتي ....) ظل صوت رافد وهو ينادي معشوقته غالية يصدح في روحها ليحترق في أتون حاجتها الضارية ...

كانت غاضبة لانها لا تملك هذا ..

غاضبة كالجحيم ..

وهو ... هو ايضا كان غاضب .. غاضب في جحيم آخر غامض مبهم عصيّ عليها ...

انتهى بهما الحال في سريرها ودموعها تنسكب تشهق بالبكاء الخافت وهي تتوسله في لحظة عجائبية " لا فرقد .. كفى .. توقف .."

عندها هدر فيها " ابكي يا هاجر .. اعشق طعم دموعك وانا املكك هكذا ..

سأجعلك تتذكرين كل لحظة بيننا ...

سأحفر نفسي حفرا حتى في جدران دهاليزك السرية التي لم يصل اليها انسان قط ... انه وعد .. وعد قطعته على نفسي ..."

وكان له ما اراد وكانت صرختها الاخيرة (لاااا) ..... فاستيقظت اخيرا من حلمها ...

تلهث بجنون والعرق يتقاطر منها ...

وكأنها تعيش حقيقة ما حصل فعلا وما عاشته مع فرقد في يوم عقد قرانهما المشؤوم وحلمت به للتو وكأنه يتكرر ..

كم كانت غبية .. كم كانت غبية ..

وكم تصرفت بغباء بعدها ليفعل بها كل ما يريد وهي تستسلم في كل مرة بعد كلمة (لاا) باهتة لاتعنيها حقاً ...

ثم بات الامر احتياجا سافرا يتغلغل فيها ... احتياج ايقظه فرقد بلا رحمة .. حتى بات كأدمان ان تراه يهفو اليها باشتياق ناري رهيب يجعلها مصدومة عاجزة غريقة تكافح حتى لاتفقد نفسها .. لاتفقد رشدها ..

لقد كان فرقد من منحها اللمسة الحقيقية الاولى في حياتها..

لأول مرة في حياتها يلمسها انسان بهذا التوق المتفرد الموجه لها وحدها دون غيرها ..

اصابعه كانت كسيول نارية متدفقة من براكين انفجرت لتجتاح اراضيها ...

مع كل لمسة نارية منه كانت تخضع !

كان كبرياؤها يركع ...

الجوع قاتل فهل كانت تستطيع المقاومة ..

وفرقد اوهمها انه يطعمها نيران عواطفه بينما في الواقع كان يفترسها افتراسا بتلك النيران ...

حتى بعد ان بدأت تدرك غرابة ما يحصل بينهما لم تستطع منعه او الاعتراض بكلمة .. لمسة واحدة منه كانت اكثر من كافية لتصرخ جوعاً تناديه فيتفنن هو بتلبية النداء... وكل شيء يبدأ بـ...لمسة ..

اللمس .. علتها ...

طوال سنيّ طفولتها ومراهقتها وشبابها اليافع كانت في افتقاد معرفة اللمس...

دوماً تاقت بل وتساءلت عن معنى ان يلمسك احدهم بعاطفة .. بحميمية .. بروحانية ..

لمسة ابيها كانت باردة نائية ولمسة امها كانت لاهية .. غير مبالية ..

الاثنان لم يحباها كما لم يكرهاها ..

ينسيان وجودها اغلب الاحيان وهما في خضم التشاجر المستمر وعدم التوافق الواضح ...

كانت بالنسبة لهما مجرد ... شيء ..!

مجرد بواقي سقطت من علاقة تتهشم بين والدين انانيين ...

قاومت كثيرا لتستقل بذاتها لتثبت انها قوية ولا تحتاج لاحد.. لكنها .. مجرد بشر ..

فقط .. فتاة ... وحيدة ... تريد من يمنحها مرتبة ومقاماً مميزا في حياته...

رافد كان من ايقظ وحدتها بعنف لكن فرقد من ملأ أركانها حد التخمة...

يا الهي ... هي الغبية الحمقاء من عرّت نفسها امام فرقد فاستغل بجنون كل ضعف لديها ...

وهي كانت مغيبة تماما لا تفقه حقيقة ما يحصل بينهما ... سلمته نفسها بذل مخجل !

غمرت وجهها بين كفيها تبكي بدموع نازفة

" لقد فقدتِ رشدك كما فقدتِ نفسك يا هاجر .. كيف فعل بك هذا ؟ كيف سمحتِ له ان يفعل بك هذا ..؟! "

بعد كل ملحمة عاطفية بينهما تدعي فيها انها (ترفض) كانت تفقد جزءا من ذاتها.. وصوت الرفض يخفت ويخفت حتى مات في النهاية بتكرار كبته ...

لم يكن يقل لها حتى كلمة (حبيبة) .. فقط يكتفي ان يجعلها تنهار ويطعمها مما يطعمها ولا تعرف كُنهَ مذاقه ...

تقتات منه عاطفة كالشوك ..

تمزق احشاءها لكنها تزداد جوعاً للمزيد !

فرقد قرأها .. قرأ اوردتها وشرايينها ..

الآن انقشع الضباب وتفسر المبهم ..

الآن باتت تفهم ما كان يحدث ..

لقد كان يعلم بطريقة ما انها تحتاج لهذا الاهتمام العنيف غير المروض ...

كان يحاصرها في كل مكان .. يبدي غيرة لاتحتمل قاسية عنيفة اذا رآها تكلم رجلا ..

يحتضنها احيانا بشكل مباغت قاس حتى تكاد تشعر انه لايعاملها كانسانة قد تتألم من احتضانه ذاك ..

احتضان صامت الكلمات لكن فيه شيء غريب يجعلها تتلهف اليه اكثر من اي شيء آخر جمعها بفرقد ..

عزلها حتى عن عائلة عمها وبات محور حياتها.. صباحا في العمل معها .. عيناه تتبعانها في كل مكان حتى وهي لا ترى وجوده لكنها تشعر باضطهاد متابعة عينيه لخطواتها ..

ثم يشاركها طعامها .. يصر دوماً ان يشاركها اي وجبة سواء خفيفة او اساسية .. بل يصر ان يشاركها حتى فنجان القهوة ..

كان .. كان يغمر طارف سبابته في فنجان قهوتها غير مبال بلسع حرارتها ثم يرفع اصبعه لفمه يتذوقها ...

حركة اعتاد ان يفعلها في كل مرة ..!

وعندما يعيدها بنفسه لشقتها كان يصر على البقاء معها حتى اخر الليل ..

فقط اخر الليل ويرحل ..

لم يبت عندها ليلة واحدة ..

ومهما حصل بينهما من حمى اللقاء الحميمي الا انه في اخر الليل يرحل ..

كان الامر رهيبا ومثيرا في نفس الوقت ..

خانقا حتى تكاد تلفظ انفاسها ومغريا حتى تكاد تدفع كل حياتها ليستمر !

وجهها ما زال مغمورا بين كفيها مختزيا من كل هذا الذي تواجه نفسها فيه ..

اخذت تضرب بكفيها على وجهها وهي تصرخ بضراوة

" كفي كفي كفي .. فرقد انتهى .. انتهى .. لاتجعليه يربح ابدا .. لا تجعليه يربح .."

ازاحت الغطاء عن جسدها بعنف ووقفت بمنامتها القصيرة لتسير حافية القدمين حتى شباكها ..

وهناك وقفت بوجه جامد التعابير غارق بالدموع التي ذرفتها ثم شمخت بوجهها وبادارك غريب شعرت ان عيني فرقد تراقبانها الآن من مكان ما لاتراه هي ...

وبكل إباء وعنفوان اجبرت نفسها على ان تبتسم !

في ظلمة ما قبل بزوغ الفجر كان يحدق عالياً من شباك سيارة الاجرة نحو وجهها الباسم ...

عضلة تختلج في خده بينما يتمتم بخفوت

" لن تخدعيني بابتسامتك هذه يا جلادة قلبي .. انا سأظل هناك .. قابعا في عمقك ك..جمرة...."

ازاح نظره عنها وأمر السائق بهدوء

" انطلق .. لقد تأخرت على طائرتي .."

اغمض عينيه والسيارة تنطلق تأخذه بين طرق العاصمة نحو المطار الذي يقع في اطرافها..

انه يغادر الوطن .. يغادره ربما لبضعة اشهر ..

لايعرف بالضبط .. ربما لن يحتمل لاكثر من بضعة اسابيع وربما سيعجبه الامر و يمتد لسنوات ..

انه يغادر لاجل نفسه ... يجب ان يبتعد وينساها .. لقد فعل ما فعل وهو غير نادم ..

هاجر لم تحببه يوماً .. حتى وهي تدمنه !

حتى وهي تتحطم لانه اخبرها في النهاية انه سيتركها ...

كانت تتحطم لانها لا تريد خسارة وجوده الخاص في حياتها ..

قلبها لم يتحرك لحظة نحوه .. وهو أبى ان يحاول ... وجعه منها كان كبيراً فاسقاها من ذاك الوجع ..

صوتها المرتجف تلك الليلة التي تنصت فيها عليها وهي تراقب خلسة حبيبها (رافد)
وحسرتها عليه لانه تزوج باخرى غيرها ..

صوتها وقف بينهما كطود نارِيّ عظيم...

يغلي.... يغلي كمرجل مجنون لا سيطرة لأحد على أجيج ناره .. هو نفسه لايستطيع ..

في اشد لحظات ضعفه نحوها لم يرحمها ..

في أشد لحظات الهيام والولع كان عقله يلتهب بخطط الانتقام منها ...

تلك الانانية الانتهازية .. لو اعترفت له بالحقيقة ربما كان سيضعف ويصفح ..

لكنها حتى اخر لحظة كانت لا ترى الا احتياجها هي وما تبتغيه منه ..

ربما هو مجنون كما ينعته والده دوماً .. لكن جنونه بهاجر فاق كل ما مضى ...

وحان الوقت لايقاف كل هذا الجنون ..

حان الوقت لينساها قبل ان تدمر ما بقي من عقله ..

بيت هيثم الجراح

" شهرزاد ..."

همس اسمها بينما يستشعر برود غيابها عن مجاورته على السرير ...

رفع رأسه قليلا وضوء الحمام الخاص التابع لجناحهما يلامس اجفانه الناعسة ..

رفع جذعه وهو ينزل ساقيه الى الارض في نفس الوقت ليغادر السرير حافياً فلم يهتم بانتعال خفيه بينما يسير ناحية الحمام عابسا والقلق ينفض عنه آثار النوم عن ملامحه...

تألقت زرقة عينيه وهو يطالع وقفتها الانثوية الفاتنة وسط الحمام الواسع ..

قميص نومها الحريري الشفاف يتماوج حول قدها الرقيق فيلامس ركبتيها بنعومة ...

بشرتها الخمرية تصطبغ تحت انارة الحمام وشعرها الداكن يتماوج وقد بات طويلا جدا يغطي ظهرها بالكامل ...

قفزة وارتعاشة نبضة في صدره وهو يحدق فيها بينما هي لاهية عنه تحدق في انعكاس صورتها في احدى مرايا الحمام المتعددة ...

تعابير ملامح وجهها المميزة كانت غريبة .. كأنها تحاور احدهم في خيالها ... بدت متوترة لكن صامدة في نفس الوقت ...

كل هذا لم يمنع انه أفتتن بمرآها وهي تتلألأ بانعكاس الاضاءة عليها امام مرايا الحمام...

لقد مضى عام ونصف تقريبا على عودتهما لبعض ... وكلما مرّ يوم وشعر بالاطمئنان انها استقرت معه وحصل على ثقتها من جديد تباغته على حين غرة لتشعره ان الارض تحتهما ما زالت رخوة فيسيطر عليه التحفز المشوش من مجهول والارتباك من عدم فهمه لاختلاجاتها الخفية!

شعوره انه غير مسيطر على وجودها معه يكرهه ولا يلائم شخصيته الواثقة وربما لايلائم غروره كـ هيثم الجراح ..

والاكثر من هذا .. هناك ألم .. ألم تذوقه مع شهرزاد فقط .. ألم رهيب ..

انها ربما تكره عودتها اليه ...

انها ربما ... ستفاجؤه يوماً انها تريد الفراق الابدي ...

انها ربما .. لم تعد تحبه كما أحبته طوال حياتها ...

ابتلع ريقه وهو يخطو فوق الرخام الابيض مناديا اياها بألحاح عاطفي

" شهرزادي .. "

التفتت اليه وصور انعكاساتها على المرايا تختطف انفاسه وكأنه يلاحقها قبل ان تهرب وتتلاشى من امامه ...



تنظر اليه ببرود جليدي لا يمت بصلة لهيئتها الانثوية الحارة ..فيقترب اكثر بينما يقول لها بابتسامة خاصة يخصها بها

" استطيع النظر اليك الى الابد وانت تقفين هكذا وسط الحمام المنير .. تغار المرايا من بهائك ..."

يرفع يده يلامس خدها بظاهر اصابعه بينما ترفع عينيها اليه تحدقان في ابتسامته ثم عينيه لتقول اخيرا

" انت رجل مميز يا هيثم ويصعب ارضاؤك ! ذوقك لا يسهل التكهن به .. خاصة في النساء .."

للحظة تجمدت اصابعه فوق خدها بينما يرى في عينيها نظرة صقرية تصطاد ردود افعاله بدقة مرعبة ...

بتحد انحدرت يده من وجهها لعنقها فكتفها ثم تنحدر لخصرها بينما ترتفع يده الاخرى لتلتف الذراع حولها ويجذبها اليه بتملك خشن فتلتصق رقة قامتها به دون ان تبدي اي انفعال ثم يميل بشفتيه لاذنها هامساً هناك

" لا اجيد الرد على ضرباتك الموجعة هذه .. واراه ليس عدلا منك.. "

شفتاه انحدرتا لجانب عنقها بلهفة وارتعاشة الاحتياج اليها لتصدمه بالقول الحاد

" العدل كلمة واسعة جدا وتتقبل الكثير من التنازلات ليتحقق ظاهريا .."

رفع رأسه ليواجه ذاك البريق الحاد البارد المنعكس في عينيها فيسألها مدعياً الهدوء رغم الهواجس التي تخنقه " هل تنازلتِ معي ؟"

فترد بابتسامة اكثر برودا " مؤكد ... هل عندك شك في هذا ؟! عودتي اليك كانت اكبر تنازل قدمته في حياتي ..."

قلبه يقرع بجنون ويكاد يجن ليفهم ما يحصل معها .. لماذا تبدو الليلة هكذا ؟!

اغضبه جهله بما يدور في خلدها فقال بنوع من القساوة " عودتك اليّ كانت حتمية .. ومفروغ منها .. "

ترفع حاجبا واحدا وهي ترد بسخرية

" غرورك هذا يثير دهشتي احياناً .."

تصلبت ملامحه وعيناه تبرقان بينما يقول من بين شفتيه وهو ما زال متشبثا بها بين ذراعيه

" لا يعجبني هذا الحوار .."

ارتشعت شفتاها بابتسامة ثم بدت شاردة قليلا لتهمس بحلاوة مغيظة " لانه يربك السيد العظيم هيثم الجراح ..؟ "

شاهين شاهين شاهين .. دوما تعود لشاهين ..

تصلبه يزداد وهو يقول بوقاحة " التسميات التي يطلقها عليّ صاحبك شاهين لا تدخل بيتي يا شهرزادي .. ومؤكد لن تشاركني خلوتي معك تحت اي ظرف.."

تتحداه وهي تنظر في عينيه وتقول بتسلية

" شاهين احد الاسباب لارباكك .. لذلك لا تحبه ..."

لم يحتمل ليهدر بانفاس خشنة " ماذا يحصل شهرزاد ؟! اخبريني ما يجري معك ؟! "

ترفع حاجبيها الاثنين بحركة انثوية مدروسة وهي تسأل مدعية البراءة " ماذا ؟ "

اصبح الامر لا يطاق فيعقد حاجبيه وهو يواجهها بالقول " لايليق بك دور التلاعب هذا يا شهرزاد .. اخبريني دون مراوغة لماذا لم تكوني مرتاحة في حفل الليلة.."

لكنها تواصل لعبتها قائلة بتفكه

" لم أكن مرتاحة ؟! امممم ... ربما لان العصير لم يعجبني .."

للحظة كان سينساق كالغبي للعبتها معه وتلاعبها باعصابه .. هذا اصبح اسلوبها الجديد عندما يضايقها بأمر فتتلاعب به هكذا انتقاما !

نظر اليها بجدية بينما قلبه في صدره يهتف به ان لا يجازف ويسأل ما ينتوي سؤاله ..

سأل دون تراجع " شهرزاد ... هل تحبينني ؟"

كان يجب ان يسأل الآن بالذات ..

يجب ان يسمعها تقولها وهي في هذه الحالة الانتقامية التي تستهدفها فيه ...

للحظة ادرك من اتساع عينيها ان سؤاله لم تتوقعه منه في لحظة كهذه ... هي لا تبخل عليه بالكلمة في لحظاتهما الحميمة وهو تعود ان يمنحها الكلمات في المقابل ...

الان يريد ان يعرف .. يريد حقا ان يسمعها تقولها...

غرقت دكنة عينيها في شجن ذائب مغري يفيض ضعفا حميما حارا فهمست له

" علّتي .. في حبك ذاك ..! "

لم يعد يشعر الا بهدير قلبه والكلمات تنساب من فمه الذي مال نحو فمها هامسا

" علّتك كانت فيها نجاتي ..."

بداية اسبوع العمل

تقود شهرزاد سيارتها بصمت في طريقها للعمل بينما صديقتها سمارا تجلس بجوارها وهي لا تكف عن توبيخها باسلوبها الخاص

" لا افهم ما الذي تفعلينه هنا معي ؟! كنت تستطيعين اخذ اليوم بطوله اجازة والذهاب لزوجك لتكتمي على انفاسه في مؤسسته حتى ظهور حمراء الشعر تلك لتعرّفيها حدودها منذ البداية .. وان لزم الامر تجرينه من ربطة عنقه الخانقة وتقضين النهار معه في مغامرة جريئة وقحة تنسيه حتى (من انجبته) وليس فقط امرأة عابرة اعجبته .."

تأففت سمارا وهي تبعثر شعرها الناري بعنف قبل ان تضيف " اكره حمراوات الشعر .. كلهن يشعرن بالنقص مثلي .. يبدين في بلادنا السمراء كأنهن حبة طماطة مذعورة وسط الباذنجان ! "

لم تقاوم شهرزاد ان تضحك رغم ان سمارا اوجعتها دون ان تدري .. صديقتها المحبوبة غلبتها هورموناتها وهي حامل في شهورها الاولى بطفلها الثاني فانطلقت في نصائحها الامومية كالمدفع الرشاش ...

بهتت ضحكات شهرزاد وصدى كلمات سمارا يرن في اذنيها ...(امرأة عابرة اعجبته) يا لها من ثلاث كلمات قاسية على روح اي امرأة .. خاصة امرأة اكتوت انثوتها بالخيانة ...

تقلصت اصابع شهرزاد حول مقود السيارة فلم تشعر الا باصابع سمارا تربت عليها لتسترخي وهي تقول له بنبرة متعقلة لا تمت بصلة للفكاهة او الحنق الذي سبق

" اعلم الامر كم هو قاس عليك .. انا تعمدت ان اقولها لك .. (امرأة عابرة اعجبته) .. انها عابرة يا شهرزاد واعجابه العابر بها مجرد شعور رجولي يمر مرور الكرام وينتهي .. حتى زوجي اياد يشعره ناحية اي امرأة يراها في الشارع وترضي ذوقه .. "

فردت شهرزاد بجمود



" ستعمل معه في نفس المؤسسة .. لذا لن تكون عابرة .. سيراها كل يوم ربما .. ربما سيحلو له مقارنتها بي او ربما يحلو له اختلافها عني كما راقت له نورا من قبل .. وانا لن اقحم نفسي في.."

قاطعتها سمارا قائلة بعبوس

" هل فقدت ذكاءك يا شهرزاد؟! انت زوجته وحبيبته وام طفله .. هيثم الجراح ليس غبياً ليفعل اي فعل قد يدفع ثمنه باهظا بخسارتك للابد هذه المرة .. "

صمتت شهرزاد وهي تتذكر فجر اليوم ...

كان يائسا امام عنف عاطفته وهو يبثها غرامه ..

طالبها اكثر من مرة ان تعترف له بحبها .. وفعلت في كل مرة ...

هو يعاني كما تعاني ..

يعاني من انها لم تنسَ خيانته ..

من انها لن تستطيع ان تنسى خيانته ..

الذاكرة الحيّة بالتفاصيل المؤلمة تكون كسوس خبيث متخفي ينخر في القلب ...

سمعت صوت سمارا يأتيها بتشديد " امر جيد ان تعرفي نقطة ضعف زوجك نحو جمال الاناث لتتعاملي معه عند الضرورة وتدافعي عن بيتك وملكيتك .. لكن لاتجعليه هاجسا يا شهرزاد .. لاتدعيه ينتصر عليك .."



فكرت شهرزاد في قرارة نفسها معترفة ..

اجل .. بات هاجسا يباغتها فجأة ليعلن عن وجوده ..هاجسها الان في امرأة جميلة ..

شعرها طويل احمر ناري .. ربما تخطو الان اولى خطواتها على عتبة مؤسسة زوجها ..

موسسة الجراح

بكعب عال خطت عبر الابواب التي فتحت امامها تبتسم لوجه الحراس الامنين الذين طالعوها باعجاب وفضول لم يستطيعوا مداراته..

في بنطال انيق رمادي وقميص اخضر بلون حشائش الربيع تسير هاجر والثقة تشع منها ...

شعرها .. قصير يلامس بخجل حدود كتفيها.. التمعت خصلاته بلون بنيّ داكن يميل لحمرة غامضة محيرة .. !

للحظة لم يتعرف عليها منذر !

للحظة مرت عيناه عليها ولم يعرفها ..

لتمر مرتين ...ثلاث... اربع... حتى استوعب انها هي ..

هاجر الاحمدي ..

سحرته بهيئتها الجديدة .. بدت واثقة عازمة الاصرار يرسم محياها ...

للحظة بدت وكأنها لا تمت بصلة للفتاة الحمراء التي كانت تعافر قبل يومين فقط لتحافظ على ثباتها امام الناس في حفل مؤسسة الجراح ..

تتسارع نبضات قلبه باثارة عندما اقتربت منه وهو يقف في الممر فراهن نفسه انها لن تعرفه وربما ستعرفه لكنها ستتجاهله بشكل مؤكد..

لكن ... تقافز قلبه بجنون وهي تنظر اليه مباشرة الآن ثم .. تغمز بعين واحدة .. !

غمزة تكاد تكون غير محسوسة لكنها تحمل شقاوة الدنيا كلها وهي تلقي السلام دون ان تتوقف خطواتها

" صباح الخير سيد منذر .. "

الجمرة الثانية

ومر شهران آخران ..

مقهى الموظفين بمؤسسة الجراح

تعالت ضحكاته حتى رفع اصبعه ليمسح دمعة سالت من طارف عينه اليمنى وهو يقول من بين تلك الضحكات الرنانة

" لا اصدق انك قصصتِ فستانها الغالي الى شرائط قبل حفل عيد ميلادها بساعة .. كما لا اصدق انك لجأت لاحدى الغرف لتنامي باكرا حتى تتخلصي من صوت بكائها المزعج ..."

للحظة تشتّتت هاجر وهي تتذكر ردة فعل فرقد عندما اخبرته نفس الحادثة ...

نظرة ! .. مجرد نظرة غير عادية في عينيه...

بسلاسة اعتادتها خلال الاسابيع الماضية ازاحت جانباً اي ذكرى لفرقد وتعود للهالة السحرية التي اتخذتها امام منذر ....

ردت هاجر واصابعها تتلاعب بطارف شعرها الذي تحرص على المحافظة على قصره ولونه الجديد

" صوت بكاء سهر وهي طفلة كان اسوأ من تدللها الممجوج على عمي وزوجته .."

ثم اضافت وعيناها تشردان للحظة

" واعترف اني كنت أغار منها.."

رفع منذر نظراته لوجهها الشارد ...

عيناه رغماً عنه تمران بجرأة على خط الانحناء لوجهها البيضاوي وارتفاع انفها واستدارة خديها وذاك النمش الخفيف المتراقص على بشرتها البيضاء ..

انها... ببساطة .. جميلة .. ومع هذه النظرات الشاردة في العينين النرجستين فتبدو تشع حسناً وغموضاً ...

تعجبه .. مُذ رآها لاول مرة وجذبته ..

عيناه تميلان لأطراف شعرها التي تتلاعب بها ولايملك الا ان يبدي اعجابا سريا متجددا بلون شعرها الجديد .. وان كان لم يحزر ايهما اللون الاصلي لشعرها ..

القديم الاحمر الناري ام الجديد البني المحمر بدرجة داكنة غامضة ..؟!

غامضة ..... آآآآآآآآآآه ....

كل شيء فيها غامض رغم شخصيتها الجريئة بوضوح ملفت ..

غامضة في حياتها الشخصية .. غامضة في علاقاتها مع الاخرين فلا تعرف هل تحبهم ام تكرههم .. غامضة في مشاعرها .. في قلبها .. ولا يعلم ان كان قلبها ذاك يلعب في الخفاء لعبة الاغواء معه ...

يعجبه هذا فيها اكثر ويستفز رجولته لاستكشافها ومعرفتها ..

مضى زمن لم يتأثر بامرأة هكذا ..

منذ تأثره بغالية قبل سنوات وتحرك مشاعره نحوها ثم الغضب الذي اعتراه عندما رفضته لاجل ابن خالتها التافه الذي تزوجته وهو لم يشعر بعدها بانجذاب ناحية امرأة كهذا الذي يشعره نحو هاجر الأحمدي..

لكن غموض هاجر على قدر ما يثيره ويستفزه على قدر ما يقلق حدسه الذي يلتقط الاشارات الخافتة السرية التي تنطلق منها ...

لا يعرف لم يشعر بالتوجس مما تخفيه هاجر عن حياتها .. عن دواخلها وحقيقتها ...

ولم ينسَ قط لقائه بها قبل قرابة شهرين في حفل المؤسسة في العوامة...

كانت منهارة وتعافر لتنفض انهيارها ..

وبعد يومين أتت المؤسسة بهيئة (خارجية) جديدة واسلوب غامض يخفي الكثير ...

انها مختلفة مثلا عن ابنة عمها سهر .. فتلك الفتاة مدللة ابيها لا تملك هذه التعقيدات .. ولا تكلف نفسها عناء الغموض كما تفعل هاجر ، بل تبرز سهر بسلاسة طبيعية وتتدلل متميع صريح دون اي شعور بالخجل ...

ترا .. لماذا هما مختلفتان لهذه الدرجة ؟

دون شعوره نطق " هل تعلمين .. انا مثلك لا اطيق الفتيات المتدللات المتميعات بانوثتهن.."

في لحظة رفعت هاجر غشاوة الشرود من نظراتها لتنظر مطولا في عينيه !

أفلتت نبضات قلبه منه .. وللمرة العاشرة ربما يشعر انها تفعل هذا معه عن عمد ...

قال مبتسما وهو يسبل اهدابه ليخفي تأثره الشديد بها " فيك شقاوة البنات .. اعترف انها من خصالك المحببة التي اكتشفتها فيك خلال هذا الوقت القصير نسبياً لتعارفنا .."

همسة لا معنى لها انطلقت من فمها

" شقاوة ... بنات ؟ "

عاود النظر اليها فيصدم بملامحها على نحو مجهول .. هناك شيء لا يعرف وصفه ..

وكل مايستطيع قوله انها ابدا لا تبدو لعينيه في هذه اللحظات انها .. بنت ؟

بل تفور بانوثة امرأة كاملة ؟

لم يجد ما يداري به على مشاعره المتفاعلة نحوها الا ألهائها بقصة ما فقال اول ما خطر بباله " انت تذكرينني بشقاوة بنت عرفتها قبل سنوات .. كانت تضحك على الدوام وعيناها تتألقان بالعفرتة وهي بصحبة صديقاتها وكأنها دوماً على استعداد لفعل مقالب معهن و حتى فيهن .."

تمتمت متسائلة بتشدق " حبيبة سابقة ...؟ "

نظر في عينيها متفاجئا (مرة جديدة) من جرأتها بالتعبير .. كان يحب فيها جرأتها هذه التي تكون احيانا تكون قاسية متهكمة واحيانا تروق له كما الآن ...

رد بابتسامة وعيناه تحاولان سبر اغوارها اكثر

" في الواقع الامر لم يصل الى حد الـ (حبيبة) لكنها أثرت بي ورغبتها زوجة .. للاسف تزوجت غبي احمق اطفأ شعلتها وحولها لشبح انثى ثم .. هجرها مع طفلتها ! "

تصلبت ملامح هاجر واحتدت نظراتها لثوان خاطفة قبل ان تستعيد تعابير هادئة متوازنة فيها بعض التهكم وهي تقول له

" اذن غريمك كسب مرتين .. اخذها منك و... أطفأها بالهجران ...! "

هل هناك خيط مرارة في صوتها وهي تنطق آخر كلمتين تحديدا ؟! ام انه بات يضخم الامور على نحو سخيف ساذج ...؟!

ابتسامة صغيرة وهو يقول بغموض " المضحك اني اكتشفت مؤخرا فقط ان ذاك الغبي لم يكن هو غريمي الحقيقي .."

عقدت حاجبيها قليلا وهي تتساءل بفضول

" اذن من كان غريمك ؟! "

رفع منذر فنجان القهوة لفمه بينما يقول بنبرة شاردة قليلا " اخوه .."

نعم شرد قليلا وهو يفكر بغالية ورافد ...

لا زال الامر يؤثر به بطريقة او باخرى ..



لكن غالية التي تعلق بها وشعر بالاهانة
لكبريائه منها باتت مجرد طيف من الماضي ..
غالية الآن وقد باتت في عصمة رافد وحمايته
هي امرأة اخرى تماما ..

وكأنها ليست نفسها التي اعجبته يوما في
حفل ما وهي تضحك مع رفيقاتها البنات ...

اعاده من شروده تساؤل جديد لهاجر " انا لا
افهم .. تقصد انها تزوجت من احمق وهو من فاز
بها لكنه لم يكن غريمك بل اخاه ؟!"

رد بسلاسة وهو يضع فنجانه مكانه فوق
الصحن الصغير " نعم .."

هذه المرة ارتفع حاجباها قليلا في دهشة
واضحة ليضيف منذر منهياً الموضوع بمراوغة
" لاتتعبي نفسك بالتحليل .. انه امر معقد .. "

لينتقل لموضوع جديد مع ابتسامة فياضة
حلوة تفيض برجولته المهتمة بانوثتها

" كيف تجدين العمل في المؤسسة ؟"

ردت وهي تستجيب لانتقالته بذكاء فطن

" جيد .. لم اعتده تماما ومؤكد مختلف عن
اعداد البرامج في القناة الفضائية لكنه
تغيير.. وكنت احتاج لهذا التغيير .."

ثم اخذت ترتشف من قهوتها وهي تسأله
باهتمام مختلف عن اهتمامه " وانت .. هل ما
زال الاستاذ عبد الرزاق يزعجك ؟"



يمطّ شفتيه قليلا قبل ان يقول " انه من الجيل القديم ويصعب تغيير قناعاته في العمل.."

اخذت تتلاعب بالفنجان بين اصابعها بينما تقول بغموضها الذي يأسره

" اظنه اتهام باطل للجيل القديم لاننا كجيل حديث نرفض تغيير قناعاتنا ولاسباب عاطفية تافهة احيانا ، ورغم هذا نظن اننا عصريون جدا ونعيب على الجيل القديم .."

لم ير امرأة مثلها تستطيع ان تعطي لحوار عادي اكثر من بعد واكثر من معنى ومقصد ..!

لا يعرف كيف قفز السؤال الى لسانه

" هاجر .. لماذا تعيشين في شقة بمفردك ؟"

تجمدت يدها التي تتلاعب بالفنجان واتسعت عيناها بنظرة نارية فتتساءل بنبرة عجيبة

" هل تظنني اتمتع بعيشي بمفردي ؟"

ضيق عينيه وهو يركز فيها وفي تلك الخلجات المتعاقبة على وجهها .. يكاد لا يلاحق ما ينتابها خلال بضع لحظات ...

قال دون تراجع

" انا لا اعلم .. ولهذا اسألك .."

"مرحباً..."

صوت طاهر الاحمدي وهو يقف قربهما ويلقي التحية جاء في توقيت مغيظ لمنذر..

كان للتو يخطو خطوة حقيقية اولى ليعرف ماذا يوجد خلف جدار الغموض الآسر هذا ..

" مرحبا عماه .. تعال وشاركنا القهوة .."

ازاح منذر كرسيه قليلا للخلف ليقف على قدميه وهو يقول بلباقة لطاهر الاحمدي

" تفضل سيد طاهر .. انا سأغادر .. "

نظرة متمعنة من طاهر الاحمدي للرجل الثلاثيني قبل ان يبتسم له بلطف المجاملة وهو يقول " أراك في الجوار منذر .."

هز منذر رأسه مبتسما بنفس المجاملة قبل ان ينسحب وهو يمنح هاجر ابتسامة حلوة من نوع آخر ...

جلس طاهر مكان منذر وقبالة ابنة اخيه التي اسبلت اهدابها واخذت ترتشف من فنجانها ما تبقى من القهوة .. لدقائق ربما التزم طاهر الصمت وهو ينظر لابنة اخيه بدراسة تامة ..

قال اخيرا ودون مقدمات

" حذاري من منذر الطحّان يا هاجر .. قد يبدو سلسا عصريا لكنه في الداخل مجرد رجل شرقي .. كما انه ليس بالرجل الهيّن .. "

كانت ثابتة تماما وهي تضع الفنجان الفارغ مكانه وترفع نظراتها لعمها لتقول بنوع من البرود " بالنسبة لي هو مجرد رفيق عمل في نفس المؤسسة .. اجد في صحبته راحة خاصة .."

قال بنبرة أبوية تمنى لو تؤثر فيها بالطريقة الصحيحة الفعالة

" انا غير راض يا ابنتي.. تعالي وعيشي في بيت عمك .. بقاؤك بمفردك يؤرقني .."

اخذت هاجر تشوح بيدها وهي تحرك رأسها بتوتر فينتناثر شعرها حول وجهها قائلة بصوت كئيب

" ارجوك.. دعنا لا نعد لنفس الموضوع .."

ضيق طاهر عينيه ليفكر بترو فيحاول مرة جديدة باسلوب اكثر صراحة

" يا ابنتي هذا خطأ .. انت تستمرين بارتكاب اخطاء فادحة تؤذين بها نفسك.. عيشك بمفردك وبيت عمك موجود ليس في صالح سمعتك ونظرة الاخرين اليك .."

كان على وشك تذكيرها بفسخ قرانها من فرقد لكنه آثر الابتعاد عن هذه النقطة الحساسة حتى لا يثير حفيظتها ...

ليس لديه سلطة عليها و لا يملك الا ان يحميها باسلوبه المُهادن غير المباشر ..

ردت عليه بنبرة انتقادية نوعاً ما وهي تنظر اليه مباشرة نظرات بمعنى واضح " دوماً كنت اراك أباً متفتحاً مع سهر ومنحتها حرية ربما ينتقدك عليها غيرك من الآباء.."

مال طاهر قليلا للامام ليرد على ابنة اخيه بالقول

" هذا صحيح .. لكن لكل شيء حدود يا هاجر .. انا لم ولن اوافق يوماً ان تعيش سهر بمفردها تحت اي ظرف .. فما بالك بظرف كظرفك هذا ... "

غضبها الدفين اهتاج في صدرها لتهمس بانفاس متحشرجة قهرا بينما روحها تغلي

" لكن أبي موافق ... كما وافق ان اتزوج فرقد بطريقتي دون ان يتدخل بأي شيء وقال (افعلي ما تشائين بحياتك لك مطلق الحرية !) وعندما كسرتَ انت عهدك لي وافشيت له عما حصل بيني وبين فرقد ظانا ان ابي سيترك كل شيء ليركب اول طائرة ويأتي ليواسيني او ربما يأخذني عنده عنوة فكل ما فعله ان رفع سماعة الهاتف وقال (انت ناضجة في الثلاثين ولست اول امرأة تتطلق)! "

اتسعت عينا طاهر الاحمدي وارتفع حاجباه ومنحها نظرة مصدومة لانها المرة الاولى التي يعرف بها ان اخاه مصطفى قد اتصل بابنته بعد الطلاق ...

هل وصل الحال بأخيه ان يتعامل مع ابنته بهذه الرعونة وهذا الاستهتار بمستقبلها ؟! هل بات اخاه معدوم الاحساس والابوة لهذه الدرجة ؟!

وكأن هاجر قرأت صدمة عمها من ابيها فاضافت بنبرة ساخرة وقحة " يبدو انك لا تعرف اخاك الاصغر جيدا عماه ... قد اعطيك بعض الدروس عنه ..."



صرامة نادرة شعت ببرود من عيني طاهر الاحمدي وهو يقول " كما يبدو اني لا اعرفك ايضا يا ابنة اخي .. "

في لحظة شعرت هاجر بتجاوزها حدودها مع عمها ... فاعتذرت بارتباك ووجهها يتورد خجلا من وقاحتها

" انا .. آسفة عماه ... لم اقصد .."

أسبل طاهر اهدابه قليلا ليعبر بنبرة غامضة

" اعلم انك لم تقصدي .."

أخذت نفساً عميقا واطلقته بتمهل قبل ان تعترف بمكنونات افكارها واحتياجاتها قائلة بنبرة تفيض بوجع دفين

" انا بلغت الثلاثين عماه واعمل وأكد وانفق على نفسي منذ سنوات .. لا اريد ان افقد هذا.. انه اهم ما تبقى لي .. انه نجاحي في استقلاليتي والاعتماد على ذاتي وقدراتي .. ربما ابي يعاقبني لاني خرجت من محيطه البارد الدكتاتوري فيحرمني مما تبقى من دعمه لي وربما ... هو لا يبالي بي ببساطة كما فعل طوال حياتي ! في كل الاحوال مرت سنوات طويلة و لم يعد ينفع ان اعود للوراء الان .. ان أعود لدور الفتاة الصغيرة التي تبحث عن حضن عائلتها لتختبئ فيه... لقد فات الاوان لهذا عماه .. انا كبرت .. كبرت جدا ..."



لم ينساق طاهر خلف احساسه بالشفقة لحالها وغضبه لاجلها .. كان يحتاج عقله هذه اللحظة ليحاول افهام هاجر ما لا تتنبه له

" الفتاة في مجتمعنا تحتاج للعائلة التي تسندها وتمنع عنها نظرات الطمع وسوء الظن.. تمنع عنها استهانة اي رجل بها والتقليل من شأنها لانها وحيدة .. مهما فعلتِ لن تغيري هذه الحقيقة ولن تعيدي بناء التركيبة الاجتماعية .. "

ترد عليه بصدق وتعلق مس قلبه

" وانت ظهري وسندي .. منحتني ما لم يمنحني اياه والدي ... لذلك لن أتردد لحظة في اللجوء اليك ... مرارا وتكرارا .."

تبسم لوجهها الجميل وتذكرها طفلة حلوة بفم احمر لامع من أثر السكاكر التي تحبها..

كم ودّ طاهر لو ان اخاه مصطفى ترك له هاجر ليربيها مع سهر بدلا من ان يأخذها معه لبلد غريب وهي مجرد مراهقة يافعة بعقد النقص وقد كانت ما زالت تعاني من صدمة طلاق والديها تبعه وفاة امها ...

ربما كان سيحصل على ثقتها اكثر لترضى العيش ببيته وتتخلى عن فكرة الاستقلالية هذه ...

لكن .. كما قالت هي ..

لقد فات الاوان ولا عودة بالزمن للخلف ..

كل ما يستطيع فعله الآن ان يحاول التواجد دوماً بالصورة حتى لا يظن الاخرون انها لقمة سائغة ..

ان يحاول جهده حمايتها من نفسها اولا قبل ان يحميها من الاخرين...

هذه المرة لن يتركها تقع فريسة تخبطها واختياراتها غير المحسوبة كما حصل مع فرقد ...

قال اخيرا ردا على كلامها وهو يمد يده ليلامس اصابعها الباردة المتوترة

" اتمنى ان تلجأي لبيت عمك وانت راغبة في البقاء وسط عائلتك وليس لانك في محنة ياصغيرتي .."

مساء ... شقة هاجر

نصف مضطجعة على اريكتها .. جهاز التحكم عن بعد في يدها تقلب القنوات بضجر وعيناها الناعستان من تعب العمل تطالعان الشاشة بلا اهتمام او تركيز ..

مر وقت طويل لم تشاهد القنوات الفضائية .. تكتفي بشراء احدث الافلام لتقضي به ليلتها عندما تعود للشقة وحيدة ..

كان هذا علاجها الذي اتبعته لتعتاد حياتها الباردة من جديد .. لتعتاد جدران شقتها التي شهدت خزيها وانكسارها واذلالها فتواجه تلك المشاهد بصلف ووقاحة ولامبالاة ...



لقد رفضت ان تغير اي قطعة اثاث ..

حتى سريرها لم تغيره وتحملت لايام طوال اشواك ذكرياته حتى اعتادتها وتجاهلتها في النهاية لتنعم بنوم هادئ !

المرآة الضخمة في زاوية غرفة المعيشة لم تستثنها من التحدي ..

كل صباح تقف امامها تعدل من هندامها وبتمهل شديد .. تضع اللمسة الاخيرة من تبرجها الخفيف الذي يلائم العمل... وتلاعب بأناملها طرف ياقة قميصها او تحرك خصلة شعر ليست في مكانها ...

انها الآن تعيش استقرارا نسبياً ...

تشعر بسكون ثلجي .. سيطرة وتراخ .. كل شيء يعود لأصله .. وها هي تعتاد حتى وحدتها بل اصبحت تأنس بهذه الوحدة ...

تأففت وهي تقلب القناة مرة جديدة وعيناها ترتفعان للسقف بتضجر وهي تتمتم

" كان يجب ان اتحامل على نفسي وتعبي لاذهب لصاحب الاقراص المدمجة واشتري فيلما جديدا .."

بغتة تجمد كل شيء فيها..

كل شعور .. كل حركة .. كل خلية .. حينما تناهى لمسامعها ذبذبات صوت رجل تأتيها من التلفاز لتصل اليها وتخترق اذنيها ...

(ولم يتوصل الجانب التركي لاتفاق مرض حتى اللحظة حول ....)

جدران غرفة معيشتها فجأة باتت تضحك منها ساخرة بصخب هستيري مجنون !

نار شبت بأطراف اريكتها وسجادتها القرنفلية حيث شهدت حمم عواطف هائجة ...

اللوحات كأنها تهتز لتظهر صورا اخرى غير التي تحملها ...

صورا لها ولـ..ـه...

كل شيء بات ... يصرخ ... يحترق .... يموج بالصور المتدفقة ...

أدارت بؤبؤيّ عينيها ببطء لتحدق بجحوظ في الشاشة البلازمية بينما تتقلص اصابعها حول جهاز التحكم بتوتر شديد حتى انغرزت اظافرها الطويلة في راحة كفها دون ان يوقظها الألم من التحديق المصدوم في ملامح وجهه ...

جامدة المحيا لمن ينظر اليها للوهلة الاولى لكن ان أمعن النظر سيشهد في الداخل كيف تخوض غمار حروب عنيفة لقمع الفتنة !..

روحها تنتفض وتثور وتقاوم تلك (الفتنة) التي تنفخ في جمرة باردة ما زالت تستوطن حشا روحها ...

(كان معكم فرقد الشيخ.. قناة(...) الاخبارية .. من قلب مدينة أنقرة التركية)



واحدا من اصابعها المتقلصة اطفأ التلفاز دون ان تشعر لتحدق في سواد الشاشة بوجه ممتقع...

لكن سواد السواد ليس كافياً ليمحو وجهه الذي احتلها قبل ثوان ..

ما زال وجهه كما عرفته عن قرب حميمي ..

آآآه ... عيناها تحرقانها فاغمضتهما تقاوم دمع الشكوى من ذاك الحريق ...

دوم .. دوم .. دوم ...

هل هذا نبض قلبها يتلوع و.... يتولع ؟!

هل هذا نبض قلبها طغى وارتفع..؟!

جفناها مطبقان بشدة لكن صورة وجهه التي رأتها للتو ما زالت مطبوعة .. تقارنها ذكرياتها مع صورته السابقة رغماً عن مقاومتها لفعل هذا ...

نفس ملامحه وان كانت متعبة بعض الشيء ..

طيف ابتسامة صغيرة ساخرة على شفتيه وعيناه تنظران بنوع من اللامبالاة الجذابة للكاميرا التي تصوره ..

دوم .. دوم .. دوم ...

مزيد من انفلات الافكار والذكريات ...

ملابسه تغيرت ... دوما احب هذا النوع من الملابس التي لا تقيده ..

كان يكره بدلات العمل الرسمية ويفضل
قميصا وبنطالا من الجينز .. حيث لا ربطة
عنق تخنقه ليمنح نفسه الحرية المطلقة
بفتح اكثر من زرين علويين ..

لقد.. حلق شعره بالكامل !

واصبح بطول لحيته الخفيفة المشذبة..

لقد حقق مبتغاه .... العمل الميداني وفي
المجال الاخباري تحديدا..

مراسل صحفي حر في الانطلاق ودخول
المجهول والصعب ...

انه يعيش حياته بالطول والعرض ماضياً قدماً
كأن لم تكن (هي) في حياته يوماً !

و..(هي) .. ماذا تفعل ؟!

تعاني .. تتجرع الشوك والعلقم وتكتوي
بالنار بينما تقاوم شياطين الذكريات التي
حفرها السافل بيده على جدران روحها فلم
يعتق شبراً واحداً في جدار ...

انتفضت هاجر وهي تثب على قدميها تصارع
دموعها بغضب مهول وتشد خصل شعرها
القصير باصابعها المتوترة وكأنها تريد
تقطيعه أربا !

هتفت من بين شفتيها المشدودتين وأناملها
مغروزة بقسوة بين طيات شعرها

" لن أبكي .. ولن تنتصر يا فرقد .. سترى ...!"

تركيا .. اسطنبول

ملهى ليلي !

يجلس على احد المقاعد الصغيرة الدوارة امام (المشرب) حيث المنضدة المرتفعة التي يقف خلفها ساقٍ شاب ملامحه لا تعطي اي تعبير بل منغمس بصمت تام في تلبية طلبات الزبائن بسرعة وهدوء ..

فيجد فيه ملاذا له بعيدا عن صحبة زملائه في العمل الذين اخذهم الشرب والعبث مع الفتيات في حلبة الرقص ...

يلتقط فرقد حفنة (فستق سوداني) من صحن قريب وضعه الساقي له مع كأس العصير ثم يرمي الحبات في فمه دفعة واحدة ..

يتبعها بحفنة صغيرة اخرى وعبث الاصوات من حوله يرتفع وصخب الراقصين يعطي للمكان عنوانه الحقيقي ...(ملهى) ...

يستدير بجسده متأرجحاً على المقعد الدوار ليستقر وهو يستند بظهره على حافة المشرب يراقب ذاك العبث الماجن امامه بنوع من الملل وهو يتخيل دوره (المعتاد) في القادم ليحمل كل واحد منهم الى مضجعه قبل ان يسقط أرضا من شدة السكر !

" الا تريد مشاركتي كأسا ؟"

سؤال انثوي بلغة تركية يجيدها .. سؤال كان يتوقعه منذ بضع دقائق وقد جلست الفتاة اليافعة جواره منذ مدة تحاول لفت نظره اليها وهو لا يعرها اهتماماً ..

رد عليها بلغتها الام وهو لا يكلف نفسه عناء الالتفات اليها " لا ..."

وجد وجهها فجأة قبالة وجهه تغمزه بعينين كالبحر لتصر على المحاولة بالسؤال

" لماذا ؟ "

حرّك نظراته من عينيها لباقي ملامح وجهها النحيل فلم يجد فيها غير لون عينيها كصفة جمالية مؤثرة ...

ثم اخذ يقلب السؤال في.. قلبه !..(لماذا) ....

عيناه سطعتا وتحركت شفتاه بالرد

" تركت شرب الخمر لاجلها ..."

للحظة الفتاة لم تستوعب اجابته فرمشت بعينيها تنتظر منه توضيحاً وهو لاه عنها .. بعيد .. بعيد تماما عن المكان والزمان الذي هو فيه ليذهب لمكان (هاجر) وزمان كان فيه مع (هاجر) فتتشابه كل الاماكن والازمنة من بعد هجرانه لها .. !

أضاف بنبرة تتفجر بعاطفة محيرة

" والدها يشرب الخمر وهي كرهت هذا فيه .."

اتسعت عينا الفتاة وهي تردد باستيعاب كامل هذه المرة " أتحبها لهذه الدرجة ؟!"

لا يعلم لم انساق مع الفتاة التركية بالكلام لهذه الدرجة؟! لكن هل يهم ؟!

لا .. لا يهم ..

قال وهو يستدير بجسده قليلا ليمد يده ويغمر اصابعه في صحن الفستق ويغرف منه بشغف وهو يهمس بحرارة حارقة

" امسكت قلبها الجائع للحب بين اصابعي .. كان حارا .. حارا جدا كما توقعته .. "

ثم يطبق بعنف على الحبات في باطن يده وهو يضيف بشراسة وغضب أعمى

" ثم اعتصرته! اعتصرته عصرا حتى سالت دماؤه تفور بالوجيعة ..."

لم يوقظه من غفوة النار الا انغراز اظافر رفيقته التركية في كتفه وهمسها المغوي يلهث قرب اذنه " احب خشونتك هذه .."

بسلاسة تراخت قبضته عن الفستق فتركه يتخلل اصابعه وهو يقول بابتسامة ساخرة

" وانا كرهت عرضك هذا .."

ثم رفع عينيه اليها فوجدها تنظر اليه بتحد واصرار واظافرها ما زالت تنغرز اكثر في عضلة كتفه عبر قماش قميصه فتلتمع عيناها بالانجذاب الحار لرجولته هامسة

" لكنك تريده رغم كرهك له .."



ابتسامته اتسعت وقست في الآن ذاته وهو يسألها بنبرة خشنة مثيرة " هل تعلمين ما الذي اوقع قلبها فريسة سهلة لمخالبي ؟ "

ردت وهي ما زالت تلعب لعبة التحدي

" ثقتها بك ؟"

نظر اليها من فوق الى تحت ثم قال متشدقاً

" بل غرور الانثى فيها .. وفي هذا .. تشبهك تماماً .. انه الحمق الأعمى..! "

زحف الغضب ببطء لملامحها وهي تفسر رده الواضح والمعنى المزدوج الذي يقصده .. بينما يده ترتفع لتزيح (مخالبها) عن كتفه الصلد..

ثم غادر مقعده ليقف على قدميه وهو يرمي بعض المال للساقي ويضيف " لكنها كانت اذكى منك لتعرف متى واين وكيف تقدم عرضها الثمين ..."

وخلال ثوان كان يغادر المكان برمته ..

الوطن ...

صباح اليوم التالي ...

يطبع قبلة في عنق ولده صقر قبل ان يسلمه لأمه وهو ينبهها بالقول

" لا تتأخري في تدليله .. الشوارع ستكون مزدحمة حتى اوصلك لوسط البلد .."

لم تنظر لزوجها بينما تداعب خديّ ابنها مبتسمة ثم تنظر في عينيه الشبيهتين بعيني ابيه هامسة قرب اذنه الصغيرة

" أخذت منه أجمل ما فيه .. لكن إياك واخباره بهذا .. انه سرنا الصغير يا صقري .."

يتشبث ولدها بخصلات شعرها الناعم عابسا غير راض وهو يتمتم " ماما .. ماما .."

بضحكات جذلى تبعد برقة اصابعه التملكية عن خصلات شعرها فيزداد حنقاً في نداداتها رافضا بعند ان تأخذه مربيته ...

تتنهد شهرزاد بحسرة لفراقه وذراعه ممتدة اليها تطالب بها بينما تعافر المربية لارضائه ..

تمسك كفه الصغير فتلثمه بشفتيها بحب لا يضاهى قبل ان تودعه قائلة

" لن أتاخر يا صغيري ..."

خلال دقيقة كانت تجلس جوار زوجها وهو ينطلق بسيارته الفارهة عبر بوابة البيت ..

يناظرها هيثم بطارف عينه يشعر بالرضا لانه انتصر على عنادها واجبرها ان تأتي بصحبته..

شهران تقريبا وهي بحالها العجيب هذا ..

حتى انه كلم صديقتها المقربة سمارا عسى ان تطلعه على ما يحدث مع شهرزاد .. لكن حمراء الشعر تلك كانت كتومة كالجحيم مما اقلقه اكثر ...

" لماذا اصررت اليوم على ايصالي ؟ "

التفت لصوت زوجته وهي تطرح سؤالها فيمعن النظر في محياها الفاتن الغامض ..

يكاد يموت غيظاً وشعورا بالعجز يمقته اشد المقت ... عجز لم يشعره الا مع شهرزاد بعد ان عادت اليه بشق الانفس ...

ان يخضع لطلبها يوما ويطلقها كان صعبا جدا لكن اعادتها اليه كانت الاصعب ...

نزوة ... مجرد نزوة طيش وغرور فيتزوج من نورا ظاناً انه قادر على السيطرة على الامور وفقاً لارادته هو وحده .. فيخرج من تجربة (النزوة) مدحورا بغروره موشوما بغبائه مكللاً بخسائره!

يقود سيارته بملامح هادئة (ظاهريا) ليعقب على سؤالها -الذي طرحته بنوع من اللامبالاة- قائلا بابتسامة يعرف انها تؤثر فيها

" مشغولة عني انت يا شهرزادي .. شاهين بات يراك اكثر مني ! "

ردت عليه بلا مبالاة اكثر برودا وقساوة

" لاتتدلل يا هيثم .. ولست في مزاج اليوم لتحمل غيرتك من شاهين ..."

تعكرت صفحة وجهه ليطفو على السطح غروره وعنفوانه واعتزازه بنفسه ..

هو ... هيثم الجراح ...

قال بنبرة حادة " لاتتمادي انت ايضا يا شهرزاد.. لست ذاك الرجل الذي يسمح لأمرأته ان تكلمه هكذا.."

نظراته حادة كنبرة صوته لكن لم تغير شيء في اسلوب شهرزاد بالكلام وهي تشيح بوجهها وترد عليه بسخرية لاذعة

" غرورك الذكوري دوماً يبهرني .."

لم يحتمل هيثم المزيد منها ...

مال بسيارته جانبا بحركة مفاجئة رعناء جعلتها تشهق مجفلة بينما يدخل شارعا فرعياً وبدلا من ان يقف على جانب الطريق قاد السيارة حتى نهاية الشارع حيث مرآب خاص باحدى المباني السكنية ليدخله دون اهتمام بالمخالفة ويختار مكاناً منعزلا خاليا في احدى زوايا المرآب شبه المظلم ...

كانت تطبق فكيها بتشدد بينما كفاها تتشبثان من الجانبين بتوتر حتى بعد ان اطفأ محرك السيارة وعم الهدوء ...

تدير وجهها بعيدا عنه بكل تحدٍ بينما تسمع هدير انفاسه الغاضبة ...

اصابعه وجدت طريقها لذقنها الناعم فيدير وجهها اليه عنوة وللحظة تخيلت سيصرخ فيها غاضباً لكنه سرق نبضة من قلبها وهو يقول بنبرة خاصة دوما استخدمها ليؤثر فيها مذ كانت مراهقة مدلهة بغرامه ...

" انظري الي وكفي عن المراوغة .. ماذا يحصل لك منذ شهرين ؟"

ابتلعت ريقها وهي ترفع نظراتها لتحدق في عينيه الزرقاوين فتشد على شفتيها في تمرد ..

لم ييأس من استخدام اسلوبه المغوي المؤثر معها فمال نحوها يلامس بشفتيه شفتيها هامساً

" انت حتى لم تعودي تزورينني في مكتبي كما كنت تفعلين كل اسبوع .. "

عيناها تبرقان وهما تحدقان في عينيه بطريقة أخافته !

قلبه يتزلزل من شدة خوفه ...

يشعرها تبتعد .. تنفصل عنه قطعة قطعة ...

همست اخيرا وبنبرة ثلجية

" مكتبك ..؟ ربما اخشى بضعة كوابيس قد تقفز وتنفجر في وجهي هناك كدعابة صادمة من مهرج سمج .."

عيناه تمشطان تعابير وجهها بقلق شديد بينما تخطر في باله فكرة مفاجئة ليسألها دون مراوغة " هل التقيتِ نورا مؤخرا ؟ "

شبح ابتسامة مر على شفتيها وهي ترمي سؤاله في وجهه " وهل فعلتَ انت ؟"

رد تلقائيا دون تلكؤ

" لم أرها منذ اخر مرة وانت تعرفين .."

هدوء المكان وظلمته النسبية جعل للكلمات ثقلا اكبر على مسمعيهما معاً ..

حوار عجيب والمشاعر تتأجج خلف ستارة من الصمود البارد لا يعرف ايا منهما الى متى ستصمد تلك الستارة في اخفاء البواطن ..

" لا .. لا اعرف .."

يكز على اسنانه واصابعه (دون شعوره) تنغرز في اعلى ذراعيها بينما يقول بفقدان سيطرة

" ماذا قالت لك ؟ هل اختلقت اكاذيب وانت بغباء النساء الغيورات صدقتها .."

هدرت فيه وقد شحب وجهها بالكامل وتلاشى برود الابتسام من محياها

" حذاري هيثم ان تتجاوز حدودك معي .."

يهزها وقد فاض به ويهدر فيها في المقابل

" وانت ألا تتجاوزين ؟! نعم انا رجل فخور مغرور او سمّني ما شئتِ .. وانا زوجك ويجب ان تحترمي فخري هذا ولا تستمري بالتقليل من احترامي عبر سخريتك الباردة مني .. لقد تحملتها لأسابيع وانا اسألك عن السبب وانت لا تردين بل تتمادين اكثر واكثر في التجاوز معي ..."

فجأة فقدت سيطرتها واخذت تضربه في صدره تحاول ابعاده فيصرخ بها " توقفي ...."

لحيرته وصدمته انهارت تبكي فجأة بل تجهش بالبكاء كمكلومة !

منذ عودتهما لبعض لم يرها تبكي هكذا ..

كان صراخها يعلو وسط نشيج البكاء

" اتركني .. اتركني ..."

اللعنة عليه ان فعل وتركها ...!

جرها لصدره يضمها اليه رغماً عن ارادتها .. بل يضمها بكل قوته فيحبط محاولاتها الخلاص..

هدأ بكاؤها قليلا وهو يميل بشفتيه ليقبلها بين خصل شعرها الناعم الذي يعشقه ... يا الهي يعشق فيها كل شيء .. كل شيء ...

همس بحشرجة وهو لايكف عن لثم شعرها ووجهها الرطب من الدموع

" اخبريني ... صارحيني .. لاتعذبيني بتباعدك هذا عني .. اكرهه .. يا الهي كم اكرهه .. لا شيء في الدنيا جعلني اشعر هكذا ..."

ببطء رفعت وجهها اليه فاخذ يزيح خصل شعرها عن خديها بلهفة .. يحاوط وجهها بكفيه يمسح الدموع بينما يحدق لعينيها فيُطعن باحساس الخيانة الذي تشعره نحوه ويطل من نظراتها .. انه كابوس .. !

كابوس لا يعرف كيف عاد اليها ...

عقد حاجبيه بعزم وقال بصوت أجش

" انت لديك كوابيسك حولي وانا ايضا .. وانا ايضا شهرزاد .. لكني اقاومها وأصر على الاقتراب بل الالتحام بك "

دمعة جديدة انحدت على خدها الايسر فيمسحها بابهامه وشعور مؤلم كئيب ينتشر في صدره بينما يضيف بنوع من العتب ...

" انت لا تنسين .. لم تنسي ابدا ما حصل .."

شع احساسها بالخيانة من نظراتها بوضوح

اقسى بينما ترد عليه بكآبة عكست كآبته

" وهل ظننت للحظة اني فعلت ؟! "

يهز وجهها برقة بين كفيه قبل ان يميل

بجبينه ليستند على جبينها وهو يسأل بعناد

" لماذا شهرزاد ؟ لماذا لم تنسي ..؟ "

اسبلت اهدابها وكأنها تنفصل بروحها عنه

رغم التصاقها الجسدي به لتعترف له همساً

" كلما دخلت لمكتبك.. يقفز قلبي في

صدري متوجعاً من ذكرى رؤيتك مع ..نورا .."

يبعد وجهها قليلا ورغماً عنه يهدر فيها بحرقة

" انها غلطة واحدة .. غلطة يا شهرزاد ..

اغفريها .."

تلألأت عيناها ثم ردت بشجن وعنفوان

" المرأة تستطيع نسيان كل الاخطاء الا

الخيانة .. قد تغفرها لكن لا تنساها ابدا ..."

يجادلها بمنطق ذكوري

" لو كنتِ غفرتها حقاً لكنتِ نسيتها .."

ترد باشفاق على منطقه المنقوص !

" هذا ما تقوله انت ... لكنك لا تعرف .."

فيعبس وهو يصر لاكمال هذا الجدل

" ما الذي لا اعرفه ..؟ "

تحاول ابعاد كفيه عن وجهها وهي ترد عليه

" النساء يستطعن التأقلم مع الذكريات ..

المؤلمة .. اكثر من الرجال .. "

لم يفلتها بينما يشعر انه يدور في حلقة

مفرغة دون ان يضع يده حقاً على ما يحدث

معها حقاً ..

استعاد ذكاءه المتوقد ليقول بهدوء نسبي

" شهرزاد نحن نلف وندور بالكلام دون ان اصل

لحقيقة الامر ... ما الذي أجج تلك

الذكريات الآن؟ كنا قد استعدنا استقرارنا

معاً ... وانا احرص ان أفعل كل ما يرضيك ..

ان كنتِ حقا التقيتِ بنورا و.."

قاطعته وهي تحني وجهها قليلا للاسفل

" نورا لم أرها منذ عزاء والدي ولم اسمع عنها

شيئا .."

رفع وجهها اليه مرة جديدة بينما يعقد

حاجبيه بشدة وهو يسأل بتصميم

" اذن .. ماذا يحدث ؟"

تعابير وجع افترشت ملامحها العذبة قبل ان

تهرب وهي تدير وجهها جانباً ...

هذه المرة لم يحاول ان يعيد وجهها اليه

لتواجهه بل اكتفى بالتشبث بخديها بينما

يسألها بصوت أجش " اخبريني .. ماذا يحدث ؟"

يشعر بنبضات قلبها التي تضج في شرايينها

قبل ان تهمس بنبرة باردة

" لقد أتيتُ ...لزيارتك... قبل اسبوعين .. بغباء استجبت لالحاح سمارا وقررت ان .. اواجه مخاوفي وادحرها ...."

للحظة اتسعت عيناه وهو يتساءل

" ماذا ؟! لكن انا لم .."

قاطعته وهي تعيد وجهها اليه تواجهه بملامح شرسة غريبة مغتربة على محياها الناعم

" انت لم ترني ... لكن انا ..رأيتك في الممر تكلم .. ابنة اخ السيد طاهر الاحمدي .."

ارتفع حاجباه وهو يتمتم بفهم بطيء

" هاجر ..؟! "

عيناها برقتا كقطعتي جليد بينما تتهكم بتلك الشراسة الغريبة

" تناديها باسمها مجرداً ؟! "

تمتم بمزيد من الذهول " ماذا تعنين ؟! "

واصلت بنفس البريق الجليدي الحاد.. بنفس النبرة والملامح " لم أعرفها بالبداية وقد قصت شعرها قصيراً وغيرت لونه .. تقدمت نحوكما دون ان اعرف هويتها حتى تنبهت لصوتها ثم ... تنبهت لنظرتك اليها ... لم تكن أول مرة اراك تمنحها هذه النظرة ..."

كان يحرك وجهه في تساؤل وهو يستوعب الاتهامات المبطنة منها " اي نظرة ؟! "

حتى اللحظة كان مذهولا مما يحصل ..

وكمن كان رافضا ان يستوعب الحقيقة الواضحة اكثر من وضوح قرص الشمس في كبد سماء صيف حار فيردد بذهول المعرفة الاجبارية

" هل هذا ما يحدث ؟! يا الهي .. كم انا غبي .. منذ الحفل اللعين وانت بحال عجيب..."

حتى اللحظة لم يكن يتخيل انه سيعيش هذا الكابوس مرة اخرى على ارض الواقع ...

انه الكابوس الذي يتحول لحقيقة بفرقعة اصبع منها ..

شهرزاد ان اقتنعت انه قادر على خيانتها فهذه المرة ستكون النهاية ...

ناداها بضراوة مفاجئة واصابعه تنحدر لذراعيها تنغرز في لحمها في تشبث

" شهرزاد .."

هتفت به وهي تناضل لتخلص نفسها منه

" دعني ... انت تؤلمني "

كان يشعر بالجنون وهي تحاول التملص منه فينادي هاذرا " شهرزادي .. الامر ليس كما تتخيلين ... كنت اسألها عن استقرارها في المؤسسة .. مجرد مجاملة لعمها ... رجل اعتز بوجوده عندي واهتم بارضائه .."

كان يائسا ليقنعها ويقتلع فتيل شك قد يحرق حياتهما معاً ....



رفعت تلك العينين اليه فتهدر من بين شفتيها

" حذاري يا هيثم .. حذاري مما قد تقدم عليه (لارضاء) موظف مهم !"

يبتلع ريقه واصابعه تنغرز اكثر في لحمها دون ان ينتبه قائلا بهمس خشن " هل تظنيني معجب بها ولهذا وظفتها ؟"

هذه المرة اطلقت توجعها وهي تريد الخلاص من اصابعه " آآه ..اترك ذراعي .. ستترك اثارا على لحمي .."

أفلتها مبهوتاً للحظة وهو ينظر لاثار اصابعه على اعلى ذراعيها بينما يردد

" انا آسف... آسف ..."

وبدلا من ان يمنحها خصوصيتها بعيدا عن حصاره لم يشعر الا وهو يلف ذراعيه حول جسدها يجذبها لصدره من جديد يحاول الوصول لشفتيها بحاجة عارمة استثنائية ...

كانت ترفضه وهي تبعد شفتيها عن شفتيه هامسة بحدة " دعني هيثم .. دعني .."

وجهه قبالة وجهها..تحدٍ منها وتشبثٍ ضارٍ منه..

هدر فيها بلهب عينيه الزرقاوين المميزتين

" كيف استعيدك كما اشتهي حقاً ان تعودي..كيف استعيد ثقتك بي..انا اهيم بك شهرزاد ..أذللت نفسي لاجلك اكثر من

مرة وانت تعرفين كم هذا صعب بل مستحيل علي.."

ردها جاء كماء الصقيع وهي تنظر في عينيه دون تتأثر شعرة منها " هذه مشكلتك انت .. "

لا يعلم كيف استطاعت الانسلال من بين ذراعيه .. لايعلم ان كان هو من منحها الفرصة لتبتعد ام ان كبرياءه آثرت ابعادها في هذه اللحظة ...

فتحت باب السيارة لتترجل منها وهي تقول له

" سآخذ سيارة أجرة الى مكان عملي .. لقد تأخرت ... وشاهين سيقلق .."

وحالماً اغلقت خلفها الباب كان هيثم يضرب بقبضته المتشنجة على المقود وهو يقول بعنف " يوماً ما سأنسف شاهين من الوجود بسببك.."

مؤسسة الجراح

عند الظهيرة..

خلعت هاجر نظارتها السوداء اخيرا عندما اوشكت ان تدخل الحمام ..

لكنها وقبل ان تخطو داخله امتدت يد رجولية لتلتف حول ساعدها ثم تسحبها من مرفقها بعيدا عن باب الحمام وصوت منذر يأتيها مشاغباً وهو يجبرها ان تسير معه لاحدى الزوايا في الممر

" منذ الصباح تتهربين من الجميع خلف نظارتك السوداء القبيحة هذه.. اخيراً اصطدتك وانت بدونها .. تعالي واخبريني سبب ارتداؤك لها ، واياك واعادة سرد القصة المختلقة عن تحسس مفاجئ في عينيك لأني لم ولن أصدق .."

بصمت رفعت عينيها اليه فخرج صوته مذهولا من بين شفتيه وهو يحدق فيهما قائلا

" يا الهي ... هل كنت تبكين طوال الليل لتتورم اجفانك بهذه الطريقة الغريبة ؟! "

كانت عنيدة لدرجة انها لم تشح بعينيها بعيدا بل تنظر اليه تمنحه كل الوقت ليمعن النظر بتفاصيل عينيها .. تكاد تتخيل ما يراه فيهما حتى وان لم يكن يفهمه ..

عيناها غائرتان سهدا .. اجفانها منتفخة بدرجة فظيعة وكأنهما تكتنزان الدموع الحارقة لتعبر هي بصوت مبحوح متسلٍ بسخرية تفيض شجناً مؤثراً

" بل كنتُ وما زلت حتى اللحظة امنع نفسي البكاء حتى ثقلت اجفاني ..! "

ما زالت تمنحه كل الفرصة ليمعن النظر فيها ويكاد يقتله الغيظ لا نه لا يصل لما تحمله عيناها من اسرار ..

للحظة شعر وكأنها تتلاعب به .. وكأنها تتعمد اثارة كل فضوله ..

وهل يحتاج للمزيد من الفضول والاثارة
نحوها.. البارحة لم ينم وهو يفكر فيها ..

لكن الآن .. الآن وهي بهذه الحالة الغريبة
مؤكد انه لن ينام لاسابيع قادمة ..

في لحظة عجيبة التمعت نظراتها بالدموع
وهما واقفان هكذا يتطلعان لبعض فزادت
حيرته ...

بشرتها شاحبة .. لكنها حلوة ومميزة بذاك
النمش المتناثر .. كأدلة منمنمة قطعية
على ان اللون الاصلي لشعرها هو ...

الاحمر الناري..

كيف تاه عن معرفة حقيقة ذاك اللون الذي
لا يتواجد بكثرة بين فتيات البلد ...؟!

كان هائماً تماما في عالمها ..

في كبريائها وعنفوانها وعنادها ..

شجاعتها بالنظر اليه وهي بقمة المعاناة
هكذا .. قلبها المكسور .. اجل .. هذا القلب
النابض داخل صدرها مكسور .. مكسور
وشظاياه المثلمة تجرحها ..

اصابعه خانته وهي ترتفع لخدها الايمن
تلامسه هامسا بسؤال يموت ليعرف اجابته

" مم ّ تعانين يا هاجر ؟"

في نفس اللحظة التي لامست اصابعه بشرتها
كانت ردة فعلها بمنتهى العنف وهي تدفع
اصابعه بعيداً بحركة خشنة تهتف به بلهاث
عجيب " لا تلمسني .."

انطفأ كل التحام عاطفي شعره معها ليستعيد احساسه بما حوله ووجودهما في احدى ممرات المؤسسة ...

كان ذهوله من جرأته يوازي ذهوله من ردة فعلها العنيفة ...

بدا محرجا ومتضايقا في نفس الوقت بينما يتمتم معتذرا وهو يبتعد خطوة " انا آسف .. لم يكن يحق لي لمسك .. لكني كنت .."

قاطعه صوتها بنفس اللهاث العجيب

" اجل .. لا يحق لك على الاطلاق .."

ثم تحركت بخطوات شبه مترنحة من فرط الانفعال بينما تعيد نظارتها السوداء فوق عينيها ...

رمش منذر للحظة قبل ان يستعيد توازنه ..

ما الذي يقحم نفسه فيه ؟! ضعفها .. عنفوانها.. جرأتها .. انكسارها .. شقاوتها واسرارها الحزينة ..

فيها شيء يذكره بغالية وربما لهذا تجذبه ..

لا تشبهها بالشكل وهذا مؤكد ..

بل ان غالية فتاة عادية الهيئة مقارنة بجمال هاجر الملفت ..لكن الاثنتان تشتركان ببعض اللمحات الشخصية رغم الاختلافات بالجوهر ..

ربما هذه اللمحات هي ماتجذبه في النساء..

باغتته من ذاكرته طيف ابتسامة هاجر اللعوب الفطرية وتلك الغمزة من عينها كرفة جناح فراشة فينبض قلبه في صدره بصخب لا قبل له على تحمله ..

اعترف لنفسه ..مؤكد هاجر تملك اكثر بكثير مما يحركه كرجل نحوها ... بل انها تملك اكثر مما أثرت به اي امرأة اخرى ...

مساء ...

بيت حازم الطحّان (شقيق منذر الاكبر)

غرفة الجلوس

نظراته هادئة وهو يحدق في الفراغ امامه بينما اولاد اخيه حازم يلعبون حوله بضجة عالية وامهم تصرخ فيهم ليهدأوا دون فائدة ...

حازم ينادي على ناهد من الحمام يطلب منها منشفته التي نسيها وهي ترد عليه بصراخ جديد موجع للرأس !

مع هذا لم تتعكر نظرات منذر ..

فوسط كل هذا الضجيج كان هو غارق تماما في دوامة من المعلومات التي عرفها اليوم عن هاجر..

بعد حوراهما صباحا تركته هاجر في حال اقرب لمن يلف حول نفسه ..

ثم اتخذ قرارا لم يكن يريد الاقدام عليه ..

كان يريد ان يعرفها على مهل فلا يتعجل ..

هاجر الاحمدي فتاة تستحق ان يتعرفها رجل بتهمل ومن فمها هي ..

لكن هو بشر ولم يستطع منع نفسه..

فاتخذ قراره ووجد طريقاً ليسأل عنها في القناة الفضائية التي كانت تعمل بها سابقاً

ومن هناك علم ان معدة احدى البرامج (هاجر الاحمدي) كانت مخطوبة لمدير تنسيق البرامج (فرقد الشيخ) ولشهرين تقريباً..

وحالما فتح اول باب للمعرفة وكأنما فتح باباً لجوعه من الفضول البشري ليعرف اكثر

واكثر عنها ... فقد ثباته واخذ يفتح كل الابواب التي يصل اليها .. يمينا وشمالا ...

فقط ليعرف ... تاريخ هاجر الاحمدي ..

ويبدو ان تاريخها كان مثيرا جدا لمحبي الثرثرة والنميمة فتناقلوا الاخبار عنها ..

علم ان خطيبها السابق كان يلاحقها باهتمامه منذ اكثر من عام وهي تصده برفض طلبه واهتمامه ..

ثم تفاجأ الجميع في القناة بخبر خطبتهما المفاجئ ودون اي مقدمات ..!؟

صديق قديم له يعمل بتلك القناة اخبره امورا اخرى .. اخبره عن تصرفات فرقد الشيخ الغريبة معها بعد الخطبة..



غيرة وتملك منفرين خاصة عندما تجتمع هذه الغيرة المبالغ فيها مع نوع من عدم احترامها امام موظفي القناة ..

كان يعاملها باسلوب مجحف لقدرها ولا احد يفهم السبب .. ليأتي خبر انفصالها بوقع مربك للجميع ... ثم استقالة هاجر في نفس اليوم الذي استقال فيه فرقد ...

هي هجرت القناة الى مؤسسة الجراح ..

وهو هجر القناة لقناة اخرى اخبارية واصبح مراسلا صحفياً ميدانياً للقناة في تركيا ..

الاشاعات تعاقبت عن سبب هذا الانفصال لكن الترشيح الاقوى كان بسبب تعامله الخانق غير الطبيعي معها ...

دون ان يشعر عقد منذر حاجبيه وهو يتساءل بصوت هامس " ترا ماذا فعل بك حقا يا هاجر؟! امرأة مثلك قوية صلبة لماذا صمتت عن تعامله معها بهذا الشكل حتى آذاها في العمق بهذه البشاعة ؟!"

ورغم كل تساؤلاته وافكاره في داخله يضيء احساس مزعج .. خلطة من .. خيبة .. ضيق .. و ... رفض !

لايستطيع منع هذا الاحساس ..

وهو يعرف مصدره .. لم يكن يريد ان تكون هاجر مرتبطة برجل قبله ...

يا الهي .. بماذا يفكر ؟!

انه يخطو خطوات سريعة نحوها ..

فيها شيء يخطف رجولته ..

فيها شيء يشده اليها بطريقة مبهمة ...

فيها شيء ... يتسلل اليه وينتشر ...

يتنشر في خلاياه فتهتف تلك الخلايا طلباً للمزيد..

" منذر ! اين تسرح بخيالك هكذا ؟ اناديك فلا ترد ؟!"

يرفع منذر نظراته لاخيه الاكبر فيراه بملابس البيت وما زال يجفف شعره الرطب بالمنشفة فيرد عليه منذر بالقول الشارد

" اسف اخي .. كنت ساهماً افكر ببعض الامور .. في العمل "

رمى حازم المنشفة على الكرسي القريب ليجلس جوار اخيه على الاريكة بينما يتحلق حوله ولداه التوأم يزعجانه وهما يتسلقان فوق ظهره فيبعدهما بتلقائية من تعود على فعلها بينما يقول لاخيه بنبرة خافته

" تعال لنذهب لغرفة الضيوف .. اظنك تحتاج لمزيد من الكلام .."

سار الاخوان ناحية غير الضيوف وعندما وصلا الباب فتحه حازم ليسأل منذر فجأة

" ما اخبار غالية ورافد .."

ألتفت اليه حازم وهو يمد يده عبر الباب ليشعل إنارة الغرفة قائلا " غالية حامل ..."

شردت نظرات منذر فعبس حازم وهو يسأله ببعض القلق " ماذا بك يا منذر ؟! لاتقل لي انك تفكر بغالية حتى اللحظة .."

فرد منذر وعيناه الرماديتان تتألقان بوهج جديد " لا .. انا لا افكر بغالية .. فليسعدها اللّه مع زوجها .."

سحبه حازم من ذراعه ليدخله غرفة الضيوف ويغلق خلفهما الباب ثم يسأله وهو يقوده لاحدى الارائك " اذن ..؟! ماذا هناك ؟"

جلسا جوار بعض بينما يتنهد منذر وقد بدا حائرا تماما فيتبسم حازم يسأل بخبث

" ام ربما يجب ان اسأل .. ما اسمها ؟"

تراجع منذر بظهره للخلف فيتنهد بحيرة اكبر وهو يرفع يده ليمسد جبينه ويهمس باسمها " هاجر ..."

الجمرة الثالثة

شقة هاجر

رأسها سينفجر .. صداع رهيب لا يحتمل ..

نظرت لنفسها في مرآة صيدلية الحمام فهالها منظر عينيها وقد انتفخت اجفانها اكثر مع بعض الاحمرار يلونها .. اخذت تتمتم بانفعال لاهث

" الوضع سيء ..سيء ..."

فتحت باب الصيدلية لتبحث عن احدى المهدئات التي استخدمتها في الفترة العصيبة لكنها لم تجد شيئا ..

لا بد ان عمها طاهر حرص على رميها في اخر زيارة له في شقتها قبل اسبوعين ..

تنهدت وهي تكتفي بأخذ حبتين من مسكن قوي قبل ان تغلق باب الصيدلية ثم تحركت لتترك الحمام متجهة للمطبخ عبر غرفة الجلوس تجر خطواتها جراً .. نظرت للحبتين في يدها وهي تتأمل ان تخفف من وجع الرأس واحساسها بالضياع والتشتت و ... الوحدة ...

قبل ان تصل المطبخ تسمرت قدماها مع كل افكارها وهي تمر في طريقها بالمرآة الكبيرة في غرفة الجلوس ... بقوة انفعالية هجومية مباغتة بزغت من اعماقها لا قبل لها على صدها ومقاومتها يستدير جسدها وتجد نفسها مجبرة لتقف قبالة تلك المرآة تحدق فيها...

في لمح البصر تلاشت كل المشاهد المخزية التي كانت تجيد الهروب منها طيلة الاشهر الماضية ولم يتبق الا مشهد واحد ... صريح..

مشهد الختام ....

اجل ... امام هذه المرآة ... كان مشهد الختام مع فرقد .. هو الاقسى بين مشاهد حياتها ...

حين نفضها من حياته وكأنها ذرة غبار علقت بياقة قميصه ..!

لا شعورياً اطبقت جفنيها بشدة ثم سقطت حبتيّ الدواء من يدها عندما حركت كفيها لترفعها عاليا حتى اذنيها تغلقهما براحتيها كما اغلقت عينيها عسى ان لا ترى ولا تسمع..

لكن هيهات .. هيهات ان لا تفعل ..

غبية ! ... وهل يكفي ان تغلق العينين والاذنين؟!

من قال ان الحواس الخمس هي الاهم لنشعر ؟!

انه العقل فقط من يسيطر على كل شيء .. العقل المجنون الذي حين يفلت من عقال سيطرتنا وارادتنا فأنه يتفنن بتعذيبنا فيهمس لنا بحوارات ويُرينا المزيد من الصور التي نمقتها ونرفضها ... ويجعلنا نشعر تفاصيلها بحواس اخرى .. حواس سريّة ... قد تقتل صاحبها بما تستشعره ..

تختنق انفاسها والحوار الاخير بينها وبين فرقد يمتزج بتلك الصور اللعينة لتعبر عتبة الجحيم والمرآة ... تشهد ...!



هي بشعرها الاحمر الطويل محيطاً وجهها بفوضوية فيعطي ملامحها مزيدا من التيه الذي كانت تشعره في تلك الفترة العصيبة ..

تقف جوار فرقد الذي يتطلع للمرآة باهتمام متجاهلا وقوفها قربه ...

صوتها بدا غريبا حتى لادراكها المخدر بينما تفوح منه رائحة التوسل .. التوسل ان يمنحها الاهتمام ...

تسأله بوجيعة وصوت مهتز " ماذا يحدث يا فرقد ..؟ انت منذ ايام تكلمني .. باقتضاب بارد .. حتى انك .."

قاطعها بنظرة مائلة حادة من عينيه وابتسامة كريهة تملأ محياه بينما يتمم جملتها باستهانة " لم اعاشرك ؟! "

جحظت عيناها بصدمة وكأنه صفعها على وجهها دون اي مقدمات !

شعلة من كرامة ذابلة تأججت داخلها فترد عليه بصلف " لا تكن سافلا ..."

عفوياً تراجعت للخلف خطوة عندما قدحت عيناه بغضب مخيف .. تخيلت للحظة انه سيصفعها فعليا هذه المرة ..

لكنه اكتفى بالقول الساخر وهو يخمد شعلة نظراته " في ظروف اخرى كنت سأجعلك تدفعين ثمن كلمة (سافل) هذه .."



عندها شعرت بالانهاك ! انهاك مباغت

كانت تتجاهله لاسابيع حتى لم تعد تستطيع

فهاجمها تلك اللحظة العصيبة معه ..

همست بكآبة ومزيد من التيه الاحمق

" انا تعبت .. تعبت .. لم أعد افهمك .."

صوته جاء مبهماً .. مبهماً جدا ...

يواجهها بما أبت ان تواجه به نفسها في

علاقتها الغريبة معه ..

قال " انت لم تعودي تفهمين ما تريدينه مني ..

تحتاجين كمدمنة ما امنحك اياه وتظنين

انه الحب لكنك في ذات الوقت تنفرين منه

وترفضينه .."

كانت تتعذب وتحترق ولا تفهم نفسها لكن

لم تستطع الا الدفاع بالنكران

" انا .. لا انفر .. فقط اشعر ..."

قاطعها وهي تكاد تسمع صوت اصطكاك

اسنانه قبل ان يتمم لها كلامها مرة اخرى

بخشونة قاسية ساخرة جارحة حتى عمق

العمق

" بالخزي لانك تسلمين جسدك لي .. نعم

اعلم شعورك هذا .. وكان يسليني كثيرا

وانا اجردك منه في لحظاتنا الجامحة التي

شهدتها كل بقعة من شقتك هذه .. "

كانت تقاوم بجنون ان تصرخ فيه باكية ..

ولا تعلم كيف روضها لتعطيه تلك الهيبة ..

لقد كانت تخافه .. حقاً تخافه ...

همست بتقطع كأنها تئن الكلمات

" لماذا انت قاس ...معي ..هكذا ؟ لماذا تعاملني ...بهذه... الطريقة ؟ قبل ان نرتبط .. كنت تبدو .. مختلفا في تعاملك معي .. ماذا حصل لتتغير هكذا .. بعد ... ان وافقت وتزوجنا .. "

عندها بدا لها في اغرب حالة رأته فيها ..

احساس دفين غامض يطل من عينيه وهو يحدق فيها.. فراغ بارد يضج منه وينعكس في روحها هي ...

قال بنبرة عجيبة جعلتها تقشعر

" لا اعلم ايهما أشد .. غباؤك ام انانيتك .."

كتفت ذراعيها حول جسدها وكأنها تشعر بالبرد حقا بينما تهمس بضياع " فرقد انا لم أعد احتمل هذا الوضع .. نحن زوجان وعلينا ان نجد طريقة للتفاهم ..."

رد بنفس النبرة " لسنا كذلك واقعا .. ولا اظن سنكون يوماً .."

انها تشعر بذاك المجهول المهول القادم نحوها ولا تستطيع ردع اقترابه ...

همست باختناق " ماذا تقصد ...؟"

للحظات طويلة كانت يحدق فيها بصمت ..

للحظات طويلة تمهل كثيرا بالنظر اليها نظرات لاحياة فيها ..



فقط تمعن فج في شفتيها.. في لفائف شعرها الاحمر .. في معالم انوثتها بينما قلبها يقرع كطبول الموت !

قال اخيرا بابتسامة كرهتها بكل ذرة من كيانها " هذه الشراكة التي جمعتنا لشهرين أثبتت لي انك لا تصلحين لتكملي معي.."

كانت مصعوقة وهي تحدق بتلك الابتسامة التي كرهتها كل حواسها بينما يضيف فرقد " لذلك اوقن ان افتراقنا الآن فيه مصلحة للطرفين .."

السؤال خرج على شفتيها دون ادراك منها

" مـ..ـماذا... تـ..ـقول ..؟!"

فقط تشعر ان الحياة تنسحب منها ببطء بينما قرع الطبول يرتفع ...

نبرته هذه المرة كانت مظلمة غاضبة كقذائف نار تطايرت من بركان ...

" من يرى ملامح تحطمك هذه يظن للحظة مخادعة ان قلبك من تحطم .."

اخذت تردد وركبتاها ترتعشان ضعفاً

" انا .. لا افهم .. لا افهم .."

اسبل اهدابه في لحظة صمت ... ثم قال وهو يتحرك ناحية باب الشقة

" مؤكد لم تفهمي ... ولن تفهمي ... ولاجل ذلك اقول لك اننا انتهينا .."



تقدمت نصف خطوة عرجاء خلفه فلم تسعفها ركبتاها لتنطوي ساقاها وينهار جسدها للارض فوق السجادة الصغيرة امام المرآة بينما تناديه بجزع " توقف فرقد .. توقف .. لا يمكنك تركي هكذا .. لايمكنك فعل هذا بي بعد كل ما جرى بيننا .."

" لاااااااااااااااااااااااااا"

صرخة مدوية شقّت حنجرة هاجر اوقفت فيها عنوة سيل الاذلال الذي عاشته ذاك اليوم الذي لا يُنتسى ... لكن هل تستطيع ايقاف نزيف الألم ؟!

انهارت على نفس السجادة الصغيرة تضربها بعنف بكلتيّ كفيها وهي تشهق بصرخات جريحة مكتومة ثم توقفت عن الضرب لتقبض على بعض الخيوط الصوفية الكثيفة تمزقها باصابعها الهائجة وقد اهتاجت كل انواع المشاعر داخلها بينما الدموع قد تحررت اخيراً تمزق جفنيها تمزيقاً كالخناجر ...

على بعد الآف الاميال .. شوارع اسطنبول ..

نفس الذكرى تشتعل في كل كيانه ......!

وكان أجيج النيران طاله من الوطن ....

ذاك التوسل الذي توسلته وهو يغادرها ... يهجرها ... فتتجرع كأس الهوان الاخير ...

" توقف فرقد .. توقف .. لا يمكنك تركي هكذا .. لايمكنك فعل هذا بي بعد كل ما جرى بيننا .."

التفت اليها .. نظر لانهيارها على السجادة الدائرية المفروشة باناقة امام المرآة الكبيرة .. كل شيء فيها كان منهارا ..

بدت كـ.. لوحة ! لوحة من لحم ودم .. انثى في رمق كينونتها الاخير ...

كم يود ان يذبحها !

كم يود لو كان يحمل في تلك اللحظة سكين والده المتوارث من اجداده ليذبحها ها هنا على هذه السجادة ..

ربما عندها سيذبح لعنتها ويريق دماء شعوذتها..

لكن كل ما فعله ان أكمل (الدور) لآخره فقال بنبرة مهينة تفيض بالحقارة

" لا تقلقي .. سأذكر في ورقة الطلاق اني .. اخذت حقوقي كاملا .."

اصابعها تتقلص فوق السجادة وهي تهمس كمن اصابها مس من الجنون

" طـ...طـ...ـلاق ؟!"

هذه المرة عرف انه لن يحتاج لسكين والده ..

علم ما سيذبحها حقاً ففعلها دون تراجع

" انت طالق يا هاجر..."



نظر اليها طويلا يراقب وجهها بتشفٍ ظاهري مقصود وقد انسحبت كل اثار الحياة من ذاك الوجه الذي خلع قلبه مذ أبصره...

بعد ان اكتفى النظر استدار ليفتح الباب بنفس البرود والهدوء ... فقط.... قطرة عرق ساخنة سالت على صدغه لتنحدر على طول خده ثم عنقه لتصل صدره فوق مكان قلبه فيستعر الحريق فيه ...

يسير فرقد في شوارع اسطنبول تعاوده تلك الذكرى عن (قطرة عرق) .. مجرد قطرة فضحت قلبه المذبوح معها ... لا ليس معها .. بل بسببها !

لقد ادى دوره ببراعة .. وغادر حياتها بعد ان تركها محطمة ... لكن الحطام طاله قبلها..

لذلك تركها باكرا عما كان ينتويه ... ليحفظ ما بقي منه سليماً ..

هذا ان كان هو رجلاً (سليماً) من الاساس !

وهل يهم الآن ان يحلل نفسه ؟!

ما يهم انه في حينها لم يعد يحتمل (ان يمتصها) اكثر ..

لم يعد يحتمل حقيقة (انها غدرت بكرامته ورجولته).. اكثر..

لم يعد يحتمل ان .. يكون معها بهذه المشاعر المسمومة ...

عبر الشارع متجنباً مرور احدى الترامات السريعة بينما يشعر باغتراب ينهشه ..

جلس على احد المصاطب وكلب شارد يقترب منه يتوسل اهتمامه ..

يمد يده يداعب رأس الكلب وهو يقول

" صدقني انا لا اصلح لأمنحك عاطفة ..! انا مجرد حقود مجنون .."

وكأن الكلب ادرك بالغريزة حقيقة الوصف فتركه ومضى يائسا ان ينال منه اهتماما يترجاه من المارة ...

بملامح متصلبة كان فرقد يحدق امامه فتغيب عنه اصوات المارة والسيارات والترامات وزحمة البشر في مدينة حيوية كاسطنبول...

لايعلم ما الذي ذكّره في هذه اللحظات من الوحدة بخاله علوان رحمه اللّه .. لقد مضت ثلاث سنوات على وفاته ...

ذاك الرجل العاطفي الودود الذي ذهب فرقد للعيش معه في العاصمة وهو بسن الثامنة عشرة .. حيث اكمل دراسته الجامعية ثم التحق للعمل في القناة الفضائية كصحفي مبتدئ بترشيح من خاله ، وخلال تلك الاعوام التي عاشها فرقد بصحبته شهد كيف واجه خاله خسارة حبيبته شيماء مرتين .. مرة حين تزوجت بغيره ومرة حين فارقت الدنيا بأكملها وهي تنجب طفلها الثاني...

فعاش خاله علوان معذباً طوال ما تبقى من حياته يغرق بشرب الخمر ومعاشرة نساء الليل حتى مات وهو لم يعانق الخمسين ...

حبيبته شيماء كانت صادقة .. اخبرت خاله صراحة انها لا تحبه وتعتبره بمنزلة أخ عزيز لذلك لن تستطيع الزواج به...

ورغم ظروفها الصعبة وعيشها كيتيمة الابوين في بيت اقاربها الا انها لم تستغل خاله وقد كان بوسعها اللجوء للزواج منه ...

كز فرقد على اسنانه وهو يفكر ..

خاله كان حاله افضل منه ..!

لان من احبها لم تخدعه وتهينه ..

لم تستغفله بانانية ... وتستهين بجرح كرامته ... وقلبه ...

لم تطعن رجولته وكأنه مجرد فتات وجدته مرمياً في طريقها فتقرر التقاطه ونفسها تعافه لكنها كانت مضطرة لتسد رمق جوع انوثتها بأي شيء ...

تقبضت يدا فرقد وهو يفكر بالفرق الشاسع بين هاجر وشيماء ...

فشيماء كانت امرأة عفيفة النفس واستحقت عشق خاله لها ...

هذا النوع من النساء هو من يستحق الموت للحصول عليه .. والموت لفقدانه ...

وقد مات خاله ... لفقدانها ...

ما زال فرقد يذكر ذاك اليوم المؤلم الذي فارق فيه خاله الحياة في المستشفى ..

كان وحيداً معه في غرفة المستشفى البيضاء وذاك الهدوء البارد الذي يعم المكان الا من أنين الموجوعين وهمسات الممرضات لهم...

في ذاك الجو الحزين كان فرقد شاهدا على دموع خاله وهو يدعو اللّه بلوعة ان يغفر له خطاياه ويجمعه بمحبوبته ...

ثم لفظ اسمها (شيماء) مع لفظ آخر انفاسه ...

وكأنه كُتب على فرقد ان يكون شاهد العيان الوحيد لحياة خاله التعيسة حتى نهايتها ... لسنوات رآى عذاب خاله بينما الكل يبتعدون عنه ينفرون مم آل اليه وينعتونه بالضعف وهم ينظرون اليه بدونية...

رجال العشيرة لم يرحموا خاله من السخرية والاستهزاء والتندر بالكلام عنه ...

حتى ان مجلس العزاء له كان باهتاً ولم يحضره الا القليل ..

لقد ظلموه حيّاً وميتاً ...

واول هؤلاء الظالمين كان... شيخ العشيرة ..

عبد الجبار الشيخ .. والد فرقد ..وابن عم علوان في ذات الوقت وليس فقط نسيبه...

غامت عينا فرقد بشوق جارف لوالده ..

والده غاضب منه وهو لا يستطيع ان يلومه !

فهو لم يكلمه منذ ... اقترن بهاجر ....

اخذ فرقد نفساً عميقاً واطلقه ببطء قبل ان يتخذ قرارا فجائيا ليُخرج هاتفه من جيبه ويضغط على الازرار المناسبة فيتصل ...

لم يعد يحتمل أكثر .. يحتاج سماع صوته..

جاءه الصوت الرجولي المهيب في القلوب بسؤال مباشر قاطع تعبر عن طبيعة شخصه المباشرة التي لا تعرف الترقق او اللوع والمداهنة " من معي ؟"

للحظات لم يستطع فرقد الرد !

ينعقد لسانه فيبذل المستحيل ليتغلب على حالته تلك وينجح الى حد بعيد وهو ينطق

" انا فرقد يا ابي .."

هذه المرة والده من صمت للحظات قبل ان يرد بنبرة ساخرة " عجبا عجبا .. لم اعرف صوت ولدي الاصغر ! "

رفع فرقد يده الحرة ليمررها فوق رأسه الحليق وهو يقول بضيق " ابي ارجوك .. انا اتصل بك لأطمئن عليك .."

ما زالت سخرية ابيه تطاله وهو يرد عليه

" هنيئا لي بابني الذي تذكرني للتو بعد قطيعة أشهر .. وهل تسأل عن اخوتك واخواتك ام ربما نالتهم قطيعتك ايضا ؟"

انتاب فرقد توتر تلقائي وهو يتشنج قائلا

" انت تعرف اني افعل .. مؤكد امي تخبرك اني اتصل كلما .. سمح لي الوقت.."

صوت والده دوما يثير فيه موجات غريبة من الشعور انه مجرد (ولد صغير) بينما يواصل ابيه تعنيفه باسلوبه الساخر

" محظوظون نحن بوقتك الثمين الذي تخصصه لنا ! وما اخر اخبارك ؟ وهل تزوجت؟ انجبت ؟"

التوتر في ارتفاع وهو يهمس بخشونة

" ابي ... ارجوك .. اتصلت بك لاني .. اشتقت لصوتك .. لا تعرف كم اشتقت اليك .."

ضعف .. نقطة ضعف من رجل مهيب وشيخ عشيرة ترتجف شوارب لرجال غلاظ امامه ..

ضعف امام هذا الولد الذي انجبه بعد مشيب وتعلق به بشكل خاص ...

تمتم عبد الجبار الشيخ لولده بأسف واضح

" لم أكن اظن ان دلالي لك لانك الاصغر وارسالي لك لعلوان في العاصمة حتى تكمل دراستك الجامعية دوناً عن باقي اخوتك سيجعلك تتنكر لاهلك هكذا.. "

ثم اضاف الاب بحنق واضح وقسوة بالغة

" كله بسبب خالك الضعيف الرجولة.. لو كنا نعرف ان امرأة ستفعل به كل هذا لما ارسلتك اليه ..."

لم يحتمل فرقد ليدافع عن خاله قائلا

" ارجوك ابي لا تنعته بالضعف .."

فيهدر والده قائلا بقساوة مفرطة



" اليس ضعيفا ليقع منهارا تحت طائلة المعاصي .. شرب خمر ونساء سافلات .. فقط لان المرأة التي ارادها فضلت عليه رجلاً اخر .."

كانت انفاس فرقد تضج في صدره بينما يتابع والده اسلوبه القاسي " والانكى انه انهار لانها ماتت وهي تنجب طفلها من رجل اخر ..!! اقسم باللّه نساؤنا هنا في الحقول اكثر رجولة بصلابتهن منه.."

وقف فرقد على قدميه وهو يشعر بالاختناق التام بينما يقول بحشرجة

" ابي الامر ليس هكذا .. لقد كان عاطفياً رقيق القلب لكنه لم يكن ابداً ضعيفاً .."

استهزأ به والده وهو يقول

" مؤكد تدافع عنه .. اليس هو من علمك شرب الخمر .. ومعاشرة النساء ..! لتصبح عبدا للمعاصي والضلالة مثله .."

اخذ فرقد يرفس الارض الاسفلتية تحته وهو يوشك ان يفقد اعصابه مع ابيه بينما يدافع عن نفسه هذه المرة وهو يقول باهتياج

" انا تركت كل هذا ابي ... تركتها منذ اشهر طويلة وقد اخبرتك مرارا بهذا ... هل تريدني ان احلف على المصحف لتصدقني؟!"

فما كان من والده الا ان وبخه باسلوب مختلف

" هل تعلم ان الشيخ عمران الاسدي أمر ولده عبد الهادي بالزواج من ابنة عمه التي عاشت في العاصمة اكثر سني حياتها ففعل دون ان



ينبس ببنت شفة .. هذا هو نعم الابن وهي نعم البنت التي لم تتعالَ على اصلها وعادات عشيرتها .."

غيظ رهيب تملك فرقد من ابيه لان كلاهما يعرفان ان زواج عبد الهادي من رغد لاكته الالسن كثيرا في الخفاء ....

قال فرقد وهو يكز على اسنانه " لن اناقشك في زواج عبد الهادي من رغد ولكنك رجل ذكي وتعلم ان الامر تم لاسباب خفية مريبة... لكني سأفترض ان الامر كما تحاول ان تصفه فهل كان سيرضيك ان اتزوج احدى بنات الاعمام من بلدتنا ؟! هل هذا سيجعلني ابنا بارا بنظرك ؟! "

هدر والده بكم كبير من الغضب الذي يختزنه " اليس افضل من الزواج من بنت نكرة لا نعرف لها اصلا ولا فصلا ؟! كل ما عرفناه اسمها هاجر... ونعم الاصل من اسمها المجرد !! لكننا لم نرها حتى ولا نعرف من اي داهية اخترتها .. اي فتاة واي اهل لها يرتضون تزويج ابنتهم لرجل لم يلتقوا بأهله قط !"

كان فرقد للحظة سيندفع في حماقة الدفاع عنها عندما جاء صوت والده فيه لمحة انكسار مزقته " هل هكذا تجازي اهلك وعشيرتك يا فرقد ؟! تنكرهم هكذا وتنكر مقام والدك وتصغره امام الجميع ؟! "

اخذ فرقد يشتعل بنيران لا ترحم ...

هذه ضريبة اخرى يدفعها غاليا بسببها ...

كان يحلم بالامر بشكل مختلف معها ..

اللعنة عليك يا هاجر .. اللعنة على اليوم الاسود الذي رأيتك فيه تدخلين القناة الفضائية اللعينة ...

اللعنة عليّ لاني ضعفت امامك وفعلت الكثير لاقربك لي ولم ايأس منكِ قط حتى استهنتِ بي هكذا ...

هدر فرقد بقساوة ضارية " ابي انا لن اتزوج وتزف اليّ عروسي الا في بيتك وسط البلدة وبحضور كل اهلي وعشيرتي .."

استعاد الاب رباطة جأشه وهو يسأل ولده مداريا على شوق اكبر لفلذة كبده

" متى سترجع لترى امك و اخوتك ؟"

رد فرقد وهو يطلق تنهيدة عميقة ويعاود الجلوس على المصطبة

" لا اعلم ابي .. حقا لا اعلم "

ليأتيه الآن صوت ابيه غريبا .. غريبا جدا وهو يسأل " لماذا انفصلتَ عنها ؟"

كانت نبرة فرقد قاتلة وهو يرد بخفوت

" لانها .. لم تستحق فرقد ابن عبد الجبار الشيخ ..."

ها هي نقطة ضعف الاب تطل برأسها من جديد ويستشعر بألم غير عادي يأتيه من ولده ..

ثارت ابوته ومفخرته ليقول بوعد



" ارجع لبلدتك وسأزوجك من تستحقك حقاً.. بناتنا عفة وطهارة واصل ... سأقيم لك عرسا لسبعة ايام بلياليهم .. كما فعلت مع اخوتك من قبلك .."

برود ثلجي زحف على اوردة فرقد فتجمدت الدماء فيها ليقول لابيه بانسحاب عاطفي كامل " سآتي بأقرب وقت لزيارتكم .."

والده اخذه طبعه الحاد ولم يفطن لسبب ذاك البرود فيهدر فيه بغضب شديد

" زيارة ؟! احتفظ بزياراتك لنفسك .."

ثم اغلق الخط في وجه ولده دون ان ينتظر منه ردا او تفسيراً...

تهدلت يد فرقد التي تمسك الهاتف لحجره بينما يحدق في الفراغ امامه لا يشعر بالناس من حوله ... كل هذا البلد الحيوي باهله اصبح فجأة خامدا لا تستشعره حواس فرقد ..

ارتعادة خضته خضاً وهو يتذكر ليلة زفافه (غير المعلنة) على هاجر ...

لم يكن .. ينوي ان يفعلها منذ اليوم الاول ..

يعترف بهذا .. فقد كان يخطط ان تمر ايام بعد عقد القران قبل ان يقربها ..

كان يخطط ان يعذبها ويلوعها لايام قبل ان يملكها ويحتلها بالكامل ..

لكن .. ما ان اغلقت باب الشقة في وجهه حتى فقد السيطرة ...



كان سيحطم الباب اذا لم تفتحه له ..

لكنها .. فتحته ...

اجرمت فيه اجراما وهي تطل عليه بملامحها الخائفة... المتضورة جوعاً للحب ...

عقله غرق في النيران ونسي كل شيء ..

نسي حتى انه لم يحتاط لمنع الحمل ..

لقد نسي انه اصلا في هذه الدنيا ...

بعدها ظل يلوم نفسه طوال الليل لغبائه وتهوره وفقدانه للسيطرة ... كانت ستكون غلطة كبيرة لو حملت منه ..فعوض عنها بالحذر الشديد في المرات التي تلتها ..

لكن.. تبقى المرة الاولى محفورة حفراً في وجدانه ... يذكرها بكل التفاصيل الصغيرة...

يذكر نشيج وشهقات بكائها الناعم وتوسلات انفاسها ان ... يحبها ! فقط ارادته ان يمنحها الحب ولا تعرف كيف .. تشكوه حاجتها القاتلة دون ان تعبر بكلمات..

بينما عفتها وبراءتها ومفاهيم تربت عليها بخطأ ما يحدث بينهما هي من جعلت لسانها يواصل النطق بكلمة (لا) ... حتى اخر لحظة ظلت تنطقها .. بل حتى بعد ان امتلكها فعلياً كان لسانها يهمس (لا) ...



هل ينكر ان اصوله الريفية الفخورة صدمته وفاجأته وهي تشق (صدر انتقامه) شقاً لتجاهر دماؤه بفخر امتلاكها...

انه .. رجلها الاول ... هو الاول .....

أجفل فرقد من جموح مشاعره المشتعلة على صوت انثى تلقي التحية فتسحبه من تلك الذكرى العنيفة التي توحشت لاجلها انفاسه.... " مرحباً.."

للحظة لم يستوعب من هي وقد جلست بأريحية جواره على المصطبة وكأنها تعرفه..

كان عقله مشوشا وانفاسه الثائرة تهدأ ببطء بينما تتكلم هي بابتسامة " انا اسمي هوليا.."

حدقت في عينيه .. ترمقه بنظراتها الزرقاء فتستعيد ذاكرته تدريجياً تلك المعرفة الخاطفة بها وقبل ان يسيطر على انفاسه اكثر قالت هي بشقاوة وهي تشير ناحيته بسبابتها " وانت ... بولاريس ..."

اخذ نفساً عميقاً فعادت ضجة المارة من حوله ليستعيد احساسه الكامل بالمكان والناس ...

تساءل بفظاظة وملل " بولاريس ؟!"

لم تيأس الفتاة وهي تقول بضحكة صغيرة رنانة " اسمك بالعربية فرقد .. ومعناه النجم القطبي الذي يُهتدى به .. اليس كذلك ؟"

يُدخل هاتفه في جيبه بينما يستعد للنهوض كي يغادر وهو يقول بنفس الفظاظة

" لم اسأل عن معناه يوما .."

وقف على قدميه لكنها بجرأة امسكت كفه تتشبث به وهي ترفع عينيها الزرقاوين نحوه قائلة بنعومة

" في مسلسل كوري كان البطل يُعلم البطلة كيف تهتدي لطريقها اذا تاهت وان تنظر للسماء بحثا عن النجم القطبي (بولاريس) ..."

رد باستهزاء وقح

" يبدو انكِ شربتِ كثيرا الليلة .."

حاول الابتعاد وافلات يده لكنها ما زالت تتشبث لتقف على قدميها هي الاخرى وتواجهه بالقول الصريح

" انس لقاءنا الاول وسخافاتي ليلتها .. كنت امثل دور (المحنكة) في تحد لصديقاتي .. الفتيات اعجبن بك في الملهى وسألن عنك .. كنت الوحيد الذي لا يشرب ولا تشارك بالرقص والمرح .. فتحدينني ان استطعت اغواءك .."

سأل بتضجر " واي دور تلعبين الآن ؟ "

ابتلعت ريقها بينما ترد عليه بحلاوة رقيقة

" اسمي هوليا .. ببساطة هكذا اود التعرف عليك من جديد وباسلوب صحيح .. انا طالبة في سنتي الاخيرة في الجامعة ... وانت .. مراسل صحفي لقناة (..) الاخبارية صح ؟ "

هذه المرة كانت فظاظته شديدة وهو ينفض تشبثها عنه ليقول بازدراء

" اسمعي يا ... هوليا... انا ليس لدي وقت لالاعيب الفتيات ... فقد تجاوزت هذا العمر .. ابحثي عن تحديات تناسب عمرك .."

ثم طابق اصبعيه (الوسطة والسبابة) ليرفعهما لجبينه في تحية مشابهة لتحية الكشافة اداها لها وهو يقول باختصار

" سلام ..."

ثم استدار متجاهلا اياها تماما لكن تمتماتها العنيدة وصلت مسامعه وهي تهمس

" بل ... الى اللقاء بولاريس .."

الوطن ... بعد منتصف الليل ..

بيت هيثم الجراح

كانت تختنق في حلم تريد الخروج منه ولا تستطيع ... جدران وجدران ...

جدران كرهتها دوماً ... انها جدران مؤسسة الجراح الباردة وقد حاوطتها من كل جانب ...

وجوه مألوفة للعاملين هناك تقابلها وهي تسير كالمخدرة ترتطم بجدار تلو الآخر ..

عيونهم تنظر اليها باشفاق .. اشفاق مؤلم ..

لكنها تواصل المسير ..

رغما عنها تواصل ....

حتى وصلت للباب ...

تنشطر روحها لنصفين ... نص خالي البال

يبتسم بمرح وثقة والنصف الاخر يتمزق من

الوجع القادم فيتشبث بالنصف الاول يمنعه

الوصول لذاك الباب دون ان ينجح ..

انه .. باب مكتب هيثم ....

يا الهي .. حالما انفتح الباب امام ناظريها

اندفع جسدها بقوة مهولة واتسعت عيناها

كمجنونة ..

النصفين المنشطرين من روحها التحما بوجع

رهيب واحد ... كالتحام الجسدين اللذين

تراهما الآن امام عينيها ...

جسدا ... هيثم و ... نورا ...

انطلقت اصوات .. اهمها صوت هيثم يناديها

وهو يبتعد بجسده عن جسد نورا ...

اما نورا .. فكانت .... تزرر فستانها وهي تنظر

اليها بتشف !

زر بعد زر ... طعنة بعد طعنة ..

موت بعد موت...

كانت شهرزاد عاجزة الآن عن التنفس تماما

لتجحظ عيناها التي تعلقتا بشعر نورا

الكستنائي المجعد فيتحول بعصا سحرية الى

حريري بلون احمر كنار الاغواء ...

تريد الصراخ .. ولا تطاوعها حنجرتها ..

تتخبط بعنف هستيري وذراعي هيثم

تحاوطانها وهو يتوسلها ان تهدأ ..

يا الهي ما هذا الألم المستحيل...

آخر ما رأته كان وجه نورا وهو يأخذ ملامح هاجر الاحمدي ... عندها .. عمّ ظلام دامس لم يخرجها منه الا فراشات ألم على خديها

لتفتح شهرزاد عينيها للنور الخافت ووجه هيثم الممتقع يعلو وجهها ...

اخذت بضع لحظات لتستوعب اين هي ونبض قلبها المتوجع المتسارع يطن في اذنيها ..

شعرت بيد هيثم الباردة يمررها برقة على جبينها وهو يقول بنبرة قلق مرتعشة

" كنت سأجن لاوقظك وانت لا تستجيبين .. لقد صفعتك اكثر من مرة وانت لاتخرجين من الكابوس .. يا الهي ... العرق ما زال يتصبب منك وبشرتك ساخنة كأنك محمومة .."

نظرت اليه ... لعمق عينيه ...

سؤال ضج في جوانحها ...

سؤال تمتلأ به رئتاها مع انفاسها ...

ما زال العرق الساخن يتصبب منها وهي ترتعش بالسؤال " كيف كنت تشعر وانت تعاشرنا سوية ؟ هل كان.. الامر ممتعاً.... لك ؟ "

تجمدت يد هيثم بينما يهمس " ماذا ؟!"

الجروح تعاود النزيف وهي تتذكر تلك الفترة المقيتة الزوجية فيرتفع صوتها وكأنها تريد الصراخ بعجز



" تعاشرني اولا ببرود ثم تذهب اليها ثانيا
اليس كذلك ؟ كنت اشعرك متلهف لتنهي
الامر معي ... لكني اظنك مع نورا كنت في
اوج متعتك الجسدية فتأخذ كل وقتك..."

انفاس هيثم تتحشرج ونظراته الزرقاء تضج
بمشاعر قوية وكأنه وقع بفخ !

أبعدت شهرزاد يده عنها لتنهض بجذعها
وتستدير بظهرها وهي تنزل قدميها عن السرير
لتقول بنبرة خافتة رهيبة " الم تكن نورا ...
تقرف من هذه المشاركة الجسدية معي ؟!
على الاقل انا لم أكن اعرف ..."

غضب .. غضب شديد تملكه ...

وفي نفس اللحظة التي وقفت على قدميه
تغادر السرير كان هو ايضا يغارده بينما
يسمعها تضيف بنفور واشمئزاز

" الواقع اني الآن عندما اتذكر ... اشعر
بالقرف.. وكأني اريد غسل جسدي من الداخل
والخارج ! "

كانت تتحرك صوب الحمام عندما قبضت
اصابعه على ذراعها تديرها نحوه ليقول بغضب
مستعر " شهرزاد ... انت تدمرين ما بنيناه خلال
عام ونصف .. وستدمرين حياة طفلنا صقر .."

رفعت عينيها اليه لتقول بنبرة تعبر عن فحوى
كلماتها

" وكيف اعلم انك لن تدمر حياتنا بيدك اذا انتابتك الرغبة بمغامرة جديدة او نزوة تشبع غرائزك المتطلبة.."

قال بصدق غاضب

" لدي انتِ ... تكفيني لآخر العمر.."

نظرت اليه بجمود وهي تقول بسخرية

" قد لايكون (ادائي) في السرير مرضياً !"

كان سيجن من شدة غضبه ويكاد يفقد سيطرته ليقول الحماقات لكنه يمسك لسانه عنه ليقول بدلا من هذا

" الى هذه الدرجة لا تثقين بنفسك ؟! "

شعّت عيناها بغضب يوازي غضبه المكتوم ..

عيناها في عينيه وهي تصدمه بالقول الذي يختصر كل الكلام

" بل لا اثق بطبع الغدر فيك ..."

صدمة كصفعة جمدت محياه وهو يردد

" لهذه الدرجة يا شهرزاد ؟! تتهمينني بطبع الغدر؟!"

اصابعه تنغرز عميقاً في ذراعها بينما يسألها بضراوة " بماذا كنتِ تحلمين للتو ؟ بنورا ؟! ام بهاجر الاحمدي ؟"

ردت والألم يكسو ملامحها كالسم الزعاف

" الاثنتان معاً .. هاجر تأخذ وجه نورا .. في مكتبك ..."

لم يعد يستطيع وصف مشاعره في هذه اللحظات ..

غاضب منها يريد خنقها ..

لكن غاضب اكثر من نفسه ...

الى متى سيستمر الحال هكذا ...

ما الذي يجب ان يفعله ليوقف كوابيسها هذه...

كان حاسماً وهو يقول " سألغي عقد العمل لهاجر الاحمدي صباح الغد .."

فتحشره في زاوية اصعب عندما رمت بوجهه ما كان يخشاه " وان اتت (هاجر) اخرى ...؟"

هذا الذي كان يخشاه بالفعل ...

ان تتحول هاجر الاحمدي الى رمز لأي انثى..

حتى نورا اصبحت مجرد رمز في قلب شهرزاد ..

رمز للخيانة التي تتوقعها منه في داخلها ..

سألها هيثم وهو يضيق عينيه بتركيز

" ماذا تريدين شهرزاد ؟ الى اين سنصل وانا الاحقك في الحلقة المغلقة هذه ؟ "

رآى في عينيها قسوة بل حاجة غير طبيعية وهي تقول " ربما ما سيكسر الحلقة ان تجرب طعم فقداني جدياً .."

بسيطرة حديدية كان يبدو متحكماً امامها ليرد عليها بالقول

" لكني جربته.... ام انك نسيتِ ؟"

ترد عليه بنفس القسوة ولمحة تمرد رهيب في عينيها " ربما انت من نسيت يا هيثم ... لقد كانت خدعة منك .. طلقتني صحيح لكنك اعدتني اليك رغما عني بكلمتين فقط .. (اردك لعصمتي) .. أكاد اجزم انك سجلت موعد انتهاء العدة في مفكرتك الخاصة ... طوال الوقت كنت ما ازال ملكك.. انت لم تجرب فقداني حقاً..."

اطبق فكيه بعنف بينما تضيف شهرزاد بنبرة انتقامية حقيقية وكأن روحاً اخرى تلبستها

" هل تعلم ... لاول مرة في حياتي اتمنى ان أكون حلالا لرجل اخر غيرك.. وتذوق ما ذقته وانا اصبح ملكه جسدا و..آآآه ..."

شهقت بتوجع واصابعه تقبض على شعرها بعنف من الخلف هادرا فيها

" لولا اني اعرفك جيدا يا شهرزاد لكنت رددت لك قولك هذا بما يستحق ... "

الاثنان يناظران بعض بمشاعر محتدمة وعجز كامل عن الوصول لبعض ...

بضع لحظات ودفعها بعيدا عنه ثم أدار ظهره لها يحاول بكل قوته السيطرة على ارتجاف جسده وتهدئة غضبها الهادر ...

اغمض عينيه عندما استعاد بعض الهدوء ليقول بنبرة قاطعة جسدت شخصيته المسيطرة " ان كنت تظنين اني ساستسلم وافقد السيطرة فهذا لن يحصل ... "



ثم استدار اليها فيراها تقف مكانها مشتتة التركيز .. تائهة في خضم ما تعانيه ..

لان قليلا وشعور الذنب يذبحه ...

تذكرها ذاك اليوم المشؤوم في مكتبه ... عندما رأته مع الحقيرة نورا ...

تذكرها وهي تتخبط بحركات هستيرية بين ذراعيه .. كانت .. تتألم بشيء يفوق الوصف..

قلبها كان يتألم .. يحتضر ..

هو من فعل فيها هذا ولم يرحم رقتها ..

لم يرحم تعلقها به وقد احبته بكل جوارحها منذ صغرها ... يا الهي .. لقد كادت ان تضيع منه ... كان يمكن ان .. تموت !

اخذ لحظات طويلة يستجمع ارادته ليقول كلمات هي الاصعب عليه .... صوته كان ثابت النبرات لكن يحمل معاني كثيرة

" انه ثمن.. ادرك ان علي دفعه .. لكن اختاري اي شيء انفذه لك لترضي الا امرا واحدا يا شهرزاد .. ان تكوني..ملكا لغيري .."

حدقت بنظراتها الضائعة نحوه وهو يتقدم اليها قائلا بنبرة لا تخلو من الاعتداد والغرور

" مهما سيحصل بيننا انا لن اطلقك مرة اخرى لارضيك ولو دفعت الثمن حياتي .. انت زوجتي .. وستبقين هكذا حتى أموت .. ولم تلده أمه من يفكر بلمسك .. سميها انانية .. سميها ظلم .. سميها ما شئت ..."



سبابته ارتفعت لتلامس خدها وكأنه يُرضي نفسه بتلك اللمسة التملكية ...

أسبلت اهدابها وكأنها متعبة .. بل كانت متعبة فعلا ومرهقة للغاية ...

ربما غداً لن يسمح لها بالذهاب للعمل ...

لكن الليلة ...قال بنبرة رجولية " انعشي نفسك بحمام وتعالي لتنامي جواري .."

ابتعدت خطوة للخلف وهي تقول بتعب واضح

" بل سأكمل ليلتي بالنوم في غرفة صقر .."

نبرة كحد السكين قالها رافضاً " لا ... "

رفعت نظراتها اليه تقول بهمس لا يخلو من التحدي " لن تعاشرني الليلة يا هيثم .. "

منحها ضحكة خافتة وهو يقول بنبرة جذابة مؤثرة " لا اريد معاشرتك .. بل اريد ان اتمسك بك بين ذراعي كي لا تنسي كلامي وينطبع تماما في عقلك و احلامك..."

اصطدمت نظراتها المتمردة المتعبة بنظراته المصممة ليضيف هيثم بهدوء

" انا دفعتك لطريق معبد بالشوك يا شهرزاد... لكنك لن تمضي فيه بدوني .. سنسير على الاشواك معاً حتى تكتفين .."

دون ان يلمسها استدار ليعود للسرير وهو يردد

" لا تتأخري في الحمام .. لن أعاود النوم حتى أتأكد من عودتك جواري ..."

حالما سمع صوت باب الحمام يفتح ثم يغلق توقفت خطواته ...

اكتست ملامحه بالوجوم بينما عيناه تحدقان للارض ...

كان غارقاً بالتفكير وحاجباه معقودان ...

اخيرا همس بتوتر يكلم نفسه

" تمالك نفسك يا هيثم .. ورقتك الرابحة في قلبها ... قلبها اعادها اليك .. وقلبها ذاك هو من سيبقيها .."

رفع نظراته ببطء ليحدق بلوحة زيتية معلقة على الجدار .. لوحة شخصية لشهرزاد رسمها فنان فرنسي ماهر ...

كانت تجلس على كرسي خشبي .. ترتدي فستانا حريرياً بلون كحلي مزرق .. وشعرها الجميل مصفف بعناية ...

نظرتها اهم ما يميز اللوحة ..

عميقة حالكة دافئة ... مغوية بغموضها..

لكن التوتر في شفتيها الرقيقتين يفضحان ضعفها الانثوي الطبيعي ...

ضيّق هيثم عينيه وهو يمعن النظر بتلك اللوحة ليغرق بمزيد من الافكار بينما بذرة شك فيه تنبت دون ان يشعر ...

والشيطان يوسوس له باغواء التصديق

(هل حقاً شهرزاد قادرة على خيانته ؟)

اليوم التالي

مكتب الشاهين للحاسوب

الصداع يمزق رأسها وشعور بالضيق يقبض على صدرها منذ ليلة الامس بينما تأتيها كلمات سمارا الموبخة كمطارق لا ترحم

" لابد انك مجنونة لتقولي لزوجك هذا الكلام الابله .. اقسم باللّه لو كنت تلفظت بهذه الحماقات امام اياد لكان علقني من قدم واحدة بمشبك على حبل الغسيل في شرفة شقتنا .."

رغما عنها تضحك شهرزاد لكلمات سمارا الفكاهية بينما تدلك صدغيها وهي تغمض عينيها وتقول من بين ضحكاتها الخافتة التي تحولت لنشيج مكتوم " افهميني ... سمارا .. انت من دون الكل .. يجب ان تكوني ...."

قاطعتها سمارا وقد هدأت نبرات صوتها قائلة

" انا افهمك .. صدقيني افهمك .. ولو كنت مكانك ربما لفعلت باياد اسوأ مما تفعلينه بهيثم ... ولكنك عندها كنتِ ستوبخيني كما اوبخك الآن لامنعك من السير في طريق خسارته .."

توقفت شهرزاد عن تدليك صدغيها بينما الكلمة تتردد بصدى عال في روحها وعقلها

(خسارته ... خسارته .....)

ليأتيها صوت سمارا بمزيد من الكلمات الموجعة " انت تدفعينه ليخونك حقا يا شهرزاد .. او الاسوأ ... ان يشك بك !"

رفعت شهرزاد نظراتها لسمارا لتقول ببعض الشرود " لا تقلقي سمارا .. مهما داخله الشك فسرعان ما سينقذه ذكاؤه ..! هو واثق بقلبي كفاية ليعلم اني لااستطيع ان احب غيره .."

عندها قالت سمارا بتركيز على كل كلمة

" الخيانة احيانا لا تشمل المشاعر .. وانت يفترض تعرفين هذا اكثر من غيرك .. لانه فعلها معك يوماً وخانك مع نورا دون ان يحمل لها مشاعر حقيقية .. بل اثبتت الايام انه لم يحب امرأة سواكِ .."

للحظة توجست سمارا ان تكون آلمتها أكثر مما ينبغي بينما ترى ملامح شهرزاد مستكينة تماما دون ان تعبر عن شيء ...

لم تكن تعلم ان شهرزاد تعيش صراعاً رهيباً..

لاتستطيع هي نفسها التعبير عنه بكلمات ..

تموت .. تموت ببطء كلما فكرت انه يمكن ان تخسر ... هيثم ...

ثم .. في نفس اللحظة التي تعاني فيها سكرات الموت من فكرة فقدانه يكتسحها غضب اعمى وجذوة انتقام لم تخمد ..

تود لو كان بامكانها ان تجعله يذوق مرارة الخيانة بأي طريقة ..

ربما عندها سترتاح ..



انه صراع كانت تجيد السيطرة عليه في بدايۃ عودتها اليه وقد اخذتهم مشاعر الشوق والرغبۃ بالالتحام وتعويض ما فات ..

بعدها .. انجبت صقر .. وعادا لروتين الحياة الزوجيۃ وان كانت تعترف انه روتين مختلف تماما عما عاشته سابقا مع هيثم ...

تعترف له انه حافظ على اهتمامه كما حافظت هي على شغل اهتمامه ....

لقد وجدت الامر مسليا وهي تتلاعب باعصابه احيانا وتتباعد عنه .. التسليۃ كانت معه هو وليس عليه ... وجدته يتحفز دوماً بافعالها هذه ورغم غيظه الا انه دوماً منجذب متجدد متحفز وكأنه ينتظر مزيدا من (التسليۃ) الخاصۃ معها ..

ثم .. جاء دخول هاجر الاحمدي في الصورة وعندها شعرت وكأنها استيقظت للتو لتواجه الحياة الواقعيۃ ..

انها امام الاختبار الحقيقي الاول منذ عودتهما...ولا تعلم الى اين سيقودهما هذا الاختبار العصيب ... كل ما تعرفه ان ما يحصل سيحدد اشياء كثيرة بينهما ...

سيحدد ان كانت قادرة على المضي قدماً ..
سيحدد ان كان قادرا على خيانتها ..

يا الهي ... الخيانۃ ....

ارتعدت اوصال شهرزاد وهي تتذكر حلمها البشع ليلة الامس ...

من يستطيع تفهم احلامها ..

من يستطيع استيعاب مشاعرها ..

حقاً ما قيل في الاشعار

(لايؤلم الجرح الا من به الألم ...)

عادت صورة هاجر تتوهج امام ناظريها فتحترق شهرزاد بالغيرة والغضب لتأتي جملتها فائضة بتلك المشاعر التي تتآكلها

" كل الكلام المنطقي لا يفيد ... انا في دوامة منذ شهرين .. (ماذا لو خانني مرة اخرى؟) ..."

" عندها سأكسر له صف اسنانه المتلألئ البراق حتى لا تنظر في وجهه امرأة .."

التفتت كل من شهرزاد وسمارا لجانب باب المطبخ حيث يشغله شاهين بضخامته وهو يقف عابس الوجه متحفز الملامح بطريقة صبيانية محببة ...

تمتمت سمارا وهي تضع يدها عفوياً على بطنها المنتفخة قليلا " ها قد حشر أنفه ..."

تقدم شاهين ليدخل المطبخ الصغير وهو يقول بنفس العبوس " اقسم اني سأحشر اكثر من انفي بكثير اذا فكر فقط في فعلها .."

تبسمت شهرزاد بشجن ناعم بينما تعبس سمارا هي الاخرى لتقول وهي ترفع حاجبيها بترفع مصطنع

" طبيبتي حذرتني من الانفعال في الاشهر الاولى ... كما ان الاوكسجين انخفض للصفر بتواجد هذا الثور معنا في هذا الحيز الضيق .. مضطرة ان اغادر هذا المكان افضل لي وللجميع.."

غادرت سمارا وهي تنادي باهر بينما تستدير شهرزاد لتشغل ماكنة اعداد القهوة وتشعر باقتراب شاهين منها وهو يسألها باهتمام جدي لايخلو من دعاباته المعتادة " ماذا يحدث ؟ اخبري عمك شاهين وارمي أحمالك الثقال عليه .."

دمعت عيناها تقاوم بشق الانفس ان تبكي ..

لا تعلم لماذا يشعرها شاهين دوماً برغبة ان تبكي كطفلة ؟! ان تخبره بكل شيء و(ترمي احمالها عليه) ....

يدها ترتعش وهي تعد فنجانها بينما تتمتم بصراحة اعتادتها معه " لا اعلم شاهين .. وكأنني ادخل اختبارا مهولا أتاني على حين غرة دون ان استعد له كفاية .."

سأل شاهي باسلوبه المباشر

" هل هناك .. امرأة ..؟ "

ارتفعت رائحة القهوة بينما تصمت شهرزاد للحظات وكأنها تستعد لقول أمر عسير ...

قالت بحشرجة " هناك... امرأة .. لكن المشكلة ليست في وجودها .. انها فقط امرأة.. حالها كحال اي امرأة جميلة قد تلفت انتباهه كرجل ... بل اي رجل .. وليس هو تحديدا... المشكلة .. فيما فتحته امامي هذه المرأة من ابواب التخيلات ... لها ولغيرها من النساء .. انه الجحيم يا شاهين .. جحيم يفتح ابوابه لي وانا غير قادرة على غلقها ..او مواجهتها .."

امسكت بيد الفنجان لترفعه لفمها تهرب من نظرات شاهين المتفحصة لها وهو يقول لها

" هوني عليك .. ولا تحملي نفسك فوق طاقتها .. من حقك ان لا تشعري نحوه بالاطمئنان الكامل لكن .. لا تسمحي لمخاوفك الطبيعة ان تحطم علاقتك به .. فقد تكونين تخسرينه دون ان تشعري .."

وضعت الفنجان ببعض الحدة على سطح المنضدة لتقول بقهر " هل تعلم .. ما يهمني الآن اني لا اريد ان اضعف من جديد .. احتاج.. لطاقة تمدني بمزيد من القوة لافكر واتصرف بشكل صحيح .. هل تفهمني شاهين... انت من دون الجميع يجب ان تفهمني.."

بابتسامة واسعة رد عليها

" لا داعي لمزيد من الكلام اعلم اني رجل مميز .. النساء خسرنني بزواجي .."

لم تقاوم لتنفجر ضاحكة بينما تشعر بخيال يدخل المطبخ ....

رائحة عطره ميزتها على الفور لتتراجع ضحكاتها بينما يظهر خيال هيثم من خلف شاهين ...

عيناه تناظرانها بلهبهما الازرق الغاضب بينما يقول بنبرة باردة " ألم نتفق انك لن تذهبي للعمل اليوم حتى ترتاحي .."

ردت شهرزاد في اللحظة التي استدار بها شاهين قائلة بشفتين مزمومتين " غيرت رأيي ..."

فرد هيثم وعيناه لاتحيدان عنها " واضح ..."

شحنات سلبية تنتقل منه .. اليها ...

وكأنه يذكرها بصباح اليوم وما جرى ..

لقد ايقظها بقبلاته وهو يجردها من قميص نومها .. كان حار المشاعر متطلب مغرور حتى في عطائه ... ولم تستطع ايقافه ..

وظل لوقت طويل يهمس لها بكلمات الغزل وهو يفترش شعرها الناعم على ذراعه ..

ثم غادرها وهو يطلب منها بل يأمرها بتعسف عاطفي ان ترتاح اليوم في البيت ...

تنحنح شاهين ليقول هيثم اخيرا ببرود جليدي وهو يلتفت اليه " مرحبا شاهين .."

عينا شاهين التقطتا ذاك البرود فرجح بشكل مؤكد ان (السيد العظيم) لا بد ان سمع الحوار الاخير بينه وبين شهرزاد ...

حاول شاهين ان يكون فكاهياً قليلا ولا بأس ان يذكره ببعض الحقائق فقال بأريحية

" يمكنك مناداتي ابا يوسف يا .. ابا صقر .."

لاول مرة يشعر شاهين بالتوتر من نظرات هيثم له ... كان فيهما شيء عجيب اقلق حدسه ..

لقد كان هيثم الجراح ينظر في عينيه مباشرة وكأنه يبحث عن اجابة ما ...

لا يعلم لماذا توتر لهذه الدرجة ..

لكنه قرر الانسحاب وهو يقول بمجاملة

" أنرتنا بوجودك .. بالاذن .. انا في الجوار اذا احتجتما لشيء .."

ثم غادر شاهين تاركاً شهرزاد وهيثم بمفردهما ..

تقدم هيثم من شهزراد التي كانت تشرب قهوتها وتحاول جاهدة السيطرة على ردود افعالها المتناقضة ...

هل تنكر ان تدليله لها صباحاً جعلها تشعر انها كائن حي متفرد بوجوده ؟!

لا .. لن تنكر ...

لكن .. كل شيء يزول بالتدريج ..

كغمام ينقشع ببطء ليفاجئك بما يخبئ..

جاء صوت هيثم حاداً خافتاً وهو يلفح وجهها بانفاسه الغاضبة

" لا اصدق انك تتكلمين بخصوصياتنا هكذا مع رجل غريب .."

وضعت فنجانها جانبا لتقول له بهدوء شديد

" انه شاهين .. حاول ان تتذكر انه في فترة عصيبة من حياتي كان هو مطلع على خصوصياتي اكثر منك .."

قبض هيثم على يدها التي كانت تمسك فيهمس من بين اسنانه بنبرة لاتخطئ

" لا تدفعيني لأجن يا شهرزاد واظهر بأسوأ مما تتخيلين .."

تفاجأت شهرزاد من عنفه فتعقد حاجبيها متسائلة " هل تهددني ؟"

تأوهت ويده تعتصر اصابعها عصراً بينما يرد عليها بعنفوان " ان سمحت لرجل .. مهما كان هذا الرجل .. ان يقترب منك بأريحية هكذا فانك تفتحين ابوابا اخرى معه .. وقد يفتح الباب الخطأ يا شهرزادي ويظن انه قادر على الدخول منه اليكِ ... وعندها .. سأنسفه .. وربما انسفك انت ايضا معه ..."

تحاول تخليص اصابعها منه بينما تقول له بقسوة وغضب " مبهر ! هل أتيت لتبلغنا تهديداتك ؟"

ترك يدها فجأة ليقول ببرود شديد وعيناه تبرقان

" بل أتيت لاني كنت غبياً حتى اترك عملي بالمؤسسة حالما علمت من الخادمة انك غادرتِ لعملك ففكرت ان أمر بك لاخذك ونقضي اليوم بمفردنا "

نبض قلبها شعورا بالذنب نحوه ...

نبض قلبها واوشك ان يقفز من صدرها ليذهب لاحضانه ..

آآآآآه من علتها تلك .. قلبها علتها ...

اضاف هيثم بابتسامة صفراء

" لكن يبدو ان مزاجك لا يساعد ..."

تنظر اليه تريد ان تعتذر عن كل هذا الغباء الذي يحصل بينهما لكن لسانها لايطاوعها ..

ليس لسانها .. بل ما يكبل رغبتها بابداء الاعتذار ...

هذا جزء من صراعها .. انها تشعر بأنها مهما فعلت به فهو يستحق منها اكثر واكثر ..

تكره نفسها عندها .. تشعر ان طاقة شر تتفاعل في داخلها .. ذاك الشر الذي حفزها والدها لتستخدمه وتمزجه بسذاجتها...

تحرك هيثم متراجعاً للخلف وهو يضيف بجدية تامة

" خذي تهديداتي على محمل الجد يا ... ام صقر ... لن أرحم احدا .. صدقيني في داخلي جانب أسود تماما لم تعرفيه حتى اللحظة .."



وعند باب المطبخ رفع اصابعه ليلامس اطار الباب بنوع من النفور المتعجرف وكأن المكان ليس نظيفاً كفاية ثم ينفض اصابعه ويسبل اهدابه قائلا بغروره الجذاب

" قد اتحمل الكثير منك بمزاجي وارادتي .. لكن .. حذاري .. انت تعرفيني جيدا .. صبري قليل ... قليل جدا .."

ثم رفع نظراته الزرقاء لها فلم تجد الا القسوة قبل ان يهذبها بغمزة صغيرة منه ثم يبتسم وعيناه تنحدران لشفتيها المتوترين ليضيف بنبرة غريبة " تبدين كتلك اللوحة المعلقة على الحائط في غرفتنا .. قد تخدعنا العينان لكن السر في الشفتين ..."

ثم ببساطة تحرك مغادرا تاركاً اياها بقلب موجوع ويدها عفوياً ارتفعت لتلامس باصابعها شفتيها ....

مؤسسة الجراح

المقهى

صدره اخذ يعلو ويهبط بشكل فاضح حالما دلفت المقهى ..

دخولها كان يلفت الانتباه بقميصها الاحمر وعقدها الذهبي المتلألأ...

ليس لون القميص فحسب بل هي كلها كانت غير عادية هذا الصباح ..



فيها وهج كمغيب شمس باكٍ ... تتحرك

بحيوية رغم الترنح الواضح في خطواتها !

تتنقل كنحلة مهووسة بين الموظفين

تلاطفهم بأريحية مبالغ فيها لتتسابق

ضحكاتها المرتعشة مع كلماتها المتقطعة...

بعضهم ينظر اليها باستغراب والبعض الاخر

جعلت الدماء تفور في عروقهم ونظرات الطمع

تتقافز من عيونهم ....

حالما وقعت عينا هاجر عليه تجمدت لثوانٍ

تحدق فيه ...

عيناها لامعتان جدا وبدت كأنها بحالة من

الاثارة كمن تعاطى عقاراً محفزا للادرينالين !

ثم انشق فمها فجأة عن ابتسامة واسعة

ضاحكة لترفع يدها وتتراقص اصابعها في

تحية له .. تحية فيها شقاوة لم يحببها !

لاول مرة لايحب شقاوتها .. ولا يحب جرأتها ...

اكتفى منذر ان يمنحها ابتسامة صغيرة باردة

وهو يثبت قدماه الارض حتى لا يتهور ويذهب

اليها.. ترا هل سيصمد ؟

تلاهى عنها باحتساء قهوته وهو يسبل اهدابه

قليلا عن عمد وتجاهل مقصود ...

كلمات اخيه حازم تطن في اذنيه ...

لقد تفاجأ من حماسة حازم للموضوع وظل

يدفعه للتفكير جدياً بالتقدم لخطبتها ما

دامت الفتاة تعجبه و تؤثر به لهذه الدرجة ...



لكن حازم كان واقعيا معه وهو يحذره من اخبار والديهما بموضوع خطبتها القديمة لزميلها في القناة الفضائية..

خاصة امهما مؤكد لن تتقبل وابوهما سيتأثر برأيها حتى وان كان اقل تشددا منها بهذا الموضوع ...

لا يستطيع منذر ان ينكر بأن اخاه على حق ..

وتذكر صباح اليوم امه وهي تناكف في ابيه حتى يفصص لها الثوم بشكل جيد بينما يتذمر والده ويخبرها انه كان يشغل منصب مديراً عاماً في دائرة هندسية قبل احالته على التقاعد ومؤكد لن يصعب عليه تفصيص الثوم !

فترد عليه باسلوب (مديرة المدرسة) الحازم الذي ما زال متمكناً منها حتى مع تقاعدها منذ سنوات " انت لا تعدو طالبا في سنته الاولى في تفصيص الثوم "

النقار بينهما لا يتوقف ... لكنه نقار العشرة الطويلة والتعود ..

وها هما الاثنان متقاعدان يتشاركان تفاصيل يومهما معاً من اوله لآخره ...

تارة يتشاجران وتارة يتباحثان بأمور السياسة والناس وتارة يتفرجان على احدى الافلام العربية القديمة فيعودان لايام الشباب ...

لقد كانا فخوران بما انجزاه في حياتهما ..

شغلا مناصب وظيفية جيدة وبنيا بيتهما الذي يعتبرانه اهم ما اقتنياه في هذه الدنيا وربّيا ولداهما (حازم ومنذر) ليكونا فخريّهما الاكبر ..

وبقدر فرحهما باحفادهما من ابنهما البكر حازم الا انهما لم يكفا عن الضغط على منذر ليختار زوجة وينجب لهم المزيد من الاحفاد... كان يريا ابنهما منذر تحديدا يستحق الافضل والاجمل ...

ربما هما من زرعا فيه هذا الاحساس ان من حقه الاقتران بأي فتاة يختارها ...

فتاة يكون رجلها الاول المميز ... لانه حقاً يريانه مميزاً ...

وبعد كل هذا مؤكد ان حازم محق .. ليس عليه اخبارهما عن ... خطبة هاجر السابقة ..

يا الهي ... انه يفكر جدياً بالارتباط بهاجر ..

توتر منذر وهو يشد على الفنجان في يده ويتمتم في سره بحنق

" كله بسبب حازم .. لم يكف البارحة عن دفعي نحوها .. وكأني احتاج المزيد من الدفع!! انا بالاساس مدفوع كأبله نحوها .. مشدود بكل حواسي أكاد اتحطم وانا اتجاهل غيرتي عليها ولهفتي لرؤيتها على الدوام ... ما هذه الورطة .."

رفع عينيه وهو يطبق فكيه وقلبه يضخ الدماء الفائرة في كل جسده ..

عبس بشدة وهو يراقبها كيف عادت لتنقلاتها العجيبة ولغة جسدها تخبره انها بوضع غير طبيعي .. !

ثم تقف عند طاولة احد الموظفين تضاحكه بصوت عالٍ جذب الانظار اليها اكثر ..

ناظرها منذر والغيرة تأكل قلبه أكلا بينما عيناه تحدقان بغضب متأجج لوقفتها المائلة المثيرة وشعرها يتراقص بحركة مموهة من رأسها فتبدو اكثر اثارة .. وكأنها تتعمدها!...

ما الذي تفعله بنفسها تلك الحمقاء ؟!

رغم كل غيرته ورغبته المؤكدة بالذهاب اليها وصفعها على وجهها لتفيق الا انه لايستطيع تجاهل حالتها الخفية بذبذباتها المرتفعة التي تصله بوضوح ...

بل انه يرى الاخرين في المقهى ينظرون اليها باستغراب متزايد ...

ماذا حصل لتبدو بانتكاسة عاطفية واضحة كهذه ...؟

هل .. هل ربما اتصل بها خطيبها السابق و .. قال لها كلاماً موجعاً ؟!

رنين ضحكاتها استفزه اكثر ليفقد ارادته لضبط النفس فيقف على قدميه وقبل ان يتحرك نحوها رآها تترك الموظف لتتجه مباشرة صوب رئيس المؤسسة هيثم الجراح

الذي دخل المقهى للتو برفقة مستشاره القانوني (السيد عبد الرازق)..

مباشرة عقل منذر اخذ يستوعب ما يحصل امامه ...

خطوات هاجر نحو هيثم الجراح كان فيها ما يشبه الاغواء ! حتى السيد هيثم لم يبدُ مرتاحاً بشكل مريب في وقفته معها ..

كان عابساً .. متوتراً وكأنه يبغي انهاء الكلام معها بأي طريقة ..

اخذ منذر يشد على قبضتيه ليمنع نفسه من افتعال فضيحة ...

عقله يحلل ومشاعره ترفض اي استيعاب ...

لم يستطع الاحتمال ليتحرك بخطوات واسعة يغادر المقهى دون ان ينظر لأحد ...

يده ترتعش بغضب داخلي وهو يرفعها لتضغط على زر المصعد ..

هدير الغضب يرتفع ويصم اذنيه ..

يكاد يلكم الباب الحديدي الفضي اللامع امامه ليفرغ كل هذه الشحنات داخله ..

" منذر ... لماذا غادرت سريعاً هكذا .. كنت قادمة للتو لأشرب القهوة معك .."

طال الصمت وهو لايرد والمصعد اللعين لا يصل..

تقف جواره وهي تتمايع بنبرتها التي فشلت باخفاء ارتجافها عنه بينما تضيف بشقاوة مصطنعة " تبدو غاضباً مني لتتجاهلني هكذا!! هل ستسمح لي بمشاركتك المصعد ام استخدم السلم ؟!"

لم يلتفت اليها بينما يقاوم داخله موجات عواطق متناقضة تداهمه بسببها ...

يشعر انه سيفقد اعصابه ويصفعها جدياً ودون اي رادع !

قال بغتة و ببرود شديد وهو ما زال يتطلع للباب الفضي امامه " انصحك يا هاجر عندما تكونين بحال غير طبيعية (كما اليوم) ان تأخذي اجازة من العمل افضل من ..."

عندها فقط التفت برأسه اليها تاركاً جملته معلقة وهو يرمقها بنظرات تُدينها بصمت...

نظر في عينيها فتلوع قلبه لتلك اللمعة غير العادية فيهما بينما تتصلب ملامحها وهي تتساءل بشجاعة رغم ارتعاشها الواضح

" افضل من ماذا يا منذر ؟ اكمل ..."

لم يستطع السيطرة على غضبه منها .. غيرته عليها .. رغبته ان يمحو اثر وجود رجل اخر سبقه اليها وجرحها بهذا الشكل ...

يا الهي انه يغار حتى من ذاك الجرح ..

لو لم يكن فرقد الشيخ مؤثرا فيها ما كان استطاع جرحها لهذه الدرجة ..



كان قاسياً عليها وهو يهدر فيها بنبرة محتدة اكثر ادانة لتصرفاتها الحمقاء

" الحمد لله ان عمك لم يكن موجودا ليرى كيف تتمايعين وتتضاحكين مع الرجال بالمؤسسة دون ان تستثني رئيس المؤسسة ! بينما في داخلك تترنحين ألما مما لا يعلمه الا الله ... مؤكد كنتِ ستُشعرين السيد طاهر باحراج شديد لافعالك الغبية .."

كان ترتجف كلياً الآن وبهت وجهها بالكامل.. عيناها تغوران وشفتاها ترتشعان .. بدت وكأنها مريضة .. مريضة جدا .... معلولة ولا تعرف كيف تداوي علتها ...

الندم مزق غضبه إربا وهو يراها هكذا ...

ابتلع ريقه ليقترب منها لكنها نفرت منه لتهدر فيه بصوت خافت مبحوح

" من انت لـ...تحاسبني ؟! من .. تحسب نفسك؟ انت... لا يحق لك الكلام.. معي... بهذه الطريقة .. هل فهمت .. إلزم حدو....د...ك.."

هذه المرة كانت كلها تترنح ..

ليس فقط خطواتها التي تبتعد عنه وانما روحها ايضا ...

لم يشعر منذر الا وهو يلحق خطواتها حتى الباب المؤدي للدرج فيدخل خلفها ويلحق بها وقبل ان تصل هاجر بداية السلم يناديها بقلب يرتج رجاً بين اضلعه ويرتج معه السؤال الذي يقض مضجعه منذ الامس

" هاجر .... ماذا فعل بك فرقد الشيخ ؟"

تجمدت خطواتها ثم اخذت تستدير نحوه ببطء ....

رفعت وجهها اليه ليحدقا ببعض وانفاسهما تتسارع .. تلك الانفاس تشيع غماماً يلفهما ويعزلهما اكثر من هدوء المكان حولهما ...

كانت لحظة طويلة بينهما تختلط فيها الانفاس مع المشاعر المتضاربة ..

يقف امامها بطوله الرجولي وعرض كتفيه الذي زادت البدلة الرسمية الكحلية تأثيراً في انوثتها الجريحة...

لحظة طويلة وهو يقف هكذا مجرداً من اي سلاح يحمي كبرياءه كما تجردت هي من اي سلاح يحفظ كرامة جرحها الغائر ...

اقترب منها جدا حتى كاد يلامسها بجسده يكاد يشعر انها تتمزق لتلقي برأسها على كتفه لتبكي روحها العليلة ...

يميل برأسه قليلا نحوها حتى تهدلت خصلة من شعره على جبينه هامسا بصوت رجولي أجش " ماذا فعل ..؟ كيف استطاع ان يؤذيك هكذا ؟! امرأة وهاجة قوية مثلك ... كيف ... استطاع ؟ "

اخطأ ...! اخطأ عندما نسي نفسه وتجرأت أنامله لتمسك اعلى ذراعها بتطلب يكاد



يجذبها انحوه وقد فقد سيطرته على مشاعره المتفاعلة بجنون ...

فتكون لحظة انكسار الهدوء والعزلة بينهما عندما باغتته ردة فعل هاجر غير الطبيعية وهي تدفعه بجنون وتصرخ فيه بهستيرية

" لا تلمسني .. اياك ان تلمسني .. لا اطيق هذا ... اكره ان يلمسني احد ..."

وقبل ان يفيق منذر من صدمته ويستوعب ما يحصل او يتدارك توابعه تعاقبت الثواني بعدها في تباطؤ عجيب بينما يرى هاجر تبتعد للخلف بحركة غير محسوبة وغريزيا يمد هو يده نحوها ليحاول امساكها وظن انه نجح بشد قميصها لكنه في الواقع لم يمسك الا العقد الذهبي المتلألأ فينقطع !

هوت هاجر للخلف على الدرج امام ناظريه المبهوتين وهي تصرخ بتأوه ..

وجهها قد امتلأ بالرعب و...

التوسل.... ان ينقذها ....

الجمرة الرابعة

تتهاوى للخلف ووجه منذر يبتعد عنها ببطء تدريجي ..

تعبير الاهتمام الحقيقي على ملامحه والفزع التلقائي لاجلها جعل الدموع تنساب حارة من عينيها ...

فاقدة للسيطرة تماما على جسدها وهي تتهاوى للخلف فتستسلم بشكل غريب وكأنها تنشد راحة للنفس المعذبة من سنوات طويلة ...

ومضات مضيئة كالنجوم مرت بسرعة البرق..

ومضات من حياتها الباردة الوحيدة ..

مشوار طويل .. طويل جدا قطعته بمفردها ..

دوماً كانت بمفردها .. ودوماً ذاكرتها حديدية لكل شعور وحدة شكّل شخصيتها..

ها هي ومضة لها وهي بعمر الرابعة وفي اول يوم للمدرسة .. تقف بمفردها تحتضن ارنبها القطني المفضل لتتركها امها غير مبالية لخوفها العفوي من المكان الجديد الذي تدفعها اليه ..

ثم تتعجل الخروج للحاق بعملها بينما تتمتم بكلمات غاضبة موجهة لوالدها الذي رفض ايصال ابنته بنفسه للمدرسة في يومها الاول ..

تركتها هناك تلتصق بالحائط في فزع رهيب وتشدد من احتضان ارنبها بينما تتلفت حولها تلاحق وجوه الامهات والاباء الذين يحاولون التخفيف عن ابنائهم وبناتهم الباكين والمتشبثين بهم..

اما هي فلم تنزل دمعة من عينيها فالفزع جمد حتى دموع الخوف ...

ومضة اخرى وهي في الحادية عشرة .. تجلس في غرفة المعيشة ببيت والدها القديم تصم اذنيها بكفيها لتمنع وصول اصوات الشجار المألوف بين والديها ..

دوما شعرت بالخوف من ذاك الشجار المستمر ولم تعتاده قط..

دوماً تخيلته سيهدم جدران البيت فيختفي كل شيء حولها وتغدو وحيدة في العراء بين خرائب ذاك البيت ...

ومضة اخرى ... وفاة والدتها ...

كانت في الثامنة عشرة .. تتخبط بغليان مشاعرها الغاضبة لطلاق والديها ...

مشاعر مكبوتة بقوانين صارمة من والدها الذي رضي ان يتكفلها بينما امها تنازلت عنها ببساطة تنشد البحث عن حياتها بعد سنوات (عذاب وقهر) مع والدها كما كانت تحب ان تصفها دوما .. ولم تمض الا بضعة اشهر على الطلاق حتى ماتت امها فجأة .. في سريرها .. دون مقدمات ... توقف قلبها وهي نائمة ..



عندها كل شيء بات ... مخيفا ..مرعبا ... غير مأمون ..

كل شيء بات قابلا للانهيار في لحظة ..

كانت الومضة الاشد وطأة وتدميرا لذاتها في كل حياتها...

ثم ... ومضة آآآه .. آآه آآه.. تقف هناك ... تراقب بجزع ووحدة رهيبة همسات العشق والغرام بين رافد ومحبوبته غالية ... آآآآه من هذا الألم ...

ومضة اخرى .. ومضة هي جمرة ...!

تلتهب فيظهر من بين اللهيب وجه فرقد .. تشعر بانفاسه الهادرة على بشرتها .. يداه تسحبانها اليه عنوة .. اصابعه لا ترحمها كأنفاسه وهي تجد طريقها لتلمس روحها الجائعة ... يا الهي .. اذلال اذلال ... قتلها ببطء وقد كانت مخدوعة انه يمنحها حياة ! فرضيت بكل شيء مقابل ما يمنحه لها ... وكأنها باعت روحها له يفعل بها ما يشاء ...

كل شيء فيه كان خدعة .. خدعة اغرقتها في طوفان الكسر والقهر ..

آآه من قهرك يا فرقد ... آآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآه ...

ندت عن فمها تلك الـ آآآآآآآآآآه ... لتشعر بألم جسدي يوازي ألمها الروحي ثم .. يعم الظلام..

صوت بعيد مألوف ملهوف يتسلل لظلمتها ..

يدان حانيتان تتفقدان جسدها وذاك الصوت الرجولي يهمس لها " انت بخير .. لا تخافي.."

لم تشعر كيف ان يدها تحركت بجزع لتجد الطريق حتى حافة قماش سترته فتتشبث بها بعنف كمن يتعلق بقشة !

وعندها فقط استسلمت لظلام اعمق وشلالات من الدموع تنهمر طواعياً منها ...

مؤسسة الجراح

مكتب هيثم الجراح

جالساً بهيبته على كرسيه الجلدي الضخم يستند بكوعيه على ذراعي الكرسي ويشابك اصابع كفيه مع بعضهما بينما تشع زرقة عينيه برودة وخطورة ...

يستمع لاحد موظفيه الموثوقين عبر السماعة المكبرة للهاتف ليرد عليه اخيراً ..

" نعم هذا بالضبط ما اريده .. كل الصفقات التي نجح بعقدها مؤخرا مكتب الشاهين للحاسوب .. اريد تفاصيلها على مكتبي .. "

جاءه صوت الموظف متسائلا بعفوية

" لكن سيد هيثم .. انها حتى ليست شركة حقيقية .. مجرد مكتب بسيط يعقد صفقات مقبولة بين الفينة والاخرى .. و.."

قاطعه هيثم بحدة باردة " لا ادفع لك لكي تسألني ... انت تنفذ فقط .."

رد الموظف بحرفية " مؤكد سيدي اعتذر.."

ليضيف هيثم بنفس النبرة وعيناه تشعان بقساوة " نسيت امرا اخر .. اريد معلومات ان كان صاحب الشركة عليه ديون او قرض او اي شيء من هذا القبيل ..."

عاود الموظف الرد بطاعة " نعم سيدي .."

انتهى الاتصال ليسترخي هيثم على كرسيه للخلف .. وجهه شاحب بعض الشيء .. شفتاه مشدودتان وعيناه تشعان بمزيد من القساوة ...

تمتم هيثم بقساوته تلك " لا تعلمين ما انا قادر على فعله يا شهرزادي .. انت ملكي .. وقد بذلت لاجلك ما لم ابذله لبشر قبلك .. قد أؤذيك حتى تعلمي ما تعنينه لي ..."

المستشفى

بعد بضع ساعات ..

سترته مجعدة وربطة عنقه محلولة ..

قميصه الانيق مبقع ببعض الدم الذي نزف منها ... شعره مبعثر ووجهه متعب رغم استرخائه وقد اطمئن عليها من الطبيب قبل قليل ....

ها هو في الممر يولي باب غرفتها ظهره بينما يستند بكفيه على حافة الشباك المربع يحدق من خلاله للفضاء الواسع امامه حيث الباحة الخلفية للمستشفى بينما باله مشغول بما يحدث خلف باب الغرفة المغلق ...

يستدير بين الفينة والاخرى يبحث عن بارقة أمل ان يفتح ذاك الباب ثم يزفر بنعومة حارة ويعاود الالتفات لينظر عبر زجاج النافذة ...

انه ليس نادم لما قاله للسيد طاهر ..

بل يشعر لاول مرة بالتحرر ..

لاول مرة يشعر انه يقدم على مجهول يشع بالسعادة .. اجل .. وجوده قربها يجعله مشعاً بكل المشاعر العجيبة التي تجلب السعادة..

لن ينتظر اكثر .. انها تحتاجه هو ...

اصابعه تحركت بارتعاش لتلامس حافة سترته حيث تشبثت بها اصابعها البيضاء الشاحبة..

لقد ملكت قلبه بتشبثها ذاك ...

ثم .. دموعها .. يا الهي ..

دموعها وهي تستسلم للظلام استنزفت كل مقاومة لديه نحوها ..

ولماذا يقاوم ؟ لماذا ؟

لماذا يجب ان ينتظر حتى يأتي رجل ما ويأخذها منه بينما هو يتعثر بكثرة التفكير والتردد باتخاذ القرار ..

وماذا ان كانت مخطوبة لرجل قبله ...

ألم يحن الوقت ليحارب تلك الهواجس التي زرعوها فيه ؟ ان كان رجلا حرا بحق سيجد القدرة ليقتلع هذا الزرع ...

هاجر .. وآه منها من هاجر ...

تلك الوهاجة البراقة تحتاج اليه ..

ذاك الحقير فرقد الشيخ كاد يطفئها ..

ربما لم يحتمل وهجها وجاذبيتها فاراد ان يحجبها بإطفائها ..

كما فعل راغب بغالية ...

هناك رجال خُلقوا ليطفئوا النساء بحقاراتهم وسفالتهم ..

لكنه لن يرتكب نفس الغلطة التي ارتكبها قبل سنوات مع غالية ...

لن يترك هاجر تضيع بسبب سفالة رجل...

لن .. يكون اقل من رافد ...

انفاسه تتسارع اثارة .. ضربات قلبه تصرخ فيه.. انه يريدها بكل كيانه ...

لا .. مؤكد لن يندم على شيء ..

حالما حمل هاجر بين ذراعيه لينقلها كالمجنون الى المستشفى وجرح رأسها ينزف علم انها هي .. هي المراد ...

خلف باب الغرفة المغلق ..

تغمض عينيها بينما تشعر بذاك الإنهاك العاطفي الكئيب الذي لازمها لاشهر بل ربما لسنوات تشعر به يزحف متباعدا .. مغادرا روحها ...

وبانسحاب الإنهاك ينتشر بدلا منه وبالتدريج
احساس بالصفاء لم تشعره منذ فترة طويلة ..

طويلة جدا ..

وكأنها قطعت اشواطا لا تنتهي من الألم
والانهيار وها هي اخيرا تستظل بظل ما فتجلس
لتلتقط انفاسها ...

تعلم جيدا انها مجرد سكينة وقتية ..

هبة مُنحت لها دون سبب او تفسير ...

ولا يهم حقاً التفسير ....؟ كل شيء اصبح
مستكينا .. هادئا .. خفيفا طائراً كأوراق
الشجر المحمرة وهي تتطاير من اشجارها وقت
الخريف ...

اجل انه الخريف ... لطالما احبته ...

هي عكس اغلب البشر فالخريف يجذبها ..

هدوءه .. شجنه .. حفاوة اوراقه الراقصة..

غموضه .. حياء ألوانه التي لا تفتقر للجمال..

الخريف هو ريح .. ريح عذبة لا تخلو من
الحزم كالام الرؤوم تطمئننا فتخفف عنا
صدمة برد الشتاء دون ان تكذب علينا .. بل
تذكرنا دوماً ان الشتاء قادم لا محالة ...

امممم.... كم تحب الخريف ...

تحب حفيف الاشجار الصامدة وهي تخلع رداءها
البهي لترتدي حلة مختلفة دون ان تخشى رأي
البشر ... انها فقط تستجيب باعتداد
للطبيعة.. واثقة جميلة جريئة ...

انه فصل التحدي .....

"هاجر .. كيف تشعرين الآن يا ابنتي ؟"

تبسمت هاجر بينما تفتح عينيها ببطء فتنظر لوجه عمها الوسيم فترد بسكينتها تلك ..

" دائخة... لكن الصداع خف كثيراً .."

وقف طاهر الاحمدي جوار سريرها ملامحه لاتنبئ بما يخفيه .. فقط يكتفي بمنحها ابتسامة ابوية بينما يمرر يده فوق شعرها البني القصير متجنباً لمس الجرح المضمد في جبينها وهو يقول لها بمحبة

" الطبيب طمأننا .. لا ارتجاج في المخ .. الحمد لله .. و ليس هناك كسور .. فقط رضوض وكدمات .."

ثم يضيف تعبير خاص من محياه

" الليلة سأعتني بك بنفسي .."

تنهدت هاجر وهي تهمس بنبرة اعتراض

" عمي ..."

قاطع اعتراضها بالقول المرح وهو يمنحها ابتسامة ماكرة " وسأجلب لك السكاكر التي تحبينها منذ طفولتك ان سمعت الكلام وأخذت دواءك في موعده .."

اغمضت عينيها وتوتر خبيث ساخر يهاجم سكينتها.. عمها التقط توترها ليفسره بشكل خاطئ وقد ظن انها ترفض محاولاته كالعادة لاعادتها لبيته ...

لم يكن يعلم ان وسط واحة السكينة هبت..

همسة ... !

همسة كالحريق بصوت رجولي مبحوح

(هل تعلمين لماذا اشتري لك السكاكر كل يوم ؟ ليس لانك تحبينها بل افعلها لاجلي .. كي ارى ما تتركه من اثر حمرة لامعة على شفتيك فاشتهي التهام مذاق السكر فيهما)

ضمت شفتيها وكأنها تخبئهما من اعتدائه السافر على سكينتها تلك لتصارح عمها بصدق وبصوت متحشرج

" عمي ... انا لم اعد احب السكاكر ...."

قبلة دافئة على خدها وهو يحايلها بالقول

" هذه المرة لن تقولي لا ... سأخاصمك جدياً ان رفضتِ ان اعتني بك .."

شعرت بالخجل لمحاولاته الدافئة تلك وهي تعلم عن يقين انه لا يقصد العناية بها فقط بسبب سقطتها على الدرج .. بل لسقطة اخرى .. قديمة ... مريعة ... لم تبرأ من اثارها حتى اللحظة.. سقطة كادت تقتلها وهي حية ...

فتحت عينيها لتطالع وجه عمها فقالت بمحاولة اخيرة " لكن سهر عندكم منذ ايام وهي تحتاج للعناية في اشهرها الاخيرة من الحمل.. "

تتسع ابتسامة العم طاهر وهو يشعر بأنه نجح باقناعها ليقول " انت تعرفينها انها تتدلل وتتحجج ان زوجها لا يلاطفها كفاية فتأتي لاحضان امها "

للحظة لسانها لم يطاوعها .. كانت تخشى ان تذهب هناك وتشعر .. انها ليست في بيتها .. وجود سهر سيشعرها بهذا اكثر ..

منذ افتراقها عن .. فرقد لم تتكلم مع سهر بأريحية .. كانت تهرب منها باستمرار مدعية الانشغال بالعمل .. ولحسن الحظ ان سهر انشغلت تماما بحملها ووحامها وتعبها ومؤكد تدللها على الجميع وهي تطالبهم دون ان تشعر بالخجل ان يعتنوا بها ...

هذه هي ابنة عمها الوردية كما يحب زوجها نعتها .. تجد طريقها لتثير اهتمام الاخرين حتى يلبوا طلباتها العجيبة ..

وحتى وهم مغتاظون منها الا انهم يلبون بتلقائية ..

اخيرا قالت هاجر وكأنها تبحث عن ذريعة

" لذلك اقول لك عماه ان سهر اولى برعايتكم مني .. ووضعها الطبي حقيقي وليس تدلل منها .. الطبيبة قالت يجب ان ترتاح حتى دخولها شهرها التاسع من الحمل .."

شعرت بيد عمها تحاوط كفها الملقى الى جانب جسدها فيضغط عليه قليلا وهو يرد عليها بحزم " هي لا تحتاجني .. يكفيها تدليل امها .. كما انك ابنتي ايضا وتحتاجين تدليلي.. "

التمعت عيناها بدموع رقيقة بينما يضيف العم " سأذهب لشقتك بنفسي واحضر لك احتياجاتك .. انا طلبت اجازة لك لمدة اسبوعين كاملين حتى ترتاحي تماما..."

اكتفت ان تهز رأسها بنعم بينما تخنقها العبرة بتأثر ...

فجأة عمّ الصمت .. فحدقت بعيني عمها بتساؤل صامت وكأنها تنتظر منه قول امر ما ..

بدا .. حائرا نوعا ما .. مبهما ايضا ..

سألته ببعض التوجس

" عماه .. هل هناك شيء ؟ وكأنك تريد اخباري بأمر ما ولا تعرف كيف ..."

تنهد العم بينما يترك كفها ليتلفت حوله حتى وقع بصره على كرسي في زاوية الغرفة فيذهب ويحضره ثم يضعه بجانب سريرها ويجلس عليه ويعاود امساك كفها ..

عقدت هاجر حاجبيها قليلا بينما تنتظر افصاح عمها عما يفكر به او يريد ايصاله اليها ..

قال اخيرا وهو يراقب بتمعن ردود افعالها

" هاجر ... منذر في الخارج يريد الاطمئنان عليك بنفسه .."

عندها تنفست الصعداء .. اذن يريد ان يكلمها عن منذر .. مؤكد سيكلمها بسبب الحادث والموقف الذي حصل ...

قالت هاجر ببعض الارتباك وهي تتذكر كل ما جرى اليوم

" اشعر بالاحراج مما حصل .. الممرضة اخبرتني ان الطبيب بلغ الشرطة خوفاً من ان يكون المسؤول عن وقوعي على الدرج.."

بدت نظرة العم طاهر غريبة وهو يتساءل باختصار " ألم يكن ؟"

ارتفع حاجبا هاجر واتسعت عيناها بعجب بينما تدافع عن منذر قائلة " بالطبع لا عماه .. كيف تظن ان منذر يمكن ان يؤذيني ؟! بل انا الغبية التي تصرفت بسخافة وقد اخبرت المحقق بهذا.. لقد وقعت وانا اتراجع بغير انتباه للخلف بينما كنا نتكلم انا ومنذر.."

شردت نظراتها واخذ قلبها يدق يدق وهي تتذكر وجه منذر بينما تقع على الدرج..

تذكرت تلك الومضات .. تذكرت ..

دموعها السخية وهي تتشبث بسترته حتى فقدت وعيها تماماً...

توردت وجنتاها بينما تسمع عمها يقول بنبرة حلوة " قبل ان ادخله يجب ان اخبرك بشيء وفي المقابل اريدك ان تخبريني بشيء .."

رمشت بعينيها وهي تداري على انفعالاتها بينما تقول بشقاوة لعمها

" لماذا اشعر انها لن تكون مقايضة عادلة ؟! "

ضحك العم مقهقهاً ثم يرد عليها " لاني اجيد عقد الصفقات الرابحة معظم الاحيان .."



ما زال اثر الضحكة عالقاً على فمه بينما يضيف ببساطة صادمة " منذر اخبرني انه يريد التقدم لخطبتك .."

شحبت هاجر وهي تحدق بعمها مصعوقة ...

لم تستوعب ما قاله .. وانتظرت لحظة .. لحظتين .. ثلاث اربع خمس ... انتظرت ان يصارحها في اي من هذه اللحظات انه يمزح ..

لكنه ... لم يكن ...

همست بتقطع " ماذا قلت .. عماه ؟!...."

فيرد طاهر وهو ينظر في عمق عينيها

" اجل ... لقد قالها لي صراحة عندما كانوا يُجرون لك الفحوصات الاضافية للدم .."

لهثت هاجر ورعب فظيع تملكها وهي تسأله بحشرجة " وماذا اخبرته انت .. اخبرني عمي باللّه عليك بماذا اخبرته ..؟"

لمعت عينا طاهر ليقول بفطنة

" اظنني لم أعد بحاجة لأي مقايضة لاني عرفت اجابة سؤالي .. وان كانت اجابة متوقعة ..."

رمشت هاجر وما زال لهاثها يتصاعد

" انا لا افهم ... ماذا تقصد ؟"

فيرد طاهر بنبرة هادئة وهو يضغط على كفها الذي ما زال يمسكه " انت لم تصارحي احدا حتى الآن ... بوضعك .. بمن فيهم منذر الطحان .."



اخذت تهز رأسها بشبه هستيرية وهي تختنق بالكلمات التي تخرج من فمها بشق الانفس

" لا .. لم اخبر احدا.. اني لم.. اعد.. فتاة .."

اخذ العرق يتصبب من جبينها فأمال طاهر جسده جانبا ليأخذ بعض المناديل من العلبة على المنضدة جواره بينما يهدئها بالقول

" خذي عدة انفاس عميقة واهدأي .. نحن نتناقش بنيتي .. فقط اهدأي وكوني هاجر القوية الذكية التي اعرفها .."

كان يمسح العرق عن جبينها ورقبتها بينما تطيعه هي تلقائيا لتأخذ عدة انفاس حتى تسيطر على نفسها وتهدأ ..

ليت هناك (انفاس عميقة) تشفي جروحها ايضا ... ليت هناك (انفاس عميقة) تواسي كرامتها المهدورة ...

قال طاهر بموضوعية بعد ان رآها تهدأ قليلا

" يجب ان نتكلم بهدوء وعقل حول هذا الموضوع .. والان ... قبل ان افتح باب هذه الغرفة .. لقد حان الوقت يا هاجر .. حان الوقت لتعلنيها .. "

سألت وهي تصارع لتتماسك

" اعلنها ؟ لاجل منذر و... طلبه ؟"

فرد طاهر بمواجهة صريحة معها

" بل لاجلك انت قبله .. كلما طال الوقت باخفاء الامر فالناس سيحيكون الاقاويل السيئة عنك عندما تنكشف الامور مستقبلا.. "

ثم توقف للحظة قبل ان يكمل " وهي ستنكشف مهما حاولتِ تأخيرها .."

عيناها هربتا منه .. اذلالا وقهراً ..

ها هي سكينتها الوقتية تنتهي مدتها لترحل وكأنها ما كانت ...

الى اين تمضين يا هاجر ... الى اين ستأخذك مراكب الحياة في بحر الدنيا الذي لا يرحم..

جاء صوت عمها رقيقاً مراعياً وهو يقول

" هاجر .. انت فتاة لامعة الذكاء .. اعلم انك ما زلت مجروحة للصميم .. لكن يجب ان تواجهي الامور .. انتِ اخطأتِ بحق نفسك ويجب ان تتحملي تبعات الخطأ لا ان تضيفي عليها المزيد من الاخطاء .. اذا لم تواجهي ما حصل فلن تتجاوزينه ابداً .. سيظل يتآكلك بالداخل لانك ترفضين وجوده .."

ما زالت تشعر بالخزي ان تواجه عمها فتهمس له بحرقة وعيناها تنظران بعيدا عنه

" عماه .. لم اشعر في حياتي بكل هذا الذل والهوان .. انه يقتلني.. هنا .. يمزقني اربا .."

كانت ترفع يدها الحرة لتؤشر على مكان قلبها بينما تقول "هنا .. هنا .."

شعرت باصابعه على ذقنها ليجعلها تنظر اليه وهو يقول بثقة واصرار " وانت اقوى من اي اذلال .. اقوى من اي ظرف .. يجب ان تواجهي الامر بدلا من الادعاء انه غير موجود .. لانه موجود .. اراه مشتعلا بالألم فيك .."

اسبلت اهدابها وكأنها تخفي اشتعال ألمها بينما يضيف طاهر بحزم هذه المرة

" منذر من حقه ان يعلم الوضع قبل ان .."

تقاطعه وهي تهمس بوجع وحيرة

" من قال اني ... سأرضى به .. انا .. معطوبة عماه .. رغم كل محاولاتي لابدو امام الاخرين اني كاملة ! حتى تماديت لأظهر بدور المهرج الذي يترنح من الألم خلف اصباغ وجهه المضحكة وانا اظن نفسي اني أؤدي دور النجومية في عرض مبهر ..."

وقف العم على قدميه قائلا " انا سعيد انك وصلت لمرحلة ادراك لما تقومين به وما تلعبينه من ادوار غير حقيقية امام الاخرين .. لا مزيد من الزيف والادعاء يا هاجر .. ان كنت لا تريدين اضاعة ما تبقى من حياتك فيجب ان تفيقي مما انت فيه .. "

ترك كفها وهو يضيف " فيما يخص طلب منذر .. في كل الاحوال .. سواء رضيتِ به ام لم ترضي .. هو يستحق ان يعلم من البداية يا هاجر .. ربما هي فرصتك لتعلني الامر .. ابدأيها به .. كوني شجاعة وافعليها .."

ابتلعت هاجر ريقها بصعوبة وقلبها يدوي في صدرها بينما يطمئنها عمها بابتسامة قبل ان يقول وهو يتحرك مبتعدا

" لاتخشي شيئا .. افعليها هاجر ولا تترددي .. سأخرج الآن وأناديه ليدخل .. انه ينتظر في الخارج منذ فترة طويلة ..."

لم تعرف كم مر من الوقت بينما تتشبث بهلع بطرفي السرير وهي تحدق في الباب المفتوح تنتظر دخول منذر ...

وكأن دهراً يمضي وهي تنتظر ما لا تريده ..

لا تريد مواجهته ...

اخذت تتمتم فجأة وطبعها العنيد يطل

" بل افعليها هاجر .. افعليها .. لا تجعليه ينتصر عليك ويظن انه وصمك لاخر حياتك بالخزي والعار .. افعليها هاجر واخبري منذر .. ستشعرين .. بالقوة .. اجل .. اجل .. القوة والتحرر .. وليحصل ما يحصل .."

فجاة أطل وجه منذر الضاحك وعيناه تغازلان عينيها وهو يقول بابتسامة مرهقة جذابة

" مرحباً ..."

انفاسها تتسارع .. تشعر البرودة تشل ردود افعالها .. تشعر انها تذوب .. تتلاشى .. تختفي بينما تعجز عن الرد على تحيته ..

يغلق الباب وهو يقترب منها منشرح الملامح وكأنه يتفهم حالتها و لا يبالي..

بل يهذر بمزاح محبب " كدت ان ادخل السجن بسببك .. تخيلي فرحة الاستاذ عبد الرازق بأمر كهذا .."

فاجأها هو يجلس باريحية جوارها على السرير يواجهها بنظراته الشقية فلم تجد الا تمتمة باهتة خجول " انا ... اسفة ..."

يحرك انامله على السرير قريبا من يدها المستريحة جوار جسدها ليسبل اهدابه وهو يهمس بحرارة " انا من يجب ان اعتذر ... لقد اوشكت ان .. افعل امرا خاطئا معك قرب الدرج .. لكن ماذا افعل ووهجك يفقدني صوابي واراني اقترب منك دون تفكير فاتجاوز الحدود بغباء .."

ثم يرفع نظراته اليها وهو يقول ببحة رجولية

" لم اقصد .. لمسك بقلة احترام يا هاجر .."

هربت من عينيه وهي تقول بمرارة " ليس.. ذنبك .. انا ربما اوحي للاخرين اني لا استحق الاحترام .."

اصابعه تجمدت قرب يدها ليسألها بنبرة بدت عادية في ظاهرها

" هل آلمك لهذه الدرجة ؟"

اهتاجت فجأة فالتفتت اليه تهدر فيه وهي توشك ان تجهش بالبكاء من فرط الانفعالات التي تنتابها دفعة واحدة ..

" انت لا يهمك ألمي .. انت فقط تريد ان .."

هذه المرة اصابعه ارتفعت في لحظة لتصل قرب شفتيها دون ان تمسهما فقط حركة واحدة منه تنهي هياج كلماتها بينما يهمس برقة " ششششش اهدأي .. انا اسف .."

تنحدر دمعة من عينها وصدرها يعلو ويهبط باضطراد بينما تلمع عيناه بشعور دافئ لايوصف جعل لسانها ينطق دون تحكم منها

" لعام كامل ... لاحقني... منذ رآني كان .. يلاحقني .. لم يجزع وانا ارفضه .. لم ييأس وانا لا ابادله اي .. عاطفة .. كان هجومياً لايبالي بالرفض ولا يعترف به .. كان يضحك كلما تساءلت عن سبب استمراره بملاحقتي ليكتفي بالقول (لانك طفلة لاتدرك اين مصلحتها) .. لكن .. لكن ..."

اخذت كلماتها تتلكأ اكثر ويال الغرابة لم يكن منذر يشعر بالغيرة مما تقوله !

ربما لانها كانت شديدة الوضوح انها لم تحمل لفرقد اي مشاعر وهذا يرضيه .. يرضيه الى درجة ضجت الدماء سعادة في عروقه ....

تواصل هاجر هذرها وهي تلهث .. وكأنها لا تجرؤ على التوقف الآن .. عيناها متسعتان ورغبة محمومة تطل منهما تخرج ما في جوفها حتى آخره .. " لم .. لم اشعر يوماً انه.. يفهمني... لم اشعر ان هناك ما يربطني به .. كنت احتاج شيئا اخر لا استطيع توصيفه .. وهو لم يفهم هذا .. ربما لاني انا ايضا لم افهم ما اريد .. كنت اشعره فحسب .. "

ينظر اليها ولا يصدق كل هذا الضعف الرقيق فيها .. هاجر فتاة غير عادية .. يا الهي .. هل سترضى به ليمنحها كل شيء .. كل ما تطلبه .. هل سيفهمها ؟

اغمضت عينيها بوجع لا يمكن ان تخفيه .. مزقت قلبه تمزيقا وهو يوشك ان يوقفها عن الكلام .. لا يريد ان تتألم اكثر من هذا .. اللعنة على هذا الألم الذي يعذبها وهو عاجز عن درئه عنها ...

همست بحشرجة بكاء والدموع تسيل على خديها " بعدها احتجت .. لمن يشاركني حياتي .. احتجت ان ..ان .... اقتل وحدتي .. لم استطع الاستمرار هكذا .. فرضيت بفرقد وليتني لم افعل .. ليتني... لم....... افعل .."

رفعت كفيها لوجهها تبكي كما لم يرَ في حياته امرأة تبكي .. جن وهو لا يستطيع ان يقربها .. جن ولم يعد يهمه ان يعرف كيف اذاها فرقد ... بكاؤها يعذبه .. يشقيه ..

وقف على قدميه وهو يدير ظهره لها يصارع هوى نفسه حتى لا يأخذها في احضانه بينما يهمس بعذاب

" كفى هاجر .. بالله عليك كفى .. فليذهب ذاك المجنون الى الجحيم.. لا اريد ان اعرف المزيد .."

صرخت بلوعة بين شهقات بكائها " الا تريد ان تعرف ... كيف اذاني ؟ الا تريد ان تعرف كيف حطم كرامتي وأذلني ....؟"

كان كل جسده ثائرا بالغضب ويداه

تتقبضان الى جانبيه بينما يسمع مزيدا من

لوعاتها " لقد .. لقد ...آآآه .. لا استطيع .. لا

استطيع ..."

وعادت لذاك البكاء الرهيب فتجلد منذر

وهو يتحرك بوجه متصلب وملامح عازمة

ليلتف حول السرير قريبا من المنضدة

الجانبية يأخذ حفنة مناديل ورقية ويجلس

على الكرسي الفارغ جوار السرير ثم يميل

نحوها يبعد كفيها باصرار عن وجهها ..

في البداية عاندته ورفضت بعنف وهي تصرخ

" لا .. لا .... لا ..."

لكن عاود بإصرار اكبر وعزيمة اقوى ليبعد

كفيها ببعض الخشونة وتتكرر محاولاتها

وهو ملتزم بالصمت .. حتى استسلمت اخيرا

ليكتم انفاسه وهو يتطلع لوجهها المحمر

وانفها المتورم من البكاء بينما تغمض عينيها

في رفض اخير ان تواجهه ...

اخذ يمسح وجهها وهو يقول بثبات " (لا) هي

كلمة انا سأقولها الآن يا هاجر .. (لا) .. لم

يعد يهمني ان اعرف .. و (لا) لستِ مضطرة

لهذه المعاناة حتى تؤذي نفسك بإخباري او

اخبار اي مخلوق تفاصيل تمس كرامتك ..

و(لا) ...لن اسمح لك ان تشعري بالذنب لانك

بلحظة ضعف ووحدة رضيت بالارتباط به

بينما الحقير يحقق انتقامه منك.. "



اخذت تهدأ شيئا فشيئا وهو يواصل تجفيف وجهها بالمناديل فيرمي ما تلف منها في سلة المهملات ليأخذ حفنة جديدة ويمسح خلف اذنيها ورقبتها حيث سالت دموعها الغزيرة هناك ..

فجأة همست بارتعاش اثار البكاء

" ماذا تـ..قصد ...ينتـ..قم ؟!"

رمى باقي المناديل في السلة بينما يتنهد ويستجمع ذاته ويقول " احيانا الرجال يتصرفون بحمق يا هاجر عندما ترفضهم امرأة يريدونها .. حصل لي هذا مع البنت التي كلمتك عنها سابقا .. هل تذكرين ؟ التي فضلت شاب تافه هجرها فيما بعد مع طفلتها .."

تمتمت هاجر وهي تفتح ببطء عينيها المنتفختيّ الاجفان " لكن .. انت .. قلت انك.. لم ترتبط بها... انا .. لا افهم .."

اخذ منذر يمسح على وجهه بكفه بينما يعترف " هذا صحيح لم ارتبط بها .. لكني اعترف اني اذيتها بكلام تافه قاس غاضب بدر مني امامها وفي غيابها ايضا .. لكني ابدا لم أكن سأصل لدرجة ان ارتبط بها لاعذبها وانتقم منها حتى لو سنحت لي الفرصة .. هذا محال ان افعله .. "

ظلت تنظر في عينيه نظرة غريبة لم يفهمها لتسأله بصوت هامس " لماذا تريد الزواج مني يا منذر ؟"

عندها فقط اشرق في قلبه شعاع شمس فيبتسم لها قائلا بصوت أجش

" سأرد .. بعد ان نتناول طعامنا سوية .. انا اتضور جوعاً ..."

ثم يقف على قدميه ويتحرك خطوة قبل ان يوقف الثانية ليسبل اهدابه قائلا " عديني هاجر .. لن نتكلم عنه .. مرة اخرى .. منذ الآن سنتكلم عنا نحن .. انا وانت فقط .. لا اريده بيننا ابدا .. صفحة وانطوت .. هل تفهميني يا هاجر ...؟ انطوت ...."

لم يكن ينظر اليها .. لم يستطع اظهار ضعفه وهو ينتظر الرد .. كان يشعر ان ردها سيكون مصيريا .. ويعتمد عليه الكثير..

واولها ... ثقتها به ...

" اعدك ..."

ارتعشت الابتسامة على شفتيه بينما يخطو بصمت مبتعدا عن سريرها وهو يقول بحلاوة

" سيكون عشاؤنا الاول ..."

نادته وهو يفتح الباب

" منذر ..."

التفت اليها والابتسامة الذائبة عالقة على فمه فعادت لتنظر اليه بغرابة بينما تقول

" لكني لم .. اوافق بعد .. للزواج منك.."

اتسعت ابتسامته والتمعت عيناه وهو يرد

" ومن قال غير هذا ؟!.."

مساء

بيت هيثم الجراح

دخل بملامح واجمة .. خطواته ثابتة دون ان تصدر صوتاً ...

مرت الخادمة ترحب به فسألها عن زوجته لتخبره انها في غرفة المعيشة الصغيرة..

اكمل هيثم طريقه وما زال الوجوم متلبداً على محياه كسحب سوداء ...

لم تمر لحظات حتى كان يقف بباب غرفة المعيشة المفضلة لديها تتدحرج على السجادة الفاخرة ومعها صقر الذي تجلجل ضحكاته...

نظرات هيثم تنساب على طول جسدها في الفستان البيتي القصير ...

فيفلت من عقله السؤال الجنوني

(هل يمكنه ان يستوعب (افتراضيا فقط) ان تكون شهرزاد ملكاً لغيره ؟)

هل تعلم ... لاول مرة في حياتي اتمنى ان أكون حلالا لرجل اخر غيرك.. وتذوق ما ذقته وانا اصبح ملكه

وكأنه يصب الزيت على النار وهو يتذكر كلماتها ليلة الامس ...

تخيلاته تزداد جنونا وهي توسع رقعتها داخله لتحتل مزيداً من افكاره وتكاد تلغي عقله...

شهرزاد بين ذراعي رجل ! يلامس خدها مُدلِللا اياها .. يستمع لكلماتها ونبرة صوتها ذات الترنيمة السحرية وهو يضم قدها الرقيق اليه.. ينظر لعينيها العميقتين البريئتين فيتلبسه هوس السعي لارضائها بل احضار كل الدنيا لاجلها ...ثم ... يحظى بكل قلبها بكلمة تنساب من بين شفتيها (احبك) فتعلق روحه بين حروفها ..

اللعنة على جمرات التخيل ....!

هتف دون شعوره " شهرزاد ..."

سقطت على جنبها وهي تحمل طفلها بين ذراعيها وشعرها الناعم يتناثر على وجهها ورأس صغيرها بينما تهمس بانفاس متقطعة

" هيثم ... افزعتني .. متى حضرت ..؟"

ابتسامة صغيرة شديدة البرود هو رده الاولي الصامت قبل ان يتحرك ببضع خطوات حتى يصل اليها ودون مقدمات ينحني ليأخذ الصغير منها ببعض الخشونة وهو يمنحها الرد المقتضب " قبل قليل ..."

قبّل رأس ولده واجفانه مسبلة ثم يهمس في اذنيه بما لم تستطع شهرزاد التقاطه ...

وقفت على قدميها الحافيتين والفستان البيتي يرفرف حول اعلى ساقيها لتمد ذراعيها تريد اخذ الصغير منه وهي تقول

" هل اطلب تحضير العشاء ؟"



فيحرك جسده جانبا ليبعد ولده عن مرمى يديها ثم يقول وهو يخطو متراجعاً للباب

" تعشيت في الخارج ..."

كان يشعر بنظراتها التي تلاحقه عندما التفت اليها يضيف وهو يقف عند باب غرفة المعيشة

" سآخذ هذا الصقر لنسبح سوياً ثم أسلمه لمربيته وأنام باكراً .."

نظر لوقفتها تلك ... بفستانها القصير وشعرها المبعثر حول وجهها لتطل نظرتها السحرية ..

وهو يراها هكذا... لاول مرة يشعر كم ان اسمها (شهرزاد) الاسطوري يليق بها ...

حقا انها ختام النساء لرجل عرف الكثيرات ثم يعرفها هي حتى عمق العمق فيرى نهايته فيها ومعها ...

رعدة تملكية انتابت هيثم وهو يفكر بقسوة.. من يلومه لما قد يفعله حتى تبقى له وملكه؟!

شفتاها انفرجتا قليلا في شبه ابتسامة متوددة بينما تسأله " تعشيت بمفردك ؟"

كان يعلم انه سؤال تقليدي لا تعني به شيئا كما يعلم انها تريد التواصل معه عبر فتح باب حوار لكنها يجب ان تعرف ان لانتقامها منه حدود ....

منحها ابتسامة ساخرة وهو يرد بجذل

" بل كانت بصحبتي امرأة فاتنة تؤنسني وتدللني..."

للحظة اتسعت عيناها بصدمة وتوترت شفتاها ثم ... جرح أطل من تلك العينين لكنه لم يبال ...

استدار حاملا ابنه لكنها نادته

" هيثم ... لحظة من فضلك "

عاود الالتفات اليها وهو يرد بهدوء " نعم ..."

هذه المرة هو من اتسعت عيناه بينما نظراته تلتهم تفاصيل حركاتها ..

كيف تتحرك اناملها لتعيد ترتيب شعرها ثم تتحرك ساقاها النحيلتان نحو خفيها لتدس فيهما قدميها ...

ارتجفت عضلة في خده ونبض قلبه بشدة بينما عقله يخبره انه مجرد رجل احمق يكاد ينهار امام مشهد اغراء محبوك من امرأته ..

اللعنة ... لا يعرف كيف تطور هذا الجزء الانثوي في شخصية شهرزاد .. لم تكن من النوع الذي يجيد الاغواء .. لكنها منذ عودتهما لبعض بل .. قبلها في فترة الطلاق .. وشهرزاد باتت تتقن الاغواء بعفوية منهكة لتحمله كرجل وموجعة لرغباته ..



فجأة رفعت عينيها اليه لتمنحه ابتسامة صغيرة وكأنها تدرك ما يحصل له وتستمتع به لتقول وهي تتقدم نحوه وعيناها في عينيه

" هناك امر اريد اخبارك به...."

وقبل ان يرد بأي شيء كانت تقف امامه ترفع قامتها على رؤوس اصابعها فتطبع قبلة على شفتيه وهي تهمس " انا ..اسفة ..."

سأل بصوت خافت خطير وولده يتململ على كتفه " لأي شيء تتأسفين ؟"

همست له وعيناها تبرقان

" اسفة لاني .. لن استطيع مشاركتكما السباحة !"

ما زالت ابتسامتها الصغيرة تلوح على شفتيها وهي تدعي البراءة بينما هو يشعر .. بالغباء!

واخيراً اضافت " تصبح على خير ..."

ثم غادرت تاركة اياه خلفها تموج في داخله رغبات مستعرة و...غضب بارد ...

اسطنبول ...

(**هل تعلمين لماذا اشتري لك السكاكر كل يوم ؟ ليس لانك تحبينها بل افعلها لاجلي .. كي ارى ما تتركه من اثر حمرة لامعة على شفتيك فاشتهي التهام مذاق السكر فيهما**)

صوت البحر الهائج يجد صداه في نفسه....

يمسك قطعة السكاكر الدائرية الملونة

من قصبتها البيضاء ويتلاعب بها بين اصابعه

يبرمها فتلف حول نفسها ... تلف وتلف تلف

فتزهو ألوانها وتبرز لمعتها ...

بينما هو يكتفي بالتحديق فيها ليرى فيها

بخياله التماع شفتين مستفزتين..

كم مرة صرعه الاحساس بشفتيّ هاجر بين

شفتيه وهو يتذوق طعم السكاكر فيهما؟

كل يوم كان يشتري لها السكاكر...

كل يوم كان يريدها ان تشعر لماذا هو حقاً

يفعل هذا ؟

كان يريدها ان تشعر بما يعانيه نحوها مع

كل قبلة ...

كان يريدها ان تنبض بنبض قلبه الذي

هواها.. ويتعذب كلما اشعرته ان لا قلبه ولا

هوى قلبه يعنيانها في شيء !

لقد فاخر نفسه انه منذ زواجهما لم ينطق

بكلمة حب واحدة .. لكنه في الواقع كان

يتمرغ ذلا في ذاك الحب وهي بعيدة ..

بعيدة جدا عنه ... تعيش مع نفسها فقط ..

احيانا كانت تحكي له عن ابيها .. امها ..

عمها .. ابنة عمها .. دوما كانت تحكي عن

عالمها .. لكنها ابدا لم تسمعه يحكي عن

عالمه ... اهله .. اخوته .. اخواته ...

هل كان هو الملوم لانه لم يفصح ؟

لم يطالبها بشيء ...؟!

بل اكتفى ان ينتزع منها احاسيس الاحتياج له ليرد بعض.... الكرامة لنفسه ...!

بمرور الايام اصبحت علاقتهما مريضة ..

طفيلية ... تسبب السقم له ... بمرور الايام ازداد كرهاً لوجوده معها ورغبته بالانتقام منها... و... رغبته الحارقة فيها وفي قلبها...

لم يشعر الا وهو يضع السكاكر في فمه ويغمض عينيه ومراكز التذوق في لسانه تلتقط طعم السكاكر فيقشعر جلده وتتحرك اصابعه حركات عنيفة وكأنه يلف أسواط النار حول تلك الاصابع ..

بعد عشرة ايام ...

مكتب الشاهين للحاسوب.. صباحاً

دخلت سمارا لمكتبه وهي تناظره بعبوس لتسأله مباشرة " ماذا يحدث يا شاهين ؟ منذ مكالمة البنك لك البارحة وانت تبدو على غير طبيعتك .."

فتح فمه ليرد لتسبقه سمارا باضافة المزيد وهي تحذره بنبرة حازمة " اياك والكذب وسياسة الاخفاء .. لن اخرج من هنا حتى تطلعني .. هل هناك مشكلة؟"

تململ شاهين في كرسيه بينما ينظر لوقفة سمارا المتحفزة ليرد وهو يتصنع اللامبالاة



والنزق " ألن تكفي عن اسلوبك التعسفي هذا؟! كم مرة قلت لك اني اكره هذا .."

زفرت سمارا وهي تقترب منه لتتبع اسلوبا مغايراً " اخبرني شاهين .. لاتراوغ باللّه عليك.."

تلاشت ملامح النزق وتصنع الحنق ليقول ببساطة " البنك تراجع عن امهالنا بالتسديد للدفعة الجديدة ويخيرنا بين الدفع نهاية الشهر او .. الحجز.."

ارتفع حاجبا سمارا وهي تردد بعجب " لكن لماذا ؟! لقد وافقوا بالبداية فلماذا التراجع الآن ..؟!"

اخذ شاهين يمرر اصابعه في شعره فيزيد من تشعثه الطبيعي بينما يقول بحيرة " ليس لدي اي فكرة يا سمارا .. لا اعلم ما اسبوع النحس هذا .. خسرنا صفقة جيدة منذ ايام ثم هذه الكارثة مع البنك .."

ردت سمارا وهي تخفي قلقها باحكام

" سنتصرف .. انا وانت سنذهب غدا ونقابل مدير البنك ونقنعه .."

الجمرة الخامسة

شقة طاهر الاحمدي .. غرفة الضيوف

عصراً...

لولو الصغيرة تدخل تحت الطاولة البيضاوية وقد جمعت في حجرها الاوراق العطرية التي كانت داخل اناء مقعر زجاجي انيق فوق الطاولة فتدعكهم بيديها ثم تنثرهم ببهجة فوق رأسها ...

بينما رافد وغالية منشغلان عنها وقد انتابت غالية احدى نوبات الغثيان فيأخذها رافد حتى النوافذ ليفتح احداها قائلا

" سنفتح الشباك وتستنشقي بعض الهواء .. الخالة حياة قالت ستعد لك شراب الينسون حالما تنهي بعض الامور التي تخص ابنتها .. الشراب سيريح معدتك .."

يقرب جسد غالية من مصدر الهواء ثم يقف خلفها يسندها وهو يحثها بالقول

" خذي نفساً عميقاً .. اجل هكذا .. نفساً آخر اعمق غالية .. واطلقيه ببطء .."

كانت تستجيب له تلقائيا وتفعل ما يطلبه وشيئا فشيئا عاد بعض الدم لوجهها الشاحب فيبتسم رافد قائلا ببعض الارتياح

" هل تشعرين بتحسن الآن ؟ "

كانت دائخة قليلا الآن فتستند برأسها للخلف على كتفه وهي تقول له باسمة

" نعم افضل .. اظننا اثقلنا على الخالة حياة وهي تحاول العناية بابنتها.. كان يجب ان اطيعك ولا أصر على زيارة سهر والاطمئنان عليها .. "

احدى يديه تسللت بارتعاش لبطنها وهو يقول بصوت أجش " عنيدة ومتعبة منذ طفولتك.."

تضحك بخفة بينما قلبها يرتعش لارتعاش يده فوق بطنها ..

لقد اعتادت ارتعاشه هذا كلما لامس بطنها ..

انه .. لا يصدق ..

يجن ولا يصدق انها تحمل طفله ..

لا يصدق انه بات جزءا من حياتها وروحها وحتى جسدها وقد التحم جزء منه بها ليتكون هذا الجنين في احشائها ...

جاء صوته هادرا برغبة محمومة عطشى لالتحام اقوى وارتباط غير عادي بها

" ليتني كنتُ طفلا انمو في احشائك .."

ارتج قلبها هياما به .. دوماً يهزها بارتباطه بها بهذه الطريقة الموجعة ... تضع يدها فوق يده التي تلامس بطنها لتهمس من اعماق اعماقها

" وليتني لم تعرف حواسي وفطرتي الا ايّاك... ليتك كنت ابي يا رافد.. ابي واخي بل حتى امي وكل صلة رحم لي .. "

يديرها اليه ليهمس بصوت اجش

" لكني كذلك .. "

ثم يبتسم بشقاوة مضيفا " لقد حصلت عليّ كحزمة عائلية كاملة ... هدية ولادتك..."

الاثنان غافلان عمن تقف خلف باب الغرفة الموارب ...

تتشبث هاجر بالصينية تمنع بشق الانفس ارتجاجها بين يديها المرتعشتين ...

منذ ساعة وهي تحتجز نفسها في غرفتها المعدة بشقة عمها ..

كانت تشغل نفسها بكتاب كعادتها كلما علمت بحضور ياسر لزيارة زوجته ...

لم تكن تحتمله كما انه لا يحتملها ...

النفور متبادل ...

ثم فجأة دخلت عليها الخالة حياة وهي تتميز غيظا وتصف ياسر بالجلف قليل الذوق لانه لم يخبرها بحضور ضيوف معه وهي غير مستعدة لاستقبال احد خاصة وان الخادمة لا تحضر اليوم ...

فما كان من هاجر الا محاولة تهدئتها وعرضت بعفوية ان تساعدها ..

بدت الخالة حياة محرجة منها لتقول لها بعفوية غير مقصودة

" لكنك ضيفة ايضا يا هاجر وما زلتِ لم تتعافي بالكامل .. يفترض ان نراعيك لا ان نطلب منك اكرام ضيوفنا ومراعاتهم .."

كلمة واحدة قالتها الخالة حياة (ضيفة) جعلت الابتسامة تتجمد على فم هاجر ..

غصة خانقة تجاهلتها هاجر بشجاعة وعناد لتتسع ابتسامتها عن عمد وهي تقول

" لا تقولي هذا خالتي .. افضالك عليّ كثيرة ويجب ان اساعدك بظرف كهذا .. الآن اخبريني بما يجب ان افعله ؟ هل اعد الشاي او القهوة .."

انفرجت اسارير الخالة حياة و هي تتنهد براحة وتقول لها

" شكرا عزيزتي .. انا يجب ان أعد بعض الحلوى للضيوف لكني احتاجك اولا ان تعدي شراب الينسون لغالية .. انها مع زوجها وابنتها في غرفة الضيوف .. المسكينة تعاني من غثيان الحمل .."

كانت الخالة حياة ما تزال تهذر وهي تسحب هاجر من يدها ناحية المطبخ ..

بينما هاجر كانت في حالة تشتت وصدمة ..

واستمر هذا التشتت وهي تعد بإتقان شراب الينسون لغالية ...

لقد كانت حقا قوية وهي تحمل الشراب في الكأس الزجاجي الانيق فوق صينية صغيرة فضية مزخرفة الحواف ...

الرائحة العطرة والبخار تنبعثان من الشراب فتمنحانها بطريقة ما استرخاء او ربما دعماً لتصمد..

وعند باب غرفة الضيوف الموارب رأتهما ..

عيناها مباشرة التقطتا يده....

يده ترتعش فوق بطن زوجته ... وصوته يرتعش بعشقه الفريد من نوعه ...

(اه .. ليتني كنت طفلا انمو في احشائك..)

هل هناك تعبير كهذا يمكن ان يقوله رجل لامرأة ؟!

اي طريقة عشق هذه ليتمنى ان يكون جزءا منها بهذا القرب المتفرد ...؟!

بهذا الحنين العاصف ليتشارك نبض حياة معها...

تشوشت للحظات طوال حتى لم تعد تسمع ما يقولانه لبعض ... كانت فقط تقف هناك مسمّرة تفكر بحياتها هي ...

دوماً حاربت لتحصل على ما تحتاجه ..

دوماً واجهت بمفردها كل الظروف .. اخطأت كثيرا ووقعت اكثر لكنها تنهض في كل مرة وتتعكز على ارادتها ..

اجل .. ارادتها ... عكازها الذي لا ينكسر..

شمخت بذقنها ورسمت ابتسامة على وجهها بينما تتقدم بخطى ثابتة وهي تسمع الجملة الاخيرة من رافد



" لقد حصلتِ عليّ كحزمة عائلية كاملة ... هدية ولادتك..."

لم تهتز ابتسامتها كما كان قلبها يهتز بينما تلقي التحية ببشاشة " مساء الخير ..."

مباشرة اعتدلت غالية في وقفتها المستندة لرافد بينما يرد رافد تحيتها وهي يحدق فيها يضيق عينيه بتردد قائلا

" مساء الخير .. هاجر ؟!"

بدا واضحا ان غالية لم تتعرف عليها في البداية حتى قالها رافد ليتجمد محياها وهي تمعن النظر في هاجر التي ردت على تساؤل رافد العفوي قائلة بنفس البشاشة التي ألقت بها التحية " بشحمها ولحمها ..."

بدا الاثنان متوتران امامها ونزعة حماية أطلت من عيني رافد وهو يلف ذراعه حول زوجته بينما تتقدم هاجر بثبات ناحية غالية وهي تقول لها " مرحباً غالية ... ربما لم نتعرف سابقاً .. انا هاجر ابنة عم سهر .. خالتي حياة ارسلت لك هذا الينسون ليريح معدتك قليلا"

هدوء غالية وسرعة تماسكها اثارا اعجاب هاجر رغماً عنها

" مرحباً هاجر ... شكرا لك ولها ..."

بعد ان اخذت غالية الكأس وضعت هاجر الصينية على الطاولة القريبة بينما تقول لرافد باسلوب مجامل متقن

" كيف حالك رافد وكيف حال عملكم بالمطعم؟"

تنظر في عينيه فيغور قلبها في صدرها وكأنه يتساقط كنجوم ذابلة ..

يرد عليها وهو يلتفت لزوجته كأنه يطمئن لشربها الينسون قائلا

" بخير الحمد للّه ... اسف لم اتعرف عليك لوهلة .."

لم يمنح هاجر نظرة بينما يركز بكل اهتمامه لزوجته التي ترتشف بصمت من كأسها لتقول هاجر بنوع من المرح وهي تقاوم شعورها بالضآلة

" اجل .. هي قصة الشعر واللون المختلف.."

لتزداد ضآلتها ورافد لا يرد بشيء على كلماتها السخيفة بينما يوجه كلامه لغالية يسألها بهدوء " هل نغادر الآن ..؟ "

فتنتقل نظرات هاجر لغالية التي ترد على زوجها بالقول الهادئ

" لا بأس لننتظر ياسر حتى يأتي ونسلم عليه قبل خروجنا .."

فيكون رد رافد حازماً وهو يأخذ من يدها كأس الينسون الذي لم ترتشف منه الا القليل فيتحرك ليضعه في الصينية على الطاولة قائلا " لا .. لن ننتظره .. دعيه يأخذ كل وقته ليرفع ضغط المسكينة سهر بفظاظته "

كان يمزح رغم حزمه وغريزيا تشعر هاجر بالرفض لوجودها فتتراجع خطوتين للخلف تلملم شجاعتها وثباتها لتنتصر على الاقل في مواجهة غير متكافئة كهذه ..

كانت غالية تعترض " لكن ..."

بينما زوجها يتصرف فعليا وهو يسحب الطفلة التي لم تتجاوز الثلاث سنوات من تحت الطاولة قائلا " تعالي لولو .. اولا نخفي اثار جرائمك ثم نرحل سريعاً قبل ان يكتشفوا فعلتنا .."

يلملم الاوراق المبعثرة ويعيدها للاناء المقعر فوق الطاولة بينما تتعلق الطفلة برقبته وهي تحرك حاجبيها بطريقة مضحكة وتناديه

" داداا..."

يضحك رغماً عنه ثم يقف معها وهو يلثمها بقبلاته هامساً " يا روح دادا ..."

ويلتفت اخيرا لزوجته يمد كفه ليحاوط كفها ويسحبها اليه قائلا

" هيا غالية .. لنسلم على الخالة حياة ثم نغادر مباشرة .."

كانت هاجر تجاهد حتى لا تتلعثم بالكلام وهي تقول بصمود

" سأنادي ..الخالة حياة ..."

رد رافد بمجاملة " نكون شاكرين لك .."

أحنت هاجر رأسها قليلا وهي تقول بصوت خرج بشق الانفس " بالاذن .. اراكم بخير .."



ثم تحركت مغادرة توليهم ظهرها وتودعهم الى الابد ...

هطلت دمعة على خدها فمسحتها هاجر ثم همست تطبطب على روحها بابتسامة شجن

" لا بأس يا طفلتي .. كنتِ شجاعة وقوية رغم كل شيء .. هكذا اريدكِ .. لنواصل المشوار .."

غرفة سهر القديمة

هدر ياسر بصوت كالرعد المخيف

" لماذا لم تخبريني ان هاجر هنا ! اللعنة ..."

مستلقية سهر على ظهرها تناظر السقف وهي تقول بحنق وغيظ " وهل لديك وقت لتسمع اخباري انا حتى اخبرك عن غيري ؟! كلما كلمتك عبر الهاتف تقول لي (كفي عن دلالك طوال النهار فلدي عمل اهم) .."

اخذ ياسر يبحث عن هاتفه بينما يتمتم بـ(رعده المخيف)" اللعنة... يجب ان انزل لرافد قبل ان تحصل مشكلة .."

هدرت به سهر وقد فاض كيلها

" وماذا ستفعل هاجر لرافد ؟ هل ستأكله ؟! ام ربما ستلتهم زوجته وتمصمص عظامها ؟! "

كان يشتم وهو ينحني ليلتقط هاتفه الذي وجده ملق على الارض ثم صرخ فيها

" اغلقي فمك يا سهر ..."

فجأة رن هاتفه ليزفر ياسر بعنف وهو يحدق في شاشة الهاتف ويفتح الخط قائلا بتوتر

" رافد .. كنت سأنزل اليك للتو .. هل غادرت حقاً ؟ حسن فعلت .."

يصمت لحظة ثم يرد بضيق " انا لم اكن اعرف بوجود هاجر .. حسن لا بأس .. اراك بعد ساعة في المطعم .. هل غالية بخير ؟ حسن الحمد للّه .. الى اللقاء .."

حالما اغلق الخط رفعت سهر جذعها قليلا وهي تقول بغيظ متفاقم " ما شاء اللّه ... ما شاء اللّه.. انت تجيد الاطمئنان على النساء الحوامل كما ارى .. اذن سجل في بيانات معلوماتك اني حامل بشهري السابع وهذا حملي الاول .. ولا تنسى ان تسجل انك والد المتعوسة.. قليلة الحظ كأمها... الفيلة الصغيرة التي تكبر بشكل مرعب في احشائي .."

تطلع اليها يناظر بطنها الكبيرة ورغماً عنه يشفق عليها من حملها الثقيل ...

يتقدم نحوها ليجلس جوارها على السرير بينما يقول باسلوبه الفظ رغم ابتسامته الواسعة

" الن تكفي عن حشر نفسك في كل موضوع واستغلال اي موقف لتعبري عن معاناتك الابدية وكأن لا امرأة حملت وانجبت قبلك؟ "

زفرت سهر انفاسها وكأنها ثور هائج يوشك على قتل احدهم لترمي بنفسها فوق صدره وهي ترفع ذراعه بخشونة لتجبره على محاوطة جذعها قائلة بنبرة تهديد مضحكة

" احتضني ياسر بصمت تام والا اقسم باللّه سأصرخ واتهمك .. اتهمك باغتصابي ببطني المتضخمة هذه..! "

ينفجر ضاحكاً بينما يحاوطها بكلتيّ ذراعيه يعتصرها فتهدر فيه موبخة

" آه ليس هكذا.. حسبي اللّه عليك من رجل لا يُعاشر ولا يعرف كيف يعامل النساء الحوامل برقة!"

اصابعه تحفر في ظهرها غير مبال بتأوهاتها المتوجعة ثم يقول بمشاكسة

" اصبحت تتكلمين كالخالة أم سعد .. يا خسارة لقب (الوردية) فيكِ .."

فترد عليه بحنق

" وهل ابقيت للـ(وردية) لوناً يا فظ القلب والاحساس .. مؤكد بتّ اتكلم مثل الخالة ام سعد .. فمصيبتنا واحدة.. هي ابتليت باختك المجنونة وانا ابتليتُ بك.."

يكاد يغمى عليه من الضحك بينما يوجعها اكثر باحتضانه القاسي هامساً بخشونة عند اذنها " اشتقت لصوت طقطقة عظامك يا مدللة ابيك.. "

اخر الليل ...

كان قد ثبت هاتفه امامه على مرآة منضدة الزينة الخاصة بغرفته بينما يمشط شعره الرطب من اثر الحمام ..

الرنين استمر لبضع ثوان قبل ان تفتح هاجر معه المكالمة من احدى تطبيقات الهواتف الذكية للاتصال المصور فتراه وهو يمشط شعره الكثيف فتقول بابتسامة

" يبدو انك اخذت حماماً للتو .."

يناظرها بعينيه اللامعتين بالمرح وهو يضع فرشاة الشعر جانباً ويلتقط هاتفه بيده ويتحرك نحو سريره وهو يقول بخفة

" اجل ... اليوم كان حاراً بعض الشيء رغم دخولنا فصل الخريف .."

قالت بعفوية " انا احب فصل الخريف .."

استلقى على سريره وهو يناظر صورتها امامه فيرفع اصبعه يلامس مكان شعرها البني المحمر قائلا بصوت أجش

" وانا أحب من يحبون فصل الخريف .."

اسبلت هاجر اهدابها ولم ترد بينما قلبها يتدغدغ لتلك المداعبة ..

فيضيف منذر بنفس النبرة

" هل اخبرتك سابقاً انك من اجمل النساء اللواتي التقيت بهن في حياتي .."

هزت رأسها وهي تتمتم بـ"لا"

ثم ترفع نظراتها مرة اخرى وتنظر اليه ..

لاول مرة تنظر اليه كرجل جذاب !

عيناه الرماديتان جميلتان و مؤثرتان .. ملامحه رجولية فيها وسامة جذابة .. خصلات شعره الرطبة تناثرت على جبينه فمنحته جاذبية مضاعفة ..

لا تعرف ما اعتراها في تلك اللحظة لتتخيل ان منذر ... يقبلها ... يقبل شفتيها !

نظراتها رغماً عنها تركزت على شفتيه ..

تفاعلت دواخلها اكثر وهي تتمادى دون شعورها بتلك التخيلات فتراه يضمها بين ذراعيه بعنف ويقبلها بجنون ...

رغم الحياء المتوهج في داخلها والحرارة التي شعت من خديها الا انها في داخلها تشعر بحاجة عجيبة للشعور بهذا ..

هل جسدها المحروم من يطلب هذا ام هي مشاعرها الاشد حرماناً ؟

هل ترتكب نفس الخطأ وتخلط بين الاثنين ؟

ام ربما ببساطة هي ما زالت نفس الفتاة الرومانسية التي تحلم برجل يفقد صوابه لاجلها فيمنحها روحه لتحتضن روحها ..

" لماذا تحدقين في فمي !.."

صوته الاجش بالسؤال الصريح جعلها تغرق بالخجل لكنها تتمالك نفسها لترد



" كنت انتظرك تتكلم اكثر .. احب سماعك تتكلم .."

لم تكن تكذب في هذا ..

لاكثر من عشرة ايام ومنذر رفيق هاتفها ..

كانت تجربة جديدة لها ان تسمع وهي تلتزم الصمت ... فقط تنصت لما يقوله دون رغبة منها ان تقول شيئا عن نفسها ...

لم تشعر للحظة برغبة ان تحكي عن عائلتها.. عن ماضيها .. عن تفاصيل اشخاص مروا بها..

وقد كانت نتائج التجربة فوق توقعها ...

اكتشفت خلالها جانباً في منذر لم تفطن اليه سابقا خلال معرفتها به عبر الشهور القليلة الماضية ...

انه شعور الامان والأنس والرغبة بالانتماء...

عندما يتكلم تشعر انها تنتقل معه لمكان غير مرئي .. يكون لهما وحدهما ...

وكأنه يمد يده اليها ويسحبها معه بخفة لتدخل عالمه ...

وكم أحبت عالمه .. احبت والديه وقصص منذر المستمرة عنهما .. بل باتت تعرف نقارهما اليومي ومواقفهما الطريفة نحو بعض ..

لقد جعلها تشعر ان بامكانها ان تشيخ جواره باطمئنان ورضا .. يتناقران ويتحادثان هكذا حتى اخر العمر .. كوالديه بالضبط ..

لا تعرف ان كانت حقاً تقع في غرام منذر كما هو واقع تماماً في غرامها ..

لكن وجوده المميز هذا منحها راحة تنشدها.. منحها اطمئناناً ...

ربما لولا وجوده لما كانت احتملت لقاء رافد وغالية اليوم ...

لما استطاعت مواجهة الموقف بشجاعة ...

رغم انها لم تذكر منذر خلال الحدث الا ان تأثيره الداعم في داخلها كان موجود ..

اليس هذا حقاً ما تحتاجه ؟

ألم تتعلق برافد لانه كان مختلفاً عن كل الرجال الذين لاحقوها ؟ ألم تكن جائعة لتحصل على حنانه الفطري واحتوائه الرجولي الذي استشعرته منه منذ لقائها الاول به ؟

حدقت في عيني منذر عبر الشاشة الصغيرة فتراه كيف ينظر اليها باكتفاء عجيب وشوق لاهب لا يخفيه ..

شفتاه انفرجتا وكأنه يتأوه بلوعة تمس القلب.. فقال لها فجأة بصوت مبحوح

" متى ستعودين للعمل ...؟"

ارتبكت بخجل عفوي وهي تشعر ان نبرة صوته وسؤاله تحملان معان عاطفية بحتة شعور بالخشية والرهبة اختلط بهذا الخجل

لترد عليه بتلعثم " بعد ..بضعة ايام ..
بداية.. الاسبوع الجديد .."

ثم يباغتها بسؤال اكثر صراحة وحرارة

" ألم تشتاقي لي ؟"

لم تعرف لِمَ اطلقت ضحكة رقيقة مرتجفة ربما لتخفف من انفعالها لما يحدث فيغلبها طبعها الجريء

" وان كنت اشتاق فماذا ستفعل؟ "

عاد اصبعه ليلامس موضع شعرها واستدارة وجهها وهو يقول بنبرة تفيض بالشوق والشكوى

" انه بيدك وحدك يا هاجر .. انا مكبل وبيدك ان تطلقي سراحي لـ(افعل) ... لقد اتفقنا اليس كذلك ؟ عندما تكونين مستعدة فقط اخبريني وسأكون خلال نصف ساعة مع والديّ عند باب بيت عمك ..."

للحظة انعصر قلبها ... لتقول اول ما خطر ببالها " سأعود لشقتي خلال ايام ..."

صمت ولم يرد ...

عبست قليلاً وهي تسأله

" منذر .. هل سمعت ما قلته لك ؟"

بدا هادئ الملامح وهو يقول بنوع من المرح

" لماذا .. لاتبقين اكثر في بيت عمك ؟ هل تضايقك ابنة عمك المدللة؟ "

ردت هاجر تحاول ايصال مشاعرها له

" سهر لن تتغير .. الدلال بطبيعتها وجذبها للاهتمام ممن حولها امر عفوي فيها .. هي لاتضايقني اطلاقا عن عمد .. لا احد هنا يريد مضايقتي .. على العكس .. لكني .. لا انتمي لهنا يا منذر .. لا اشعر اني اكثر من ضيفة مرحب بها دائماً لكني سأظل ضيفة .."

صمت مرة اخرى وكأنه يحاول ايجاد مخرج ما ليقول لها اخيرا ببعض الحذر

" رغم اني اتفهمك تماماً لكن ..."

قاطعته وهي تشعر ببعض التوتر قائلة

" لكن ماذا منذر ..؟ انا اعلم ان سكني بمفردي لا يريحك .. لكنك أكدت لي مرارا انك لا تهتم .. ما دام الامر يريحني ويحفظ كرامتي .. ألم تقل ان المهم .. أنا..؟"

تنهد مستسلماً لشعوره الجارف نحوها فيهمس

" هذا صحيح .. انت فقط .. لقد جننتيني يا (انت) .. وباتت والدتي تنظر الي نظرات ارتياب خاصة عندما ابدأ الغناء دون سابق انذار.. "

قلبها يخفق في صدرها لتطرق برأسها قليلا تخفي انفعالاتها وهي تسأله

" انت لم تخبر والديك حتى اللحظة صح ؟"

يؤكد لها بالقول مخفياً ضيقه الفجائي من هذا الموضوع

" كم مرة قلت لك لا تقلقي .. انا وعدتك

اني لن استعجلك وافرض عليك الامور ..

حتى اوصيت اخي حازم ان لايفتح فمه

بكلمة امامهما ولا امام زوجته .."

ترفع نظراتها الى شاشة الهاتف تحدق فيه

وشعور بالذنب يوترها اكثر ...

ستخبره في الوقت المناسب .. ليس الآن ..

اخذت تتلعثم بعض الشيء وهي تعتذر

" انا اسفة .. اذا كنت ألح بموضوع عدم اخبار

والديك .. لكن الامر مهم لي ... "

ظل ينظر اليها ويستغرب شعوراً داخلياً نحوها ..

ليس شعور وانما حدس باهت صغير جدا يومض

احياناً داخله ولا يستطيع تفسيره ..

ربما لانه يراها مرتبكة بعض الشيء منذ

حادث سقوطها على الدرج ..

الحادث افادهما معاً .. قربهما لبعض كثيراً

وكأن كان مفتاح مكاشفة بينهما واتخاذ

قرارات حاسمة في علاقتهما ..

لكنها حتى اللحظة تبدو وكأنها تضع

الحواجز عن عمد واصرار ...

متوترة احيانا وشاردة احيان اخر ..

غامضة معظم الاحيان ..

يريدها ان تسترخي تماما وتدع مشاعرها

تستسلم له وتطمئن اليه .. بدلا من هذا التوتر

والتوجس ...

ربما هي خائفة .. خائفة ان تسلمه قلبها المخفي الغامض ... آه من قلبها الغامض لو ملكه يوم وملك كل اسراره ..

اندفع بالقول ببعض التهور

" لا تأسفي هاجر ... وبدل الاسف جربي ان ..."

اوقف تهوره في اللحظة الاخيرة ..

كان يريد ان يقول (جربي ان تسلميني قلبك) لكنه تراجع ... الوقت مبكر جدا لهذا ...

تمتمت هاجر بغير فهم " ان ماذا ؟"

تنهد وهو يرد عليها بصوت مبحوح

" لا .. لا عليك .. كل شيء في وقته .."

ثم يضيف بانفعال عاطفي

" المهم انك ستعودين الشركة بداية الاسبوع .. لم اعد احتمل اكثر وعمك اصر ان يأخذ وعدا مني اني لن احاول رؤيتك واللقاء بك خارج محيط العمل .. الحمد للّه انه لم يمانع ان اكلمك بالهاتف .."

فاجأته ردة فعلها وقد بدا واضحا انها قلقة وهي تسأله

" هل تتحدث مع عمي طاهر .. عني ..؟ "

عبس منذر قليلا وهو يرد سؤالها بسؤال

" ما الذي يقلقك هاجر ؟"

فكان ردها مراوغ بعض الشيء

" لا شيء .. لكن عمي احيانا يبالغ بحمايتي "

عندها صارحها منذر بالقول

" في الواقع عمك بدا غريبا وكأنه متحفظ على ارتباطي بك .. احيانا اشعر انه يريد ان يسألني عن أمر ويتراجع في اخر لحظة .."

للحظة صمتت قبل ان ترد بنبرة وجدها غريبة بعض الشيء

" انه فقط يريدني ان أتخذ القرار الصحيح هذه المرة ... وان لا اكرر غلطة التسرع السابقة في موضوع الزواج..."

ثم عضت شفتها السفلى وهي تهمس باعتذار

" اسفة نسيت اني وعدتك ان لا نذكره .."

عيناه تعلقتا بحركة عض شفتها تلك فيبتسم تلقائيا وهو يقول " لا بأس .. ليس لهذه الدرجة .. يمكنك التعبير عن هذا ..."

ثم يضيف بحلاوة " لكن هذا فقط .."

اسبلت اهدابها وهي تبتسم بينما اعتدل في استلقائه على السرير لينام على جنبه ويتكأ برأسه على كفه يناديها " هاجر ...."

لا ترفع نظراتها اليه بل تكتفي بالابتسام وهي تطلق صوتاً كرد مبهم لندائه

" ممممممم..."

يناديها بألحاح عاطفي " هاجر ..."

عندها رفعت نظراتها اليه تمنحها ابتسامة خلبت لبّه لتقول " ماذا ؟! "

هدر بانفاسه الصاخبة

" اللعنة ... اشتقت لك جدا ..."

عندها اطلقت ضحكات رنانة لو قضى عمره كله يسمعها فلن يمل ...

يشعرها ضحكة حقيقية تعبر عن رغبة عميقة في ان تكون سعيدة ...

بعد قليل اغلق الهاتف معها واسترخى تماما على ظهره فوق السرير مغمضا عينيه والابتسامة الجذلى تداعب فمه ...

انها .. حساسة جدا رغم قوتها التي تعجبه وجرأتها التي تخطف انفاسه ..

تنجذب اليه بعفوية لكنها تخجل من انجذابها ذاك وترتبك ...فتتراجع ..

توترت ملامحه وهو يتخيل فتاة مفعمة بالوهج البراق كهاجر تتعرض للاضطهاد من ذاك المجنون ...

فاجأته خيالاته وهي تعذبه بصور لهاجر وهي تتعرض للاهانات مرارا وتكرارا ..

اهانات في العلن وامام زملائهما واخرى في الخفاء ربما كانت اسوأ مم في العلن ...

تجهمت ملامح منذر وهو يفتح عينيه بغتة ..

صدره يعلو ويهبط بغضب يستعر وافكاره تأخذه لما يتجاوز الاهانات اللفظية ...

فيفكر وعيناه تتسعان ان فرقد الشيخ ربما ... ضربها ..!؟

اجل .. يا الهي ... استقام منذر بجذعه وهو يربط الامور اكثر في عقله ...

عندما رآى هاجر في حفل مؤسسة الجراح كانت شبه محطمة .. بدت كانسانة تعرضت لسوء معاملة جسدية ونفسية ..

اتسعت عينا منذر وهو يتذكر نفورها المبالغ فيه من اللمس ...

انه ليس رفض اخلاقي وانما نفور نفسي واضح...

يا الهي ... مؤكد هذا ما حصل ..

هذا ما اودى بارتباطها بفرقد الى النهاية ...

هبّ منذر على قدميه وهو يتحرك في غرفته ذهابا وايابا ويكاد يجن وهو يهدر

" المجنون هل ابرحها ضرباً ؟! يا الهي .. كل الامور توضحت الآن .. هذا ما يود عمها طاهر مكالمتي حوله ويتردد .. يا رب السموات .. هاجر ... تلك الفتاة الحيوية الفخورة الواثقة .. فتاة مثلها تتعرض لكل هذا ؟! "

وجهها الشاحب البياض يتلألأ بمخيلته فتتقبض يدا منذر وانفاسه تضيق بصدره بينما يتمتم من بين اسنانه المطبقة

" لو لم تكن في تركيا الان ايها الحقير لكنت أريتك كيف تشعر النساء وهن يتعرضن لعنف يفوق قدرتهن على صده .."

كانت ما زالت تنظر لشاشة الهاتف المطفأة

وهي تفكر بمنذر ...

لن تدعي ان الامور باتت واضحة امامه ..

لكن ...

صوت خبيث قطع عليها خيالاتها وافكارها

ساخرا منها بالقول (كيف تريدينها واضحة

وانت لم تكوني واضحة حتى اللحظة معه)

عاندت الوسواس لتتمتم بتشبث وعناد

" سأخبره في الوقت المناسب .. منذر لن يهمه

الامر .. هو يريدني انا .. يريد ان يمنحني

فرصة لحياة طبيعية .. وانا .. انا ..."

ظلت تردد كلمة (انا .. انا ...) وهي ذاهلة !

ومن عمق ذهولها همست

" وانا ماذا سأقدم ... له ؟! ماذا سأعطي منذر ؟"

(لا اعلم ايهما اشد انانيتك ام غباؤك ؟)

هذا ما قاله لها فرقد وهو يطلقها ..

هل هي انانية حقاً ؟ هل هذا ما كان يحدث

مع فرقد وجعله يتركها ؟

ام .. هو ... كان ينتقم منها لرفضها اياه لعام

كامل فصمم ان ينالها ليتركها ذليلة

مكسورة ..؟

تركت هاتفها على السرير حيث كانت تجلس

بينما تسرح بعيدا في ذكريات الشجار

المستمر بين والديها ..

(" انت لا تتوقف عن الطلب وتوجيه الاوامر كأي رجل مغرور لا يهتم الا برغباته ..! اريدك ان تفعلي هذا .. اريدك ان تفعلي ذاك .. وماذا عما اريدك انا ان تفعله؟"

" وانت الا تطلبين باستمرار ؟ تعال يا مصطفى وارعَ ابنتك .. دللني بسخافة .. اشتر لي هذا وذاك .. لقد اصبحت اكره وجودي في البيت وانت لا تكفين عن طلباتك الانانية ")

عينا هاجر لا ترمشان ومزيد من الحوارات تستعيدها ذاكرتها لتلك الشجارات والتراشق بالاتهامات بين امها وابيها ..

كل يوم تتكرر نفس الحوارات ونفس الاتهامات حتى باتت الحياة مستحيلة بين تلك الجدران ...

هل هي وليدة تلك الانانية لتتشبع بها دون ان تشعر ؟

هل .. اذا ارتبطت بمنذر ستمنحه شيئا في المقابل ؟

اجفلت وخيال عمها تجده جاثما فوق رأسها فتقول بهمس " عمي ...."

جلس جوارها على السرير وهو يقول

" اقلقتني عليك .. قرعت الباب عدة مرات وناديتك وانت لا تردين .."

احنت رأسها قليلا وهي ترد عليه

" اسفة عماه كنت سارحة قليلا .."

عينا طاهر التقطتا الهاتف جوارها فسألها بنبرة عادية " هل كنت تكلمين منذر ؟"

ردت بكلمة واحدة " نعم .."

سألها بنفس النبرة

" وكيف تسير الامور بينكما ؟"

ردت وهي ترفع وجهها بابتسامة حقيقية قائلة بصدق " لا اعلم بالضبط .. ولكني حاليا سعيدة برفقته كما لم اشعر يوماً تجاه اي انسان ..."

ضيق طاهر الاحمدي عينيه ليسألها بشكل مباشر

" هل صارحتِ منذر بالحقيقة يا هاجر ؟"

لم تتفاجأ بسؤاله بل كانت تتحضر له منذ اسبوع وكانت تعلم انه سيسألها في وقت ما ..

نظرت في عيني عمها وردت بنوع من المراوغة كمحاولة اولى تدربت عليها كثيراً

" لا تقلق عماه .. الامور ستكون مختلفة مع منذر ولن اتعجل شيئا .."

لكن كما توقعت فعمها سيحاصرها ليعرف اجابة صريحة

" لم تردي علي ... هل اخبرته ؟"

عندها فعلت ما اقتنعت انه في مصلحة الجميع واولهم عمها .. ردت بثقة وهدوء " نعم ...."



بدا العم طاهر متفاجئا وللحظات ظل يمعن فيها النظر يحاول ان يستشف مدى صدقها لكنها لم تظهر له الا وجهاً هادئا راضياً فيسألها بتوجس " وماذا كانت ردة فعله ؟"

كانت تقاوم حتى لا تهرب منه بعينيها بينما ترد على تساؤله

" قال الامر انتهى ولم يعد يهمه .."

عقد طاهر حاجبيه وهو يردد " غريب ... !"

ردت هاجر بابتسامة تخفي الكثير من انفعالاتها الداخلية وشعور تأنيب الضمير

" لا تستغرب عماه .. ربما ما حدث كان فرصة لي لاقابل منذر بهذا التوقيت .."

لكن عمها ما زال يركز على نفس النقطة ليعود اليها قائلا بجدية " الا تريدين مني ان اكلمه بنفسي واشرح الوضع اكثر ..؟ "

كانت ستصرخ بكلمة (لا) .. لكنها تماسكت وهي ترجوه بنبرة مستعطفة

" لا ارجوك عمي .. دعني اقلب هذه الصفحة الى الابد .. لقد وعدت منذر اني لن اذكر فرقد مرة اخرى ..."

بدا عمها غير مرتاح ثم نظر اليها ليقول بتأن

" اليوم انتهت عدتك ..."

طعنة وسط القلب .. بل قطعت نياط قلبها ..

عضت شفتها السفلى حتى كادت تدميها بينما تحني رأسها هامسة بوجع " اجل .. اعلم ..."

حاوطها عمها بذراعه يشدها لصدره وهو يمسد على رأسها قائلا بحنو ابوي

" الحمد لله ذاك السافل لم يفعل حركة حقيرة ليردك لعصمته .."

تمتمت هاجر بقناعة تامة وهي تحبس صرخة وجعها داخل قلبها

" كنت متأكدة انه لن يفعل ..."

ظل طاهر يمسد على رأسها وهو يصارحها بالقول " انا ما زلت قلقاً يا هاجر .. لا اعلم لماذا لا اشعر بالراحة من تسرع منذر نحوك.. ربما لو كان الوضع طبيعي لما اتهمته بالتسرع لكن في وضعك اظنه يتسرع .. واشعر اني اجهل ما يحدث بينكما على وجه الدقة .. خاصة مع هدوئك هذا وتقبلك السريع لدخوله حياتك ... صارحيني يا ابنتي.."

اخذت نفساً عميقا ثم لفت ذراعيها حول عمها تستمد منه الدعم المعنوي قبل ان تعده بالقول " عماه .. لا تقلق علي .. اعدك هذه المرة ستكون معي بكل خطوة ... فقط دعني اعيش حياة طبيعية .. من حقي ان اعيش كأي فتاة او ... امرأة ... لا يهم حقا ان بنتاً او غدوت ... امرأة .. "

تذكرت غالية وكيف يعاملها رافد فهمست

" هناك نساء تزوجن وانجبن وتطلقن لكنهن حظين بزوج آخر تحسدهن كل النساء عليه .. الا استحق انا سعادة كهذه ؟ الا استحق رجلا كمنذر متلهف ليرتبط بي بعد كل ما عانيت؟ "

تألم طاهر وهو يستشعر كسرتها تلك لكنه لم يستطع الا ان يقول لها محذراً

" مؤكد تستحقين ... لكن لا تجعلي الامر كهدف تثبتين به لنفسك انك لست اقل من غيرك.. بل اجعلي هدفك انك تستحقين سعادة حقيقية مع رجل يقدرك .. يحترمك ويحترم عائلتك .."

اسطنبول ..

يقف امام المرآة في الحمام يمرر فوق رأسه ببطء مدروس الحافة المسننة لماكنة الحلاقة الكهربائية..

تتناثر على كتفيه الشعرات المقصوصة المتطايرة من خلف الماكنة بينما يستمر بعمله في إتقان ليحافظ على نفس الهيئة التي اختارها لنفسه منذ تحقيقه حلمه وامتهانه لمهنة مراسل صحفي في قناة اخبارية فاعلة..

اطفأ الجهاز ووضعه جانبا على حافة المغسلة ثم أخذ يتطلع لانعكاس صورته في المرآة ...

ارتجفت عضلة في جانب وجهه وهو يتخيل خيالا جامحاً ان هاجر تحلق له شعره بنفسها..! تمسك بالماكنة بنفسها وتمررها ببطء يستنفر كل حواسه ...

تخيلها ببشرتها البيضاء الشاحبة تقف خلفه الان .. وسط هذا الحمام المنير بانعكاس الاضاء على رخامه بينما شعرها الناري يتوهج في حمرته فوق .. كتفه ..!

تصلب كل جسده بينما ترتفع انامل يده اليمنى ليمررها فوق اعلى ذراعه الايسر حيث الوشم الذي اختاره ليُنقش على بشرته وبحروف كلمات تركية ...

تقلصت اصابعه فوق الوشم بينما يطبق فكيه وهو يفكر اي جنون مطبق دفعه ليختار هذا الوشم تحديدا ...

اخذ يسب ويشتم وداخله يشتعل بالنار فلم يجد الا الماء البارد ملجأ له ليحاول ان يخمد لهيبها ..

خرج من الحمام يلف منشفة كبيرة حول وسطه وبينما يمسك منشفة اخرى صغيرة يستخدمها ليجفف رأسه ووجهه ...

خطوتين خطاها حين خشخش في اذنيه صوت غريب ...



رفع رأسه ليرى هوليا .. الفتاة التركية بعينيها ذات اللون الازرق التي تلاحقه منذ اسابيع دون هوادة ...

المنشفة الصغيرة سقطت من يده أرضا بينما يحدق في جسدها النحيل الذي لم يستره الا بدلة رقص شرقي بلون عينيها ..!

لم ينطق بكلمة وهو يرفع نظراته من جسدها لوجهها الباسم وملامحها العازمة التي لا تعرف اليأس ...

خلال ثوان لايعرف من اين صدحت الموسيقى التركية لتبدأ هوليا بالتمايل الراقص الجذاب وهي تقترب منه بلهفة لا تخفيها ..

حتى اللحظة لم يقولا كلمة لبعضهما بينما اقتربت منه هوليا كثيرا حتى اخذت تتراقص فوق بشرته تتسمح فيها في اغراء كامل ...

كل هذا وفرقد لا يظهر اي ردة فعل عدا ذاك التصلب التلقائي في جسده كلما لامسته بشرة الفتاة التي تميل للسمرة البرونزية ..

كانت هوليا تلهث عندما توقفت الموسيقى التركية المميزة ..

تلهث اثارة اكثر منه تعباً من الرقص ..

تشبثت اصابعها بذراعيه العاريين وترفع وجهها لوجهه في استعداد كامل بينما تهمس له بصوت مبحوح " انا .. هديتك الليلة .."

ما زال يبدو ثابتاً راسها وهو يسألها بقسوة باردة

" من فعلها من اولئك الاوغاد ..؟ انه فيصل اليس كذلك ؟ هو من سهل لك الدخول لغرفتي اليس كذلك ؟ "

اخذت تمرر راحتي كفيها فوق صدره فترتعش وهو تهمس باختناق العاطفة

" لا تلمه .. توسلته ليفعل هذا المعروف لي .."

كان متصلباً الا انه ليس منيعاً .. هذا ما ادركته هوليا لتستمر باغوائها وهي تمرر راحتيّ كفيها الآن فوق كتفيه فيهمس فرقد بخشونة آمرة " غادري هوليا ..."

لاتستسلم وهي تشعر انه يضعف اكثر فتتوسله بنبرات صوتها الفتيّ كعمرها

" لماذا تعقد الامور ..؟ انا اريد ان أكون معك ولا اطالبك بشيء .."

عيناه رغماً عنه تركزتا على شفتيها المرتعشتين وفي اخر تشبث بصموده أمرها بصوت رجولي مبحوح " غادري ..."

كانت سعيدة .. سعيد جدا بنجاحها الصغير وصدره العريض الذي يعلو ويهبط بعنف اعطاها الشجاعة أكثر لتمرر اناملها الآن فوق ذراعيه فيجذبها الوشم على ذراعه الايسر لتترجم الكلمات التركية وتفهمها فتقول بصوت ارادته مغوياً " امممم ...(أسواط النار) .. ماذا تعني لك تلكما الكلمتان ؟ هل تحب السوط وهو يلامس جلدك فيحرقه اثارة ؟ "

شهقت متألمة وهو يدفعها بعنف هادرا فيها بغضب أسود ايقظه قبل ان يوقظها

" لاخر مرة اقول .. غادري هوليا والا سأوشمك باهانة لن تُمحى منك طوال حياتك ..."

ترقرقت الدموع في عيني هوليا وهي تهمس بوجع الرفض

" ما الذي فعلته بك تلك الفتاة ؟! لماذا ترفضني لاجلها ..؟ "

ثم فجأة اخذت تجهش بالبكاء كطفلة ليشتم فرقد باللغة العربية قبل ان يتقدم نحوها وبصمت يمسكها من ذراعها ثم يتحرك بها حتى باب غرفته وهي ترفض من بين شهقات البكاء

" لا فرقد .. توقف .. اريد ان ..."

فتح الباب ليدفعها بخشونة عبره ودون ان يسمع بقية كلامها كان يغلقه في وجهها ..

ظل صوت بكائها الناعم يصله وهي تطرق بنعومة مغوية فوق الباب المغلق بينهما تتوسله بألحاح عجيب واعترافات منفلته أعجب

" انا احبك .. فقط لو تحبني .. انا لم .. احب رجلا قبلك .. انها المرة الاولى ..."

وجهه منحوت من الصخر وهو يرمي المنشفة ويرتدي ملابسه بحركات رتيبة ..

ثم تنفس الصعداء عندما اختفى صوت هوليا تماما ليعرف انها يأست هذه المرة ايضا وغادرت...

انها مجرد طفلة غبية !

في العشرين وتريد ان تعيش قصة حب غير عادية مع رجل من غير قوميتها ..

لم يزرر قميصه وهو يقترب من جهاز اعداد القهوة ليعد لنفسه كوباً كان يحتاجه بشدة..

اخذ يشتم مرة جديدة وهو يحاول السيطرة على نفسه وما اثارته فيه هوليا رغماً عنه ..

انه رجل ... رجل جائع حتى يكاد يلتهم الهواء الساخن حوله ...

بعد رشفتين من كوب القهوة كان يستعيد اتزانه وثباته ...

جلس على الكرسي قرب النافذة وهو يزرر اخيرا قميصه ويكمل قهوته بمزاج كئيب لايخلو من جموح الغضب الذي بات رفيقاً ثقيلا لا يفارقه ..

تردد صدى جملة هوليا في رأسه كمطارق لا تعرف الرحمة

(" ما الذي فعلته بك تلك الفتاة ؟! لماذا ترفضني لاجلها ..؟ ")

آهة حراقة متمردة مجنونة خرجت من بين شفتيه بينما يتذكر هاجر في كل مرة ملكها فيها ..

في كل مرة عندما ينتهي سيل الحمم ويعودان لارض الواقع كانت تبتعد عنه مجفلة وكأنه اخذها على حين غرة !

ثم تنكمش على نفسها خزياً ونفوراً لاتستطيع مداراته !

تكاد لا ترفع عينيها في عينيه وهي تهرب منه راكضة للحمام متمتمة بكلمات غير مفهومة....

لقد كانت افعالها هذه تقتله ...

وفي نفس الوقت تزيد جنونه ليؤلمها أكثر .. كما يتألم هو ولا تشعر به ...

فيغادر شقتها قبل حتى ان تخرج من الحمام !

لقد تعمد ان يتغلغل لأدق تفاصيلها وكأنه يصفعها بطريقته ويرد الصاع صاعين لانها تغلغلت لكل تفصيلة فيه دون حتى ان تبذل مجهودا او رغبة ..

لقد فعلتها وتغلغلت اليه واستوطنت وتملكت فلتتحمل اذن ثورات ما تملكت !

هي من اختارت ان تدخله في جحيمها فلا يتوانَ ان يفعل المثل لها ..

تقبضت يده ليرفعها بغتة ويضرب على مكان قلبه بجنون وهو يهدر

" كله بسبب هذا التعيس الأبله الذي توله بك يا هاجر .. آه لو تعرفين اي مجنون استوطنتِ ؟!"

كان يلهث وبضعة حبات عرق تسيل على جبينه وهو يضرب مرارا وتكرارا على مكان قلبه ...

وكأنه يريد ان يوجعه بتلك الضربات كما اوجعه قلبه في المقابل بما حمل من مشاعر لامرأة واحدة لا سواها ...

زمجر من بين اسنانه المطبقة

" كل ما حصل يا هاجر لايطفئ نيراني .. ماذا افعل لاسترد روحي ؟! هل في قتلك خلاصي..؟! "

صوت رسالة نصية من هاتفه لم يهتم لها ..

بضع اسطر مقتضبة ظهرت على الشاشة لم يقرأها بعد ...

لكنه مؤكد سيراها لاحقاً..

رسالة من اخيه ناصر

(السلام عليكم فرقد .. زواج اختك نسرين من ابن عمنا عبد الملك نهاية الشهر .. احضر لتفرح قلب امك وتصالح اباك...)

الجمرة السادسة

بعد ايام .. بداية الاسبوع

مؤسسة الجراح

دخلت عبر بوابة المؤسسة بثوب خريفي
يحمل تدرجات لون شعرها مع قبعة من قماش
بلون صحراوي باهت ..

شفتاها لامعتان بلون ذهبي وعيناها مظللتان
بظلال بنية خافته ...

بدت كدعوة خريفية ساحرة واثقة شامخة..
هكذا ارادت ان تظهر وهكذا ظهرت في عيون
الاخرين واولهم ... هو ...

لقد كان موجودا لاجلها ....

ملفتاً بوقفته الواثقة وهو يضع يده اليمنى في
جيب بنطاله .. مؤثرا في قلبها وهو يمنحها
هذا القدر الخاص الحميمي من مشاعره
واهتمامه ...

اقترب منها يستقبل حضورها الذي كان
ينتظره بصبر نافد .. قلبه يقرع في صدره
شوقاً ولوعة فتفيض عيناه بما يشعره لتتورد
هاجر تلقائيا بينما يكتفي هو بالهمس
الاجش " صباح الخير ..."

تبتسم وهي تطوي حافة قبعتها للاعلى لتنظر
اليه بوضوح وترد تحيته بثقة وانوثة

" صباح الخير منذر..."

عيناه تابعتا حركة اصابعها وهي تطوي حافة القبعة ليقول بابتسامة جذلى

" احب قبعتك.. انها المرة الاولى التي اراك فيها ترتدين شيئا محببا كهذا .."

اصابعها عفوياً تلامس اعلى جبينها وهي تقول باسترخاء

" انها تخفي اثر الجرح .. لا احب منظره ..
كما اني قد امر بالاسواق المفتوحة لاشتري بعض الخضار واليوم عاصف بعض الشيء..
رياح الخريف احيانا تؤذي شعري .."

يداعبها بالقول وعيناه الرماديتان تلمعان

" تغار منه ... ومنك ..."

تضحك بخفر وهي تسير معه في الممر فيضيف برقة وبعض الشقاوة

" استطيع القدوم معك .. امي تحتاج لبعض الطماطم والخيار .. "

حدجته بنظرة جانبية وهي تقول له بانوثة ماكرة " منذر ... انه يومنا الاول وها قد بدأت التحايل ... "

عند دخولهما المصعد همس اسمها بنبرة غريبة " هاجر ..."

التفتت اليه لترد بعفوية وداخلها يتوجس من نبرته تلك " نعم ..."

حدق فيها طويلا بطريقة مؤثرة جدا في اعماقها وكأنه يمنحها شيئا مهماً بهذا الصمت البليغ قبل ان يقول بجدية تامة

" اريدك ان تعرفي اني لن اؤذيك ابدا .."

حشرجة .. غصة .. نبضة قلب تاهت منها لتسارع لاخفاض عينيها تتخفي بظلال قبعتها هامسة " اعلم هذا .."

في نفس اللحظة جاء صوت المصعد ليعلن وصوله للطابق الذي تعمل فيه هاجر فيقول لها منذر ببشاشة مغيراً الموضوع بسلاسة

" جيد انك تعلمين ... اذهبي لعملك الآن لن اؤخرك .. "

نظرت اليه للحظات وكأنها توقعت ان يرافقها ليضيف بحلاوة " لا تنظري الي هكذا .. انا افعل المستحيل لاقاومك .. وحتى تقولين (نعم) لا اريد لاي كان ان يُسمعك كلمة واحدة تضايقك او تمسك .."

ارتعشت ابتسامتها وهي تغادر المصعد ثم تلتفت اليه تحرك اناملها في تحية بينما عيناها تشعان بالراحة والثقة فتتسع ابتسامة منذر ويبدو شديد الوسامة وهو يقول بصوت منخفض " موعدنا ساعة الاستراحة لانظر لعينيك من جديد ..."

ثم يرفع يده في تحية مرحة وباب المصعد يغلق بينهما ...

مساء .. اسطنبول..

ملهى ليلي ..

اخذ فيصل يلح عليه وهو يقدم له الكأس الممتلئ بالخمر ويعتب عليه بالقول

" يا فرقد لا تحرجنا ..! اشرب معنا ولو كأسا واحدا وجاملنا يا اخي .. لقد أقمنا هذا الحفل لاجلك كي نودعك قبل سفرك وانت تجلس هكذا ثقيل الدم لامبالٍ ..."

ينظر اليه فرقد نظرة ساخرة بينما يضع حفنة فستق في فمه ويقول بلا مبالاة

" انا لم اطلب منك اقامة اي حفل لي .. بل انت تقيمه لنفسك ولترفيهك مع باقي (مجموعة الانس) .. ام تتخيلني مغفل وسأدفع لكم الحساب بعد ان تثقل عقولكم من الخمر كما تثقل اقدامكم فلا تحملكم"

وضع فيصل يده على كتف فرقد يضحك في وجهه ويداهنه قائلا

" انت ما زلت غاضباً مني لاني ساعدت الفتاة العاشقة لتدخل غرفتك بالفندق .."

ثم يغمز فيصل ناحية بضعة فتيات جالسات على طاولة واحداهن تناظر فرقد بقهر والدموع تتلألأ في عينيها..

تطلع فرقد بأجفان مُرخية عبر حلبة الرقص ناحية الفتيات فتجابهه نظرات هوليا الحزينة التي سرعان ما تحولت للحنق والغضب فتدير



وجهها جانباً فيضحك فرقد بخفوت ثم يقول لفيصل بنبرة فيها تحذير واضح

" اغلق هذا الموضوع فيصل .. افضل لك صدقني !.."

لكن فيصل يواصل ألحاحه وهو يقرب الكأس منه ويقول

" خذ الكأس واذهب اليها اجلس معها قليلا .. انها تجلس هناك شبه منهارة ولم ترفع عينيها بعيدا عنك .. اذهب اليها وراضها .. لقد كنت قاسياً جدا معها .. بيتار اخبرتني ان المسكينة ظلت طوال الليل تبكي "

بحركة مترفعة من شفتيه قال فرقد بقسوة

" لا تقحم صاحبتك التركية ورفيقة سريرك التافهة بيتار في امور لا تعنيكما بشيء.."

مطّ فيصل فمه ممتعضاً بصمت ثم اخذ يرتشف من كأس الخمر في يده بينما يقف فرقد على قدميه واغنية تركية جديدة تصدح في الاجواء ليتحرك نحو وجهة محددة مقتحماً الراقصين في حلبة الرقص ...

وصل اليها ووقف شامخاً فوق رأسها لترفع وجهها اليه تعض شفتيها بقهر واضح ...

مد يده ليمسك كفها ويسحبها لتقف وهو يقول " تعالي هوليا ... لنرقص .."

اخذت تتمنع بضعف وهي أبعد ما تكون عن التمنع بينما تردد بلهفة تفضح صوتها

" لا اريد ... الرقص معك .. لا اريد .."

لايبالي بممانعتها بينما يسحبها وسط الحلبة ويضمها لصدره فتذوب تماماً وتذوب معها اي ادعاءات ممانعة لتخفي وجهها في قميصه تهمس بتوسل فتاة متولهة

" لا ترحل بولاريس .. لا ترحل .. اشعر انك لن تعود ابداً .."

يضحك بسخرية بينما يلفها في حركة رقص ويعيدها لصدره ثم يميل لاذنها هامسا

" كم عقلك صغير ..! "

تتشبث بقميصه ودموعها تسيل

" سأموت شوقا اليك .. آه بولاريس .. لا ترحل.. لا ترحل .. "

عندها قال في اذنها مرة اخرى

" صدقيني .. لو كنتِ تعرفيني جيداً لكنتِ انت من رحلتِ تاركة اي بلاد أكون فيها .. انا مجنون عديم الرحمة والضمير عندما اغضب "

لكن الفتاة لا تفهم وهي تحشر وجهها في عنقه ترضي نفسها ولو بهذا القرب الحميمي الذي ربما لن يتكرر ...

لتهمس بكل قلبها الفتيّ

" احبك .. كم احبك ... سأنتظرك دوماً.."

بعد بضعة ايام ...

مؤسسة الجراح .. القسم الاعلامي

من خلف نظارتها الطبيبة للقراءة تركز على شاشة حاسوبها تكتم هاجر ضحكتها بينما ترى منذر يبتدع اي حوار مطول مع مديرها وعيناه تختطفان بين الفينة والاخرى نظرة حارة لها لا تخلو من الشقاوة او غمزة مداعبة ثم يعود لمنتهى الجدية وهو يكلم المدير مدعيا اي سبب او استفسار او يطلب منه اعادة الشرح لانه لم يفهم والمسكين مديرها يحك رأسه الاصلع في ارتباك ثم يعاود الشرح بتأن ...

اخيرا يقول منذر بجدية " حسن سيد حسام .. ربما سأعود لك لاحقاً لمزيد من الاستفسار عن هذه النقطة "

ثم يقترب من هاجر ويلقي السلام بطريقة عابرة وهو يقول بنبرة مصطنعة بالمجاملة

" مرحباً هاجر .. لم أكن اعرف انت تلبسين نظارة طبية ! لكنها .. تليق بك .."

تنظر اليه فترى في عينيه مزيدا من الشقاوة فتمنحه نظرة تحذير وهي ترد بنفس اسلوبه

" في الواقع احتجتها مؤخرا ... انت تعرف ان العمل على الحاسوب لفترة طويلة متعب ويضعف البصر ..."

يميل قليلا هامسا خفية " سلامة العينين الجميلتين.. ليت عيناي فداء ضعفهما .."

تنظر هاجر حولها بارتباك فترى من في القسم منشغلين عنها لتشعر فجأة بشيء صلب صغيرة يقع في حجرها وقبل ان تدرك ما هو قال منذر وهو يبتعد بلباقة ظاهرية

" بالاذن ... سأعود لعملي ..."

تتطلع للعلبة المكعبة ذو اللون الكحلي ببعض الخجل .. لكن قلبها يرفرف كأنها بنت صغيرة مراهقة ...

امسكت العلبة وألقت نظرة جديدة فيما حولها لتتأكد ان لا أحد يراقبها او متنبه لها وعندما اطمأنت فتحت العلبة خفية لترى

داخلها قرطين لامعين على شكل وردتين حمراوين تميلان للبني ... وورقة صغيرة مطوية ومحشورة في سقف العلبة ..

قلبها يقرع كالطبل وهي تخرج الورقة وتفتحها بتأن ثم تقرأ ما كتبه فيها منذر

(قرطان بلون شعرك ... ليسا ثمينان حتى لا ترفضينهما لكني لم اقاوم شراء شيء يليق بك .. ستكون رائعة مع شعرك القصير وهما تلمعان وكأني هناك اهمس لك بسر قلبي .. ألم يحن الاوان بعد يا غامضة القلب ؟ اعلم ...اعلم ... متعجل انا ..! لكن لا بأس من تكرار المحاولة بين الفينة والاخرى فربما سأنجح يوماً..)

ضمت الورقة بين اصابعها بينما عيناها تلمعان كلمعان القرطين ...

هل تعيش حكاية حقيقية ؟

ام انها تريد ان تعيش حكاية حقيقية ؟!

اخذت تهز رأسها وهي ترفع قبضتها التي تضم الورقة الى صدرها بينما تفكر بقلب متلهف وخائف في نفس الوقت

لا تخافي من الفرح يا هاجر .. كفاكِ فلسفة للامور وتعقيدها .. انت تتعلقين به بشكل لايمكنك مقاومته ..اعترفي بهذا وكفى ..

انها حكاية حقيقية ..

انت حقيقية وتتعافين .. ومنذر اكثر من حقيقي .. حقيقي لدرجة الحلم !

عصراً .. قرية الشيوخ

بيت عبد الجبار الشيخ...

دخل بدون استئذان الى الصالة الكبيرة في بيت والده والمخصصة لاحتفال النساء فتعالت شهقاتهن وهو يضحك غير مبال ..

بعضهن اخذن يتمتمن باللوم والتوبيخ وهن يبحثن عما يستر رؤوسهن واجسادهن وبعضهن يتراكضن وهن يتضاحكن وعيونهن تلمع وهن يناظرن بطرف خفي ابن الشيخ الاصغر الذي دخل عليهن بجلباب ابيض انيق ويلف رأسه بالكوفيه (الشماغ) وضحكته الرنانة وأنفته العفوية دون ان يلقي نظرة لاحداهن



فيبدو جذاباً اكثر ومطمعا لاحلامهن وسبباً لتنهداتهن ..

يهدر صوت الام وكبيرة النساء

" صه ... لا مزيد من دلع البنات .. كل واحدة ترتدي عباءتها ووشاحها في صمت .."

تتخافت الاصوات بينما يقترب فرقد من امه لينزل على ركبتيه ويحني رأسه مقبلا ظاهر كفيها وهي تربت بيدها فوق كوفيته وعيناها تفيضان بالمحبة الخاصة لاصغر اولادها وبناتها ..

ثم يقف على قدميه ليخطو نحو اخته العروس التي لا تكبره الا بعام واحد تجلس بخجلها ويداها ملفوفتان بالوشاح الابيض كما جرت العادة عند تحنية (وضع الحناء) العروس ...

ينحني جالسا على ركبتيه امامها ويحاوط وجهها بين كفيه ليقبل خديها والزغاريد تعلو والضحكات وتنهدات الفتيات تعلو فوق الزغاريد ...

كان مختلفا .. اكثر اظهارا للعاطفة من رجال العشيرة ويبدو مختلفا عنهم دون ان ينفصل تماما عن انتمائه الواضح لهم ...

نظرت اليه اخته نسرين بعينين لامعتين شوقاً

" دوماً انت مختلف يا اخي المجنون.."

تجلجل ضحكاته وهو يناغشها بالقول

" يليق بك هذا الجلباب الابيض المطرز يا اخت المجنون.."

ترتبك نظراتها وتبدو محرجة جدا وهي تهمس له " اشعر اني سخيفة يا فرقد .. لم أكن اريد عرساً كهذا .. اليوم يوم الحناء وغدا عرس بزفاف كبير وفستان ابيض! "

يعبس فرقد قليلا وهو يتساءل بدهشة

" ولماذا لا تريدين ؟!"

ردت بعينين دامعتين وهمس متحشرج

" انا ارملة في السادسة والثلاثين وابنتي صبية في العاشرة يا فرقد .. "

يتلاشى عبوس فرقد وهو يرد عليها بشقاوة

" وانت صبية ايضا .. ثم اني اراها سعيدة جدا وهي تلهو في الخارج مع الفتيات استعدادا للعرس "

تحمر اخته وهي تتمتم بخجل فظيع

" انها تحب .. عبد الملك .."

فيحرجها فرقد اكثر بالقول المشاكس الهامس " وعبد الملك يحب امها فكيف لا يحبها هي ايضا.."

زجرته اخته وخداها يتضرجان بالحمرة

" تأدب .. الا تخجل ان تقول مثل هذا الكلام لاختك ؟ نحن .. لا نتكلم هكذا ..! يا الهي لا اعرف من اين تأتي بكلامك هذا .."

يعاود الضحك ثم يقبل جبينها ويهمس لها

" لكني اتكلم هكذا فمتى تعتادين علي ..؟ وربما ستتفاجئين بعبد الملك اسوأ مني بالكلام "

تنهدت وهي تقول بمزيد من الحرج " سامحه الله لقد احرجني وهو يصر على عرس كامل.. انا ارملة ولدي طفلة وهو مطلق .. اي عرس وكأننا صغار.. وكأن هذا زواجنا الاول ....!"

رد فرقد " نسرين .. دعيه يفرح .. انا اعرف منذ الصغر انه كان يريدك زوجة له ولكنه النصيب وسبقه اليك ابن عمنا سلطان رحمه الله.."

تمتمت نسرين وهي تحني رأسها ببعض الشجن وهي تتذكر زوجها الراحل " رحمه الله.."

وضع اصابعه تحت ذقنها ليرفع وجهها اليه وهو يبتسم في وجهها ويقول بشقاوة " افرحي وانسي الاحزان نسرين .. غدا عرسك وستذهبين لبيت عبد الملك وسأثير فضيحة وانا ارقص حتى الصباح في مجلس الرجال هناك .."

نهرته نسرين وهي تترجاه

" لا تفعل فرقد .. لا تكن متهورا مجنونا .. انت تعرف التقاليد .. ابونا سيغضب .. فالاخ لايرقص في عرس اخته .. لا تفضحنا وتثير حفيظة اخوتك.."

ابتسامة عنيدة على شفتيه وهو يرد بتلاعب

" انا سأرقص في عرس ابن عمي يا صبية فلا تتدخلي انت .."

ثم وقف على قدميه وهو يتحرك مغادرا

والنسوة يزغردن ويدعين له بالنصيب الحسن

ويا ليته يكون من نصيب احداهن او احدى

بناتهن ..

تتطلع امه لخطواته وهو يغادر ..

ينتابها الفخر به والكل ينظر اليه بطمع ..

مشيته معتدة واثقة ...

مشية شيوخ تليق به وبابائه واجداده ..

ستكلم زوجها حالما ينتهي عرس ابنتها

نسرين ... يجب ان يزوجوه ...

لن تدعه يعود لعمله في تركيا دون ان يتأبط

ذراع عروس نشمية تليق به وبأصله ...

في مساء اليوم التالي

عرس نسرين وعبد الملك ..

في مجلس الرجال يعبس الاخوة بغضب واضح

بينما يلتزم الاب عبد الجبار الشيخ بتعابير

جامدة ولا ينطق بحرف ..

يميل ناصر الذي يجلس على يمين ابيه يقول

له بحنق مكبوت

" الا ترى تصرفات ولدك الاصغر فضيحة

لنا؟! اوقفه باللّه عليك يا ابي .. كيف

يرقص في عرس اختنا ..؟ الناس ستعيب علينا

فعلته الرعناء هذه.. "

لا يرد الاب بكلمة ولا حتى ترمش عيناه
بينما يحدق امامه حيث تعلو اصوات الطبول
ورقص الرجال من اخوة عبد الملك وباقي
ابناء الاعمام وهم يدبكون سوية يتوسطهم
فرقد الذي يضع يده فوق كوفيته ويدبك
نازلا للارض وهو يثني ركبتيه ثم يقف فاردا
اياها ويكرر الحركة ما بين ثني وفرد وهو
يطلق الاهازيج الحماسية فيشعل الرقص
والاهازيج اكثر بين الجميع ..

تنهد ناصر وهو يعود مسترخياً لكرسيه
متمتما من بين اسنانه " دوماً تمنحه ما لم تمنح
غيره يا ابي .. وربما هذا ما افسده علينا .."

نظرة كالصاعقة من الاب جعلت الابن الذي
يكاد يعانق الخمسين يرخي نظراته للارض
وهو يتمتم بصوت رجولي يفيض احتراما

" استميحك عذراً ابي .."

يعاود عبد الجبار النظر لولده الاصغر فيراه ما
زال ضاحكاً ويرقص ويهزج مع الرجال...

فيعترف .. نعم انه يتغاضى عن الكثير مما
يفعله فرقد لكن هو له غاية في ذلك ..

لا يريد خسارة ولده .. لا يريد فرقد ان ينسى
اصله وفصله .. لا يريده ان ينفصل عنهم
خاصة والاب يشعر بداخله ان ولده يحتاجه..
بطريقة ما لا يبدو فرقد بخير ويحتاج اباه ..

انتهى الحفل ...

بيت عبد الملك الشيخ

ما زالت الزغاريد وقرع الدفوف يعلو وهو يسير بخطوات ثابتة بجلبابه الانيق وعباءته والكوفيه فوق رأسه وكل ما يعكس هيئة عريس من اهم عوائل قرية الشيوخ ..

يلاحق بتأنٍ خطوات عروسه نحو غرفتهما وعيناه لا تفارقان النظر اليها وهي تتهادى امامه في ثوب العرس التقليدي للبلده بلونه الابيض وتطريزاته اليدوية حيث تجتمع الفتيات لخياطته اهداء للعروس ...

منحها الوقت لتدخل عبر الباب الى غرفتهما ثم دخل خلفها واغلق الباب ليعزل عنهما كل تلك الاصوات التي تحتفل بزفافهما ...

بصوت رجولي خشن يخفي لهفته قال عبد الملك " مبارك يا بنت العم .."

وقفت وسط الغرفة الواسعة باثاثها الفاخر المهيب الذي يليق بابنة الشيخ وسليل شيوخ فتطرق للارض في خفر وقد حجبت عنها الرؤيا الواضحة طرحة سميكة فوق رأسها وتهدلت اطرافها فوق فستانها ...

همست بحياء وارتباك رداً على مباركة عريسها " يبارك بكَ رب العباد .. و ادام دارك تملؤه انفاسك .."



لم تكن تنظر اليه.. ولو نظرت.. لما كانت ستحزر كيف ان واجهته الهادئة المسيطرة التي تميل لجفاف التعابير كمعظم رجال العشيرة تخفي خلفها قلب رجل متلهف من سنوات ويكاد لا يصدق نفسه ان منية روحه تتحقق بعد سنوات يأس..

تمتم عبد الملك بشبه ابتسامة وهو يقترب ليقف قبالتها تماما

" منذ الليلة الدار دارك وانا ضيف فيه .."

ترفع وجهها اليه وتنظر للمرة الاولى لوجهه عبر طرحتها فلا تراه بشكل واضح لكنها تكتفي بالقول

" حاشا للّه ... انت فوق الرأس دوماً وكلنا نعيش بظلك ومن كرمك وجودك.."

لم ينطق بكلمة وهو يحدق فيها للحظات حتى تمكن منها الحياء والارتباك لتحني رأسها مرة اخرى ...

امتدت يداه ليمسك طرحتها من الامام ويرفعها ليقلبها للخلف ويظهر وجهها امامه ..

شعرت نسرين بمزيد من الارتباك وكأنها عروس للمرة الاولى ولا تعرف كيف يجب ان تتصرف مع عريسها في ليلتهما الاولى ..

اخذ قلبها يقرع رغماً عنها لتتمتم بصوت متلعثم " هل... هل رحل .. الجميع .."



عاد شبح الابتسامة يزور شفتيه وهو يرد

" نعم ..."

اخذ يمرر ظاهر اصابع يده فوق بشرتها السمراء فينتفض قلبه لرعشة جسدها وقد اسبلت اهدابها لا تستطيع النظر اليه ..

يواصل تمرير اصابعه على بشرتها بينما يفكر بحيرة ....

لا يعلم ما سر تعلقه بابنة عمه نسرين على وجه التحديد دون غيرها .. ما زال وجهها نفس الوجه الذي يذكره منذ الطفولة والصبا .. ربما ازداد ملاحة بالنضج ..

لم تكن جميلة الملامح ولم تكن طويلة القامة ممتلئة الجسد كما يُرضي اذواق معظم الرجال في العشيرة ...

انها فقط مليحة الوجه سمراء بقامة متوسطة اقرب للنحول .. بهية الضحكة كما تخبره ذاكرته .. وشعرها غزير بنيّ .. لا زال مطبوعاً في مخيلته لونه وتجعيداته وهي تمشطه تحت الشمس في باحة بيت عمه عندما كانت صبية في العاشرة ...

ورغم هيئتها العادية نسبياً الا ان عبد الملك منذ صغرهما وقلبه خفق لها وحدها .. وما زال حتى اللحظة .. ولا يعرف حقاً السبب ...



ابتلع عبد الملك ريقه بينما يعاود التركيز فيما تنطقه شفتاها وقد بدت في اشد حالات الارتباك لتهذر بأي كلمات امامه

" فرقد ...اثار حنق.. اخوتي .. الفتيات قلن انه لم يتوقف .. عن الرقص الليلة .. "

ارخي يده التي تداعب بشرتها ثم امسك بكفها يسحبها معه نحو السرير الضخم المجهز بفرشة مطرزة بحبيبات ملونة لامعة ليجلس على حافة السرير ويجلسها جواره وما زال كفها في راحة كفه فيقول بصوت أجش ضاحك النبرات

" الفتيات يبالغن لانهن لا يرين غيره الليلة .. اخوك صيد ثمين لهن يا ابنة الشيخ .."

ردت دون النظر المباشر لوجهه لتقول وهي تحاول ان تسترخي بالكلام معه

" فرقد يثير قلق العائلة كلها .. امي تريد .. تزويجه .. واخوتي يريدون عودته وابي لا اعرف حقاً بم يفكر ..! وانا حقاً لا افهم أخي.. اشعره بات .. مختلفاً عنا .. وبنفس الوقت اراه اكثر اخوتي شبهاً بوالدي اطال اللّه عمره.."

كان ينظر اليها بصمت ينتظرها ان تقول المزيد .. يريدها ان تسترخي تماماً معه ..

يريدها ... يريدها الليلة ان تطفئ شوق هذا الذي يخفق في صدره ولم تتسارع نبضاته منذ صباه الا لاجلها ...



بدت هي بعيدة عنه وهي تعبس فجأة لتضيف بحيرة " حقاً لا افهم ما يعتريه هذه الفترة بالذات .. يبدو غريباً .. غريباً ومحير اً.."

الجملة خرجت من بين شفتيّ عبد الملك قبل ان يلجمها " انه عاشق يا ابنة العم .."

رفعت نظراتها اليه لتسأله بدهشة

" هل هو من اخبرك ؟ هل هي نفسها الفتاة التي خطبها دون ان يخبرنا ام هي فتاة اخرى عرفها بتركيا ؟"

رد وعيناه في عينيها البنيتين المحكلتين بالكحل العربي " لم يخبرني بشيء .."

فتسأله بفضول " اذن كيف عرفت ؟"

عيناه لا تفارقان عينيها وروح الرجل فيه تهتف في سريرته " يا ملاحة وجهك الليلة وانت عروسي يا نسرين .. انت لي اخيراً .."

انحنى ليمسك بطارف طرحتها بين اصابعه يرفعها لفمه ثم يلثمها بشفتيه هامسا بصوت أجش

" العشاق يعرفون بعضهم يا بنت العم .."

ودون سابق انذار كانت ذراعاه تلتفان حولها وتشدانها لجسده لتصدمها المفاجأة اولا ثم تتقلص غريزيا كردة فعل لاحتضانه الخشن المباغت فتهمس بانفاس لاهثة وهي تشعر بفمه جريئا خشناً متطلباً على بشرة عنقها

" انتظر .. لحظة يا عبد الملك .."

فيرد ووهو ينحني بها على السرير وقد أفلتت لهفته من عقالها " انتظر ؟! اي انتظار ؟! .. الليلة انت معي على فرشة سريري يا نسرين .."

ربما كان خشناً .. ربما لم ينطق بكلمات ..

لكن المرأة بفطرتها تعرف عندما يكون رجلها ... عاشقاً ....لها ...

صباح اليوم التالي .. العاصمة ..

مؤسسة الجراح

بوجهه الجامد التعابير الغامض باعتداد وغرور متأصل فيه كان يخرج من مقهى المؤسسة بينما يرد بحركة باهتة من رأسه على تحيات الموظفين له...

تغير كل هذا في لحظة عندما رآى زوجته تبعد خطوتين عنه وهي تتجه نحوه...

انتابه خوف غريزي وهو يرى ملامحها القلقة والتي تحاول مداراتها بعناية ..

لكن شهرزاد في بعض مشاعرها ما زالت ذاك الكتاب المفتوح الذي يحفظه ..

نفس الطفلة والمراهقة التي عرفها ..

اللعنة كم اشتاق لتلك الطفلة والمراهقة فيها ....!

اقتربت هي ايضا منه وبدت لا تعرف كيف تتكلم مما اقلقه اكثر ليسألها وهو يمسك بذراعها " شهرزاد ؟! ما الذي أتى بك الآن ؟ ليس من عادتك .. هل حصل شيء ؟"



تمتمت وهي تقترب منه عفوياً باحتياج ينطّ من عينيها " موضوع مهم يا هيثم .."

للحظة أبوته استنفرت وهي يسأل

" هل صقر بخير ؟ "

ردت تطمئنه في الحال " لا تقلق .. انه بألف خير .. الموضوع لا يخصه .. لايخصنا تحديداً... لكنه مهم لي .."

فجأة جاء صوت انثوي قطع عليهما حديثهما

" مرحباً سيد هيثم .. سيدة شهرزاد .."

لقد كانت هاجر الاحمدي ..

شعر هيثم بعضلات جسد شهزراد تتشنج بالكامل وانفاسها تتوتر ..

وللحظة تتبع حدسه ليتصرف مباشرة وهو يشدد من امساك ذراع شهرزاد ليمنعها الابتعاد بينما يبتسم بمجاملة لهاجر الاحمدي وهو يقول " مرحباً هاجر كيف حالك ؟ ارى انك تعافيت .."

تبتسم هاجر فتبدو متألقة جداً .. في الواقع فيها شيء مختلف منذ عودتها بعد الاجازة ..

هذا ما لاحظه هيثم وما اوجع قلب شهرزاد !

ترد هاجر بادب ولطف لبق " اصبحت بخير بخير الحمد للّه شكرا لسؤالك .. بالاذن منكما "



تكتفي شهرزاد بابتسامة شجاعة وهي تهز رأسها بالتحية بينما تتجاوزهما هاجر لتدخل المقهى ...

وحالما اختفت هاجر كانت شهرزاد تصارع يد زوجها ليدعها لكنه لم يفعل ...

بل يبتسم في خبث واصابعه تتشبث بها في قسوة وهو يقول هامساً " لا اعتقد انك سترحلين الان وتتركين ما جئت لاجله .."

توقفت عن محاولاتها وهي ترفع عينيها اليه تتذكر سبب مجيئها فتتسع ابتسامته بانتصار ماكر بينما يسحبها معه وهو يقول

" تعالي لمكتبي ..."

اخذت تتحرك معه بصمت ثم فجأة عبست وهي تتلفت وتتساءل " الى اين تأخذني ..؟!"

ينظر اليها بطارف عينه ويقول " لمكتبي .."

فتقول بعجب " لكنه ليس بهذا الاتجاه !"

تمتم بنبرة هادئة غامضة بعض الشيء

" لقد غيرت مكانه .. اصبح في الجهة الاخرى.."

اخذ قلبها ينبض وهي تتساءل بحشرجة

" متى ... غيرته ..؟ "

رد بنفس النبرة وهو لا ينظر نحوها

" منذ ايام انتقلت اليه .."

ما زال قلبها ينبض تأثرا .. لقد فعل هذا لاجلها.. لان المكتب القديم يذكرها بما حصل .. لقج فعلها بعد ان اخبرته عن حلمها البشع ما بين وجهيّ نورا وهاجر ...

وجدت نفسها داخل مكتبه الجديد ..

اكثر فخامة وعصرية واطلالته اوسع عبر زجاج نوافذ مستعرضة ...

وقفت قرب النافذة بعد ان أفلتها وهو يكلم مدير مكتبه يخبره ان لا يسمح لاي اتصال الآن واخذت تتطلع لمنظر الحدائق امامها ..

انها الجهة الاخرى من مبنى المؤسسة ..

فالجهة الاولى التي كان فيها المكتب يطلع على الشارع الحيوي الارقى والاهم في العاصمة ... منظر يليق بمؤسسة عريقة كمؤسسة الجراح ... لكن هذا المنظر اكثر حميمية وراحة للنفس والنظر ..

شعرت به يقف خلفها مباشرة واصابعه تلامس شعرها ورقبتها ثم يميل بشفتيه ليلامس اذنها قائلا بصوت أجش

" يعجبك المنظر اليس كذلك ؟"

اطلقت نفساً مرتاحاً وهي تتمتم بـ(نعم) ..

يلف احدى ذراعيه حولها يجذبها لتلتصق به وهو يهمس لها بنبرة رجولية ساخرة

" انت لا زلت حساسة نحو .. هاجر الاحمدي .."

يتعكر مزاجها وهي تتذكر ما حصل قبل دقائق فتحاول التملص منه لكنه يفوقها قدرة على تكبيل حركة جسدها ليضحك بخفوت ويقول بسرخية شابتها المرارة

" كان الامر سيعجبني ويتخمني غرورا ورضا بل ويثيرني حتى لو كنت تغارين عليّ .. لكنك لا تفعلين .. انت فقط تغارين على كرامتك "

تركها فجأة وهي تتخبط بين شعور الغضب منه والذنب نحوه ..

ما زالت تتأرجح بين الشعورين ولا تحكم مشاعرها كما يجب ان تفعل ..

التفتت اليه فتراه يقف على بعد خطوة ينظر اليها نظرة عملية باردة وهو يسأل بمزيد من السخرية " بماذا اخدمك واقدم لك الشكر العظيم لزيارتك هذه ؟"

للحظات طوال ظلت تنظر لعينيه الزرقاوين ..

تذكرته كفارس على صهوة جواده وهي تتابعه بشغف قلبها الذي تفتح بالمشاعر على يديه .. كم كانت تحب مراقبته خلسة فترضي قلبها المراهق برؤيته ...

ليتها تعود مدلهة بحبه هكذا دون اي شائبة!

تماسكت وهي تقول باسلوب عملي مركز

" احتاج لمساعدتك في امر مهم .."

لفت انتباهه جديتها فعلم ان الموضوع مهم حقاً فيسأل بشكل مباشر لايخفي قلقه عليها

" هل تعرضتِ لمشكلة ما ؟"

فترد بنفس الجدية

" انه لا يخصني تماما ولكنه يخص شاهين .."

اشتعلت زرقة عينيه وكاد يفقد سيطرته وهو يخمن لماذا أتت اليه تطلب المساعدة ..

كم يود لو يخبرها انه بيده فعص شاهين فعصاً هو ومكتبه التافه ...

شفتاه اظهرتا تعبيراً قاسياً وهو يقول باستهانة

" اتيتِ هنا وتنازلتِ كي تطلبي خدمة ... لشاهين ؟!"

ثم يطلق نفسا ساخراً وهو يضيف بنبرة اشد قساوة " كم تضحين لاجله ..! "

للحظة لم تفهم تماماً ما يحصل معه وظنتها غيرته المعتادة من علاقتها القوية بشاهين ليسبل اهدابه وهو يسأل بشكل مختصر

" بماذا اخدمك ؟"

ركزت على هدفها المهم ..

سمارا اخبرتها اليوم عن الازمة وكيف ان البنك رفض مرة اخرى اي امهال في الدفع..

لم يكن امام شهرزاد الا هيثم ليساعد ..

حتى انها لم تخبر سمارا بقرارها انها ستطلب مساعدة زوجها ..

شهرزاد ارتأت ان تكلم هيثم أولا لتعرف ابعاد ما يستطيع تقديمه ..

ركزت شهرزاد لتنتقي كلماتها حتى تشرح الوضع بوضوح " شاهين يتعرض لازمة مالية .. هناك مشكلة في تسديد قرض والبنك تراجع عن امهاله الوقت الكافي .. كما انه خسر صفقة مهمة .."

تمتم هيثم بنبرة ساخرة

" والمطلوب مني ؟ اقرضه المال بدل البنك؟ "

اغضبها بروده وعدم تقديره للموقف ..

ليس هذا وقت التشفي ..

ردت بانفعال" كنت سأفعلها من نفسي ومالي الخاص وبدون اللجوء اليك لكنك تعرف شاهين لن يرضى بهذا .."

صدمها هيثم وهو يهتاج دفعة واحدة فيخطو نحوها ليمسك ذراعيها بقسوة يهزها بانفعال رهيب وهو يهدر فيها " ماذا بينك وبينه ؟"

اتسعت عينا شهرزاد بصدمة مهولة وهي تتمتم اسمه " هيثم ! .."

كان في عينيه مشاعر تصدمها ...!

انه يشك حقاً فيها ؟!

يشك بعلاقتها بشاهين !

همست باضطراب " انت تهذي هيثم ...تهذي ان كنت تعني حقاً ما تحاول ايصاله لي الآن .."

يعاود هزها وقد فقد السيطرة على مشاعره ليهدر بغضب مهول

" ربما سيبهجني حد التخمة ان اتفرج عليه وهو يتحطم ويخسر كل شيء ... "

مشاعره تخرس لسانها تماما وهي تحدق فيه وشعور لا يضاهى انها ... تتألم لاجله !

اخذ يسب ويشتم وهو يهدر بالمزيد

" اللعنة .. لم اتخيل يوما انك من دون كل البشر سيسعى لكسري.."

باندفاع رفعت كفيها لتتشبث بسترته تستجمع كل شجاعتها لتقول له وبكل قلبها المتيم به

" هيثم .. انت واهم .. لكني غبية لاني من زرعت فيك يوماً هذا الشك عندما اردت ايلامك .. لكني اخبرتك بوقتها اني تهورت وتماديت .. وقد اعترفت لك بوقتها بخطأي وكذبتي السخيفة المهلهلة .. لم يكن بيني وبين شاهين اي مشاعر من هذا النوع .. حتى وانا أظن نفسي حرة منك .."

كان يحاول نزع اصابعها عن سترته وهي يسبل اهدابه ويسيطر على غضبه قائلا بصوت أجش

" غادري شهرزاد .. "

لكنه لا يقوى على ايلام اصابعها المتشبثة به وهي تضيف بصدق حطم غضبه

" هيثم انا احبك ... مهما حصل ومهما سيحصل انه امر ثابت ولا يتغير ..."

رمت رأسها على صدره بينما يتردد هو حتى لا يلف ذراعيه حولها فييأس وتتراخى ذراعاه الى جانبيه مكتفيا بالقول الباهت

" قد لا يتغير حبك لي يا شهرزاد كما لن يتغير حبي لك .. لكنك بمقدروك الاستغناء عني او استبدال عاطفتك نحوي بعاطفة اخرى .."

همست بنعومة اقتلعت قلبه من مكانه

" هيثم ... انا خائفة .. حقاً خائفة واعتمد عليك حتى لا اقع .. حتى وانا احاربك جزء مني يعتمد على وجودك هذا .."

خالف حدسه كرجل يدير مؤسسة مالية ضخمة ويعلم احيانا ان القساوة مطلب في عمله.. خالف عقله الذي يخبره ان لا يتنازل الآن فالوقت ما زال مبكراً و (قرصة الاذن) لم تصل لاهدافها تماماً ...

خالف منطقه وباع نفسه لمنطقها ..

احياناً نحتاج ان نجازف لاجل من نحب ..

هذا الدرس القاسي الذي تعلمه من تجربته مع شهرزاد ..

ارتفعت ذراعاه ليحاوطها بل يغمرها تماماً وهو يقول " لاول مرة سأتصرف بغباء وانقذ .. صديقك المفضل وحافظ اسرارك .. سأكلم مدير البنك واتدخل بنفسي كضامن له .."

بعد عشرة ايام ...

مبنى القناة الفضائية

تلاحقها اسماء بفضوليتها الكريهة وهي تدعي الحزن قائلة

" هل ستغادرين يا هاجر بهذه السرعة ؟! لكنك وصلتِ للتو.. لم نقعد معك كثيراً ولم نعرف اخبارك.. "

تعدل هاجر من قبعتها وهي تلف ذراعها الايمن جيدا حول الصندوق الكارتوني حيث متعلقاتها المحفوظة منذ مغادرتها القناة فتضم الصندوق لصدرها وهي تقول بابتسامة مصطنعة لاسماء

" انا جئت فقط لآخذ متعلقاتي واوراقي يا اسماء .. لم يكن لدي وقت لافعلها سابقاً .. ويجب ان انصرف فعندي بضعة مشاوير اخرى يجب ان انجزها اليوم .."

ثم تحث هاجر خطاها لتغادر وهي تضيف

" اليوم اخذت اجازة بشكل خاص من عملي لاجل ان اقضي هذه المشاوير .."

ابتسمت في سرها وهي تتذكر مخاصمة منذر لها وحنقه منها لانها اخذت اجازة اليوم ..

لقد حاول التحايل من جديد ليرافقها لكنها كانت حازمة معه بالرفض ولشعور عجيب داخلها وجدت جزءا منه يفرح كلما رفضت !



وكأنها ترضيه بطريقة ما لا تفهمها بشكل كامل ..

كل ما تفهمه انه رغم شوقه ان يكون معها الا انه يريد للامور ان تتم بشكل صحيح ..

فجأة اوقفتها اسماء وهي تتشبث بذراعها وتقول بمكر " هل علمت ان فر..."

قست نظرات هاجر وهي تقاطع جملة اسماء قائلة " عن اذنك اسماء .. انا متعجلة حقاً وليس لدي وقت للغو الحديث .. وتعرفين هذا وقت الذروة في زحام الشوارع .. أراك بخير"

ثم انسحبت وهي تشعر بالرضا التام عن نفسها.. كل الامور جرت بشكل رائع اليوم ..

لم يكن صعباً مجيئها هنا .. على العكس تشعر وكأنها تنتقم من المكان الذي شهد جزءا يسيراً من اذلالها ..

تنتقم منه بحضورها الشامخ ورأسها مرفوع ..

فليذهب الماضي كله الى الجحيم ..

كما قالها منذر بالضبط ..

الى الجحيم بكل شيء ..

ها هي أتت لتأخذ اغراضها المتبقية هنا منذ تركها القناة قبل اكثر من ثلاثة اشهر ..

كم هي سعيدة لاستعادة متعلقاتها .. الساعة المنبهة القديمة الصغيرة كانت تخص امها ..

لاتعرف لم هي مصرة على الاحتفاظ بها
لكنها تمثل لها امرا ما لا تتعب نفسها
بتفسيره.. المهم انه يمنحها شعوراً ايجابياً ..

والقلم الاحمر ذو الريشات الذي تحبه ..
احضرته لها سهر كهدية في اول يوم عمل لها
في القناة.. وظلت تناغشها انه بلون شعرها ..

تعدل قبعتها جيدا وكأنها طفلة فخورة بينما
تضغط على زر المصعد وهي تكاد تترنم
باغنية ما ، بل وبكل شقاوة اخذت تغني فعلا..

هذه القبعة تأثيرها (منذري) كتأثير
القرطين في اذنيها ..

كل شيء يمنحها اياه منذر يمدها بطاقة
ايجابية ورغبة عارمة بأن تفرح ...

اخذت تضحك بخفة ودون سبب وهي تواصل
الترنم بالاغنية ..

انفتح باب المصعد وترنيمتها ما زالت خافتة
ناعمة بينما تدس رأسها في داخل الصندوق
ويدها تقلب بالمحتويات بتركيز بحثاً عن
قلمها الاحمر ثم تبتسم عفوياً وتتخيل ردة
فعل منذر على الريشات تحديدا...

ذهنها يلتقط هيئة احدهم داخل المصعد
لكنها لم تركز فيها وهي تبحث بين
الاغراض عن ضالتها ..

لتدخل المصعد وهي تلقي التحية تلقائيا

" مرحبا"



انغلق باب المصعد وهي ما زالت تبحث عابسة عن .... فجأة تجمدت ... انصعق عقلها باستدارك متأخر مباغت ..

وكأنها كانت تسير بسيارتها وسط شارع هادئ تنظر يمينا ويسارا بعفوية واسترخاء .. ثم بغتة يقفز طفل صغير امامها فتدوس غريزياً على فرامل العجلات وتظل السيارة تدور بها و...تدور بها.... وكل احداث الدنيا توقفت من حولها فقط هي فقط من تدور في فلك صدمتها...

لكن.... الذي قفز امام افكارها وصعقها لتدور حولها هكذا لم يكن طفلاً صغيراً بل... هيئة رجل .. ذهنها اخبرها عن وجوده ...

وسجل هيئته بشكل مؤقت ثم انحجب وهي غارقة بالتركيز في البحث داخل الصندوق ..

هيئة رجل بنظارة سوداء مستند بجسده بلا مبالاة على جدار المصعد الفضي ...

هيئة رجل .. مألوف .. مألوف حتى الوجع ..

مألوف برسم جسده .. بوقفته .. بعطره !

الدنيا ما زالت تلف بها والمصعد ينزل عبر الطوابق ..

بضع قطرات عرق تجمعت على صدغيها ويدها تعبث بالاغراض داخل الصندوق بتراخ دون شعورها وهي تتمتم في سرها بصراع جنوني وحوار اكثر جنوناً مع ذاتها

" ليس هو .. يا الله اتوسل اليك ليس هو..
مؤكد ليس هو ! غبية انت يا هاجر .. لو
كان هو لكان عرفك .. فرقد في تركيا ..
هل سمعتِ ؟ انه في اسطنبول .. يا الهي لقد
القيتُ التحية !.. هل رد علي ؟ لا لم يرد ..
اللعنة .. اهدأي هاجر .. اهدأي .. شعرك
قصير وترتدين هذه القبعة التي تخفي
ملامحك بعض الشيء .. وجهك كان مغمورا
بالصندوق وانت تدخلين المصعد .. مؤكد لن
يتعرف عليك ابدا .. هذا ان كان هو من
الاصل .. اهدأي .. انه فقط جو القناة يصور
لك وجوده .. وتلك المتطفلة اسماء من
اثارتك اكثر وهي تحاول استدراجك
للحديث عنه.."

صعقة اخرى اقوى ...

عقارب الزمن توقفت في جمود تام ..

لهاثها عال .. عال جدا ...

انها تتخيل او... ربما لا تتخيل... بل هي
حقيقة واقعة ان... ان اصابعه قد امتدت من
الخلف لتعبث بشعراتها من تحت القبعة !

اغمضت عينيها .. تقلصت على نفسها حتى
تمنت ان تضمحل وتتلاشى بطرفة عين بينما
الصراع مستمر وهي ترفض الواقع وتتشبث انه
مجرد خيال احمق منها ..

مؤكد من خلفها ليس بفرقد ..

اجل ليس هو ... ما هذا الخيال المجنون ؟!

ومؤكد .. هو لا يجرؤ ان يلامس اطراف شعرها من الخلف .. كما تتخيل انه يفعل ...

ثم ..لفحتها نفحات هواء دافئ..!

آآآآآه .. تأوهت في داخلها وربما نطقتها...

لم تعد تعرف ... !!

كل ما تعرفه انها ترفض الاعتراف بأنها تشعر (الآن تحديداً) بانفاسه قريبا من عنقها وكأنه ... يتشممها !..

فجأة انتفضت تريد الصراخ و في اعماقها تشتعل نيران عجائبية شريرة تحثها على الجنون والثورة (التفتي اليه وانظري في عينيه لتتأكدي .. ادفعيه .. اضربيه ... اقتلعي عينيه .. بل .. اقتليه ..!)

لكن انتهى كل شيء حالما انفتحت باب المصعد فتفتح هاجر عينيها مشدوهة ليلفحها تيار هواء بادر حيث طابق المرآب العام للمبنى فتوأد ثورتها وتتشبث بفرصة الفرار ..

هرولت قدماها طواعياً بينما تعب رئيتها من الهواء عباً وتكاد لا ترى امامها .. فقط تهرب.. تهرب ... حتى سمعت صوت رنة المصعد .. عندها ببطء استدارت لتحدق في باب المصعد المغلق ولا احد غيرها في المرآب ...

تزحلق من يدها الصندوق وتناثرت اشياؤها على الارض وهي مسمرة مكانها كمن نجا للتو من موت محقق !..

عيناها علقتا بالقلم الاحمر يتدحرج مع ريشاته على الارض الاسفلتية بين عجلات السيارات الواقفة ...

ثم فجأة ارتعد جسدها عندما صدح صوت انذار المصعد فجحظت عيناها وكالمجنونة انحنت تلملم اغراضها المبعثرة في الصندوق على عجل لتهرول بخطواتها نحو سيارتها ثم تغادر لاهثة كمن يطاردها الشيطان ...

حالما فُتح باب المصعد ورآها وسمع ترنيمة صوتها وهو .... ضاع ..!

فجأة لهيب نيرانه تأجج وبات يخرج حتى من مسامات جلده ..

لم يعد يعي ماذا يحدث له ...

قلبه بات ينبض كانفجارات دموية ...

" مرحباً ..."

قالت له (مرحباً) ثم أولته ظهرها !!

تحجر في مكانه وباب المصعد يُغلق ..

لقد نسي من هو ولِمَ هو هنا ..

لقد نسي الزمن وتاه المكان وضاعت الاوطان..

قلبه في انفجارات مستمرة يصرخ هادرا كالمدمن المجنون مطالباً بها ...

جسده ظل جامدا بلا حراك .. و كأنه لا يجرؤ على فعل اي حركة قد تجعلها تتبخر من امامه ..

لكن الشوق ذبّاح لقلبه .. جسده اخذ ينهار ببطء .. افلتت اصابعه منه لترتفع وتلامس تلك الخصل الملتوية من تحت القبعة ...

القاتلة ! لقد قصّت اسواط النار وصبغتها بلون باهت لا يليق بها ..

وكأنها تقتله بقتلها لاسواطها النارية تلك ...

القاتلة ... هل ما زال عطر جلدها هو ذاته الذي يذكره ؟!

يميل للامام دون وعيه ليأخذ نفسا عميقاً قريباً من بشرتها يتنشق رائحتها فتيقظ كل شيء فيه في لحظة ...

كل شيء عاد حياً .. هو نفسه عاد حياً ...

لم يكن يعرف بموته الا عندما شم عطر جلدها ليحيا من جديد ..

فتمحو برائحتها الشهور الماضية كما تمحو الرياح اثار الاقدام في رمال الصحراء ...

فجأة انفكت الشعوذة التي جمدته كالصنم عندما فُتحت باب المصعد مرة جديدة فهرولت امامه تتلاشى هاربة منه ..

انغلقت الباب وهو لم يستوعب حقيقة ما حصل للتو .. ثم لم يشعر الا وهو يضرب على ازرار المصعد ليوقفه فيصدح صوت انذار التوقف الفجائي وهو يلهث كالمجنون...

عيناه ترعدان بنظرات ثائرة مخيفة يهمس من بين شفتين شحبتا تماما " تنكرينني يا هاجر وكأنك لاتعرفينني ..؟!"

صوت الانذار ما زال يصدح ومعها تتأجج في داخله انذارات لأتون براكين الغضب ...

بعد ساعتين ...

امام باب شقة هاجر....

كانت مستنزفة تماما وهي تبحث عن مفتاح شقتها في الحقيبة الجلدية التي تحملها ..

لم تحضر الصندوق معها بل تركته في سيارتها للغد ..

لساعتين كاملتين تلف في الشوارع وكادت تتسبب بحادث مروع وذهنها مشتت تماما ..

تتبعثر الكلمات من بين شفتيها وهي تكلم نفسها .. ساعة تهدئها وساعة تلومها وساعة تضحك من هروبها حتى سالت دموع الضحك على خديها ...

ثم ساعة ... تتخيل انها هلوست وجوده معها بالمصعد ..! انه توهمت وجوده ..

ألم تكن تشعر سابقاً انه يلاحقها بنظراته حتى وهو غير موجود ؟!

ليس غريباً ان تتخيل هيئة اي رجل وكأنه فرقد .. ثم تعيش خيالات مرضية انه يلامس شعرها ويتشممها ...

تمتمت بحنق خانق وهي عاجزة عن ايجاد مفتاحها حتى اللحظة " اللعنة ..."

ركلت بقدمها الباب بينما تعاود البحث وهي توشك على الانهيار هنا مقابل باب شقتها المغلق العصي عليها ...

ثم وجدته .. لتتنفس الصعداء اخيرا والدمعة تكاد تفر من عينيها وحالما وضعت المفتاح في القفل وادارته لينفتح الباب امامها وتطل على شفق حمرة المغيب التي تنير شقتها من الشبابيك المفتوحة حتى شعرت بيدين قاسيتين تدفعانها بقوة مرعبة لتجد نفسها في لحظة مرعبة حتى الموت ملتصقة بالحائط وجسد فرقد ملتصق بها وهو ينتفض بينما ترتفع يده القاسية لتحاوط عنقها وكأنه سيخنقها ...

سقطت حقيبتها منها ارضا وهي تنظر في وجهه بعينين جاحظتين ..

تنظر في عمق عينيه ولا تصدق انه هو امامها.. هو هنا .. من لحم ودم .. وغضب مجنون من تلكما العينين ..

حمرة المغيبة تنعكس على صفحة وجهه فيبدو أشد رعباً وتأثيراً ...

نزع عنها قبعتها بخشونة ليرميها بعيدا فتناثرت بضع خصل من شعرها القصير امام وجهها ...

ضربات قلبها في سباق جنوني وصوتها انحشر في حنجرتها بينما يتمتم هو قريباً جدا من وجهها وبابتسامة شرسة

" عندما ترينني المرة القادمة اياك ان تدعي جهلك لي ... "

وكأن ما يستشعره فيها من ردة فعل يزيده قسوة وجنوناً فيهمس بانفاس حارقة قرب فمها " هل تذكرين يا هاجر ... لقد حرصت ان تعرفينني بكل الطرق الحميمة فلم اترك لك .. نقطة جهل واحدة.. انت تحفظيني كما احفظك ..."

خرج صوتها متحشرجاً هامسا بصعوبة

" اترك ... عنقي .."

لكن كفه لا تعتق رقبتها واصابعه تضغط قليلا وهو يهمس بنظرات كالجحيم تتعلق بخصلاتها المتناثرة " شعرك قصير جدا ولونه الجديد لا يعجبني .. اين اسواط النار ؟"

تشعر انها ستفقد وعيها بينما تحرك وجهها يميناً وشمالاً وهي تهمس " اتركني .. فرقد .." بعينين شبه مغلقتين يهدر " انا في الجحيم ان فعلت الآن .. وفي جحيم اسوأ ان لم افعل ..."

وكأنها كانت دعوة لها للجحيم ...

مجنون وهو ينتهك شفتيها كما لم يفعل سابقاً ... مجنون وهو يحرقها بلمسات جلدتها جلداً وكأن اصابعه تغور غورا حتى عظامها..

جوعه .. جوعه المرعب ... شعرته وكأنه يلتهمها بضراوة جوعه ذاك ..

جنّت وثورتها وكل مشاعر اذلالها تصرخ ...

كان يبعثر شعرها بأصابعه الثائرة وكأنه ينتقم لأسواط النار التي قصتها عندما اخذت تضربه بكل قوتها فما كان منه الا ان يعتصرها اليه كأنها ملكه ..

لكنها لم تكف عن المقاومة وكأن حياتها كلها تقف عليها ...

تضربه وتهرب بشفتيها من جوع شفتيه وهي تصرخ " اتركني.. من تحسب نفسك ايها الحقير السافل .. ابتعد والا سأصرخ ... لا يحق لك .. ايها الحقير دعني .. لا يحق لك .."

وكأن كلمتها (لايحق لك) ايقظته من جوع لترميه في جحيم جديد ...

ابتعد عنها قليلا يلهث دون ان تفارق انفاسه انفاسها ليقول بصوت أجش ساخر

" لا يحق لي ها ؟! الآن بات لا يحق لي .."

تعانده تناطحه تقاتله تنفث فيه انتقامها وهي ترد عليه بشراسة غير آبهة بتسلطه

" اجل لايحق لك .. عصرك انتهى وولى وزمنك أفل وانحسر ... انا حرة الآن .. حرة .. هل تسمعني .. حرة حرة حرة .."

عيناها تتوهجان بالثورة والثأر وسط خصلات شعرها المشعثة وهو يحدق فيها مأخوذا ..

ثم ...ابتسامة رهيبة شقت فمه بينما عيناه

تشعان بنظرات لا توصف من رهبتها وهو يتمتم

" ومن يدريكِ ؟! ربما عدتِ زوجتي وانتِ لا

تعلمين ...! "



الجمرة السابعة

ابتسامة رهيبة شقت فمه بينما عيناه تشعان بنظرات لا توصف من رهبتها وهو يتمتم

" ومن يدريك ؟ ربما عدت زوجتي وانت لا تعلمين ..."

صدرها يعلو ويهبط وملامح الفزع انتشرت على ملامحها المصعوقة ...

الفزع يشل اطرافها فتتراخى ذراعاها ليستقر كفاها طواعيا فوق صدره الصلب بينما تتمتم كمن سيفقد رشده " لكن العدة .. انتهت .."

نظراته تقسو بنيران لا ترحم وما زالت نفس الابتسامة المخيفة على وجهه بينما ينحني بشفتيه لتلامس كفيها على التناوب وهو يقول ساخراً مراوغاً بنبرة صوته الخشنة " وربما اعدتك الي قبل ان تنتهي .. من يدري ؟! .."

لم تشعر الا واظافرها الطويلة تنشب في بشرة رقبته وهو تصرخ فيه بهستيرية متفجرة

" لا يمكنك .. ابدا لا يمكنك.. انا اكرهك... اكرهك .."

لم يحاول حتى ان يبعد اظافرها عن رقبته بينما بضع قطرات دم تنساب من جروح صغيرة احدثتها تلك الاظافر ليقول بهدير غامض



" اكرهيني .. انه شعور افضل بكثير مما منحتني اياه يوماً .. ! "

فجأة اخذ رنين هاتفه يرتفع فيبعدها عنه فرقد بخشونة قاسية جعلتها تتأوه وهي ترتطم بالجدار خلفها بينما يشتم فرقد وهو يخرج هاتفه من جيبه ثم حالما رآى هوية المتصل يغمض عينيه وهو يأخذ انفاسا عميقة ويطلقها ببطء قبل ان يتحرك مبتعدا عنها وهو يفتح الخط ...

تحدق فيه هاجر بعينين غير مصدقتين لوجوده امامها من الاصل بينما يبتعد عنها ويفتح باب الشقة ليخرج ويأتيها صوته أجشاً وهو يرد

" مرحباً ابي ... آسف كنت .. مشغولا طيلة النهار وتأخرت ببعض الامور .. نعم .. سآتي .. مؤكد .. لقد وعدتك اني سأبيت الليلة عندك .. ساعتان وأكون جوارك .. "

لم تشعر هاجر الا بقدميها تحثان الخطا المتسارعة كتسارع انفاسها وخلال ثوان كانت تغلق باب الشقة وهو ما زال يقف في الخارج قريباً منها ..

رأت نظراته الحادة وهو ما زال يكلم والده بالهاتف قبل ان يفصل بينهما الباب المغلق وحالما فعلت ارتخت ركبتاها لتنطوي ساقاها وتنهار الى الارض ورأسها يميل لتسنده على الباب وهي تلهث كالمجنونة ...

اجفلت بعنف وهي تسمع صوته الاجش عبر الباب المغلق وهو يقول لها ساخراً

" وداعك لي حتى الباب كان مؤثراً كتأثير استقبالك الحار لي بعد طول سفر ..."

رفعت قبضتها وهي تضرب بها على الباب وتهدر فيه بصوت متحشرج " ارحل .. ارحل ..."

تأتيها ضحكاته التي لم تحمل ذرة مرح بينما يقول " سأغيب ليوم او يومين فلا تقلقي علي .. بعدها سأعود بلوعة الاشتياق .."

ما زالت تضرب بقبضتها الباب بينما يضيف بنبرة مستفزة تعد بالكثير

" سأعود ومعي السكاكر التي تحبينها .."

ضربة عنيفة واحدة من قبضتها وهي تهدر

" انت كاذب يا فرقد .. كاذب .. انا اعرفك.. لايمكن ان تكون قد أعدتني لعصمتك قبل انقضاء العدة .. "

لتضيف بملامح توحشت بالغضب والقهر

" لن اسامحك ابداً .. ابداً .. "

رد بنبرة مشتعلة " سواء كذبت او لم أكذب النتيجة واحدة صدقيني ... "

أرخت اجفانها بيأس بينما يضيف بنفس النبرة

" هذه الليلة اقفلي الباب جيدا هاجر ... قد اجن بعد منتصف الليل واعاود المجيء للعاصمة واحاول كسر هذا الباب اللعين لأصل اليك .. من يمنعني ؟! فقط لو أعرف من يجرؤ عن منعي عنك ...؟!"

سمعت صوت خطواته تبتعد فجأة وعندها فقط سالت الدموع الساخنة من عينيها ..

لم تعرف كم بقيت منهارة على الارض قرب الباب حتى استطاعت لملمة اشلاء سيطرتها على ذاتها لتقف على قدميها وتتحرك دون تفكير ناحية المرآة الكبيرة ...

وقفت هناك تحدق في هيئتها التي تبدو كمن واجهت اعصارا باغتها فنثرها نثراً...

شعرها مشعث حول وجهها الذي لم تجف دموعه .. ملابسها مدعكة وقد انفتح زرين من قميصها.. كلها بدت بحالة مزرية ...

اخذت تبعد خصلات شعرها عن وجهها وترتبها ببطء ونظرات عينيها تقسو شيئا فشيئا ...

تعلقت نظراتها بشفتيها ودون شعورها رفعت يدها لتمسح فوق شفتيها بعنف مؤذٍ وكأنها تمحو وتنفر من آثار شفتيّ فرقد فوقهما ..

همست بصوت قاس " انت كاذب .. اجل .. تظن انك امتلكتني لتحطمني .. وما زلت تريد ان تواصل تحطيمك المريض لي .. تتلاعب باعصابي وتوهمني بقضبان غير حقيقية تسجنني خلفها .. لكنك واهم يا فرقد .. واهم ان كنت تظنني غبية ساذجة ولا اعرف كيف يفكر عقلك الخبيث .."

شعرت فجأة بانتعاش لسيطرتها وافكارها المنطقية لتتمتم بصلابة

" احتاج حماماً ساخناً وبعدها سأنظم افكاري"

بعد ساعة كانت في سريرها تشرب فنجان شاي اخضر بالنعناع وتبدو بكامل هدوئها بينما تكلم منذر على الهاتف الذي لم تستطع اقناعه انها متعبة بعض الشيء لا اكثر فيلح بالاستفسار

" اخبريني الحقيقة هاجر.. هل كان الذهاب للقناة صعباً عليك لهذه الدرجة ؟ هل ضايقك احد هناك ؟"

يا الهي .. فقط لو يعرف منذر كما كانت سعيدة لذهابها للقناة قبل ان ....

اغمضت عينيها رافضة الاعتراف بما جرى اليوم .. ليس عن تجاهل للواقع ولكن عن رفض للاستسلام لتأثيره السلبي ..

لا يجب ان يأخذ فرقد حيزاً اكبر من حياتها... ولا يجب ان تعطيه اهمية ..

الآن ما يهم هو حياتها التي بدأت تستعيدها بالفعل .. ما يهم الآن منذر الذي منحها السكينة والامان والتفهم الذي احتاجته ..

يجب ان تأخذ خطوتها القادمة مع منذر ..

انها تحتاجه بشدة .. تحتاج ان تشعر برأسها مُرخى على صدره بعد ان تكون انتمت له حقاً..

لكن قبلاً ستصفي امورها مع فرقد لتضع النقاط على الحروف ..

فليأت اليها هذا الوغد ويريها ما عنده ...

تقسم ستتصل بالشرطة المرة القادمة ..

ما زال منذر معها على الخط فغامت عيناها وهي تفكر انها لا تريد تلويث علاقتها بمنذر بأي ذكر لفرقد ..

ثم ان هذه مشكلتها وحدها ..

هي من اجرمت بحق نفسها وتحملت لوحدها النتيجة .. لا يمكنها اقحام منذر مع جنون فرقد .. هو لا يستحق هذا ...

كما انها لن تضعف الآن وتخاف من وعيد فرقد وتهديداته المبطنة .. هي قادرة ان توقفه ولن يوقفه غيرها ..

قالت اخيرا لمنذر بصوت رقيق

" منذر فقط دعني ارتاح ليومين وبعدها سأكون بخير .. اقسم لك سأكون بخير.."

قرية الشيوخ

بيت عبد الجبار الشيخ..

في غرفة مجلس الرجال ...

كان فرقد يقف امام والده وهو يغلي ويكتم غليانه بشق الانفس بينما يرد على ابيه بالقول " ابي انا لا اريد الزواج ..."

فيتدخل ناصر وهو يحاول امتصاص الموقف الذي يبدو على وشك الانفجار قائلا

" فرقد لقد بلغت الخامسة والثلاثين ووالدنا يريدك ان تستقر في حياتك .."

عندها تكلم الاب ليقول بصرامته الخشنة

" لا تتعب نفسك يا ناصر .. انا حكمت عليه واعطيته الحرية ليختار "

ثم نظر في عيني ابنه الاصغر والاكثر شبهاً به ليضيف بنفس الصرامة وهو يوجه له الكلام مباشرة " لكن خيارك يا فرقد مرهون بقبولي ... فمن تختارها زوجة يجب ان ارضى عنها "

كانت قبضتا فرقد تتوتر الى جانبيه ويشعر بقلبه ينبض بقوة حتى وكأن النبض في اذنيه فيتمتم وكل خلية فيه متشنجة " ابي انا ..."

صمت ولم يكمل بينما يسبل اهدابه وناصر يراقب الموقف بتوتر ايضا ...

سأل الاب بملامح لا تعبر عن شيء " انت ماذا ؟"

رفع فرقد عيناه لابيه يزم شفتيه بعجز ويشد قبضتيه اكثر فيعبس عبد الجبار قليلا ليقول ببعض اللين

" انا أفعل هذا لمصلحتك .. هناك من بنات اعمامك من أكملت تعليمها وتليق بك .. فتيات جميلات ومن مقامنا ويقفن جنب رجالهن حتى آخر العمر دون شكوى ..."

أخذ فرقد يتهرب بنظراته من ابيه واخيه بينما يقول بنبرة غامضة

" قد افكر بالموضوع لكني سأضطر للسفر الى العاصمة غدا مرة اخرى .. وبعدها ..سأ..."

هتف الاب بنبرة قاطعة " لا ..."

امسك ناصر بذراع ابيه يهدئه بالقول

" ابي ... دعه يذهب غدا ومؤكد سيعود آخر النهار .. ربما يحتاج ليبتعد قليلا ويفكر ويتخذ قراره واختياره .."

لكن الاب لم يتنازل وعيناه تقدحان بالصرامة الخشنة وهو يقول

" قلت لا ... حتى نهاية الاسبوع سيظل فرقد هنا مع اخوته واخواته وامه ... وبامكانه خلالها ان يفكر ملياً وجدياً بما قلته له .. بعيدا عن ... تأثير العاصمة السيء ! "

حاول فرقد القول " ابي فقط .."

لكن ناصر كان من تدخل ليوقفه قائلا

" كفى فرقد .. اطع والدنا وانتهى ..."

صباح اليوم التالي

مكتب الشاهين للحاسوب

دخلت سمارا خلف شاهين لغرفة مكتبه .. تغلق الباب ثم تنظر اليه وهو يتحرك ليجلس خلف مكتبه بينما تسأله بجدية " كيف الامور مع البنك ؟ جيدة اليس كذلك ..؟"

اخذ شاهين يفتح ربطة عنقه التي تخنقه بينما يرد بنبرة محيرة " نعم .. جيدة جدا في الواقع لكن لا اعرف .."

سألت سمارا بعبوس " ماذا هناك شاهين ؟"

سحب ربطة عنقه من ياقة قميصه ورماها امامه على سطح مكتبه بينما يقول

" مدير البنك كان غريباً معي .. ظل يتكلم عن هيثم الجراح طوال الوقت .."

تعجبت سمارا من تعابير شاهين واسلوب كلامه فتجلس قبالته على الكرسي بينما تناقشه بصبر " وماذا فيها ؟! هيثم رجل اعمال مهم ومؤسسته عريقة وضخمة .. وكونه يتدخل لضمانتك فهذا يجعل مدير البنك يبالغ في مدحه للاستفادة .."

لكن تعابير شاهين لم تُرح سمارا على الاطلاق .. شاهين نادراً ما يتكلم بجدية .. حتى في المواضيع المهمة يجد طريقته العشوائية في التعبير .. وهذه كانت احدى المرات النادرة التي يتكلم فيها شاهين بجدية ....

قال شاهين ونظرات عينيه تعبر عن تفكير عميق " الامر ليس كذلك سمارا .. انا غير مرتاح لايحاءات مدير البنك .."

سألته وقد بدأت تقلق فعلا

" هلا شرحت لي ارجوك .."

كانت تعابيره قمة التركيز وكأنه يستعيد تفاصيل لقائه مع مدير البنك قائلا

" لا اعلم لِمَ وصلتني رسائل غير مريحة من مدير البنك .. في الواجهة هو مبتسم ومتعاون لكنه يمرر لي احساسا مؤكدا ان اكون حذراً ..!"

تشوشت سمارا وهي تسأل " حذراً؟! مِمَ تحذر ؟! من قروض محتملة جديدة ؟"

عندها نظر شاهين في عيني سمارا ليقول

بهدوء عجيب " بل ان احذر من هيثم الجراح.."

اتسعت عينا سمارا بذهول وهي تستوعب ما

يحاول شاهين قوله بينما يضيف شاهين

" الامر من البداية كان مريباً يا سمارا .. لا

اعلم لماذا اشعر بكل هذا الارتياب وبوجود

مجهول حصل ولا اعرف تحديده .."

تمالكت سمارا نفسها لتقول بلهجة عملية

" لا يهم شاهين .. المهم اننا تداركنا الموقف

وحُلت المشكلة .. وسنعوض في القادم .."

كانت تحاول التحايل على عقله حتى لا

يذهب بعيدا بينما هي عقلها ذهب اشواطاً ابعد

بكثير ...

في مطعم فخم ... على الغداء

في ركن منعزل هادئ ...

كانا قد انهيا طبقيهما للحلوى للتو عندما

مدت شهرزاد يدها عبر الطاولة لتلامس ظاهر

يده ثم تهمس له وعيناها تلمعان بالامتنان

" شكراً لكل ما فعلته ... شاهين اخبرني ان

كل شيء بات جيدا بفضلك .."

عينا هيثم انحدرتا بنظراتهما ليدها الصغيرة

التي تحتضن يده بينما تعابير وجهه لا يمكن

التكهن بها فقط قال بنبرة رتيبة

" لقد اتصل بي ليشكرني بنفسه .."

تمتمت شهرزاد بابتسامة حلوة " وانا دعوتك اليوم للغداء لاشكرك بنفسي .. واطلب ما تشاء .. شبيك لبيك شهرزادك بين يديك"

فاجأها وهو يرفع نظراته الحادة لعينيها فيقول دون مقدمات " اريدك ان تبتعدي عن شاهين "

تقلصت يدها عفوياً فوق يده فترمش بعينيها وهي تتساءل " ماذا تقصد... ابتعد ..؟! "

شفتاه متوترتان لكن ملامحه الوسيمة لم تفقد هالة الكبرياء وهو يقول لها بصراحة حادة

" شهرزاد .. انا لا انام تقريباً منذ اسبوع ... لا اريد حتى ان أخبرك بما يجول في رأسي لساعات الليل الطويل .. يجب ان تشعري بي والا ..."

نظراته شعت بما يشبه التهديد فتسحب شهرزاد يده وهي تعبس وتسأله بصلابة

" والا ماذا ؟! هل سنعود لـ..."

اجفلها وهو يضرب بكفه فوق سطح الطاولة ويهدر بنبرة مكتومة " شهرزاد كفى ! "

اخذ رواد المطعم يتطلعون اليهما بدهشة وفضول بينما وجه شهرزاد اخذ يشحب قليلا لتهمس بصوت خافت

" اخفض صوتك... ارجوك .."

اخفض صوته لكن توتره يتصاعد ليقول من بين اسنانه بغضب مكبوت

" ماذا تريدين افهميني بالضبط ؟ الى اين تريدين ان تصلي بما تفعلينه .. افهمي ان هذه العلاقة مع شاهين باتت كجمرات من نار تلتهب داخلي .. وقد تشعل ناراً لا تنطفئ .."

اخذ يشتم بينما عينا شهرزاد تتسعان وهي تحاول ايجاد ما ترد به عليه ليضيف هيثم وهو يستعيد رباطة جأشه وتحكمه في انفعالاته

" نفذت لك مطلبك وانقذته من الوقوع ... في المقابل.... اريدك ان تفكري جدياً بترك العمل معه .."

أخذت تهز رأسها برفض تلقائي وهي تتمتم

" ماذا تقول ...؟!"

فيرد عليها وعيناه تبرقان " ما أقوله ان حياتنا لن تستقيم ابدا يا شهرزاد اذا لم تتركي العمل معه ... هل تعرفين كيف اشعر كلما فكرت انك تقضين يومك معه ..؟! "

ردت تدافع عن نفسها وهي تشعر ان الامور تفلت منها " انا لا اقضي اليوم معه.. نحن نعمل وكثير من الايام ربما لا التقي بشاهين الا لالقاء تحية الصباح او المساء .."

كانت تنهت هلعاً مما يحصل بينهما بينما تضيف بانفاس متسارعة تدافع عن شاهين هذه المرة " انه يحب زوجته هديل فوق ما تتصور ... وابنه يوسف روحه من الدنيا ... كيف تفكر به هكذا ؟!"

للحظات طوال ظل هيثم ينظر في عينيها بصمت .. ثم صدمها بالقول

" وانتِ ... ألم تفكري به كرجل بأي طريقة خلال فترة طلاقنا يا شهرزاد ؟ ألم تشعري بالغيرة من هديل لانها نالت شاهين بدلا منك؟! هل تذكرين ليلة عرس سمارا يا شهرزاد عندما تأخرتِ بالعودة وكنتُ بانتظارك قلقاً عليك .. لقد كذبتِ علي وقتها لتجرحيني كما جرحتك .. صرختِ في وجهي انك وشاهين تحبان بعضكما وستتزوجان حالما تنتهي العدة .."

ردت وهي تحاول الدفاع عن نفسها

" لكني اخبرتك ان .."

قاطعها ببرودة كالصقيع قائلا بملامح شامخة

" اذكر ما اخبرتني به .. لكن السؤال هو .. لماذا اخترتِ شاهين تحديداً لتثيري غيرتي به؟ واجهي نفسك ... لانه في خيالك الرجل المثالي الذي تتمنينه ... الذي يعرف كيف يراعيك ويفهمك كما لم أفعل انا ؟ أخبريني يا شهرزاد ألم يخطر لك وقتها وبشكل جدي لماذا لا ترتبطين بشاهين بدلا مني ؟ انا الخائن الغادر ...! لكني أعرف الاجابة ... قلبك من اعادك الي ... فقط قلبك ..."

صدرها يعلو ويهبط ولم تعد تهتم بمراقبة رواد المطعم لهما ...

كان هناك وجع يذكرها بالماضي الأليم لكن .. في داخلها يتصارع مع وجعها احساس بالذنب ان ما يقوله هيثم صحيح !

انها حقاً تمنت في ذلك الوقت العصيب لو كانت تستطيع قتل قلبها وحبها لهيثم ثم ترتبط برجل كشاهين يمنحها الاهتمام الذي احتاجته ...

اخذت تشعر بالغضب لان هيثم يحاسبها حتى على تخبطاتها في فترة الطلاق ويحشرها في هذه الزاوية .. كانت تكره ما يفعله وهي تعرف في داخلها انه اسلوبه الخاص ليضغط عليها ويحقق مبتغاه ..

وقبل ان ترد عليه كان هو يقول المزيد

" انا أعلم ان شاهين الآن يمثل لك صديق حقيقي وربما حتى أخ .. لكن لا تكوني ساذجة يا شهرزاد .. هناك عواطف تحصل بين اي رجل وامرأة خارجة عن اي توصيف او سبب .. تتفاعل في غفلة منهما .."

هدرت به بنبرة حراقة وقد فاض كيلها

" كعواطفك التي تفاعلت مع نورا مثلا ؟"

رد بقساوة " نعم .. كعواطفي التي تفاعلت مع نورا .. والتي ادفع ثمنها باهظا حتى اللحظة ..لكن .. وماذا عنك انت ؟! الا يجب ان تتحملي معي بعض المسؤولية ؟ ام انا فقط الرجل الغادر وانت الضحية .."

شهقت وهي ترد عليه باستهجان

" هل تريد تحميلي مسؤولية خيانتك الآن ؟!"

عندها شعّت عيناه بطريقة عجيبة تفيض بالكثير مما يخبؤه

" نعم ... واجهي الامر وكفاك لعب دور الضحية .. كوني اتحمل الجزء الاكبر من المسؤولية لما حصل لا يعني انك معفية !"

تنظر اليه مصدومة ولا تصدق ما يقوله بينما يضيف هيثم يصارحها بما لم يفعل يوماً

" منذ اول زواجنا وانا لم اخنك ابدا لكن بعد مرور عامين بدأت افتقد في حياتنا امرا حيوياً مهما لم تستطيعي تقديمه لي فتصرفت بغباء لابحث عنه خارج محيط زواجنا بدلا من ان احاول معك لتمنحيني ما اريد .. لكني ابدا لم أكن سأتخلى عنك وأغدر بك ولاحيطك علماً نورا حاولت ان تأخذ مكانك كزوجة حقيقية لانها ظنت انها الانسب لي منك وعندما رفضت واعلمتها حقيقة دورها المؤقت انتقمت منا نحن الاثنين بافتعال ذاك المشهد في مكتبي القديم ..."

اغمضت عينيها ورفعت كفيها تغلق اذنيها وهي تهمس بانفاس متقطعة " كفى هيثم .. كفى .. لم أعد اطيق... قذارة... هذا الحوار ..."

دفع هيثم كرسيه للخلف وهو يقف على قدميه ليتمتم بصوت خافت ساخر

" نعم .. قذارة ... فيكفينا منها لهذا اليوم و..موعدنا غداً ..."

شعرتْ بيده تحطُّ على ذقنها لترفع وجهها اليه..

رغم قساوة التعابير على محياه لكن في زرقة عينيه كان تطل مشاعر حميمية عنيفة ...

مشاعر عشق وغرام وغيرة وتملك ...

قال لها بصوت أجش " فكري ملياً بما قلناه الآن... انا اريدك ان تتركي مكتب شاهين... بامكانك العمل في مؤسسة الجراح .. بامكانك افتتاح عمل خاص بك لكن الاستمرار هناك سيحطمنا معاً ... وسيحطم حياة طفلنا صقر معنا ..."

ثم حرك اصابعه ليلامس بابهامه خدها قبل ان ينسحب ويتركها بمفردها ...

شقة هاجر..... مساء

مستلقية على اريكتها وهي تشرب عصير الفراولة بينما تشعر ببعض الاسترخاء ..

فرقد لم يظهر ومؤكد لن يستطيع الاتصال .. فمنذ طلاقهما وعودتها لشقتها عمدت الى تغيير رقم هاتفها الارضي والنقال ...

كانت تريد ان تقطع اي علاقة بالماضي وتمنع حتى اي اتصال مع من عرفتهم من زملائهما في القناة الفضائية حيث عملا سوياً...

الآن ... عدم ظهوره يعني بشكل مؤكد انه حقاً لم يردها كما يزعم ويتلاعب بها ...

وذهابها اليوم لمحكمة الاسرة والسؤال هناك أكد لها اكثر ...

لا يحق له الادعاء انه ردها بدون شهود وتبليغ رسمي للجهات المختصة ...

العدة انتهت منذ قرابة الاسبوعين.. فأين التبليغ ...؟!

رن هاتفها لتميل بجسدها قليلا حتى الطاولة المجاورة لها وتلتقطه وعندما رأت اسم عمها توترت قليلا فأخذت نفساً قبل ان تفتح الخط

" مرحبا عماه .."

فيأتيها صوت عمها الدافئ وهو يقول

" مرحباً يا ابنتي .. لماذا تغيبتِ اليوم ايضا عن المؤسسة ؟ ظننتك اخذت اجازة البارحة فقط .."

ردت بحجة فيها بعض الحقيقة

" انها حساسية الخريف .. اهتاجت علي .."

رد عليها العم طاهر

" سآتيك الليلة واحضر لك دواء معي.."

سارعت لتقول " لقد خرجت واشتريت الدواء بنفسي فلا تقلق .."

لكن فطنة عمها التقطت توترها من حضوره فسألها " ما به صوتك ؟ تبدين غير طبيعية .. وكأنك متوترة او غير مرتاحة "

ارتبكت قليلا فلا تريد اثارة افكار عمها الآن بينما تسمعه يضيف بنبرة فيه تساؤلات معينة

" منذر اليوم بدا ساهماً ايضا ..هل تشاجرتما؟"

ردت هاجر وهي ترفع اناملها لتلامس جبينها

" لا عماه .. انا متعبة قليلا لا غير .. اما منذر فهو يقلق علي .. البارحة ذهبت للقناة الفضائية لاحضر باقي متعلقاتي .. وكان يظن ان الامر سيؤثر سلباً في نفسيتي.."

باغتها عمها بالسؤال " متى ستردين على طلبه؟ الامر طال يا ابنة اخي واستمراره هكذا لا يعجبني .."

سرحت هاجر قليلا ...

حقاً ... متى سترد على طلب منذر ؟!

ما الذي تنتظره ؟!

لقد حان الوقت لتقطع كل علاقة لها بالماضي .. حان الوقت لتمحو اثر فرقد من حياتها .. تمحو وجوده .. تمحو اي سلطة وتجبر منه عليها ...

اذا ارتبطت بمنذر فلن يكون لفرقد اي فرصة كي يتجاوز عليها ويتهجم ..

يدها التي كانت تلامس جبينها انحدرت عفوياً لفمها ...

ما زال فمها يؤلمها من جنونه البارحة ..

ماذا يريد منها ؟! لماذا لا يعتقها ؟!

اللعين لماذا كل هذا الانتقام منها ؟!

انه داء .. مرض .. يجب ان تُشفى حياتها منه ..

" هاجر .. هل ما زلتِ على الخط معي ؟!"

تنبهت انها لا زالت تكلم عمها فردت بما خطر ببالها " الا تريدني ان أتأنى في قبول الزواج بمنذر يا عماه ؟ "

فقال العم " صحيح اردتك ان تتأني لكن حذرتك اكثر من مرة ان منذر الطحّان ليس مرناً في العادات والاعراف .. ونحن نعرف ان علاقتك الحالية به لا تندرج تحت اي بند ارتباط رسمي .."

تنهدت وهي تدافع عن نفسها بالقول

" انا لا التقيه خارج المؤسسة ونكتفي فقط بالكلام عبر الهاتف .. حتى داخل المؤسسة لا احد على الاطلاق عداك انت يعلم ان هناك شيء يجمعنا .. لا ارى اننا نفعل امرا خاطئاً او منافياً للاخلاق .."

كعادة عمها لا يخونه ذكاؤه وهو يواجهها بالسؤال المهم " ماذا هناك هاجر ؟ اشعر انك تماطلين بالكلام ؟"

حسمت الامر لتقول بشكل قاطع " اعدك بداية الاسبوع المقبل سيأتيك منذر ويطلبني رسمياً منك.. "

لكن العم لم يكتفِ ليسألها صراحة " ولماذا الانتظار حتى بداية الاسبوع ؟ لماذا ليس غدا ان كنتِ حسمتِ امرك ؟!"



مؤكد لن تستطيع اخباره انها تريد الاطمئنان تماماً لموضوع فرقد .. المرة الاولى فرقد هاجمها على حين غرة واربكها .. لكن المرة القادمة ستكون مستعدة له وبانتظاره ..

وليضرب رأسه بالحائط ويفعل ما يشاء ...

اللعين كان ينتقم منها لانها تجاهلته في المصعد ... حقير سافل !

بهدوء لا يعكس بواطنها قالت هاجر لعمها

" احتاج لبضعة ايام حتى اتأكد .."

يلح عليها بطلب الايضاح متسائلا

" تتأكدين من ماذا ؟! انا لا افهمك .."

ردت بصدق " اريد فقط ان اتأكد من مشاعري نحو منذر مستقرة ... بل ان الامور كلها مستقرة لاخطو الخطوة الحقيقية معه .."

سمعت تنهيدة عمها طاهر قبل ان يقول بمحبة

" انا لا اريدك دفعك لاتخاذ قرار متعجل يا بنيتي لكن .."

ابتسمت عفوياً وهي تقاطعه بالقول " لا تقلق عماه .. انه قراري انا ولكني اتخذه بالاسلوب الصحيح ليكون عبرك انت وبمباركتك ورضاك .."

فأضاف طاهر بنبرة تأكيد " منذر رجل مميز لكن يجب ان تراعيه فيما يعتقده صحيح "

فترد هاجر وتعابير العزم تكسو ملامحها

" وانا افعل عماه .. صدقني افعل .."

بعد التحية اغلقا الخط لتعود هاجر لوحدة افكارها التي لا تشارك بها احدا ...

فكرت في كلمات عمها الاخيرة عن منذر وفكرت انها لهذا السبب تحديدا لا تخبر منذر عن عودة فرقد ومهاجمته لها ...

لا تريده ان يأخذ هذا العبء الا للضرورات القصوى اذا لم تستطع ايقاف فرقد بنفسها ...

تريده ان يظل معها كما هو الآن ..

عاشق غيور دافئ يمنحها الكثير من الاحتواء والرضا جواره ...

تريد ان تعيش حياة طبيعية معه وفي محيط اسرته التي احبتها من خلاله ..

لقد .. اشتاقت له ! اشتاقت له حقاً ولبحة صوته التي تنعش احلامها ...

وكأنه سمعها ليرن هاتفها في نفس اللحظة فتبتسم وهي تفتح الخط على صوته وهو يقول بهمس أجش" انا اشتقت .."

ضحكت بجذل ومن يراها ويسمع ضحكتها يظنها خالية البال ...

قالت له وهي تسترخي على اريكتها

" انهما يومان فقط غبت فيهما عنك ... لا تكن محتالا .."

يرد بلهفة صادقة " هاجر ... اشعري بي باللّه عليك ... اشعر وكأني عدت مراهقاً يتصرف بحمق دون ان يبالي بالنتائج .."

تنهدت وقلبها يزقزق برقة لترد عليها بنبرة عذبة وتمنيات من صميم القلب

" انه اجمل شعور .. ليتني اعيشه من جديد لكن برفقتك انت وحدك .."

بدا مذهولا وهو يسألها بنوع من الجدية التي لا تخلو من احتراق العاطفة واللهفة " هل حقا تعنين هذا ؟ هل هذا ما تشعرينه ؟ بل هل مدركة لما تصفينه وتتمنينه ؟"

غامت عيناها بمشاعر غريبة ...

هي نفسها لا تعرف كيف تصف مشاعرها نحو منذر ... انها تريده بشدة .. تريد الانتماء له ولحياته ... قلبها متعلق به لكن ... ليس بطريقة الحب الجنوني والعشق الازلي .. انها مشاعر من نوع اخر تمنحها الطمأنينة ..

وكأن منذر هدية القدر اليها بعد طول معاناة انهكتها ...

ردت بحنين لماض تمنت لو كانت عاشته معه

" نعم اعنيه ونعم اشعره ونعم انا مدركة .. ليتك كنت في حياتي منذ سنوات طوال لكنت اسندتني في ايام عصيبة كثيرة مرت بي ..."

سمعت همسته وانفاسه المتسارعة تأثرا

" هاجر ... انت لا تعرفين كم يعني لي ما تقولينه الآن ..."

خنقتها العبرة وهي تبوح له

" لقد مررت بطفولة ومراهقة صعبة يا منذر .. احتجت لمن يكون قربي .. حقاً احتجت .."

سألها منذر بغتة " هل يتصل بك والدك ؟"

شعرت بالاختناق وبشق الانفس ترد عليه

" منذ شهر... لم اسمع صوته .."

وقبل ان يسأل المزيد قالت بلوعة " ارجوك منذر لا اريد الخوض في هذا .. معك اشعر اني اتحرر من كل تاريخي الذي يشعرني كأني عجوز ! معك اشعر اني متجددة اشع حيوية... اني مراهقة وبنت شقية منطلقة ..."

لم يخذلها وهو يمنحها ما تريد ليتناسى مؤقتاً كل اسئلته الملحة عن عائلتها فيغير الموضوع ويسأل بشقاوة مرحة

" اخبريني دون تفكير .. ماذا تتمنين ؟"

ردت دون تفكير " فستان عرس ابيض ..."

احمرت وصدمت من نفسها بينما تسمع صفير منذر ثم همسته الطويلة " واااااااو ......"

وضعت يدها على خدها المشتعل وهي تتعثر بالقول " اقسم بالله... لم.. اقصد .."

فيضحك برقة ويقول لها " الموجع للقلب انك لم تقصدي فقط قلتها بعفوية ... "

يعاود الضحك بينما هي تغرق بالخجل !

ما الذي خطر ببالها لتطلب هذا ؟!

قال لها اخيرا وهو يداعبها بصوت مبحوح

" بدأت اشعر انك .. تحتاجين لمن يدفعك .. كطفل يتعلم المشي لاول مرة فيهاب الخطوة ولا يخطوها الا بدفعة من والده او والدته.."

نهرته والخجل ما زال يؤثر فيها

" منذر توقف ... ارجوك .. "

لكنه لم يتوقف ليسألها بنوع من الجدية

" اخبريني فقط وسأتوقف بعدها اعدك .. لماذا فستان عرس ابيض ..؟ لا بد ان لديك تفسير او ربما ذكرى حلوة ..."

اخذت نفساً عميقاً قبل ان تطلقه وهي تقول

" هو مجرد حلم رومانسي ربما .. داعب خيالي منذ مراهقتي .. احب فساتين الاعراس .. تطريزاتها .. بياضها .. ملوكيتها .. وكأنها تمنح كل عروس الفرصة لتعيش ليلة واحدة وكأنها ملكة متوجة والكل ينظر اليها بحسد..."

فيرد عليها منذر متفاجئا بعض الشيء

" هل تعلمين .. لم أكن اظنك رومانسية بهذه الطريقة ! تبدين تارة كامرأة جريئة مقتدرة لا تهاب احدا .. وتارة اخرى تبدين خيالية سارحة تعيش في احلامها .. وفي كل الاحوال هناك رد واحد يليق بك .."

سألته بفضول " ما هو ؟"

فيرد بصوت مبحوح " احبك ..."

اتسعت عيناها حتى آخرهما بينما شفتاها تتمتمان اسمه " منذر ! "

فيؤكد الامر بتحرر كامل

" مهما كان شعورك نحوي يا هاجر لكني لن أعاند شعوري .. أنا احبك .. وكلمة (نعم) سآخذها منك قريباً .. قريباً جدا لانك تريدينها مثلي ..."

صمتت عاجزة عن الرد او التفسير بينما تسمعه يهمس وهو ينهي المكالمة

" تصبحين على خير حبيبتي .."

اغلق منذر الهاتف وابتسامة لا تضاهى بجمالها على شفتيه ... بدا وسيماً جدا متألقا برجولته وقد وجد ضالته في هاجر ...

قلبه ما زال يقرع بقوة في صدره ودون شعوره يبدأ الغناء ...

دوماً عندما يكون بمزاج رائع يجنح للغناء بصوته الذي وصفته امه دوما بالشجي ...

كانت الافكار تتقافز في رأسه وهو يخطط لما سيفعله مع هاجر عندما أطلت امه من باب الغرفة تناظره بعينين ضاحكتين وابتسامة مشاكسة تتلاعب على شفتيها ..

ضحك في وجهها بينما يقترب منها ويقول

" لا تسألي (لِمَ اغني) باللّه عليك ..."

فتخطو الام نحوه ليمسك كفها يقبل ظاهرها بينما تقول له

" فقط قل لي انها الفتاة المنشودة .."

يسبل منذر اهدابه والابتسامة تشق فمه بينما يرد على سؤال امه

" وكأني لم التق بفتاة قبلها ..."

ضحكت الام وهي ترفع ذقنه بيدها لتواجه نظراتها بنظراته ثم تقول بصوت حنون فخور

" صدقني هي ستجدك وكأنها لم ترَ عيناها رجلاً قبلك ... متى سيحين الوقت لنطلبها؟"

تمتم منذر وعيناه تلمعان ببريق أخاذ

" قريباً جدا أماه .. فقط بضعة ايام أخر..."

في نفس الوقت .. قرية الشيوخ

بيت عبد الملك الشيخ

وضع عبد الملك كفه على كتف ابن عمه ويقول له بابتسامة عريضة

" اذهب يا ابن العم .. لن أخبر احدا انك مجنون وتتحدى الشيخ عبد الجبار.."

فيقول فرقد وصدره يعلو ويهبط بانفعال

" لن انسى لك هذا يا عبد الملك .. لكن ماذا ان سألت نسرين عني ؟!"

فيرد عبد الملك وهو يسبل اهدابه

" دع اختك لي .. سأخبرها انك نمت باكراً
ولا تريد ان يوقظك احد حتى الصباح .."

يطالع عبد الملك وجه ابن عمه فيشفق
عليه... انه يبدو كمن سجن بين القضبان
وروحه تتوق ان تتحرر لتطير لمعشوقته ...

لا يعلم ان كان ما يفعله فيه الصالح لفرقد
لكنه ماشاه في مطلبه وقد كان يعرف انه لم
يأتي لبيته الليلة مدعياً رغبته المبيت عنده
الا لينتهز الفرصة ويسافر خفية للعاصمة ..

ابن عمه الناري المجنون عاشق حتى نخاع
العظم .. فمن يجرؤ على عصيان الشيخ الا
رجل مثله ...

بعد منتصف الليل

شقة هاجر

تتقلب في سريرها وهي تشعر بالاختناق في
نومها .. لم يكن كابوساً واضحاً .. انه فقط
كابوس من دهاليز تدخلها ولا تخرج منها ..

لمسة كالريش على خدها وعنقها لم توقظها
من نومها بل زادت من حدة الكابوس ..

تطلع اليها فرقد في نومها ويشعر انه سيموت
ليكون جوارها ... سيموت ليضمها اليه ويغرق
معها وفيها .. سيموت لينطق بالعشق ويعبر عنه
دون انتقام .. دون مشاعر غضب ...

ينظر لجسدها المضطجع على السرير فيقسم انها ستظل ملكه حتى آخر رمق فيه ..

تقسو نظراته كجبل وعر بينما يتمتم بالوعد

" سأعود اليك بعد ايام قليلة يا من أشعلت فؤادي .. جئتك الليلة فقط لان الشوق جنني و الغيرة تذبحني .. "

مال بوجهه حتى وجهها .. شفتاه تتمزقان رغبة بطعم شفتيها .. انفاسه حارة جدا تلفح وجهها النائم .. لكنه لم يفعل وبإرادة الرجال الاشداء منع نفسه ...

اعتدل بوقفته وهو يمد يده بحرص ليغطيها ثم يتحرك مبتعداً عن سريرها ليغادر شقتها في ظلمة الليل البهيم دون ان تشعر به ...

في اليوم التالي ..

مكتب الشاهين للحاسبات

" شهرزاد وجهك لا يعجبني ابدا ! هل تشاجرت مع هيثم ؟"

ترد شهرزاد وهي شاردة " الامر لم يعد شجاراً يا سمارا .. بل بات امراً اكبر بكثير .."

تسألها سمارا بوجل " ماذا تقصدين فسري ارجوك دون احجيات اعجز عن تفسيرها منذ صغري ..!"

دمعت عينا شهرزاد وهي تصارح سمارا بالقول

" هيثم .. يريدني ان أترك العمل هنا ..."

للحظة لم تستوعب شهرزاد ردة فعل سمارا الهادئة ! بدت وكأنها تعرف ...!

انتظرت منها ان تعبر بأي شيء لكن سمارا التزمت الصمت مما حير شهرزاد اكثر لتسأل بصوت مخنوق " لماذا الصمت يا سمارا ؟! ألن تسأليني حتى لماذا يريدني ان اترك العمل معكم ؟!"

عندها سألتها سمارا بهدوء غريب

" بل سأسألك .. لماذا تريدين البقاء معنا ؟"

ارتفع حاجبا شهرزاد واتسعت عيناها قليلا وهي تتساءل بلا فهم " لماذا اريد البقاء معكم ؟! ما هذا السؤال ؟ لاني .. لاني ..."

تعثرت الاجابة على فم شهرزاد بينما تستكين ملامح سمارا اكثر لتقول لها بتفهم وتعاطف " انت في البداية وجدت نفسك هنا هذا صحيح .. خاصة بفترة طلاقك الصعبة.. كنا كعائلة بالنسبة لك تجدين فيها الدعم .. لكن بعد عودتك لزوجك جعلت الامر تحدياً له .."

لم تجد شهرزاد كلمة واحدة ترد بها على سمارا بينما تواصل صديقتها الكلام

" وما زال التحدي موجوداً .. ما زلتِ تريدين فرضه على زوجك يا شهرزاد تعاقبينه على فعلته بطريقتك .. انا كنت اتفهم هذا منك في البداية بل ربما حتى اشجعه .. لكن ليس لفترة طويلة .. لا يجب ان تكون حياتك معه



سلسلة من التحديات والعقاب واثبات الذات والتشبث بالرأي لمجرد مخالفته .."

سألتها شهرزاد بصوت متحشرج

" هل تريدينني ان اترك .. العمل معكم ؟!"

فترد سمارا بابتسامة صغيرة

" بل اريدك ان تختاري ما يحقق ذاتك واستقلاليتك دون ان التفكير بالعناد والتبارز مع زوجك واثارة حنقه وغضبه .."

صمتت سمارا للحظة قبل ان تضيف بغموض

" اتقي شر هيثم يا شهرزاد ولا تدفعيه ليقدم على فعل قد لا تسامحينه عليه .."

ابتلعت شهرزاد ريقها بصعوبة وهي تائهة بدوامة افكارها بعيدا عن مشاعر القلق الجدي التي تنتاب صديقتها سمارا ...

الجمرة الثامنة

آخر الاسبوع ...

شقة هاجر.. صباحاً..

دسّ المفتاح بالقفل وفتح باب الشقة ...

ارتعشت عضلة في خده والباب يستجيب ...

لقد تذكره قبل ايام .. تذكر انه يحتفظ بنسخة من مفتاح شقتها مع اغراضه التي تركها في الوطن قبل سفره لتركيا ..

نسخة كانت لديه ونسيها تماماً لانه لم يستخدمها يوماً ..

كان دوماً يدخل شقتها بصحبتها ...

لذلك لم يحتمل ليعود للعاصمة مساء ويذهب اليها يراها وهي نائمة ...

خطا فرقد الى الداخل واغلق الباب خلفه ...

المرة السابقة كان الشوق يهلكه ليدخل شقتها فقط كي يراها ..

لكن اليوم ... لم يصدق ان مهلة ابيه انتهت فسافر منذ الفجر حتى وصل العاصمة وانتظرها خصيصاً حتى رآها تغادر بسيارتها لعملها فتحرك ناحية المبنى ودخل عبر البوابة الزجاجية ، وبدلا من المصعد استخدم الدرج ليتسلقه الى الطابق الثاني ...

وها هو اخيراً بمفرده في شقتها ..

اخذ يتنشق عطر مكانها حتى امتلأت حواسه قبل رئتاه ثم يطلق سراح تلك الانفاس المشبعة بها ...

اخذ يتحرك في المكان الذي عرفه بحميمية معها ... كل زاوية هنا له ذكريات حارقة ملتهبة معها ...

لم تغير شيئا في المكان وكأن الاشهر لم تمضي !

وقف مقابل المرآة الكبيرة يرفع اصابعه ليمررها ببطء على الاطار بنقوشه المحفورة ..

هذه المرآة كانت تثير جنونه اكثر ...

كانت تمنحه رؤية هاجر دون اي موانع او عوازل .. عارية الروح تماما كعري جسدها بين ذراعيه .. يرى سكناتها وتعابيرها وهي تستجيب لحميمية العلاقة بينهما ..

ثقلت انفاسه وهو يتذكر كل شيء .. كل تفصيلة .. كل لمحة .. كل تأوه أفلت منها ..

ثم تجهمت ملامحه فجأة وأخذ يتمتم

" لقد كنتِ زوجتي .. وستظلين أبد الدهر يا ابنة الاحمدي ..."

تحرك بخطوات حادة وحاجباه معقودان بقسوة وملامح وجهه تشي الاصرار الذي لا يعرف رحمة التراجع ..

تجول في الشقة .. فتح البراد كما فتح خزانات المطبخ وأطلع عابساً على ما تأكل ..



كالعادة تهمل اختيار الطعام وتكتفي بالمعلب !

حقاً طفلة لا تعرف مصلحتها ...

غادر المطبخ وبثقة تحرك نحو غرفة النوم ليدخلها وعيناه تجولان في ارجائها ..

حتى غرفة النوم لم تغير شيئا فيها ..

تقدم نحو السرير المرتب يحدق في اغطيته ويقاوم رغبة محمومة للاستلقاء عليه ..

لكنه قاوم بشراسة ..

لا يريدها ان تشك الآن بدخوله لشقتها .. ليس بعد ....

تحرك مبتعدا عن السرير يفتح الادارج وخزانة الملابس ثم دخل الحمام يبحث فيه عن اي ملمح يخبره بحدوث تغيير ما في حياتها فلم يجد ..

حسن .. اذن اكتفت بقص شعرها واطفاء لهيبه الاحمر .. لا بأس .. شعرها سيستطيل مرة اخرى ويستعيد لونه الحقيقي ...

التمعت عيناه وابتسامة تشق فمه بينما يهمس

" لقد عدتُ يا هاجر .. عدتُ ولا رحيل جديد... اصبري علي اليوم فقط لاتدبر اموري وبعدها سأتفرغ لك بالكامل..."

صباح اليوم التالي..

كانت ترتدي حذاءها بينما عيناها تجولان مرة جديدة في شقتها بالحدس الغريب الذي لازمها منذ الامس ...!

منذ عودتها من العمل بالامس وهي تشعر بشيء غريب يكتنف جو شقتها ولا تعرف ما هو ..

لا تعرف هل اختفاء فرقد بهذه الطريقة يجعلها تتوتر وتتوجس من كل شيء فتتخيل اموراً ام ان هناك فعلا ما يحصل معها ولا تعرف ماهيته ...

كانت تلتقط حقيبتها ومفاتيح السيارة عندما رن هاتفها ... اخذته من الحقيبة لتفتح الخط وهي تبتسم وتقول ببشاشة " ايها المجنون لماذا تتصل الآن .. انا في الطريق لم اتأخر لتتصل ..."

يسألها منذر دون مقدمات

" انت ما زلت في البيت صحيح ؟"

تعقد حاجبيها قليلا وهي ترد

" نعم .. لماذا تسأل ؟ كنت سأخرج حالا.."

عاجلها بالقول المتلهف

" لا انتظري سيصلك الطرد خلال ثوان.."

فتسأله باستغراب " اي طرد ؟"

وقبل ان يرد عليها رن جرس الباب فتسمع منذر يقول بانفاس متسارعة ونبرة مرحة

" افتحي الباب يا جميلة .."

كان ما زال على الخط معها وهي تفتح الباب لترى امامها شاب يافع يحمل علبة كارتونية كبيرة بيضاء ملفوفة بشرائط عريضة ذهبية..

قلبها يخفق بعنف بينما تستلم الصندوق من الشاب وتوقع على الاستلام ثم تأخذ العلبة وتضعها على مائدة الطعام الخشبية وهي تنظر اليها برهبة فرحة قادمة لا توصف..

سألت بصوت متحشرج

" منذر ! ما هذا ؟"

فيأمرها بصوت مبحوح " افتحيه ...."

بأنامل مرتعشة اخذت تفتح الشرائط وهي تحتجز الهاتف بين اذنها وكتفها ...

شهقت وهي تلمس القماش الابيض المطرز

" يا الهي ... منذر ...."

ترقرقت الدموع بل سالت من عينيها مدراراً حتى اخذت تنشج بينما تسمعه يهمس بعشق

" لم أعد احتمل يا هاجر .. لقد اوصيت بشرائه قبل ايام ولم يكونوا قادرين على ايصاله لك قبل اليوم .."

همست وهي تبكي بفرح " منذر ..."

لتلتقط ورقة مطوية على جانب الفستان فتفتحها وتجد فيها عبارة واحدة..

(قولي ... نعم ...)

جاءها صوته الرجولي وهو يقول

" لا تبكي هاجر .."

ثم يضيف بلهفة " قوليها .. فقط قوليها ..."

لم تستطع ان تمسك لسانها وهي تهمسها

" نعم ..."

صوته يضج بالسعادة وهو يعدها بالقول

" سأنتظرك في المقهى المجاور للمؤسسة ..."

اغلق منذر الهاتف وقلبه مجنون بالفرح ...

لكنه حالما التفت وجد السيد طاهر يقف خلفه وبدا واضحاً انه سمع الحوار فيتمتم منذر ببعض الحرج " سيد طاهر .. انا ... كنت سأخبرك بشكل مؤكد قبل أن .."

قاطعه طاهر بابتسامة صادقة قبل ان يقول

" انا سعيد لأجلكما ..."

فانشرح صدر منذر وهو يرد عليه بوعد من اعماق قلبه المتيم بهاجر

" وانا اعدك ان اسعدها حتى اخر حياتي .."

فيبدو طاهر اكثر ارتياحاً وهو يقول " هذا الصدق الذي يعطر كلماتك يمنحني كل الثقة انك ستبذل قصارى جهدك لتفعل..."



تصافح الرجلان بل اخذه طاهر في احضانه يبارك له ليقول بصوت متحشرج تأثراً

" لا تتخيل كم أنا سعيد .. هاجر تأذت كثيرا يا منذر .."

يبتعد منذر عن السيد طاهر قليلا ليتمتم بتأثر مماثل لتأثره " اعلم .. "

تنهد السيد طاهر وكأن همّاً انزاح من على صدره ليطرق قليلا برأسه يمسح بخجل دمعة فرت من عينه ثم يعبر عن ارتياحه بالقول العفوي

" الحمد لله انها تخلصت من ذاك الكابوس .. لقد كان اتمام فسخ عقد زواجها من ذاك السافل افضل شيء فعلته في حياتي .. "

في البداية لم يكن طاهر متنبهاً لتأثير ما قاله على منذر وقد كان لا يزال مطرقاً ، لكن عندما طال صمت منذر رفع طاهر نظراته اليه ببعض الاستغراب ليدهش اكثر من التعبير التائه على وجه منذر فيسأله

" ما بك منذر ؟!"

كان منذر سريعاً بردة فعله وهو يسبل اهدابه ويدعي الهدوء بينما يتمتم " لا ... لا شيء ... "

فسر طاهر الاحمدي ردة فعل منذر ان ذكر فرقد ازعجه ليقول له " لا تدع ذكراه تؤرقك .. لقد انتهى من حياتها والحمد لله انها كانت قوية حتى لا تتحطم ..."

بإرادة لم يعرف أتته من اين ابتسم منذر وهو يرد على السيد طاهر بالقول

" هاجر دوماً قوية .. وهذا سر تميزها .."

اتسعت ابتسامة طاهر الاحمدي ليربت على كتف منذر ثم يقول

" انا اثق بك وبها لكن .. لا احب ان تخرجا الآن حتى تتم الخطبة رسمياً .. "

رد منذر وهو يستعيد واجهته مخفياً التشوش الذي حصل له بإتقان

" اعدك سنجلس في المقهى المجاور للمؤسسة ولساعة واحدة لا غير .. اريد الاحتفال معها لانها وافقت اخيراً.."

هز طاهر رأسه موافقاً ولم يعقب بينما منذر يعيش تخبطات عجيبة في افكاره ..

في مقهى مجاور للمؤسسة ..

يتلاعب بالملعقة داخل فنجان القهوة بينما تجلس هاجر قبالته تراقبه وهي تشعر بوجود خطأ ما ومنذر يبدو شارداً معها هكذا ..

شعرت بالضيق وهي تسأله بشكل صريح

" ماذا يحدث منذر ؟! "

توقفت يده عن تحريك الملعقة ليرفع نظرات مبهمة اليها يسألها دون اي مقدمات

" لم تخبريني يوماً انك و...فرقد الشيخ كنتما معقودي القران ! دوماً ظننتها خطبة فقط .."

غار قلبها في صدرها .. هل هذه اللحظة التي تهربت منها كثيراً ؟ لكنها كانت ستخبره .. كان يجب ان تخبره قبل ان يتقدم رسمياً ..

تمالكت اعصابها لتواجه الموقف بشجاعة قائلة بهدوء " لا اعلم .. لم نتحدث انا وانت حول الموضوع ... وكنت اظنك تعرف .."

عيناه للحظة قدحتا بوهج غاضب ثم سرعان ما هدأت نظراته ليقول بنفس الهدوء

" لا .. لم أكن اعرف ..."

التوتر كان لا يوصف بينهما ..

عيناه في عينيها .. نظراته تستجوبها ..

تشابكت اصابع يديها فوق الطاولة الدائرية التي تفصلها عنه وكأنها تستعد لما راهنت عليه في منذر ...

قال بنبرة عادية لا تعكس اي توتر مشحون يجمع جلستهما هذه " دعينا نغادر هذا المقهى ونتكلم بمفردنا في السيارة .."

هزت رأسها بـ(نعم) بينما تدفع كرسيها لتقف ومنذر يدفع الحساب ...

على جانب الطريق تحرك منذر بسيارته وهو يقول لها " لنبتعد عن الشارع العام بزحامه المزعج .."

لم ترد بشيء وهي تطرق برأسها بهم ثقيل..

لم يعلم ايا منهما بمن لمحهما على الجانب المعاكس من الشارع ...

حاول فرقد بجنون ان يلتف بسيارته ويعود للجانب الاخر لكنه لم يستطع اللحاق بهما ..

كان يرعد ويزمجر بالشتائم ..

لا .. انه لم يتخيل ...

لقد كانت هاجر حقاً تجلس جوار ذاك الرجل في السيارة وبمفردهما !

اخذ العرق يتصبب منه وهو يضرب على المقود ويقول بصوت خشن " اياك ان تخونيني يا هاجر .. اياك ان تفعلينها مرة اخرى ... سأقتلك !"

ووسط لهاثه المجنون عقله يصدح بكلمتها له التي صرختها في وجهه بعنفوان وثقة وتحدٍ

" حرة .. حرة .. حرة ...."

اتسعت عينا فرقد بغضب لا آخر له ....

تمتم من بين اسنانه التي تصطك من شدة الغضب " ربما عندما استفزيتني خدعتك بكذبة ردك لعصمتي يا هاجر لكنك في عرفي لست حرة ابداً .. انت زوجتي وستظلين كذلك .."

انفاسه ثقيلة ويشعر بالدم سينفجر من اذنيه وهو يتخيل هاجر .. مجرد تخيل مجنون مستحيل .. يتخيلها تزف عروساً لرجل آخر .. غيره ...!

في شارع فرعي ركن منذر سيارته...

اطفأ المحرك ثم التفت اليها يسألها بشكل صريح مباشر لايحتمل اللف والدوران بالاجابة

" هل هناك المزيد لأعرفه ؟"

كانت تسيطر على انفاسها بصعوبة لتبدو طبيعية بينما ترد " نعم ...."

تفاحة آدم في عنقه جذبت نظرها وهي ترتفع وتنخفض ليسأل بكلمة واحدة " ماذا ؟"

استجمعت شجاعتها .. كل شجاعتها لتتحرر من آخر رباط يشدها للماضي..

قالت وهي ما زالت تنظر في عينيه

" لقد كان صعباً علي جدا ان اشرح لك الامر بوضوح سابقاً .. كنت اشعر بالاذلال كلما فكرت انك ستعرف بل .. ان يعرف اي انسان آخر حتى .. يكفي الاذلال الذي شعرته بيني وبين نفسي .."

تقلصت اصابعها وهي تشد على جانب تنورتها بينما تأخذ نفساً ليتحشرج صوتها وهي تقول

" انا .. لستُ ..."

تنظر في عينيه وقلبها قد بدأ بالتحطم فعلياً حتى قبل ان تنطقها .. كان هناك في عينيه نظرات رهيبة وهو يسأل بصوت مخنوق

" لستِ ماذا يا هاجر ؟"

لم تعد تحتمل لتقولها دفعة واحدة

" فرقد تمّ زواجه بي قبل ان نفسخ عقد القران .."

مرت ثوانٍ وملامح وجهه لا تتغير ..

كانت تتقطع وهي تشعر بصدمته ..

وجهه اخذ يشحب بشكل فظيع لتخرج كلماته بنبرة مريعة " ماذا قلتِ للتو ؟!"

ابتلعت ريقها والتحطم في داخلها يستمر ...

لا تعرف كيف صبرت على هذه المعاناة لكن ربما تصبر لاجله ولاجلها ولاجل فستان ابيض اشتراه لها ...

حاولت ان تكون عقلانية وتتقبل صدمته ..

صحيح انها لم تتوقعها لهذه الدرجة لكن لا بأس .. عليها ان تحتمل ردة فعله مهما كانت قوية ... وجارحة لها ...

قالت اخيراً وهي تكرر جملتها

" فرقد تمم زواجه بي ..."

عيناه تجحظان بطريقة اخافتها بينما يسأل كمن مسه الجنون " هل اغتصبك ؟! "

هتفت دون شعورها " لا .. يا الهي لم يفعل .."

بدا في حالة اهتياج مدمر وهو يرد عليها بقسوة رهيبة " اذن برضاكِ ؟! منحته نفسك وجسدك بهذه البساطة ؟ كيف تسمحين له بفعل هذا ؟! "



تدلى فمها وبدأت تشعر بالغثيان لتسمعه يضيف وكأنه يكلم نفسه وسيجن حتى لا يصدق ما يسمعه " يا رب السموات ! في فترة الخطبة ؟!! قبل الزفاف واشهار زواجكما للناس ؟! "

لم تعد تحتمل .. يا الهي .. ما الذي فعلته لتحمل عبأ هذا الخزي ؟!

هتفت والدموع تتجمع في عينيها " الكل كان يعرف اننا متزوجان .. "

لكن منذر لم يستطع الاستيعاب لتخرج الكلمات منه دون سيطرة منه وكأنه كان مخدوعاً من الجميع بمن فيهم هي ليقول

" لكن بأعرافنا انتما كنتما مخطوبين فقط.. عندما سألت عنكِ في القناة الكل قال انك كنت مخطوبة لفرقد الشيخ .. ولا واحد منهم قال انك كنتِ زوجته .. هل تعلمين الفرق بين المعنيين ؟!"

نزلت دموعها وهي تقول بحشرجة وقلبها يموت طعناً في صدرها " انا لم ...افعل... حراماً .."

رفع اصابعه يعبث بشعره بحركات عنيفة قائلا بتشتت وغضب " قد تكونين لم تفعلي حراماً لكن .."

قاطعته وهي لم تعد تحتمل ألما اكثر هادرة به

" لكن ماذا ؟! اخبرني ماذا ؟ ألانني الان بت في نظرك امرأة مطلقة ؟ هناك كثيرات غيري مطلقات بل ولديهن اولاد و .."

فكان هو من يقاطعها الآن وبنظرة في عينيه لن تنساها ما عاشت من العمر " الامر مختلف .. مختلف .. ليتكِ كنتِ مطلقة ولديها عشرة اطفال حتى .. لكان الامر أهون بكثير ..."

هل هناك المزيد ليطعنها في هذه الحياة المجحفة الحقيرة ... تمتمت بوجع تحاول ان تفهم بالضبط ما الذي تختلف به عن غالية ؟!

" انا..... لاافهم .. اشرح لي الفرق ! "

كان هو الآخر مشوشاً وكلماته تخرج دون تفكير من عقله

" لا اشعر انك مطلقة .. الامر مختلف .. لا اعرف كيف اشرحه وافسره .. لكنه شعوري فقط الذي لا استطيع تغييره .. شعوري وكأنك .. وكأنك ... وكأنك مجرد فتاة سلمت نفسها لرجل .."

هدرت وهي تبكي بمرارة

" لقد كنت زوجته .. زوجته... وبعلم اهلي .. ابي وعمي ... لم افعل حراماً "

فيرد عليها بتصلب " انه حرام في عرفنا .. مناف لاداب عفة بناتنا واحترام كرامة عوائلهن .. مرفوض لما هو سائد في مجتمعنا واخلاقياتنا "

بغضب مستعر اخذ يشتم ويصب اللعنات قائلا

" اللعنة هاجر .. اللعنة اللعنة .. كيف استطعت فعل هذا ؟! لقد كنتما مخطوبين فقط .. "

حاولت ان تضع يدها على ذراعه لتهدئه هامسة اسمه " منذر ..."

لكنه نفضها بعنف وهو يصرخ فيها

" دعيني ارجوك ... فقط دعيني ..."

تراجعت منكمشة للخلف ... تحدق فيه عاجزة وهو يتنفس انفاسا متسارعة غاضبة نافرة منها !

فلم تشعر الا وهي تفتح باب السيارة لتغادر تاركة اياه بمفرده ...

لم يتحرك .. لم يحاول اللحاق ..

كان في داخله يشعر انه مطعون ..

انه .. مخذول ..

انه ... لا يعرف حقاً ماهية شعوره اللحظة ...!

مؤسسة الجراح ...

مكتب هيثم الجراح ..

يدلك ما بين حاجبيه والصداع يفتت رأسه ..

الايام الماضية كانت أصعب وأصعب ...

شهرزاد تلتزم الصمت وتقريباً لا تكلمه ..

شاردة باردة بعيدة ... وفي السرير توليه ظهرها وتغلق عينيها لتنام تاركة إياه لناره ...

الامور بدأت تفلت منه .. انه يشعر بهذا ..

البارحة استعان بمن يتتبع خطوات زوجته ويبلغه بها اولا بأول ...

لا يعلم هل هو يشك فيها حقاً ام انه كأعمى يحمل سيفاً فيشوح به في كل اتجاه ليحافظ على ما يملكه ...

انه يتعذب ! يتعذب بطريقة مختلفة عما شعره سابقاً عندما اوشك ان يخسر شهرزاد..

هذه المرة يشعر انه يفقد شهرزاد وهي معه ..

يفقد احساسها به انه رجلها الاوحد ..

وكلما مر الوقت اكثر كلما تكالب عليه هذا الشعور القاتل ...

انه ليس رجلها الذي احبته منذ مراهقتها...

رن الهاتف الداخلي ليأتيه صوت مدير مكتبه قائلا " سيد هيثم .. مكالمة خاصة .."

يرد هيثم بصوت البارد الهادئ

" سأستلمها ..."

رفع هيثم سماعة الهاتف فيأتيه صوت يعرفه وتعامل معه في الاونة الاخيرة

" مرحباً سيد هيثم .. هل تريد مني الاستمرار بتتبع عمل مكتب الشاهين للحاسوب ؟"

فيرد هيثم وقساوة غيرة تصدع تماسكه

" مؤكد ستستمر .. اريد ان أعرف أدق التفاصيل .. لا تتوقف حتى أخبرك عكس هذا ..."

تمتم الرجل " حاضر سيدي .."

اغلق الخط وابتسامة كئيبة تشق فمه فيتمتم لنفسه

" رجل يراقب اعمال شاهين ورجل آخر يراقب زوجتك ! هل تدرك يا هيثم الى اي طريق بت تسير ؟! هل فقدت ثقتك بنفسك واعتزازك بذاتك لهذه الدرجة ؟!"

مكتب الشاهين للحاسوب

حاجباه يلتقيان في الوسط وهو يعبس قائلا بعناد طفولي " سمارا ما تقولينه ليس عقلانياً ! لماذا يجب ان اشجع شهرزاد لتترك العمل في المكتب ؟!"

تأففت سمارا ثم تقول من بين اسنانها شبه المطبقة من الغيظ " اخفض صوتك شاهين وافهم يا غليظ العقل .. زوجها لا يريدها ان تستمر هنا .."

يقف متخصراً خلف مكتبه وتقف امامه سمارا ببطنها التي بدأت تظهر بوضوح فيستمر في العناد معها قائلا

" السيد العظيم لا يحكم في مكتبي ! "

ضربت سمارا بكفها على سطح مكتبه وهي تقول بحنق أمومي " شاهين لا تجعلني افقد اعصابي معك .. اقول لك زوجها لا يريد ..."

ما زال عابساً فتتنهد سمارا قبل ان تقول بهدوء وهي تنظر في عينيه " زوجها لا يريد يا شاهين.. والحليم تكفيه الاشارة .."

نظراتها جعلته ينزع تعابير العناد المشاكس من وجهها ليتكلم ببعض الجدية

" هل تريدين القول ان المشاكل المالية التي تعرضنا لها مؤخراً كانت مقصودة لغاية واحدة وهي ابعاد شهرزاد عن العمل هنا ؟"

ردت بمراوغة " انا لم أقل هذا ! "

هذه المرة هو من ضرب بكفه على سطح مكتبه ليهدر قائلا " اقسم باللّه سأذهب اليه حالا واشبع وجهه المغرور لكماً حتى لن يعود قادرا على التعرف على ملامحه في المرآة "

مطت سمارا شفتيها ونظرت اليه بيأس ان تقوم افعاله الطفولية لتتساءل بحنق " ها قد عدنا لافعال الاطفال .. هل كان لديك عقدة في طفولتك تهاب دخول المعارك فأصبحت تعوضها في الكبر لتقحم نفسك في معارك غيرك ؟"

يميل برأسه جانباً وتسرح نظراته وكأنه يفكر ثم يرد عليها مدعياً الجدية

" نعم .. قليلا ... اذكر فتى متنمراً كان ..."

هدرت فيه تقاطعه " شاهين كن جدياً ..

كفاك تهريجاً.."

جلس على كرسيه وهو يتذمر بالقول

" بعد زواجك من اياد اصبح دمك ثقيلاً ..

اتساءل لماذا سمحت بهذا الزواج من الاصل؟!"

جلست هي الاخرى لتواجهه بالقول الجدي

" شاهين .. هل سيكون مريحاً لك ان

اخبرتك هديل الآن انها ستعمل في مكتب

خاص مع .... زيد ؟"

بنظرة استهجان وفورة غيرة وغضب قال شاهين

" من ؟! زيد الدنيء ! لكنتُ دققت مسمارا على

باب مكتبه وعلقته فيه .."

فترد عليه سمارا بنفس الحجة قائلة " اذن

يفترض ان تشعر باسباب هيثم ايضا .."

فيقول شاهين عفوياً " لكن .. الامر مختلف ..

انا لم اكن معجبـ..."

انقطعت جملته وهو يحدق في عيني سمارا ..

هي وحدها من تعلم انه تخبط بمشاعره نحو

شهرزاد في الماضي .. وكان ربما سيتزوجها

بلحظة تهور وغباء لولا اكتشافه الصادم ان

حبيبته ومراد قلبه لم تكن الا هديل ..

الصغيرة التي كبرت امام ناظريه ...

جاء صوت سمارا هادئ النبرات وهي تقول

" اجل اعترف .. اعترف ان الامر ليس مختلفاً

على الاطلاق .."

اخذ يراوغ باسلوبه الطفولي الذي يعتمده مع سمارا ليغيظها " سمارا انا اشعر بالدوار وأنا ألف وراءك في هذه الحلقة المفرغة .. الا يسمونها مفرغة ؟!"

تمتمت سمارا بصبر وعقلانية " مفرغة .. مغلقة .. النتيجة واحدة يا زوج اختي .. بقاء شهرزاد في المكتب ليس فيه مصلحة لاحد وهي ستكون اكثر المتضررين .."

قال ساخراً " ماذا تريدينني ان افعل الآن ؟! هل اذهب اليها واقول ببساطة (اجمعي اغراضك انت مفصولة من العمل) ؟"

فردت سمارا بكل جدية التي لم تخلُ من الفكاهة

" انت لك تأثير جيد عليها في تبسيط الامور التي تراها هي صعبة .. ستأتي اليك حتماً عندما تكون مستعدة للبوح لك وستسألك رأيك ومشورتك.. فاتوسل اليك تصرف كناضج فلا ينقصني الاطفال من حولي لتظل تعيش هذا الدور معي .."

صمت شاهين للحظات وهو يضرب بسبابته على حافة مكتبه ليُلقي بسؤال يراه مهماً

" لكن .. ماذا ستفعل هي ؟"

فترد سمارا بقناعة

" انه اختيارها يا شاهين .. من البداية هي اختارت .. الامر ليس لعبة تحدي .. ولم يعد يحتمل شكوكها وهواجسها.. "

ابتسامة حزينة مرت على شفتيه وهو يقول

" ان حصل فعلا .. سيكون المكتب كئيباً بدونها .. الا يكفي ان الصغيرة جدايل غادرت لتغادر شهرزاد ايضاً ؟!"

فترفع سمارا نظراتها للسقف وتقول وكأنها تكلم نفسها

" انا فقط من علقت معك الى الابد !"

فيحرك شاهين حاجبيه ليقول بلؤم

" لا تعولي كثيراً على جملة (الى الابد) فاداؤك بفترة حملك لا يعجبني .."

ثم تتعالى ضحكاته بينما تضع سمارا يدها على خده وتنظر اليه وهي تهز رأسها بيأس ان يتغير ...

في الغرفة المجاورة تجلس شهرزاد وهي تستمع لهذر باهر دون ان تركز معه ..

كانت شاردة الذهن وعيناها تجولان في المكان حولها وقلبها يوجعها ...

هل حقاً يجب ان تدفع هذا الثمن لتحافظ على بيتها وزوجها ؟! كلام هيثم ثم كلام سمارا معها شوشها وأيقظ فيها شعوراً بالذنب .. لايام ظلت تفكر انها فرضت على هيثم بقاءها للعمل في مكتب شاهين وهو صمت رغم انها من زرعت فيه الشكوك يوماً ناحية شاهين .. لقد تحمل وصمت لاجل ان يرضيها ..ترى هل يستحق الامر كل هذا العناء بينهما ؟! ام ان عودتهما لبعض كانت خطأ من الاساس ... عذاب من نوع آخر ...

شقة هاجر ... قرابة الغروب

دخلت شقتها واغلقت الباب ...

تُسقط حقيبتها أرضا بلا اكتراث ثم تخلع حذائها وتسير خطوتين وهو تفتح ازرار قميصها وتسير حافية القدمين حتى غرفتها ..

على سريرها كان فستان العرس الذي افترشته صباحاً ما زال هناك ....

ما أبعد صباح اليوم عن مسائه !

بمشاعر متبلدة ظلت تنظر للفستان وهي تستعرض الساعات التي قضتها في الخارج هائمة على وجهها ...

ساعة تركب سيارة اجرة وساعة تركب الباص .. ساعة عند النهر تطعم السمك وساعة في النادي تتناول الغداء وحيدة وبهدوء عجيب ...

كانت تبحث عن وحدتها تلك ..

وحدتها هي كهفها المظلم الذي لا يعرف بوجوده احد ولا يصل اليه ...

احتاجت الركون لذاك الكهف تختبئ من مواجهة واقعها ولو لبضع ساعات ..

لم تشعر بالساعات التي تمر حتى انتبهت لاتصالات عمها المتكررة فترد اخيراً ويأتيها صوت عمها القلق يسألها اين هي ؟ وماذا حصل



بينها وبين منذر ؟ ولماذا اختفيا ولا يردان عليه ..

لم تستطع الا التوسل اليه ان يتركها هذا اليوم فقط .. وستشرح له كل شيء في الغد..

اغمضت هاجر عينيها وشعور التبلد يسيطر عليها اكثر واكثر ...

خلعت قميصها ثم تنورتها وعيناها لا تفارقان النظر الى الفستان الابيض البهي ...

رغبة محمومة سيطرت عليها لتعيش ليلتها خارج الواقع .. وخارج الاحلام ...

ليلة ترتدي فستانها الابيض وتحلم انها العروس ...

بعد دقائق وبملابسها الداخلية تقعد هاجر امام منضدة الزينة ... ترفع شعرها بتسريحة بسيطة لكنها متقنة انيقة ثم زينتها بالورود البيضاء الناعمة ذو الفصوص البراقة ...

تبرجت بتأن وكأنها حقاً عروس في ليلة زفافها ..

تعطرت وهي تشمخ بذقنها لترش العطر على طول عنقها وكتفيها ...

وقفت على قدميها الحافيتين وبملامح جامدة تحركت نحو السرير تنظر للفستان الابيض وعيناها تبرقان كما لم تبرق يوماً ثم رفعت الفستان عاليا تحدق في تفاصيله ....

شفتاها فقط من اخذتا بالارتعاش لكن كل شيء اخر فيها كان جامدا متماسكا ...

اخفضت الفستان لترتديه وحالما فعلت تأوهت وهي ترفع اطرافه بين اصابعها تحرك طبقاته المتعددة وكأنها طفلة تعبث بفستان الاحلام..

تحركت حافية القدمين لتغادر غرفة نومها ناحية غرفة الجلوس ومنه نحو المرآة ....

تطلعت لصورتها وهي تكاد لاتشعر بشيء !

لا شيء على الاطلاق ..

كل مشاعرها انحشرت في مكان ما وتأبى الخروج والتعبير عن نفسها ...

عيناها تحدقان في صورة وجهها المنعكسة فتتفاجأ ان الدموع تسيل منهما بهدوء تام وكأنها في جنازة ....!

رفعت يدها لعنقها وهي تشعر بالاختناق والحيرة وكأنها لا تعرف ما الذي يحصل !

اخذ تبرجها يسيل مع دموعها فترفع اناملها لتمسح بعشوائية تلك الدموع فتلطخ وجهها بالكحل ثم تنتقل لشفتيها تمسح فوق احمر الشفاه اللامع .... لحظات واستكانت وهي تنظر لوجهها الملطخ ...

اخذت تتمتم بكلمات عفوية خرجت من بين شفتيها دون وعي

" احدق في المرآة.. ابحث عن موطن علّتي

هل تشكو زينة شعري من شيء ؟

ام ربما هو فستان زفافي ؟

هل سال الكحل من عيني ا م تلطخ احمر شفاهي ؟!"

صمتت لثوان ونظرات تشع كالنار من عينيها لتهمس بوجع يمزقها وهي تضع يدها على بطنها

" لا ..انه فقط... أنت ..جمرٌ.. في حشا روحي "

غسلت الدموع وجهها وهي ما زالت تحدق في تلك المرآة اللعينة ..

لتهمس اخيرا وهي تشهق ببكاء مكتوم

" انت لعنتي يا فرقد .. بل... ربما انا لعنة على نفسي !"

كانت تفتح سحاب الفستان وهي تستدير متحركة لتعود لغرفتها ...

انها ليلة مختلفة عن كل الليالي ....

انها ليلة تحتاج فيها لكل الصمود لتواجه العالم الحقيقي في الغد ..

ستكمل زواجها بمنذر ... هذا ان اراد حقا ان يكمل معها ويتجاوز ما عرفه ...

لكنها ستكمل زواجها به لانها ابداً لن تخرج خاسرة مرة جديدة ...

منذر سيهدأ وسيتفهم .. هي واثقة من هذا ..



عليها فقط احتمال صعوبة الايام القادمة ومواجهتها بشجاعة ...

كانت تفرش الفستان على السرير مرة اخرى وتفتح تسريحة شعرها لتتساقط الزهرات الصغيرات عندما وقعت عيناها على رسالة منذر داخل العلبة الكارتونية المفتوحة..

امتدت اصابعها لتلتقط الرسالة وتقرأها بشعور مختلف عما قرأته صباحاً ...

(قولي... نعم ..)

سقطت الورقة منها لتقع فوق الفستان كورقة خريف ميتة ...

تركتها حيث هي بينما تجرجر ساقيها لتذهب للحمام ...

بعد ربع ساعة خرجت وهي ترتدي مبذل الحمام القصير بينما تجفف شعرها بحركات آلية بمنشفة صغيرة ...

تحركت نحو السرير لترمي المنشفة الصغيرة هناك وتستعد لفتح حزام مبذلها عندما جذب نظرها الفستان الابيض المفرود على السرير ... تماما كما تركته ..

لكن ....

" يا الهي !"

شهقت وهي ترى الفستان قد تحول الى شرائط مقصوصة طولياً !

صرخت بوجع الايام والسنين وهي لا تعلم لماذا تصرخ !

فقط تشعر ان كل اوجاعها منذ ولدت في هذه
الدنيا قد تجسدت فيها وتصرخ منها ...

فقط تصرخ وهي تنثر بين اصابعها شرائط
القماش الابيض حتى شعرت فجأة بما يكبل
جسدها بغمضة عين وانكتم صراخها
بمنديل ذو رائحة نفاثة وصوت ستميزه حتى
وهي تعاني سكرات الموت ...

صوت فرقد بنبرة غضب مجنون لم تشعرها
يوماً فيه وهو يهدر قرب اذنها بقسوة تشق
صدره

" لم تتركي لي خياراً يا عروسي .."

الجمرة التاسعة

مرتكزاً على ركبة واحدة فوق السرير
واصابعه تهتز وهو يزرر قميصها ليستر مفاتنها
وحالما انتهى من مهمته الشاقة ابتعد عنها
كالملسوع والعرق يتصبب منه وحمم نارية
تخرج من مسام جلده ..

تعثر وهو يتراجع بخطوات مترنحة وانفاس
لاهثة بجنون ... يحدق فيها فاقدة الوعي على
سريرها وشعرها الرطب من اثر الحمام مبعثر
على وجهها ..

كان ينهت وكل روحه تهفو اليها رغم الغضب
الجامح الذي يشعره نحوها ...

استدار ليهرول كالمجنون مغادرا الغرفة
متوجهاً للمطبخ حتى يبتعد عنها قبل ان يجن
ويرتكب خطيئة لا تغتفر...

وهناك فتح صنبور الماء عند حوض غسل
الصحون ليبلل وجهه باسراف حتى تقاطر الماء
على قميصه ...

لكن .. لا فائدة ! لا شيء ينطفئ !

فيترك الصنبور مفتوحاً ويذهب للبراد
ليفتحه بيد مرتعشة بحثاً عن بعض الثلج فلم
يجد .. يشتم وهو يتمتم بجزع

" اللعنة .. اللعنة احتاج ان أفيق.. ! احتاج ان
أن .. أن ...اتألم... لأفيق ..."

ومع فكرة (الألم) اخذ يفتح الادراج القريبة كيفما اتفق باحثاً عن اي شيء حاد والنار لا تعتقه بألسنتها حتى وجد سكيناً كبيراً اخذه سريعاً ليعود ناحية حوض غسل الصحون...

و... تحت المياه المتدفقة من الصنبور شق راحة كفه فسال الدم وألم الجرح يوقظه اخيراً من حمم رغبته المشتعلة لامتلاكها ...

رباااااه ... كم مضى من الدهور عندما امتلكها آخر مرة وشعر بجلدها وانفاسها وروحها كلها بين اصابعه ...

هدأت مشاعره كرجل وسرى برود في اوصاله..

اغلق اصابع كفه على جرحه وعيناه جامدتا النظرات ..

خلال دقائق كان قد ربط جرحه ثم أخذ يستعد بعزم لاكمال ما بدأ وقرر تنفيذه...

ملامحه قاسية منحوتة من صخر الغضب الدفين بينما يدخل غرفتها ويُخرج حقيبة سفر من الخزانة ويبدأ بحشوها بملابس هاجر واحتياجاتها ...

كان هادئا عملياً سريعاً وهو ينفذ بينما هاجر في اغماءتها تلك على سريرها وفوق فستان العرس الذي قصه بنفسه لشرائط ..

لم يشعر بأي لحظة ندم لما فعله بالفستان ..

فلتبكي فستانها الاثير..

حركات يديه اصبحت اكثر عنفاً وهو يضع غسول شعرها وفرشاة اسنانها وهو يتمتم

" كل شيء يجب ان يبدو صحيحاً تماماً .."

عاقد الحاجبين وهو ينهي مهمته اخيرا ..

وضع كل شيء قرب باب الشقة منتظرا مرور الوقت ليُنزل كل شيء الى سيارته المركونة خلف المبنى في وضع لا يثير ريبة احد او اهتمامه وهي محشورة تقريبا بين سيارات اخرى مركونة ..

اطفأ الانوار في الشقة كلها ، ما زال امامه ساعة اخرى وهاجر لن تستيقظ قبل عدة ساعات ... ستستيقظ وهي في قرية الشيوخ!

اختار غرفة المعيشة ليجلس على احد الارائك يحدق في شاشة التلفاز المطفأة ، يده المجروحة مربوطة بضماد قد استقرت في حجره بينما يده الاخرى تراخت جواره على الاريكة ...

عقله يغرق بالتدريج شارداً ومحللاً عودته من تركيا الى الوطن ..

عندما عاد لم يكن يخطط ابدا للقاء بها .. كان يوجعه حتى التفكير بأنه قد يراها ويرى إثمه فيها ...

لكن القدر كان له بالمرصاد ليراها في القناة الفضائية حيث كانا يعملان سوياً ..

حيث ابتدأت مأساته مع قلبه الارعن ...



وهل هناك رعونة اكبر من عشق امرأة انانية لا تشعر الا بنفسها ؟!

عندما رآها في المصعد يعترف انه جن وهو يلحقها من القناة وينتظرها عند شقتها ..

يعترف انه جن وفقد السيطرة ليقبلها وكأنه لم يقبل امرأة في حياته ...

يعترف أنه جن وشعور بالتملك يفيض من جوانح روحه يصرخ ان هذه المرأة ملكه وحده... لقد نسي تماماً خلال تلك الثواني ان هاجر لم تعد حلاله !

لم يستوعب الا عندما استفزته وهي تقول انها (حرة) ! فيفور دمه ولم يشعر الا وهو يخادعها انه (ربما اعادها لعصمته) ..

لكن فيما بعد بدأت فكرة اعادتها اليه تسيطر عليه اكثر حتى أينعت ثمارها ... ولم لا ؟! انه عاجز عن نسيانها .. عاجز عن ايقاف نبض قلبه لاجلها ... لماذا اذن لا يعيدها ؟!

خاصة مع ألحاح ابيه ان يختار زوجة ..

قرر انه سيلجأ للخداع بشكل اوسع .. للضغط عليها .. لأي اسلوب متاح حتى يجعلها تأتي معه لقريته وتقابل اهله ...

ارادها بين يديه ليبتز عواطفها المحرومة ان لزم الامر حتى يجعلها تعود ...

ارادها هذه المرة ان تعود له بالشكل الصحيح.. عروس تزف اليه في بيت والده ...

غباء ... مشاعره نحوها تصيبه دوماً بالغباء ...



اغمض عينيه وهو يرخي رأسه للخلف على ظهر الاريكة ...

كان ذاهباً اليها اليوم لمؤسسة الجراح حيث تعمل عندما رآها مع ....

اخذ يضرب بقبضته على الاريكة وجيوش بدائية من الغضب تقاتل اي تعقل في رأسه..

لقد جن هذا الصباح مذ رآها مع رجل آخر ولم يستطع اللحاق بهما ثم ظل كالاهبل يبحث عنها في الشوارع ..

تارة يحوم حول المؤسسة وتارة حول محل سُكناها وتارة حول محل سُكنى عمها طاهر ..

وكل مرة كان يتأكد انها لم تعد للمؤسسة رغم وجود سيارتها بالمرآب الخاص هناك..

الساعات تمر وجنون غضبه يتصاعد كألسنة نيران اجتاحت مرجاً فتأكل الاخضر واليابس..

دون كلل ظل يلف بسيارته في الشوارع متنقلا ما بين هنا وهناك على غير هدى ..

ثم بدأت خيالات مستحيلة تنهشه !

يتخيلها مع ذاك الرجل قد عقدا قرانهما مثلا وذهبا لشقته ! هكذا ببساطة ...

هي زوجته .. لم تمضي ايام على انتهاء العدة ..

هي زوجته .. حلاله ... ملكه ... تكون مع رجل آخر ؟!

لا يعرف كيف بزغت الفكرة في لحظة ...

كيف أخذ لسانه دون اي منطق او تفكير يردد بالقسم انه سيختطفها .. !

رغماً عن أنف الكل واولهم هي ..

متحدياً الجميع وليضربوا رؤوسهم بالحائط ...

ونفذ ....

توقف على ناصية شارع يدخن وهو يفكر بهدوء مرعب .... ثم نزل من سيارته ليشتري المخدر وعاد يلف بسيارته مرة جديدة ...

كل خلاياه تحفزت حينما رآى سيارتها اخيرا مركونة قرب المبنى الذي تسكنه ..

مزاجه كان نارياً احمراً كشفق الغروب الدامي وهو يركن سيارته ويتسلل لشقتها مرة جديدة ..

ببطء يفتح باب شقتها ويدخل وعيناه تبحثان عنها في ارجاء المكان ...

رآى حقيبتها على الارض وعلى بعد خطوتين حذاءها ....

اغلق باب الشقة بهدوء وسار بخطواته ... قدماه تتبعان اثارها المرمية حتى اوصلته لغرفة نومها ...

وهناك انجذب سمعه لصوت رشاش الماء في الحمام ثم انجذبت عيناه لوهج ابيض مفروش على السرير ...

العرق اخذ يتصبب من جبين فرقد وهو يتذكر تلك اللحظات الرهيبة عندما توهج بياض الفستان امام عينيه ....



يتذكر بنفس الاحساس كيف أقترب ليقف جواره يحدق بجحوظ وعقله يأبى التصديق لما يراه ...

يده تختض وهو يمدها ليلتقط تلك الورقة المرمية فوق الفستان ..

(قولي .. نعم ...)

لقد أطلقت رصاصة الرحمة على اي تعقل قد يجعله يوقف ما ينتوي فعله من جنون ...

لم يشعر الا برغبة ان يمزق هذا الفستان ويحوله الى اشلاء .. بل فكر حتى باشعال النار فيه .. احراقه كما يحترق ويتلظى قلبه وروحه ورجولته ..

اوشك ان ينفذ بأي خيار مما كان يفكر عندما سمع رنين الهاتف يأتيه من غرفة المعيشة ...

تحرك مغادرا الغرفة وهو يلهث من الغضب وعيناه محمرتان كالجمرات ..

لقد ظن انه ذاك الرجل الذي تخونه معه ..

مؤكد يتصل ليطمئن عليها بعد قضاء يومهما معاً وهما يخططان لعرسهما ...الاغبر ...

صدر فرقد يعلو ويهبط وسط الظلمة الحالكة التي يجلس فيها بينما يعيش مرة جديدة كل اللحظات التي عاشها قبل قرابة الساعتين وهو يقف قرب الهاتف الذي لم يتوقف عن الرنين ... ينظر اليه و تتصارع انفعالاته ..

يقاوم رغبته ان يفتح الخط ويخبر الرجل انه سيقتلع رئتيه من خلف اضلاعه ان رآى وجهه ..

بينما في داخله صوت خبيث بارد يقول له دعه.. دعه يرن .. هو لن يجد رداً منها حتى اخر حياته ...

عندما انتهى الرنين جاء صوت مسجل لهاجر خاص بالرسائل الصوتية ..

انفاسه تتسارع وهو ينتظر ان يسمع صوت ذاك الرجل عندما جاءه صوت .... عمها طاهر !

(يا ابنتي انا قلق عليك .. اعلم اننا تكلمنا واتفقنا انني سأتركك الليلة .. لكن بالله عليك طمئنيني انك افضل الآن .. لا زلت اجهل سبب شجاركما صباح اليوم انت ومنذر خاصة وهو لا يرد علي .. لكني واثق انك ستتصرفين بحكمة .. ولا تنسي ما اخبرتك به.. ان تصبري عليه .. فربما ارتباطك السابق يوتره .. سنتكلم غدا .. سآتي باكراً لنفطر سوياً .. تصبحين على خير...)

اعاد سماع الرسالة الصوتية قبل ان يعود لغرفتها ويستمع لصوت رشاش الماء المستمر ..

وببرود جليدي تحرك نحو منضدة الزينة يبحث عن مقص حتى وجده ...

وبنفس البرود عاد للسرير ورفع طارف الفستان وبنظرات رهيبة اخذ يقصه ببطء ..

لقد تذكر كيف اخبرته عن فعلتها يوماً بثوب ابنة عمها سهر عندما كانتا طفلتين ...

اذن لـ(تفعلها) مرة اخرى ....

عمها طاهر لن يشك ابداً ان عادات ابنة اخيه في الصغر ما زالت عالقة فيها حتى الكبر ...

ما زال فرقد في ظلمة المكان .. في ظلمة افكاره .. في ظلمة غضبه يستمع لصوت بندول الساعة المعلقة وهو ينتظر بفارغ الصبر سواد منتصف الليل ليكمل ما بدأ ...

كل الامور حتى اللحظة ...تجري لصالحه..

بعد منتصف الليل اخذ ينقل الاغراض لسيارته ثم عاد للشقة تأكد ان كل شيء مرتب بشكل صحيح في مكانه ..

حتى مبذل الحمام والمنشفة اعادهما لمكانهما بشكل مناسب كما تضعهما هاجر..

ثم ذهب اليها وألبسها هذه المرة فوق ملابسها عباءة سوداء مما تلبسه النساء في قريته مع وشاح اسود مماثل للرأس غطى به وجهها بالكامل ..

عليه ان يتخذ كل الاحتياطات في حال رآه احدهم يحملها سيدعي انها امه ويأخذها للمستشفى ...

وخلال لحظات كان يحملها بين ذراعيه ليترك سريرها وقد انتثر فستان العرس فوقه وكأنه رسالة من صاحبته !

مرت الامور على خير وهو يضعها اخيرا جواره في السيارة ويغطي وجهها جيدا بالوشاح الاسود وينطلق في رحلته ...

اصابعه تمسك المقود بتحفز ... وعيناه تتربصان بالطريق الخارجي وهو يغادر العاصمة.. فليجرؤ اي انسان الآن على انتزاعها منه ... !

المرة السابقة هجرها منتقماً لرجولته وكرامته .. هجرها لانه لم يعد يحتمل ما يفعله معها وما تفعله به .. كان يموت وهو يذبح روحه قبل ان يذبح روحها ...

هذه المرة.. لن يتزحزح شبراً بعيدا عنها حتى ولو غرزت سكيناً وسط قلبه ...

الحي الذي يقطنه منذر الطحان...

هواء الخريف يتخلل قميصه وهو يسير بين شوارع الحي ..

يلقي التحايا على من يعرفهم او يرد على من يلقيها عليه...

لقد انتقل مع عائلته لهذا الحي مذ بلغ التاسعة .. وارتاد المدارس هنا حتى دخوله الجامعة ..

هنا تسكع ولعب كرة القدم في طفولته ومراهقته مع الاصحاب وابناء الحي وهنا قلبه خفق لابنة الجيران وهو في السابعة عشرة وقد ظنه حب العمر !

تبسم تلقائيا رغم عدم رغبته بالابتسام ..

ألفته للشوارع في الحي تمنحه شعوراً افضل ليحاول ان يواجه واقعاً مراً فُرض عليه ...

شعره يتطاير مع الريح التي تزداد في سرعتها حيناً وتتباطأ حيناً آخر ...

الرياح حالها كحاله ... في صعود ونزول ..

وهو مع افكاره ما بين صعود ونزول ...

ان تعرف حقيقة ما صادمة لك.. هو.. شيء ... وان تعترف بها.. هو... شيء آخر ...

الاعتراف بما يصدمك يحتاج لمزيد من الوقت والتحليل .. يحتاج منك مراجعة لكل ما مر لتجمع التفاصيل وتركبها من جديد ..

يحتاج ان تنحي جانباً اي مشاعر سواء سلبية او ايجابية لتركز فقط على منطقية ما فاتك ان تراه على حقيقته ....

يضع منذر يده في جيب بنطاله الجينز بينما قميصه يهفهف على جسده وهو يسير في طريقه وافكاره تسير في طريق شائك صعب...

الآن عليه ان يساير افكاره في طريقها ...

واول ما قادته اليه هذه الافكار هو حدسه ..!

حدسه كرجل كان يخبره احياناً بوجود خطا ما لكنه لم يلتفت او ربما لم يفطن بشكل صحيح او لم يجد سبباً للشك ..

كذاك الاحساس الذي انتابه ان هاجر امرأة فائرة الانوثة .. كان يجذبه الامر ويعجبه .. لكن الحدس يحاول تنبيهه لوجود خطأ وهو بغباء لا يستجيب ..!

حتى نظرتها اليه لم تكن نظرة فتاة ..

يا الهي ... اي غباء هذا ؟!

لم يخطر بباله وقتها انها امرأة مجربة !

توقفت خطوات منذر وسط الطريق شبه المظلم..

لقد خفتت الانارات وقلت الحركة ..

انه منتصف الليل او ربما تعداه ..

أطرق برأسه والريح تشتد لتبعثر شعره ..

عيناه شبه مغمضتان وانفاسه تخرج من بين شفتيه ببطء...

غمزة الشقاوة من عينيها .. ضحكتها .. حيويتها ... ناريتها.. احلامها الطفولية .. افكارها الناضجة الجريئة .. هناك الكثير الكثير فيها ...الكثير مما خلب لبّه ...

ووسط كل هذا الذي (يخلب لبّه) يقفز السؤال

(كم لعب فرقد الشيخ دوراً لتكون هاجر على ما عليه الآن ؟!)

تشتد الريح أكثر وكأنها تجنح لعاصفة ..

يرتعد جسد منذر وتتشنج عضلات جسده وهو يرى هاجر بعيني خياله تستسلم للمسات رجل..! لاحتضانه .. لقبلاته .. لاحتوائه ...

تستسلم لايقاظ كل ذرة انوثة فيها حتى تشتعل وتتوهج ....

تستسلم حتى لاهاناته وقد أقرت بانتمائها اليه قلباً وقالباً ... وهذا ما كان يذلها ويؤذيها ....!

كيف يستطيع الآن ان يتعامل ويتقبل كل هذا ؟!

كيف يستطيع ان يراها بعين جديدة منصفة له ولها؟

كيف يستطيع .. ان يقنع عقيدته ومبادئه انها لم تفرط في نفسها رخيصاً ..؟!

حتى لو لم تفعل حراماً .. لا يستطيع الا التفكير انها ... خسرت الكثير من قيمتها بفعلتها تلك ...

فجراً ... قرية الشيوخ

بيت صغير من طابق واحد بحاجة للصيانة داخل مزرعة خاصة مهملة ..

وقف فرقد على باب احدى الغرف حيث تستلقي هاجر على السرير المنفرد وقد بدأت تطلق اصوات خافتة وكأنها تتأوه متألمة وهي تستيقظ اخيراً من نومها العميق ...

ابتسامة قاسية مرت على شفتيه وهو يفكر انها احتاجت لتخدير اخر خلال الرحلة حتى تستمر بسباتها الاجباري ...

لكن الآن .. وقت المواجهة ...



أخرج هاتفها الذي يحتفظ به في جيبه ثم فتحه ليرسل الرسالة التي أعدها سلفاً ...

حان وقتها الآن قبل ان يطفئ الهاتف...

ارسل الرسالة المعنية لعمها طاهر..

(عمي طاهر .. انا لست بخير .. مشوشة كثيراً .. اريد اجازة مفتوحة من العمل .. احتاج لفترة اختلاء مع النفس لذلك سافرت لمكان منعزل .. سأكون بخير لا تقلق وقد اغيب طويلا ربما شهر او شهرين ..لكني سأعود عندما أكون مستعدة .. سأطفئ هاتفي لاني انشد الوحدة ..)

كان يعرف كيف تكتب رسائلها ..

كان يعرف كيف تتعامل بتلك الطريقة المستقلة مع عمها .. تحبه وتحترمه وربما تحتاج اليه لكنها تضع الحدود دوماً ..

اطفأ الهاتف تماماً ووضعه في جيبه قبل ان يتحرك نحوها ...

انه يشعر الآن بهدوء نسبي .. بالسيطرة والرضا.. انها هنا .. حيث ارادها دوماً ان تكون معه .. ان تعرفه .. ان تفهم وتلمس روحه وكينونته كرجل ...

وقف قرب السرير وعيناه تغرفان النظر اليها غرفاً ... علّه يشبع !

ولن يشبع ابداً حتى تكون له كما يهوى ويريد ...

هل للقلب من سلطان يردعه؟!

يحكمه .. يمنعه ؟!

انه مفتون بها ... مقتول فيها ...

نفس محترق خرج من بين شفتيه وهو يراقبها تعاود التأوه ثم تتمطى بجسدها قبل ان تلملمه اليها لتتكمش كطفلة وهي تنقلب على جانبها وتعاود الغفوة...

قلبه .. رق ..!

رغم العذاب منها .. يرق ... لها ..

غامت عيناه وضوء الفجر يمنحها هالة وضاءة تسحره وكأنهما باتا خارج الزمان والمكان ...

همس بحيرة " ماذا يحدث لك يا ابن الشيخ ؟! ماذا فيها ليثير جنونك ويخرج اسوأ ما فيك؟ كيف ملكتك لتعود لعذابك معها بملء ارادتك ؟ بُعدها عذاب وقربها عذاب العذاب!"

زفر بعنف وهو يبتعد عن السرير ليقف قرب الشباك يراقب الشروق بشجن ...

لقد جازف بكل شيء ليأتي بها الى هنا ..

لكنه سيفعلها مرة اخرى لو عاد الزمن للوراء..

هاجر امرأته .. حتى وهما يتبادلان ادوار العذاب لبعضهما ... تظل .. امرأته ..

مذ رآها في المصعد بعد عودته للوطن وعلم ان الحكم صدر عليه قبل ان يصدر عليها ...

لا فائدة .. كل ما حصل لا فائدة ...

الانتقام .. حرقة الروح والفؤاد .. الغربة ..
الابتعاد لأقاصي الارض .. لا .. فائدة ..

شعوره نحوها لن يتغير بل يزداد جنوناً ...
لذلك لا يوجد حل الا ان يغير شعورها نحوه..

" ايـ...أيـن .. أنا ؟!"

صوتها الناعس جعله يستدير اليها يتطلع
نحوها بابتسامة لم يفهم سببها حتى هو !

هل هو الفرح الغبي انه احضرها لقريته ..
مرتع طفولته وصباه ...

ارادها ان تستنشق هواءه وتلمس تراب اوطانه..

هنا وطنه الحقيقي ... ولا ارض في الدنيا
تمنحه شعور البهجة التي يشعرها هنا ...

للحظة كانت مضطجعة تحرك رأسها تجول
بنظراتها في المكان وكأنها تائهة ... حتى
اهتدت لحظة ان التقت عيناها بعينيه ...

تكتف بسلاسة وهي يرى الصدمة تكسو
ملامحها ثم ردة فعل جسدها القوية وهي
تتحرك بعنف تحاول الوقوف على قدميها
لكن قواها تخور فتترنح ثم تقاوم من جديد
وهي تشهق كمن يناضل ليخرج من متاهة
مريعة فلا يلاقي حتى الضوء ليصل للخلاص...

تنزل عن السرير بقدميها الحافيتين وثيابها
المدعكة وشعرها المشعث ، تحدق فيه
وكأنه وحش مرعب او ربما كابوس مخيف
لتهتف بهمس متقطع مشوش مبحوح وجسدها
كله يرتعد امامه

" ماذا ؟! ماذا ؟! اين .. انا ؟! ماذا تفعل هنا ؟
ماذا ....."

لم يحاول حتى الاقتراب منها او اسنادها في ترنحها بل عاود الالتفات ليحدق عبر الشباك وهو يقول بصوت ثابت

" اهدأي هاجر .. انتِ لستِ في كابوس .. لقد.. اخذتك معي... من شقتك... ليلة الامس واحضرتك الى .... هنا .. في مكان منعزل من قريتي .."

لم يكن يراها كيف اتسعت عيناها وهي تتذكر احداث الامس !

احداث ابتدأت بالفستان الابيض في الصباح .. قولها (نعم) لمنذر .. لقاؤها به واعترافها له بما اخفته عنه .. صدمة منذر وغضبه وكلامه الجارح .. توهانها في الشوارع حتى عودتها لشقتها ... ارتداؤها للفستان وقهرها امام المرآة ... ثم .. ثم ..

خروجها من الحمام و... الفستان .. الفستان يا الهي ... عاد لها الألم بشكل فظيع .. ليتشكل في غضب هستيري وهي تستوعب الآن فقط من أحرق قلبها على الفستان ..

صوت مشحون غاضب اطلقته لتتقدم نحوه بساقيها المترنحتين من اثر المخدر ثم تهاجمه بهستيرية وهي تبكي بانهيار وكأنها تكمل انهيارها لرؤيتها فستان العرس المقصوص

" ايها الحقير .. السافل .. ايها القاتل لكل فرح.. ايها اللعنة التي ابتليت بها .. اكرهك .. اكرهك يا الهي كم اكرهك .."

تضرب بقبضتيها الواهنتين وبعشوائية على صدره ورقبته وهو يكتفي بتلقي ضرباتها بصمت ، يبعد وجهه احيانا ليتجنب الضربات لكنه يظل على صمته يراقب دمعاتها تنحدر على وجهها الشاحب .... حتى فقدت قوتها وتخاذلت ساقاها لتنطويا فانهارت للارض تكمل نشيج بكائها وهي تطلق الوعيد بقلب مكلوم

" سأنتقم منك .. حتى أموت سأظل انتقم منك يا فرقد .."

نظر اليها مطولاً وبوسعه ان يقول لها ببساطة انها انتقمت حقاً دون ان تدري !

كلما تذكر الفستان الابيض الذي كانت تفترشه على سريرها .. يشعر برغبة دموية للقتل !

حتى اللحظة انه لا يستوعب متى وكيف فعلتها ! هل هي معدومة الاحساس لهذه الدرجة لتنتقل ببساطة الى رجـ ...

جحيم من النيران اشتعل فيه ليسارع الى اطفائه ... يجب ان يركز على الهدف ..

غضبه منها المرة السابقة حطمهما معاً ..

تحرك ليتجاوزها وهو يتقدم ناحية الباب قائلا



" انا ذاهب لاحضر لنا افطارا .. انا جائع جدا .. سأغيب ربما لساعة فلا تقلقي .. هناك براد صغير في الزاوية فيه ماء وعصير .. والحمام على جهة اليسار من السرير .. وضعت فيه احتياجاتك .."

رفعت وجهها ببطء لتنظر نحوه وبدلا من ان تمنحه ملامح منهارة غير مصدقة لما يحدث لها كانت تمنحه نظرات ثائرة متحدية ...

هذه هي .. قد تنهار بداية وتسقط على الارض لكنها سرعان ما تبدأ معركة لتقف ...

لاجل هذا عشقها كالمجانين...

بادلها نظرات التحدي البارد وهو يضيف

" وسأحضر لك بعض الكتب التي تحبينها لتشغلي بها نفسك .. فلا يوجد انترنت ولا هاتف .. بالمناسبة .. هاتفك .. معي .."

ازدادت نظراتها شراسة وحقداً وهو يمسك مقبض الباب قائلا المزيد وبهدوء عجيب

" باب الغرفة سأغلقه بالمفتاح تستطيعين ركله بالقدر الذي تشائين لكنك ستؤذين نفسك دون فائدة .. الشباك يمكنك فتحه واستنشاق الهواء النقي لكنه للاسف لا يصلح للهرب فالقضبان المثبتة للحماية من السرقات ستمنعك كما انه ضيق كفاية ليستوعب خروج جسد انثوي ممتلئ كجسدك ... "

وببساطة اخذ يختفي خلف الباب الذي يغلقه وعيناه في عينيها وهي لم ترد عليه بكلمة واحدة ! فقط تمنحه تلك التعابير المتحدية الشرسة التي تعده بالكثير ...

ما ان اطبق الباب حتى عاود فتحه قائلا

" آآه نسيت ان اضيف امراً مهماً .. حنجرتك لن تتحمل صراخاً طويلا .. لكن لا بأس من التنفيس عن غضبك بالصراخ لبعض الوقت ما دام ان ليس هناك انسان سيسمعك فلا تشعري بالحرج من فعلها .. فقط قد ترعبين الطيور في اعشاشها لكن .. فداك الف طير "

هذه المرة منحها ابتسامة قبل ان يغلق الباب وتسمع صوت المفتاح يدور مرتين ..

ابتسامته تلاشت تماماً وهو يخرج المفتاح ليضعه في جيبه ..

للحظة طويلة اسند جبينه على سطح الباب واغمض عينيه ...

يجب ان يتحكم بغضبه .. يجب .. !

شقة طاهر الاحمدي

يحدق طاهر في الرسالة النصية بتوتر ..

حاول الاتصال بها مراراً لكن الهاتف مغلق ..

غادر سريره ليتحرك مبتعدا ويغارد الغرفة دون ان يقلق زوجته ..



في غرفة مكتبه يجلس على كرسيه وعقله يحاول التفكير الى اين يمكن ان تكون ذهبت هاجر ؟!

لا يظنها سافرت لابيها .. بل يجزم انها لم تفعل.. الى اين ذهبت هذه البنت العنيدة ؟!

بيأس اخذ يتصل بهاتفها الارضي دون ان يصل لرد ... أراد ان يتصل بمنذر لكن الساعة لم تتجاوز السادسة صباحاً ...

عزم أمره ان يذهب لشقتها .. ربما سيجد اي اشارة الى اين ذهبت ...

الحمد لله ان لديه نسخة من مفاتيحها والا كان سيضطر لجلب الشرطة حتى يكسروا له الباب وهو لا يريد مزيداً من الفضائح لها ...

خلال نصف ساعة كان طاهر يقف وسط غرفتها وعيناه تحدقان في الفستان الابيض المقصوص ..

رفع كفه ليمسح على وجهه وهو يتمتم

" يا الهي ! ماذا حصل بينها وبين منذر ليصل شعورها ان تقص الفستان جزعاً وتهرب بعيداً ! لماذا تنتقم من نفسها هكذا ؟! ام هل تنتقم منه ؟! انا لم أعد افهمها.. !"

تحرك طاهر متنقلاً في ارجاء الشقة .. مطبخها .. غرفة المعيشة .. الحمام الخارجي ثم عاود الدخول لغرفتها وحمامها الخاص وبحث في خزاناتها وادراجها ..كل شيء يشير انها لملمت احتياجاتها وغادرت فعلا .. !

لم تترك الا فستان العرس المشوه بالغضب ..

ماذا سيفعل الآن ؟! هل ينتظرها حتى تتصل مرة جديدة ؟ ام يبلغ والدها ؟ ام ماذا يفعل؟!

بيت منذر الطحان ..

ينظر للساعة الالكترونية التي تشير الى السادسة واربعون دقيقة ...

عيناه لم تغفوا الا ساعتين ليستيقظ مرة جديدة على نفس الحقيقة القاتلة ...

مد يده يلتقط هاتفه النقال من المنضدة المجاورة فلم يجد اي شيء ..

لا رسالة منها ولا محاولة اتصال ...

فقط السيد طاهر اتصل به مراراً حتى توقف اخر الليل بعد ان يأس منه كما يبدو ..

اعاد منذر الهاتف لمكانه وتنهد بقوة وهو يعيد رأسه فوق وسادته وعيناه شاخصتان للسقف...

حتى اللحظة عاجز عن الوصول لنقطة التقاء متوازنة معها ... البارحة كأنه اعاد شريط معرفته بها من البداية ويقيم بعين متفحصة ناقدة كل تصرف منها ...

لا يستطيع منع نفسه من التفكير انها من سمحت لفرقد الشيخ باستغلالها على هذا النحو ...

تعيش بمفردها .. متحررة من قيود مجتمع متحفظ .. خاصة مع جاذبيتها الشديدة ..

ناهيك عن وجود عمها الذي كانت تستطيع ببساطة الانتقال للعيش معه وفي حمايته ..

هل حقاً الثأر من جعل فرقد الشيخ يفعل بها هذا ام انه لم يستطع الا الاستهانة بقدرها وهي تسلم نفسها له برضاها فشعر انها رخيصة ولا تنفعه ؟!

اتسعت عينا منذر وهو يشعر بهول وحقارة ما يفكر به !

هل وصل به الحال ليحملها مسؤولية ما فعله فرقد الشيخ بها ؟!

هل هذا ما وعدها به من الحماية ؟

هل سيمزقها هو الآخر ويهين كرامتها ؟

كيف نسي ذاك الجانب منها المحتاج للتدليل والاهتمام ؟ لقد لمس فيها هذا بعمق..

استجابتها له لانه منحها هذا الاهتمام الصادق.. منحها نوعاً من التدليل وكأنها بنت صغيرة تهفو لقصة رومانسية لم تعشها يوماً في حياتها ...

لو كان فرقد منحها هذا لما استجابت له بهذه الطريقة وقد كانت في ... فترة عدة طلاق !

هب ليستقيم بجذعه ونار تتوقد فيه ..

يا الهي ! طوال ذاك الوقت كانت في فترة عدة بينما هو يستميلها ويتقرب منها ..

وهي ... هي لم تخبره .. حتى النهاية لم تفعل!



اي انانية هذه منها لتجعله يتعلق بها كل هذا التعلق المشبوب بالعاطفة دون ان تخبره ؟!

لقد اشترى لها فستان عرس ..

يا الهي .. هو الاحمق اشترى لها فستان عرس ليمنحها فرحة من القلب .. ويتوسلها قول (نعم) لطلب الزواج !

كان ينهت وعيناه متسعتان وكأنه مفجوع وشعور قاصم لظهر رجولته انه كان مغفل !

بل اكبر رجل مغفل في العاصمة ...

صوت رنة رسالة نصية جعلته يلتفت بعنف لهاتفه ...

ان كانت منها فيقسم انه لن يسامحها ...

التقط الهاتف ليقرأ رسالة من طاهر الاحمدي فتبهت كل مشاعره وينبض قلبه بضعف ووهن

(منذر ارجو منك الحضور لشقة هاجر الآن للضرورة .. سأنتظر منك اتصالا لتؤكد حضورك ... هاجر رحلت ..)

يداه ترتجفان وهو يقفز من سريره ليبدل ملابسه كيفما اتفق بينما يتصل بطاهر الاحمدي يخبره باختصار انه في طريقه ..

وخلال وقت مليء بالتشوش والنبض البطيء المرعوب وصل للمبنى الذي لم يدخله يوماً ليدخله الآن الى الطابق الثاني حيث شقتها..

ما ان ضغط الجرس حتى فُتح الباب ليطل وجه السيد طاهر شاحباً كما لم يره يوماً في حياته ثم يقول له الرجل الذي يقارب والده عمراً

" ادخل منذر .. لم استطع ترك الشقة دون ان اشاركك رؤية رسالتها الاخيرة .."

نبض قلب منذر الارض خسف للارض وللحظة مجنونة تخيل ان هاجر انتحرت ! وان السيد طاهر لم يطلعه على الخبر المفجع ...

كان في حالة يرثى لها والسيد طاهر يقوده من يده داخل الشقة فلا يرى شيئا مما حوله ..

فقط عيناه تبحثان بجزع عنها ...

يريد ان يراها .. فقط يراها ... يسمع صوتها ..

وجد نفسه وسط غرفة النوم الفارغة فارتفع حاجباه وهو لا يستوعب لماذا هو هنا ...

حتى قال السيد طاهر بنبرة موجوعة وهو يشير بيده للسرير " هاجر رحلت لكن انظر ماذا فعلت بفستان الزفاف الذي اشتريته لها ..."

يسير كالاموات حتى استقر بوقفته قرب السرير وبعينين مصعوقتين يحدق في الفستان المقصوص لشرائط ...

لم يشعر الا وهو يخر على ركبتيه جوار السرير ودمعة تتلألأ في عينيه ويده تلامس الفستان فيكاد يشعر بطريقة ما انها تألمت ألما لا يوصف ليلة الامس .....!

بيت المزرعة .. قرية الشيوخ

تجلس على السرير تحشر نفسها في زاوية وتستند بظهرها للحائط .. تلف ذراعيها حول ساقيها المطويتين وتضمهما لجذعها بينما تستند بجبينها على ركبتيها وعيناها مفتوحتان يملؤهما شعور الغضب ...

لم تبالي بمحاولته استفزازها وهو يطلق الاصوات بينما يأكل بشهية مفتوحة !

مفترشاً الارض وامامه صينية مدورة كبيرة عامرة بكل ما لذ وطاب ..

أبت الطعام كما أبت حتى ان تكلمه ..

لم يأخذ وقتاً اكثر من ساعة ليعود اليها بما وعد ..

طعام افطار وكتب كثيرة وضعها على منضدة في الغرفة ...

لقد قضت الوقت تفكر كيف دخل لشقتها ؟

وهل راقبها ليخطط لاختطافها ؟!

لم تأبه بكل ما قاله عن انعزال المكان ففتحت الشباك حال مغادرته تلف اصابعها حول القضبان الصلدة وتصرخ باعلى صوتها ان ينجدها احد لكن .. فقط ارعبت الطيور في الاعشاش !

حاولت فتح الباب .. حاولت .. كسر القفل .. لكن لا جدوى ... الحقير كان محقاً ...

لتعود لنفس المعضلة ... كيف دخل شقتها ببساطة .. وتكاد تجزم انه دخلها اكثر من مرة ..

كم كانت غبية لانها لم تخبر عمها !

يا الهي عمها طاهر ! سيجن ... ومنذر ؟!

رفعت رأسها بغتة وهي تهتف به بغضب جامح

" عمي طاهر سيقتلك ايها الخسيس لفعلتك هذه .. سيبلغ الشرطة ولن يجدوا صعوبة في معرفة المجنون الذي فعلها .."

كان فرقد يشرب شايه ببرود تام وعيناه نصف مغلقتين وحالما انتهى وضع قدح الشاي جانبا فوق الصينية لينظر اليها نظرات تحمل الكثير مما قد يرهبها ..

لكنها لم تهتم ..

فما الذي سيفعله لاحقاً ؟! قتلها ؟ فليفعلها لن تهتم .. ستمزق وجهه حتى الرمق الاخير ..

وكأنه يقرأ ما يدور في رأسها ليبتسم بطريقة غريبة قبل ان يقول بغموض

" لولا (خفة ظلك) التي تفاجئني صراحة مع مزيد الوعيد الدموي الجذاب في عينيكِ ربما كنت سأغضب.. لكني حتى اللحظة امنحك العذر ... مع هذا حذاري يا ابنة الاحمدي .. تعرفينني جيداً .. عند الغضب لا ارحم .."

هبت من السرير لتنزل عنه وتقف على الارض وكلها يختض بحقد رهيب

" ماذا ستفعل ؟! تضربني مثلا ؟ تعذبني ؟ افعلها يا فرقد .. صدقني لم يعد هناك المزيد لتفعله حتى اكرهك اكثر .. لقد فعلت ما بوسعك لاكرهك كما لم اكره انساناً يوماً .."

في جلسته على الارض طوى ساقاً تحت بينما يتكئ بذراعه على ساقه الاخرى المطوية بوضع مستقيم مع جذعه ليقول بلا مبالاة

" لديك بضعة ايام فقط لتنفسي عن كرهك المفترض لي .. بعدها سنتكلم جدياً .."

كانت ستجن .. حقاً ستجن من برودته معها ..

هتفت به وهي تتقدم خطوة منه

" كيف دخلت شقتي ؟! انها لم تكن المرة الاولى اليس كذلك ؟ منذ ايام شعرت ان هناك امر غريب فيها .. اخبرني كيف فعلتها؟"

رد وهو يميل برأسه جانباً

" لدي نسخة من المفاتيح .."

اتسعت عيناها في ذهول وهي تتمتم

" نسخة ؟! من اعطاك نسخة ؟! هل سرقتها مني ؟!"

عضلة في خده تنبض وهو يرد عليها

" بل اخذتها لاحتفظ بها عندما ... تزوجنا.."

صدرها يعلو ويهبط وهي تهمس

" كل هذا الوقت وانت .. لديك نسخة ؟!
كنت تستطيع الدخول متى ما شئت ؟!
كيف؟! كيف لم أعرف ؟! "

ما زالت تلك العضلة تنبض في خده فيرد
بصوت أجش " لانك لم تريدي ان تعرفي ..
كنت تريدينني عابر السبيل في حياتك ..
لم يهمك ان تعرفي كيف يلعب دوره معك ..
المهم ان يلعبه ويرضيكِ ... حتى وانت
تشمئزين من رضاك ذاك .."

تجمعت دموع القهر في عينيها لكن تصارعها
لتصرخ به بصوت يرتجف ببكاء مكتوم

" لماذا اتيت بي الى هنا ؟ لماذا ؟! ماذا تريد
مني ؟ ماذا فعلت لك ؟ ألم تكتفي ؟ "

لم يرد وهو ينحني للامام ليحمل الصينية
ويقف على قدميه ثم يتحرك ناحية
المنضدة ليضعها هناك قائلا بصوت غريب

" اعلم انك تعاندين معي وترفضين الطعام ..
سأتركه لك واخرج لاعمل قليلا في البيت ..
يحتاج صيانة واعادة صبغ الجدران ..."

كان يتوجه ناحية الباب عندما لحقت به
لتمسك ذراعه وتغرز اظافرها في جلده تصرخ
والبكاء ما زال محشوراً في جوفها

" لن تخرج قبل ان تخبرني ... ماذا تريد مني ؟"

التفت اليها ببطء ليصعقها بنظرات كالجمر وهو يقول بصوت خشن " اريد زوجتي .."

أفلتت ذراعه بحركة حادة نافرة وتراجعت للخلف في نفس الوقت فأخذ هو يتقدم منها والجمرات تشتعل في عينيه

" ان كنتِ تظنين سأتركك لرجل آخر وأنا بهذه النار التي لا تنطفئ فأنت فقدتِ عقلك"

كانت خائفة منه وللحظة شعرت بعزلتها الشديدة ... و... تذكرت ... يا الهي تذكرت المرة الاولى عندما ملكها ...

كانت مرعوبة وهي تنظر حولها وكأنها تبحث عن منفذ او ملجأ ...

الحمام ليس به قفل .. الشبابيك سجن !

وهو سجانها ...

تمتمت ورعشة رعب تتخلل صوتها

" اياك ان تلمسني فرقد .. انا لم أعد زوجتك .. لا احل لك ..."

اصطدمت ساقاها بحافة السرير بينما يقف فرقد قريباً جدا منها تلفحها انفاسه الحارة فتتهدل ذراعاها الى جانبيها تأبى بعناد ان ترفعهما بحركة دفاعية ..

ثم .. ارتعشت رعباً رغماً وهي تشعر بارتعاشة اصابعه الخشنة على جانب وجهها هامسا بقسوة

" نعم .. لا تحلين لي .. كنتِ ذكية وعلمتِ اني كذبت عليك بحكاية ردك لعصمتي..

لكن .. هل هذا يكفي لابتعد عنك الآن ؟

هل تريدين ان تلعبي دور الملتزمة معي ؟! "

فجأة اصابعه امسكت ذقنها بقسوة لترفع

وجهها اليه هادراً امام شفتيها بغضب مجنون

" ماذا عن غرامياتك مع رجل آخر ؟! لقد

كنتِ في فترة عدة .. شرعاً كنتِ ما زلت في

ذمتي .. كيف تسمحين لنفسك بهذا ..؟!"

تواجه نظراته وتكاد تشعر بساقيها لن

تحملانها طويلاً .. لسانها انخرس وحجتها رُدت

عليها ... اجل .. كل ما فعلته كان خطأ..

ما فعلته بنفسها وهي تسلم مقاليد امرها

لفرقد بغباء حتى يذلها ويهينها ...

وما فعلته بعدها بمنذر وهي تخفي عنه

حقيقة زواجها بفرقد توهم نفسها ان لها الحق

ان تعيش (قصة حب) ببساطة ..!

اجل .. أوهمت نفسها ان الامر بسيط وهو لم

يكن بسيطاً على الاطلاق ..

كل شيء كان خاطئاً ومتشابكاً وليس في

مكانه .. وكله بسببها هي!

عندها صفعها فرقد بكلمات أشد قساوة وهو

يقول بنبرة قتلتها قتلاً

" ولماذا استغرب أفعالك.. لم يكن لكِ اهل

يوماً ليربوكِ ويعلموك الاصول والاعراف.. "

لم تشعر الا وهي ترفع يدها توشك ان تصفعه على وجهه عندما رفع يده الحرة المربوطة بضماد طبي ليمسك معصمها قبل ان تصل يدها لخده ...

كان يعتصر معصمها عصراً وكأنه سيكسرها فتتأوه بوجع بينما يتمتم وهو يميل بشفتيه لاذنها " ارفعي يدك مرة اخرى في وجهي وسأكسرها لك .."

شفتاه انحدرتا قريباً جدا من عنقها يكاد يلمسها بينما يهمس باشتعال

" كما لا تدفعيني لارتكاب معصية!! وصدقيني سأموت شوقاً لارتكابها .."

كان يرتجف وكأنه سيموت حقاً ..

لكنه عهد لن يخلفه ..

ستعود ملكه بالحلال .. ستعود ...

ابتعد قليلا يتمزق في الابتعاد عندما سمعها تهمس بشراسة " إكسر يدي يا فرقد وسأرفع الثانية واكسرها ايضا وسأركلك بساقي واكسرهما معاً وعندها سأنهش لحمك باسناني ... لا تظن اني ساستسلم ابداً .."

لم يشعر الا وهو يضحك !

هكذا ببساطة يضحك بابتهاج عجيب بينما يتراجع للخلف ثم ينظر اليها نظرة لامعة غريبة ليقول بعدها بصوت خافت

" النار التي بيننا لا مثيل لها يا هاجر ..."

ثم استدار ليتحرك ناحية الباب مرة اخرى وما زالت صدى ضحكاته العجيبة ترن في اذنيها وعند الباب الذي كان قد اغلقه بدخوله عاود اخراج المفاتيح ليفتحه بينما يقول لها بجذل

" لاتقلقي على عمك .. انه يظنك في رحلة ما تنشدين الوحدة والتفكير .."

شهقتها وصلت مسامعه وهو يمسك مقبض الباب ليلتفت اليها ينظر بحرارة مضيفاً "البارحة عندما خدرتك البستك الثياب ثم اعدت كل شيء لمكانه وبعدها لملمت اغراضك واعدت ترتيب شقتك وتركت كل اشارة توضح انك سافرتِ حقاً .. وبملء ارادتك..."

تخضب وجهها بحمرة تلقائية وهي تفكر انها كانت بمبذل الحمام لا غير !

ثم انحشرت انفاسها هلعاً وارتعد جسدها وهي.. تفكر هل فعل معها شيء وهي فاقدة الوعي ؟

رد على افكارها التي قرأها بوضوح وهو يطرق بنظراته ليده المربوطة قائلا بصوت مبحوح

" اطمئني.. لم افعل ... "

لتقسو نبراته فجأة وهو يقول المزيد " اما فستان العرس المقصوص فتركته حيث هو على سريرك ... كتوقيع الختام منكِ..."

فتح الباب بعنف ليخرج ويغلقه خلفه بعنف ثم يقفله بينما هاجر تشحب وهي تجلس على طارف السرير تفكر انها علقت في فخ !



في الخارج كان فرقد يلكم الحائط وانفاسه كالجحيم تشق رئتيه...

الغضب ... آآآآآآآآآآه من الغضب ...

حطب على حطب ...

وقود يُسكب فوق اللهب...

يلتهم الروح ويفتت الكبد..

بيت عبد الملك الشيخ

دخل عبد الملك لغرفته ليجد نسرين تمشط بشعرها المجعد وهي تجلس على السرير وتشرد بنظراتها وافكارها ...

تبسم وهو يقترب من السرير ليرفع طارف جلبابه قبل ان يجلس جوارها متكئا بمرفقه ثم يسألها وعيناه تراقبان كيف تمشط شعرها

" هل قدمت لاخيكِ كل ما اراده ؟.."

تهز برأسها (نعم) قبل ان تتراخى يدها التي تحمل المشط في حجرها لتتساءل بملامح مرتابة " لمن أخذ فرقد هذا الافطار الضخم ؟ انه يكفي اربعة رجال .."

أسبل عبد الملك اهدابه ليبرر " انه يعمل بمفرده في بيت المزرعة القديمة.. يحتاج لما يقويه .. خاصة وهو يقضي اغلب نهاره بالعمل في صيانته بل قرر ان يبيت الليل هناك ايضا.. "

لكن نسرين بدت حائرة وهي تتساءل بعجب

" ولماذا يطلب مني انا اعداد الافطار وتجهيز الطعام ؟ لماذا لا يطلب من النساء العاملات في بيت ابي ..؟! انه غريب ... وكأنه يخفي سراً عنهم !"

ناظرها عبد الملك يناغشها وهو يمد يده ليبعثر شعرها وهو يقول " هل تبخلين بالطعام على ابن عمي يا بنت الجود والكرم ؟ "

ابعدت اصابعه المشاكسة وتعيد ترتيب شعرها وهي تقول بحنق " عبد الملك... لا تغظني ! انا غير مرتاحة .. انه يبدو غريب الاطوار ومبيته بمفرده في ذاك البيت يخيفني .."

كانت متوترة حقاً فلم تشعر بنفسها الا وهي تقسم شعرها لنصفين لتبدأ بجدله في ضفيرتين كما كانت تفعل وهي طفلة عندما تتوتر...

عبد الملك بدا مستمتعاً بحالتها ويناظرها بجذل وهي تنهي ضفيرتها الاولى عندما سألها ببعض الجدية " ما الذي يخيفك في ذاك البيت على اخيكِ؟!"

توقفت اصابعها عن الجدل بينما تحدق في وجه زوجها وابن عمها قائلة بتعابير توشحت بارتعاب انعكس في نبرتها بوضوح

" اخاف عليه من .... نساء الجن !"

انفجر عبد الملك ضاحكاً ملء فمه قبل ان يقول ساخرا بتحبب

" يا حافظ ! من اين لك هذا ؟"

عبست نسرين وهي توبخه بالقول

" لا تسخر مني .. الكل يعرف ان البيوت المتروكة يسكنها الجن .. ويجب ان يُقرأ بها القران لايام حتى تُطرد الشياطين ، وبيت المزرعة القديمة متروك منذ النزاع الذي دار حول ملكيته بين العشائر قبل عامين....

لا اعلم لماذا فرقد اختار هذه المزرعة دون غيرها وطلب منذ الامس تجهيز غرفة ليقيم فيها.. انها بمكان منعزل بعيد على اطراف القرية... ولا يجاورها اي بيت او مزارع مأهولة بالناس.."

يصمت عبد الملك بينما تضيف نسرين

" كما انه أصر ان يكون بمفرده هناك ليعمل على اعادة صيانته .. ويبيت ليلته وحده..! بمفرده .. لا ونيس ولا أنيس .. لا اعلم كيف وافقه ابي ؟!"

تمتم عبد الملك " ربما لانه يريده ان يبقى بيننا لاطول فترة ممكنة ..."

لكن نسرين كان عقلها بعيداً وقلقها على اخيها يزداد فتقول بجزع عليه

" يا الهي .. هل يمكن ان اغوته عفريته فيرغب باللقاء بمفرده معها ؟! "

عاد عبد الملك للضحك بينما يقرصها في عضدها الاسمر وهو يعض شفته السفلى قائلا

" لقد بدأ يعجبني الامر ربما سأذهب لاساعده.. يُقال ان الجنيات يدللن الرجال .."

تمسك اصابعه الخشنة لتمنعه قرصها أكثر وهي توبخه " عبد الملك .. انه امر جدي .. وسأطلع أمي لتجعل اخي ناصر يتدخل ان لزم الامر ... نساء الجن يتلبسن الرجل اذا عشقنه"

يفلت اصابعه من اصابعها ليرفعها لجديلتها ويفكها قائلا بصوت خشن بالعاطفة التي اشتاقت لوصالها

" لا تخشي على فرقد الشيخ .. جيش من نساء الإنس والجن لن يقدرْنَ عليه .. "

وقبل ان ترد عليه خلع كوفيته عن رأسه ورماها بعيدا ليسحب نسرين اليه بنفس الخشونة قال بصوت متقطع لهفة

" بماذا ستكرمين ابن عمك الآن .. يا أم الاجاويد"

الجمرة العاشرة

العاصمة .. مقهى صغير ..

على طاولة مستديرة صغيرة اقصى المقهى

جلس الرجلان في صمت ... الصدمة ما زالت

تؤثر فيهما وان كانت بنسب متفاوتة بينهما..

كان طاهر منهك الاعصاب لكنه يداري

بشق الانفس وهو يرى انهيار منذر اضعاف !

حتى اللحظة لم يعرف كيف يفترض ان

يتصرف ... هل يبلغ الشرطة مثلا ؟ وماذا يقول

لهم ؟ الفتاة راشدة مستقلة وقد قررت السفر

وبعثت رسالة لعمها من هاتفها ..

ماذا يمكنهم ان يفعلوا له ؟

انها ليست طفلة ليقتفوا اثرها ...

لم يكن امامه الا منذر ليعرف ما جرى بينهما

بالضبط وجعلها تقرر الرحيل بهذه الطريقة

الموجعة ....

سأله بشكل مباشر " ماذا حصل بينكما ؟"

بدا منذر ما زال تحت تأثير الصدمة وهو تائه

النظرات مرهق الملامح شاحب الوجه ...

حتى شفتاه ابيضتا بشكل عجيب ...

رد منذر بصوت يقطر ألما وهو يحدق بعيدا

" آذيتها ... وقد وعدتها مراراً اني لن افعل .."

تنهد طاهر وهو يسأل

" كيف فعلت ..؟ اخبرني ..."

توترت ملامح منذر وللحظة ظن طاهر انه لن يفصح لكنه رد اخيراً بنبرة أشد وطأة

" انا .. لم أكن اعرف بحقيقة ارتباطها بفرقد الشيخ ..."

اتسعت عينا طاهر في ذهول وهو يتمتم

" ماذا تقصد (لم تكن تعرف) ؟!"

فيرد منذر وتوتره يشتد " البارحة .. علمت منك لاول مرة ان هاجر لم ترتبط بفرقد بخطبة فقط .. بل بعقد قران ايضا .."

هذه المرة كان وجه طاهر من يشحب ..!

وخلال بضع ثوان استطاع التكهن بما حدث..

لا بد ان منذر سألها .. وهي أفشت الامر متأخراً .. متأخراً جداً ..

يا الهي .. ايتها الغبية العنيدة الكاذبة ..

لقد خدعت الرجل الذي ارادها زوجة بكل اخلاص وخدعته هو ايضا .. هو عمها كذبت عليه عندما أكدت له انها صارحت منذر بكل شيء..

شعر طاهر باحراج وغضب فظيعين ...

الى متى سيلاحق اخطاءها ليصححها ؟

الى متى سيحاول تقويمها بكل اعوجاج التربية الخطأ التي تلقتها ...

ما ذنب رجل فخور كمنذر ان يُخدع بهذه الطريقة ؟!

ثم .. ثم تحمله المزيد بفرارها الجبان فتجعله يتخبط بين الاذى الذي يشعره من كذبها عليه وبين احساسه بالذنب نحوها ..

لم يتصور ان انانيتها تصل الى هذا الحد ..

قال طاهر اخيراً وقد طال الصمت البليغ بينهما

" اسمعني يا منذر ... لك كل الحق لتغضب منها .. واعذرني بنيّ .. لم أكن أعرف انها أخفت الامر عنك .. ظننتها أطلعتك على كل شيء في المستشفى عندما وقعت عن الدرج ..."

لم يستطع اخباره ان هاجر كذبت صراحة عليه فيكفي ما جرى حتى اللحظة ..

حقاً يكفي ما جرى ...

قال منذر وهو ساهم تماما

" في المستشفى كانت تحاول اخباري .. لكنها كانت تتألم بشدة .. كانت تشعر بالخزي والاذلال وانا لم أستطع ان أتحمل ألمها فطلبت منها ان تتوقف .."

صمت للحظة وطاهر يستمع اليه باهتمام شديد ليضيف منذر بعدها

" لكني لم أكن اعرف انه عقد قران .. وكل ما خطر ببالي انه كان يهينها وربما يضربها "

لم يعد طاهر يعرف هل يشفق على هاجر ام يغضب منها ؟!

لم يعد يعرف كيف يواسي منذر وهو في داخله يشعر بالخجل والخزي لتورط هذا الشاب مع ابنة اخيه بهذا الشكل المعقد ...

تقبضت يد منذر فوق سطح الطاولة بينما تخرج الكلمات صعبة متوترة نابضة بالألم والعجز " لقد صدمت .. لكني آذيتها بالكلام .. هي انسانة حساسة وانا .. انا قلت لها كلاماً موجعاً مهيناً ... لم اقصد ان اؤذيها لكن الصدمة كانت كبيرة جدا عليّ .. لقد حطمتها وجعلتها تمزق فستان العرس الابيض الذي كانت تحلم به ... يا الهي ماذا فعلت بها؟! لقد حطمتها ...!"

عندها رد طاهر عن قناعة تامة

" لاتحمل نفسك ذنباً اكبر من حجمه يا منذر .. كما لا تستهن بهاجر .. انها ليست البنت الرقيقة الناعمة .. هي ليست ضعيفة وارادتها قوية وصلبة عندما تشاء .. قد تضعف.. قد تنهار لبعض الوقت.. لكن سرعان ما تجدها تقف على قدميها شامخة ترفع سيفها لتقاتل الحياة من جديد .."

أطرق منذر برأسه وملامحه تتشنج بالكامل بينما يعتصر قبضته اعتصاراً وهو يقول بخفوت " لن اسامح نفسي ابداً لما فعلته معها.. لقد وعدتها بالكثير وعند اول مواجهة لم استطع ان اوفي بوعودي ... "

فجأة رفع وجهاً هلعاً لطاهر الاحمدي ليسأل بارتعاب

" ماذا لو فعلت شيئا بنفسها ؟! الا يمكن ان نبحث عنها لنتأكد انها بخير ؟"

فيرد طاهر مطمئناً اياه ومخفياً قلقه الخاص قائلا

" ليست هاجر من تؤذي نفسها يا منذر .. انت لم تعرفها كفاية لتدرك ابعاد شخصيتها ..
اطمئن .. هي مؤكد احتاجت ان تهدأ وتعيد حساباتها ... ستتصل بنا عندما تكون مستعدة.."

رفع منذر يده ليمرر اصابعه في شعره الكثيف بتوتر وفي داخله يشعر بالضياع والعجز ...

بيت المزرعة .. ساعة المغيب ..

رمت الكتاب من يدها والملل يكاد يقتلها ..

تحدق حولها في الغرفة الواسعة لكنها تشعرها وكأنها جدران قبر اطبقت عليها..

لم تعد تحتمل الادعاء انها هادئة .. متماسكة... ولا مبالية .. !

ذهبت ناحية الشباك لتفتحه وبمحاولة يائسة جديدة اخذت تشد على القضبان تحاول زحزحتها لكن دون فائدة ...

زفرت بقوة وعيناها تسرحان في الزرع امامها ..

ترى ماذا يفعل منذر الآن ؟! هل يبحث عنها ؟

هل سامحها ؟... هل تستحق السماح حقاً ؟!

ماذا سيفعل ان علم ان .. فرقد اختطفها ؟!

كيف ستكون ردة فعله ؟

وماذا عن عمها طاهر .. مؤكد هو علم الآن بكذبتها وانها لم تخبر منذر الحقيقة كما أوهمته ....

يجب ان تعترف بجزء اناني فيها يشعر بالراحة لانها ليست مضطرة لمواجهتهما الآن ...

ربما فرقد قدم لها خدمة بجنونه هذا ...

كانت تحتاج لهدنة .. لمكان منعزل بعيد..
لقد تعبت من التبرير والتفسير للاخرين...

تنهدت .. ثم اخذت نظراتها تحوم حول المكان تستكشفه ..

اشجار كبيرة متعددة لكن تبدو مهملة وقديمة .. احراش كثيرة والحشرات تحوم حولها ... فجأة خطف بين الاحراش حيوان ما ولم تعرف هل هو أرنب او ربما جرذ كبير !

ارتعبت وهي تغلق الشباك سريعاً ..

قشعريرة اشمئزاز تلقائية انتابت جسدها وهي تفكر بجرذ كبير يحوم حولها !

عادت للتطلع حولها .. الغرفة واسعة ونظيفة وقد جهزت جيدا للاقامة ..

تنهدت وهي تميل برأسها لتستند بجبينها على الزجاج تراقب الغروب ...



لقد غاب فرقد طيلة النهار وكأنه يمنحها الوقت الطويل هذا حتى تعتاد الامر وتستسلم للفكرة ...

تعترف ان غضبها هدأ قليلاً وهذا جيد لان فكرها اصبح اكثر صفاء لتدرس الامور وتخطط للافلات بشكل صحيح ..

فرقد ليس بالغبي ومؤكد أتخذ احتياطاته جيدا .. لكنها لن تستسلم .. ستجد طريقة للهرب او طلب المساعدة لانقاذها ...

صوت هدير سيارة جعلها تتنبه لتعاود فتح الشباك وهي تسمع الصوت يقترب ..

لم تكن ترى شيئا فقط تسمع ...

ثم صمت الهدير لتسمع الآن صوت باب يفتح.. مؤكد هو باب السيارة ...

لا بد انه عاد ...

اغلقت هاجر الشباك من فورها وعادت بخطوات متعجلة لسريرها تمسك بالكتاب الذي رمته قبل قليل فتجلس كما كانت وتدعي الاستغراق بقراءته ..

مرت خمس دقائق قبل ان تسمع صوت القفل الباب يفتح ليطل منه فرقد حاملا اكياس فاكهة كما يبدو ، يلقي تحية مساء عابرة وهو يتوجه بالاكياس للبراد الصغير ..

اغلقت هاجر الكتاب بعنف بينما تهتف به

" أقل لياقة تستوجب ان تقرع الباب وتنتظر الاذن قبل ان تفتحه ! قد أكون سجينتك لكن لي بعض الخصوصية .. وقد قلت لك مراراً ان تتذكر اني لم أعد زوجتك ..."

بطارف عينه ألقى عليها نظرة خاطفة .. راعدة جعلها تنكمش غريزياً قبل ان يعيد انتباهه لاكياسه ويبدأ بتفريغها في البراد ..

قال اخيراً " من الجيد انك تناولتِ الطعام .. فالعناد والاضراب عن الطعام لن يودي بك الى اي نتيجة .. ستضرين بنفسك فقط .."

اغلق باب البراد عندما انهى ما كان يفعله ثم تحرك ناحيتها بخطوات ثابته وعيناه غامضتان لا تحيدان بعيدا عنها ..

ابتلعت ريقها وقلبها يرتجف وعقلها يواصل حثها على عدم استفزازه ...

ان تقاومه امر وان تثير جنونه أمر آخر ...

نظر اليها مطولاً بنظرات غريبة وهو يقف قرب السرير يشرف عليها ...

لم تكن تعرف ما الذي يخطط لفعله الآن لكن رغم الرعب الا ان كل خلاياها تحفزت للمقاومة ...

تبسم وهو يقول بصوت خافت " هلا توقفت عن النظر الي وكأني مغتصب يوشك على الانقضاض عليك في اي وقت ! "

ثم تتوهج شعلة رهيبة في عينيه وهو يضيف بهمس خشن

" ليلة الامس كنتِ عارية تماماً بين ذراعي وفاقدة الوعي مستسلمة وكان بامكاني فعل كل ما اشتهي ومع هذا ... لم .. اقترب.."

صدره يعلو ويهبط ليضيف المزيد " قد أكون مجنوناً واختطفتك .. لكني لست مغتصباً .."

يمد يده ليلامس وجهها بخشونة فتدفع يده بعنف لترتسم ابتسامة مختلفة على وجهه وهو يقول بصوت مبحوح " اعدك عندما .. (يحصل) .. و (سيحصل) ... اعدك سيكون بكامل رضاكِ وارادتك واختيارك .."

توهج الغضب والحقد لتجابهه بالقول

" مؤكد انك مجنون او ربما مغرور لدرجة مقيتة لا توصف لتظن هذيانك قد يتحقق.."

اسبل اهدابه ثم جلس على السرير جوارها لكن برأس مطرق قليلا ليقول بنبرة متعبة

" هذا ليس أوان الكلام بهذا .. ما زلنا بأول الطريق .. واحتاج لامور اخرى منك اكثر اهمية ...."

تضيق عينيها وهي تنظر اليه بتوجس وحذر .. بينما يضيف فرقد بهدوء " سأحضر لك طعام العشاء بعد قليل .. ما زال في السيارة خارجاً .. بعدها سأذهب لأنام .. فإن كنتِ بحاجة لأي شيء اخر اخبريني الآن .."

وقف على قدميه فجأة ليبتعد فتناديه بخوف من نوع آخر " هل ستتركني بمفردي في هذه المنطقة المهجورة ؟"

يضحك وهو يلتفت اليها ويقول بلؤم

" هل تقترحين ان أبيت معك؟ امممممم سأفكر.."

ثم استدار متوجهاً للباب فيغلقه بالمفتاح مرة اخرى ويغيب لبعض الوقت ثم يعود ومعه صينية جديدة بالطعام اصغر من صينية الصباح فيضعها على الطاولة قائلا

" الطعام كله لك .. انا تناولت عشائي .."

ثم تحرك وهو يتثاءب بينما هاجر تغلي وتجيش بصدرها مشاعر الرفض ..

انه لايشحذ مقاومتها باسلوبه هذا.. ليته يستفزها اكثر حتى يمنحها الطاقة لتقاتله وتؤذيه ...

مر وقت بعد خروجه وهي تتجاهل قرقرة الجوع في معدتها وفي النهاية رمت الكتاب جانباً واستسلمت وهي تذهب ناحية الصينية فتبدأ بحشر الطعام الشهي في فمها بغيظ وهي تتوعده الانتقام ...

في ظلام الليل ..

تخفي وجهها في الوسادة وهي تشهق بالبكاء ..

تشعر بحجر ثقيل يجثم فوق صدرها ويجعلها تتمنى الموت !

ها هي مرمية هنا لا أحد يسأل عنها ..

لا احد ربما يفتقدها ...

هل هناك من يبكيها ويقلق عليها ؟

لم تشكل لاحد يوماً اهمية خاصة ليبحث عن وجودها في حياته ...

موجع هذا الاحساس .. موجع في الصميم ..

حتى منذر ربما يجد راحة في اختفائها بدلا من مواجهتها كما تجد هي نفس الراحة ...

لقد باتت تؤمن انها لعنة على حياة الآخرين ولا تجلب لهم الا الهم والحزن ..

اخذت تضرب بقبضتها على الوسادة وهي تتذكر فستانها الابيض الذي قصه الحقير .. النذل ...

لم تشعر الا ببكائها يعلو ويعلو حتى اختنقت انفاسها ودون شعورها اخذت تنادي امها ..

تنادي (شعور امومة) حُرمت منه في حياة امها قبل مماتها ...

تحتاج لصدر يحتضنها ويخبرها ولو حتى كذباً انه معها ولن يخذلها ابداً ..

لم تعد تحتمل كل هذه الوحدة السقيمة !

انها لم تعد تعرف حتى ما تريده من هذه الحياة ! لماذا هي وُلدت اصلا ولا احد يحتاجها او يحبها بشكل كافٍ كي لا يؤذيها ...

يعلو نشيجها ويخترق الابواب والجدران ويصل اليه ...

نشيجها كان محطماً لقلبه ...

واي قلب هو قلبه...؟!

قلب نابض بعشق عجيب مستوطن لحشا الروح..

في ظلمة تامة يجلس فرقد على الارض ورأسه يستند على الجدار جوار الباب يسمع بكاءها فيشعر بمزيد من الغضب والقهر بينما قلبه اللعين يتمزق لاجلها ...

قلبه الخائن يوشك ان يدفعه لفك أسرها ومنحها حرية العودة التي تنشدها ...

همس في سره ..

" ماذا الآن يا فرقد الشيخ ؟! من الليلة الاولى ستضعف امامها ؟ ستنسى كل شيء وتريد اعادتها ببساطة هكذا ؟! اذن ما جدوى مخاطرتك بكل شيء لاجلها ؟ "

شيئا فشيئا هدأ صوت نشيجها حتى تلاشى ...

تنهد فرقد وهو يتحرك دون إصدار صوت ليعود الى فرشته على ارضية الغرفة الاخرى...

اضطجع على ظهره وملامحه منحوته من الصخر وهو يفكر بالقادم وما الذي سيفعله معها ..

انها لا تشعر به على الاطلاق !

لا تراه حتى كانسان من لحم ودم !

انه مجرد حالة مجنونة مخيفة غير مألوفة في حياتها .. ترفضها ولا تريد تذكرها !

تألف وجوده لانه اقترب منها بحميمية لم يفعلها انسان قبله لكنها مع هذا لا تراه !

اغمض عينيه ويمر وقت ربما ساعة او ساعتين حتى شعر باغفاءة تداعب جفنيه ثم فجأة فتح عينيه على وسعهما وكأنه يسمع .. صوتاً .. او ربما نداء !

هب من فرشته ليتحرك حافي القدمين وبخطوات متعجلة ناحية غرفتها فيقف قرب الباب يرخي السمع حتى جاءه صوتها المرهق

" فرقد ... هل انت هنا ؟ هل أنت قريب ..؟ "

ترتعش ابتسامته وهو يرد كاذباً " نعم لا تخافي انا افترش الارض قرب باب الغرفة .."

فتعانده بالقول الواهن " لستُ .. خائفة .."

يضحك بخفوت وهو يقول كأنه يداهن طفلة " حسن .. لستِ خائفة .."

يسمع صوت ضربة على الباب الذي يفصلهما وهي تقول بحنق باكٍ

" لا تضحك .. اي جرأة لك لتضحك .. أأنت عديم الاحساس والضمير لهذه الدرجة .. انا .. خائفة .. مرعوبة من المكان وظلمته وغربته.. مرعوبة منك وما قد تفعله بي .. مرعوبة من الناس وكيف سأواجههم عندما أعود.. مرعوبة حتى من نفسي ...! "

يأخذ نفساً عميقاً ثم يطلقه ببطء ليهدأ قبل ان يأمرها بالقول " نامي هاجر ... "

اخذت تعذبه بالقول الخافت المرهق

" اطلق سراحي .. ارجوك .. لم يجمعنا الا الاذى .. ولن يجمعنا شيء آخر ..."



هذه المرة هو من لكم بقبضته على الباب وهو يهدر بعنف

" هل تظنين اني تكبدت وأتكبد كل هذا لاطلقك ببساطة هكذا؟!"

حاولت ان تقنعه باسلوب آخر وهي تتكلم بثقة واهية تنشد الضغط عليه

" الى ماذا تريد الوصول بكل هذا يا الهي .. الا تخاف ان تسجن لفعلتك هذه ؟ الا تخاف على سمعة اهلك وعشيرتك ؟"

كانت دموعها تهطل من جديد ليأتيها صوته مليئا بالمعاني " ليتك تقولين هذا الكلام لنفسك عسى ولعل تفهمين .."

اخذت تشد بشعرها وتصرخ فيه " اللعنة لا اريد ان افهم ! هل هو بالاجبار ؟!"

فيرد عليها بغضب ساطع رهيب لا حدود له

" نعم بالاجبار ...! كما اقحمتني في حياتك بالاجبار .. اذن تقبلي النتائج كاملة .. وبالاجبار ...! "

تواصل صراخها وبكاءها في الآن ذاته " اريد العودة لمدينتي واهلي .. لا اريد البقاء معك.. لا اريدك ... الا تفهم ؟! انا اكرهك ... اكرهك ... واكره كل لحظة غبية فرطت فيها بنفسي معك ... اكره كل لمسة وقبلة منك .. كل ما انتزعته مني وانا عاجزة غبية

لادرك سواد قلبك ... آآآه كم اكرهك يا فرقد الشيخ..."

كل كلمة منها سكين ..

سكين تقطعه تقطيعاً وبلا ادنى رحمة ...

كل كلمة تطعن فيه أعز ما يملكه ..

قلبه .. كرامته .. رجولته .... اعتزازه بذاته .. احترامه لنفسه .. فخره بنسبه واصله ..

كل كلمة تذكره بما جرى ويجري حتى الآن بينهما فيشعر بالخسة والدناءة ....

اغمض عينيه وهو يقول بصوت متحشرج كالمذبوح

" نامي هاجر .. نامي واحلمي بكرهي ..."

بيت منذر الطحان..

دخل البيت والساعة تشير الى الثالثة بعد منتصف الليل ...

حاول الا يصدر صوتاً حتى لا يوقظ والديه لكن حالما توجه للسلم حيث غرفته في الطابق الثاني انفتح باب غرفة والديه وهي غرفة النوم الوحيدة في الطابق الاول لتتوقف خطواته على اول درجة عندما ناداه والده بحزم " منذر .. توقف ..."

توتر منذر بينما يستدير ببطء بينما تضاء غرفة الجلوس الصغيرة حيث رآى امه ايضا تقف هناك ...

اشار والده اليه بكفه قائلا

" تعال منذر .. انا وامك نريد ان نكلمك .."

مكره على اطاعة والده ومستنزف حتى يرفض او يعترض ....

توجه ناحية غرفة الجلوس مع والده بينما سبقتهما الام بالجلوس ...

جلس وهو يطرق بنظراته للارض ليجلس والده جواره .. كان منذر منهكاً تماما ليبتدأ حوارا او يبدي محاولة لطمأنتهما لذلك ترك لهما المبادرة لقول ما يشاءان..

سمع والدته تقول بحزمها الامومي

" يا ولدي حالك هذا لا يمكن السكوت عنه.. منذ يومين وانت تعاني ولا تخبرنا ..

وتعود بهذا الوقت المتأخر على غير عادتك .. حتى عملك وكأنك تهمله وتذهب متأخرا .. يجب ان تصارحنا بما تعانيه .. او تكلم مع اخيك ان كنت تشعر براحة اكبر لاخباره.."

لا يعلم لماذا صوت امه الحازم أثر فيه بهذه الطريقة ؟!

تلك النبرة منها تشعره بالالفة.. بالمحبة.. بالدعم لمواجهة الصعاب ...

تذكره بكل مشكلة مر بها وكان والداه خير معين وناصح ...

لم يشعر الا وهو يرفع عينيه لامه ثم يقول

" لقد ارتكبت حماقة اماه .. "

للحظة ارتبكت نظرات الام وهي تخشى الاسوأ فتمنح نظرة قلقة للاب الذي يبدي قلقاً مماثلا بدوره لكنه كان صلباً وهو يقول لولده

" مهما كانت هذه الحماقة اخبرنا ..."

ضحكة قصيرة جافة من منذر بينما يرد وكأنه يفسر الامور لنفسه لا لوالديه

" الكارثة اني حتى اللحظة لست مقتنعاً تماماً انها حماقة ! بل اشعر بداخلي اني اعيش صراعاً لا يوصف.. ساعة يقتلني الذنب واحتقر نفسي لفعلتي الحمقاء وساعة اشعر بالغضب وأنه تم استغلالي وفرض الامور علي دون ان امنح حق الاختيار والتفكير ..."

تدخلت الام لتسأل بصبر

" هل يخص الفتاة التي تحبها ؟"

تفاجأ الاب والام من ضحكة مختلفة هذه المرة ... ضحكة مريرة عالية اطلقها منذر بطريقة غير مفهومة وهو يتمتم

" فتاة !"

انخلع قلب الام لتقف على قدميها وتقترب من ابنها تمسك كتفه وتترجاه بالقول

" ماذا تقصد ؟! انا لا افهمك .. اخبرنا بنيّ .. انت لست بخير على الاطلاق ..."

ويضيف الاب على كلام زوجته " ربما اشراكنا بالتفكير سيساعدك لتهوين المسألة .."

عندها وقف منذر على قدميه يتقوقع على ألمه لا يجد قوة لينطقه فيبعد يد امه عن كتفه يقبلها قبل ان يقول بصوت خافت

" ارجوكما .. فقط احتاج ان أفكر بمفردي هذه الايام .. احتاج ان استوعب جيداً قبل ان اتخذ قرارات .. انا اشعر اني على مفترق طرق لأحدد من أنا وماذا اريد ..."

ثم تركهما ومضى وكلاهما عاجز عن فعل شيء ليفهما ويساعدان ولدهما ...

وبينما يرتقي درجات السلم قلبه كان يئن !

وسط الدومات ... هو يشتاق ...

يشتاق لفتاة خريفية سرقت قلبه وطارت ضاحكة مع الريح ...!

صباح اليوم التالي .. بيت المزرعة

تأبى ان تفتح الشباك لانها تعرف ان فرقد موجود في الخارج يعمل ببعض الاشغال البدنية ... فتكتفي ان تنظر من خلال الزجاج تراقب ما يفعله بفضول وربما لتقتل الملل الفظيع ...

المزرعة بدت مهملة حقاً بينما ترى فرقد عاري الصدر ببنطال صحراوي اللون يروح ويجيء امامها دافعاً عربة صغيرة ثلاثية العجلات مما يستخدمه عمال البناء وينقل فيها حجراً واغصان اشجار الى مكان ما لا تصله رؤيتها ...



كانت تعبس في كل مرة تقع عيناها على الوشم الغريب في اعلى ذراعه الايسر ...

بضعة حروف لم تفهمها او حتى تميزها ...

لم تتخيله يوماً ممن يوشمون انفسهم !

اخذت تقضم بعنف من شطيرة القشطة القروية الدسمة بالعسل بينما تتمتم لنفسها

" ركزي بحالك انت وكلي يا هاجر .. يجب ان تكوني قوية ومستعدة حين تقاومينه وتتحين الفرصة المناسبة للهروب .. يجب ان تكوني ذكية باختيار التوقيت الصحيح .. ان تنتظري لحظة غفلة منه لتفلتي قبل ان يشعر بك .. او حتى ان تجدي طريقة لتخلقي فرصتك بنفسك ولو بالخداع والحيلة ..."

بضع شطائر اخر تقضمها بغيظ وهي تراه منسجماً تماما بما يفعل رغم العرق الذي يتصبب من جسده الا انها تعترف له انه يبدو في افضل حالاته هنا..

لم تفكر يوماً بطبيعة حياته في القرية حيث نشأ .. لم تفكر على ماذا تربى وما يستطيع القيام به في بيئة مختلفة عن بيئة المدينة ...

اكملت اخر شطيرة لتشعر بالامتلاء حقاً..

عبست وهي تفكر بطريقة الاكل الدسمة هذه وبقلة حركتها سيزداد وزنها عشر كيلوغرامات على الاقل خلال بضعة ايام!

اتسعت عيناها بصدمة من افكارها !

بضعة ايام ؟! هل حقاً تفكر انها ستبقى بهذه الحال لبضعة ايام أخر ؟!

لم تقضي الا ليلة واحدة مسهدة مريعة هنا لتشعرها وكأنها دهر كامل ..

ليلة قضتها تبكي وتغضب وتحزن وتولول وتشد شعرها احيانا او تصمت لتغرق بذكريات الماضي والحاضر ...

امها .. ابيها .. عمها .. سهر .. منذر ...

بل وكل الناس الذين مروا بها او تعرفت بهم بشكل سطحي..

ثم شعرت فجأة باحساس غريب ...

انها لم تفكر برافد !

اطلاقاً لم يرد على بالها ..

حتى وهي ترثي نفسها ووحدتها لم تقدها افكارها ومشاعرها نحوه ...

هل هي بليدة المشاعر لهذه الدرجة ؟!

ام انها لم تحب احدا بشكل كافٍ ليترك في داخلها أثرا حقيقياً تفتقده فيه ...

حتى منذر ... تفتقده لكن .. في داخلها شيء ما كالسحر انكسر بينهما ...

ليلة الامس تذكرت كل كلمة قالها لها في اخر لقاء بينهما ..

تذكرت غضبه وصدمته وقسوته عليها..

انها تعلم عن يقين ان له كل الحق ليقسو

هكذا لكن ... هذا لم يمنع انكسار السحر

الرقيق الذي عاشته معه على مدى الاسابيع

القليلة الماضية ...

يبدو حقاً انها بليدة ! او ربما كثرة الضربات

والخيبات في حياتها حولتها لكائن شبه

انساني ...

اخذت تصب الشاي لنفسها وهي تتمتم بعزم

" شبه انساني او انساني ... المهم لم يعد لي الا

غريزة البقاء ورغبة الحياة ... رغماً عن الجميع

سأقاتل لانقذ نفسي.. لا احد غيري سيفعل .."

اخذت تحتسي الشاي وهي تشعر فجأة ان غياب

فرقد طال ! ترا اين ذهب ؟!

اللعنة ليس لديها حتى ساعة يدوية لتعرف ..

لكنها تجزم بمرور نصف ساعة ولم يظهر

امامها من جديد ..

وضعت قدح الشاي جانباً ثم فتحت الشباك

بتوجس فيهب في وجهها هواء عليل لا يخلو من

بعض ذرات الغبار ...

اخذت ترخي السمع فلم يأتيها الا صوت

حركة اغصان الشجر والاحراش الطويلة ..

فجأة شعرت بالخوف .. بالاستيحاش ...

فكرت بهلع ماذا سيحدث ان كان فرقد

تعرض لحادث ما وفقد الوعي مثلا ؟!

هل ستبقى حبيسة هذه الغرفة حتى الموت ؟!

الفكرة اثارت جنونها ولم تشعر الا وهي
تتشبث بعمودي القضبان للشباك تحشر وجهها
لتحاول ان تحصل على مدى اوسع للرؤيا ..

تدور بعينيها تبحث بهلع متزايد عن اي اثر
لوجوده ..

لكن.... لا شيء ....!

انها حتى لم تعد تسمع اصواتا مما كان
يُصدرها بتلك العربة او عند نقله لمخلفات
البناء والاشجار التي يقطع اغصانها التالفة
بنفسه ...

قلبها اخذ يخفق بعنف وقد بدأت تشعر ان
الوقت الذي غابه طويل جدا ...

لم تشعر الا وهي تصرخ

" فرقققققد ... فرقققققققققققد... "

لا احد يجيب ابدا ...!!

اصابع يديها تشد اكثر واكثر على القضبان
وتشعر بانفاسها تضيع منها وهي تصرخ مرة
جديدة

" فرقققققققققد ... آآآآآآآآآآآه .."

شهقة رعب منها عندما ظهرت يده من العدم
لتلتف حول اصابع احدى يديها المتشبثة
بالقضبان ثم يظهر وجهه امامها ضاحكاً
ساخراً وهو يقول

" ما هذه اللوعة وانت تنادين اسمي ؟! "



طفرت الدموع من عينيها رغماً عنها وهي تحاول سحب اصابعها من تحت يده التي تعتصرها هادرة فيه

" ايها النذل .. كنت تعرف انك تثير رعبي باختفائك المتعمد .. بلا ضمير انت .. الا تفكر ماذا سيحدث لي وانا حبيسة سجنك هذا ؟"

كان يقف قبالتها الآن بكل جسده نصف العاري المترب ... الشمس في ظهره تجعله مظلل الملامح في عينيها بينما تلمع ابتسامته وهو يقول لها بصوت رجولي متحشرج " انتِ لستِ حبيسة .. انتِ السجانة لو تعرفين..! "

رفعت عينيها بتحدٍ لعينيه تكز على اسنانها وهي تقول ببغض " لن تخدعني باسلوبك هذا ولن تجعلني انسى ابداً ما فعلته بي .. انت تحلم بالمستحيل يا فرقد ... لست مراهقة صغيرة لتؤثر بي بكلماتك وجملك هذه .."

ثم التمعت عيناها بدموع لم تنزل وهي تضيف بصوت مختنق " حتى اللحظة انا عاجزة عن نسيان ايٍّ من الاذى الذي ألحقته بي .. الاذلال وكسر الروح والكرامة .. ثم .. ثم .."

لا تعرف لماذا تذكرت الفستان الابيض في هذه اللحظة .. من دون كل الاذى الذي تسبب به فرقد لها كان قصه للفستان هو الاسوأ ..

تحمله المزيد من الذنوب نحوها وهي تذكره بوجيعتها التي تسبب هو بها

" كيف فعلت هذا بفستان عرسي ؟! لقد كان حلمي منذ مراهقتي ... كيف طاوعك قلبك ان تحرق قلبي بقسوة هكذا ؟"

كانت تشد يدها من تحت اصابعه المستحكمة الاغلاق وصوتها يخذلها بفضح بكائها الذي تخفيه بشق الانفس بينما فرقد يظهر ملامح لامبالاة ساخرة ظاهرية وهو في داخله يخفي اشتعال نيرانه كلما تذكر الفستان ... ليته احرقه !

ما زال محتفظا بواجهته الباردة وهو يرد بحلاوة متعمدة مغيظة " هل هذا ما يهمك من الامر ؟! فستان احلامك يا مراهقة ؟! حسن .. لا تقلقي سأعوضك .. سيكون لك فستان ابيض اجمل متى ما شئت.. فستان يُخاط ويُطرز لاجلك .. كل فتيات القرية سيشتركن في خياطته اجمل ثوب لعروس ابن الشيخ ... هل انت راضية عني الآن ؟ "

جن جنونها وهي تناضل لتحرر يدها وتتوجع أيما وجع .. وهو الوحش الحقير لا يأبه لالمها فتصرخ به لتؤلمه بما تستطيعه من الكلمات

" في احلامك بل كوابيسك يا ابن الشيخ .. انا لن أكون عروسك ابداً .. لا زواج بالاكراه ولن تستطيع اقناعي بالموافقة ... "

يمد ذراعه الحرة بغتة عبر الشباك ليلفها
حول خصرها ويحشرها اقرب اليه فتتأوه وجعاً
من ضغط عمودي الحديد على جسدها بينما
ينحني ليقبل يدها التي يحتجزها هامساً
بلوعة حراقة

" اقسم برب العزة سأفعل "

اصابعه تضغط اكثر على خصرها بحاجة
قاتلة ان تكون أقرب اليه من روحه بينما هي
تقاومه بضراوة تشعل حاجته اكثر ..

يقرب وجهه من القضبان على بعد سنتيمترات
من وجهها وهي تحرك رأسها يميناً وشمالاً
فيتمنى لو يطال بشفتيه فقط خديها .. لن
يطمع باكثر ... رباااه قد يحطم كل هذه
القضبان حتى يصل اليها ... لكنه يريدها
راضية .. راااااضية ...

أفلتها مرغماً ويبتعد وهو يشتم ..

ثم اختفى من امام ناظريها وهي تنهت من
مقاومته وتتأوه وجعاً من قساوته وجنونه ..

بعد فترة قصيرة كانت ما تزال تجلس عند
الشباك والهواء يطير بضع خصل من شعرها
المحمر ، كانت قد استعادت هدوئها مع لمحة
كآبة تقاومها بضراوة ....

سمعت صوت قفل الباب يدور فلم تهتم
بالالتفات اليه حتى سمعت اقترابه وهو يقول
لها " سأذهب لأصطاد ..."



استندت بذقنها على يدها وما زالت تتجاهل النظر اليه بينما ترد عليه

" تشعرني وكأنك رجل الكهوف وانا امرأتك التي تودعك على باب الكهف لتعود الي مساء بالطريدة التي سنتعشى بها ..."

اصابعه التفت حول ذراعها ليوقفها على قدميها ويلفها اليه عنوة وهي تقاومه بشراسة تلقائية ...

يقربها لصدره وهو يناكفها بالقول

" ستكونين رائعة وانت تنتفين ريش الطير الذي سأصطاده .."

رفعت عينيها اليه لتراه يرتدي كوفيه يشدها حول رأسه ثم ذهلت وهي تكتشف انه يرتدي جلباباً رمادياً..

بدت للوهلة الاولى مضطربة من هيئته هذه التي لم ترها يوماً فيه ...

لكنه أثار غيظها وهو يبتسم لها وكأنه مستمتع بتأثرها باختلافه ..

عقدت حاجبيها وهي تبتلع ريقها وتتحداه بالقول " بعض افكارك تدفعني للضحك حقاً ! كيف تفكر مجرد تفكير اني قد أفعل هذه الامور ..."

تنهد وهو ينظر لوجهها القريب نظرات عميقة وكأنه .. كأنه يلامسه دون ان يلامسه حقاً ..

شعرت بنغزة في قلبها كرهتها فتضيف بصوت متحشرج حمل الحقيقة الوحيدة التي تؤمن بها " فرقد .. انا لا انتمي الى هنا .. ما تفعله او ما تحاول ان تفعله لي يجدي نفعاً .."

فاجأها وهو يمنحها نظرة هادئة ثم يقول وكأنه يوبخ طفلة متدللة عنيدة ..

" لو كنتِ في بلاد اوربية وخرجتِ مع مجموعة في تخييم في احدى الغابات هل تقولين لي انك لن تشتركي معهم في توفير الطعام بالصيد والتنظيف والطبخ ؟ "

فاجأها برده .. واخرس لسانها بمنطقه ..

خاصة وهي كانت قد فعلتها حقاً عندما كانت في الجامعة ...

فيضيف فرقد واصابعه تسرح على بشرتها

" الامر لا يخص بيئة لا تنتمين اليها بل يخص ما تريدين انت ان تنتمين اليه .. ما يقنعك عقلك انك تريدينه .. "

فجأة ابتعد عنها وأفلتها تماماً ...

يحني رأسه وهو يقول بنبرة مبهمة

" انا لا اطلب منك ان تصبحي امرأة كهوف لاني لست برجل كهوف يا هاجر .. لكن اريد امرأتي اذا اخذتها لكهف يوماً ما ان تشاركني الحياة فيه كما تشاركني الحياة في المدينة والحضارة .."

ثم استدار مولياً اياها ظهره يتحرك بخطوات ثابته حيوية في جلبابه بينما يتمتم وهو يصل الباب

" كلي من الفاكهة التي وضعتها لك في البراد .. انت لا تتغذين جيدا .."

وعندما اغلق الباب خلفه سمعته يضيف

" سأعود عند مغيب الشمس .. ومعي ما اصطدته نظيفاً ومطهواً دون مساعدتك.."

بعد ساعات في البرية ...

من فوق حافة بندقية الصيد ينظر بتركيز على الهدف قبل ان يطلق على الطير ويصيبه بمقتل...

يسير فرقد نحو ما اصطاد والى جواره يسير ابن اخيه المراهق ساجد فيضاحكه فرقد ويناكفه انه اكثر مهارة منه في القنص ...

يقف ناصر مع بندقية الصيد خاصته يراقب مشية اخيه مع ولده ...

هناك امر محيرٌ في فرقد ..

كل شيء يبدو طبيعياً تماماً بل ممتازاً وهو يرى أخاه يندمج بالحياة في القرية ويقضي اجازته الطويلة من عمله هنا دون ان يعاود ذكر العاصمة او حتى يبدي اي رغبة للذهاب هناك ...

والده مرتاح وراض خاصة وقد منح فرقد

المزرعة القديمة التي كانت محل نزاع

ليعمرها بمفرده كيفما يشاء ...

وامه سعيدة وتبحث له بتدقيق عن العرائس

النجيبات ممن يلقْن بمقام عشيرة الشيخ

ليختار فرقد احداهن...

وفرقد .. صامت مبتسم ...!

لا يبدي ممانعة وان كان في نفس الوقت لا

يبدي قبولا او اهتماماً..

فتفسره امه ترفعاً مطلوباً ...!

لكن مع هذا ناصر يشعر بالغرابة من بعض

تصرفات اخيه ... وتعجباً من استسلامه لرغبات

ابيهما وامهما ..

وكأنه يهادنهما لغاية في نفسه..

هل حقاً لديه غاية ؟!

ربما يسعى لارضائهما حتى يفرض العروس التي

يريدها هو لا عروساً يختارانها له ...

منذ صغره واخاه الاصغر يجيد الاحتيال ثم

يفاجئ الجميع بافعال متهورة جريئة لا تخطر

على بال احد منهم ...

وكم يخشى ناصر ان فرقد قد يقدم على فعل

اكبر مما يمكن تخيله !

عاد فرقد حاملاً طريدته من ساقيها والدم

يتقاطر منها ويبدو ساجد فخوراً بعمه وقد

اصطاد حتى الآن اربعاً من الطيور ...

كان فرقد يرمي الطير المذبوح جوار من سبقوه عندما بادر ناصر لفتح موضوع اثارته امه معه هذا الصباح وطلبت منه ان يستفهم من فرقد بنفسه

" هل تعلم ... نسرين حذرت امي من بقائك بمفردك بالبيت "

يضحك فرقد وهو يرفع بندقيته ليضعها بشكل مقلوب فوق كتفه بينما يغمز لساجد قبل ان يرد على اخيه الاكبر " ولماذا ؟! ستأكلني الذئاب ام تعضني الخفافيش؟!"

يبتسم ناصر ثم يقول وكأنه لا حيلة له الا الاطمئنان على اخيه الاصغر بناء على رجاء خاص من امه واخته

" تخاف عليك من الجن .. وقد نقلت مخاوفها لامنا .. وانت تعرف النساء .. "

عقد فرقد حاجبيه والابتسامة تتلاهى على شفتيه وهو يردد " الجن ؟!"

يهز ناصر رأسه ثم يفسر بالقول

" نعم .. انه امر متعارف عليه خاصة بين نسائنا.. البيوت المهجورة يسكنها الجن .."

اخذ فرقد يضحك ملء فمه بينما يتبسم ناصر مضيفاً ببعض المرح

" في الواقع هي تخاف عليك من نساء الجن ! تخاف ان تعشقك احداهن وتغويك ..."



التمعت عينا فرقد باستمتاع وشيء اخر لم يفهمه ناصر بينما يرد " حسن ..اعترف لك بسر .. البيت تسكنه حقاً جنية...! جنية بشعر أحمر ويا ليتها يا اخي تعشقني وتغويني..."

شعور مباغت بالارتياب غير المبرر داهم ناصر بينما ابنه المراهق يضحك من قلبه لفكاهة عمه فرقد ...!

الجمرة الحادية عشرة

دخل المزرعة عبر البوابة ليوقف سيارته على بعد بضعة امتار ثم يترجل منها ليعاود اغلاقها ولف السلسلة الحديدية واغلاقها بالقفل المتين ...

يعود لسيارته ويتحرك بها ...

ذراعه على حافة الشباك المجاور المفتوح بينما يسير بسيارته في الممر الترابي ليدخل عمق المزرعة حيث البيت ...

الهواء البارد يلامس وجهه والابتسامة تتراقص على شفتيه ...

كيف يمكن ان يمنحه وجع عشقها هذه الفرحة ؟!

ام انه وجع قربها منه الذي يفرحه ويجعل قلبه يتراقص في صدره ...

يضرب برأسه للخلف عدة مرات على مسند مقعده وهو يهمس بصوت يتقطع بلهفة العشق

" جنيتي الحمراء ... متى ستغويني ؟! متى ستملكين قلباً لتعشقيني ...؟"

بعد دقائق كان امام الباحة الترابية الخلفية التي تواجه شباك غرفتها حيث تراقبه دوماً.. وهو يعلم انها تفعل الآن ..

يرمي الطيرين المذبوحين على الارض والابتسامة الصغيرة لا تفارق فمه ...

كان يوليها ظهره وهو يسمع صوت الشباك يفتح ليأتيه صوتها الحانق المذهول

" يا الهي هل قتلت الطير المسكين لتأكله.؟ يا عديم الرحمة كيف استطعت ؟! "

يلتفت اليها بجلبابه وكوفيته فيرفع حاجبيه باستهانة ثم يقول " ومن اين مصدر الدجاج الذي تأكلينه بالعادة؟ لا تقولي من السوبر ماركت ! "

كزت على اسنانها وهي تصرخ فيه بغل وحقد

" متوحش ... لا تحمل حتى قلباً في صدرك.."

عيناه غامتا وهو يحدق فيها للحظات صامتة طالت وطالت حتى اخذ صدرها يعلو ويهبط انفعالا خفياً ...

اسبل اهدابه وهو يقول بهدوء

" لا تخافي لن اطلب منك تنظيفها .. قررت فعلها بنفسي ..."

رأته يمد يده في جيب جلبابه ليخرج ما يشبه مقبضاً فضياً ثم تكتشف انه سكين عندما ضغط عليه ليلتمع النصل على ضوء المغيب ..

همست بحشرجة خوف غريزي

" هل تحمل ...سكيناً ...معك ..؟!"

يتحرك جانباً حول أكوام اغصان يابسة جمعها صباحا ليقطعها بضربات سكينه وهو يقول بلا مبالاة

" في هذه البيئة القروية تكون نافعة .."

عيناها ترمشان وهي تراقبه كيف يقطع
الاغصان بحرفية جعلتها تفغر فمها في دهشة
دون ان تستوعب تماماً الصورة التي تراه فيها..

تغيب الشمس وهو يعمل امامها بصمت فتبادله
صمته تكتفي بمراقبته في استرخاء عجيب..

يروح ويجيء فيحضر امورا يحتاجها لعمله او
يرفع الازبال في اكياس ...

لقد نظف الطيرين وأعدهما للشي دون ان تشعر
حتى بالقرف ...

كان منظماً وسريعاً وهادئاً تماماً ...

اشعل النار اخيراً ثم وقف على قدميه
ليواجهها بنظراته بل يمعن النظر وهو يقترب

فتعبس في وجهه وتتحفز تلقائيا وهي تهمس
اسمه بتوتر " فرقد ..."

فيرد بجذل وهو يميل برأسه ليسند جبينه
على القضبان التي تفصلهما قائلا

" يا قلب فرقد المفقود من صدره ..."

تجمدت ! سكن كل شيء حولها وهي تنظر
لعينيه وذاك الالتماع الملتهب فيهما ...

فجأة تراجعت للخلف وهي تقول بخشونة

" رائحتك مقرفة ! "

بدلا من ان يغضبه هذا يرتد رأسه للخلف في
ضحكة عميقة شقت حنجرته بينما يبتعد
قليلاً وهو يقول ببساطة

" وانت تبدين بحالة مزرية في الواقع ! شعرك مشعث ويحتاج للغسل وملابسك مجعدة مهلهلة.. هذا عدا اثار الطعام على خدك وجانب ... فمك .."

لا شعورياً ترفع يدا لخدها تمسحه واخرى لشعرها فتعلق اصابعها في خصله المتشابكة بينما يواصل هو ضحكاته لتصرخ به في قسوة ضارية " انا مخطوفة ومسجونة خلف قضبانك وجدرانك وتجد الجرأة لتعيرني بمظهري ؟!"

يطرق بنظراته وابتسامته تتلاشى ثم يقول

" انا سأذهب لاغتسل وابدل ملابسي حتى ابدأ الشواء .. "

ثم يرفع عينيه اليها فيراها على نفس الحقد ونظرات القسوة ليضيف بنفس الهدوء

" احضرت لك بعض الجلاليب النسائية .. ستكون اكثر راحة لك من ملابسك المتأنقة ..."

غاب قليلا ثم عاد ليجدها تقف حيث هي وتبدو كمن يقاوم الدموع وعيناها ساهمتان بعيدا عن المكان ... بعيداً .. عنه ...

ابتلع ريقه يقاوم حرقة قلبه ليرمي لها الكيس الذي يحمله عبر الشباك ثم يقول

" اذهبي واغتسلي وبدلي ثيابك .. الطعام يحتاج وقتاً طويلاً لينضج .."

ما زالت على وقفتها المتجمدة لتقسو نبرات صوته وهو يأمرها بالقول

" قلت اذهبي واغتسلي .. ستشعرين بالتحسن .. خذي معك ملابسك لتغيرينها في الحمام .."

رفعت عيناها اليه فبدتا له عاصفتين ..

ثم فجأة غامتا وبدتا مختلفتين بسحر عجيب لتقول له وهي تنحني لتلتقط الكيس من الارض " اريد ان آكل في الخارج .. لن احتمل البقاء في الغرفة اكثر من هذا ..."

ثم سارت بكبرياء شامخ وهو يسحق اسنانه ببعض ... لانه بكل غباء ينبؤه حدسه بما (تريده) حقاً لكنه سيمنحها الفرصة لتجرب (فعله) ...

تحت رشاش الماء في الحوض البيضاوي للاستحمام كانت تشهق بالبكاء ...

تدعك فروة رأسها بعنف يؤذيها لكنها لا تتوقف كما ان دموعها لم تتوقف عن الجريان لتسيل مع المياه فوق وجهها وجسدها....

تتوعده بالقتل لو طالت يدها سكينه ..

تقسم انها قادرة على غرزها في صدره الفارغ...

الكاذب الحقير ... يريد ان يلعب بها لعبة اشد حقارة مما فعله بها سابقاً ...

لن تبقى في هذا البلد ...

عندما تهرب وتعود للعاصمة ستحجز اول طائرة وتهاجر ... ستعود لوالدها .. ستعيش هناك وستنسى كل من آذوها ...

ستنسى حتى منذر فلا فائدة من ترجي غفرانه... هو لن يغفر ابداً ...

حالما سيعرف اين كانت خلال هذه المدة فلن يمنحها حتى نظرة اشفاق !

وهي لا تريد اشفاقاً .. يا الهي لا تريد ...

بل ... هي تريد ... تريد ...

اخذت تشهق بالبكاء وهي عاجزة حتى عن الشعور بما تريد ...

فليذهبوا جميعاً الى الجحيم ..

لم تعد تريد منهم شيئا ...

فقط ليتركوها في حالها ..

أنهت حمامها ووقفت امام المرآة الصغيرة المثبته فوق المغسلة تنظر لوجهها المحمر ...

البكاء افادها وافرغها من الشحنات ...

الآن هي هادئة .. ومستعدة تماماً ...

سترتدي الجلباب اللعين الذي احضره اليها وستشاركه عشاءه .. وليكن عشاؤهما الاخير...

بعد ربع ساعة خرجت بشعرها الرطب المصفف وقد احاط بوجهها المحمر .

قاومت ان تضع احمر شفاه حتى لا تثير ريبته..

يكفي انها ارتدت هذا الجلباب الذي اشتراه لها.. ستقطعه أرباً حالما تصل لبيتها ...

مررت يدها فوق الجلباب الاخضر كحشائش الربيع اليانع ... ومعه وشاح بنفس اللون لكنه نصف شفاف وقد اكتفت بلفه حول كتفيها..

" أنا قادم لأخرجك ..."

رفعت عينيها لتراه يحدق فيها عبر الشباك الذي تركته مفتوحاً ولهب النار من خلفه يشتعل في الظلمة ..

الاضاءة بالغرفة كانت خافتة وهو يقف في تلك الظلمة المشتعلة فلم تميز حتى ما كان يرتديه وان خمنت انه جلباب ...

لقد بدا مخيفاً .. وكأنه يمتص النيران من حوله ويحولها لسواد ...

أكتفت بهز رأسها وقلبها يقرع في صدرها استعداداً لما تنتويه ...

عندما دخل عليها عبر الباب رأته بجلباب آخر كحلي وكوفية بيضاء ...

انكمشت على نفسها وهو ينظر اليها بهدوء وغموض ... ثم انحدرت نظراتها ليده التي ما زال يربطها بضماد فتتنبه الى انه يحمل حبلاً !

ارتفع حاجباها وهي تحدق فيه وتقول بانفاس متقطعة " هل .. هل ستربط الحبل حولي ؟! "

يبتسم ابتسامة عريضة وهو يقول بصوت أجش " بل سأربطك ... بي ..."

تراجعت خطوة مرتجفة للخلف بينما يتقدم هو خطوات واثقة نحوها ..

يقف قبالتها تماماً ويمد كفه لمعصمها فتقاوم رغبة جنونية لصفعه ..

تغمض عينيها مستسلمة لاصابعه التي تلف الحبل حول معصمها بينما تُصبّر نفسها بالهمس السري

" لا تجزعي هاجر .. تحملي قليلاً .. هذه فرصتك فلا تتصرفي بحمق "

" هيا ..."

همسته الخشنة كانت تلامس بشرتها فتفتح عينيها لتراه قريباً جدا منها بينما اصابعه تلف طرف الحبل الآخر حول معصمه الايسر ...

قلبها يقرع بعنف لكنها لا تملك الا ان تتحداه بالقول الساخر

" اشعر انك لست بأكثر من طفل يربط (معزته) بحبل حتى لا تضيع منه ..."

يضحك بخفوت رغم صلابة تعابيره ويكتفي بالقول وما زال على قربه منها

" رائحتك بعد الحمام مثيرة معزتي ..."

ثم يتراجع ويستدير مولياً اياها ظهره ثم يتحرك وهو يسحبها خلفه ...

بينما تسير مرغمة تتبع خطواته تنظر حولها تتعرف على المكان ..

لم تر الكثير .. المكان كان مظلم لكن واضح ان البيت في حالة صيانة وتعمير ..

رائحة صباغ الجدران كان واضحة وان لم تكن قوية ...

خرجت خلفه عبر باب خشبية قديمة الطراز وبزخارف مبالغ فيها غير عصرية اطلاقاً..

رأت سيارته مركونة في الجانب ثم التفت معه حول البيت وعيناها تهيمان في ظلمة الاشجار فيرتجف قلبها في صدرها وهي تفكر كيف ستخترق هذا الظلام وكيف ستجد طريقها للخروج ... لابد من وجود بوابة ما ...

اللعنة ... لولا انها تهادنه لكانت ارتدت بنطال جينز وقميص .. سيسهل عليها الركض واختراق الاحراش وربما تسلق سور المزرعة ان لم تستطع فتح البوابة او تسلقها ...

تأوهت وهي تتعثر لتسقط على ظهره فيلف ذراعه تلقائيا للخلف فيحاوط جسدها ليسندها بينما يقول بصوت أجش وهو يلتفت بوجهه اليها " انظري امامك معزتي .. ستتعثرين وتقعين وانت تنظرين بالاتجاه الخطأ !"

ابتعدت وهي تدفع ذراعه بعيدا عنها وتتجنب النظر اليه عن قصد ثم يواصل سيره لتلحقه والنار تلوح لها مع رائحة الطير المشوي ..

اجلسها على يساره بينما يحرك الطير فوق النار وعيناه ساهمتان ...

وسط كل خططها التي تدور في عقلها لتهرب كان هناك ما يلح عليها ليثير استغرابها وحنقها في الوقت ذاته ...

لماذا لا تشعر بالنفور من لمسة فرقد ؟!

لقد لمسها مراراً منذ اختطفها ...

انها تكرهه .. بمعنى الكلمة تشعر بالكراهية نحوه لكنها تألفه في الوقت ذاته بشكل لا تحتمله !

هل لأنه كان زوجها ؟! هل اعتادت.. لمسته ؟!

ارتعد جسدها رغماً عنها وهي تتذكر لمساته الخاصة عندما ... كان يبدأ معها علاقة حميمية ...

جسدها توهج رغماً عنها وهي تتذكر كيف يجيد اللمس .. بحرارة عاطفية تذيب القلب ...

اللمس باصابعه .. بـ... شفتيه...

" هل تشعرين بالبرد ؟ انت ترتعشين !"

انفاسها كانت تتسارع رغماً عنها وهي تنظر في وجهه وملامحه تفيض ... اهتماماً ...

هزت رأسها بـ..(لا) .. فابتسم ابتسامة عريضة جعلت عيناه تضيقان دون ان تفارقا وجهها ..

العاصمة .. مطعم فاخر في اشهر الفنادق

بملامح غامضة هادئة يتناول طعامه بحركات رتيبة ... عقله يدور في بضع صور وصلته عن تحركات شهرزاد لهذا اليوم ...

حركتها عادية ولا تغادر مكتب شاهين تقريباً خلال اوقات العمل .....

لكن .. صورة واحدة جعلته يطبق فكيه توتراً وغضباً تلقائياً ...



صورة في الشارع وشاهين يحمل ولده يوسف بينما تقف امامه شهرزاد ضاحكة ويدها تلامس ذراع الصغير ...

قد تبدو الصورة لا غبار عليها لكن هيثم لم يعد يحتمل ان يجمع شهرزاد اي شيء مع شاهين..

النار تشتعل فيه على الدوام وتشتت تركيزه...

لقد بات يخطئ في عمله ويلغي مواعيد مهمة ويتخذ قرارات انفعالية حادة احياناً وقاسية بلا ضرورة احيان اخر ...

كقراره اليوم بالغاء عقد هاجر الاحمدي !

" مساء الخير ..."

يعترف ان المفاجأة جمدته للحظات وهو يرفع عينيه ببطء لصاحبة صوت يعرفه جيداً ....

تمتم وهو يضيق عينيه " نورا ؟!"

بابتسامتها المتلاعبة وثقتها الزائدة بالنفس وقد قصت شعرها الكستنائي المجعد بقصة فرنسية قصيرة جدا اقرب لقصة ولادية لكن لائمتها فعلا وعكست تلك الثقة والوقاحة الطبيعية فيها ....

بضع ازرار مفتوحة من قميصها الحريري لتكشف عن نحرها بسخاء مغر ...

سألته وهي تلامس الكرسي المقابل له

" لماذا تجلس بـ..مفردك ؟!"

كان يريد ان يقول لها (اغربي عن وجهي)

لكنه ... لم يفعل !

فيرد ببساطة وهو يلتقط بشوكته قطعة

خضار شهية " لاني بمفردي ..."

وبوقاحتها التي جذبته يوماً سحبت الكرسي

لتجلس عليه وهي تقول بنبرة مازحة لا تخلو

من المعاني الحميمية

" اذن لن تمانع ان تجالس زوجتك السابقة

لبعض الوقت .."

اسبل اهدابه وهو يضع شوكته جانباً وببطء

التقط المنديل الابيض على الطاولة فيمسح

فمه ثم يعيده بترتيب هناك قبل ان يرفع

نظراته الزرقاء اليها ليقول بنبرة رجولية

" انت لم تكوني ابدا (زوجتي) .."

كانت تنظر في عينيه ولا تخفي انجذاباً

تلقائياً ما زال يأسرها لتتساءل بتشدق

" اذن ماذا كنت ؟ عشيقتك باوراق رسمية

وحجة شرعية ؟"

فيرد بابتسامة " شيء من هذا القبيل ..."

تضحك بخفة ثم تمد يدها عبر الطاولة

لتتلاعب بالمنديل الذي مسح به فمه قبل

لحظات لتقول بنبرة متلاعبة

" كيف هي شهرزاد ؟ اشتقت لها .."

اظهر السأم بنظراته وعبر عنه بلسانه قائلا

" ماذا تريدين نورا ؟ لقد بدأت أسأم من اللف والدوران ..."

رفعت حاجباً رفيعاً انيقاً وهي تهمس بحلاوة

" اذن لماذا سمحت لي بمجالستك ؟"

لم يرد مباشرة لانه حقاً لا يعرف لماذا لم يقلب الطاولة في وجهها !

لكن يبدو ان نورا تعرفه كفاية لتخمن بصوت مبحوح " امممم...انتَ على خلاف مع ابنة عمي الخلابة الرقيقة .."

شعور غريب انتابه ليرد بوقاحة

" وتظنين انك متوفرة لانتهاز فرصة (الخلاف) واعادة الماضي ؟!"

عيناها بوقاحة وجرأة نظراتهما تتحديان جمال عينيه فتقامر بالعرض

" وهل انت متوفر ؟"

ابتسامة قاسية لاحت على شفتيه وهو يقول بتشدق

" السؤال هو .. ان كنتِ انتِ متوفرة ؟"

بنفس النظرة والتحدي قالت

" جناح في هذا الفندق الفخم ولساعة واحدة نعيش فيها ليلة جامحة من ليالينا السابقة .. ما رأيك ؟"

اشتعلت زرقة عينيه وهو يستوعب جدية عرضها السخي !

شقة طاهر الاحمدي ....

يطلب طاهر من زوجته اعداد القهوة بينما يُدخل منذر لغرفة مكتبه وهو يقول

" تفضل بنيّ ...."

بدا منذر بحال مزرية ...

ملابسة مدعكة وشعره مبعثر ...

رغم هذا لم يفقد وسامته بل وكأن الفوضى اضفت عليه مزيداً من الجاذبية ..

أشفق طاهر عليه كل الاشفاق ...

هو نفسه يشعر بحالة من عدم الاتزان والعجز كلما مر يوم جديد وهو لا يعرف هاجر اين تكون ...

رغم كل غضبه منها ونقمته عليها الا انه لا يستطيع التسليم ببساطة هكذا انها سافرت الى المجهول ولمدة مجهولة ...

جلس منذر على اريكة في جانب الغرفة ليجلس طاهر جواره ..

قال ببعض الحرج وهو يناظر ساعة الحائط

" اعتذر عن الحضور بوقت ربما متأخر للزيارة بعض الشي .."

يرد طاهر بتفهم " لا تعتذر منذر ... انا نفسي منذ ايام ولا استطيع النوم الا متأخراً .."

نظرة معبرة من منذر وهو يسأل دون مقدمات

" هل وصلت لأي نتيجة ؟ أي خبر عنها ؟"

هز طاهر رأسه بأسف قائلا

" للاسف لا شيء ... بحثت عنها في كل مكان قد تكون ذهبت اليه وابنتي سهر اتصلت بمن تعرفهم كانوا على علاقة جيدة بهاجر .. لا احد يعلم عنها شيئا .. هي لم تكن ممن يقيمون علاقات وطيدة .."

بدأ التوتر يظهر بوضوح على منذر فتتشابك اصابع كفيه بينما يسأل بنبرة تحمل غضباً مكبوتاً " هل اتصلت بوالدها ؟"

شعر طاهر بالاحراج وهو يحاول ان يراوغ الاجابة قائلا

" والدها لا يعرف شيئا ايضا .. واشك ان تلجأ اليه هاجر فعلاقتها به ليست جيدة .."

عقد طاهر حاجبيه وهو يرى منذر شارد رغم توتره الواضح فيسأله " ما بك منذر ؟"

نظرة من عينيه الرماديتين اظهرت كم هو مشتت.. تائه.. غاضب.. قلق.. ليعبر بالقول

" انا ؟ .... لا اعرف ! "

ثم فجأة يقترح " لماذا لا نبلغ الشرطة ؟ "

أطرق طاهر بنظراته قليلا وهو يقول

" بغض النظر عن الثرثرة غير المرغوبة التي ستحدث وتسيء اليها فالشرطة لا تستطيع فعل شيء .. رسالتها واضحة انها مسافرة لترتاح وتنشد الوحدة .. "



فيفاجؤه منذر بالقول في انفعال منفلت

" وكونها تعيش لوحدها في شقة منفصلة ومستقلة بحياتها فهذا لا يساعد "

ببطء رفع طاهر نظراته لمنذر ينظر اليه بتدقيق وتأنٍ ثم يسأله بصوت محايد

" هل يزعجك هذا الامر لهذا الحد؟"

عندها أنفلت انفعال منذر أكثر وهو يقول

" ألم يكن يزعجك انت ؟!"

ثم يموج في عينيّ منذر الغضب وهو يقف على قدميه وتفلت سيطرته تماماً هادراً بالقول الذي يحمل اتهامات متتابعة

" كيف تركتها بمفردها مع خطيبها ليحصل بينهما ما حصل ؟! كيف يا سيد طاهر تترك فتاة مثلها وحيدة دون عزوة او حماية تحت رحمة رجل لم تُزف اليه امام كل الناس ليأخذ منها كل شيء ! .. كل .. شيء ..."

قست نظرات طاهر لكنه كان مسيطراً تماماً وهو يرد على كلام منذر بنبرة حازمة

" هو لم يأخذ كل شيء .. لا يوجد انسان يأخذ من انسان آخر كل شيء ... وهاجر انسانة قبل ان تكون (امرأة سبق لها الزواج) وما اخذه زوجها منها هو .. جزء من كل .."

هتف منذر واعصابه ستنهار تماماً

" ليس زوجها ... لم يكن زوجها امام الناس ولا حتى امامك انت شخصياً .. هل تنكر ؟! "

ملامح طاهر متصلبة وهو ينظر لاهتياج ملامح منذر ... رغم اشفاقه عليه الا ان لكل شيء حدود ... وهو من اولوياته ابنة اخيه ...

ولن يسمح لأحد بامتهان كرامتها ...

قال طاهر أخيرا وباسلوب بارد

" منذر انت مرهق الاعصاب وانا سأراعي هذا ولن احاسبك على المعاني التي تظهرها كلماتك ونظرات عينيك .."

ليتفاجأ طاهر بانفعال مضاعف من منذر وهو يرد عليه بما لم يتوقعه في حوار كهذا

" انا احبها .. اللعنة ! لا استطيع التوقف رغم كل الرفض بداخلي ... منذ ايام وانا اعيش هذا الجحيم .. ساعة يقتلني الذنب وساعة اتمنى لو أني لم ألتق بها ألبته ! ساعة اريد أن ألف في الشوارع بحثاً عنها فقط لاطمئن واقول لها اني لا استطيع العيش بدونها وساعة اتمنى لو أراها لدقيقة واحدة فقط كي اصرخ فيها (كيف فعلتِ بي هذا) ...! "

نظر طاهر مطولاً اليه قبل ان يقول بحذر

" اذن هذا ما يجب ان تواجهه يا منذر ... دع هاجر لاني اثق انها تتدبر امورها وتواجه بصلابة ... رغم قلقي الطبيعي عليها الا اني موقن بهذا ..."

ثم حدق في عينيه بثبات قبل ان يضيف

" ما يجب ان تقلق بشأنه هو ... انت ... "

صمت للحظة واحدة حتى يحصل على انتباه منذر بالكامل قبل ان يقول المزيد مما هو أهم

" وصدقني ان استمريت بهذا التشتت فلن اسمح باتمام الزواج بينكما عند عودتها ... حتى لو اصريت انت فأنا سأقف بوجه هذا الزواج ان لم اشعرك بقادر على تجاوز ما حصل.."

اتسعت عينا منذر وكأنه لا يستوعب او يصدق ما يسمعه ليقول بتباطؤ

" اتستهين ...بما حصل ...يا سيد طاهر ؟! "

كانت لحظة صعبة للغاية على طاهر ...

نعم الامر لم يكن هيناً على الاطلاق ...

وما رضيت به هاجر وصمة عار لا يستطيع محاربة مجتمع كامل ليرفضها ...

بل هو آخر الناس من يفترض ان يرفضها ..

فما حصل لهاجر اثبات لا يقبل الشك ان بعض التقاليد حتى الشرع يحترمها ويراعيها ويحسب لها حساباً...

ليست كل التقاليد بالية او مجحفة ...

لكنه في النهاية هو اب ..

وليس لهاجر أب غيره يدافع عنها ...

قال طاهر رداً على كلام منذر

" لا ... لا استهين.. لكن هاجر ليست ابنة اخي فقط بل بمنزلة ابنتي سهر عندي .. مهما اخطأت فواجبي ان ادعمها واساعدها لتستمر وتصحح اخطاءها .. وهي لم ترتكب جرماً .. لقد اخطأت التقدير وتهاونت بحق نفسها ... فهل يجب ان أتهاون بحقها انا ايضا ...؟"

هتف منذر وهو يضرب بقبضته على صدره بانفعال " وماذا عن حقي أنا ؟! "

فيرد طاهر بعقلانية وتماسك

" حقك انت تقدره يا منذر .. لا استطيع ان اساعدك وانا طرف في المسألة .."

أخذ منذر يمسح على وجهه وهو يشعر أنه سيجن ... !

وقف طاهر على قدميه ليقول لمنذر بمؤازرة صادقة " تكلم مع شخص تثق به واستشره وتباحث معه ... اترك التفكير بهاجر واين ذهبت .. عليك ان تحل مشكلة اكبر .. مشكلة بينك وبين ذاتك .."

شردت نظرات منذر وبدا مرهقاً للغاية فيضيف طاهر " بالمناسبة لم أخبرك اليوم .. لقد ألغى السيد هيثم الجراح عقد عمل هاجر في المؤسسة ..."

تمتم منذر " فقدت عملها ايضا ؟! "

هذه المرة كان طاهر من تشرد نظراته وهو يفكر اين تُراها تكون هاجر الآن ؟!

ليكتفي بالهمس " للاسف ..."

بيت هيثم الجراح

تلملم ألعاب ولدها صقر من الارض بينما تكلم سمارا على الهاتف وعيناها تخطفان النظر للساعة الجدراية بين الفنية والاخرى ...

جاءها صوت سمارا كالعادة بالنبرة المتحفزة قائلة " ماذا تنتظرين لاتخاذ القرار ..؟"

تضم لصدرها الحصان الصغير .. اللعبة المفضلة لولدها صقر بينما تقول بعبوس

" ما زلت اريد التفكير بالبديل .. اقصد اختيار موقع العمل و .. باقي التفاصيل.."

لكن سمارا تحشرها في الزاوية بالقول

" قلت لك سنساعدك لايجاد مكتب جديد تنشئينه .. هذا ان لم يساعدك زوجك اصلا.."

اخذت عينا شهرزاد تدوران في غرفة المعيشة الرفيعة الطراز والتي لم تخلُ من الحميمية الدافئة في اختيار الالوان والاثاث ...

لقد كانت من اختيارها ....

هيثم دللها كثيراً عند عودتها اليه ..

كان سعيدا لدرجة انه لم يتوقف عن الابتسام لايام ! لم يتوقف عن النظر اليها بعينيه الزرقاوين تلك النظرات التي تذيب قلبها ذوباناً ...

رباه ... كم كانت عودتها مبهجة ...

اذن ماذا حصل ؟! لماذا استاء الوضع بينهما لهذه الدرجة وبات الوفاق تعجيزياً !

لم تفطن لصمتها الذي طال الا عندما سألتها سمارا بشكل مباشر " اين هو ؟"

تنهدت وعيناها تتركزان على صورة ضخمة مرسومة .. زينت احد جدران الغرفة ...

كانت صورة تجمعها مع هيثم .. يقف خلفها ويحاوطها بذراعيه بتملك واضح تحسدها عليه ربما جميع نساء الارض !

تمتمت ورعشة تتخلل صوتها

" منذ يومين يعود متأخرا .. لا يتناول الطعام معي ويكتفي بالقول انه تناول عشاءه في الخارج .. لاينظر الي وهو يكلمني بشكل مقتضب .. حتى ولده لا يهتم به ... هل يعاقبني ؟! لكن لماذا ؟ ماذا فعلت ؟! "

ردت سمارا باشفاق " ربما خائب الظن فيك .."

انفجرت بتوتر

" لماذا ؟! أ لاني لم انفذ في الحال رغباته الملكية السامية ؟ الا يحق لي ببعض الوقت لاخطط لحياتي كما اشاء؟ "

حاولت سمارا ان تهدئها دون ان تفقد تركيزها على منطقية الكلام " لك كل الحق حبيبتي... لكنه هو بوضع صعب ايضا ... حاولي ان تفهمي يا شهرزاد .. انه زوجك وحبيبك .. يغار عليك ويشعر انه قد يفقدك ... وهذا يثير جنونه .."

تدمع عينا شهرزاد وهي تعاود النظر للصورة المرسومة فتحدق في عينيه بينما تسمع سمارا تضيف بتفهم " هو يريد منك هذا الجانب ... يريد ان يرى في عينيك انه زوجك وحبيبك الاوحد .."

قلبها يتلوع .. يتشتت بين العشق والألم ...

كيف تستطيع ان تشرح ما تمر به ؟

ان كانت هي نفسها تشعر ان مشاعرها كامواج البحر ما بين ارتفاع وانخفاض ... هدوء وهياج..

هي لم تستحق ان تتألم هكذا !

لم تستحق على الاطلاق ...

لقد احبته صبية ومراهقة وشابة ..

اوشكت ان تفقد كل نفسها فيه ..

انها تتوجع .. لتعبر عن وجعها بالقول المرتعش

" شعوري نحوه انشرخ يا سمارا .. اقسم بالله ليس بيدي .. لذلك ..لذلك .. افكر .."

بدت سمارا متوترة هذه المرة وهي تقاطع تردد شهرزاد بحزم قائلة

" تفكرين بماذا ؟ الانفصال عنه مثلا ؟"

دمعة سالت على خد شهرزاد وهي تقترب من الصورة وتهمس

" ربما هذا سينهي عذابي وعذابه ..."

استعادت سمارا عقلانيتها وهدوئها وهي تقول

" شهرزاد انت مشوشة .. لا بأس من هذا .. لا تقلقي من تشوشك .. منذ عودتك لهيثم وانا توقعت هذا ..."

سالت دمعة اخرى على خد شهرزاد وهي تفلت حصان ولدها ليقع ارضا ثم ترفع يدها للصورة تلامسها وتهمس " حقاً ؟!"

فتطمئنها سمارا بالقول " مؤكد ... في البداية اخذتكما فرحة الصلح والعودة ثم انجابكما للصغير صقر ... بعدها يأتي الاختبار الحقيقي .. فيجب ان تصمدا معاً والا لا فائدة على الاطلاق من الاستمرار ..."

تمتمت شهرزاد ببعض التصلب

" اجل ... لن يكون هناك فائدة ! "

بعد ربع ساعة كانت تغادر غرفة المعيشة لتتوجه ناحية السلم عندما دخل هيثم البيت لتتلاقى نظراتهما ...

كانت تمسك ببداية سور الدرج وهي تنظر لاناقته وهندامه ...

لا شيء يغير طبيعته التي تعشق ترتيب التفاصيل ... أدق التفاصيل ...

يخرج في الصباح ويعود مساء بنفس الهيئة وكأنه لم يغب ساعة من نهار !

اقترب منها ونظراته غريبة اليها ليلقي تحية بابتسامة بدت لها شرسة قاسية وحتى غاضبة

" مساء الخير .."

ردت وهي تعبس قليلا وتحاول جعل صوتها حيادياً " مساء الخير ... هل تعشيت في الخارج ايضا ؟"

فاجأها وهو يسحبها من ذراعها لتصعد السلم برفقته بينما يرد بلا مبالاة " نعم ...."

اصابعه كانت متشنجة حول ذراعها بشكل عجيب وكأنه يقاوم ان يحطم عظمها !

عند باب جناحهما فتحه ثم لوح بذراعه بحركة مسرحية ساخرة لتتقدمه ...

كانت في أشد توترها من مزاجه الغريب ...

ترددت اصابعها للحظة وهي تفتح شريط مبذلها الرقيق بينما تراه يحدق فيها بعينين نصف مغلقتين ويخلع سترته ببطء..

ارتفع حاجباها وهي تراه يرمي سترته أرضاً..

بدا .. بدا بمزاج متفجر الآن ...

اصابعها لم تطاوعها لازاحة المبذل عن جسدها ليفاجئها هو باقترابه وهو يخلع ربطة عنقه ويرميها ايضا ثم يقول بابتسامة ساخرة متهكمة

" هاجر الاحمدي اخذت اجازة مفتوحة .. ولانها ما زالت جديدة العهد في المؤسسة قررت انهاء عقدها بنفسي وعمها لم يستطع الاعتراض ... "

لا تعلم لماذا انكمشت منه وقد كانت شحنات عجيبة تصلها منه فيضيف بنفس النبرة والابتسامة وان شابتها القسوة

" كانت امرأة ملفته منعشة حقاً .. تتوهج بجاذبية طبيعية وهي تسير في أروقة المؤسسة ...خسارة ..!"

كان صدرها يعلو ويهبط وهي تشعره بوضع غير طبيعي ...

لكن كلماته عن هاجر الاحمدي بطريقة ما مست انوثتها وجرحتها بالغيرة دون سيطرتها ...

اشتدت قساوة عينيه وهو يمد يديه لمقدمة مبذلها فيخلعه عنها بعنف هادراً بحمم بركانية " آآآآ.... لم اخبرك ....! لقد التقيت بنورا الليلة وانا اتناول عشائي في مطعم الفندق ... بدت خلابة ومغرية بطريقتها .. بالمناسبة .. ترسل لك تحياتها الحارة..!"

ثار كل شيء فيها ولم تشعر الا وهي تصرخ فيه بانفجار هستيري وهي تدفع يديه عنها

" لن اسامحك يا هيثم .. لن اسامحك .."

كانت قساوته تزداد ضراوة وهو يقيد ذراعيها خلف جسدها الرقيق فيلصقها به وهو يهدر بانفعال هائل " اخيراً ! اصرخي بكل ما في جوفك حقيقة يا شهرزادي .. (لن تسامحيني)... ها ... اصرخيها مجدداً في وجهي ولا تدّعي الترفع علي بغفرانك الواهي ..."

أصبح الامر جنونياً وهي تقاومه بشراسة بينما يحملها بين ذراعيه قائلا بصوت خشن

" تعالي .."

كانت تقاوم بطريقة لم تفعلها معه يوماً ..

فيها ثورة تفجرت لا تعرف حدودا لانفجارها ..

على السرير كان يخلع قميصه وهو يقيد حركات جسدها الثائر بنفس الوقت ..

يضحك بقسوة وهو يميل اليها .. عيناه في عينيها الثائرتين فيقرؤهما ككتاب شرعت امامه كل صفحاته ....

كان مجنوناً وهي تقاومه .. وكانت مجنونة وهو يفرض سلطته عليها ..

ووسط حمم الغضب تصاعدت مشاعر الغيرة لتزيد انفعالهما بطريقة منفلته ...

ازاح قميص نومها بعنف حتى تمزق جزء منه وهو يقول بخشونة

" اجل هكذا .. غاضبة غيورة متملكة .."

لكنها لا تهدأ ولا تكل وهي تقاوم وتقاوم واسم (نورا) يغذي غضبها وغيرتها ...

وجه نورا شع في رأسها ومزق قلبها تمزيقاً...

لقد عاد كل شيء وكأنه حدث بالامس !

ها هي تشعر كأنها تنزف بشاعة احساسها بذاك الاسم وذاك الوجه ...

اخذت تصرخ

" ابتعد .. لا اريد ...."

لكن قوته الجسدية غلبت ومع لهاثه الهادر الغاضب همس عند اذنها

" لكن انا اريد ... والآن ... "

في مقهى عائلي مفتوح يطل النهر ...

يدخن حازم من أرجيلته بينما منذر يجلس صامتاً وبعيداً بأفكاره عن اخيه الاكبر ..

يرمقه اخوه بنظراته بين الفينة والاخرى وينتظر منه اي بادرة للافصاح لكن الصمت طال كثيراً وها قد مرت ساعة ومنذر يكتفي بكلمات مقتضبة كرد على اي حوار يفتحه حازم ...

نفث حازم الدخان في هواء الليل العليل ليقول بشكل مباشر " قل ما في جوفك منذر .. انفثه كما الدخان الذي انفثه الآن ... سترتاح ربما ان فعلتها ببساطة هكذا ..."

نظر منذر لاخيه للحظة واحدة قبل ان ينطق بكلمة واحدة " هاجر ..."

يبتسم حازم وهو يعيد رأسه للخلف مسترخياً على ظهر كرسيه المريح ثم يقول ساخراً

" دوماً مأساتنا كرجال تبدأ بـ (اسم مؤنث سالم) ... "

أرخى اجفانه هذه المرة قبل ان يضيف

" احكي يا اخي الاصغر يبدو ان الليل سيطول معك هنا ..."

و... حكى .... حكى منذر كثيراً حتى طار استرخاء حازم وهو يعتدل بجلسته ويرمي خرطوم الأرجيلة جانباً بينما ينظر لاخيه ويكاد لا يصدق ما يقوله ...

انتهى منذر وهو يشرد بنظراته بعيداً نحو النهر وكأنه يهرب الى الـ لا مكان فيختتم بالقول

" لا اعلم في اي مكان هي بل في اي بلد .. ولا اعلم كيف يفترض ان أشعر وانا أتقلب على نارين كالجحيم ... هل أخطأت بشيء اخي ؟!"

قال حازم عندها " هل تعلم يا منذر انا لم أحب ناهد حب الشعراء والعشاق .. كما انها ليست المرأة المميزة على مستوى النساء .. وفيها عيوب كثيرة ايضا ... لكن ما يجمعنا انا وهي عشرة تزداد رسوخاً بمرور الزمن واطفالاً يشدوننا لبعض اكثر .."

فيقول منذر بنظرة دهشة " هل تريد ان تقول ان الزواج التقليدي اكثر نجاحاً وضمانة ؟"

ليرد حازم بابتسامة " لا يوجد ضمانة اخي لأي شيء .. ما اود قوله رغم عيوب زواجي بناهد الا اننا متفاهمان .. كل واحد منا يعطي الآخر ما يحتاجه بحق ويجعله يتغاضى عن النواقص الاخرى بمزاجه .."

تتقبض يد منذر انفعالا وهو يقول

" هل تريدني ان اسامحها ؟! ان اتغاضى ؟"

تلاشت ابتسامة حازم ليرد بجدية تامة

" بل اريدك ان تفكر هل حقاً انت قادر عن التغاضي والاستمرار معها ؟ هل هاجر هي المرأة التي ستسعدك وتسعدها بزواج ناجح وببنود مرضية للطرفين ؟ "

ثم يتهمل قليلا قبل ان يضيف " ومن ضمن البنود التي تهمنا .. الناس والمجتمع .. وحتى رضا والدينا ..."

عقد منذر حاجبيه برفض تلقائي

" وكأنك تدفعني باسلوب غير مباشر للتخلي عنها ؟"

فيواجهه حازم بالقول " وهل أنت متمسك ؟! "

فتح منذر فمه لكنه .. لم ينطق !

فيطالبه حازم بالرد على السؤال باسلوب مختلف " أجبني منذر .. هل انت حقاً متمسك بها ام متمسك بتجربة عاطفية كنت ترسمها بطريقة معينة وسعيد جدا بما ترسمه لتكتشف لاحقاً ان الألوان مغشوشة والصورة ليست بالجودة التي بذلت جهدك لتحصل عليها ! فاصبحت محتاراً هل ترضى بالنتيجة ام ترفضها لانك خُدعت فيها ..."

كان منذر يعاني في صمت وقد انخرس لسانه تماماً ...

مد حازم يده ليلتقط ارجيلته مرة اخرة ويأخذ نفساً منها ثم يقول بنظرات ذات مغزى واضح

" حسن .. سأقترح عليك اقتراحاً منصفاً ... تخيل نفسك ليلة زفافك على هاجر وانتما معاً لوحدكما .."

هتف منذر بحنق " حازم ! هذا ليس وقت التهريج او المزاح الوقح .."

يرفع حازم حاجبيه وهو يسحب نفساً جديداً قائلا من بين الدخان الذي ينفثه

" ليس مزاحاً وقحاً .. انا جاد .. حاول ان تعيش هذه التجربة بخيالك وفكر هل شعورك كرجل سيتفاعل معها ام لا ...؟ ثم فكر في اليوم التالي بعد الزفاف .. ثم .. بعد شهر ..ثم تمر سنة ..."

للحظة يبدو منذر مصدوماً من الفكرة .. وكأنها لم تخطر بباله بهذه الطريقة من قبل.. ليجد نفسه يقول وكأنه يحاور ذاته

" كثير من الرجال يتزوجون من نساء مطلقات او ارامل ... ويكونون سعداء معهم .."

فيرد عليه حازم بعقلانية " لكن ليس بوضع هاجر اليس كذلك ؟ كما ليس بالضرورة ان تكون منهم ... "

زفر منذر انفاسه بقوة وهو يلتفت جانباً ويتمتم

" انت تزيد حيرتي وتشوشني اكثر يا حازم "

يقلب حازم الجمرة في الارجيلة لتتوهج أكثر ثم يقول " منذر .. الرجل الذكي هو الذي يعرف كيف يحكم قلبه بعقله ويقيّم قدراته بشكل صحيح .."

ثم ينظر اليه نظرة جانبية مضيفاً

" كما انك لست وحيدا .. انت لديك عائلة من وسط اجتماعي محافظ له معاييره .. كل هذا يشكل ما أنت عليه الآن .."



يحدق فيه منذر وعيناه تلمعان بالادراك فيقول " انت تريدني ان اتخلى عنها ... انا اعلم بما تحاول زرعه في رأسي .. "

فيمط حازم شفتيه وكأنه يتعجب ببعض الاستنكار ليقول بعدها " لماذا تقول هذا ؟! انا احاول مواجهتك بكل شيء اذا ارتبطت بها .. بمشاعرك بعائلتك ومحيطك .. كل هذا سيؤثر فيك حتماً .. "

ثم يصمت للحظة لينغزه مذكراً اياه بموقف قديم " ام هل نسيت كلامك عن غالية بعد طلاقها.. لا زلت اذكر (فضالة رجل آخر).."

دافع منذر عن نفسه بضراوة وصدق " انا لم أكن جدياً يا حازم ... كنت غاضباً فحسب وقلت كلاماً جارحاً بحقها لم أعنيه .. لا يمكن ان تظنني احمل افكارا خسيسة كهذه ..! "

ردد حازم وهو يسترخي بجلسته مرة اخرى " حسن سأصدقك .. لكن فكر بكلامي وجرب ان تعيش التجربة (الوقحة) التي حدثتك عنها .."

صمت منذر مستغرقا بالنظر للنهر على جانبه بينما أخاه حازم ينظر اليه بتفكير داخلي ... لا ينكر ان الامر صعب على اخيه وقلبه متورط بهذه الطريقة ..

لكنه لو نظر حوله بعمق لوجد فتيات

كثيرات يستطيع ان يعيش معهن تجربة عشق

فريدة من نوعها ...

(" اسنديني بنيتي دينا .. اشعر بالخدر في

قدمي " ... " انا معك يا حجوج .."....

" يا بنت تأدبي ! كفي عن مناداتي

(حجوج)..".

اذنا حازم تلتقطان الحوار الذي انتهى

بضحكات صافية انثوية وعيناه تتبعان الفتاة

المحجبة مع ابيها الذي تسنده وهما يغادران

المقهى .. فيتمتم حازم بهمس خافت وهو

يحول نظراته لاخيه اللاهي عن كل شيء

" كهذه الفتاة مثلا.."

بيت المزرعة...

يجلس القرفصاء بينما يقلب في الطير الذي

يشويه حينما سمعها تضحك فجأة !

التفت اليها فيراها تحدق في النار وعيناها

تلمعان وهي تضحك بطريقة غريبة ...

سألها بعجب " لماذا تضحكين هكذا ؟!"

رفعت نظراتها الوهاجة اليه فيقرع قلبه الغبي

المجنون في صدره فيبتلع ريقه بينما ترد هي

عليه غير شاعرة بمعاناته

" افكر ان عمي ربما اتصل بأبي يخبره عن

غيابي فيكتفي أبي بالقول (وما دخلي انا) "

للحظة انشده !

ثم اخذت النار تشتعل فيه وهو يعبس ببطء
وينظر اليها في جلستها على الارض والحبل
يربطهما معاً وهي تُظهر القوة وداخلها يذوب في
الضعف ....

اضافت وهي تحدق بعبوسه بابتسامة فاتنة
تفيض شجناً

" هل تعلم احياناً اشعر انه ينسى حتى وجودي
في هذه الدنيا ويتفاجأ بدهشة ان ذكر اسمي
امامه ..."

عضلة في خده ترتعش ويتمنى لو كان والدها
امامه اللحظة ليمرغ وجهه في روث البغال!

تراجع ليجلس براحة وببعض الخشونة
يسحبها اليه بالحبل وهو يقول بصوت أجش
مشاكس يفيض عاطفة حارة نحوها

" تعالي اجلسي قربي ... انا لا اسمعك جيدا
وانت بعيدة هكذا .."

تأوهت وهي تنكفأ للامام وتكاد تسقط على
وجهها لكنها تستند بكفيها وهي تقول
بغضب " آه ... توقف عن فعل هذه الامور .."

يضحك وهو يمسكها من ذراعيها ليسحبها
كلها اليه ويجلسها جواره ملتصقة به وهو
يحاوط كتفيها بذراعه مرغماً اياها على هذا
الالتصاق بينما يهمس قرب اذنها بتلك
العاطفة التي تفلت منه بغباء

" هاجر ... انت لا يمكن نسيانك ... ووالدك ابله ..."

تحاول دفعه وهي تهدر فيه " امسك لسانك فرقد .. انه ما زال والدي .."

نجحت بابعاده بينما هو يضحك بصوت عال ويقول بعناد مشاكس " سيظل ابلهاً حتى لو امسكت لساني عن شتمه .."

فجأة منحته نظرة هادئة قبل ان تطوي ساقيها لجذعها لتستند بذقنها على ركبتيها وتشرد نظراتها في النار القريبة قائلة " انت فقط لا تحترمني كفاية .. لذلك لا تهتم ..."

عبس وهو يتساءل بغيظ " ماذا ....؟!"

فتكتفي بالتحديق في النار بينما ترد عليه " لقد سمعتني .. وهي الحقيقة فلا تنكرها.."

ثم فجأة عادت بنظراتها اليه تحدق فيه كمن اكتشف شيئاً للتو ! تشتعل نظراتها بغضب من نوع آخر وهي تقول باختناق

" بل اني افكر الآن بأمر لم يخطر ببالي سابقاً... هل كنت ستجرؤ يا فرقد على فعل كل ما فعلته وتفعله حتى اللحظة ؟! هل كنت ستجرؤ على اتمام زواجنا بتلك الطريقة ثم هجري وكأني قطعة ملابس بالية رميتها عنك والان تختطفني ومن عقر بيتي دون اي شيء يوقفك ..."

لم تكن هاجر تعرف كيف وصلت الى هذه النقطة معه ؟!!

لقد كانت تحاول الهاءه وطمأنته بخنوعها الرقيق وفضفضاتها المدروسة التي تؤثر فيه حتى تطلب منه لاحقاً فك الحبل عنها ...

اذن .. كيف وصلت بافكارها الى هذا الاكتشاف المرير ؟!

انها ...الحقيقة ! ... الحقيقة الحقيقية!

هذه هي الحقيقة التي لم تستوعبها يوماً بشكل صحيح ...

ثم فجأة احرقت الدموع عينيها وهي تهمس بحشرجة لمزيد من الاكتشافات والحقائق

" انت حقاً لا تحترمني اليس كذلك يا فرقد؟ لقد عيّرتني عندما احضرتني الى هنا اني لم يكن لي اهل ليربوني بشكل صحيح..

هذا لم يكن من فراغ او لحظة غضب عابرة منك.. انه داخلك وبقناعة تامة ... وربما .. هي قناعة في داخل كل شخص يعرف اني اعيش مستقلة بمفردي ... لذلك .. قلها يا فرقد .. انا كنت امامك لقمة سائغة ! "

سمعته يتمتم بصوت غريب

" ربما انت .. محقة ...."

خنقتها العبرة وشعرت ان رغبة البكاء تحرق صدرها بينما تقاوم وتهمس بتقطع البكاء المكتوم " من الجيد ...انك.... تعترف ..."

شعرت بملامسته لذراعها وهو يهمس بخشونة وتشنج " لا تبكي ..."



عندها لم تستطع الصمود التفتت اليه تغرق بالبكاء وهي تهتف بحرقة

" ليكن معلوماً لديك انا لست المرأة الوحيدة التي تعيش بمفردها ولم يكن بارادتي .. وليس اختياري .. عندما .. لا اجد أ..."

هذه المرة اخرسها وهو يأخذها بين ذراعيه وعلى صدره كانت تقاوم احتضانه لكنه لايفلتها وهو يأمرها بخشونة

" كفى هاجر ... كفى ..."

فتهطل دموعها وهي تواصل المقاومة

" انا تعبت ... اقسم باللّه تعبت .. اريد الرحيل عنكم جميعاً ..."

يضحك بخفوت خشن وهو يعتصرها بتشبث هامسا بين خصل شعرها

" اين ترحلين ؟! ومن الابله الذي سيمنحك حرية الرحيل ... ابقي معي أنا ودعك منهم كلهم .. سأدللك وأمنحك كل شيء .. آآه يا هاجر لو فقط ... تشعرين بناري ..."

الامور بدأت تفلت منه وشفتاه تصلان لشعرها وخدها وهو يهمس بعواطف متأججة

" اشعري بي ... بجنوني الذي أصارعه لاجلك.. أشعري ... سأفقد عقلي ان لم تشعري.. اللعنة على اليوم الذي فرطت فيه بك "

قبلاته لوجهها جعلت كل استنفاراتها تصرخ فاخذت تبعده بكل قوتها وهي تصرخ بحزم رغم جزع نبراتها خوفاً من فقدانه السيطرة التامة

"اتركني فرقد .. ارجوك ... توقف .. لا تتهور ... توقف ... كفاااااااا......"

فجأة اطلقها بعيدا عنه وهو يلهث بينما تلهث هي الاخرى فتغمض عينيها وهو يبتعد عنها ليعود قرب النار فترى جانب جسده ووجهه وكله يختض امامها ....

تمتمت دون شعورها

" كل هذا خطأ .. كل ما يحصل لي خطأ .. "

صوته يرتجف وهو يقول

" الطعا...م .... جاهز ... "

عيناها حادتا نحو النار فهالها ان ترى فرقد يقرب يده منها حتى .. احرقته !

لم يتأوه حتى وهو يبعد يده المحروقة ويضمها لصدره بصمت .. تمتمت وهي لا تفهم ما يحدث

" لقد احرقت يدك ! "

حرك رأسه ومنحها نظرة جانبية مخيفة فيقول بغموض

" انها لا شيء ... مجرد لسعة .. بسيطة ..."

تحاول فهم نظراته لكنها عجزت ..

ثم سرعان ما استعادت تركيزها ...

يجب ان تعود لخطتها ..

رمشت بعينيها لتبدو ضعيفة ثم همست
بانكسار " ارجوك فرقد ... فك الحبل عن
معصمي لآكل براحة .. الظلام دامس من
حولنا ومؤكد لن اهرب منك الآن .."

كان قلبها ينبض بقوة ترقباً لرده وما زالت
نفس النظرة في عينيه ليقول اخيراً

" مؤكد ... "

مر الوقت وهما يأكلان ...

يراعيها وهو يقسم لحم الطير ويضعه في
صحنها .. يصب لها العصير ويرغمها على شربها
.. لقد كان يدللها بطريقته الخشنة الآمرة ..

بينما هي كان عقلها سارحاً في التفكير في
الاتجاه الذي يجب ان تسلكه لتصل للبوابة

فاستسلمت لاسلوبه تماما حتى شعرت بقطعة
لحم تلامس شفتيها ...

لم تفتح فمها وهي تركز نظراتها عليه لتراه
يبتسم بطريقة غامضة ثم شعرت باصبعه
يلامس شفتيها قائلا بصوت مبحوح

" افتحي فمك يا ابنة الاحمدي .."

كانت تقاوم حتى لا تعض اصبعه ....!

وبدلا من فعلة غبية متهورة كهذه فتحت فمها
بطاعة لتدعه يضع الطعام في فمها والوهج
يشتد بينهما ..

اخيراً همست " انا اشعر بالعطش ..."

ابتسامته لم تفارق شفتيه وهو يقول بجذل

" سأغسل يدي وأحضر لك ... الماء من البراد..."

وقف على قدميه برشاقة وهو يغمزها قائلا بابتسامة " لا تهربي في غيابي ..."

تهز برأسها وانفاسها تكاد تنحشر في رئتيها توجساً من الحالة التي هما فيها ولم تطلق انفاسها الا عندما استدار ليبتعد بخطوات متهملة ..

يسير بخطوات بطيئة عن عمد يمنحها كل الوقت الذي تريده ...

ملامحه هادئة يكتنفها خيط من .. الألم ..

قلبه المجنون يحثه كي يعود ويصرخ فيها لكن عقله يواسيه ويلهمه الصبر ...

ما زالت تحتاج لكثير من الصبر ...

دخل عبر الباب الخشبية وبدلا من ان يحضر لها الماء الذي أدعت انها بحاجة اليه .. ذهب للمخزن الصغير و احضر كشافاً ضوئياً !

بيت هيثم الجراح ... العاصمة ...

انكمشت شهرزاد على نفسها وهي تدير ظهرها اليه تحدق بعينين جاحظتين في الفراغ تكاد لا تصدق ما حصل للتو بينها وبين هيثم...

لقد كان جنوناً غاضباً منهما هما الاثنين ..

صراع لفرض الغضب !

يستلقي هو على ظهره يحدق في السقف وداخله يموج بالانفعالات المتضاربة ...

سمع صوتها يأتيه خافتاً وبنبرة تحمل اكثر مما يحمله السؤال المقتضب

" هل رأيتها الليلة حقاً ...؟ "

التفت برأسه اليها يحدق بشعرها الناعم المنثور ... شعر بالنار تجيش في صدره ...

كيف ارتكب غلطة العمر ؟! كيف ؟!

تذكر كيف كانت نعومتها تغيظه ! حتى شعرها الشديد النعومة كان يستفزه .. ويود لو كانت شهرزاد تفعل له شيئا لتغير طبيعته !

كيف نحول النعمة الى نقمة وبايدينا وبكل جحود ؟!

اليوم وهو ينظر لنورا تجسد له شيطانه ليغويه بالتجربة ... يوسوس باذنه (ولم لا .. شهرزاد تتهمك بالغدر والخيانة طوال الوقت .. فلماذا لا تفعلها ؟!)

وبينما ذاك الشيطان يحوم بوساوسه حوله كان هو يشعر بالانفصال عنه ..

شعور غريب حقاً ...

وكأنه يرى الشيطان بوضوح كيف يحاول اشعال جذوة ... اغراءه بـ... تفاحة !

غباء عندما نستسلم للاغواء ونطمع بتذوق المختلف ويستهوينا التغيير والممنوع ...



يرفع يده يمرر ظاهرها على شعرها الطويل الناعم وهو يعلم انها لن تشعر به بينما يرد عليها بهدوء ظاهري

" نعم .... رأيتها لوقت قصير ثم غادرت لتلحق بطائرتها كما قالت ..."

شعر كيف تقلص جسد شهرزاد وكأنها تتألم..

بل هي تتألم ويشعر بالسكاكين التي تقطعها وكأنها تقطع فيه هو ...

هل يحكي لها عن ذاك (العرض السخي) وكيف انتهى ؟

تذكر النظرة في عيني نورا وهي تقدم عرضها وما آل اليه الحوار ....

" جناح في هذا الفندق الفخم ولساعة واحدة نعيش فيها ليلة جامحة من ليالينا السابقة .. ما رأيك ؟"

مرت لحظات وهو صامت وهي تنتظر !

ثم ... طال الانتظار ....

شيء ما نهش نظرتها الواثقة ...

شيء اسمه (الغيرة) !

حتى قالتها نورا بلسانها

" ردك وصل .... اعترف اني اشعر بالغيرة...! انت تعشقها ... ذاك العشق الذي يمنعك خيانتها .. مرة اخرى ... ربما اكتشفت مشاعرك هذه نحوها بسببي انا ..



او ربما ببساطة انت ذكي كفاية لتعلم ان لا مجازفة ..لانك لا تستطيع الاستمرار بدونها "

سألها بهدوء وعيناه باردتان

" لماذا اتيتِ الي يا نورا ؟ "

فترد وهي تدفع كرسيها للخلف وتقف بأناقة ورشاقة على قدميها

" ربما لأكذب على نفسي كما تكذب على نفسك وانت تدعي التماسك والسيطرة بينما في داخلك تعيش رعب خسارتها..."

ابتسمت لعينيه وهي تضيف

" عن اذنك .. طائرتي ستقلع قريباً ..."

منحها ابتسامة وهو يقول بنبرة مهينة

" اذن كنت تخادعين عن اعادة امجاد ليالينا!"

لتفاجئه بالقول بصراحة وقحة فجة

" بل كنت سأفعلها بكل سفالة لو وجدت ادنى قبول منك... لكن من يعرف .. ربما ... المرة القادمة.."

ثم تحدته بنظرتها ان كان سينكر وجود الاغواء بينهما قبل ان تستدير وتمضي ...

اجل .. الاغواء .... دوماً سيظل موجوداً ...

والثمن دوماً سيلاحقنا ...

مد ذراعه بخشونة اسفل جسد شهرزاد وادارها عنوة اليه يلفها بذراعه ويلصقها بجسده ..



جسدها ما زال متألما منكمشاً يعاني الطعنات الخفية فيقول لها بحشرجة

" لقد ظننت دوماً ان من السهل الحصول على بدايات جديدة ونسيان الماضي .. لكن مهما نسينا تظل شوائب الخطايا تنغزنا كالاشواك وتذكرنا ان لا نسيان على الاطلاق ..."

عندها فقط اجهشت شهرزاد بالبكاء وهو يحتضنها اليه بصمت ....

بيت المزرعة ...

تركض .. تركض .. تقع على وجهها وتتجرح في اماكن متعددة من جسدها ويتخدش وجهها لكنها لا تبالي لتقف مرة اخرى وتعاود الركض مهرولة ومستوى الادرينالين مرتفع في اقصاه ... وشاحها الاخضر يعلق بالاغصان فتحاول انتزاعه لكنها لا تنجح الا في تمزيقه فتتركه حيث هو لتواصل ركضها العشوائي...

الظلام من حولها مرعب مخيف وهي لا تعرف الى اي جهة تذهب بالضبط..

لقد تاهت وسط هذا الظلام المخادع ..

ثم وصلت لسور عال فترفع نظراتها لتقدر علوه فتبتئس وهي ترى السور تعلوه اسلاك لولبية شائكة .. حتى لو استطاعت بأي طريقة تسلق السور فلن تستطيع تجاوزه عبر تلك الاسلاك ..

لكنها لم تيأس وهي تواصل الركض هنا وهناك وعيناها ارتفعتا للسماء الملبدة ببعض الغيوم التي يختفي خلفها القمر المنير لكنها ايضا لا تيأس ...

دون شعورها استنجدت بربها عفويا .. بفطرتها ادركت ان لا منجي لها من محنتها هذه الا اللّه

" ساعدني يا رب..فقط دعني اصل البوابة يا رب ...اتوسل اليك..فقط دعني أصل البوابة.."

لم تعرف كم مرّ على لهاثها المتوسل هذا قبل يأتيها الفرج لترى البوابة امامها ..

ما زالت متماسكة حتى وهي تعي داخلها ان الامل ضعيف لكنها لم تيأس ..

ثم ...تلاشى الامل ... وهي تقف مقابل البوابة العالية المغلقة بسلاسل حديدية صلدة ..

بوابة من مشبك لا يمكنها على الاطلاق تسلقه ...

اخذت تلامس السلسلة ودموعها تنسكب وهي تصل للقفل الضخم الذي يغلقها ...

ضوء ساطع ابيض غمرها فجأة لكنها تشعر بالتخدر بينما تسمع صوته الثلجي يقول

" تأخرتِ كثيرا حتى عثرتِ على البوابة .."

رفعت عينيها الباكيتين لوهج الاضاءة القادمة نحوها فتحمي عينيها بكفها وهي تصرخ فيه " لا تقترب فرقد .."

تسمح صوته بهمس مخيف " امممممم .. لا اقترب ؟! لكن الليلة مقمرة ... ومغرية للـ..قتل...!"

تلبسها الخوف الحقيقي .. الرعب التام والقناعة انه ... سيقتلها !

فيواصل هو زرع مزيد من الرعب فيها قائلا بنفس النبرة بينما يمسك ذراعها " يوماً ما سأكون قاتِلُكِ انتِ او ... قاتِلي انا .. ! "

الجمرة الثانية عشرة

" يوماً ما سأكون قاتِلُكِ انت او .. قاتِلي انا..!"

تتسع عيناها بذاك الهلع والرعب وتتمتم بلا تصديق وهي تنظر لوجهه المضاء وكأنه فجأة تلبسته هيئة المجرمين

" ستقتلني ؟!"

فاجأت نفسها قبل ان تفاجئه وهي ترفع قبضتها وتلكمه اسفل عينه ثم تقفز لتفلت منه وهو يتوجع ...

تبدأ بهرب عشوائي جديد بين ارجاء الظلام الدامس والاغصان المخيفة ...

كانت تشعر بضحكاته تسبق ندائه لها لكنها ولسبب غبي كانت تلك الضحكات تزيد من رعبها وبشكل غير منطقي ..

اصبحت هستيرية في هربها والضوء الابيض الذي يلاحقها بات عدوها اللدود الذي يتقفى أثرها بلا رحمة ...

ثم فجأة اختفى الضوء لكنها ما زالت تشعره خلفها .. معها ... يحاوطها ... يختبئ منها يستعد للانقضاض !

" آآآآآآآآآآآآه ... لاااااااااااااا"

لقد (انقض بالفعل).. امسكها لتقاومه بتلك الهستيرية وقلبها يجن في صدرها ثم تشعر انها تتهاوى وهي تتوسله

" لا .. فرقد .. لا ... تقتلني .."

لكنها تهاوت معه لتسقط على صدره وهو يحتضنها اليه يحميها بجسده من الارتطام على الارض بينما يقول بانفاس جزعة عليها

" رباااه هاجر ... كنت امزح .. توقفي حبيبتي... اهدأي ... لا ترتعبي هكذا ..."

يختض كل جسدها وانفاسها ما زالت متسارعة بجنون فوق صدره فيضم رأسها اليه يقبل اعلى رأسها ويقول بنبرة تبث فيها سكينة فجائية

" ششششش ... اهدأي .. اهدأي .. لن اؤذيك .. اهدأي .. مستحيل ان اؤذيك .. كانت مزحة سخيفة مني ..."

شيئا فشيئا شعرت بالاطمئنان العجيب واذنها على قلبه النابض لتشعر به .. انسان ..

انسان من لحم دم وقلب نابض ...

ولسبب غير مفسر هي مطمئنة ولا تريد الحراك.. فقط جسدها ما زال يختض رغماً عنها من اثر الانفعال ...

تبلدت كل حواسها لتسكن بذاك التوقف الزمني الوهمي ..

في تلك الظلمة يستمر هو بتمليس شعرها باصابعه حتى شعرها استكانت بعض الشيء ثم بحذر أخذ يحركها من فوق جسده ليزيحها عنه الى جانبه فتتوسد ذراعه الممدود على الارض ...

وجهه مقابل وجهها ... فيتولع بالنظر اليها ..

رغم الظلمة يستطيع ان يرى اثار الارتعاب ما زالت تلوح على ملامحها ... فيشكو حاله لحاله تضج الشكوى بين جنبات روحه ..

وقلبي توّله بجنية ..

ملكت كلي مني ولم تترك لي بقية ...

تتوه مني فأتوه من نفسي ويا ويلي ان ارتكبت فيها المعصية ...

يبتسم دون ان يشعر ويمد يده الاخرى لتلامس خدها هامساً بحرارة وكأنه يتمم كلمات قالها لاجلها ولم ينطقها

" يا الهي .. وكيف أخاف ان ارتكب معك معصية وانت كلكِ معصيتي يا جنية..! "

ويمضي الوقت ولا يعرف كيف مضى ..

فقط هما يحدقان بعيني بعض في الظلمة دون ان ينطقا بكلمة ...

بغباء منقطع النظير منه تجتاح حواسه ثمالة السعادة ... ينسى كل شيء ويغرق في تلك الثمالة التي تذهب بعقله ...

صوت الحشرات يختلط بصوت الاحراش واغصان الاشجار التي تحركها ريح رقيقة خافتة .. رائحة التراب والزرع تجعله يشعر انه في الجنة معها ..

كيف كانت تريد الهروب منه ؟!

الا يمس قلبها كل هذا الذي يحاوطها وملك يمينها ؟!

يعاني حتى لا ينسى .. يعاني حتى يتذكر انها لم تعد حلاله ....

همس وهو يبتلع ريقه بصعوبة

" ان كنت بخير الآن فيجب ان .. ننهض...."

مع آخر كلمة اصابعه تضغط بخشونة على خدها ... كأنه يوقظها ويوقظ نفسه ...

بدت كمن كانت مخدرة لتصحو فجأة ...

فاتسعت عيناها ثم صرخت به وهي تدفعه بغتة في كتفه " ابتعد ..!"

يبتعد ضاحكاً ليستلقي على ظهره بينما هاجر تقف على قدميها باضطراب لذيذ أمتعه..

ضحكاته تتقطع بنبض القلب المرتج في صدره ...

يراها تتكتف وهي تتلفت حولها بينما تقول بصوت خشن حاقد " اللعنة على هذا الظلام .. أعدني لغرفتي .. اعدني لسجني .."

بحركة رشيقة واحدة يهب ليقف على قدميه ثم ينفض التراب عن جلبابه ..

أخذ يبحث عن الكشاف الضوئي حتى وجده مرمياً بين الاحراش عندما تدحرج منه وهو يقع معها ارضا ...

روحه وجسده منتعشان منتشيان !

يبتسم دون ان يستطيع منع نفسه بينما يفتح الكشاف ويغيظها بالقول الآمر وهو يوجه الضوء الساطع لعينيها " اتبعيني ..."

وبعد ان ازعجها وشاكسها كفاية وهو يراها تحمي عينيها من الضوء بكفها بينما لسانها يتمتم بوعيد الانتقام منه لما يفعله بها ، يتقدمها وهو يمنحها نظرة بطارف عينه ويضيف بلؤم مبطن

" هناك بعض الجرذان فلا تفزعي ان لامست قدميكِ .. انها لاتعض الا اذا .. دستِ عليها ؟"

يكتم ضحكته وهو يشعر باصابعها تتشبث بتشنج بجلبابه من الخلف ويكاد يقسم انها تتلفت يميناً ويساراً تبحث عن جرذ مختبئ مترصد لها..

يسيران معاً وهو يتعمد التباطؤ بينما يقول بنبرة لامبالية وساخرة بنفس الوقت

" اعتقد منذ الان بتِّ تعرفين ان لا مجال للهرب.. السور عال وتعلوه الاسلاك الشائكة لن تستطيعي اختراقها .. البوابة بسلسلة غليظة وبقفل ذي ارقام لا يعرفها سواي ... اعتقد ان مغامراتك لهذه اليوم كانت كافية لتدركي انك باقية هنا حتى أقرر أنا عكس هذا .."

تشد جلبابه بغضب وهي تهدر بخفوت

" كنت تخدعني ايها ... ايها ...؟"

يقاطعها قبل ان تجرؤ على شتمه فيلتفت اليها برأسه ويوقف خطواتهما قائلا بشراسة الغضب المكبوت والخيبة المريرة اللتين اكتسحتاه في ثانية " إياك ان ينطق لسانك بشتيمة واحدة والا فإني سأقطعه ! "

انكمشت في رهبة تلقائية منه فتبتلع ريقها والغضب يتفاعل في جوفها بعجز دون ان تجرؤ عن التعبير عنه بينما تهدأ ملامحه قليلاً وهو يضيف ببرود قاسي

" ورداً على كلامك .. انا خدعتك كما كنت تحاولين خداعي.. الفرق اني اعرفك كفاية لاكتشف محاولتك بينما انت لا تعرفيني لتكشفيني.."

تنظر لوجهه في الظلمة فتسأل بيأس

" الى ماذا تريد الوصول من كل هذا ؟! ما معنى كل ما يحدث بيننا الآن ؟ ماذا تريد ان تثبت ؟!"

ترتسم ابتسامة غير عادية على فمه بينما يقول لها بانفاس متسارعة بعض الشيء

" دعك مما يحدث بيننا وما اريد اثباته.. ركزي فقط فيما يعنيكِ .. اعرفيني هاجر.. فربما عندها ستجيدين خداعي والهروب مني ... او ... البقاء معي الى الابد..."

لم تكن تشعر ان اصابعها ما زالت تتشبث بجلبابه بينما تهدر فيه

" لا اريد ان اعرفك...! الا تفهم ؟! لقد عرفتك بما فيه الكفاية حتى اوشكت معرفتك على تدميري ! ان كنتَ نسيت يا فرقد فأنا لن أنسى ابدا .. ابدا ... حتى يدخلوني القبر ! الآن اريد جواباً منطقياً واحدا وسط هذا الجنون الذي اعيشه معك مرغمة .. الى متى ستبقيني سجينتك هكذا؟"

غامت عيناه وبدا وكأنه غير مهتم على الاطلاق بالخطبة القصيرة التي ألقتها على مسامعه ليرد ببساطة

" الى اليوم الذي سأطلب فيه من امي ان تجهز فستان عرسك لتزفي .. لي .."

تقترب منه وكلها ينتفض بغضاً له او ربما لما يفرضه عليها فتتحداه بالقول

" هذا لن يحصل .."

فيرد باسماً وكأنه يكلم طفلة مزعجة

" سيحصل .."

فتغلي وهي تصر " لا ..."

فيحرك حاجبيه ويعض شفته وهو يحدق بعينيها قائلا بنفس النبرة " نعم .."

صدرها يعلو ويهبط ودموع القهر تتجمع في عينيها لتسأله بحشرجة " بالاجبار ؟!"

تهدأ تعابيره تماماً ليرد بجدية " بالرضا ...."

لا تعلم لماذا شعرت وكأنها تكلم (فرقد القديم) الذي عرفته في القناة قبل ان يرتبط بها... من لاحقها لعام كامل بنفس هذا الاسلوب الذي يتبعه الآن ... ألحاح واصرار لا يعرف اليأس ...

لم يكن يخفي عنها انبهاره كرجل بها ...

جريء .. صريح ... وقح !

ربما لهذا لم تنجذب اليه ...

لقد مر بها رجال كثيرين انبهروا بها ..

لكنها لم تشعر بأي شيء نحوهم ...

ربما لانها ارادت تعلقاً من نوع آخر ...

يا الهي ... ما هذا الاصرار منه ؟!

لماذا لا يريد ان يفهم ؟!

شعرت وكأنها عادت لعام كامل للخلف وهي تقول له بحاجبين معقودين

" ها قد عدت لطريقتك الاولى عندما كنت لا تفهم معنى كلمة (لا) التي ظللت لعام كامل اقولها لك .. وانت لا تهتم اني اقولها بل تستمر بملاحقتي ... "

عندها أخافتها نظراته حتى شعرت بالاختناق وهي ترفع يدها لعنقها باضطراب ...

للحظة شعرت انه يحتقرها ! ويود لو يقتلها!

هذه المرة ليست مزاحاً كما عندما حاول اخافتها قبل قليل عند البوابة ..

هذه المرة هناك شيء عميق بدائي يدفعه لرغبة قتلها بالفعل وهو .. يحتقرها !

تمتمت اسمه وكأنها تريد منه تفسيراً فما كان منه الا ان قال بنبرة غريبة

" لكنكِ قلتِ بعدها ... (نعم) ..."

كانت تقاوم خوفها منه بجرأة ردها فتقول وكأنها تواجهه بحقيقة افعاله معها

" اجل وافقتُ بغباء وانت كان كل همك الانتقام مني لاني رفضتك مرارا ..."

تعترف أنّ تفاجؤه ... فاجأها !

تشوشت وتاهت وهي تحدق ببردة فعله المتفاجئة الواضحة... وكأن الامر لم يخطر على باله يوماً !

ليقول بعدها بنبرة ساخرة

" هل هذا التفسير الذي أنعمِ به عليكِ ذكاؤك الخارق ؟! هل تؤمنين حقا اني انتقمت منك لاجل هذا السبب ؟ "

لم يعلق في رأسها الا اعترافه الضمني انه .. انتقم !

همست وهي تكاد لا تصدق وجعها

" اذن تعترف انك كنت تنتقم !"

لم ترمش عيناه .. لم يظهر ادنى تأثر ..

كان جامد الملامح شامخ المحيا وهو يرد

" اجل ... انتقمت منك و...من نفسي ... لكن ليس للسبب الذي ذكرته ... "

ثم استدار ليتقدمها وهو يوجه الكشاف للطريق بصمت ...

اما هي فأخذت تتبعه وهي بقمة التشوش .. لقد شعرت انها يجب ان تعرف ..

يجب ان تفهم لماذا فعل بها كل ذلك ...

كانا قد وصلا البيت وجعلها تتقدمه لتدخل عبر الباب الخشبي ثم اخذ يسير معها حتى غرفتها وهناك فتح الانارة ثم قال فجأة

" مما لا تعرفينه عني يا هاجر اني رجل عندما أختار ..امرأتي.. أظل في سعيي اليها حتى أنالها بكل ما فيها او... لا أنالها على الاطلاق !... اما كل شيء او لا شيء ..."

اخذت تمعن النظر في ملامحه الصلبة وقد بدا رجولياً جدا بهيئته و... خشناً وعراً في ذات الوقت... لم يكن وسيماً على الاطلاق .. لكن فيه لمحة معينة تعبر عن مسقط رأسه ونشأته... لمحة جاذبة مهما كانت جذورها..

اضاف فرقد بنفس النبرة والملامح

" لم تكن توجعني كلمة (لا) منك التي كررتها مراراً على مسامعي .. بل كانت تزيدني رغبة فيك .. تعلقاً بالفوز بك .. حماسة لتكوني لي .. كنتِ امرأتي المنشودة التي ألهبت مجامع قلبي فكيف اتنازل دون القتال بضراوة لأنال قلبك ... نحن رجال نحب السعي لنسائنا ... نحب صعوبتهن ... "

تقلصت عضلات وجهه قبل ان يضيف بصوت أجش " ثم فجأة قلتِ كلمة (نعم) ...! ويا ليتك لم تقوليها ابداً ..."

عادت تلك النظرة التي تخيفها في عينيه لتتراجع طواعياً للخلف وهي تهمس

" ماذا تقصد...؟ لا افهم ...! انت تشوشني.."

عيناه في عينيها وكأنه يُعري اسرارها بطريقة ترفضها وتعاندها ...

فيبتسم ابتسامة جافة وهو يرد " بل تفهمين... لكنك تظنين اني لم أفهم .."

فتردد وقلبها يخفق سريعاً في صدرها

" تفهم .. ماذا تفهم ؟"

بدا كمن يكبت انفعالاً عنيفاً في داخله .. ربما صراع وربما امورا اخرى لم تفهمها فتعاود سؤاله بألحاح " تفهم ماذا فرقد ؟! اخبرني ..."

شمخ بذقنه وانفعالاته تطفح من عينيه دون ان يبوح بها لسانه ليقول بصوت خافت متشنج

" تصبحين على خير ..."

ثم استدار ليغادر الغرفة ويقفل الباب خلفه ...

تظل هاجر مسمرة مكانها وهي تحدق في الباب الذي أغلق في وجهها ...

ليس باب الغرفة فقط بل باب لم تكتشفه يوماً في دواخل فرقد ...

لقد تزوجته وكانت امرأته لكنها لم تفتح باباً واحداً من ابوابه العصية !

في المطبخ اخذ فرقد يغسل يديه وهو يشتم..

يد بجرح عميق لم يبرأ حتى الآن ويد محروقة تلتهب بوجعها ..

سينتهي به الحال مشوهاً بسببها !

اخذ يزمجر من بين اسنانه يلوم نفسه على تراجعه امامها " غبي .. غبي ... لماذا لم تخبرها بكل شيء ؟ كرامتك اوجعتك ؟! لم تستطع مصارحتها بما فعلته بك تلك الليلة المشؤومة وهي تنوح على حبيبها ؟! غبي .. كان يجب ان تضغط على كرامتك اكثر .. كان يجب ان تفصح ... ربما عندها ستراك كما لم ترك يوماً وتشعر بكل هذه النيران التي تشعلها فيك .."

شروق شمس اليوم التالي .. (الجمعة)

جفناها ثقيلان ... تكاد لا تستوعب اي اصوات توقظها ... لقد نامت بوقت متأخر جدا وهي تفكر بكل ما جرى وتتقلب في السرير..

فجأة بدأت تشعر بصفعات خفيفة على وجهها وصوت خافت منفعل يوقظها بخشونة

" هاجر .. هاجر .. استيقظي .."

اخذت ترمش بعينيها وقلبها يخفق بتوجس تلقائي وهي تميز وجه فرقد قريباً جدا من وجهها وملامحه لاتنبئ بالخير ابداً...

وكأن مصيبة حلت عليهما معاً !

تهمس وهي لا تستوعب حتى اللحظة ما يجري

" ماذا ؟! ماذا حدث ؟"

بدا منفعلا حقاً ومرتبكاً بنفس الوقت ثم ... شعرت بأسفه الحقيقي وهو يقول

" ليس لدي وقت للشرح .. لكن لا تهلعي .. انا مضطر لفعل هذا لبعض الوقت .. تحملي الامر وسأفعل المستحيل كي لا يطول ..."

كانت تسمع اصواتاً فتحاول ان تميزها او تفهم معنى كلامه وهي تتساءل

" مضطر ؟! ماذا تقصد ..آآآ...اممممممممممم ! "

اتسعت عيناها بصدمة وهي تشعر بشريط لاصق عريض يكمم فمها بالاجبار ...!

حاولت ان تحرك ذراعيها تلقائياً لتقاوم لكنه سبقها وهو يقبض على معصميها ويشد وثاقهما ببعض ثم فعل المثل بساقيها وهو يشد وثاق كاحليها!

كانت مصدومة وهي تتلوى بجسدها عندما عاد لوجهها يحتضن خديها بين كفيه ينظر في عينيها باعتذار صريح من قلبه وبشكل عفوي مال ليقبل عينيها ويقول بحرارة

" اسف يا قلب فرقد ... اخي الاكبر حضر بشكل مفاجئ ويجب ان لا يراك هنا معي "

حالما أنهى جملته كان يحملها بين ذراعيه بينما هي يغمرها الغضب مستوعبة ما يجري !

اخذها ناحية الحمام وهي تتلوى بضراوة تقاوم بشراسة وتطلق الاصوات بفمها المكمم بينما يضعها في الحوض البيضاوي للاستحمام ويقول بحشرجة وصدق مجنون " اقسم باللّه افعلها لاجلك ... لا اريده ان يراك هنا ويظن أمرا فيكِ ..فقط لو تعلمين كم .... اووووووف ..."

توقف عن الكلام وصوت بوق سيارة يعلو من جديد ينبهه انه تأخر كثيراً بفتح البوابة وسيثير ريبة ناصر بلا شك ..

رآها تقاوم بعنف متصاعد وهي تتلوى في الحوض فلم يكن امامه الا ان يربطها لصنبور الماء حتى يمنعها مغادرة الحوض ويكبل حركتها أكثر ...

واخيراً اغلق الستارة تاركاً اياها هناك تعيش صدمتها وهي لا تصدق الحالة التي تعيشها !

مضت ساعة وفرقد بملامح متماسكة امام اخيه وهما يجولان سوياً في المكان واستكشف ناصر غرف البيت واغلبها كان غير صالح للسكن الا غرفة واحدة ...

دخلها ناصر مع فرقد فيطالعها بنظرة سريعة وتمر عيناه على السرير المبعثر دلالة نوم (اخيه) عليه وبعض الصحون بطعام بائت على المنضدة وباب يؤدي لحمام داخلي لم يجد ناصر اهتماماً ليراه وقد اخبره فرقد انه قذر ومغلق لانه عاطل ويستخدم الحمام الخارجي..

تنفس فرقد الصعداء عندما تركا الغرفة اخيرا وحمد الله انه استطاع لملمة اغراض هاجر ليضعها في الحمام قبل ان يقفله بمفتاحه الذي يحتفظ به ..

بعدها استرخى قليلا وهو يجول مع شقيقه في باقي المزرعة ويحاول جاهدا ان لا يظهر رغبة متعجلة لدفع ناصر للمغادرة حتى يعود لهاجر المحتجزة في حوض الاستحمام ..

لم يكن يستطيع ان يثير ريبته وهو جاء خصيصاً بناء على طلب من والدتهما ليطمئن عليه ...

اللعنة .. كله بسبب اخته نسرين وافكارها عن نساء الجن اللواتي قد يغوين اخاها !

قريباً من بوابة المزرعة كان ناصر يتحرك متمهلا بسيارته (نصف حمل) وهو يلوح لاخيه الاصغر ويقول بضحكة خشنة

" امك سترتاح اخيراً عندما اؤكد لها بنفسي ان البيت لا تسكنه الجنيات الغاويات ..."

للحظة انجذبت عينا ناصر لما يشبه الوشاح الاخضر عالقاً ببعض الاغصان لكنه لم يبال به كثيراً او يثير اهتمامه ...

يضحك فرقد فيغطي على انفعاله اللحظي بينما يسير ناحية البوابة بمحاذاة سيارة اخيه حتى عبرها ناصر فيغلقها فرقد خلفه ...

عاد فرقد ادراجه راكضاً ناحية البيت ومنه للغرفة ثم الحمام ...

عندما فتح الباب وتقدم ليزيح الستارة وجدها تصدر صوت الشخير وهي غارقة في نوم عميق!

تقطع قلبه تقطيعاً ...

فيجلس على ارضية الحمام ينظر لوجهها النائم بعجز ويداها مربوطتان للصنبور فوق رأسها ...

ماذا يفعل الآن ؟! كيف يفك عنها الوثاق دون ان يوقظها ...

ما باليد حيلة ... لن يستطيع تركها نائمة بهذا الوضع ...

حاول جاهداً ان يبدأ بفك وثاق يديها عن الصنبور دون ان يوقظها لكنه فشل ...!

استيقظت مجفلة ثم بعينيها الحمراوين من التعب اخذت تنظر اليه بحقد أسود ...

ابتلع ريقه وهو يفك وثاق معصميها ويقول

" انت لن تصدقيني اني فعلتها لاجلك .. فلو رآك ناصر معي هنا ستحدث اموراً ليست في صالحك ... "

ما زال فمها مكمماً بينما تفرك معصميها وهو يفك وثاق كاحليها ...

بدلا من ان يوقفها على قدميها لتخرج من الحوض عاود حملها وهي تطلق الاصوات الرافضة وتحاول ان تنزل جسدها أرضاً بينما تضربه بقبضتيها بل حتى غرزت اظافرها في رقبته وهو يتحملها منها بصمت ..

تنهد وهو يضعها على السرير فحاولت دفعه عنها فنهرها بصرخة زاجرة

" توقفي هاجر .. لقد قلت لك فعلتها لاجلك حتى لا يظن بك ظن السوء .. "

كان منفعلا وهي منفعلة ايضا ليفاجئها بغتة وهو يزيح الشريط اللاصق عن فمها بحركة سريعة واحدة جعلتها تطلق توجعاً بينما يسأل بنفس الانفعال " هل انت بخير ؟"

نظرة حاقدة منها كانت تكفي قبل ان تهب على قدميها خارج السرير وهو يعتدل بوقفته ليقول بصوت مبحوح " سأعوضك ..."

استدارت اليه تصرخ بعنف

" انا لم أعد احتمل .. اطلق سراحي .. انت مجنون .. مجنون ..."

تقدم منها وهو يحاول احتواء غضبها العارم

" هاجر اسمعيني ... "

أخذت تشد بشعرها المشعث وعيناها ما زالتا حمراوين وهي تصرخ بهستيرية الغضب

" لا .. لا .... لم أعد احتمل .... انظر الي .. انظر لهيئتي المزرية واعصابي المنهارة .. "

يعترف ان هيئتها مزرية حقاً لكن .. الا تفهم انه ضروري لهما ان يكونا معاً بعيداً عن أي تاثير آخر ؟!

حاول مجدداً " اهدأي .. فقط اهدأي ... "

لكنها تضربه بقبضتيها في كتفيه وهي تهدر بعنف

" اريد ان ارحل .. اريد ان أخرج من هنا .."

ثم تحركت حافية لتخرج من باب الغرفة المفتوح وهو يتحرك خلفها باحباط يتقبل منها هذا الغضب عسى ان تهدأ قليلاً ..

عقد حاجبيه وهو يراها تتوجه ناحية الممر الترابي حتى تصل البوابة لتقف هناك بحالتها الرهيبة وتصرخ

" افتح القفل .. افتحه ...."

نظر لملامحها الطبيعية دون اي تبرج وقد زينها التمرد وزاد حسنها الغضب ...

حافية وجلبابها الاخضر مترب وقد لاحظ انه تمزق من جانبه .. لا بد ان حصل هذا من مطاردات ليلة الامس !

عاد لينظر لوجهها وقد تطاير شعرها القصير المشعث حوله .. نبض قلبه بعنف وقد لاحظ حمرته الشديدة قد بدأت تعود اليه تتحدى صباغ الشعر الذي فرضته عليه ...

عند تلك اللحظة شعر فرقد انه لن يعشقها بأكثر مما يعشقها الآن ...

وأنه لن يتراجع ابداً عما انتواه حتى النهاية..

تمتم يرد على طلبها " لن أفعل ... "

تضرب بقدمها الحافية على الارض وهي تصرخ مجددا " أكرهك ..."

تجيش المشاعر في صدره وهو يقول بحشرجة

" ألم تشعري بأي شيء آخر نحوي ليلة الامس؟!

أي شيء يا هاجر ..."

وكأنه قبض على نبضة من قلبها بيده !

انفاسها تنهت وهي تستدير لتوليه ظهرها ...

عقلها وروحها وكل كيانها يرفض ..

يصرخ بوحشية رافضاً ...

لكن .. يا الهي... هناك شيء ينبض في

داخلها تريد خنقه بل تمزيقه وقتله ...

فجأة شعرت بالدوار والدنيا تكاد تظلم من

حولها ... شعرت وكأن انهاكها بلغ الذروة ولم

يعد جسدها يحتمل كل هذا الانفعال ...

سمعت تنهيدته وهو يقترب منها ودون كلمة

انحنى ليحملها وعندما حاولت الرفض

بحركات عنيفة رغم قواها الخائرة زجرها

بالقول " كفي عن العناد .. انت حافية

وهناك الكثير مما قد يجرحك او

يلدغك.."

استسلمت وقد شعرت بالفراغ التام .. فراغ من

اي احساس او تفكير .. انها مرهقة للغاية...

وقبل ان يصل بها للباب الخشبي كانت قد

غفت مرة اخرى ... ورأسها على صدره...

تمتم وهو يدخل بها الغرفة ليضعها في

سريرها " نامي جنيتي ... سنجد طريقة

ترضيكِ.."



شخيرها ارتفع فيضحك بخفوت ثم يميل ليغطيها قبل ان يغادر ويقفل الباب خلفه ..

شقة طاهر الاحمدي

غرفة سهر القديمة ..

مستلقية على السرير وامها تجلس جوارها بينما والدها يقف وسط الغرفة بمحياه الهادئ يفصح عما لم يخطر ببال سهر على الاطلاق !

تمتمت ويدها تشد دون شعورها على يد امها

" ابي ! ماذا تقول ؟!"

بدت حياة اقل صدمة بكثير من ابنتها فتلتفت اليها سهر تسألها بعينين متسعتين ذهولا وهي تحاول الاستيعاب

" امي .. هل كنت تعرفين ؟!"

ألقت الام نظرة للاب الصامت قبل ان تفصح

" لم يخبرني ابيك بشيء .. لكني شككت بالامر دوماً .. شك كان أقرب لليقين .."

يد سهر الثانية استقرت فوق بطنها المنتفخة بينما تتغرغر عيناها بالدموع في تأثر منفعل قائلة " ذاك الحقير السافل ! فعل كل هذا بهاجر ونحن لا نعلم ؟! الغبية كيف لم تخبرني ؟! لم أفطن ابداً .. ظننتها ... يا الهي.. لماذا لم تخبرني ؟ لماذا أخفت عني ؟! "

أطرق طاهر الاحمدي بنظراته وشعور قاتل بالذنب نحو ابنة اخيه .. انه يتحمل المسؤولية مع تلك الفتاة المسكينة...

قد تكون عنيدة ورأسها حجر لكنها كانت بحاجة لوجوده .. حتى ولو مجرد صورة ..

لكن الغضب أخذه فتخلى عنها ...

تمتم الاب وهو يتذكر هاجر بالفترة العصيبة التي أعقبت طلاقها

" لانها شعرت بالخزي ..! بالاذلال ..."

عندها كانت حياة من تنفعل وهي تقول بعدم تعاطف مع هاجر " لكن يا طاهر ما ذنب منذر لتكذب عليه ؟! كيف لا تخبره بوضعها قبل ان تتورط معه بخطبة ؟! لم يكن يحق لها ظلمه بهذه الطريقة .. انه شاب تتمناه افضل البنات ..."

فجأة أخذت سهر تجهش بالبكاء فاحتضنتها امها تواسيها " لا تبكي حبيبتي ... لاتبكي.. البكاء غير جيد للطفلة .. اهدئي .. انه اواخر الحمل ورقدتك الطويلة في السرير من يجعلك تنهارين هكذا.. "

لكن سهر تواصل البكاء بحرقة وانفعال عاطفي وهي تهمس " قلبي يوجعني لاجلها .. انت لا تعرفين كم هي مرهفة من الداخل رغم قوتها وجرأتها الظاهرة .. يا الهي اين تكون الآن .. لماذا رحلت هكذا ؟! انا لا افهم.. ليس من طبعها الهروب .. دوماً هي عنيدة بالمواجهة ... "

عندها جاء رد الاب

" ربما أرهقت من كثرة المواجهات مع الجميع بنيتي .. أرهقت ولم تعد تريد تبرير اخطائها.. ربما هي لا تبحث عن الهروب قدر بحثها عن العزلة والتقاط الانفاس ... الاشهر السابقة كانت مستنزفة لطاقة اي انسان .."

سألت سهر بنفس التأثر العاطفي وهي تمسح الدموع عن وجهها " هل سيتركها منذر ؟!"

تنهد الأب وهو يرد بصدق " لا اعلم .. انا اشفق عليه واقدر حجم الصدمة التي يمر بها لكن ما يهمني الآن ان اجد هاجر .. لقد مرت خمسة ايام وهاتفها ما زال مغلقاً .."

عندها عاتبته سهر بالقول " لماذا اخفيت الامر ابي .. نحن عائلتها فلماذا لم تخبرنا ؟"

يتجهم وجه طاهر الاحمدي ...

لقد ارتكب غلطة أخرى عندما لم يجبر هاجر على مواجهة وضعها بوقت أبكر ...

ربما لو دفعها لتعلن وضعها كمطلقة ولو في محيط الاسرة لكانت وجدت الشجاعة لتخبر منذر دون رهبة او لجوء لخديعة ....

لهذا قرر ان الأوان قد حان ... ليعلم الجميع ان هاجر امرأة مطلقة قضت عدتها ... وليتقبلوها كما هي او لا يتقبلوها على الاطلاق ..

هي ارتكبت الاخطاء المتتالية وعليها دفع الثمن ... الكل يدفع ثمن اخطائه عاجلا ام آجلا ...

رد الاب اخيراً وفي داخله ما زال يشعر بالغضب من هاجر " هي توسلتني ان لا اخبر احدا حتى حين .. وانا منحتها الفرصة خلال .. فترة العدة حتى تستعيد ثقتها بنفسها وتواجه الناس بحقيقة طلاقها .. ظننت .. ظننت ان دخول منذر السريع في حياتها هو رحمة لها .. وكأنه يد ممدودة ليمنحها الدعم ويكون سندها وهي تواجه ما حصل .. لكن للاسف .. خيبت ظني وكذبت عليه وعلي انا ايضا .. خدعتني كما خدعته .. وهذه النتيجة .. هي اختفت والله وحده أعلم بحالها ومنذر يكاد يجن..

ساعة غاضب كالجحيم وساعة احساس الذنب يحطمه .. "

هبت سهر لتعتدل بجذعها وهي تقول بحماسة

" انا سأكلمه .. سأشرح له انها لم تقصد .."

لكن والدها نهاها بالقول الحازم

" لا تتدخلي مع منذر يا سهر .. اي تحرك منا سيفسره وكأننا نترجاه المسامحة لاجل هاجر وهذا سيرخصها أكثر في نظره .. "

ثم يهز رأسه مضيفاً بأسف وحنق

" يكفي ما فعلته بنفسها .."

مالت سهر برأسها لحضن امها تعاود البكاء وهي تتساءل بحرقة " لماذا كنتِ غبية هكذا يا هاجر .. لماذا ؟"

تشدها الام اليها تخفف عنها فيشعر طاهر باحساس خانق وهو يفكر ان هاجر لا تملك حضناً تلتجأ اليه ..

في شوارع العاصمة

يقود منذر سيارته بلا هدى والافكار تتزاحم كتزاحم ساعات النهار والليل طوال الايام الفائته ...

ايام قضاها يجول في أروقة مؤسسة الجراح تتقلب عينيه يميناً وشمالا يبحث عن طيف مفقود...

يبحث عن ريح خريفية تهب عليه بغمزة وابتسامة جريئة لا تخلو من براءة طفلة !

اجل .. لقد كانت طفلة تشتاق وتحن وتريد ان تَعشق وتُعشق ...

اشارة حمراء اوقفته لتتوقف خيالاته العاطفية وتتسلل اليه بخبث كلمات أخيه حازم ...

ورغماً عنه تخيل هاجر بفستان زفاف ابيض وقد أختلى بها في غرفة مغلقة ..

الزغاريد بدأت تخفت وها هو وحده معها ...

اخذت خيالاته تصور له ملامح هاجر ليلة العرس .. عيناها براقتان مشتاقتان ... شفتاها ترتشعان بانتظار جائع ...

لم تخجل .. لم تطرق في خفر وحياء ...

كانت تنتظر فحسب متى... يقبلها في جموح! متى يخلع عنها الثوب الابيض ليروي حاجتها لعاطفة جربتها وحُرمت منها بقسوة !

عاطفة ايقظها فيها رجل آخر وهو ينالها وينهل منها ويعلمها الشغف ... بين اربعة جدران مظلمة حيث لايراهما احد !

أجفل منذر بعنف واختض جسده وصوت أبواق السيارات يعلو من خلفه في نداء صارخ ليمضي قدماً ...

تحرك بسيارته وهو مشدوه ...

يسير بالسيارة وما زالت انفاسه مضطربة ..

مسافة قصيرة ولم يعد يستطيع التركيز ليقف على جانب الطريق ويأخذ عدة انفاس عميقة ليهدأ والمشاعر تتأجج داخله ..

يده ترتعش وهو يتصل بأخيه حازم وبكلمات مقتضبة يشرح له اين هو الآن ليحضر اليه ...

مر الوقت بطيئاً قاتلا وهو ينتظر حضور حازم..

كان غارقاً بخيالاته وافكاره عندما دخل حازم السيارة ليجلس جواره وهو يسأل بقلق

" ماذا هناك ؟! هل وجدتها ؟ هل عادت ؟ "

ظل يحدق في وجه اخيه وكأنه يستغرب اسئلته ...

وجدتها ؟ ..... عادت ؟!!

انه لم يعد يفكر انه كان سيجدها او .. ان كانت ستعود يوماً ..

كل ما يفكر به .. ماذا سيحصل عندما يراها؟ ماذا سيقول لها ؟ ماذا ستقول له ؟

" منذر ! انطق يا رجل .. لقد تركت ناهد تغلي وهي تحضر لغداء اليوم .. لدينا ضيوف .."

اخذ منذر يمرر اصابعه في شعره وهو يسأل باضطراب " الا تستطيع التخلف عن حضور الغداء ؟ احتاج اليك اخي .."

تنهد حازم وهو يلقي بيده على كتف اخيه ويسأله " انت لم تخبر والدينا اليس كذلك؟ لو كنت فعلت ربما لوجدت بالكلام معهما راحة أكثر مني .."

يهز منذر رأسه نفياً وسط كلام أخيه وحالما انهى حازم جملته قال منذر

" ان اخبرتهما يعني اني قطعت كل الخيوط مع هاجر .. لن يقتنعا .. ولا اريد ان اسبب لهما الخيبة ..."

عندها قال حازم " يا منذر انت هو الذي يحتاج للاقتناع وليس هما .. لا تحاول ان تشتت نفسك لتؤجل إتخاذ القرار ... "

موجة مفاجئة من غضب تداهم منذر وهو يقول " القرار ؟! تريدني ان أتخذ قراراً ؟! لكني غاضب .. غاضب جدا لاتخذ اي قرار .. لا أكف عن الدوران بنفس الحلقة .. صدمة .. ذهول .. شعور بالغدر والخديعة .. غضب .. غضب عارم .. شعور بالذنب .. اشتياق!! هل تتخيل .. انا أموت اشتياقاً لرؤيتها وسط كل هذا الذي أعانيه بسببها ..."

زم حازم شفتيه قبل ان يقول باقتراح مختلف

" اسمعني منذر .. اترك كل شيء واذهب واستمتع ..."

لوهلة لم يفهم منذر وهو يتمتم " ماذا ؟!"

فيرد حازم بصبر

" اجل لم لا ؟! انت تحتاج ان تلهي فكرك .. اذهب و جد اي وسيلة للترفيه عن نفسك .. ألم تفعل هي المثل وغادرت كل شيء لتنشد وحدة تريحها ؟! كن ذكياً مثلها.. استرخي بدل هذا الضغط المجنون على اعصابك ومشاعرك .. ربما الحل ليس ان تتخذ القرار الآن .. ما دامت هي ايضا غير موجودة لتتفاعل معها .. ربما تحتاج ان تتسلى وتنسى وقتياً كل شيء لتستعيد هدوءك وعندها ستقفز الاجابة الصحيحة لرأسك ..."

كانت الكلمات تدور برأس منذر فيشعر بالميل لرأي اخيه هذا ...

منذ ايام وهو لا يفعل شيئا الا الضغط على نفسه والعيش في دوامات لا نهاية لها ...

هاجر اختفت وهو بمفرده يتخبط ...مؤكد يحتاج لهدنة مع هذا الضغط الفظيع الذي يعيشه ..

عندها سمع صوت حازم وهو يضيف المزيد ليشجعه أكثر

" انت شاب أعزب في الثانية والثلاثين وبدون اي مسؤولية على عاتقك لكني اراك منذ سنوات غارقاً في العمل في المؤسسة ولا تستمتع بوقتك .. انت حتى لا تملك اصدقاء حقيقيين من معارفك الجدد في العمل .. لماذا اذن لا تتصل باصدقائك القدامى ايام الجامعة ؟ اتصل بهم واخرج معهم .."

أخذ منذر يردد باستجابة

" من تقصد ؟ موريس و عدي ؟"

فيرد حازم بتشجيع " اجل .. لقد كانا افضل اصدقائك .. لا اعلم لماذا انقطعتم عن بعض..! ما اخبارهما الآن ؟ "

لاول مرة منذ ايام يشعر منذر انه يفكر بأمر ما خارج حالته الخانقة ليبتسم بحنين وهو يقول " موريس تزوج ورزق بطفل .. انشغل بحياته الاسرية وعمله .. عدي لا اعلم ما جرى له .. كان متعلقاً بشكل خاص بفتاة ما كما اذكر وقال مراراً انه سيتزوجها حالما يتخرج لكنه لم يفعل ولا اعلم السبب لكنه ما زال عازباً حتى اللحظة .. يا الهي .. اشعر ان دهوراً مرت منذ التقيتهما اخر مرة..."

ابتسم حازم وهو يمد يده لهاتف اخيه الملقى قرب مبدل السرعة للسيارة فيلتقطه ويقربه اليه قائلا بلهجة مقنعة " اتصل الآن امامي لاطمئن عليك انك ستكون بصحبتهما الليلة .. اذهبوا الى اي مكان .. المقهى الذي ذهبنا اليه ليلة الامس مثلا .. لقد كان جيداً ومليئا بالناس .. ستشعر براحة اكبر وانت تبدل الوجوه التي ألفتها في الاونة الاخيرة "

ظل منذر ينظر للهاتف في يد اخيه حازم عندما قرر أخيراً ان يعمل بنصيحته ...

وكان اول من استجاب للدعوة وبترحاب شديد هو موريس .. صديقه المسيحي .. ووعده انه سيحضر معه عدي ليعيدوا الايام الخوالي...

وبينما يستمع حازم لاتفاق اخيه مع صديقه موريس كان يتأمل .. فقط مجرد أمل واهٍ ان يلتقي منذر بفتاة أخرى تناسبه ..

في السوق الشعبي للقرية

يدفع النقود لبائع الدواجن بينما يبتسم في سره وهو يستلم منه القفص الصغير وثلاث من صيصان الدجاج الصفراء تتخبط ببعض في انفعال وهي تطلق اصواتها (الصوصية) ...

رن هاتفه فيخرجه من جيبه وعيناه لاتفارقان تلك المخلوقات الصغيرة وهو يفكر ان هاجر ستعشقها ...



كان يسير بين جموع الناس المارة في السوق عندما رأى اسم اخيه ناصر على شاشة الهاتف..

يسرع الخطى حتى وصل سيارته اخر السوق ليضع القفص في الصندوق وعلى عجالى يصعد لمقعده ويغلق الباب ...

لم يكن يريد ان يفتح الخط ويثير تساؤلات اخيه عن الضجة حوله وسيعرف مؤكد بوجوده في السوق ..

توقف الرنين قبل ان يستطيع فرقد الرد ...

فيعاود فرقد الاتصال به وهو يقول مدعياً التعب " آسف اخي كنت اعمل برفع الانقاض ولم اسمع صوت الهاتف .."

تفاجأ فرقد ان ناصر صمت للحظات وتصور ربما هو لا يسمعه فناداه " ناصر .. هل تسمعني ؟"

عندها رد ناصر بصوته الخشن ليقول بهدوء

" اسمعك فرقد .. لا بأس .. كنت اتصل لاذكرك ان تذهب لامك باكراً على العشاء.. كما انها تريدك ان تبيت ليلتك في بيت ابيك .."

اغمض فرقد عينيه وهو يتذكر العشاء الليلة! لكنه لا يستطيع ترك هاجر هذا اليوم تحديداً .. بعد كل ما حصل بالامس وصباح هذا اليوم من المستحيل ان يتركها محبوسة بين اربعة جدران ... ومؤكد لن يبيت بعيدا عنها ليتركها وحيدة هناك ...

قال اخيراً " ناصر انا مشغول كثيراً اليوم ولدي اعمال يجب ان أنهيها .. وسأكون مرهقاً آخر الليل لاقود سيارتي واذهب لبيت ابي .. اخبر امنا اني سأحضر غدا لاقضي النهار معها.."

نبرة ناصر كانت غريبة وهو يرد

" كما تشاء يا فرقد .. سأخبرها .."

بعد السلام اغلق فرقد الخط وهو يفكر ان ناصر بدأ يُقلقه ...

لقد تصور صباحاً انه اقنعه ان لا شيء يثير الريبة في المزرعة لكن يبدو ان ناصر لم يقتنع تماماً ...

على الجانب الآخر كان ناصر ينظر عن بعد لسيارة اخيه الاصغر وهي تتحرك لتغادر السوق الشعبي !

أعاد ناصر هاتفه الى جيبه الداخلي لجلبابه قبل ان يتحرك ماشياً وهو شارد النظرات مستغرق بالتفكير ...

لماذا يكذب عليه فرقد ويقول انه في المزرعة بينما هو كان في السوق يشتري قفص طيور ؟!

لقد رآه من مسافة بعيدة نسيباً وهو يشتري من البائع ثم يتحرك مغادراً فاتصل به ليوقفه لكنه تفاجأ بفرقد يخرج هاتفه ويحدق فيه قبل ان يسرع الخطى دون ان يرد !

في البدايۃ تخيل ناصر انه يريد ببساطۃ مكالمته براحۃ من سيارته ، لكنه صُدم بكذبۃ فرقد عندما عاود الاتصال به وهو يدعي انه في المزرعۃ يعمل !

كان ناصر عابس الوجه وهو يكمل الطريق ووشاح اخضر عالق في اغصان شجر يلح على افكاره ...

بيت هيثم الجراح ..

يقف في شباك غرفۃ مكتبه يراقب شهرزاد وهي تلاعب صغيرهما صقر في الحديقۃ ..

رغم ضحكاتها الا انها كانت حزينۃ ...

يكز على اسنانه ويكاد يحطم الزجاج الشفاف الذي يفصله عنها ...

ليت هذا حقاً فقط ما يفصله عنها ..

جدار زجاجي شفاف ...

يراها عبره ويسهل تحطيمه متى شاء ...

لكن ما يفصله عنها الآن داكن سميك صلد ويزداد دُكنۃ وصلادة بمرور الايام ..

كل يوم يشعر بجدار جديد يبنى بينهما..

وكلما شرع بتحطيم جدار انبرى له جدار آخر و... آخر ...

احساسه انه عاجز عن ايجاد الحل يصيبه بالتخبط المجنون ...

ويخشى ما يخشاه ان يفعل معها في لحظة تخبط غاضب فعلة أشد وطأة مما فعله ليلة الامس ...

لم يعاشرها يوماً بتلك الطريقة ..

حتى عندما انتابته لحظات جموح عاطفي عنيف لم يجعل الامور تفلت من تحكمه حتى لا يؤذيها ..

ما يهون عليه الأمر انها كانت تصارعه في غضبه وكأن غضبها لم يقل عن غضبه أنملة...

لا يصدق حتى اللحظة أن شهرزاد التي عاش معها ليلة الامس أغرب ليلة قد تمر على زوجين يتبادلان الغرام الغاضب في السرير هي نفسها شهرزاد التي كانت تذوب من لمسة عابرة منه وتتلاشى من قبلة !...

أخذ نفساً عميقاً قبل ان يطلقه بهدوء قائلا

" متى ستقتنع وتفهم ان الاغواء سيظل موجوداً دوماً من حولي لكني كلما لمحته في طريقي سأبتسم في وجهه ابتسامة العارف بما يجره من خراب بعده ..كيف اوصلها الى هذه القناعة ؟ كيف ؟!"

رن هاتفه فلاحت نظرة اخيرة منه ناحية شهرزاد وهي ترفع صقر عاليا للشمس وشعرها ينساب للخلف كالحرير فيتوق هيثم ليمد أصابعه ويلمسه....

تحرك هيثم ناحية طاولة المكتب ليتقط هاتفه فيعبس قليلا ببعض الاستغراب وهو يرى اسم سمارا ...

يفتح الخط معها ويسمع صوتها يأتيه بنبرة حازمة بعض الشيء " مرحباً سيد هيثم .."

وقبل ان يرد تفاجؤه بالقول الحذر

" اتمنى ان تكون بمفردك بعيدا عن انتباه شهرزاد .."

التمعت عينا هيثم بتنبه وهو يرد

" مرحباً سمارا .. لا تقلقي .. شهرزاد في الحديقة مع صقر تلاعبه .."

تحرك ليقف في الشباك مرة اخرى يراقب زوجته وهي تدفع ابنهما في الأرجوحة فيسمع سمارا تقول بنفس نبرتها الاولى

" هذا جيد .. سيد هيثم اعتذر عن ازعاجك لكن الامر مهم ويحتاج ان .. نتكلم انا وانت.. لذلك اود ان ألتقي بك على انفراد لو سمحت.. في المؤسسة ان لم يكن لديك مانع..."

يضيق هيثم عينيه وهو يحاول تخمين السبب فيقول بنبرة هادئة باردة بعض الشيء

" مؤكد .. يمكنك الحضور صباح الغد في الساعة العاشرة لمكتبي .. وسأترك خبراً عند الباب ليسمحوا لك بالدخول .."

تمتمت سمارا بالشكر ثم أغلقت الخط ..

ما زال هيثم عابساً يفكر ..

لماذا تريد سمارا اللقاء به على انفراد ؟

هل ستكلمه في أمر يخص شهرزاد ؟

ام ربما في أمر يخص شاهين ؟

التمعت عيناه بقسوة وهو يحدق بشهرزاد تحتضن الصقر لصدرها فيتمتم

" ربما سأجد في سمارا الوسيلة للضغط أكثر حتى أخرج شهرزاد من ذاك المكتب اللعين..؟"

بيت المزرعة ..

فتح قفل الباب ليدخل مباشرة وهو يبتسم فيراها جالسة قرب الشباك تتطلع عبره بكآبة واضحة ...

كانت قد غيرت ملابسها وارتدت بنطال جينز وقميصاً ومشطت شعرها لتربطه للخلف كذيل حصان قصير ...

يا خسارة أسواط النار الطويلة البراقة التي كان يلفها على يده واصابعه ...؟

ناداها وهو يقترب " هاجر ..."

فلا ترد عليه ...

عبس وهو يتقدم نحوها ودون ان يضيف كلمة كان يسحبها من ذراعها ويجرها خلفه ليغادر بها الغرفة ..

كانت مستسلمة له وهو يجرها بينما تسأل بسخرية " ألن تربط معزتك هذا اليوم؟"

لم يرد عليها بينما يخرج بها من باب البيت ويأخذها قرب سيارته حيث القفص الذي اخرجه من الصندوق ووضعه أرضا ...

وقبل ان يفعل او يقول شيئا سألته وهو تنظر اليه نظرة لامعة بالقهر والغضب

" ان كنت تعرف منذ البداية اني لن استطيع الهرب من المزرعة فلماذا احتجزتني لايام داخل الغرفة ؟! هل كنت تشعر بالفرح المريض لاذلالي وانت تراني خلف قضبان الشباك ؟"

تنهد وهو يرد عليها بنبرة موبخة مغيظة

" دوماً غبية في تفسيراتك ! انت في اقصى الشمال وانا في اقصى الجنوب ...ببساطة يا صاحبة الفكر النير والعقل الألمعي لاني كنت اريدك اولا ان تهدئي قليلا من غضبك نحوي وان تتعاملي معي بتعقل .. فلم أكن سأجازف بارتكابك حماقة تؤذيك وانت في نوبة غضب وتهور .."

تحدق به وهي لا تصدق قدرته على تحويل كل الامور لصالحه لتظهر هي بمظهر المخطئة الغبية !

أطرق بنظراته وهو يضيف بصوت خافت

" فمن يدري لو أطلقتك من اول يوم لكانت محاولتك الهرب ستنتهي بك ممزقة فوق الاسلاك الشائكة .."

ارتعش جسدها وهي تتخيل انها حقاً كانت ستفعلها ! لو أطلقها وهي بغضبها الاعمى لكانت تسلقت الجدار بأي وسيلة وحاولت عبور الاسلاك الشائكة ..

كزت اسنانها بغيظ مضاعف ..

يبتسم في وجهها ثم يفلت ذراعها لينحني ويرفع القفص وهو يقول بنفس الابتسامة

" احضرت لك بعض الصحبة لتشاركني بك.."

في البداية كانت تنقل نظراتها بينه وبين القفص وكأنه فقد عقله ! ثم عبست وهي تسمع صوت الصيصان تعلو بانفعال ...

للحظات تحدق فيهم بصمت ثم فجأة مدت يديها لتأخذ القفص من فرقد وتذهب بها باتجاه الاحراش ...

يلاحق خطواتها وابتسامته تتسع بانتصار ...

رآها تجلس على الارض بأريحية وتضع القفص جوارها وتبدأ بالكلام معهم

" ماذا فعلتم ايها المساكين لتسجنوا مثلي هكذا ؟!"

لم يبال بما تشكوه .. كان فقط سعيداً لانها تكلمهم هكذا ...

تركها بمفردها معهم ثم عاد لسيارته كي ينزل بعض الاغراض التي احضرها لتساعده في عمله في المزرعة ...

مر الوقت وهو يتحرك هنا وهناك وبين الفينة والاخرى يلقي نظرة نحوها فيجدها مرة تحاكيهم بجدية ومرة تُخرج احدهم بحذر وتوجس ثم تبدأ بملاعبته وهي تمرر خدها فوق نعومة زغبهم الاصفر !

ومرة ثالثة كانت هلعة عندما خرج الثلاثة دفعة واحدة من القفص وأفلتوا منها لتركض خلفهم تحاول امساكهم بيأس ثم يتحول هلعها لضحكات رنانة أطربته ...

تركها للهوها وهو يعمل بجد.. لقد بدأ يفكر باقامة مزرعة دجاج هنا ... ربما سيكون افضل من اصلاح الارض لمحاولة زراعتها ...

كان يمسح العرق عن جبينه عندما رآها تعيدهم للقفص وهي تزجرهم بجدية

" كفى .. انتم متعبين حقاً .. لن أخرجكم مرة اخرى ما دمتم بهذه الشقاوة .."

يبتسم وهو يهز رأسه مفكراً بسخرية

" لا فائدة .. فتاة مدينة بامتياز ..."

تحرك نحوها وهو ينفض يديه فيراها تحمل القفص .. يشاكسها بالقول " الى اين ستأخذينهم ؟! لا تقولي ستحممينهم بغسول شعرك !"

تنظر اليه نظرة حادة وهي ترد ببرود

" لست غبية فرقد ... أنا فقط سأضعهم قرب شباكي حتى يكونون قريبين من زنزانتي.."

ازعجه كلمة (زنزانة) منها .. فيبادلها الرد البارد " كما تشائين ... لكن يجب ان نؤمن القفص جيداً فهناك بعض الثعالب التي قد تتسلل بطريقة ما وتلتهمهم .."

شهقت برعب وهي تشدد من احتضان القفص لتقول بجزع " ثعالب ! يا الهي .. انا سآخذهم معي لغرفتي ... لن اتركهم في الخارج .."

يهز كتفيه بلا اكتراث بينما الانزعاج داخله يزداد دون ان يستطيع السيطرة عليه ...

لا يعلم لماذا كان يريدها ان .. تقول شيئاً مختلفاً .. شيئاً ...يخصه هو ..

لقد احضرهم لاجلها .. كي يسعدها ويخفف عنها هذا الحبس الذي فرضه عليها ..

في ذات الوقت .. أرادها ان تفكر فيه ايضا ...

بمزاج غاضب رفع صوته الخشن قائلا بلؤم

" الليلة سأبيت في بيت عائلتي .. من الجيد ان الصيصان معك تؤنسك ليلاً .."

توقفت خطواتها ولغيظه لم يكن يرى وجهها ليعلم ردة فعلها .... كان صدره العاري يعلو ويهبط وهو ينتظر اي شيء منها ... اي كلمة حتى ...



جاءه صوتها وقد بدت متوترة للغاية

" انا .. لا استطيع البقاء بمفردي هنا .."

تقدم اليها وهو يكز على اسنانه فيقف

بمواجهتها لينظر لوجهها فيرى التوتر

منعكساً على ملامحها ايضا ...

تقبضت يداه الى جانبيه وهو ينظر لبشرتها

الشاحبة التي لا تتأثر بالشمس ...

تظل دوماً كما هي.. بيضاء شاحبة ...

قال اخيراً وانفاسه تهدر ككلماته

" قولي (اريدك ان تبقى معي يا فرقد)

وعندها سأبقى ..."

تشد شفتيها وكأنها تقاوم انفلات الكلمات

منها وتتحداه بنظراتها لتقول بحشرجة

" الا يكفي اذلال بقائي هنا مرغمة ؟!

تريدني ان اتوسل اليك البقاء معي بدل

تركي في هذه المنطقة المقطوعة عن

العالم بمفردي؟"

كان غضبه يتصاعد مع كل كلمة منها

بدلا من ان يهدأ ...

لماذا تصر على نكران ما يحدث بينهما ؟!

لماذا تظل متشبثة بفكرة انه يرغمها فقط..

انه يعاني الامرين معها وهي .. هي ...

دون سيطرة ضرب بعنف على القفص ليوقعها أرضا فشهقت هاجر وهي تحاول الانحناء نحو الصيصان للاطمئنان عليهم لكنه يمسكها من ذراعيها ويهزها بعنف وهو يصرخ فيها

" اقسم باللّه انت لستِ من البشر لتكوني عديمة الاحساس لهذه الدرجة ! الا يمكنك لبعض الوقت .. لدقيقة واحدة من وقتك الثمين ان تفكري بشخص آخر غيرك وغير معاناتك ؟! هل يمكنك ان تنظري من حولك لتري الناس الذين يعانون معك وبسببك ؟!"

كانت عيناها تتسعان من هجومه الضاري فيعاود هزها بعنف أكبر وهو يصرخ بغضب مخيف

" الى متى تعيشين في دوائر لا تضم الا (هاجر) فقط ؟! متى ستكسرين طوق انانيتك ؟! متى ستحطمين مرآة لا ترين فيها الا نفسك واحتياجاتك ؟!"

كانت مصعوقة ! شعور كريه يجتاحها ويخنق انفاسها .. شعورها انها صغيرة .. صغيرة جدا .. فتطرق برأسها وهي تشعر بالخزي حتى من وجودها الضئيل في هذه الكون الشاسع ...

فجأة ضمها لصدره يعتصرها بخشونة وهو يتمتم بغضب من نوع آخر " لا تتوهي مني هاجر .. لا تنظري بجزع وصدمة هكذا ... أنا.. غاضب فقط ... اللعنة ... غاضب الى حد الجنون ..."

لم تكن تعي ما يحدث لها ...

فجأة تأهبت حواس الانثى فيها ...

تتضارب بشكل رهيب مع احساس الوجع من جهة واحساس التيه من جهة اخرى ...

كل شيء داخلها يضطرب ويتناقض كلما اجبرها فرقد على الاقتراب منه ..

ها هي مسمرة تواجه احدى نوبات جنونه المرهقة وكل ما تفكر به ... رائحته !

تشم فيه رائحة الشمس والعمل البدني المضني اختلطت برائحة جلده وعطره الخاص لتفوح منه رائحة بمزيج رجولي يميزه ....

للمرة الثانية تتساءل لماذا لا تنفر من لمسته؟!

لماذا لا ترفضها بل العكس تأنسها وتشعر بالعجز عن منع نفسها من هذا الانجذاب و.. الاحتياج !

ابعدها بحركة واحدة وهو يهدر بضراوة

" انا أعاني قربك المحرم هذا .. اريدك ان تعودي زوجتي .. اريد .. ان تعودي لي ونبدأ من جديد .. ان نحاول البدأ بشكل .. صحيح .. يجب ان تفكري جدياً بالامر .. لقد احضرتك هنا لهذا السبب.. لتفكري جدياً...وربما .. احضرتك لاجل نفسي ايضا .. لاجل ان اسيطر على جنوني ... ما دمتِ معي هنا أشعر اني .. اسيطر .... بعض الشيء ... واني قادر على .. فعل المستحيل .. "

ثم تركها ومضى وهي مسمرة مكانها تدور في
رأسها كلماته مرارا وتكرارا وفي كل مرة
تشعر انها تضيع اكثر ولم تعد تعرف من هي
وماذا يجب ان تفعل !



الجمرة الثالثة عشرة

بيت المزرعة .. عند غروب الشمس...

بصمت تام كان فرقد يفترش اوراق الجرائد أرضا ثم يضع فوقها القفص ..

بعدها احضر قنينة بلاستيكية كبيرة فارغة وقطع بسكينه الفضية قاعدتها حتى عمق مناسب ثم ذهب الحمام وملأها بالماء ليعود للقفص ويدخلها للصيصان فيشربوا منها... ولم ينس ان يضع لهم بعض العلف الخاص بهم كان قد اشتراه من السوق ايضاً...

تراقب هاجر ما يفعل وهي تجلس على سريرها تضم ساقيها لجذعها ...

من كل ما يفعله تجذبها يداه تحديداً ...

كيف يحركهما بثقة ودراية وخبرة ...

لقد اكتشفت خلال الايام الماضية ان فرقد يعرف اموراً لم تكن تخطر ببالها يوماً ويتصرف فيها بسلاسة عجيبة دون اي تردد او ارتباك ...

ترا .. هل كان يفكر فيها حقاً عندما اشترى الصيصان ؟!

هل شعر أنها تحتاج لألفة مخلوقات كهذه تجد فيها عاطفة نقية تؤنس روحها ؟

وان كان فعل حقاً فكيف يستطيع الشعور بها ومعرفة ما تحتاجه بهذه العفوية ؟!

" الى متى تعيشين في دوائر لا تضم الا (هاجر) فقط ؟! متى ستكسرين طوق انانيتك ؟! متى ستحطمين مرآة لا ترين فيها الا نفسك واحتياجاتك ؟!"

اغمضت عينيها وهي تستعيد تلك الكلمات القاسية التي صرخها في وجهها ...

لقد جعلها ... تكره نفسها في لحظة ...

ثم بعدها ورغم اتهاماته لها يصر انه يريدها زوجة من جديد !

هل هو هوس الامتلاك المجنون لديه ام انه .. يحبها حقاً لهذه الدرجة ؟!

ان يدرك اسوأ عيوبها لكنه ما زال يريدها !

انفاسها قصرت وتسارعت وتشعر بقلبها وكأنه يتضخم في صدرها ...

هل ... يحبها ؟!

وان كان يفعل .. فماذا يعني لها هذا ؟!

ما الذي سيغير من بشاعة ما حصل بينهما في الماضي القريب ؟

" أنا مغادر .. هل تحتاجين لشيء ؟"

فتحت عينيها لتراه يقف امامها مخيماً فوقها فتسأله بحشرجة وهي ترفع عينيها لعينيه

" هل .. ستبيت بعيداً ؟"



رأت تصلب ملامحه وهو يحدق فيها وكأنه يصارع في داخله ..

لقد قضى النهار صامتاً غاضباً هكذا ...

حضّر الطعام بنفسه وقدمه لها لتأكله في الهواء الطلق بمفردها بينما انزوى هو لوحده بعيدا عنها يأكل بنفس الصمت المطبق...

طوال الوقت ظلت منكمشة على افكارها المتخبطة حوله ... لقد تذكرت اموراً عجيبة لم تخطر ببالها سابقاً حصلت في فترة زواجهما القصير .. كتذكرها كيف كان يحضر لها الفواكه ويطعمها بيده وهو يوبخها على الدوام انها لا تأكل جيداً !

انه يحب ان .. يطعمها بيده ويلامس شفتيها بظاهر إصبعه ...! دوماً ظننتها مجرد حركة (حسية) منه .. حتى انها احياناً كانت .. تنفر منها تلقائياً ..! نفوراً من نفسها في الواقع ...

وهو .. هو.. كان يلتقط نفورها هذا فتغضب نظراته لكنه لا يتوقف عن إطعامها..كما لا يتوقف عن تكرار الحركة في كل مرة !

رباااه ... لا تصدق كيف عاشت معه شهرين كاملين بوضع غريب غير طبيعي كذاك الوضع الذي كانا فيه ..

اخذت هاجر تمعن النظر في عينيه البنيتين فتراهما بنظرات غاضبة تشبه نظراته تلك .. نفس الغضب .. نفس الخيبة !

فتحت فمها لتتكلم لكن الكلمات لم تطاوعها ... تبخرت كل المعاني ودارت في دوامات فتتوه منها وكأنها نسيت ما أرادت قوله او السؤال عنه ...

للحظات كان يحدق فيها بغرابة ثم تحرك مستديراً دون ان يرد على سؤالها الاخير ..

يخطو بثبات مبتعداً وكأنه يهجرها مرة جديدة !

يا الهي ... نفس الاحساس البشع والقهر الذي يعتصر روحها حتى كأنها تلفظ انفاسها ...

لم تشعر هاجر الا وهي تقفز عن السرير وتلحق به حتى الباب وهي تناديه بجزع

" فرقد... توقف لحظة ..."

تسمر مكانه يوليها ظهره فتقف قريبا منه ثم تهمس وشفتاها ترتجفان باضطراب رهيب

" شكراً لانك احضرت .. الصيصان لاجلي .. "

يا الهي ! ما هذا الذي قالته للتو؟!

هل تحاول استرضاءه ؟!!

تشكره على الصيصان التي احضرها لتؤنسها في حبسها الاجباري هذا ؟!

لكن .. هل حقاً هي مجبرة ؟!

يا الهي ما هذا التخبط ؟! ماذا يحصل لها ؟! هل عزلتها بالمكان معه جعلتها تخضع له ..؟!

انها مشوشة .. مشوشة للغاية ...

لم تعد تعرف ماذا تشعر نحوه ..

التفت برأسه فقط ليقول بجفاء

" لا داعي ... الامر لا يستحق الشكر.. "

اطرقت برأسها والكلمات تستعصي عليها مرة اخرى ....

ينظر فرقد الى رأسها المطرق وهو يشد باصابعه على حافة الباب يود لو يستطيع تحطيمه!

كان يعلم انه حقير وسافل ليفرض عليها اموراً كثيرة بل ويطالبها ان تتقبلها بامتنان !

كيف يستطيع التفسير لها انه لا يعني تماماً فرض الامور ...

انه يتصرف باحساسه نحوها فقط ...

مندفع كالثور الاهوج ...

ذلك التملك نحوها ينسيه أغلب الوقت انها لم تعد حقاً زوجته ... فيطغى عليه الشعور انها حبيبته وامرأته وزوجته التي غضبت منه وهو يحاول استرضاءها ...!

هي ايضاً تشعر بالالفة معه مهما قالت انها لم تعد حلاله لكن الالفة موجودة ..

لقد كان وما زال رجلها الوحيد ...

ردود افعالها معه أثبتت له عن يقين ان ذاك الذي قدم لها ثوب عرس لم يمس عمقها كامرأة ...

دون ارادته ضرب بقبضته على الباب بعنف رهيب ثم يستدير اليها بجسده بحركة حادة بينما هي مذهولة من تبدل مزاجه فجأة فتتراجع وهي تتمتم " ماذا حصل ؟!"

امسكها من ذراعيها يقربها عنوة اليه حتى تلامس رأسيهما ليسألها بنبرة خطيرة

" اسمه منذر اليس كذلك ؟"

انحشرت انفاسها ارتعاباً وعقلها يرسل لها اشارات متلاحقة بالحذر ...

فرقد في اسوأ مزاجاته الآن وهي ليست اهل لتقارعه هذه اللحظة ...

انفاسه تشعل الدفء على خديها بينما تقول بتعثر " ارجوك ..فرقد ... انا وانت متعبين وليـ....."

صرخ بها مقاطعاً " هل سمحت له بالتجاوز معك ؟ انطقي .... ولا تكذبي لاني سأعرف.."

كانت ترتجف بين يديه خوفاً ورعباً لترد باختصار صريح " لا ... "

الجمر تشتعل فيه النيران وهو يزمجر

" ماذا كان بينك وبينه ؟! هل أحببته ؟ هكذا ببساطة خلال بضعة شهور ! "

داهمتها صورة منذر مبتسماً بجاذبية وعيناه الرماديتان تلمعان .. رقته معها .. احتواءه ..

مناغشته لجوانب من شخصيتها ظنت انها ماتت من سنوات ...

تتمتم وهي تختض بانفعال شديد

" انت لا تفهم ..لا تفهم .. "

كان غضبه ساطعاً كبرق ورعد مجنونين في سباق لاهث يكتسح ليلة شتاء قاسية فيصرخ حتى أرتجت الجدران من حولها

" لا اريد ان أفهم .. لاني لو حاولت .. اقسم باللّه ربما سأقتلك دون ان اشعر ... سأذبحك من الوريد الى الوريد .."

ظل يهزها ويهزها حتى عتقها من جنونه وهو ينفضها بعيدا عنه ويستدير ليغادر بخطوات تشعل الارض من تحته ...

اغلق الباب خلفه بعنف بينما تتراجع هاجر للخلف مرتعبة أكثر تشوشا واضطراباً حتى انهارت على ركبتيها قرب القفص وقد بدأت الصيصان بالرقود ثم علا هدير السيارة المغادرة لتبقى هي وحيدة ...

وحيدة تماماً... و..خائفة كما لم تكن يوماً..

يضرب على مقود السيارة وهو يشتم ويشتم ويشتم ...

كان يجب ان يغادر ويترك المزرعة قبل ان يفقد سيطرته ويحصل ربما ما لا تحمد عقباه..

انه يتعذب ... يكاد يضيع بين رغبة محمومة ليطلب عشقها وبين رغبة جنونية لايلامها ..

والغيرة .. يا حريق الروح والفؤاد والحشا من هذه الغيرة ..

لن يطفئها الا اذا عادت له وبرضاها ...

لا ... ليس رضاها وحسب ...

بل يريدها راغبة .. غارقة ... ولهاااانة ....

يعاود الضرب على المقود ولا يعرف كيف سيفعلها ويحقق ما يريد ...

يشعر ان الوقت ينفد منه ولن يستطيع اخفاءها طويلاً .....

هاجر ما زالت (تحبو) حبواً نحوه بينما هو يركض لاهثاً نحوها كالمعتوه...!

اللعنة ... لماذا عشقها هي دون سائر النساء ؟!

العاصمة... مساء...

المقهى العائلي المطل على النهر ...

تجلجل ضحكات منذر بينما تسيل الدموع من عيني موريس من شدة الضحك ويكتفي عدي بأن يحرك حاجبيه صعوداً ونزولاً وهو يسحب الانفاس من أرجيلته بعد ان ألقى مزحته الجديدة التي اثارت الضحك الصاخب لصديقيه القديمين ...

أخذ عدي ينظر لمنذر ببعض الحسد ...

ما زال كما هو .. يتمتع بتلك الوسامة والجاذبية التي جعلته محط انظار بنات الجامعة .. شاب مثالي ليكون فارس الاحلام..

الآن وهو يحظى بوظيفة ممتازة في مؤسسة مشهورة في العاصمة تجعل عدي يستغرب انه لم يتزوج حتى اللحظة ..

يكاد يجزم اذا تطلع حوله في المقهى سيجد اكثر من فتاة تتطلع لمنذر وتتمناه عريساً لها،

أطرق عدي بنظراته يخفي ما يتفاعل داخله من الآم حادة ... تقطّعه كالسكين ..

لقد حظي هو بالعديد من الفتيات لكن فتاة واحدة هي من تمناها حقاً واستعصت عليه ثم هربت منه .. او ربما هربت مما فعله بها !

قست ملامحه وشعور انتابه لم يرقَ حقاً لمستوى الندم وان كان لامسه بطريقة ما..

" اين سرحت يا عدي ؟!"

ابتسم عدي وهو يرد على صديقه موريس قائلا

" كنت افكر بايام الجامعة والشقاوة .."

اخذ منذر خرطوم ارجيلته ليدخنها بينما يقول لعدي بضحكة خافتة

" انت فقط من كانت لديك شقاوة وجرأة .. انا وموريس كنا نكتفي بالتفرج .."

يرد عدي بعينين لامعتين بالمعاني

" انت كنت تترفع عن الانحدار يا صديقي بينما انا كنت أرحب به وآخذه بالاحضان "

ينفجر موريس ومنذر ضاحكين مرة أخرى لكن فجأة تغيرت ملامح عدي وهو ينظر باتجاه محدد ... مما جعلهما يتوقفان عن الضحك وينظران اليه بدهشة ...

يسأل موريس " ماذا هناك يا عدي ؟!"

في نفس الوقت يلتفت منذر بفضول الى الناحية التي ينظر اليها عدي فلا يرى الا طاولة صغيرة بعيدة نسبيا عن مكان الطاولات حيث يسمح بتدخين الارجيلة ..

كان يرى جانب فتاة محجبة وهي تساعد رجل مسن على عكاز ليجلس على احد الكرسيين حول طاولة صغيرة ..

ضيّق منذر عينيه باستغراب بينما يعود لعدي فيرى ملامحه متشنجة تماما وكأنه غاضب !

اما موريس فبدا حائراً وعدي لا يرد على تساؤلاته .. فقط يحدق في اتجاه الفتاة والعجوز ..

سأل منذر بهدوء " هل تعرف الفتاة ؟"

جذب انتباه عدي أخيرا وهو يلتفت اليه بحدة ليجيب بفظاظة " وهل تعرفها انت ؟!"

عبس منذر وهو يمعن النظر بدهشة في ملامح صديقه الذي تبدل مزاجه بشكل عجيب..

كان موريس في هذه الاثناء قد التفت ايضا لينظر وحالما رآى الفتاة والعجوز تجهم وجهه قليلا ليسأل ببعض التوتر

" أليست هي نفسها ديـ..."

قاطعه عدي هادراً " أهتم بشؤونك يا موريس"

اتسعت عينا منذر ذهولا من فظاظة عدي التي تجاوزت كل الحدود فيوبخه بالقول

" ماذا جرى لك يا عدي ؟! لماذا هذا الاسلوب الفظ العجيب ؟ "

فجأة رمى عدي خرطوم أرجيلته ووقف على قدميه ليتحرك تاركاً صديقيه يحدقان فيه بذهول ثم فجأة يقف موريس على قدميه وهو يشتم ثم يقول " سيثير فضيحة هذا الارعن!"

فيتحرك موريس محاولا اللحاق بعدي ليتبعهما منذر وهو لا يفهم شيئا على الاطلاق..

وقف عدي عند الطاولة الصغيرة يرسم ابتسامة صغيرة جافة مستهينة تخفي الكثير مما يعتمل في داخله من حقد ليلقي السلام

" مساء الخير عمي .. مساء الخير ..دينا.."

يرفع الرجل العجوز رأسه فيحدق في الشاب الواقف جواره ثم يتجهم وجهه وهو ينقل نظراته لوجه ابنته التي بدت في حالة صدمة أخرستها ...

قال العجوز واصابعه تتقلص فوق عصاه التي يتعكز عليها " ماذا تريد عدي ؟"

فيرد عدي بنفس الابتسامة الكريهة وعيناه تميلان لوجه دينا " جئت لأسلم فقط عماه.."

فيرد العجوز بقسوة وعيناه لا تفارقان وجه ابنته التي شحبت تماماً رغم تمالكها نفسها

" انا لست عمك ولن أكون يوماً .. ولو كنت بصحتي وقوتي لكنت أريتك مقامك ... عد من حيث أتيت واتركني مع ابنتي .."



لا يبال عدي وهو يلتفت للفتاة ويحدق في وجهها مباشرة قائلا بسماجة متعمدة مستفزة

" مرحباً دينا .. لقد مر عام كامل لم أرك فيه ..."

في تلك اللحظة وصل موريس ليقف جواره بارتباك ثم منذر الذي بدأ يشعر بالغضب فعلا مما يحدث وهو لا يفهم ...

لكن منذر التقط آخر كلمات للرجل العجوز ثم جذبه ردة فعل الفتاة ...

كيف رفعت وجهاً بيضاوياً بملامح صارمة وفم مشدود وعينان داكنتان واسعتان تفيضان بالـ...حقد والكراهية!

حاول موريس سحب عدي من ذراعه وهو يقول باحراج شديد " هيا عدي .. لنعد لطاولتنا.."

لكن عدي لا يلتفت حتى لصديقه ويواصل سماجته مع الفتاة وهو ينظر ليديها الاثنتين المتوترتين فوق الطاولة فيقول بصفاقة وتحدٍ مبطن " أرى ان لا شيء تغير ! "

دفعت الفتاة الكرسي للخلف لتقف على قدميها وتقول بهدوء شامخ لابيها

" هيا يا ابي .. لنغادر ..."

فيتجهم وجه الاب اكثر وهو يكز على اسنانه ويقول بانفعال " اجلسي مكانك .. لن نغادر .. ومن لا يعجبه وجودنا يضرب رأسه بالحائط .. او ليرمي بنفسه للنهر .. "



الغضب تفاقم داخل منذر وهو ينظر لما تعانيه الفتاة وابيها بينما عدي بلا احساس يقف مبتسماً بتحدٍ كريه ..

تقدم منذر ليقف بين عدي والفتاة فيقول بهدوء للاب وابنته

" نعتذر منكما ... ليلة سعيدة "

ثم التفت لعدي ليسحبه من ذراعه بخشونة وهو يقول له " هيا عدي كفاك ما فعلت .."

يحاول عدي دفع منذر لكن موريس يتشبث بذراعه الآخر ويتعاون مع منذر على سحبه رغماً عنه وهو يوبخه بعنف

" كفى عدي .. كفى .. دع الفتاة وشأنها .."

حاولا ابعاده لكنه أخذ يقاوم بشراسة حتى جذبا انظار الناس ثم ظهر مدير المقهى ليسأل ان كانت هناك مشكلة فيكتفي عدي بإبعاد الجميع عنه بحركة عنيفة ثم يخطو مغادراً تاركاً الكل خلفه ...

عاود منذر الجلوس مع موريس على طاولتهما بعد ان اعتذرا من مدير المقهى لما حدث ثم عادت الضوضاء الطبيعية للناس من حولهم ..

عينا منذر طرفتا ناحية الفتاة وابيها ليراهما يتبادلان الحديث بنوع من التوتر ..

بدت الفتاة وكأنها تحاول اقناعه او تهدئته بينما بدا والدها عنيداً متشبثاً والغضب يطفح من محياه الواهن ...

الرجل كبير بالسن ويبدو واضحاً انه عليل الصحة كيف يتجرأ عدي على فعل ما فعل معه ومع ابنته واحراجهما ؟!

ترى من تكون الفتاة ؟!

وماذا بينها وبين عدي؟

" انها دينا ... بيتهم كان جوار بيت عائلة عدي .. الحائط للحائط .."

تفاجأ منذر من جملة موريس وكأنه يرد على اسئلة تدور في خلده ..

ينظر لصديقه الذي يميل للشقرة فيسأله بعجب " وكيف تعرفها ؟ وما علاقتها بعدي ؟ هل كانت خطيبته او شيء من هذا القبيل؟"

يتنهد موريس وهو يعود بظهره للخلف ليقول ببعض التوتر " لم أكن أظن ان الارعن ما زال على نفس الرأس العنيد ! "

شعر منذر بالغيظ وهو يعاود السؤال

" هلا شرحت لي ما الحكاية لاني اشعر بالغباء التام بينما تبدو كمن يفهم كل شيء "

رد موريس بضيق " القصة سخيفة من الاساس.. وكان يمكن ان تنتهي ببساطة لولا رعونة عدي وعنجهيته... صحيح هو صديقنا الذي كنا نمرح معه لكنه في الواقع يتصرف بسفالة وخسة عندما يشاء .. ومع هذه الفتاة لم يدخر سفالته بل فاضت الى درجة لم أتصور يوماً اني سأجدها فيه .."

عقد منذر حاجبيه بتركيز واهتمام بانتظار المزيد ليضيف موريس " الفتاة وحيدة والدها.. امها متوفية منذ زمن لا اعلم متى بالضبط .. في مطلق الاحوال عدي كان يحبها ويفرض عليها مشاعره وهي ترفضه باستمرار .. اهله خطبوها أكثر من مرة ووالدها رفض لسوء اخلاقه ... انت تعرف سمعته مع الفتيات .."

صمت موريس للحظة قبل ان يفصح عن المزيد

" حتى حصل وان وافقت على شاب متقدم لخطبتها .. كان هذا بعد تخرجنا بعام كما أظن .. جن جنون عدي واثار فضيحة للفتاة وسط الحي بأسره .."

اتسعت عينا منذر بصدمة وهو يسأل

" كيف ؟! ماذا فعل ؟"

فيرد موريس باحباط " رآها تنشر الغسيل كما أذكر في سطح البيت وبكل جرأة ووقاحة قفز من سطح لسطح واخذ يصرخ فيها كيف ارتضت برجل آخر ..."

تمتم منذر بذهول

" يا الهي ! عدي فعل هذا ؟!"

تصلبت ملامح موريس وهو يقول بنبرة غير مريحة " بل فعل اسوأ من هذا بكثير .."

عينا منذر لا شعورياً حادتا نحو الفتاة فيراها تجلس ساهمة تماماً وقد بدت انها يئست من والدها الذي كان شارداً هو الآخر في وجوم ...

فستانها الطويل يرفرف حول كاحليها ووشاح رأسها تطير اطرافه حول وجهها واصابعها تتشبث عفوياً بتلك الاطراف ..

بدت هادئة قوية كأمواج النهر في سكون الليل ... كما بدت غامضة بعيدة المنال بشكل مذهل ...

ولثاني مرة يبدو موريس كمن يتخاطر مع افكاره عندما قال " لقد أدرك عدي انها بعيدة المنال .. حتى بعد الفضيحة التي اثارها في الحي .. وحضور الشرطة ثم محضر الصلح الا ان الامر ازداد سوءا .. عدي فقد السيطرة وتصرف بمنتهى السفالة .. اخذ ينشر عنها اقاويل كذب ويدعي انها كانت... (صاحبته).."

نظر منذر لوجه موريس ويكاد لا يصدق ما يقوله ليهز موريس رأسه مؤكدا

" نعم فعل هذا .. بل واكثر .. ذهب لمن تقدم لخطبتها واخبره المثل .. وكذب عليه قائلا ان دينا على خصام معه لذلك ارادت الانتقام منه بالموافقة على اول عريس يتقدم اليها .."

تمتم منذر مصعوقاً " رباااه .. لقد دمر سمعة الفتاة تماماً .."

ليفجعه موريس بالمزيد

" كان قد فقد رشده تماماً واصبح على مدى الاعوام التي تلتها يفعل المثل مع كل خطيب يتقدم لها ... في البداية لم يفقه أحد لما كان يفعله بالخفاء حتى انكشف الامر

عندما وصلهم سبب تراجع احدهم عن الخطبة بسبب سوء سمعتها مع ابن الجيران ..."

أخذ الدم يغلي في عروق منذر ... لقد شعر بالتقزز حتى .. لو كان عدي ما زال معهم لكان اشبعه ضرباً دون ان يشعر ...

هل هذا هو صديقه الحميم ؟!

ألم يكن يعرفه كفاية ليقيم مدى استعداده ليتصرف بخسة ودناءة ؟!

هل يعقل ان يشوه سمعة فتاة بريئة فقط حتى لايحظى بها غيره ؟! اي نذالة هذه ؟!

سأل منذر بانفعال " لكن انت كيف تعرف كل هذا ؟! ولماذا لم تمنعه يا موريس ؟"

فيرد موريس

" انا نفسي يا منذر لم أكن أعرف بما فعله .. كنت أعرف فقط انه يريدها زوجة ولم توافق عليه .. حتى انه أراني اياها أكثر من مرة ويتكلم بثقة انها بحكم خطيبته.. لكن منذ تخرجنا افترقنا وانشغلنا بامورنا .. لم نكن نلتقي الا بفترات متقطعة وهو كان متباعداً كتوماً حتى تفاجأتُ به على باب بيتي بعد منتصف الليل قبل عام تقريباً وكنت قد تزوجت حديثاً .. كان بحالة مريعة .. مخموراً ويبكي حرفياً .. الفتاة وابوها تركا الحي بأكمله .. هو من اخبرني بكل شيء من بداية الحكاية ودموعه تهطل كالاطفال.. سُمْعتها اصبحت على كل لسان بسببه .. والد عدي غضب عليه وطرده من

البيت اما والدها المسكين فقد اصيب بجلطة... "

من شدة ذهوله انخرس لسان منذر لحظياً ولم يستطع التعبير بكلمة واحدة ...

ثم عبس وهو يتساءل باستغراب

" لماذا لا أعرف كل هذا عن عدي ؟! ألم نكن جميعاً اصدقاء ! "

فيسبل موريس اجفانه ليقول ببعض الحرج

" منذر الامر كنا نعرفه منذ ايام الجامعة .. نحن اصدقاء ونمرح سوية .. لكن هذا لا يمنع انه كان وأظنه لا زال يغار منك .. ولا يحب كشف نفسه وخصوصياته امامك انت بالذات.."

لم يتأثر منذر بما قاله موريس عن غيرة عدي منه .. انه فقط ينظر للفتاة وابيها وتساؤل مُلح يتفاعل في داخله ...

ترى كيف هي حياتهما الآن ؟

بيت المزرعة .. قرية الشيوخ

مضت الساعات وهي تشغل نفسها بتنظيف الحمام وترتيب الغرفة ...

شعرت ببعض التحسن والألهاء عن شعور الوحدة والخوف وهي بمكان منعزل...

كانت تقاوم بطريقتها .. تقاتل باسلوبها..

ان لم تفعل فستنهار وهي ابداً ليست ممن ينهارون بسهولة .. بل تظل حتى آخر نفس تحاول الثبات واقفة على قدميها وان انهارت بلحظة لا تنتظر ان تمد لها يد لتقف بل تعافر حتى تنهض سريعاً بمفردها ...

جلست على سريرها تحدق عالياً في السقف ..

حاولت القراءة فلم تستطع التركيز ...

كلما قلبت صفحة رأت فيها عيناه الغاضبتان الخائبتان ... فيتشتت تفكيرها مع تشتت مشاعرها ثم تقمع التشتت وهي تذكر نفسها بكل الاذلال الذي اختبرته مع فرقد ..

بعزم اطفأت النور وحاولت النوم لكن الظلام جعلها ترى كوابيس وهي مفتوحة العينين !

فاشعلت النور وهي ترتجف ثم عادت لسريرها لملمت وسادتها وغطائها وافترشتهما جوار قفص الصيصان ، تنظر اليهم وهم نائمين ومتراصين جنب بعض فتقفز الدمعة من عينيها بينما تبتسم بحسد هامسة " يال حظكم ببعض"

اخذت تهذر بالكلام معهم وهم نيام حتى تراخت اجفانها شيئا فشيئا لتغلقهما وتغفو..

كان نومها هادئاً خالياً تماما من الاحلام .. فقط رائحة الصيصان المنفرة بعض الشيء تجعلها تستكين ! لا تعرف كيف يمكن لرائحة كهذه ان تمنحها سكينة ؟!

لكن .. ببساطة ودون تفسير هذا ما حصل .. فتبتسم برضا وهي نائمة ...

جلس متربعاً جوارها يحدق فيها دون ان يشبع..

العنيدة التي لا تعترف بالاستسلام ابداً تلجأ حتى للصيصان لتستمد منها القوة لتقاوم اللجوء اليه ..

كانت تستطيع فقط قول (إبق فرقد) وكان كأي عاشق أبله سيبقى معها سعيداً راضياً بدلا من ان يقضي الساعات بين البساتين او في ظلمة صحراء غير مأهولة ...

حتى انه لم يستطع الذهاب لبيت أبيه، فلم يكن بحالة مستقرة ولم يكن بمقدوره اخفاء حالته عنهم ...

تنهد وهو يمد يدها ليهزها بحذر وهو يكلمها بهدوء " استيقظي هاجر ..."

اخذت ترمش بعينيها ثم تدعكهما وهي تقول بنبرة ناعسة " هل عدت ؟"

فيرد ساخراً " لا.... ما زلتُ هناك ..."

رفع نفسه ليقف على قدميه وهو يقول بغيظ

" هيا .. قومي وعودي لسريرك .. الصيصان لن تدلك لك ظهرك صباحاً عندما تستيقظين متألمة من النوم على الارض .."

مد يده اليها ليساعدها حتى تقف فتتجاهل تلك اليد بينما تحمل وسادتها بصمت ثم تستقيم واقفة بمفردها لتسير نحو سريرها بترنح النعاس وهو يتتبع خطواتها بنظراته يكتم زفرة حارة في صدره ..

تضع الوسادة وتضطجع هناك متكورة على نفسها مولية اياه ظهرها فيتنهد وهو ينحني لغطائها على الارض فيلتقطه ويأخذه اليها..

كان يغطيها عندما سمع همستها وهي شبه نائمة " الحمد لله ...انك... عدت ... "

اتسعت عيناه وقلبه خفق بجنون ...

تعثرت خطوته للخلف ثم تراجع وتراجع حتى وصل الباب فاطفأ النور على عجل واغلق الباب ليستند إليها مغمضاً عينيه وهو يتمتم من بين اسنانه " اللعنة على شعوذتك .. كيف بكلمة واحدة منك ترفعيني لعنان السماء وتمنحيني الأمل! لقد بدأت أصدق انك جنية وتسحريني لكن.. كي تعذبيني فقط ... "

عند بوابة الخروج للمقهى على النهر ..

يخرج منذر برفقة موريس ليودعه قبل ان يفترقا ويتواعدا بنفس الوقت للقاء اخر بعد يومين ...

تحرك منذر باتجاه سيارته المركونة على جانب الطريق ليدخلها وهو شارد الافكار ..

ادخل المفتاح في مكانه وأداره مرة واحدة لكنه لم يشغل المحرك ...

اسند رأسه للخلف وأرخى اجفانه بينما يفتح الشباك جواره فيضرب وجهه هواء الخريف البارد ...



يتطلع بعينيه لبعض الناس المغادرين وكل عائد لبيته ..

بعضهم يعود سيراً على القدمين وبعضهم يتوجهون لسياراتهم المركونة..

يشعر بنوع من الشرود المريح وهو يراقب المغادرين من أناس لا يعرفهم لكنه يشعر بألفة الانتماء اليهم ...

عيناه تلتقطان صحبة اصدقاء شباب هنا .. عائلة صغيرة من اب وام وطفل رضيع هناك ..

زوجان يتبادلان النظرات والابتسامات وقد تشابكت يداهما بمحبة ورضا .. هل يا ترى هما في شهر عسل او ربما مجرد خطبة ..؟

طفلان شقيان يجران جدهما من كفه ..

و ... شابة محجبة تضحك وهي تتأبط ذراع والدها العجوز الذي يتوكأ على عصاه ...

بدا الرجل متعباً بشكل واضح بينما يظهر توتر خفي في ضحكاتها ...

أمعن منذر النظر وعيناه تضيقان قليلاً وكأنه يستكشف ماهية هذه الفتاة ...

رآها تميل لوجه ابيها وتقبل وجنته وتتمتم بأمر ما فيهز العجوز رأسه بابتسامة ..

راقبهما لبعض الوقت عسى ان يراهما يركبان سيارة ما لكن يبدو انهما سيكملان الطريق مشياً على الاقدام ...

باندفاع شعر برغبة لتقديم المساعدة لهما فلم يفكر كثيرا وهو يفتح باب السيارة



ليترجل منها لاحقاً بهما ليعرض عليهما ان يوصلهما الى اي مكان يريدانه ...

كان على بعد بضع خطوات عندما أفلتت من يد العجوز عصاه وهوت أرضاً فتذمر ساخطاً بينما تخفف عنه ابنته وهي تنحني لتلتقطها من الارض ، اشتدت الريح وهي منحنية ليطير حجابها من الخلف وتنقلب حافته السفلى فوق رأسها ويغطي جزءا من اعلى وجهها !

ترتبك الفتاة وجزء من ضفيرتها الداكنة تنكشف من الخلف وهي تحاول اعادة الحجاب لوضعه الصحيح بينما يضحك والدها منها لتوبخه هي بغيظ محبب " توقف عن الضحك يا حجوج... وساعدني بدل هذه المشاكسة .."

ابتسامة عفوية داعبت ثغر منذر وهو يهمس لنفسه " تنادي والدها ... حجوج ! "

كان قد وصل اليهما فتنحنح وهو يعلن عن وجوده فيلتفت اليه الاثنان معاً وقد اعادت ترتيب حجابها كما كان ...

تطلعا اليه بتوجس بينما يقول منذر

" عفواً .. هل اساعدكما بشيء ؟"

عقد العجوز حاجبيه الابيضين الكثيفين بينما ابدت الفتاة ملامح اعتداد صامت ليضيف منذر ببعض الحرج " آسف للتطفل .. لكني شعرت ان .... الحاج .. مرهق ..."

عيناه اصطدمتا بعينيها فشعر مباشرة وكأنها تدفعه بعيداً بنظراتها ..

تكلم الاب بنبرة باردة " نحن بخير .. فقط اخبر صاحبك ان لا يتعرض لنا مرة أخرى.."

ثم استدار لابنته وهو يحثها ليسيران قائلا

" هيا يا دينا .. موعد دوائي اقترب .."

ثم تركا منذر واقفاً مكانه يحترم خصوصيتهما دون ان يستطيع ردع نفسه عن الشعور برغبة كبيرة ليطمئن عليهما أكثر ..

ظل يشيعهما بنظراته حتى ابتلعهما الظلام وبعد المسافة ليعود منذر الى سيارته ولأول مرة منذ أيام يشعر انه يتوازن بمشاعره وافكاره ...

هناك ابتلاءات ومصائب في الدنيا أكبر بكثير مما عاناه هو مع هاجر ..

اليوم التالي ...

استيقظت وهي تتمطى في السرير ثم التفت جانباً متبسمة وصوت الصيصان يمنحها فرحة طفولية ..

هبت من السرير وركضت نحوهم لتثرثر معهم وتبدل لهم الماء وتجدد لهم العلف وهي تشعر بـ...بهجة ...!

ذهبت لتأخذ حماماً بينما تفكر بدهشة من نفسها ...لماذا هذه البهجة العجيبة ؟!

هل لانها لاول مرة تحظى بهدية كهذه ؟

فجأة راودتها فكرة أغرب .. انها ربما لو حظيت بحيوان أليف في طفولتها لكان خفف عنها وحدتها كثيراً..

لكن .. هل هذا السبب الوحيد لشعورها بالبهجة ..؟

ام ستكون صادقة وتعترف لانه .. عاد بالامس ولم يتركها وحيدة ؟

عبست وهي تنهي حمامها وتجفف شعرها وجسدها ...

هل بدأت حقاً تعتاد كونها مخطوفة ومسجونة بعيدا عن العالم بأسره ؟

هل استطاع فرقد تدجينها واللعب بعقلها لترضخ ؟ بل استطاع حتى اشعارها بالذنب !

أخذت تتمتم " إياك يا هاجر .. إياك .. ستحين اللحظة المناسبة عندما يطمئن اليك تماماً ويفتح لك تلك البوابة اللعينة بيده.."

ارتدت ملابسها وهي تخرج من الحمام بمزاج متعكر بعض الشيء ...

ذهبت للشباك تبحث عن فرقد فرأته وسط الزرع يجلس نصف عارٍ وفي يده ماكنة للحلاقة يحلق بها رأسه بحركات ماهرة ....

فتحت الشباك لتناديه بحنق افكارها

" فرقد .."

اوقف الماكنة ليلتفت اليها مبتسماً ابتسامة مشعة أقلقت قلبها في صدرها بينما يرد عليها

" صباح الخير لأم الصيصان .."

توردت وقد لامستها التسمية (أم الصيصان)..

شعور عجيب بالدفء انتشر فيها وهي تطرق بنظراتها للصيصان في القفص وارتباط أعجب تملكها نحوهم ...

عادت بنظراتها اليه فتبتلع ريقها ويتلاشى حنقها لتكتفي بالقول " انا جائعة.."

ينفجر فرقد ضاحكاً ثم يغمزها بالقول

" تعالي وساعديني بالحلاقة لانهيها سريعاً وأطعمك .."

عقدت حاجبيها وهي تدفع بخصلة شعر خلف اذنها وترد عليه " لا تكن لئيماً ... انا جائعة حقاً .."

ما زال يبتسم بطريقة رائقة وكأنه مستمتع بها ايما استمتاع فيقول اخيراً بصوت متحشرج

" ربما مستقبلا ستساعديني .. امنحيني عشر دقائق انهي الحلاقة وآخذ حماماً ثم سأدعوكِ لنفطر سوية ما يحب قلبك ويشتهيه .."

بيض مسلوق وجبنة صناعة قروية مع الشاي وفي الهواء الطلق كان متعة لها ...

جالسان على مفارش على الارض والصيصان بالقفص رفاق دائمين لها بينما تطلب منه مزيداً من الشاي وهي تمد قدحها نحوها ...

ينظر اليها للحظات ثم يصب الشاي في قدحها وقبل ان تبعد يدها يحاوط بكفه القدح فوق اصابعها يعتصرها ..

ترفع نظراتها اليه بعجب وتسأله ببعض الارتباك" ماذا هناك ؟"

يمد يده الاخرى ويغمس اصبعه السبابة في الشاي الحار ثم يضعه في فمه ليتذوق طعم شايها قائلا بنبرة وقحة

" ربما تتذوقين بعضاً مني في شايك ..."

تنظر لعينيه الوقحتين المستمتعين بينما تحمر طواعية ...

تسبل اهدابها وهي تشرب من شايها بهدوء بعد ان أفلتها ...

كانت تفكر انه لطالما فعل هذه الحركة سابقاً ولم تكن تفهم مغزاها تماماً ...

الآن بدأت تشعر بما كانت تفعله ...

لقد كانت تفكر بما يخصها فقط .. بتأثيره عليها ..لكنها ابداً لم تفكر بتأثيرها عليه..

ما الذي يشعره في كل حركة وكلمة ومعنى... هل كان يحاول احتلالها فعلا ام كان يحاول الاندماج فيها ؟!

" سأخرج في مشوار مهم لن أتاخر ... هل ستساعديني بأعمالي عندما أعود ؟ "

رفعت نظراتها اليه ورأت في عينيه أكثر من مجرد طلب مساعدة ..

فوجدت لسانها ينطق طواعياً رغم رفض العقل لما يقوله " نعم ... مؤكد ..."

فاشتد لمعان عينيه ثم ابتسم بجذل وهو يسبل اهدابه ...

مؤسسة هيثم الجراح

دخلت سمارا بفستان الحمل الاخضر البسيط والخف الجلدي دون ان تبالي بالنظرات المستهجنة المترفعة من حولها ..

اياد قال لها صباحا انها تبدو كالكمثرى الشهية فاذن لماذا ستبالي بتحديق الوجوه المتكلفة فيها وكأنها هبطت عليهم بمظلة من كوكب عامة الشعب ..

حسن هي عامة الشعب !...

مرت دقائق ثقيلة طويلة وهي تسير في ممرات طويلة بصحبة المرافق الذي ارسله هيثم الجراح لاستقبالها ...

هل حقاً يجب ان تمر بكل هذا لتصل لمكتب رئيس المؤسسة ؟! لقد اوشكت ان تفقد اعصابها من طول التعقيدات وكأنها تدخل مبنى رئاسة الدولة !

لا ينقص الا ان يتم تفتيشها بدقة !

تنفست الصعداء اخيراً والسكرتير الخاص لهيثم يدخلها المكتب ...

بدا هيثم الجراح لطيفاً باسلوبه المتكلف وغموضه الحيوي الذي يثير الفضول والتحفز ..

اجلسها على الكرسي ثم يلتف حول مكتبه ليضغط زراً وهو يسألها عما تشربه لتكتفي بالقول اي شيء فيبتسم هيثم وهو يطلب لها عصير الفراولة ...

دقائق اخرى مرت في مجاملات لا معنى لها استفزتها اكثر وهي كل همها ان (تدلي بدلوها) وتغادر جدران هذه المؤسسة الباردة ..

احضر احدهم لها العصير وخرج ثم ألتزم هيثم الصمت وهو يشبك اصابع كفيه امام وجهه ينظر لسمارا بهدوء وترقب خفي ...

ارتشفت سمارا بعضاً من عصير الفراولة قبل ان تضع القدح جانباً وتأخذ نفساً عميقاً وتبتدأ الكلام " اريد أن احدثك بأمر مهم .."

ابتسامة لا معنى لها منحها لها هيثم قبل ان يقول بتودد " تفضلي سمارا .."

نظرت في عينيه الزرقاوين فشعرت فجأة بقشعريرة برد !

انه رجل لا يوقفه شيء عن فعل ما يريد ..

الامر في دمه ولن يغيره شيء ...

تشجعت وهي تجابهه بنظرة (ثقة) لتقول بشكل مباشر

" دون لف او دوران يا سيد هيثم.. انا جئت لاخبرك بأمر محدد .. أخرج شاهين من حساباتك في تعاملك مع شهرزاد.."

شعلة زرقاء من عينيه أربكتها للحظة قبل ان تستعيد رباطة جأشها لتضيف بنفس الاسلوب

" قد تراني جريئة بقول ما قلته لك الآن.. لكن (رسالتك) وصلت الينا بشكل واضح .. وأنت تفهمني جيداً وتفهم ما أعنيه .."

ما زالت تلك الشعلة الزرقاء متوهجة بينما تتراخى شفتاه بابتسامة متلاعبة مستفزة..

لكن سمارا كانت الآن أبعد من ان تنقاد لاستفزازه لتفاجئه بتغير نبرة صوتها فتكون أكثر دفئاً وواقعية قائلة

" مكتب الشاهين للحاسوب يفتح بيوت ناس بسطاء بيتي وبيت اختي هديل .. باهر وحامد الذي يُقبل على زواج قريب .. نحن جميعاً لا دخل لنا في مشاكلك الخاصة مع زوجتك واصلاح الصدع الذي حصل بينكما بسبب ... ما فعلته انت معها ... لا يعقل ان تحمّل شاهين مسؤولية اخطائك !"

يضيق عينيه وهو لا ينطق بكلمة ولا يبدي تأثراً واضحاً مما جعل سمارا تستعد لتقدم على خطوة فكرت بها طوال الايام السابقة ..

خطوة ربما هي ليست أهلا لها .. خطوة ربما تحتاج لمن يتمتع ببعض الخبث ...

لكنها خطوة استباقية لا بد منها ويجب ان تأتي منها هي وليس من اي شخص آخر ...

قالت بنبرة ثابته وهي تواجهه بنظراتها الجادة

" ان كنت تسعى لخراب هذه البيوت المفتوحة دون ذنب او جريرة فأنا لن أسكت يا سيد هيثم وسأضطر لاخبار... زوجتك .."

عندها اتسعت ابتسامته ليقول بنبرة متسلية خطرة " هل ... تهدديني ؟!"

لم تتراجع سمارا وهي تقول ببعض الانفعال

" سبق الينا تهديدك .. ام هل تظن اننا اناس طيبين بشكل زائد حتى لا نتسبب بمزيد من الخراب لعلاقتك مع زوجتك .."

ثم تشمخ بذقنها تضيف بنفس الثبات

" قطع الاعناق ولا قطع الازراق يا سيد هيثم والبيوت المفتوحة أهم مما تعانيه انت .."

نظراته الآن اقلقتها .. كانت غريبة جدا وكأنه يعقد صفقة ! انها تعرف الزبون المحنك متى ما اراد عقد صفقات ....

ولم يخب حدسها وان كانت صدمت بفحوى الصفقة التي يريدها وهو يقول بنبرة حادة حازمة قوية " اجعليها تغادر .."

رمشت سمارا بعينيها وهي تردد " ماذا ؟!"

رفع حاجبيه قليلا وهو يحرك اصابعه بتمهل فوق سطح مكتبه قائلا بهدوء عجيب

" اقنعيها ان تترك المكتب ... و... سنظل بخير جميعاً وبيوتنا معمورة !.."

هبّت سمارا لتقف على قدميها بانفعال شديد ودمها يغلي في عروقها فتهدر دون سيطرة

" كونكَ لستَ بخير وبيتك مهدد بالخراب من فعل يديك فهذا لا يمنحك الحق كي تجعل الاخرين (ليسوا بخير) معك .."

رفع نظراته اليها وتتصلب عضلات وجهه ولا تعلم سمارا لماذا شعرت برغبة صادقة لمساعدته .. لاجله هو ...

قالت بدفء انسانيتها

" يا ابا صقر ... انا حقا اقدر ما تعانيه .. لكن الحل لا يأتي بهذه الاساليب .. شهرزاد تحتاج ان تقتنع انك لن تخونها ليس لان اغواء النساء لم يعد موجوداً من حولك ولا حتى لانك تحبها ولا تريد خسارتها .. بل اظن ان شهرزاد يجب ان تعلم انك ببساطة (لا تريد).. ان تفهم ان الامر بات يخصك انت ولا يخصها هي تحديدا ... من معرفتي بك انت رجل شديد الذكاء ومؤكد قد أعدت حساباتك في التجربة التي عشتها وصرت تعلم اكثر ما تريد لحياتك ..."

رقت نظراتها اكثر بينما يدها تلامس بطنها المنتفخة لتضيف

" النساء احياناً يحتجن الى دلال مضاعف .. دللها... اصبر عليها... تجاهل نوبات شكوكها حتى تخفت بمرور الزمن .. "

ما زال على تصلبه رافضاً التنازل عن شموخه بينما تعود سمارا لواجهتها الجدية فتقول

" انا قلت كل شيء أتيت لأجله .. بل حتى أكثر مما كنت أريد قوله او التدخل به .. لذلك سأكتفي بثرثرتي هذه واستأذن منك.. يجب ان أعود لعملي.."

تحركت ناحية الباب تغادر وهي تنهي زيارتها بالقول " فكر بتمعن في كل الكلام الذي قلته لك سيد هيثم .. لاني جادة كما انت جاد..."

اغلقت الباب خلفها بهدوء تاركة هيثم يقلب كلماتها على مهل ...

لا يهمه تهديدها .. سمارا ليست بالقوة الكافية لتفعلها ..

ما يهمه ان سمارا بطريقة ما ... حليفته ...

بيت عبد الجبار الشيخ ..

كان يتململ بوضوح وهو يحاول اقناع أمه ان عليه العودة للمزرعة ويعتذر لان لديه كثير من الاعمال لينجزها ، يقبل كفيها لانه لم يستطع الايفاء بوعده قضاء اليوم معها ويعدها التعويض ...

يراقبه ناصر عن كثب ويشعر ان أخاه بلا ادنى شك يخفي امراً كبيراً في المزرعة ..

لا يعرف ماهيته ... او ربما يخشى ناصر ان يضع تصورات قد تفجعه لافعال متهورة رعناء من فرقد ...

لكن مواجهة البلاء افضل من تجاهله ..

بيت المزرعة ...

دخل البيت وقلق متصاعد ينتابه ...

نظرات ناصر اليه لم تُرحه ...

يجب ان يتصرف سريعاً ...



ان حضر ناصر مرة اخرى فلن يستطيع حبس هاجر بالحمام وبنفس الوقت لا يستطيع حتى اللحظة ان يأمن انها ستختبأ بمزاجها ..

انها بين مد وجزر ... ساعة يراها مرتاحة بوجودها معه بل حتى مشاعرها نحوه اخذت تتغير فيشعرها تتقرب اليه حتى دون ان تدرك هي انها تتقرب !

وساعة يراها كئيبة غاضبة رافضة ...

لا تحتمل حتى النظر لوجهه ..

يرى هذا العزم النابض انها لن ترضخ وفكرة الهروب تدور في عقلها تنتظر المخرج المناسب..

دخل غرفتها فيجدها تنظف قفص الصيصان وحالما رأته تنهدت براحة وهي تنفض حالة السأم قائلة " كنت سأقتل نفسي من شدة الاختناق .. هيا .. انا مستعدة للعمل لعشر ساعات متواصلة .."

تصلبت ملامحه وهو ينظر لملامحها الباهته المرهقة...انها مرهقة من التفكير .. مرهقة من الاختيار... مرهقة من التخبط ...

يستطيع ان يشعر بها ...

هي ايضا لن تحتمل حبسها أكثر ...

فقط لو تطاوعه بعقد قرانهما من جديد.. لو طاوعته ستكون كل الامور اكثر سهولة .. حتى مع عائلته سيكون أسهل ..

عليه ان يفعل المستحيل ليقنعها ..

حتى لو اضطر للضغط عليها عاطفياً ..

حتى لو اضطر لابتزاز احتياجها ...

ستظل امرأته التي يعرف مفاتيح انوثتها ..

سيعمل جاهداً اليوم حتى يؤثر فيها بشكل مختلف .. اما غداً ... سيكون صريحاً معها ..

سيخبرها لماذا آذاها هكذا ...

سيخبرها انها لن تجد رجلا مثله يتفانى ليسعدها ..

سيخبرها .. انها يجب ان توافق ليعقدا الزواج من جديد .. يجب ان توافق ...

يجب .. قبل ان يفلت الأمر منه ...

بعد بضع ساعات كانت تقف قرب الانقاض التي ساعدت فرقد بنقلها وهي تتصبب عرقاً..

تشعر بالحرارة تشع منها باضطراد ..

ليس العمل وحده من يجعلها هكذا ..

بل .. هو .. قادر ان يؤجج النيران اللاهبة في حقل أخضر ...

نظراته الحارة لها .. كلماته المبطنة بحريق شوق جامح ...

لقد بدا صياد !.. تقسم بالله شعرته صياد وهي طريدته التي يتسلى باصطيادها ...

فتبتعد عنه هنا وهناك تدعي الانغماس بالعمل .. تدعي .. انها لا تأبه .. لا .. تتأثر ..

كم هي كاذبة .. اللعنة .. هو يعرف انها كاذبة .. ابتسامتها تعريها ..

" هاجر ... "

شتمت وهي تضرب اصبعها بالحائط عندما أجفلت واستدارت اليه ..

ألتمعت الدموع في عينيها وهي تحدق باظفرها المكسور وتكاد تبكي كطفلة ..

ماذا تفعل هنا ؟! حقاً ماذا تفعل ؟!

هل هذا مكانها ؟ هل ستقضي حياتها بين التراب والزرع ورائحة الحيوانات ؟!

الاظفر المكسور جعلها تختنق برغبة عارمة بالبكاء ..

شعرته يقرب قريباً جداً منها والضحكات تتسابق على نبرات صوته " تأخرتِ يا أم الصيصان .. ظننتك سأجدك تتسلقين الحائط مع اطفالك لتهربوا جميعا مني .."

تمتمت وهي تكز على اسنانها

" اسكت فرقد.."

يضحك منها وهو ينظر لاظفرها (الغالي) الذي تكاد تبكيه فيقول " نستطيع بناءه من جديد... يوجد بعض الاسمنت هناك .."

صرخت به " ان لم تسكت حالاً ســ..."

انقطعت كلمتها الاخيرة وهو يخطو نحوها فجأة بل ويدفعها نحو الجدار خلفها وعيناه تلمعان بمشاعر اقلقتها ...

يحتجزها كأسيرة قائلا بصوت مبحوح

" هناك طريقة واحدة لاسكاتي .. يجب ان تشغلي فمي ... بقبلة ...مثلا ؟ "

قلبها يقرع بجنون في صدرها وهو تنظر لوجهه القريب جدا من وجهها ..

لقد كان جدياً تماماً وهو يحدق في فمها ..

لم تكن تتوهم طيلة النهار ...

شيء ما فيه تغير ... هناك في عينيه ألحاح ونفاد صبر من نوع ما ...

شعرت رأسها حار جدا ولم تعرف بماذا ترد على جرأته او حتى بماذا يجب ان تفكر وتشعر ...

المكان هادئ .. هادئ جدا .. وكأنهما البشرين الوحيدين على هذه الارض ...

تمتمت باضطراب شديد تحاول ادعاء البرود بينما العرق يسيح على طول رقبتها

" فرقد .. يجب ان ... أكمل باقي .. العمل.."

لماذا لا تدفعه ؟! لماذا تقف هكذا وهي تشعر بانفاسه تلفح وجهها ...

شعرت باصابعه تلامس اصبعها ذا الاظفر المكسور وهو يقول بنفس النبرة

" دعينا نراضي .. هذا المكسور الجريح ... انا اكثر البشر احساساً به .."

تشبث باصبعها يرفعه لشفتيه بتأن بينما عينا هاجر تتسعان واحساس بطيء صاعق ينتشر فيها حتى لامس بشفتيه سلاميتها ...

حدس الانثى فيها يقرع اجراس خطر من نوع مختلف ... انه .. يغويها !

لمسة شفتيه لاصبعها كانت اغواء يعيد تشكيل نفسه من الماضي المشتعل بينهما..

رغبة محمومة توقدت فيها فترفضها بجزع قبل ان تتفاقم ...

ترتجف امامه بعجز فيرفع نظراته لعينيها المصعوقتين هادراً بانفاس متسارعة ونبرة مثيرة

" افكر ان احبسك هنا مدى الحياة .. انا وانت و... ثالثنا الشيطان .."

لقد كان عاري الصدر ولا تجرؤ حتى على ملامسة صدره لتبعده ... انه .. في أخطر حالاته ...

نظراتها تشتت بعيداً هنا وهناك لتعلق على الوشم في ذراعه بينما تقول بحشرجة وضيق

" ابتعد ... رجاء ... سأعود لغرفتي ..."

ما زال على حالته وهو يسحبها الى مناطق عاطفية خطرة جمعتهما يوماً عندما كانت حلاله وزوجته ... همس بحشرجة خافتة " ما رأيك ان نطرد الشيطان ..؟ رفقته معنا لا تروق لما .. اتشوق اليه ... منكِ .."

صدرها يعلو ويهبط وتشعر وكأنها كجرذ وقع في مصيدة بينما يضيف فرقد

" استطيع خلال نصف ساعة ان احضر شيخ المسجد في القرية ونتوكل على الله... ثم نعيش في تبات ونبات وننجب... صهباوات يفتتن قلوب صبيان القرية تفتيتاً او ... يشعلن الجمرات ... همممممم .. ما رأيك ؟"

ما زال صدرها يعلو ويهبط بانفعال شديد ووجهها يتخضب بحمرة انثوية تفضح تأثرها بينما تتماسك بما تبقى لها من ارادة لتهمس

" انت تهذي .."

عندها فقط أفلت اصبعها وابتعد خطوة للخلف قائلا بعذوبة مغيظة

" مؤكد أهذي .. لا تقلقي .. حمام بارد وسنطفئ الهذيان .. مؤقتاً.."

تعبس ولا شعورياً تلف ذراعيها حول نفسها بينما تنظر اليه كيف يقف امامها غامض النوايا ...

اولاها ظهره وهو يتحرك قائلا

" سأذهب لأرى ماذا لدينا للعشاء يا جنية .. انت اغتسلي وخذي القدر الكافي من النوم والراحة .. فأنت لم تعتادي العمل الجسدي .."

ما زالت تنظر في إثره ولا تفهم بينما هو يبتسم وراض تماماً ...

يومان آخران .. وسيسرق من فمها الرضا ...



وحالما تصبح زوجته .. سيمسك قلبها الحار بين اصابعه لكنه هذه المرة ... لن يعتصره..

بل .. سيعلمه الانتماء قبل العشق...

مكتب الشاهين للحاسوب

بشعره المشعث وحاجبيه المعقودين يركز في شاشة الحاسوب ليحل مشكلة ما بينما تجلس سمارا قبالته تعد عقداً جديداً يجب ان يوقعه..

تمتمت سمارا برضا " اخيراً بات العقد جاهزا .. لقد أعدت كتابته ثلاث مرات ..."

يرفع نظراته اليها وهو ما يزال عاقد الحاجبين من التركيز ليسألها فجأة

" ألن تخبريني اين ذهبت صباح اليوم ؟"

لاتنقل نظراتها عن الورقة التي تقرأ فيها بينما ترد عليه بنبرة ملل وتوبيخ

" وما دخلك انت ؟! عجيب أمرك .. اياد نفسه لم يسألني .."

فيزداد عبوسه ليقول بإغاظة

" انا لست اياد ... انا شاهين ..."

وقفت على قدميها لتقدم له الورقة وهي تقول بنبرتها الحازمة معه " كفاك حشراً لانفك في خصوصيات غيرك .. وقّع هنا ..."

يمط شفتيه ضجراً بينما يبحث عن قلمه بين الاوراق المبعثرة على مكتبه فيشتم بضيق بينما تتأفف سمارا لتمد القلم اليه وهي تقول

" متى ستركز فيما تفعله ؟! الا ترى اني قدمت لك القلم مع الورقة ؟!"

أخذ يوقع توقيعه الغريب الاقرب للوحة من الفن التجريدي بينما يقول

" شهرزاد تبدو غريبة اليوم ..انها صامتة .. ساكنة .. هادئة تكتفي بهز رأسها كأنها ناقة تعبر الصحراء ! "

أخذت الورقة منه بينما يعود لتركيزه على الحاسوب وهو يقول

" هل ستكلمينها ؟ انا اردت ان أفعل لكن كلماتك الزاجرة عالقة في رأسي .. "

ردت سمارا وهي تتوجه لباب مكتبه قائلة بمراوغة " ربما سأكلمها ..."

حالما فتحت سمارا الباب وجدت شهرزاد امامها..

وبطريقة ما شعرتها بالضبط كما وصفها شاهين قبل لحظات .. ناقة تعبر الصحراء .. قد تبدو هادئة .. قد تبدو حتى تائهة ... لكنها في الواقع تسير في خطاها الى وجهة لا يعرفها الا هي ...

ابتسمت لها سمارا عفوياً بينما تقول شهرزاد بغموض " انا سأخرج باكرا اليوم .. لدي بعض الامور الخاصة .. أحببت أن ابلغكما .."

يرد شاهين وهو غارق فيما يفعل مع حاسوبه

" كما تشائين عزيزتي .."

ابتسمت شهرزاد في وجه سمارا بطريقة جعلت سمارا تعبس قليلا فتلفظ اسمها عفوياً

" شهرزاد ..."

تسبل شهرزاد اهدابها وهي تقول بنبرة أغرب

" فيما بعد سمارا ... سنتكلم فيما بعد .."

ثم تركتها واستدارت لتمضي نحو باب المكتب فتغادره وسمارا تشيعها بنظراتها القلقة ...تدعو الله من صميم قلبها ان ينجيهم جميعاً مما يحدث وان لا تكون العواقب وخيمة لأي منهم ...

تنهدت شهرزاد وهي تجلس خلف مقود سيارتها بينما عيناها تطالعان المرآة الامامية ..

ارتدت حزام الامان ثم التقطعت حقيبتها لتخرج منها هاتفها الخلوي ...

بهدوء شديد اتصلت بـ.. زوجها ..

بادرت هي لالقاء التحية حالما فتح الخط

" مرحباً ..."

يأتيها صوت هيثم الساخر " مرحباً ... اخيراً تفضلتِ علي بالكلام بعد مقاطعة ليومين..."

تجاهلت تماماً سخريته ولو رآى هدوءها وتعابير العزم على محياها لكان تخلى هو ايضاً عن سخريته ....

قالت له بنفس الهدوء وبنبرة عملية وبكلمات مباشرة صريحة " اخبرك اني اغادر مكتب شاهين الآن .. وسأتوجه لمكان لا اريدك ان تعرفه .. الآن على الاقل... وسأذهب بمفردي..."

مرت لحظات صمت قبل ان يسأل هيثم بتوجس خفيّ " لماذا تخبريني كل هذا ؟"

فترد وعيناها تتطلعان مرة جديدة للمرآة الامامية " حتى تتصل بمن أجرته لمتابعتي وتطلب منه تركي وشأني ..."

تنهد هيثم ولم يبذل اي جهد حتى لينكر ..

بدا صوته عذباً بشكل عجيب وهو يسألها

" ماذا تريدين مني يا شهرزاد ...؟ "

تبتسم شهرزاد عفوياً ... ابداً لن يتغير تأثيره عليها .. أبداً لن يكف يوماً عن سرقاته الخبيثة لدقات قلبها بمجرد ان يمنحها نبرة صوت خاصة او نظرة زرقاء فاتنة او ابتسامة حميمية ...

مهما حدث بينهما .. سيظل هو حب حياتها الوحيد .. مالك قلبها حتى الممات...

ردت ببطء على سؤاله " ان ...تثق... بي ..."

فيناورها بذكاء متوقد " لماذا تطالبيني بمنحك ما لا تمنحيني اياه .. الثقة .."

لكنها لم تقل عنه ذكاء وهي تقول

" لاني طوال حياتي اثبت لك مدى اخلاصي واني استحق ثقتك .. الا يكفي هذا ؟ "

صمت للحظات أخر قبل أن يسألها

" الى اين ستذهبين ؟"

فترد بصدق " احاول ايجاد مخرج لنا .... فإما نخرج سوياً منه وإما كل منا يختار مخرجاً آخر يناسبه لوحده.."

همس اسمها بلوعة أفلتت منه " شهرزادي.."

قاومت تأثيره لتقول بتلاعب انثوي

" هل ستتصل بالرجل الاحمق خلفي والذي لايكف عن أخذ الصور وكأنه محقق اسكوتلنديار قبل سبعين سنة ؟"

همسة رجولية منه وبكلمتين فقط

" نعم ... سأفعل ..."

مع حمرة المغيب ....

تحاول بالشوكة ابعاد الاشواك عن اللحم الابيض في صحنها وهي تعقد حاجبيها بقنوط..

لذلك لا تحب الا أكل شرائح السمك الجاهزة والخالية من العظام .. منذ صغرها وهي تشعر بالاختناق من أخراج الاشواك الناعمة المدسوسة بين طيات اللحم ...

ترفع نظراتها اليه فتراه يأكل بيده ويستمتع تماماً وهو يخرج الاشواك شوكة شوكة ...

شعرت بالنزق ! لماذا يبدو طبيعياً هكذا في فعل كل شيء هنا ؟!

يثير جنونها وهو يتصرف بتلقائية وسلاسة ..

تمتمت تسأله بحنق

" من اين احضرت هذا السمك ؟"

بعينين تلمعان بوهج النار التي لم تنطفئ رد عليها " ذهبت للسوق وانت نائمة واشتريته .. "

شريحة لحم جردها من الاشواك ثم قدمها لفمها وهو يقول

" انت تحبين هذا النوع ..."

لم تفتح فمها هذه المرة وهي تحدق بوجهه ..

الاضاءة خافته من حولهما فقط نار الجمر يضيء جلستهما ... قفص الصيصان جوارها هادئ وقد رقد الصغار في احضان بعض ...

رائحة شواء السمك اختلطت برائحة الشاي التي أعده بإبريق على الفحم ...

سؤال ظل يتقافز في قلبها ... يتضور جوعاً لطعم الاجابة ....

لماذا لم يعاملها بهذه الطريقة عندما..تزوجا؟!

لقد عاش معها لشهرين كاملين لم يفعل شيئاً الا جعلها تشعر انها .... رخيصة ...

خنقتها العبرة وهي تتطلع اليه بقهر ..

عبس بجدية وهو يعيد يده الممدودة ليضع اللقمة التي لم تأكلها من يده الى صحنه ثم يسألها " ماذا هناك ؟!"

بتلك الغصة التي تحرق قلبها سألته

" لماذا فعلت بي هذا يا فرقد...؟"

ارتفع حاجباه قليلا ببعض الدهشة وهو يرد

" لقد اخبرتك .. احضرتك هنا كي .."

قاطعته واصابعها تتقلص حول حافة صحنها

وهي تقول له " لماذا .. آذيتني ...؟ لماذا ..

طلقتني بتلك الطريقة البشعة وكأني ..

مجرد حثالة التقيتها في طريقك ..."

سكنت ملامحه تماماً ثم بدا فجأة وكأنه

يسير على وتر رفيع ...!

سألته بحرقة " لماذا .. انتقمت ...لماذا ؟! "

ما زال ساكن بل ربما متحجر الملامح وهو

ينظر اليها بتوتر واضح ...

عضلة ترتعش في خده وفمه مشدود وكأنه

عاجز عن الكلام ...

هتفت بنفس الحرقة والدموع تتجمع في

عينيها " هل صعبة الاجابة لهذه الدرجة ؟!

قولي .. اخبرني ..."

وكأن دموعها أنطقت لسانه ليقول معترفاً

بحشرجة " نعم .. ليتك تعرفين مدى

صعوبتها .. "

ابعدت الصحن لتقترب عنها تتوجع بالقول

ودموعها تهطل مدراراً وهي تتذكر كل

تفصيلة ألم عاشتها تلك الليلة عندما قال لها

(انت طالق) ...

" ماذا فعلت لك ؟ لا بد اني آذيتك لترد لي الاذى هكذا ... ماذا فعلت لاستحق منك الوجع والجنون الذي تركتني فيه ؟! ماذا فعلت لك .. وانا ... "

حاولت لمس ذراعها لتهدئتها " هاجر .."

لكنها دفعت اصابعه واخذت تمسح دموعها بحركات عنيفة وهي تقول بشموخ آسر

" حسن .. انا آسفة ان كنت فعلت ما آذاك هكذا لترد لي الاذى .. لكن .. هل استحقيت حقاً منك ما فعلته بي ؟! اريد اجابة منك الآن .. كيف تدعي انك .. تحبني .. وانت .. وانت .."

كانت في حالة رهيبة ... تتحرك في جلستها على ركبتيها صعوداً ونزولاً .. تهدر بالكلمات لتتقطع تلك الكلمات بالقهر والوجع ..تبكي بغزارة دموع فاضت وفاضت لكنها لا تكف عن مسحها بعناد ..

صدره يعلو ويهبط وهو ينظر لحالتها الموجعة تلك ... ربااه .. ماذا فعل بها ....

هدر بخشونة وهو يمد كفيه باسطاً اياهما نحوها " تعالي بحضني الآن ..."

صرخت بعنف " لاااا ..."

امسكها من اعلى ذراعيها ليسحبها عنوة لحضنه وهو يزمجر بجنون خشن

" انت امرأة يجب ان تؤخذ غصباً على الدوام
لانها لا تعرف الاستسلام في الوقت الصحيح .."

كان يغلي قهراً وهي تنهار ببكاء رهيب في
حضنه .. ودون ان يسأل كان يشعر انها
تستعيد كل لحظة في ذاك اليوم الذي
طلقها وهجرها فيه ..

يعتصرها ويضمها أكثر لدفء حضنه قرب
قلبه الذي يتلوع فداء لعشقها ....

اللعنة على غبائها .. واللعنة على غبائه ..

لماذا فعلا بنفسيهما كل هذا ؟!

اخذ نشيجها الرهيب يهدأ فيتقطع تقطيعاً وهو
يشعرها تضم نفسها اليه ...

وجهها المبلل بالدموع مغمور في تجويف عنقه
وكأنها تبحث عن شيء ما أرجف قلبه ...

عيناه متسعتان صدمة وذهولاً وهو يتمتم في
سره

" يا الهي ... ما هذا الذي تفعله هاجر به ؟!"

احساس لا يوصف انتزعه حتى من روحه ..

تكاد ذراعاه تذيبان لحمها وعظامها من
اعتصاره لها فلا هي تشكو ولا هو قادر ان
يوقف ما يشعر انها تحتاجه منه في هذه
اللحظات ..

انها .. تريد حضناً كحضنه هذا ...

بالغريزة يعرف هذه الحقيقة وكفى ..

يشتم رائحة جوعها للاحتضان كما لم يشعرها يوماً منها ...

الطفلة الغبية العنيدة .. كيف يشرح لها غباءه وجنونه وانتقامه ؟!

سمع همستها المخنوقة " اخبرني .. لماذا؟!"

أغمض عينيه للحظات قبل ان يفتحهما وهو يسيطر على انفعالاته ليسلخها بعيداً عنه ويمسك ذقنها بين اصابعه يرفع وجهها اليه قائلا بعذوبة " أعدك ... غداً سأخبرك .."

عيناها براقتان وانعكاس النار فيهما جننه جنوناً ...فهمس بابتسامة شقية واصابعه تداعب بشرتها " هذه الليلة .. لا .."

نظراته هبطت من عينيها لشفتيها عن عمد لاغاظتها وألهائها بعيداً عن مطلبها ...

لا يريد ان يكشف الامر الليلة ..

ما حصل بينهما منذ قليل غالٍ جداً عنده ..

لن يجعل اي شيء يشوهه ..

استطاع اثارة حنقها كما خطط لتقول له بغضب وهي تقاوم أسره " فرقد ... أفلتني ..."

أفلتها وهو يقول مدعياً البراءة

" ماذا ؟! كنت سأقول للشواء والاكل فقط ! "

تعاود الجلوس مكانها قرب قفص الصيصان وتضم ركبتيها لصدرها وهي تحدجه بنظرات قاتلة فيها اتهامات واضحة المعاني ..



يضحك من قلبه وهويقول ساخرا مغيظاً لها أكثر " من نظراتك استطيع أن أقول آسفاً ان افكارك اصبحت .. وقحة وفاضحة ... أم انك تحاولين .. اغوائي ؟"

وقفت على قدميها وهي تهدر فيه

" كل السمك بمفردك ..."

امسك كفها عنوة وما زال جالساً على الارض يضحك ويقول بنبرة وكأنه يحنن قلبها عليه

" تعالي .. تعالي .. لن ازعجك مرة أخرى .. كنت اغيظك فقط حتى تكفي عن البكاء.. نواياي .. شريفة ..!"

تطلق صوتاً مزمجراً وهي تحاول تخليص يدها من قسوة يده بينما يبتلع ريقه وهو ينظر لوجهها ويقول بصوت مبحوح

" اقسم بالله لا وقاحة فاضحة الا فيما يشتعل بجسدي وروحي الآن .. يا الله ... كيف سأشعر عندما تكونين كلك لي ...؟!"

تطلق سهاماً نارية من عينيها بينما يضيف هو بنفس النبرة " هل تتخيلن ماذا سيحصل ان همستِ يوماً (احبك فرقد) ؟!"

صرخت به وهي تشير بيدها الحرة للجمر جوارهما " سأحرق لساني بجمرة من هنا قبل ان اسمح له بنطقها .."

فيرد عليها بقلب يخفق جنوناً جامحاً لذيذاً

" وأنا على استعداد لابتلع كل هذا الجمر في احشائي فقط لتنطقيها .."

تهرب بعينيها منه وصدرها يعلو ويهبط مثله بينما تنجح بتخليص كفها من قبضة يده فتأففت لتداري على ما يحصل لها " اووووف.. "

يجلس متربعاً وهو يعود لطعامه يلتهم منه بشهية مضاعفة بينما يقول لها بتوبيخ مغيظ

" اخفضي صوتك ستوقظين الصيصان من رقادها.."

انحنت لتلتقط القفص وهي تكز على اسنانها وتقول بلهاث انفاسها المتسارعة

" انت لا تتدخل بما أفعله معهم .. "

تحركت بينما تشمشم بكتفيها وتقول باشمئزاز " اوووووف .. رائحة جلبابي اصبحت مقرفة .. كله بسببك .. هل كان يجب ان تمسكني وانت تأكل السمك بيدك ؟!"

أنهى آخر لقمة ثم وقف على قدميه ليقترب منها ويقول بنظرات عميقة " وهل هذا ما كنت أفعله ؟ ...امسكك ؟!"

ارتعش صوتها وهي تتشبث بالقفص فتتمتم بارتباك وهي تتراجع للخلف

" سأذهب... لاخذ حماماً ...وأنام .."

يهز كتفيه وهو يسبل اهدابه ويقول

" كما تشائين .. انا سأرافقك لاغلق باب غرفتك ثم أعود لأشرب الشاي وحدي .."

تناظره بحقد هذه المرة بينما تتحرك امامه وهو يضيف همساً رائقاً " في الواقع .. افكر ان انام هنا في الخارج قرب الجمرات .. و .. جوار شباكك .."

تلتفت اليه وهي تهدر فيه بلؤم وحقد

" عسى ان .. ان يعضك جرذ لئيم .."

ينفجر ضاحكاً بينما تسير هي امامه وبخطوات أشبه بجندي يؤدي المشية العسكرية ...

دخلت غرفتها فأغلق الباب دون ان ينظر اليها ..

تلاشت ملامح الشقاوة من وجهه بينما يسير عائدا للخارج .. ستكون ليلة طويلة يفكر فيها كيف سيخبرها بما وعدها به ...

فجر اليوم التالي ...

ترجل عبد الجبار الشيخ من سيارة ولده ليسير بخطواته المهيبة حتى وصل لبوابة المزرعة ويقف عندها ..

عيناه كالصقر تستكشفان المكان ...

سمع صوت ولده ناصر يقول بهدوء

" هل اتصل به ليفتح البوابة ؟"

فيرد الاب بنبرة قاطعة " لا ...."

يشعر ناصر ببعض الذنب لانه لم يستطع اخفاء مخاوفه حول فرقد عن ابيه ..

لكنه ينتابه ايضاً حدس غريب.. ان والده هو الوحيد الذي سيجيد التصرف اذا كان فرقد متورط بأي أمر من أي نوع ...

قاطع الاب افكار ولده البكر وهو يأمره بالقول " هات الفأس واقطع السلسلة ...."

الجمرة الرابعة عشرة

تقف في الشباك المفتوح منذ بزوغ الفجر اصابعها ملتفة حول القضبان الحديدية بينما عيناها مشدودتان للنظر اليه وهو نائم ..

ببلوزة قطنية وسروال ابيض طويل مما يلبس تحت الجلباب الرجولي .. لقد خلع جلبابه قبل النوم كما يبدو ...

انها المرة الاولى التي تراه فيها نائما...

يفترش الارض ينام على جانبه ويضع وسادة بين ركبتيه ووسادة ثانية بين ذراعيه يضمها لصدره ووسادتين اخريين تحت رأسه !

اربع وسادات ؟!

حتى في نومه يتطرف ....

زفرت انفاسها بينما تتركز نظراتها على وجهه المستكين المستسلم لسلطان أقوى من ارادة اي بشر ... سلطان النوم والغفوة ...

اسندت جانب رأسها لعمود الحديد بينما تهمس

" هل سيخبرني اليوم كما وعد ؟"

ثم تعبس وهي تضيف بهمس خشن

" وماذا سيختلف ؟! ماذا ان منحني المبررات ؟ كيف يريدنا ببساطة ان نعود لبعض ؟ كيف وهو يفرض علي هذا الحبس الاجباري ويجردني من ارادتي و...."

ارتج قلب هاجر مع صوت مباغت قوي مبهم جاء من مكان ما ...

أخذت تتلفت وهي ترهف السمع وفي نفس الوقت استيقظ فرقد مجفلاً وهو يرفع رأسه وقد فتح عينيه على وسعهما يتلفت هو الآخر حوله في تساؤل تلقائي حتى استقرت نظراته عليها في وقفتها قرب الشباك فيسأل وهو يهب بجسده " ما هذا الصوت ؟! "

قبل ان ترد عليه هاجر بشيء وقف فرقد على قدميه مع صوت سيارة يقترب من مسامعهما فيركض فرقد وهاجر متسعة العينين وهي تتمتم بلا تصديق

" هل هذا ... صوت سيارة ؟! "

وللحظات طوال بعدها ظل لسانها عالقاً عاجزاً عن النطق ...

عندما وصل فرقد لمقدمة البيت تجمدت خطواته وهو يحدق بوالده الذي يترجل من السيارة يلحقه أخوه ناصر من الجانب الاخر من السيارة ...

أخذ صدر فرقد يعلو ويهبط دون ارادة منه وهو يتساءل بوجل " ابي ...ناصر ! ماذا هناك ؟ وكيف دخلتما عبر البوابة المغلقة...؟ "

ألتف والده حول السيارة ليقف قريباً منه ..

قبالته تماماً .. بعباءته وعقاله المتين السميك فوق كوفيته ....

بملامح عبد الجبار التي دوماً لا تكشف عن سريرته قال " يبدو اننا ايقظناك من النوم ..! لكن اين كنت تنام بالضبط ؟ "

حاول فرقد جهده السيطرة على نفسه امام أبيه ليبدو طبيعياً بينما في داخله يدعو اللّه ان تتصرف هاجر بذكاء و....تختبئ ..

فقط يا رب لا تدعها تكون غبية وتتخيل ان نجاتها في الكشف عن وجودها ...

تتلبس ملامح فرقد نفس تعابير والده بينما يرد وهو يمسح النعاس عن وجهه

" كنت افترش الارض ليلة الامس .. الجو كان ..رائعاً ..."

اقترب ناصر وهو ما زال يلتزم الصمت ...

فنقل فرقد نظراته بين ابيه واخيه الاكبر ليسأل بثبات " ماذا هناك ؟"

كان الاب من رد وفي نبرته بعض ... السخرية

" جئناك في زيارة ... قلنا ان المزرعة التي استعدناها بعد طول نزاع لا بد ان فيها الكثير ليجعلك .. مقيماً فيها تكاد لا تطيق مفارقتها.."

عقد فرقد حاجبيه وفتح فمه ليرد عندما صدح في الهواء صوت استغاثة امرأة !

" ساعدوني .. من موجود هنا ؟ ارجوكم ساعدوني .. انا محتجزة هنا ..."

تجهمت ملامح الاب وشعّ غضب ساطع من عينيه بينما جحظت عينا ناصر مصعوقاً ..

اما فرقد اسبل اهدابه وتشنج كل جسده وهو يتمتم في سره (ايتها الغبية ! ماذا فعلتِ ؟)

تتواصل نداءات الاستغاثة منها

" ارجوكم .. لا تتركوني هنا .. انا محتجزة .. اتوسل اليكم.. اريد العودة لاهلي ..."

يتمتم ناصر بصدمة رهيبة " ربااه ...."

بينما يرفع فرقد نظراته وقد قرر مواجهة الامر بشجاعة لانقاذ ما يمكن انقاذه ..

واهم ما يجب ان ينقذه الآن هو ... هاجر ...

قال بنبرة ثابتة

" ابي ... دعني أشرح لك.. انها..."

قاطعه الاب بنبرة صارمة

" امضي أمامي الى الداخل ..."

لم تمر الا لحظات وكان باب غرفة هاجر يُفتح فينظر الشيخ عبد الجبار لامرأة جميلة جدا شديدة البياض حد الشحوب بجلباب ازرق مما تلبسه نساء عائلته ...

اندفعت نحوهم بملامح ملهوفة و بخطوات مترنحة وكأنها سكرة الخلاص الذي تنشده.. اخذت تنظر اليه بامتنان وكأن فيه كل خلاصها فتهذر بالقول المرتجف

" الحمد للّه .. اخيراً جاء من سيخرجني.. أنقذوني ارجوكم ...انا ..."

هتف بها عبد الجبار بصوت قاسٍ مخيف جهوري

" اخرسي .. لا اريد ان اسمع لك حرفاً قبل أن آذن لك..لن تخال علي ألاعيب النساء "

اتسعت عينا هاجر بصدمة وهي تتراجع خطوتين مرتعبتين للخلف بينما يتحرك فرقد ليقف بمواجهة أبيه ويفصل الرؤيا بين هاجر من جهة وبين ابيه واخيه من جهة أخرى.. فيسأل الاب بنفس النبرة المخيفة

" من هذه ؟"

فيرد فرقد بشجاعة من يواجه قدره

" إنها ... هاجر الأحمدي ... يا ابي .."

تمتم الاب بصوت خطير

" خطيبتك السابقة ... من العاصمة ؟ "

فيرد فرقد وهو يرفع ذقنه قائلا بتملك

" بل .. زوجتي السابقة ... واريد أعادتها لي.."

صوت تمتمة مصدومة من ناصر " يا الله ....."

تقدم الاب من ابنه ينظر في عينيه وهو يسأل بغضب متفجر رهيب " وهل هكذا تُعاد النساء لرجالهن ؟! تنفردان معاً في بيت واحد دون رباط شرعي ..؟ "

ما زال فرقد صامداً في تقبله لكل ما سيحدث له .. لا هم له الا اخراج هاجر من هذه الورطة التي اقحمها فيها .. يجب ان يخرجها ..

قال معترفاً بذنبه " انا .. اختطفتها.. منذ قرابة الاسبوع من شقتها ورغم ارادتها ..."

اتسعت عينا الاب تشتعل بنار غضب لا قبل لأحد بالسيطرة عليه بينما يكمل فرقد

" خدرتها واختطفتها الى هنا ... حبستها لايام في الغرفة ... وبمفردها .. لم يكن لها إرادة الرفض لما فرضته عليها ..."

كان ناصر من فقد زمام اعصابه ليصرخ في أخيه " لقد جننت يا فرقد .. جننت .."

رفع الاب يده هادراً " صه ....."

ثم انتقلت عيناه بنظراتهما الباردة المخيفة لتلك التي تلتصق بالحائط الآن تنظر اليهم وكأنهم من كوكب آخر جاؤوا ليقتلوها ويمزقون جسدها أربا ...!

بملامحهم الخشنة وطباعهم الجافة ولهجتهم الثقيلة التي تعكس لهجة اهل القرية ..

حتى لهجة فرقد بالرد على اسئلة ابيه أخذت نفس النبرة ونفس الاسلوب في الكلام ..

لم يهتم عبد الجبار برعبها فيسأل بقسوة

" هل انت مخطوفة ام انها لعبة اتفقتما عليها لتبرير فجوركما اذا أكتشف امركما؟!"

انفجر فرقد هادراً

" اي لعبة يا ابي ؟! لا تتهمها في شرفها .. أنا من احضرها هنا عنوة .. واقسم بالله لم ألمسها.. وهاجر لم تكن ستسمح لي ابداً بهذا... انها امرأة حرة عفيفة .."

ما زالت هاجر في رعبها الذي اخرس لسانها فهدر فيها عبد الجبار متجاهلا غضب ولده

" ردي على سؤالي ..."

ارتعد جسدها وهي ترد باختناق " نـ...ـعم .. لكن اقسم بالله .. فقط اطلقوني لأعود لاهلي.. ولن ابلغ الشرطة بل .. لن ابلغ حتى اهلي بما حصل .. سأقنعهم بأي حجة لغياب...ـي... انا .. استطيع اقناعهم ..هم أصلا يظنون اني .. مسافرة ..."

تمتم عبد الجبار باستهانة واشمئزاز

" يظنون؟! ما شاء الله ونعم الاهل ! واين ستقولين انك كنت تقضين الايام السابقة؟!"

تدخل فرقد مرة أخرى وهو يلتفت برأسه لهاجر ينظر الى رعبها فيستشيط غضباً ويأمرها بالقول

" لا اريدك ان تنطقي بكلمة .. لست مجبرة للدفاع او القسم ..."

ثم عاد لينظر لابيه قائلا بتحدٍ

" هي ليس لها اي علاقة بما فعلت .. ولتبلغ الشرطة اذا ارادت لاني اخطأت بحقها وسأتحمل المسؤولية كاملة .. وحدي .."

سأل الأب وعيناه في عيني ابنه ليستشف صدقه من كذبه " هل عاشرتها ؟!"

شهقت هاجر من هول بشاعة السؤال وصراحته بينما يرد فرقد وهو يتفجر غضباً

" قلت لك واقسمت اني لم ألمسها ... لقد كانت زوجتي بحق اللّه .. ولا اريدها الا بالحلال .. كيف تريدني ان أرخصها بهذه الطريقة .. انها .. لا تجوز لي الآن .. العدة انتهت منذ اسبوعين واكثر .."

عندها أفلت زمام غضب مهول وعباءة عبد الجبار الشيخ تسقط أرضا وهو يزيحها عن كتفيه ويرفع كفه لعقاله المتين فوق رأسه فيرفعه وهو يقول من بين اسنانه

" اذن لماذا احضرتها هنا يا قليل الشرف ان لم تكن تراها رخيصة ؟! "

بعقاله ذاك الذي ارتفع للاعلى وهبط بكل قسوة فوق صدر فرقد في جلدة اولى يتلاقاها فرقد راضيا ثابتاً كالصخر بينما يرد بتشبث

" احضرتها لأني اريدها .. ستظل امرأتي .. واريد اقناعها بالعودة .."

ارتفع العقال مع ارتفاع أمواج غضب بدائي قاس وأخذ تنزل الجلدات المتتابعة على صدر فرقد ورقبته وذراعيه وصراخ عبد الجبار يهز أركان الغرفة فيرعب جدرانها كرعب القلوب التي ضمتها

" ايا ايها الخسيس .. عديم الاصل والشرف .. "

يواصل جلده وهاجر تلتصق بالجدار منحشرة الانفاس و تكاد لا تصدق ما تراه عيناها ...

يختض جسدها بعنف وتتصلب ساقاها مكانها في جمود ارتعاب لم يمر يوماً في خاطرها انها ستشعر به ...

يرتفع صوت فرقد بحشرجة ألم لا تخلو من الشجاعة والتحدي " اجلدني ابي .. انا استحق.. اجلدني .. ذنبي كبير .."

يواصل عبد الجبار جلد ولده الاصغر الذي لايفعل شيئا ليحمي حتى جسده

" يا عرة الرجال..... يا عرة الابناء .."

فيرد فرقد وهو ينهت

" استحقها .. لكن لو عاد بي الزمان مرة اخرى فسأكررها .. الامر يفوق قدرتي على .. منعه .. لكن هي .. هي لا ذنب لها الا اني اريدها هي دون كل نساء الارض... "

لم يشعر عبد الجبار الا وهو ينهال بالعقال على جانب وجه فرقد في ضربة هي الاقسى والاقوى لتشق جلده قرب حاجبه وينزف الدم الغزير منه .....

وكأن لون الدم أيقظ هاجر من جمودها ورعبها ... وكأن اللون الاحمر القاني استنفر الدماء في شرايينها ليُحيي فيها جموحها وشجاعتها ..

مشاعر مجنونة انتابتها وهي تهب للامام بخطوات جريئة تقف جوار فرقد تسنده وهي تصرخ في ابيه



" كفى .. كفى ... انه ينزف ... كفى ... الا قلب لك .. كفى .."

جن جنون عبد الجبار فيوقع العقال أرضاً ثم يمد يده لجراب سلاحه يخرجه منه ويسحب مقدمته للخلف كمن يستعد للاطلاق وهو يهدر ويزمجر بنية حقيقية للقتل عبر عنها بوضوح " لاقتلنك بسلاحي هذا يا فاسق واقتلنها قبلك ... ثم ادفنكما في تراب المزرعة القذرة هذه .."

صرخت هاجر بنفس الجرأة " بأي حق تقتله وتقتلني ؟! هل نحن مجرد طيرين او أرنبين ؟! كفى ما فعلته به ... "

عينا عبد الجبار طرفتا ناحية وجه هاجر فيغلي غضبه أكثر وهي تتحداه بهذه الطريقة ..

السلاح مصوب ناحية جبين فرقد الذي يواجه طوفان غضب أبيه فيدفع هاجر خلفه يغطيها بجسده دون ان يبعدها عنه ليهدر فيها وهو يواجه نظرات ابيه " لا تتدخلي أنت ... اخرسي تماماً ولا تنطقي .."

ثم يوجه الكلام لأبيه " اقتلني أبي لا آبه ... لكن هي .. لا احد على وجه الارض سيمس شعرة منها ... حتى أنت أبي ... لن اسمح لك.."

ناصر كان قد تبدلت ملامح الصدمة منذ استوعب فعلة أخيه ليكتسحه شعور بالعار

والغضب جعلته يلتزم الصمت طوال ما يحدث وهو يشعر ان فرقد يستحق المزيد ...

لكن ومع جملة فرقد الاخيرة شعت القساوة من محيا ناصر ليتقدم ويقف في ظهر والده وكأنه يسنده في أي قرار يتخذه ... اما عبد الجبار فلا أحد كان يستطيع التخمين بما يشعره حقيقة هذه اللحظة ...

لا أحد التقط تلك الرجفة الخفية في يده التي تمسك المسدس مصوباً لجبين ولده الاصغر ..

آآاه من ضعف الرجال !

عينا عبد الجبار لا تفارقان عيني فرقد .. الدم يسيل من فوق عينه اليسرى فتزيد نظرته الدفاعية شراسة ووحشية ...

ذكرتاه بعيني أسد التقاه يوماً في رحلة صيد بعيدة في عمق براري غريبة عن موطنه..

ذهب اليها عبد الجبار عندما كان شاباً يافعاً مع بعض الصحبة ... ثم تاه منهم ليصادف ذاك الأسد ... في البداية تأهب لقتاله ثم أكتشف ان الاسد مجروح وينزف.. الدم كان يتدفق من جروح عميقة في جسده الضخم...

وها هو بعد هذه السنوات الطويلة يواجه في عيني أصغر اولاده نفس النظرة التي تزأر.... نفس التحدي .. نفس الاستعداد للهجوم ومواجهة الموت .. نفس الجروح النازفة..

لكن .. هل هذا يكفي ليغسل العار الذي ألحقه به ؟!

شرف عشيرة الشيخ سيتلطخ بالوحل وسيصبحون مثار سخرية كل العشائر..

تمتم الاب أخيراً بنظرة كالصاعقة

" تتحداني يا فرقد ..؟ لاجل امرأة ... تتحدى اباك ؟! وهل تستطيع حقاً منعي عن فعل ما أريد .. ان قررت قتلها او قررت اطلاقها ؟! "

فيرد فرقد بنفس النظرة " انها امرأتي .. مسؤولة مني .. ويجب عليكم تقطيعي إرباً حتى ألفظ آخر انفاسي قبل ان تصلوا اليها "

كان فرقد في حالة جنون والدم يتقاطر من وجهه على صدره فتتلوث بلوزته البيضاء بينما جسد هاجر الملتصق به يرتجف رغم تحفزها الشجاع للقتال والمقاومة ...

يواصل فرقد حمايتها بجسده وعيناه ترقبان اي تحرك مباغت من والده او اخيه ناصر ليسمع صوت والده الخشن يقول بنبرة متوعدة وجدية " هل تظنني سأتراجع ؟! ... بطلقة واحدة في رأسك وانظف شرفي من عار بنوتك .. لكن ماذا سأقول للناس ؟ ماذا سأقول لاهل العشيرة ...؟"

كاد فرقد يفتح فمه ليرد عندما أفلتت هاجر من قيد ذراعه لتقف جوار فرقد مرة اخرى وهي تقول بتحدٍ لعبد الجبار الشيخ



" دعني ارحل وينتهي كل شيء .. لن أخبر اي بشر .. ولن يعرف أحد .. ماذا تريد أكثر من هذا ؟! اي ضمانة تطلبها حتى تضمن سكوتي انا مستعدة لها .. فقط دعنا نوقف ما يحصل "

هتف بها فرقد وهو يسحبها من ذراعها

" هاجر ...! اللعنة الا تستطيعين غلق فمك.."

التفت لابيه فيرى في عينيه نظرة أخافته وغريزياً جذب هاجر ليعيدها خلفه مرة أخرى ثم يقول "دعها تذهب ابي .. وأفعل بي ما شئت.. انا الجاني الوحيد هنا .. فاقتص مني كما تشاء .. ولا احد سيعرف .. فقط .. دعها تغادر .. "

ببطء ونظرة جليدية من الاب أعاد سلاحه لجرابه وعندها انحنى ناصر للارض يلتقط عباءة أبيه ليضعها فوق كتفيه ثم عقاله ليساعده باعادته بهيبة فوق كوفيته...

اخيراً استدار عبد الجبار وهو يقول

" اغلق الباب عليهما بالمفتاح يا ناصر ..."

حالما خرجا وأُغلق عليهما الباب ألتفت فرقد لهاجر بنظرات هائجة انفعالا .. يمسكها من كلتي ذراعيها وهو يقول لها بصوت خافت

" اسمعيني هاجر ... لا وقت لدينا .."

أخذت تهز رأسها ببلاهة وصدرها يعلو ويهبط بينما يواصل فرقد كلامه بنبرة متعجلة

" كوني هادئة وادعي الاستكانة لما سيقوله ويطلبه منك .."

تمتمت اسمه وحالة الرعب تعود للزحف في اوصالها " فرقد .."

هدر فيها وهو يقول بصرامة " اخرسي واسمعيني.. قد يعود ابي في اية لحظة ... يجب ان اخبرك .."

أغمض عينيه للحظات كأنه يجد اقل الكلمات واوضحها وأكثرها تأثيرا ..

بينما هاجر تحدق برعب متزايد في الجرح النازف فوق حاجبه وقد اخذت المنطقة فوق عينه اليسرى تتورم ليخيفها وهو يفتح عينيه فجأة قائلا بتركيز

" طاوعيه في اي شيء يطلبه .. فقط حتى يرضى ونخرج من هنا .. ابي أعند انسان رأيته في حياتي وينفذ الذي في رأسه مهما كان .. وبأي ثمن ... "

ترتجف وهو تهمس بغباء وانفعال في نفس الوقت وكأن قلبها سيتوقف " انت تنزف ... جرحك ....يحتاج للتـ...قطيب .."

كان يتمزق وهو يرى حالتها لكن لا وقت لكل هذا .. يجب ان ينقذها ...

ابتلع ريقه وهو يقول متجاهلا ملاحظتها على جرحه النازف

" عندما يهدأ ابي قليلا سيُخرجنا من هنا ويأخذنا للقرية ليأخذ الضمانات التي يريدها

او ربما ليتأكد من صدق ما قلناه له .. لا يهم أسبابه .. المهم ونحن في الطريق الى هناك انا سأتصرف .."

همست وهي تنظر لآثار العقال على رقبته

" كيف ؟"

رفع يده ليمسك ذقنها ويرفع وجهها لتنظر اليه قائلا بخفوت شديد " سأهربك بنفسي .. لا تخشي شيئا .. سنمر بمنطقة فيها بساتين كثيفة وفي اللحظة المناسبة سأفتح الباب وادفعك لنقع معاً خارج السيارة ... "

دمعة عجيبة هطلت من عينها وهي تنظر اليه فكان عليه ان يجمع كل قوته وثباته حتى لا يجن ويفقد عقله وهو يحتاج لكل عقله وتركيزه الآن ...

مد يده ليمسح تلك الدمعة التي قتلته مضيفاً بصوت متحشرج " انا اعرف هذه البساتين شبرا شبرا ... سأعرف كيف اخرجك منها ومن هناك للطريق العام .. سأجعلك تركبين احدى السيارات الناقلة التي تعيدك للعاصمة.. ستكونين في شقتك الليلة اذا كنتِ قوية كما أعرفك وفعلتِ ما أطلبه منك بشجاعتك التي أثق بها .. "

كان يؤمن بما يقوله عنها .. وايمانه هذا منحها دفق وهاج من القوة ...

رمشت ثم نظرت ناحية الباب لتعود وتنظر اليه هامسة بجدية " وانت ؟"

أطرق بنظراته وهو يقول بلامبالاة " لا تقلقي بشأني .. ابي .. لن يؤذيني .. انا اظل ولده .."

عقدت حاجبيها وهي تهمس بانفعال

" انت تكذب علي .. انه سيؤذيك وربما سـ..."

قاطعها وهو يضع يده على فمها " هاجر ... اصمتي الآن .. لا تتكلمي كثيراً.. ونفذي ما اتفقنا عليه ..."

غامت عيناها وهي تحدق فيه لتقول بصوت حزين على نحو مبهم " ألم أقل لك يا فرقد .. الأمر بيننا لم يعد ينفع ... لم يعد ...!"

ارتجفت عضلة في خده لكنه لم يرد بشيء..

في الباحة الامامية كان عبد الجبار الشيخ يقف ساكناً كصخرة جلمود عصية ...

يراقب قرص الشمس المشرق بأنفة وشموخ ..

يقف جواره ولده الاكبر ناصر الذي كان بقمة التوتر رغم هدوئه الظاهري...

طال صمت والده فلم يحتمل ناصر ليسأله

" ماذا سنفعل ابي ؟"

رد الاب " اتصل بعبد الملك ..."

ارتفع حاجبا ناصر متسائلا بدهشة

" عبد الملك ؟! لماذا عبد الملك ؟"

فيرد عبد الجبار الشيخ بنفس التجهم الشامخ

" لاني أثق بكتمانه لما سيراه هنا .. أما اخوتك فلا اضمن سكوتهم مع حشرية نسائهم .."

عقد ناصر حاجبيه وهو يسأل

" ماذا تنوي يا ابي ..؟ ماذا يدور بخلدك ؟"

باقتضاب شديد رد الأب " اتصل ولا تجادل ..."

أطاع ناصر وبينما يجري الاتصال ألتمعت عينا عبد الجبار بفكرة ما ليضيف

" اخبره ان يحضر معه الحاج عبد القدوس ..."

الهاتف على أذن ناصر والاتصال مستمر دون رد من عبد الملك بينما ينظر ناصر لابيه بتفاجؤ ليقول بتساؤل واستدراك في نفس الوقت

" الحاج عبد القدوس ؟! هل تريد ان ..."

يقاطعه عبد الجبار بالقول الصارم" نفذ ناصر"

لكن ناصر يوضح لابيه

" لكنه لم يعد يعمل كمأ.."

يقاطعه عبد الجبار بحدة اكبر هذه المرة

" قلت لك نفذ فقط ..."

انفتح الخط مع الاتصال الثاني ليأتي صوت عبد الملك ناعساً وهو يقول " مرحباً يا ابن العم .. عساه خيراً اتصالك المبكر هذا.."

عندها قال ناصر وعيناه في عيني ابيه

" ركز معي يا عبد الملك .. انها اوامر الشيخ.. ويريدها ان تُنفذ في الحال ..."

أخذ منها المنشفة الجديدة النظيفة بضيق ليضغط بها فوق جرحه النازف بينما يسلمها المنشفة الملوثة بالدم والتي سبق واعطته اياها ثم قال بقلق متفاقم

" لماذا تأخر أبي كل هذا ؟! ومن أتى ؟ أكاد اجزم ان سيارة أخرى دخلت المزرعة .."

وضعت هاجر المنشفة الملوثة جانباً بينما تحرك فرقد ناحية الشباك علّه يستمع لشيء بينما يمسك صدره بيده الحرة وهو يكتم أنين توجع ..

فجأة أخذت هاجر تضحك !

التفت اليها فرقد وهو يراها تقف وسط الغرفة تضحك بطريقة مؤلمة وعيناها تدمعان

فيسألها وهو يعبس من الآلام التي بدأت تزداد عليه من اثار الجلد في جسده " ما الذي يضحكك هكذا؟!"

تختنق بضحكتها الغريبة تلك لترد عليه

" انك تجرب شعوري عندما تكون مسلوب الارادة ومسجون بين أربعة جدران ..."

ابتلع ريقه وهو يقترب منها ويقول

" لاتضحكي الآن ارجوك .. اذا جاء ابي وسمعك ..فلن يصدقنا ابدا ..."

نظرت اليه نظرة لن ينساها طوال حياته

" وهل سيتغير شيء ؟! انه ينظر الي برخص منذ اعلمته بهويتي واسمي.. ام تظنني لم ألحظ هذا ؟.."

كان يطبق فكيه بعنف وشعور بالذنب يقتله.. يا الهي .. هل يستطيع ان ينكر ؟!

انفتح الباب فتشتت تركيز فرقد وهو يلتفت ليرى والده يدخل بقساوة تعابيره وكأنه قُدّ من حجر ! يتبعه اخوه ناصر بوجه متجهم غير راض ...

رمى فرقد المنشفة أرضا ثم تحرك غريزياً ليقف امام هاجر ونظراته تنتقل بين والده واخيه بتأهب كامل..

ابتدأ عبد الجبار الكلام قائلا " ابن عمك عبد الملك في الخارج .."

ضيّق فرقد عينيه وهو يعقد حاجبيه وعقله يحاول تخمين الاسباب ...

لم يخطر بباله ان والده سيحضر اي انسان ليكتشف ما حصل هنا ...

تمتم فرقد بتوتر غاضب

" عبد الملك ؟! وما دخله فيما نحن فيه ؟"

يشعر فرقد بتوتر هاجر خلفه وهي تهمس اسمه كأنها تستنجد به ...

بنفس الملامح القاسية يرد عبد الجبار الشيخ على ولده " ليس عبد الملك فقط وانما معه الحاج عبد القدوس ...."

اتسعت عينا فرقد حتى آخرهما وادرك في لحظة ما ينتويه والده فقال بانفاس هادرة والكلمات تتكسر على شفتيه من فرط الغضب

" لن تزوجني اياها بهذه الطريقة .. لقد وعدتها ان اتزوجها برضاها واختيارها .. هذا حقها علي .. بل أقل حق اقدمه لها بعد كل ما فعلته معها ... "

وكأن الشيخ عبد الجبار لم يسمع كلمة مما قالها فرقد ليقول بنبرة قاطعة وكأنه قرار نفذ ولا تراجع فيه " سنعقد قرانكما هنا .. قبل ان تطأ قدمها خارج المزرعة .. ثم ستذهب لبيت اختك نسرين تقضي هناك اسبوعاً كاملا نعلن فيه عن زفافكما المرتقب... "

هتف فرقد باذلاً كل طاقته للسيطرة على غضبه " هذا لن يحصل .. ليس دون رضاها .. لن يحصل.. ابي .. هذا زواج غصب ؟"

عندما رفع عبد الجبار نظراته لما فوق كتف ابنه لينظر لتلك المرأة ذات الجمال الخلاب والشعر المائل لحمرة مميزة فيقول ببرود

" لا ضمانة غير هذا .. لا اثق بأي منكما .."

فيحاجحه فرقد وهو يحاول ان يكون مقنعاً

" ستكتب ورقة .. بأي تعهد تريده .. انها كانت هنا بإرادتها .."

بنفس البرود يرد عبد الجبار " التعهد غير كافٍ .. ستدعي انها كتبته تحت الضغط والتهديد .. وامرأة قوية مثلها ستفعلها دون خوف من شيء ... لذلك .. لا ضمانة الا عقد قران الآن ثم حفل زفاف بعد اسبوع يتحاكى به اهل قرية الشيوخ لاشهر قادمة ..."

فقد فرقد سيطرته بالكامل ليهدر بشراسة

" بل هناك ضمانة افضل .. تبرأ مني ..
وعندها حتى اذا شكتني للشرطة فاعلن
للعشيرة انك بريء مني ... او .. حتى اقتلني
اذا شئت .. لا يهم .. اي ضمانة خذها مني انا
واتركها هي لحالها ..."

تعابير مخيفة اكتسحت وجه الاب وعيناه
تلتقطان عيني هاجر من فوق كتف فرقد
فيقول وكأنه يوجه رسالة واضحة لها هي
تحديداً " لن أنكس رؤوس اهل العشيرة
بفعلتك المجنونة هذه يا فرقد التي أكاد لا
اصدقها حتى اللحظة .. والواقع لا يهمني
صدق قصة الاختطاف الآن ... كل ما يهمني
اني لن أكسر هامة أمك امام نساء القرية

وهي تفاخر باولادها ... لن أمرغ أنوف اخوتك
الرجال في وحل الفضيحة ... هذا هو كل ما
يمنعني من قتلك واياها .... ها هنا ..."

ثم وجه كلامه مباشرة لهاجر وهو يقول
بقسوة مفرطة

" اختاري ... اما تزفين لفرقد حتى امنحك
حرية العودة لمدينتك وتجدان بعيدا عنا
حلا لوضعكما .. او ... تُدفنين هنا .. معه ...
ولن يعلم بكما أحد .. وسأقول ولدي سافر
وهجرنا ..."

لم يصدق فرقد وهو يسمع هاجر تتمتم بنبرة
كمن يرتضي الموت " انا موافقة ..."

صرخة فرقد علت وهو يستدير اليها " لا ..."

امسكها من ذراعيها دون ان يشعر وهو يحدق بوجهها الشاحب كشحوب الموت وملامحها الناضحة بالهدوء القاتل فيصرخ فيها

" لا هاجر .. لا تستسلمي هكذا .. انت لم ترتكبي إثما لتدفعي ثمناً كهذا .."

فهمست وهي تنظر لعينيه " بل هو أثم ولادتي من البدأ يا فرقد ..."

يهز رأسه برفض والعجز يقتله ويثير جنونه ...

ماذا يستطيع ان يفعل ...؟

وجودها معه يضعفه امامهم ويجعله غير قادر على التصرف كما يرغب ويشاء ...

والده لن يتوانى عن قتلها امام ناظريه ...

أضافت هاجر وهي ما زالت تنظر اليه

" دعني أتخذ قراراتي بنفسي .. يكفي كل ما حصل .. دعني أواجه مصيري وخياراتي... (المتاحة).. بنفسي ..."

أغمض عينيه وهو يتقطع من الداخل بينما تنقل هي نظراتها من وجه فرقد لوجهي أبيه وأخيه القاسيين قائلة بشموخ " انا راضية ... "

بعد نصف ساعة ..

عيناه لا تفارقان وجهها الباهت التعابير بينما ترد على الحاج عبد القدوس بالقبول ...

هل فكر للحظة انه سيكون تعيساً لهذه الدرجة عندما تعود هاجر زوجته ؟!

أخذ يردد في سره " تعساً لك يا فرقد .. تعساً لك ولجنونك الذي اوصلك لكل هذا.."

أطرق فرقد بنظراته للارض ويداه تتقبضان....

ولم يشعر الا بيد على كتفه وصوت عبد الملك يقول له " مبارك لك يا ابن العم.."

رفع فرقد عينيه لعيني ابن عمه الذي يقف جواره وكان شاهداً على عقد الزواج مع اخيه ناصر ....

وجد في عينيه بعض المؤازرة وكثير من التفهم .. لكن فرقد رفض كل هذا لانه .. لا يستحق !

لا يستحق مؤازرة ولا يستحق تفهماً..

الذنب يقتله ... حول نظراته لهاجر فجزع قلبه جزعاً ... بالعباءة السوداء التي ارتدتها فوق جلبابها والوشاح الاسود الذي لفته حول وجهها لتخفي شعرها بدت ... له قمة في الحزن والكبرياء .... تناضل لاجل كرامتها وسط رجال غرباء عنها ... وسط بيئة اغرب ...

لاول مرة ينظر الى هذا الجانب منها ...

لاول مرة يفكر ان لا سند لها في يوم كهذا..

ليته بقادر على اختطافها من جديد لكن ليعيدها هذه المرة الى بيتها ...

وربما سيعيدها لعمها ليصرخ فيه ان يضعها بين رموش عينيه ويدللها كل الدلال الذي تستحقه...

لاول مرة يشعر .... انه غريب معها ...!

ويال قسوة الغربة ..

ويال مقاومتها الشجاعة وهي ترفضها..

اقترب عبد الجبار الشيخ من الحاج عبد القدوس الذي يناهزه عمراً ورافقه طيلة حياته ليشكره بتمتمات خافته بينما يرافقه ليغادر وهو يطلب من ناصر ايصاله لبيته ثم العودة اليه في المزرعة ...

وقف فرقد على قدميه ليقترب أكثر من هاجر بينما ينسحب عبد الملك تاركاً لهما بضع دقائق او ربما لحظات فقط من الخلوة ...

يبتلع فرقد ريقه بصعوبة وكأنه يبتلع احجار مسننة ثم يهمس لرأسها المطرق

" عبد الملك ابن عمي وزوج اختي نسرين .. هو رجل نشمي وقلبه كبير .. ستكونين مرتاحة في بيته..."

لم ترد عليه وهو يصارع جنونه حتى لا يفقد السيطرة ويسحبها اليه يخفيها عن كل هذا الذي يعذبها ... يؤلمها .. يُهينها !

تتجرح الحروف وهي تخرج من فمه

" سأساعدك في حزم كل اغراضك .. "

اخيراً نطقت بهمس يقطع نياط القلب

" ألن .. تأتي معي ؟! انا .. انا خاااا...ئفة .."

انهار جاثياً على ركبتيه امامها يكاد يختنق من لوعته لكنه لا يقوى حتى على لمسها ..

ربااااه .. كل هذا الشوق الجارف اليها .. لاشهر وهو يشتاقها ويعاف كل النساء لاجل هواها.. يشتاق جلدها ليلمسه .. عطرها ليشمه.. فمها ليذوق طعم السكاكر فيه .. انفاسها ليتنفسها ويملأ بها رئتيه ..

كل هذا الشوق والعشق أغلق عليه بألف باب وباب حالما عادت حلاله قبل لحظات !

لم يكن برضاها ... لم يكن ابدا برضاها...

بل اجبار مكلل بالهوان والاستصغار والغربة..

قال وهو يعافر حتى لا يظهر انكساره لانكسارها هذا " وحق ربنا المعبود سأظل لآخر حياتي سندك وظهرك وحمايتك .. حتى لو نبذتني مئة مرة فلن تردعيني .."

اخذت ترتعش دون ان ترفع نظراتها اليه فأخذ يكز على اسنانه ورغبة مجنونة تدفعه لتحطيم كل شيء حوله ...

صوت عبد الجبار الخشن قطع عليه جنون أفكاره وهو يقول " عبد الملك ينتظر..."

التفت فرقد ينظر بشراسة لوالده بينما يدخل عبد الملك للتو بهدوء ملامحه التي لا تخلو من الخشونة ...

هدر فرقد وهو يهب ليقف على قدميه

" هاجر لن تذهب بدوني الى اي مكان .. انها زوجتي الآن ...انها لا تعرف أيا منكم .. "

الاب لا يحرك ساكناً لمعاناة ولده ولا معاناة من اصبحت زوجة ولده للتو ،



فيتدخل عبد الملك وهو يقول بنبرة ثابتة

" ثق بي يا ابن العم وأطع الشيخ ... ستكون .. زوجتك .. بأمان في بيتي .. معززة مكرمة وكأنها في بيت أبيها ... حتى موعد الزفاف .."

يغلي فرقد غلياناً رهيباً وعيناه لا تفارقان وجه والده ليقول الاب بنبرة أثارت عجب عبد الملك " دعها تذهب مع ابن عمك .. لا تخف عليها .. انظر اليها ... انها تستطيع القتال بشراسة .."

ارتفع حاجبا عبد الملك ... لا يمكن أنه اخطأ نبرة الاعجاب المبطن في كلام عمه ! بينما يرفع فرقد قبضته في توتر وهو يهدر

" اعلم انها مقاتلة لا يستهان بها لكنها لن تستطيع مقارعة جبروت رجال اشداء في بيئة قاسية وعرة كبيئتنا ، غريبة عنها تماماً.."

تدخل عبد الملك ليقول بتباسط " وحد الله يا رجل ! اي قتال واي رجال اشداء ؟! انها ستكون في بيتي يا ابن العم .. وما دامت هناك هي في حمايتي شخصياً .. وهذا اتفاقي مع الشيخ ..."

جاء صوت هاجر وهي تقف على قدميها لتقول بنبرة شجاعة " سأحزم حاجياتي وأكون مستعدة خلال ربع ساعة .."

أخذت تلملم حاجياتها وفرقد ينظر اليها ويكاد يلكم الجدران بقبضتيه ...

ثم يخطو نحو عبد الملك قبل ان يغادر الغرفة فيقول له بانفاس لاهثة انفعالا دون ان يبالي لوجود ابيه " انها أغلى ما عندي .. وهي برقبتك حتى استلمها منك بنفسي .. اياك يا عبدالملك ان تفرط فيها لأحد .."

ثم يمنح أباه نظرة تحدٍ ويكرر مؤكداً

" لا احد سواي .."

رد عبد الملك وعيناه تطرفان لعمه

" أمرك ..."

ثم يلتفت ليغادر بينما عبد الجبار يخطو حتى شباك الغرفة يحدق عبره ويقلب نظراته في المكان بصمت ... يلحظ فرشة ولده ووساداته كما اخبره انه قضى ليلته نائما في العراء ...

لكنه في الواقع كان يبحث قربها !

ينام جوار شباكها ... اي مجنون أنجب ؟!

لم يهتم فرقد لوقوف والده فيتجاهله تماماً وهو يعود باهتمامه لهاجر يساعدها بلملمة حاجياتها بصمت ... جسده يرتجف غضباً وعجزاً وهو يحضر لها اغراضها من الحمام ...

اما هاجر فتلتزم الصمت لكن نيران القهر وخنقة الخوف تتآكلها من الداخل ...

تطوي ملابسها وتضعها بالحقيبة وهي تقاوم الانهيار ... وكأنها في حلم طويل شاق منهك تسير في درب غير مأهول ولا مألوف ..

تدعي امام الجميع الشجاعة والصمود لكنها.. اضعف بكثير من هذا الذي تواجهه ..

هل تحقد على فرقد لانه السبب ؟

ام تحقد على نفسها لانها كانت السبب ؟

ام ربما تحقد على ابيها وامها لانهما حقاً من كانا السبب !

من كان السبب لتصل بمحطات حياتها الى هنا.. اهانة .. ذل .. غربة ...

يداها ترتعشان فيقول فرقد بخشونة

" اتركي الباقي لي .. "

وتركته .. تركته يفعل ما يشاء ثم تبعت خطواته وهو يحمل لها حقيبتها وقبل ان تخرج من باب الغرفة عادت مهرولة بشكل مفاجئ لتحمل قفص الصيصان معها ثم .. تغادر ..

تتحرك سيارة عبد الملك للخلف وهاجر تجلس جواره وفرقد يده على شباكها ويسير بخطواته بموازاة سيارة ابن عمه وعيناه تلتهمان كل تفاصيل وجهها الشاحب ...

قال اخيراً قبل ان يفلت يده عن زجاج النافذة

" لا تخافي ابداً .. أنا سأكون قريباً منك حتى لو لم تريني ..."

تهز رأسها وآخر ما رآه منها دموع الخوف التي سالت على خدها وكأنها سالت في جوفه هو كسيول البراكين التي تحفر وتحرق الوديان..



اختفت سيارة عبد الملك من امام ناظريه مع دخول سيارة اخيه ناصر وقد عاد من ايصال الحاج عبد القدوس ...

التفت فرقد متجاهلا عن حقد اخيه ناصر ليوجه كلامه لابيه قائلا بتصلب

" ماذا الآن ؟ الى اين ستأخذني وقد كبّلت ذراعي بها..!"

رد الاب " الى ... الاسطبل القديم ..."

ابتسم فرقد بجفاف وهو يقول ساخراً

" هل ستسجنني كما كنت تفعل معي وانا مراهق مجنون لا أكف عن عصيان اوامرك ؟"

هدر به ناصر وقد فاض كيله " اي وقاحة يا ابن الشيخ ! بعد كل هذا الذي فعلته لك الجرأة لتتكلم مع والدك هكذا؟! "

تقدم فرقد من والده وهو لا يرد على غضب اخيه بل تشتعل عيناه بعنف ما يقوله

" ان حصل لهاجر اي شيء يا ابي .. فلن اسامحك لآخر العمر..."

يضيق عبد الجبار عينيه بغموض وهو ينظر في عمق عيني فرقد الذي يضيف بنفس النبرة والنظرات " الا هي .. يكفيها ما نالت مني ، انا ظلمتها مرتين .. ظلمتها بالطلاق دون رحمة وظلمتها عندما احضرتها هنا عنوة .. لو كنتَ عادلاً حقاً اطلقها ابي .. أطلقها الآن ..

أطلقها وأرحها من المزيد من المعاناة ببقائها هنا مرغمة .."

اكتفى الاب بنظرة باردة لا حياة فيها بينما يقول " اركب سيارة اخيك ... لنغادر هذه المزرعة المشؤومة .."

العاصمة

بيت هيثم الجراح..صباحاً

دخل هيثم غرفة الطعام ليرى شهرزاد تطعم ابنهما صقر الجالس في كرسيه الخاص للطعام..

ألقى تحية الصباح بصوت خافت وعيناه تمشطانها بانزعاج في نظرة تقيمية لما تلبسه بنطال جينز انيق وبلوزة خريفية جذابة بينما ترفع شعرها في ذيل حصان طويل ...

لقد بدت كفتاة لا تتجاوز العشرين بهذا القد الصغير الجذاب والملابس المختلفة التي ترتديها لتذهب بها الى ... العمل !

تصلبت عضلات وجهه وهو يسبل اهدابه مخفياً غيرة تحرقه بينما يسمعها ترد تحيته بهدوء ..

كل شيء بينهما هادئ .. فقط هادئ ..

لا يستطيع وصفه بالبارد على الاطلاق ولا حتى ان يسبغ عليه الجفاء ..

انه هدوء تام .. ترقب .. انتظار لمجهول ...

هي تتجنب التعاطي معه وهو لا يفتأ يتابعها بعينيه يراقبها بقلبه يقيم تصرفاتها بعقله ..

نعم انه يثق بها .. رغم الغيرة المشتعلة التي تبقيه ساهراً لساعات طوال كل ليلة الا انه .. يثق في عمقه ...

عقله يخبره على الدوام ان من المستحيل ان تخونه كما فعل هو معها ..

لكن ... عقله وقلبه عاجزان تماماً عن اعطائه الرد الذي يبغيه ..

هل يمكن ان ترحل شهرزاد وتتركه الى الابد هذه المرة ؟!

جلس على كرسيه والخادمة تقترب لتصب له الشاي فيصرفها ليتولى المهمة بنفسه بينما يقول لزوجته بنبرة تفيض غيرة لا يخفيها

" هل ستذهبين للعمل بهذه الملابس ؟!"

حولت نظراتها من ولدها لزوجها فينظر اليها هيثم بنفس اللحظة يغمرها بنظراته الزرقاء المشعة بالغيرة والرغبة فيها فترد على سؤاله ببعض الارتعاش

" لن اذهب اليوم .. أخذت اجازة ؟ "

يظل ينظر في عينيها فينبض قلبه شوقاً ..

فيتذكر كلمات سمارا ...

(" النساء احياناً يحتجن الى دلال مضاعف .. دللها... اصبر عليها... تجاهل نوبات شكوكها حتى تخفت بمرور الزمن .. ")

لم يشعر الا وهو يستجيب فيمد يده.. اصابعه تلتف حول ذراعها تشدها بتطلب نحوه وهو يهمس بصوت أجش " اقتربي .. "

للحظة يفيض من عينيها تساؤل أعمق من ان يقوله لسانها لكنها تستجيب وهي تقف على قدميها لتتقدم نحوه ثم تشهق بمفاجأة وهو يشدها لتجلس في حجره ، تلتف ذراعه حول خصرها ويقترب بوجهه يداعب بأنفه خدها هامساً

" اعتذر لخشونتي معك قبل يومين .."

تطرق برأسها وعيناه تسرحان ناحية الباب حرجاً من دخول غير متوقع للخادمة بينما ولدهما صقر يعبث بطعامه لاهياً عنهما ...

همست أخيراً وجلدها يقشعر تأثرا من ملامسة شفتيه لعنقها " لا بأس ... هل .. استطيع الوقوف الآن .."

لكنه يثبتها مكانها يمنعها الوقوف ليواصل غزله المفاجئ هذا " لا تبدين بهذه الملابس بأكبر من شهرزاد ذات السبعة عشرة ربيعاً زاهياً .. تقفين على السور في مضمار الخيل تراقبيني وانا اعدو على حصاني ... هل تذكرين ؟"

اصابعها ارتفعت رغم ارادتها لتلامس كتفه وكأن حواسها تشتاق وصاله ..

فقط ان تكون قريبة هكذا مطمئنة في أمان دلاله وهيامه بها .. الاحساس وحده ثمين جداً.. وتحتاجه جداً جداً ..

همست تصارحه وانفاسها تتسارع

" كنت أكثر رجل مؤثر في حياتي .. بل الرجل الوحيد .. كنت اشعر.. ان .. ساقيّ لا تحملاني في كل مرة تنظر فيها الي بعينيك الزرقاوين .. لكن لا بد انك كنت تعرف .. فأنا لم أكن الا مراهقة متيمة مفضوحة المشاعر وانت تتسلى بعشقها وهيامها فيك .."

يرتد رأس هيثم للخلف في ضحكة مغرورة محببة تليق به وتزيده جاذبية ...

ليقول بعدها بمزيد من الغزل الذي يطفح من عينيه " ماذا ان اخبرتك ان رؤيتك لم تكن مسلية قدر ما كانت منعشة مبهجة .. انت كائن خلاب يا شهرزاد .. منذ طفولتك رأيتك هكذا .. كائن خلاب .. روحاً وعاطفة وكياناً ضئيلا مغرياً كهذا .. "

كلاهما استرخى في حضن الآخر وكأنهما يتناغمان بمشاعر حلوة جمعتهما يوماً ويحاولان سوياً التشبث بها ولو بشكل مؤقت .. وكأنهما يحاولان ايجاد منطقة آمنة يلتقيان فيها وسط العواصف التي تهب على علاقتهما..

فجأة وهي تستريح برأسها على صدره قالت

" ماذا ارادت منك.... نورا ؟ اريد ان .. اعرف.."

تصلب للحظة فتصلبت هي في المقابل ..

ودون شعوره شدد من ضغط ذراعه حولها ويده الاخرى تمسك بكفها المتقلص على صدره وهو يقول بنبرة ثابتة " يكفي ان تعرفي انك اذا رأيتها يوماً صدفة فلا تستحق منك حتى نظرة عطف ترمينها لكلب أجرب .."

اصابعها تتقلص أكثر بين اصابعه وهي تسأل بشكل مباشر " ما زالت تريدك ؟"

كلمة واحدة خرجت من بين شفتيه " نعم ..."

هذه المرة رفعت وجهها اليه .. انفاسها تلفح وجهه بشكل مباشر وهي تسأله بعينيها البراقتين البريئتين " وانت ...؟"

نظراته ترسم محياها .. رغم البراءة الطبيعية التي تفوح منها كعطر يخصها وحدها الا ان تعابيرها غامضة ولا يعرف لماذا ؟!

هل هي تتعمد الغموض ام انها مشوشة نحوه كما هو مشوش نحوها فيرد بصدق على سؤالها

" انا لا اريد حتى ان (اريدها) ... ولا اريد ان (اريد غيرها) .. اريد أن اكمل عمري معك وحدك واريد ان اموت بين ذراعيك وأنا انظر لعينيك هاتين .. "

تدمع عيناها قليلا قبل ان تهمس له ببساطة

" شكراً للرد ..."

ثم تتسلل من بين ذراعيه لتفارق احضانه وهي تقول بنبرتها الغامضة

" سأقضي النهار مع صقر ثم .. اذهب عصراً لمشوار مهم .. لا تقلق علي اذا تأخرت او وجدت هاتفي مغلقاً لبعض الوقت .."

تبتعد عنه ناحية صقر بينما يعبس هو ويمنع نفسه بمشقة ان يطالبها الاجابة عن السؤال القلق الشكوك (الى اين ستذهبين؟)



الجمرة الخامسة عشرة

مؤسسة هيثم الجراح

مقهى المؤسسة

يجلس منذر على الطاولة التي طالما تشاركها معها فيشعر وكأنه مضى زمن طويل منذ آخر مرة.. بل وكأن حياة كاملة مضت ...!

هل حقاً مضى اسبوع واحد ؟! بضعة ايام طويلة مرهقة غريبة !

هذا الصباح استيقظ وكانت صورة هاجر اول خيال يطوف برأسه ...

فيمعن النظر في ذاك الخيال ولعجبه يرى هاجر لاول مرة بشعرها الاحمر الناري الطويل كما كانت عندما التقاها به لاول مرة ...

يعبس وهو يقارنها بصورتها اللاحقة ...

انه ليس مجرد تقصير شعر وتغيير لونه ..

لقد كانت تتخفى !

تتخفى من نفسها الاولى وترفضها ...

ربما ترفض فعلتها المخزية وتنكرها ..

في كل الاحوال لقد وصل لقناعة جديدة ..

لا يستطيع القول انه لم يعرف هاجر .. بل يكاد يجزم انه اقترب من أصدق واجمل

احلامها .. لقد لمس فيها شيئا مهماً وكان يوشك ان يحققه لها ...

هاجر .. المراهقة الرومانسية ذات الاحلام ..

التي ارادت ان تعيش قصة حب حقيقية معه..

وهذا اكثر ما لمسه فيها ويشعر انه حقاً اول رجل يلمس هذا الجانب الخجول العاطفي فيها..

لكن في المقابل .. هاجر .. امرأة ...!

امرأة ...عطشى.. جوعى.. جامحة العواطف دون حدود... نارية الهوى دون إطفاء ...

انها تحتاج دوماً للسيطرة ...

تحتاج ليد من حديد وذهن متأهب جامح مثلها ليجيد محاوطتها و... ترويضها !

ازداد عبوس منذر وهو لا يصدق الى اي منطقة غريبة وصل اليها في تفكيره عن هاجر ..

نعم .. غريبة .. ويشعر فيها بالاغتراب التام..

لم يفكر يوماً بنفسه انه يروض امرأة ..

لا يحب التعبير .. ولا يحب الوصف ...

ليس هذا ما تبتغيه رجولته من امرأة يهواها...

فهل سيستطيع ان يغير هذا الامر فيه ليتعامل مع شخصية صعبة كهاجر ؟!

ترا ... كيف سيشعر عندما يراها من جديد ؟

" مرحباً منذر .. هل تسمح لي بمشاركتك شرب القهوة .."

رفع منذر رأسه فرآى السيد طاهر يقف قريباً ويحمل معه فنجان قهوته ...

رد منذر ببعض الحرج وهو يتذكر لقاءهما الاخير

" اهلا سيد طاهر .. مؤكد .. تفضل .."

حالما جلس السيد طاهر بسماته الهادئة ليبدأ بارتشاف قهوته قال منذر وحرجه يزداد

" اردت ان .. اعتذر منك لتجاوزي حدود الكلام .. في اخر مرة التقينا .. في بيتك.."

يتبسم طاهر وهو يتقبل اعتذاره " لا بأس .. انا اقدر ايضا وضعك .."

راقب طاهر وجه منذر .. رغم حرجه الواضح الا ان فيه شيء تغير .. وكأنه استعاد هدوءه .. بل وكأنه اهدأ من اي وقت رآه فيه ...

ربما لان منذر من الرجال الذين فيهم بعض الغرور فيطغى على صفاته الاخرى ..

فهل كسرت هاجر غرور الرجل فيه ام جعلت نظرته للحياة اكثر نضجاً وواقعية ؟

عبر طاهر عن بعض افكاره وهو يقول

" تبدو لي استعدت هدوءك الآن.. انا سعيد لهذا .. الانسان عندما يهدأ تتضح له امورا كثيرة ويستطيع التفكير فيها بمنطقية اكثر .."

اكتفى منذر بالابتسام وهو يسأله بصوت أجش " هل وصلك اي خبر منها ..؟ "

هز طاهر رأسها نافياً بالقول " لا .. للاسف ..."

فعبس منذر عفوياً وهو يتساءل

" لقد طال غيابها الا تظن ..؟"

فرد طاهر بصدق وتفكير عميق استغرقه طوال الايام الماضية

" بل طال انقطاعها .. لكني لا استطيع وضع تصور لحالتها .. دوما كانت هاجر .. شديدة التعقيد ان صح الوصف .."

شردت نظرات منذر والتزم الصمت فضيق طاهر عينيه ليسأله بنبرة عملية

" هل اتخذت قراراً تريد ان تبلغني عنه؟"

فواجهه منذر عندها بنظرات مباشرة هادئة صريحة قائلا

" احتاج رؤيتها .. يجب ان نتكلم انا وهي قبل ان نقرر خطوتنا التالية ..."

تمتم طاهر برضا " هذا جيد ..."

رن هاتف منذر فالتقطه ليفتح الخط وهو يقول للسيد طاهر " عن اذنك ..."

اكتفى طاهر بهزة من رأسه وهو يرتشف قهوته يفكر بهاجر من جديد بينما يسمع منذر يرد ببعض الانفعال على من اتصل به

" مرحباً موريس ..ماذا ؟! قسم الشرطة ؟ رباه.. انا قادم حالا .."



أغلق منذر الخط وهو يقف على قدميه بتوتر ..

جذب نظر طاهر لمعة غضب واضحة في عينيه فسأله " هل هناك شيء بني ؟"

وضع منذر هاتفه في جيبه بينما يقول بنفس التوتر وبعض شحنات الغضب تتقافز من نبراته

" انه صديق قديم منذ ايام الجامعة .. هو في مشكلة .. ويجب ان اذهب اليه .."

ثم تحرك منذر وهو ينسحب قائلا

" عن اذنك سيد طاهر .."

تمتم طاهر ببعض العجب " في امان اللّه.. أراك لاحقاً .."

يرتشف طاهر اخر ما في قهوته بينما ينتابه قليل من الفضول لغضب منذر الغريب!

مركز الشرطة

امام مكتب ضابط الشرطة الذي بدأ يشعر بالملل من الفتاة والشاب معاً بينما يرتشف من كوب شايه بينما الفتاة تهدر مهددة الشاب

" اقسم باللّه يا عدي لادخلنك السجن هذه المرة .."

فيرد عليها عدي في وقفته الساخرة المستفزة قبالتها مدعياً البراءة قائلا



" ماذا فعلت لك ؟ لقد القيت السلام وسط الشارع .. ودافعت عنك ضد من تحرش بك.."

فتصرخ دينا وعيناها الغاضبتان على وسعهما

" ايها الكاذب الحقير .. لقد أثرت فضيحة لي بالشارع .. وليس هناك متحرش سافل سواك.. والرجل المسكين الذي ضربته هو من كان يدافع عني ضدك .."

فيتحداها عدي بسفالة ونبرة متلاعبة

" الرجل المسكين كما تصفينه ولى هارباً .. فأثبتِ كلامك ان استطعتِ "

ضرب الضابط بيده على سطح مكتبه الباهت هادراً بهما معاً " هلا توقفتا كليكما ..رأسي تصدعت بكل هذا الشجار الكلامي منكما وانا لم أفهم كلمة واحدة حتى اللحظة .."

ثم أشار بسبابته لدينا قائلا " تكلمي انت .."

ثم يحول الضابط كل انتباهه الى شطيرة مما يباع في العربات المتنقلة على ناصية الشارع فيبدأ بالتهامها والدهن يقطر منها على سطح مكتبه ..

يبتسم عدي بحقارة في وجهها بينما يدعي الشكوى وهو يقول متظلماً

" هذا ليس عدلا ايها الضابط ..لماذا تستمع اليها أولا ؟! ثم انها ابنة الجيران القدامى وكانت في حكم خطيبتي قبل ان تفرقنا الاهواء .."

اوشكت دينا ان تفقد عقلها من شدة الغضب فعادت لتصرخ فيه وهي تعدل من حجابها حول وجهها المحمر انفعالا " قطع اللّه لسانك لم أكن يوماً خطيبتك ولا اي اهواء بيننا .."

ثم التفتت ناحية الضابط المنشغل بالتهام شطيرته وكأنه لم يأكل منذ ايام لتتماسك وهي تقول بنبرة واضحة هادئة قدر المستطاع " ايها الضابط اريد ان اتقدم بدعوة تحرش وتعرض لي وسط الشارع ضد عدي شكري.. "

فيرفع عدي كفاه للاعلى في حركة (براءة) بينما يقول " انا لم ألمس الا ذراعها .. وكنت اوقفها فحسب حتى لا تؤذي نفسها .. ظننتها تتعثر وتوشك ان تقع أرضا .."

فقدت اعصابها مرة اخرى لتصرخ فيه

" كاذب .. كاذب .."

ألتهم الضابط أخر لقمة ثم مد يده لعلبة المناديل يأخذ منديلا يمسح فمه ويديه قبل ان يقول بنبرة مختلفة هذه المرة فيها نوع من الجفاف والخشونة " هل يمكنك ان تخبريني من اين تعرفينه ؟ بما انك ذكرتِ اسمه كاملاً ؟! هل هو جارك فعلا ؟ "

نبرة ساخرة غلفت آخر جملة منه فتدمع عينا دينا قهراً وكمداً لكنها تصمد لترد " نعم.. اعرفه منذ سنوات طويلة .. هو كان جارا لنا الحائط على الحائط .. جار السوء !"

فيتدخل عدي عندها ليقول بنبرة ذات معانٍ وسخة " لا حول ولا قوة الا بالله .. لماذا يا ابنة جيران العمر تنسين الايام الحلوة .."

القهر يقتلها .. اخذت تحدق في وجه الضابط وتعابيره المستهينة ثم الى جدران المخفر الرمادية القذرة ثم الى وجه السافل عدي وتعابيره التي تنضح حقارة واستمتاعاً مرضياً برؤيتها في هذا الموقف ..

وكأن السنوات لم تمر .. وها هو يعود لعهده القديم معها .. مجرد حقير لم يعجبه انه ارادها زوجة ورفضته لسوء خلقه وسمعته ...

منذ رأته في المقهى العائلي وعلمت أنه سيعود لينغص عليها حياتها ..

أخذت نفساً عميقاً ورائحة الشطيرة التي أكلها الضابط للتو اصابتها بالغثيان فتمسح على جبينها وتقول بوجه يحمر حرجاً هذه المرة

" لقد حاول مراراً تشويه سمعتي لاني رفضت الزواج به ووصل به الحد الى رميي بالباطل مما جعلنا نغادر انا ووالدي المريض الحي بأكمله لننتقل لحي اخر حتى نسلم من اذاه .."

ثم اضافت بتركيز " هناك محضر قديم استطيع احضار نسخة منه .. لاننا استدعينا الشرطة مرة عندما تهجم علي في سطح بيتي.."

نظر اليها الضابط نظرة كلها .. اتهام مبطن ..



نظرة شملتها من فوق الى تحت وكأنه يقيم ما فيها لتجعل رجل .. اي رجل .. ان يفتعل المشاكل لاجلها ...

مطّ الضابط شفتيه ليقول بنوع من الاشمئزاز

" تهجم عليك فوق سطح بيتكم ؟! تقصدين حاول اغتصابك ؟!"

التمعت عينا دينا بالدموع وهي ترد عليه بكبرياء مصفوع بالاهانة

" لم يكن اعتداء من هذا النوع .. لقد تهجم علي يريد ضربي لاني وافقت على .."

قاطعها عدي عن عمد وهو يقول بنبرة فكاهية وعيناه تغمزان

" كان تهور مراهقين ... لكننا تصالحنا فيما بعد .. اليس كذلك ؟"

انحنت دينا لترتكز بيديها على مكتب الضابط تنظر في عينيه وتقول بثبات وسيطرة على الذات

" ارجوك يا حضرة الضابط .. ارجوك افعل شيئا لمنعه من التعرض لي .. ابي مريض وهو كان السبب بجلطته الاولى .. هذه المرة لن يحتمل وسيموت .."

ظل الضابط ينظر في عينيها الواسعتين للحظات قبل ان يقول بهدوء وحزم وكأنه يوبخها ! " يا اختي ليس من مصلحتك ..كثرة محاضر كهذه .. انها تسيء لسمعتك .."

ارتفع حاجبا دينا عالياً وهي تهمس " ماذا ؟!"

يسبل الضابط اهدابه ليلتقط قلمه ويبدأ التدوين في الاوراق امامه قائلا

" سأغلق المحضر بالصلح ..."

في تلك اللحظة وصل موريس ومنذر وسمعا جملة الضابط وقد بدا موريس مرتبكاً وهو يقف جوار عدي ويسأله بهمس خافت

" ماذا حصل يا عدي ؟! كيف التقيت بها وحصلت المشكلة ؟ "

منذر لم يوجه كلمة لعدي بل لم ينظر اليه حتى بينما ينشد بكل اهتمامه للفتاة المحجبة التي تقف قبالة الضابط غير المهتم وعيناها مجروحتا النظرات كنبرة صوتها وهي تقول له " تغلق المحضر .. بالصلح ؟! اقول لك تعرض لي في الشارع وامسك ذراعي عنوة وعندما حاول رجل كبير بالسن الدفاع عني لكمه في وجهه وألقاه أرضاً .. وكل هذا وتقول لي صلح ؟"

لم يرفع الضابط حتى نظراته نحوها بينما يرد بلا مبالاة " لم يحدث ضرر .. ما دام الرجل الآخر لم يتقدم بشكوى .. لذلك نغلق المحضر بتراضي الطرفين .. وكما قلت لك هو لمصلحتك .."

أمواج من الغضب تنتشر في صدر منذر وهو يراها تصارع لتثبت حقها وسط من لا يحترمها ولا يعترف بها فيسمعها تقول بتلك النبرة الرهيبة

" مصلحتي ؟! وماذا عن مصلحتي ان تعرض لي غدا او .. بعد غد ... او بعد اسبوع ؟! من يحميني انا ويحمي سمعتي التي يشوهها؟ من يحمي والدي من جلطة جديدة قد تقتله ليتركني وحيدة في هذه الدنيا ...."

رد الضابط وهو يوقع الورقة

" هذا ليس عملي .. حلي مشاكلك الشخصية بعيداً عن الشرطة .. لدينا ما هو أهم من صراع الاحبة هذا .. "

ارتدت دينا للخلف مجفلة " صراع ..الاحبة ! "

تقبضت يدا منذر وهو يكز على اسنانه بينما يلتفت لصديقيه فيرى عدي يرمقه بنظرات منزعجة بينما موريس يبدو غاضباً مثله بالضبط ...

شعر منذر انه يشارك عدي حقارته بصمته هذا لكنه لم يعرف كيف يجب ان يتصرف ..

قال الضابط اخيراً وهو يتطلع للرجلين الغريبين " اذا كانت لديكما خصومة انتظرا قليلا بينما اغلق المحضر الذي بين يدي "

تطلعت لهم دينا واحداً واحداً قبل ان تعيد نظراتها للضابط وهي تقول بنبرة جعلت القشعريرة تسري في جسد منذر

" اغلق المحاضر ... أحكم اغلاقها جيدا .. فما هو مغلق يريحنا من التفكير فيه وتحمل مسؤولية تبعاته ..."



قدم لها الضابط الورقة فوقعتها واستدارت مغادرة بينما يقترب منذر من عدي وقد فقد سيطرته ليهدر فيه

" انا لا اصدق حقارتك.. هل انت رجل حقاً ؟!"

رفع عدي سبابته في وجه منذر بتهديد قائلا

" إلزم حدودك معي يا منذر .. ولا تتطاول.."

يقف موريس بينهما ليمنع شجارهما وهو يقول بصوت خافت " دعونا نخرج من هنا .."

لكن منذر كان يغلي وهو يرد على عدي

" اي حدود ! هل تعلم مدى دناءتك لما تفعله؟! ماذا تريد من الفتاة بعد ان شوهت سمعتها ..؟"

التفت عدي لموريس يوبخه بالقول الحانق ووجهه يحمر " انت لم تحفظ لسانك يا موريس .. اليس كذلك ؟! "

امسك منذر بمقدمة قميص عدي ليقول له باحتقار كامل اوجع عدي حتى الصميم

" هل هذا كل ما يهمك ! يضايقك ان اعرف تاريخك القذر مع فتاة لا ذنب لها الا انك مهووس بها .."

اخذ عدي يدفع منذر في صدره وهو يرد عليه بانفعال " لست مهووساً بأحد .. وكفاك تطاولا وألا سأحطم لك صف اسنانك البيضاء هذه التي تفاخر بها في ابتسامتك.."

كان الضابط يراقب باستمتاع وكأنه مشهد من مسرحية لا تخصه بينما يرد منذر على عدي وقد فقد اعصابه تماماً " أرني كيف ستحطمها يا عديم الاخلاق .. ايها ال.."

لم يشعر منذر بقبضته وهي ترتفع وتنهال فوق وجه عدي حتى اوقعه أرضاً بينما يتدخل موريس ليوقف ما يحدث وقد اهتاج عدي واوشك ان يتحول الى شجار بالايدي في مخفر الشرطة والضابط يتفرج ...

قال موريس وهو يدفع منذر ليبتعد قائلا

" كفى منذر .. كفى .. غادر ارجوك .. انه خطئي منذ البداية .. لم يكن يجب ان اتدخل او ألجأ اليك لتتدخل .."

اخذ عدي يسب ويشتم بينما نظر اليه منذر باستحقار وهو يغادر المخفر والضابط يقول بسخرية " خسارة .. كنت اتمنى ان يطول الشجار بينكما اكثر .. فهو أكثر متعة لي من شجار الاحبة !"

عقد موريس حاجبيه وهو ينظر للضابط بدهشة لتفاهته بينما يرافق عدي الذي يمسح الدم عن فمه وهو يقول بحقد

" لماذا أتيت بمنذر ؟!"

رد موريس ببرود جليدي " انه محامٍ .. "

يخرجان قبالة المخفر وعينا عدي تجولان بحثاً عنها فلا يرى الا منذر الذي انطلق بسيارته وهو يتجاهلهما تماماً ...

قال عدي بمزيد من الحقد " ليس تخصصه هذه الامور .. انه محام في العقارات والاقتصاد .. هل انت غبي يا موريس ؟! "

عندها صرخ فيه موريس

" وما يدريني انا ! لم اتخصص بالقانون مثله .. انا خريج آداب مثلك بالضبط .. ثم اني لم أعرف كيف اتصرف ولمن ألجأ لإخراجك من هنا .."

بادله عدي الصراخ " كان يكفي ان تحضر اي محام تافه !"

ليعاود موريس الصراخ " ان كان احضار محام تافه بهذه البساطة فلم لم تفعلها بنفسك بدلا من ان أشهد قرفك هذا ؟!"

يطبق عدي فمه وكأنه يصارع ذاته ثم يسترخي فجأة ليقول بابتسامة حقارة

" عموماً حللت المسألة بنفسي ولم يكن هناك حاجة لأي منكما .. في كل الاحوال استمعت بنهاري هذا معها ... وما هي الا جولة من جولات قادمات ..."

اتسعت عينا موريس بصدمة ثم ضرب كفاً بكف قبل ان يترك عدي واقفاً بمفرده على الرصيف ويتحرك للشارع ليوقف سيارة اجرة يعود بها لعمله ..

يحني عدي رأسه وصدره يعلو ويهبط بانفعال داخلي .. اللعنة .. لم يكن ينقصه الا منذر الطحّان !

لكن هذه الحقيرة دينا لن تفلت منه مرة اخرى وستجد نفسها عاجلا ام آجلا مضطرة للقبول به زوجاً ..

لقد استطاع الوصول اليها في محل سكناها .. مجرد شقة صغيرة في مبنى متوسط الحال قريباً من ذاك المقهى الذي رآها فيه ..

كل الامور تجري لصالحه وهو لن يفلتها هذه المرة ...

والدها المريض العجوز لن يصمد طويلا ... وعندما تنهار وحيدة بوفاة ابيها سيتلقفها هو .. وعندما يحصل المراد ... سيذيقها من العذاب اصنافاً ..!

ركن منذر سيارته جانباً وهو يترجل منها بخطوات سريعة ..

انها هي .. لقد عرفها من حجابها المرقط البني.. كانت تسير تحت ظلال الاشجار العالية وهي تمسح دموعها ...

ناداها منذر وهو لا يعرف حقاً لماذا يناديها وماذا سيقول لها " يا آنسة .. دينا .."

تجمدت خطوتها وهي تلتفت نحوه وتنظر اليه بذهول ثم تتجهم ملامحها وتمسح وجهها جيدا وتقول له بشراسة دفاعية " ماذا تريد مني ؟"

اقترب منها بحذر وشعر بشيء عجيب يتحرك فيه وهو ينظر لوجهها عن قرب وتحت ضوء الشمس الساطع ..

لم تكن تضع اي تبرج .. ملامحها حادة
وعيناها واسعتان وتلك النظرة الدفاعية
القوية فيهما تشد انتباهه بطريقة عجيبة
وتجعله .. تجعله يريد الاقتراب !

رآها تضيق تلكما العينين الواسعتين بنوع من
التوجس فشعر بالغباء لوقفته تلك امامها وهو
لا يعرف ما سيفعله !

ثم فجأة وجد نفسه يقول دون تفكير وهو
يخرج بطاقة من جيبه

" هذه بطاقتي .. فيها اسمي ورقم هاتفي .. اذا
تعرض لك عدي مرة جديدة اتصلي بي .. "

تحدق في يده الممدودة بالبطاقة ثم ترفع
نظراتها لوجهه في عجب ودهشة ...

شجعها بالقول " خذيها يا انسة .. انا محامٍ
اعمل في مؤسسة الجراح .. ورغم ان تخصصي
لن ينفعك الا اني استطيع المساعدة .. لي
اصدقاء آخرون في حقل المحاماة .."

تمتمت دينا " انا لا افهم .. عدي صديقك
كما .. فهمت .."

فيكز منذر على اسنانه وتتوقد عيناه
الرماديتان بالغضب وهو يرد عليها

" كنت اظنه صديقي .. "

عيناه لا تفارقان عينيها وهو يحثها بالقول

" خذيها ارجوك .. على اقل دعيني أشعر اني
قدمت شيئا صحيحاً وسط كل الشناعة التي
شهدتها من عدي اليوم .."

بيد مترددة اخذت دينا البطاقة منه فابتعد منذر من فوره للخلف وهو ما زال ينظر لعينيها..

لم ير عينين واسعتين هكذا في حياته ..

ليس الجمال صفتهما .. بل الصمود عمقهما..

تمتم اخيرا قبل ان يغادر

" ليتني استطيع ان اقول اي شيء .. اي اعتذار.. لكني اعلم ان ايا مما قد اقوله لن يكون له أثر يمحو الاذى الذي وقع عليك .."

ظلت تقف مكانها .. هواء الخريف يتلاعب بملابسها الفضفاضة .. تنظر اليه يبتعد وكأن الريح التي ارسلته أدت الغرض وعادت وسحبته بعيدا ... شعلة أمل صغيرة توقدت بينما ترفع وجهها للسماء وتقول بدعاء مخنوق " يا رب.."

عصراً

عيادة الدكتورة فريدة ...

بحيويتها المريحة استندت فريدة على حافة مكتبها والسيجارة غير المشتعلة على طارف فمها بينما تغمز لشهرزاد وهي تقول لها

" لاتبالي للسيجارة المسكينة في فمي .. ما زلت أدور حول نفسي لأتخلى عنها لكني لا اعتقها في الواقع ..."

تبتسم لها شهرزاد بصمت وهي تحاول مجاراة الطبيبة في تباسطها المحبب ولا تعرف ان الدكتورة فريدة حتى وهي تتباسط معها كانت تدرسها..

شعت ابتسامة الدكتورة فريدة وهي تبتدأ الكلام بطريقة مسرحية ذكية

" احكي يا شهرزاد ... اسمك ملهم .. يكفي انه من حكاوي ألف ليلة وليلة .."

ترد عليها شهرزاد بنوع من الشجن

" كان من اختيار .. امي .. لقد كانت تعشق الادب والشعر ... بل انها تكتبه ايضا .."

فأمالت فريدة رأسها جانباً تنظر اليها بفضول فتسألها فجأة

" وانت شهرزاد ... هل تحبين الشعر ..؟"

تتسع عينا شهرزاد وكأن السؤال صدمها ..

ليس في فحواه وانما في اجابته ..

كانت توشك ان ترد بتلقائية

(نعم احب الشعر كثيراً ..)

لكنها ... صدمت من الاجابة التي صدحت في عقلها وطفحت من نظراتها ...

فترمش بعينيها وتنظر لفريدة وكأنها اكتشفت امراً مهماً للتو...

وما زالت فريدة تنتظر حتى أتتها الاجابة الصريحة

" لا ... لم احبه ... يال العجب ! لطالما ظننت اني اشبه امي في هذا ... "

تمتمت فريدة بابتسامة رضا " هذا جيد ! .. في الواقع جيد جداً .. ها قد بدأنا بأولى الحكاوي..."

بيت عبد الملك الشيخ .. قرابة الغروب

شهقت هاجر بفزع وهي تستيقظ من نومها لتستقيم بجذعها وقلبها يقرع كالطبل بينما تتلفت تناظر بعينيها ما حولها برعب تام ...

جسدها يختض بالعباءة السوداء التي لم تخلعها حتى اللحظة.. وشاحها فقط من ازاحته عن رأسها ليظل قابعاً في راحة يدها ...

ما زالت تحدق فيما حولها بذهول مرتعب حتى استوعبت اين هي وتستعيد ببطء احداث يوم طويل جدا وصاخب جدا ولا يُنتسى جدا جدا ... جدا ...!

حركت ساقيها لتهبط بقدميها الارض وتجلس على طارف السرير ...

ساعات مرت منذ ان أدخلها عبد الملك غرفتها وقال لها ان تأخذ قسطاً من النوم لترتاح ..

كل شيء كان ضبابياً بعدها حتى لم تعرف متى وصلت بخطواتها هذا السرير لتضطجع عليه وتغفو ببساطة هكذا ...!

تطلعت حولها تستكشف (سجنها الجديد) برهبة .. تعتصر الوشاح الاسود بين اصابعها المتوترة وقلبها يغور عميقاً عميقاً بغربتها عن مكان لا ينتمي اليها ولا تنتمي اليه ...

تقاوم ارتعاش جسدها حتى لا تنهار ضعفاً وخوفاً بينما تطمئنها ذكرى اصابع فرقد على زجاج نافذتها وعيناه تعدان بأكثر مما تعده كلماته المطمئنة ..

تمتمت لنفسها " انه قريب .. لاتخافي هاجر .. لن يتركك لهم .."

حتى وهي تقولها لنفسها تشعر بوجود الخلل ..

كل شيء حولها مختل !

وجودها هنا في هذه الغرفة العجيبة هو قمة الاختلال !

سرير ضخم قديم الطراز من الخشب الصاج وبأربع أعمدة منقوشة بزخارف نافرة على نحو غير محبب ...

خزانة ملابس ومنضدة زينة لا تقل ضخامة وغرابة عن هذا السرير ...

ثم وسط الغرفة طاولة بأربعة قوائم قصيرة وقد وضع عليها صينية كبيرة مغطاة بقطعة قماش ... وحول الطاولة وسادات ومفارش بألوان غامقة ...

لقد تذكرت الآن ..

انها لم تنم مباشرة فبعد مغادرة عبد الملك بفترة دخلت خادمة صبية قالت ان اسمها سعدية وقد أبدت كل الطاعة لخدمتها والامتثال لطلباتها كما قالت ان سيدها (عبد الملك) أمرها ..

الا ان الخادمة لم تكف عن التحديق فيها بفضول تتطلع لوجهها بحسد النساء قبل ان تضع الصينية العامرة بالافطار من بيض وقشطة بلدية وجبن وعسل ثم تغادر وهي تتمتم بكلمات غير مفهومة !

فجأة هبت هاجر على قدميها لتقف ورمت الوشاح الاسود على السرير واخذت تبحث هنا وهناك وهي تهمس بجزع " اين صيصاني ؟!"

وكأنهم سمعوها فاخذوا يصدرون الاصوات ليعلنوا عن وجودهم في زاوية الغرفة ..

تهدج صوتها وخنقتها العبرة وهي تقترب منهم ودموع الراحة تسيل على خديها فتركع حتى جلست جوارهم على الارض تكلمهم من بين دموعها الغزيرة " اعدكم اني سآخذكم معي عندما أعود لشقتي في العاصمة .."

وخلال ثوان كانت تجهش ببكاء مرير وهي ترفع القفص وتحتضنه لصدرها ..

ولا تعلم لماذا قلبها انقبض للفكرة ... !

الاسطبل القديم ..

يضطجع بظهره على القش وعيناه تحدقان بسقف الاسطبل .. ما زال المكان كما هو .. كما تركه آخر مرة عندما احتجزه والده ليومين كاملين وهو في السابعة عشرة ...

عينه اليسرى متورمة والجرح رفض تقطيبه
رغم كل محاولات عبد الملك لاقناعه
عندما زاره قبل ساعة ...

كل ما كان يهمه ان يسأل عبد الملك
..عنها..يتفقدها .. يطمئن على حالها ..

فأخبره عبد الملك ان الخادمة ونسرين
يتفقدانها بينما تغط هي في نوم عميق ...

نظرات عبد الملك اوجعته أكثر من نظرات
ابيه واخيه .. لم يكن فيهما الغضب فحسب
بل شيء أكثر وقعاً في النفس .. انه العتب
على رجولته التي ارتضت فعل هذا بامرأة..

تقلصت اصابع فرقد حول حفنة قش ..

مجنون هو في عشقه .. مجنون في انتقامه ..
مجنون في طيشه .. في غيرته ..ومجنون في
رغبة استحكمت بسيطرتها عليه ..

رغبة ان يستعيدها ...

وها هي عادت زوجته .. عروسه المنتظرة بعد
اسبوع لتزف اليه في بيت عائلته .. وبعرس
يليق بابن الشيوخ ...

لكن .. كل هذا .. لم يعد له قيمة ...

يشعره مر كالعلقم بل وكأنه السم الزعاف
الذي ينتشر في جسده ويقتله ببطء ..
ويكاد لا يتخيل كيف تشعره هي ...

اغمض عينيه وهو يتذكرها في حضنه ليلة
الامس .. هي كلها انحشرت حشراً فيه تطلبه
حتى وهي لا تشعر انها تطلبه ...

كل هذا الضعف والحاجة فيها جعلته
كالراكع امامها يتذلل رضاها دون مذلة !

انه شعور أقوى من اي ذل ...

شعور تكتمل به رجولته دون ان تنتقص..

رضاها .. وآآه من رضاها هذه المرة ...

ليس رضا ان تقبل به من جديد ..

بل رضا ان .. تسامحه ...

تسامحه لان القدر جمعهما .. لانها ابتليت
بمجنون مثله كما ابتلي هو بعشقها ..

سيعيدها لبيتها ... سيرضيها ويراضيها..

ومن قيوده وجنونه سيحررها ..

ثم يموت مقتولا بسيف حريتها تلك ..

لم يعد ينفع ... هي قالتها .. وهو يدركها
(متأخراً) بعقله ويتوجعها بقلبه ...

آآه من قلب عشق جنية لا تهواه ...

فجنى عليها وجنى عليه عشقه وهواه ...

ينقلب بجسده فوق القش فيغمر وجهه فيه
يشم رائحته فيتخيله كرائحة هاجر فيشتعل
التوق وتتبعثر الروح ألماً ..

يهمس بخشونة " سامحيني .. ليس بيدي ان
فعلت كل ما فعلت ... ليس.. بيدي .."

بيت عبد الملك...

كانت تجلس جوار الطاولة وقد اكتشفت ان سعدية قد استبدلت صينية الافطار بصينية اخرى .. طعام جديد من الدجاج واللحم والرز وبعض الفاكهة واللبن الرائب ..

تتلاعب بيدها بقطعة دجاج اقتطعتها ولم تستطع وضعها في فمها .. نظرت للصيصان الذين احضرتهم قربها لتقول لهم بحشرجة

" انا مشتاقة .. لعمي طاهر .. لسهر ... لخالتي حياة .. بل اني حتى مشتاقة للجلف ياسر ؟"

ثم أخذت تضحك بهستيرية حتى دمعت عيناها ثم اخذت الضحكات تخفت حتى تلاشت وكأنها لم تكن ...

وضعت قطعة الدجاج جانبا ثم ضمت ركبتيها لصدرها تحدق في الفراغ ..

(" انها أغلى ما عندي .. وهي برقبتك حتى استلمها منك بنفسي .. اياك يا عبدالملك ان تفرط فيها لأحد ..")

كلمات فرقد التي قالها لعبد الملك وهو يوصيه بها تطن في اذنيها ..

(اغلى ما عندي .. اغلى ما عندي ...)

ينعصر قلبها وعيناها دون ارادة منها تدوران حولها تبحثان ... عنه ؟

(" وحق ربنا المعبود سأظل لآخر حياتي سندك وظهرك وحمايتك .. حتى لو نبذتني مئة مرة فلن تردعيني .. ")

تحاوط جسدها بذراعيها وهي تغمض عينيها تكاد تبكي حاجتها الماسة ان يفي بوعده هذا .. لم يمنحها بشر وعداً غير مشروط كهذا .. ودون تفسير ليس لديها أدنى شك انه سينفذه ...

أجفلت وصوت قرع مفاجئ جعلها تنكمش قبل ان تقول بتوتر " ادخل ..."

تلقائيا تحفزت وتأهبت للقتال وهي تقف على قدميها تواجه امامها .. عبد الجبار الشيخ ..

هذا الرجل القاسي الذي لا يعرف الرحمة ...

تواجهه بنظراتها ويداها تتقبضان بذاك التحفز الذي يعكس غريزة البقاء ...

بملامحه الخشنة الصارمة ولهجته الثقيلة الصعبة قال ببرود تام " ابنتي نسرين قلقة ومشوشة من نومك الطويل واعتكافك هنا منذ وصولك الدار .. دخلت اليك مرتين ووجدتك نائمة وتبدين لست بخير .."

ردت وهي تشمخ بذقنها رغم قلبها الذي يرتج رعباً في صدرها " ما هو المطلوب مني ان افعله عندما تحضر الي ابنتك مرة اخرى ؟ هل تريدني ان أهبّ سعادة واقفز فرحاً وأمثل كهبلاء دور العروس الخجول ؟"

لم تتحرك به شعرة وكأنها مجرد طفلة تلهو بباحة بيته .. يرد بجلافة صوته الطبيعية "اخبرتها ان والدك مريض ولم يستطع السفر والحضور وهذا احزنك خاصة مع رحيل فرقد وتركك هنا بمفردك .."

كانت تقاوم بشراسة حتى لا تزيح عينيها بعيدا عن النظر اليه .. هذا الرجل تحديداً لن تظهر له ضعفاً ولو كان على قطع رقبتها ..

واصل هو كلامه وبنفس النبرة الباردة

" ستخبرين حماتك واخوات زوجك عندما يأتين غدا لزيارتك انك تصالحتِ مع فرقد وعدتما لبعض وجاء بك الى هنا لتقابلي اهله ونقيم لكما الزفاف .."

ما زالت صامتة .. صامدة .. وعبد الجبار يواصل اوامره

" وكما اخبرت نسرين ستخبرين الجميع.. والدك مريض ولم يستطع السفر والحضور .. ولا تتطرقي لأي فرد آخر من عائلتك .."

بغل سألته " وان سألوني اين ذهب فرقد ؟ هل اقول لهم انك ربما قتلته بعد تعذيبك له ثم دفنته في ارض المزرعة !"

يرد بنفس الاسلوب الآمر .. بتجاهل تام لانفعالاتها المكشوفة امامه " قولي لهم اضطر للعودة للعاصمة بعد ان هددوه بالطرد من العمل .. وأنه سيعود قبل العرس بيوم .."

عندها لم تتوانَ هاجر عن نغزه بالقول الجريء الساخر " انت كولدك تماماً تجيد التخطيط لكل شيء .. لا تترك ثغرة ارتياب ! "

نظرة ... نظرة واحدة من عينيه اخرست وحجمت كل جرأتها معه ..

هذا الرجل لا يمكن التلاعب معه ..

لقد قُدّ من مصدر القساوة نفسها وليس له عزيز ولا غالٍ ...

قال بنبرته التي ترعد القلوب

" امسكي لسانك الطويل يا امرأة .. انت تكلمين عبد الجبار الشيخ الذي يهتز امامه أكبر شارب .."

ثم رفع يده يشير بسبابتها السمراء مضيفاً بكل بساطة " استطيع اخفاءك من الدنيا بحركة اصبع واحد من اصابعي .."

لا تعرف من اين واتتها الشجاعة وربما الحمق عندما أفلت لسانها بالقول

" لكنك لن تفعل .. لأجله ..."

لم تكن تتحداه بل تقر واقعاً وعبد الجبار ينظر اليها وهو يدرك هذا ...

تلتمع عيناه الضيقتان كعيني فرقد بينما تواصل هاجر الكلام وكأنها لم يعد هناك حجاب يفصلها عنه

" انت تؤازره حتى وانت تعاقبه .. كلكم تفعلون هذا حتى وانتم غاضبون منه....! "

لم تتحرك تعابير وجه الشيخ بأي اتجاه بينما يرد عليها " دوماً لم احب فلسفة اهل العاصمة المتحذلقين المترفعين ..لا تختبري صبري يا .. كنّتي .. والتزمي بما أقوله لك حتى تغادرينا بسلام وتعودين الى حيث تنتمين..."

تشد على يديها وهي تقول بشموخ " لا تقلق سألعب دوري كما هو .. لاني اريد الخروج من هنا اكثر مما تريده انت .."

يؤكد عليها القول الصارم " لا تنسي .. حماتك قادمة في الغد .. فاستعدي لاستقبالها دون ان تزعجيها بحرف .. واحفظي الكلام كما قلته لك جيداً .. فأي غلطة ستكلفك الكثير وربما تؤخر عودتك .. او تلغيها الى الابد ..."

تطبق فكيها اطباقاً بينما يضيف عبد الجبار بنبرة أرعبتها وجففت الدماء في عروقها

" إن غادرت قدماك خارج سور هذا البيت فستكونين خارج حماية ابن اخي وعهدي معه.. وسيكون بانتظارك رجالي ولديهم الاذن باطلاق النار عليك دون الرجوع الي .. فحذاري ان يركبك الطيش والتهور وتحاولي الهروب ..."

نعم .. حتى مؤازرته لولده فرقد لها حدودها مع رجل مثله.. كلمته قانون نافذ على رقاب الجميع ... ولن يعرض كل هذا للخطر ..

لقد باتت تعلم عن يقين انه جاد في كل كلمة قالها ...

حياتها مقابل ان تنفذ ما يريده منها ...

فهل ستخرج من هنا حية ؟!

ارتفعت يدها لعنقها وشحب وجهها وهي تفكر

بحدس مرعب انها ستموت وتُدفن هنا !

الجمرة السادسة عشرة

بيت عبد الملك الشيخ..مساء..

دخل عبد الملك غرفته ونسرين تلحق بخطواته .. يخلع كوفيته وعباءته وصوتها المضطرب المتحير يصل مسامعه بينما يتجه لاريكة مريحة في جانب الغرفة ليجلس عليها " ابي جاء وتكلم لوحده مع .. هاجر.. ثم خرج وعندما دخلت اليها ارحب بها كانت بحال عجيب .. شاحبة صامتة .. لاتبدو عروساً على الاطلاق.. ظللت لوحدي اهذر بالكلام وهي صامتة .. لم ابق معها الا عشر دقائق وغادرت ... اشعر بالحرج وعدم الراحة من كل هذه المفاجآت التي تحدث دفعة واحدة..

لا افهم ما يجري واشعر ان .."

قاطع هذرها المتعثر وهو يربت جواره ويقول بجدية " تعالي .. اجلسي هنا .. اريد ان أكلمك بأمر هام .."

فعلت ما طلبه منها وبدت اكثر تشوشاً وهي تنظر لوجهه الصلب " اسمعيني يا نسرين .. انا لا امانع احاديث النساء وما تتناقلنه من اخبار بينكن .. لكن بعض الامور لا اريد لخبر منها ان يخرج من جدران بيتي .."

بقلب واجف تساءلت نسرين

" ماذا هناك ؟! اقلقتني يا عبد الملك .."

فيبدو عبد الملك بتعابير صارمة وهو يقول بنبرة قاطعة " دعيني انهي كلامي .."

كانت المرة الاولى التي تراه فيها بهذه التعابير او يكلمها بهذه النبرة المحتدة...

شعرت بضيق في صدرها بينما ترد عليه وهي تسبل اهدابها " عذراً يا ابن عمي .."

ابتسامة رقيقة صغيرة داعبت ثغره وهذبت صلابة ملامحه دون ان تراها هي ..

خاطر مر به وهو يتذكرها في صغرها دوماً نادته (ابن عمي) عندما يُغضبها .. وكأنها تعاتبه بتلك التسمية او ربما ترفض مناداته باسمه كلمحة خصام وحنق عليه..

سرعان ما تلاشت ابتسامته ليعود للجدية قائلا

" ايا مما رأيته وسترينه يحدث هنا لا اريدك ان تنقلينه لزوجة عمي واخواتك .. بل اريد ان تكوني معي في التغطية على الامور لتبدو صحيحة وطبيعية في عيون الجميع .."

عندها رفعت نسرين نظراتها لتحدق بعبوس في وجه زوجها الذي أكمل كلامه بالقول

" هاجر الآن هي زوجة اخيكِ وزفافهما بعد اسبوع.. حصلت بعض العراقيل والمشاكل كعدم حضور والدها و.. اضطرار فرقد للتغيب.. وهذا جعل هاجر في وضع عصبي وتوتر .. هل تفهميني ؟"

فتهز رأسها بـ(نعم)... بينما يتابع عبد الملك قائلا بتعاطف

" الفتاة غريبة عنا وعن تقاليدنا وعاداتنا وفرقد كان قلقاً جدا عليها وقد أكثر الوصية بها وان نراعيها .."

اعترفت نسرين وهي تتوتر بعض الشيء

" امي بدت حانقة قليلا على الهاتف وظلت تسألني كثيرا من الاسئلة ولم أعرف بم أرد لاني .. لا اعرف الاجابات ... لقد حنقت علي وانا لا ذنب لي ...!"

راضاها عبد الملك بالقول " لا بأس تحمليها .. تفاجأت بالامور .. وان عاودت السؤال اخبريها ببساطة ان فرقد فاجأنا جميعاً .. ثم حصل امر طارئ واضطر لتركها معنا حتى تتعرف علينا قبل الزفاف .."

تمتمت " نعم ..."

فيعاود عبد الملك تأكيد كلامه عليها قائلا " اريدك ان تكوني ستراً وغطاء على اي افعال غير محسوبة من هاجر .. ولا تخبري امك انها معتكفة في غرفتها او ايا من هذا الكلام الذي اخبرتِ به والدك الشيخ ..."

عادت لتتمتم " حاضر .."

يوصيها المزيد بالقول " تفقديها واهتمي بها واجعليها تشعر انها في بيتها .. لكن بنفس الوقت اتركيها تأخذ حريتها لتفعل ما يحلو لها ولا تضغطي عليها.. "

تنهد رغماً عنه ونظراته تشرد مع شرود افكاره لكل ما حصل هذا اليوم فيقول بعفوية " يكفي ما عانته وما نالها .."

عبست نسرين تتساءل بعجب " وماذا عانت ؟!"

أسبل عبد الملك اهدابه ليقول بمراوغة غير محسوسة " انت تعرفين والدك لا يحب من يفرض عليه الامور .. ومفاجأة فرقد لم تكن سارة له بالتأكيد .. وحصلت .. مشادات وتوترات كثيرة بينهما ... "

اخذت نسرين تهز رأسها وهي تقول بإحباط

" اخي المجنون وافعاله المجنونة ..! لقد كان والدي يريد له زوجة من بنات العشيرة .. وامي المسكينة التي كانت تبحث له عن اجمل البنات واكثرهن تعليماً لتليق به.. لكن تلك الفتاة هاجر خلبت لبه كما يبدو جلياً.."

جاءت نبرة عبد الملك حازمة وهي يقول بوضوح " ليس لنا دخل في هذا يا نسرين .. هو اختار والفتاة عروسه الآن وبرضا الشيخ .. لا كلام بعد كلام الشيخ .. "

وقفت على قدميها وهي تتمتم بنفس الاحباط

" نعم .. لا كلام بعد كلام أبي ..."

امسك كفها وهو يرفع رأسه ليناظرها بعينيه ويسأل بصوت أجش " الى اين تذهبين ؟"

يتلاعب باصابعها الصغيرة وهي ترد عليه

" سأذهب لأتفقدها ... ربما تحتاج لشيء قبل النوم .."

يبتسم وهو يسحبها اليه بخشونة قائلا

" لا ... دعيها للصباح .."

يغمر وجهه في عنقها وكفه تسرح على

ظهرها بينما يهمس بخبث مرح " بماذا ناديتني

قبل قليل؟ (ابن عمي) ؟"

تدفعه في كتفه تتمنع عليه وهي تهمس

بتوبيخ " عبد الملك ! نحن في اي حال وانت

في اي حالـ..."

يعتصرها ويرفع وجهه قريباً من وجهها فيتصنع

العبوس ويهددها بالقول الرجولي الخشن

" لاتغضبيني يا (بنت عمي)..."

تضحك بخفوت وتحمر طواعياً وهو يهمس في

اذنها همساً جريئاً حميمياً ...

اليوم التالي ...

صباحاً...

قلبها يقرع في صدرها وهي تحدق في الجلباب

الاحمر المطرز الذي احضرته لها نسرين قبل

قليل وهي تخبرها ان والدة فرقد وباقي اخواته

سيحضرن بعد ساعة ليتشاركن معها افطارا

نسائيا احتفاليا بـ(العروس) ...

نسرين كانت متحفظة معها بمشاعرها رغم

ابتسامتها المريحة وترحابها الصادق ..

انها تشبه فرقد كثيراً لكن بنسخة انثوية

ناعمة وضئيلة الحجم ..

يا الهي كلهم يتشابهون ..

فرقد وابوه واخوه وابن عمه واخته ..

وكأنهم من طينة واحدة وهي من طينة اخرى غريبة تسبب لهم النفور التلقائي ..

ارتعدت رغماً عنها وهي تلف ذراعيها حولها وتكلم نفسها " اصمدي .. ستة ايام اخر .. وسينتهي كل شي .. "

ثم رفعت هامتها وعيناها تبرقان

" حسن .. يريدون مني لعب دور عروس ابن الشيخ .. وسألعبه وآخذ حقي ولن يحني رأسي أحد .."

بعزم قررت الاستعداد بأخذ حمام اولاً ثم ارتداء جلباب العروس الاحمر ثانياً ...

بعد ساعتين ...

تحدج الام كنتها بنظرات متفحصة ..

لا تلوم ولدها على افتتانه بها ... ليس جمالها فقط ولا اختلافها الشديد عن بنات القرية وانما تلك الروح البراقة المشعة منها ..

فتاة قوية استقبلتهن بالقبلات والاحضان ! وكأنها تستقبلهن في بيتها هي ...

تناظرها الأم بمزيد من التمعن وهي تتذكر كلام زوجها عبد الجبار ليلة الامس عندما اخبرها ان عروس فرقد تشعر بالغربة والانزعاج وربما ستجدها جافة بعض الشيء ..

لكن العروس لم تكن جافة على الاطلاق .. بل تتصرف وكأنها في بيتها وهم (الزوار) ..



حتى ابنتها نسرين تضاءلت بدورها امامها بل بدت وكأن الدهشة غمرتها !..

أما هاجر فهي تشع كجلبابها الاحمر الذي انعكس على حمرة شعرها ..

تضحك و تتحدث بثقة عن العاصمة بينما تشاركهن الطعام بعفوية وألفة ..

لم تشعرها انها تقصد ان تكون مرحة او ودودة بل وكأنها تتحدى غربتها بينهم ...

وهذا اعجبها .. تحب النساء القويات ..

انها تليق بولدها فرقد ..

تفوق نساء القرية كلهن ...

ارتاحت الام لمجرى افكارها لكنها ظلت تحافظ على هيبتها ...

صحيح تعجبها النساء القويات لكن عليها ان تعرف احترام المقامات ...

فجأة قالت الام موجهة كلامها لهاجر

" هل قابلتِ عجمية ؟"

بدت هاجر متحيرة وهي تنظر ناحية نسرين وكأنها تطلب منها التفسير لتبادر نسرين بالقول " لا امي .. تعرفين عمتي عجمية ليست دائما بمزاج جيد .. "

ثم تلتفت نسرين لهاجر توضح لها

" امي تقصد والدة زوجي عبد الملك .. انها امرأة عجوز ومقعدة و...عقلها ليس بخير دائما.. تعرفين الشيخوخة .."

فترفع الام حاجبا مرسوماً بوشوم النساء في القرى وتقول بترفع وسخرية

" عقلها ليس بخير منذ رأيناها ودخلت علينا قرية الشيوخ .."

فتعض نسرين شفتها السفلى حرجاً وهي تهمس بخفوت " امي ! ..."

تهز الام كتفيها بلا اكتراث بينما بناتها يضحكن وهاجر تطرق بنظراتها تخفي ابتسامتها لفكاهة ام فرقد اللئيمة ..

ظهراً ...

غرفة (عجمية)..

كانت والدة فرقد وبناتها قد غادرن للتو بعد ان اخذن مقاسات هاجر للتحضير للعرس ..

هاجر جارتهن في كل ما أردنه وقد بلغ بها الإنهاك مبلغه .. الاقنعة تحتاج لطاقة ..

ورغم انها عاشت الخدعة بانها (العروس) المكرمة المدللة ذات الانفة والكبرياء .. الا ان كل ذاك كان في الخارج فقط .. تدعيه ترسمه تتلبسه حتى تحفظ ماء الوجه دون ان تعرف هؤلاء النسوة انه انسكب ...!

كانت تريد فقط العودة لغرفتها والانزواء هناك عندما سحبتها نسرين من يدها وهي تثرثر عن عمتها عجمية ثم لم تشعر هاجر وهي تتسلق معها درجات سلم خاص منفرد ومنه لباب غرفة وحيدة ...

فتحت نسرين الباب لتدخل وفي يدها هاجر لتسلم على امرأة عجوز شعرها شديد البياض تضطجع على سرير ضخم وكأنها مجرد طفلة في سرير لعمالقة ...

رائحة نفاذة منفرة بعض الشيء في الغرفة تشبه مواد التعقيم في المستشفيات بينما تسمع نسرين تقول " عمتي عجمية .. هذه هاجر .. عروس فرقد .."

وقفت هاجر مع نسرين جوار السرير الضخم تنظر لذاك الوجه الذي ضاعت ملامحه وسط التجاعيد الغائرة ... لم يكن هناك اثر مميز من تلك الملامح الا زرقة عينيها ...

زرقة شديدة كسماء صافية ...

تلك الزرقة تحدق في وجه هاجر ثم تقول العجوز بصوت خشن " فرقد ؟! تقصدين ذاك الفتى الاهوج اصغر ابناء عبد الجبار ..؟"

تكتم نسرين ضحكتها وهي ترد وكأنها تذكرها " نعم هو عمتي .. اخي فرقد .."

تكتفي هاجر بالابتسام وقلبها يرفرف بشكل عجيب مع وصف العجوز عجمية لفرقد..

لا تعلم لماذا تأثرت .. ربما .. لانها تخيلت فرقد بهيئة مراهق يرتكب اكثر الافعال المتهورة جنوناً ...

سمعت العجوز تردد بامتعاض

" اا .. تذكرت انت اخته .. نسرين .. "

ثم عادت العجوز بنظراتها المتفحصة العميقة لوجه هاجر فتأمرها بخشونة صوتها قائلة

" تعالي واقتربي يا بنت ..."

امتثلت هاجر وهي تجلس على طارف السرير وتدعو الله ان لا يطيل مكوثها هنا ..

فجأة قالت العجوز بابتهاج خبيث " اخيرا جاءت (عجمية) جديدة اليكم يا ال الشيوخ .."

نظرت هاجر في عيني العجوز ولم تعرف بم ترد عندما اضافت العجوز قائلة " هل تعلمين اسمي ليس عجمية .. اسمي على اسم جوهرة نفيسة لكني .. لم أعد اذكره ! أسموني عجمية حالما رأوني عروساً بيضاء البشرة شقراء وبعينين زرقاوين فكبروا وحلفوا اني لا امت للاعراب بصلة ليطلقوا علي لقب أعجمية وانا من اجدادها عرب حتى جذور جذورهم .."

ثم حركت اصابعها الواهنة فوق غطاء السرير قائلة بلا مبالاة " ثم اصبح الجميع ينادوني (عِجمية) لسهولة اللفظ .."

ثم تلتفت لنسرين وتقول لها بطريقة وقحة

" امك نزهت كانت تغار مني .."

ثم تضحك بشماتة مضيفة " كل نساء ال شيوخ قتلتهن الغيرة .. انا الارملة الغريبة ذات الثلاث والثلاثون عاما سليلة عشيرة تنافس عشيرتهم مقاماً خلبت لب ابنهم الذي لم يتعد العشرين واصر على الزواج بي .. وفعلها ..."

أجفلت هاجر عندما امسكت يد العجوز بيدها لتأمرها بغتة " اكشفي لي عن ذراعك ..."

للحظة ارتعبت منها هاجر فتعبس العجوز لتغير من نبرتها قائلة ببعض التوبيخ

" اكشفي يا فتاة ... هل سأعضك ؟! مضى زمن لم أعض النساء في عراك .."

التفتت هاجر للحظة نحو نسرين فوجدتها تضحك وتغمز لها مطمئنة اياها فتتنهد هاجر وهي تزيح قليلا من كم جلبابها الاحمر لتكشف عن ساعدها ..

اخذت العجوز تمرر اصابعها المجعدة الجلد بينما تقول وكأنها تقرر امراً واقعاً مفروضاً عليها " اممممممممم انت اكثر بياضا مني.."

ثم ترفع نظراتها لشعرها وتضيف " وشعرك تشتعل النيران فيه من مفرقه ... هل انت أعجمية ام عربية ؟"

ترد هاجر والعبرة تخنقها لذكر امها وسط غربتها هذه

" لا.. انا عربية .. امي اصلها من بلدة شمالية واخذت منها لون شعرها وشحوب بشرتها .."



اصابع العجوز تضغط على يد هاجر وهي تحدق في وجهها بنظرات زرقاء تنبض بالانفعال..

للحظة شعرت هاجر وكأنها في حضرة ساحرة عجوز تكشف الطالع ليرتجف قلبها عندما اضافت العجوز بنبرة ذات وقع رهيب في القلوب

" سبيت قلب ابن الشيوخ يا عِجمية اليوم .."

ثم تضغط باصابعها اكثر وبنفس النبرة التي خلعت قلب هاجر " انه قلبك الذي يشع بالنار يا امرأة النار .. وابن الشيوخ عالق يحترق فيها... لا تتخلي عما لديك .. انها نارك فلا تسمحي لاحد بإطفائها .."

جحظت عينا هاجر وانعقد لسانها لتهدأ نظرات العجوز بغتة ويسكنها الفراغ ثم تأمرها بنبرة جافة " ارحلي .. ارحلا كلاكما .. تعبت منكما .. اريد ان انام.."

ثم اغمضت عينيها وهي تدفع يد هاجر بعيداً عنها وتقول كمن تاه منه الزمان والمكان

" نادي عبد الملك ليدخل الدار .. كفاه لعباً طيلة النهار..."

التفتت هاجر نحو نسرين ولم تعرف ماذا يفترض ان تفعل فاشارات لها نسرين بالانسحاب معها بهدوء ...

غادرت هاجر غرفة العجوز عجمية وهي تنظر اليها كيف نامت ببساطة هكذا بينما تشرح لها نسرين بخفوت كيف تنتاب العجوز هذه الحالات من الضياع بين الماضي والحاضر ..

العاصمة

مكتب الشاهين للحاسوب

تحت حوض غسل الصحون في المطبخ الصغير ينحشر شاهين بجسده الضخم وهو يعالج بيأس نضح المياه من احدى الانابيب ...

يقف قريباً منه باهر متجهم الملامح غير راضٍ وهو يناول شاهين مفكاً آخر بينما سمارا قرب باب المطبخ تعقد حاجبيها وتتكتف هادرة في شاهين بغيظ " شاهين توقف عن التصرف بعناد كالاطفال.."

من تحت الحوض يطل شاهين برأسه وملامحه تنضح بالعناد وهو يرد عليها بطريقة مستفزة

" قلت لك انا استطيع فعلها .."

عاود حشر نفسه عندما بدأ نضوح الماء يتحول لتدفق !

تمسح سمارا على جبينها بينما تأتي شهرزاد لتقف جوارها تتساءل عما يحصل هنا فتهز سمارا رأسها باحباط قائلة

" شاهين يعاني من احدى نوبات العناد خاصته"

ثم تتقدم سمارا بحذر وتنظر للمياه التي ملأت ارضية المطبخ لتقول بهلع " يا الهي انك تزيد الوضع سوءا .. الا ترى ما تفعله ؟! "

عاد ليخرج شاهين رأسه وقد تبلل وجهه وشعره ومقدمة قميصه فيقول بنبرة عتب طفولي

" ما هذه الثقة العمياء ! اخجلتِ تواضعي .."

يختفي رأس شاهين مرة جديدة وسمارا تتأفف وسط المطبخ الذي سيتحول قريباً لحوض سباحة اذا استمر هذا الطفل الضخم بمحاولاته الفاشلة للاصلاح فيما لا يفهم...

اخذت نفساً قبل ان تقول بمحاولة جديدة لاقناعه " انت تنفع في حل مشاكل الحاسوب العصية لا مشاكل انابيب المياه المتآكلة ... يجب استبدالها وليس ترقيعها .."

هذه المرة اكتفى شاهين أن أخرج يداً واحدة من تحت الحوض ليلوح لها قائلا بإغاظة

" غادري المطبخ يا سمارا لقد استحوذتِ على كل الاوكسجين هنا.. انت وجنينك المكور.."

تنفجر شهرزاد ضاحكة من عند الباب بينما يطلب شاهين من باهر ان يحضر بعض قطع القماش ليلفها حول مكان النضح !

يتحرك باهر قليلا عندما تزحلقت قدمه ليتشقلب في الهواء لثانية قبل ان يقع متأوهاً على ظهره ...

سمارا تولول وباهر يتوجع وقد أخذ وضع التجمد على الارض وشاهين ينظر اليهما وكأنهما مجنونين وشهرزاد كانت ستفقد الوعي من شدة الضحك ...

تضحك وتسيل دموعها مدراراً من شدة الضحك ووسط الهرج الذي يحصل في المطبخ لم تشعر بمن يراقبها ويسمع ضحكاتها ..



في الممر المؤدي للمطبخ كان يقف هيثم ..

لم يكن يعرف او يرى ما يحصل هناك وان كان يصله الحوار لكن كل تركيزه كان مع شهرزاد ... انها تطفح بالسعادة جوارهم ..

لو لف بها اجمل بلدان العالم فلن تضحك كما تضحك الآن ...

انه ليس ضحك الفكاهة والمواقف الطريفة فحسب .. بل ضحك الألفة والارتباط بهم ...

يكره ان ينتزعها من كل هذا ...

لكن الحياة خسائر وارباح ...

وهي لن تخسرهم تماماً .. سيحرص على هذا..

ويبقى بيتهما وعلاقتهما اولى من صحبة مميزة كهذه التي تأنس بها ..

لن تستقيم بينهما الامور اذا لم تترك مكتب شاهين .. هو لن يستطيع التحمل ببقائها هنا..

ليلة الامس والتي قضاها مسهداً كعادته في الاونة الاخيرة خطر في باله ان ينجبا طفلا آخر .. أخا او اختا لصقر ..

بل .. الكثير من الاخوة والاخوات ...

لقد سخر من نفسه وهو يفكر هكذا ..

يعترف انها وسيلة جديدة منه ليربطها به..

ليسحبها نحوه ويقلل من احتمالية خسارتها..

شهرزاد عاطفية وكلما ارتبطت معه بطفل كلما توثقت الاواصر التي لا تفصمها عنه ..

ناداها بصوت حاد دون ان يشعر " شهرزاد .."

التفتت اليه والضحكة تتلاشى تدريجياً من وجهها لتتحرك خطواتها نحوه والقلق يملأ محياها تسأله " هيثم ؟! ماذا هناك ؟ "

حالما وقفت امامه رفع كفه ليلامس اعلى ذراعها فوق القميص الحريري الذي ترتديه لامسها بجرأة دون اعتبار لوجودهما بمكان عمل ليقول بابتسامة ونبرة واثقة

" أتيت لاختطافك .. اشتقت اليك وقررت ان تشاركيني يومي .. سأذهب لمدينة (...) يوجد بعض المشاكل في مصنع الحديد والصلب .. المدينة جميلة وستعجبك .. نتناول الغداء ونقضي بعض الوقت ثم نعود قبل الغروب .."

عبست قليلا وهي تنظر اليه باستغراب ثم تتأثر من ملامسته لذراعها بطريقة حميمية فتهمس له بحرج

" هيثم اترك ذراعي بالله عليك .."

لكن اصابعه تتشبث بها ليقول بنفس النبرة الواثقة " احضري اغراضك وهيا بنا .. اعلم ان اليوم .. لا (مواعيد سرية) لديك .."

فترد عليه بهمس موبخ " لكن لدي عمل ! وانت لديك عمل ايضا .. لماذا تريد أخذي معك ؟! ماذا جرى لك ..؟ "



يرفع رأسه وصوت سمارا يعلو بغضب متفجر من المطبخ " شااااااهين اخرج من تحت الحوض والا سأشعل النار بالمطبخ وانتحر ..."

يضحك ساخراً وهو يقول بلؤم

" الاجواء هنا لا توحي بأي عمل حقيقي .. شاركيني يومي وستعرفين الفرق ..."

ظهرت سمارا من عند باب المطبخ وهي بقمة الانفعال وحالما لمحت من يقف مع شهرزاد عفوياً نطقت باسمه " هيثم ! "

يغمز لها هيثم وهو يسحب شهرزاد بتملك لتقف جواره بل ملاصقة له وهو يقول بابتسامة عريضة " مرحباً .."

ترد سمارا وعيناها تنتقلان بينه وبين شهرزاد لتقول بلطف " كيف حالك يا ابا صقر .."

يرد وهو يرفع حاجبيه قليلاً قائلا بلا مبالاة

" بخير .. شكرا .. كيف حالك يا سمارا .. مضى زمن لم نرك فيه .."

احمرت سمارا لتلميحه بينما تعبس وتكز على اسنانها ليكتفي هيثم بالابتسام ونظرته الزرقاء الخبيثة المستمتعة وكأنه يتحداها ان تحاول حتى مجاراته بأي لعبة تهديد ..

مال هيثم فجأة لاذن زوجته هامساً بصوت مسموع لسمارا " انتظرك تحت المبنى .. احضري اغراضك ولا تتأخري .."

ثم يهز رأسه في تحية باهتة لسمارا قبل ان يشمخ بذقنه ويبتسم بتسلية قائلا

" يبدو ان شاهين مشغول .. خسارة لم أسلم عليه ...! "

ثم ترك المكان ليغادر بمشيته المغرورة الجذابة ...

اقتربت سمارا من شهرزاد التي تقف مكانها ساهمة النظرات فتقول لها تحثها..

" ماذا تنتظرين .. اذهبي واحضري اغراضك والحقي بزوجك .."

تهز شهرزاد رأسها بينما تسألها سمارا بخفوت

" هل علاقتك بهيثم افضل ؟"

فتنظر شهرزاد في عيني صديقتها الوحيدة لتقول بهدوء وذكاء

" ما زال ينتظر اليوم الذي سأترككم فيه ... بل يدفعني نحوه دفعاً .."

فترد سمارا ببساطة

" اعترف له بالصبر الشديد هذه المرة .."

نظرت اليها شهرزاد ببعض الدهشة لتضيف سمارا " نعم .. هو يصبر على الكثير ولا اعرف الى متى سيصبر هكذا يا شهرزاد .."

ثم استدارت سمارا لتولي شهرزاد ظهرها بينما تعود للمطبخ لتنقذ كارثة اخرى وهي تتمتم في سرها " اقسم بالله الرجال كلهم حمقى !"

راقبتها شهرزاد بصمت بينما تلتفت هي الاخرى لتذهب لغرفتها وتلملم اغراضها وهي تفكر بموعدها الجديد مع الدكتورة فريدة بعد ثلاثة ايام ....

ما بين العصر والمغرب ..

على الطريق العام خارج العاصمة..

يقود سيارته وهو يمسك المقود بيد بينما يمد يده الاخرى ناحيتها يداعب باصابعه خدها والفخر يلتمع في عينيه قائلا

" انت سيدة أعمال بالفطرة .. ملاحظاتك ادهشتني شخصياً.. اخبريني هل اعجبك المصنع حقاً ؟"

ترد شهرزاد بحيوية واصابع زوجها ما زالت تلامس خدها " انه مذهل ... لقد اجريت فيه الكثير من التطورات .. اخر مرة زرته كنت مع ابي في الحادية عشرة .. شعرت بالملل لاني لم أكن افهم شيئا وهذا .. اغضب ابي ..."

حيويتها خفتت تدريجياً وهي تتذكر كلمات ابيها ذاك اليوم قبل عشرون سنة

(" ايتها الفاشلة المائعة .. ليس هناك جدوى منك .. فتاة حمقاء شاردة العقل كأمها .. اذهبي واكتبي أبيات الشعر فأنت مثلها تماما .. ضعيفة الشخصية وتعيش في الخيالات ...")

" شهرزاد .. اين سرحتِ مني ؟"

كان صوت هيثم قلقاً بصدق بينما تنظر اليه شهرزاد لتقول بنبرة غريبة " هل تعلم هيثم طوال حياتي كنت اظن اني احب الشعر كأمي .. حتى اذكر اني اجهدت نفسي في مراهقتي لأكتب بعض الأبيات لكني فشلت فظهر الكلام ركيكاً ولا يقارن بأي شيء مما كتبته امي يوماً .."

عبس هيثم ونظراته تتنقل بينها وبين الطريق ليقول بعفوية " لم أظنك يوماً تهوين الشعر ! رغم رقتك ونعومتك الا اني لم أرك يوما كشاعرة .. لا اذكر اني حتى رأيتك تقرأين في كتاب شعر .."

ضحكة باهتة منها بينما ترد

" ابي أقحم الفكرة في رأسي وجعلني اشعر بالفشل مرتين .. مرة فشلت امامه لاني لم أكن الفتاة اللامعة الواثقة العملية والتي لديها ميول موروثة منه .. ومرة فشلت امام نفسي لاني لم أكن استطيع ان اكتب الشعر كأمي كما دأب على اتهامي اني اشبهها في هذا.."

احتدت نظرات هيثم وهو يلتقط معان كثيرة مؤذية مما كانت تقوله شهرزاد .. بينما تضيف هي بنبرة ساخرة مريرة

" كنت اشعر بالغباء والضياع والتشتت ولا اعرف من انا بالضبط .."

ركز هيثم على الطريق امامه للحظات قبل ان يقول بتأن

" ربما ما سأقوله لن يواسيك لكن والدك كانت له طبيعة معينة .. هذا كان اسلوبه ليدفعك حتى تثبتين له العكس .. اعلم انه اسلوب سيء لكن .. ببساطة هذه طريقته .."

ردت عليه ببعض الحدة التي لم تكن تقصده بها " معك كان مختلفاً .. كان ينظر اليك وكأنك الابن الذي لم ينجبه .."

ما زال هيثم يتصرف بذكاء معها وتأن شديد وهو يرد بنبرة رقيقة " ربما لان اهتماماتي كانت محددة منذ الصغر يا شهرزاد واحببت عمل الشركة والتجارة .. لا اعلم لماذا كان قاسياً معك لهذه الدرجة .. ربما لانك ابنته الوحيدة وارادك ان تبذلي جهدا مضاعفاً "

بدت اكثر حدة وعنفاً وهي تقول بحشرجة

" حتى يأس مني وقرر تزويجي لك لتستلم كل الامور وتنقذها من غبائي وفشلي .. لا بد انك كنت تشعر بحجم الكارثة التي ابتليت بها بزواجك مني ..."

كيف وصل الحوار بينهما لهذه النقطة ؟!

كانا رائعين معاً طوال النهار وقد أعجب حقاً بافكارها في العمل .. كان يحرز الكثير معها وبسلاسة ... اللعنة .. ما ان جاءت سيرة والدها حتى تفجر داخلها التمرد والغضب ...

عادت نصيحة سمارا لتطرق ابواب عقله ..

شهرزاد تحتاج لكثير من العاطفة ومنه هو تحديداً ..



هناك ثقة مفقودة .. حلقة مهمة لن يكتمل زواجهما دونها ...

اعطي اشارة جانبية واوقف سيارته على جانب الطريق الصحراوي ثم أطفأ المحرك واستدار بجسده ليواجهها ..

الغروب الاحمر يضفي جماليته على سحرها الانثوي الطبيعي ..

غاضبة حانقة متمردة .. سحر الشرق يتوهج عندما يصل حدود بشرتها الخمرية ..

نبض قلبه .. انها هي سحره الخاص .. ملكه ..

مذ رآها وهي طفلة .. هي ملكه ...

قال بصدق ودون ان يحاول لمسها

" انت الفتاة الوحيدة التي كنت ارغبها زوجة لي يا شهرزاد .. ليس بسبب العمل والشراكة مع والدك لكن .. دوماً شعرتك ملكي .. دوما انتابني نحوك هذا الشعور اني اريدك انت بالذات معي ... ربما غرور مني اني لم اعترف بمشاعري حينها نحوك .. لكن .. لم اتخيلك منذ مراهقتك انك ستكونين لرجل اخر غيري.. هل تصدقينني ؟ "

التمعت عيناها بلمعة الدموع بينما تدير وجهها جانباً وهي تهز برأسها (نعم) ...

وكم أراحه هذا ليضيف وكأنه يسجل نقطة في غاية الاهمية " لذلك اقتراب ايا كان منك كان وما يزال وسيظل حتى آخر عمري هو الخط الاحمر "

لم ترد بشيء هذه المرة .. فقط تمنحه منظراً جانبياً لوجهها وخط الغروب الاحمر يشع خلفها..

بيت منذر الطحان

على ارجوحة يجلس جوار امه التي كانت تشرب الشاي بينما تزمجر حنقاً على زوجها المعلق بدرج على احدى اشجار الحديقة يحاول دفع كرة قدم عالقة هناك فتناديه بغيظ

" انزل من الشجرة يا رجل .. اذا وقعت وكسرت رجلك لن ينفعك هؤلاء الصبية .."

لكن زوجها يرمقها بنظرة صارمة ويعض شفته السفلى وكأنه يأمرها بالصمت ...

تأففت الام وهي تلتفت لولدها السارح بنظراته وعلى شفتيه ابتسامة ذائبة ...

بدى لها وسيماً كما لم تره يوماً ... فيه اشياء تغيرت .. تعابيره اختلفت .. نظرة عينيه .. حتى ابتسامته ...

لقد ارتاحت هي وابوه قليلا عندما استقرت حالته بعد ايام صعبة رغم انه لم يصارحهما حتى اللحظة بما جرى مع تلك الفتاة ...

لامست خده وهي تسأله بامومة تفيض حناناً

" انت هادئ جدا يا نور قلبي .. مضت ايام وانت هكذا .."

يحرك وجهه جانباً ليلثم باطن يدها وهو يقول " اشعر بالهدوء فعلا .."

تحاول التواصل معه عسى ان يبوح لها فتقول بابتسامة ويدها تهبط لصدره مكان قلبه

" الهدوء جميل عندما يغلف مزاجنا لكنه عدو لدود لصحة القلب العاطفية .."

نبضات قلبه الرتيبة ازعجتها ..!

دوماً كانت تحب ان تفعل به هذه الحيلة منذ مراهقته عندما تشعره منجذباً لفتاة ما فتناغشه وهي تلامس قلبه لتتسارع خفقاته ويطرق بنظراته خجلاً منها ...

الآن وهي ترى رتابة الخفقات شعرته اهدأ مما تحب له ...

ثم جاءت كلماته لتؤكد قلقها الامومي قائلا برتابة تشبه رتابة نبضه " الحب والرومانسية مشاعر تستهلك اكثر مما تعطي امي .. "

فتسأله بشكل مباشر

" هل خذلتك من تحبها لهذه الدرجة ؟"

ما زالت يدها على قلبه وما زال النبض كما هو.. رتيب... بارد ... بينما يرد عليها باسلوب عملي غريب " ربما في البداية شعرت بالخذلان لكني بعدها ادركت اني افضل علاقة كعلاقتك بأبي او علاقة حازم بزوجته ناهد .. انها أثبت وأمتن .."

تراخت يدها عن صدره لتحدق في عينيه ..

لقد اخذ لونهما الرمادي من والده ...

شعرت انها تسير على حبل رفيع معه بينما تناقشه بروية قائلة " علاقتي بأبيك تختلف عن علاقة حازم وناهد .. لا علاقة تشبه اخرى بني .. "

فيرد بنظرة واعية تماماً " اعلم انها مختلفة .. انا قصدت انها علاقة واقعية بنيت على اسس صحيحة .. واضحة ومقبولة من الطرفين .. انها اكثر امانا واطمئنانا من شغف العشق والهوى الذي يعمي الابصار ويستهلك طاقة الانسان دون جدوى.. في النهاية الواقع والحياة الحقيقية هي من تحكمنا وتسير بها اقدارنا.."

عبست الام وهي ترد عليه قائلة

" منذر .. لو كان حازم من يتكلم معي الآن لكان الامر مقبولا لدي .. لكنك مختلف عنه .. انت رومانسي وفيك رجولة من نوع حلو بل شديد الحلاوة تحلم به اغلب البنات .."

ابتسامة صغيرة داعبت ثغره ثم يقول برقة

" لا تشغلي بالك بي حبيبتي .. كل ما أردت قوله اني في اليوم الذي سأتزوج فيه سأختارها بشكل صحيح ومؤكد لن يكون العشق اولى الاسباب .."

وقف على قدميه بينما تناديه امه بضيق

" منذر ..."

فيميل ليقبل اعلى رأسها وهو يقول بهدوء

" سأخرج مع موريس الليلة .. ربما سأتاخر لما بعد منتصف الليل وينتهي شحن هاتفي فلا تقلقي علي ..."

راقبت الام ولدها وهو يبتعد عنها بينما صوت الصبية في الشارع يهللون لزوجها عندما نجح اخيرا بانقاذ الكرة من مخالب اغصان الشجرة العنيدة ...

شقة دينا ووالدها ..

يجلس على الكرسي المنجد في غرفة المعيشة عابساً بتركيز والمشط في يده يمرره في شعر ابنته التي تتربع على الارض امامه تغمض عينيها تكتم توجعها بينما الاب يواصل تمشيط شعرها مراراً وتكراراً لكنها لم تعد تحتمل .. حقاً لم تعد ..

متى سيعترف انه فاشل في هذا ؟!

منذ طفولتها وهو يصر ان لا احد يجيد ترتيب شعرها الا هو .. قالت دينا وهي تمسك يده لتمنعه مزيدا من التعذيب لفروة رأسها

" كفاك تمشيطاً لشعري سأربطه الآن .."

يعبس والدها بطفولية وهو يقول " لا .. يجب ان أضفره الآن.. اجلسي مكانك يا فتاة .."

هتف بها بجملته الاخيرة عندما حاولت الوقوف لتعاود الجلوس باستسلام ..



ماذا تستطيع ان تقول.. هو يحب تمشيط شعرها الطويل وتعترف انها تحب ايضا ان يفعل هذا رغم الألم الذي يسببه لها... تنهدت وهي تحاول اقناعه بالقول المناغش " يا حجووووج.. انت لا تجيد الضفر منذ كنت طفلة .. كما اني كبرت على الضفائر.. آه.."

تتأوه بوجع وهو يشد خصلة ويضفر بحماس حتى قال بفخر ابوي اقرب لفخر طفل أنجز واجبه " ها قد انهيتها ... عار علي ان لم اعرف كيف افعلها بعد هذه السنوات .."

ما زالت في جلستها على الارض عندما لفت بكليتها لتواجهه .. تستند بذقنها على حجره وتنظر للفرح المحبب في عينيه الواهنتين ..

تكاد تتخيل ضفيرتها كمقشة المطبخ القديمة لكنها لا تأبه ما دامت تعجبه ...

تمتمت تدلله بحب صافٍ لا يعادله حب

" سلمت يداك ... حجوج قلبي انا..."

تشق الابتسامة العريضة وجهه ويبدو مشاكساً ماكراً وهو يسالها " بماذا ستكافئيني ؟ اليوم قبضتِ راتبك فلا تنكري .."

رمشت بعينيها قبل ان تنحني لتقبل ركبته ثم تقول " اؤمرني .. "

فيقترح عليها بمزيد من مشاكساته " دعينا نذهب للمقهى الليلة .. عيني لمحت فتاة او اثنتين ابديتا الاهتمام الصريح بي .."



تخفي أثر نبضة مرتعبة في قلبها بينما تجيد رسم تعبير موبخ مرح " حجوج !..."

انه لا يعلم كم باتت تخاف الذهاب لأي مكان قد ترى فيه عدي ..

يا الهي كم تمقته وتخافه في الوقت ذاته ...

تخاف ان يؤذيها في ابيها .. هو يعلم اهمية والدها عندها كما يعلم انه سندها الوحيد في هذه الدنيا ..

والدها سريع الغضب والانفعال كما انه عنيد..

وهذا ليس جيداً لصحته ..

لو علم ان عدي عاد ليلاحقها لا تعلم كم سيؤثر هذا عليه ..

بينما تخفي كل هذه المعاناة كان والدها ما زال في مشاكساته المرحة وهو يقول

" ماذا فعلت ؟! انت لا رفيقات ممتعات معك .. من حقي ان أبحث في مكان آخر .. كل من تعرفينهن جديات ودمهن ثقيل .. يعاملنني وكأني عجوز يثير رغبتهن بالعناية .."

تمد يدها لتقرص خده وتقول ببهجة

" لا تكن شقياً ..."

فينقلب لطفل مرة اخرى ويحاول اقناعها " هيا يا دندون .. نخرج الليلة ايضا .. ها ؟ ماذا تقولين ؟ قبل ان يهاجمنا الشتاء ببرده "

تتنهد مبتسمة باستسلام ثم تقول " رغباتك اوامر يا روح دندون ... لكن لن نتأخر .. انا متعبة واحتاج للنوم باكراً الليلة .."

فيعلق بينما تقف هي على قدميها " وتحتاجين للمرح ايضا .. لا اروع من النوم بعد ليلة مبهجة على ضفاف النهر ..."

تكتفي بالابتسام بينما يضيف هو " كنا محظوظين ان وجدنا هذه الشقة قريبة من المقاهي العائلية المطلة على النهر .. خمسون متراً ونكون عندهم .. كما ان اسعارهم مناسبة لميزانيتنا .."

رددت بخفوت " نعم محظوظان .. لا حرمني اللّه منك ابتاه .."

شرد فكر دينا بعيدا لعينين رماديتين مهتمتين.. ملامحه الوسيمة تفيض بتعابير رجولة مستها وقد أثر فيها جدا اهتمامه ..

منذ سنوات وهي تتجنب الرجال .. وكأن وصمة العار التي تلاحقها قد تنكشف في اي لحظة ولن تطيق رؤية نفس التعابير البغيضة على وجوههم ..

التردد نحوها... الشك فيها .. عدم الرغبة في دخول المشاكل وتحديات المجتمع ..

ببساطة عدم الرغبة في فتاة مثلها بماض ..

اصبحت فتاة ذات ماض دون ان يكون لها يد في ذاك الماضي المفروض على حاضرها ومستقبلها ...

سألها والدها فجأة ووجهه يعبس بجدية

" اخبريني .. هل التقيت بذاك النذل مرة اخرى ؟"

تنحي جانباً كل افكارها لتبدي تعابير متململة وهي ترد كاذبة " ابي توقف عن تكرار السؤال .. اخبرتك اني لم أره سحنته الكريهة منذ تلك الليلة في المقهى .."

فيهمس الاب براحة " الحمد لله ...."

ثم ينظر لابنته ويقول بنبرة تمنحها الصمود والشجاعة

" ان رأيته في اي مكان او شارع اياك والهروب من مواجهته .. لا تدعيه يشعر انك تخشينه او انه انتصر بأي طريقة لكن لا تتحديه في نفس الوقت .. تجاهليه فقط وكأنه غير موجود ... حماك الله بنيتي من شره وشر امثاله .."

تهرب بعينيها منه هامسة

" امين رب العالمين "

تدعو الله وفكرها يعاود الشرود نحو

(منذر الطحان)

كما مكتوب في بطاقته ...

وكأن بطاقته الشخصية تلك إشارة طمأنينة بعثها الله لها انه لن يتخلى عنها ابداً...

قرية الشيوخ

بيت عبد الملك.. غرفة هاجر..

كانت نجمة ابنة نسرين تجلس على الارض وتكلم الصيصان بمرح ...

صبية محببة للقلب .. نسخة من امها ...

تفاجأت هاجر عندما علمت انها في العاشرة .. لم تكن تبدو بعمر اكبر من الثامنة ..!

رفعت الفتاة وجهها الباسم لهاجر التي تجلس قريباً منها لتطلب برجاء حار " خالتي هاجر .. هل استطيع ان آخذ احد هذه الصيصان لي ؟"

لا تعلم ما جرى لها لتهتف بخشونة في الفتاة

" لا ..."

تلاشت ابتسامة الفتاة وانكمشت عفوياً بعيدا عن قفص الصيصان لتتنهد هاجر وهي تشتم نفسها في سرها قبل ان تحاول تهدئة روع الفتاة قائلة باعتذار حقيقي

" اسفة يا صغيرة .. لم اقصد ان أكون فظة معك .. لكن .. هؤلاء الصيصان اخوة .. عائلة واحدة لا يفترقون عن بعض .. هل تتخيلين ان يأتي احدهم ويأخذك من امك وعائلتك ..؟"

استجابت الفتاة للطفها فقالت ببعض الخجل

" امي تقول عندما ... اتزوج ... سيأخذني زوجي لبيته .."

فداعبتها هاجر بالقول حتى تنسيها خشونتها غير المبررة " هذا صحيح .. ليكون لك صيصانك الخاصة مع زوجك ..."

تضحك نجمة وهي تخبئ فمها خلف كفها في حركة حلوة تليق بها ...

تشاركها هاجر الضحك بينما تحدق فيها نجمة بانبهار قائلة بتلقائية

" انت جميلة جدا خالتي هاجر .. والخادمات لا يكففن عن الحديث عنك .."

تسبل هاجر اهدابها .. لقد باتت تعرف وتعتاد فكرة ان اختلافها بالشكل عنهن يجذبهن نحوها ويجعلنهن ما بين مهتمات وغيورات ..

سألتها نجمة " هل شعرك احمر حقاً ؟"

غمزتها هاجر وهي تشير لخصل شعرها الذي استطال قائلة " بل انه اكثر حمرة من هذا .. انتظري عندما يذهب كل اثر للصباغ وسترينه وكأن شعلة نار شبت فيه .."

ما زال الانبهار يكسو محيا الصبية فتطلب برجاء " هل يمكنني مناداتك خالتي (عِجمية) .. كل من في البيت يطلق عليك هذا اللقب الذي اختارته لك الجدة .."

تهز هاجر كتفيها بلا اكتراث قائلة

" افعلي ما يحلو لك .."

ولماذا تكترث وهي ستغادرهم مع نهاية الزفاف اخر الاسبوع ولن تراهم بعدها ابداً ..

فلينادونها كما يشاؤون ..



وليتذكرونها باي اسم يطلقونه عليها ..

ربما هذا افضل .. ان تظل في بالهم بإسم مختلف لا يمت لها بصلة ...

سألتها نجمة بفضول

" هل العاصمة جميلة حقاً ؟"

ردت هاجر وهي تشعر بالحنين الشديد لمدينتها واهلها " انها تتلألأ على ضفاف النهر .. لا بد انها الليلة عامرة باهلها وهم يجوبون الشوارع والمقاهي ..."

فتسألها الصغيرة " هل اشتقت لها ...؟ "

فترد هاجر وعيناها تتغرغران بالدموع تلقائياً

" واشتقت لكل من فيها ..."

تخنقها العبرة ويثور في قلبها الاشتياق للعاصمة واجوائها بل حتى شقتها الصغيرة التي اشترت كل قطعة فيها على ذوقها ...

تدير هاجر عينيها ناحية الشباك وتفكر فجأة (ترى ماذا يفعل منذر الآن؟ لا بد انه نسيني تماماً .. الكل ينسى .. فذاكرة البشر... خائنة..!)

العاصمة..المقهى العائلي ..

يسحب منذر نفساً عميقاً من أرجيلته والهواء يتلاعب بشعره ثم ينفث الدخان عالياً و عيناه تنشدان عفوياً للنظر ناحية نفس الزاوية حيث الفتاة واباها ...

رغم توترها الواضح حالما التقطت وجوده في المقهى مع موريس الا انها سرعان ما استرخت عندما تأكدت ان لا وجود لعدي معهما واصبحت نظراتها اكثر صفاء نحوه فلم يشعر الا وهو يبتسم لها ابتسامة صغيرة حلوة صافية وكأنه يمنحها اطمئناناً من نوعاً ما فأسبلت اهدابها في حياء وخفر ثم عادت لتكلم والدها ...

لم تكف عن الضحك مع ابيها .. تبدو مختلفة عن الفتاة القوية التي رآها تقاتل بضراوة في المخفر ...

مع والدها تلمع كنجمة للفرح !

واضح انها متعلقة به....

" لماذا أتيت بنا الى هنا يا منذر .. اشعر بالضيق خاصة بوجود الفتاة وابيها .. الواقع اشعر بالخزي بسبب ما فعله عدي .."

التفت منذر ناحية صديقه وهو يشعر بالضيق من ذكر عدي ليرد عليه بالقول

" ولماذا تشعر بالخزي ؟ كُلٌ يحمل عاره على كتفيه يا موريس .. وعدي وحده من عليه ان يشعر بالخزي .."

زفر موريس بقوة ثم قال بكآبة " لم يتصل بي بعدما حصل ..."

عقد منذر حاجبيه وهو يقول " ولماذا تهتم به؟! انه لا يستحق يا موريس .. فليذهب الى الجحيم بكل سفالته .. انا لا اريد حتى ان

افكر فيه حتى.. لقد انتهت علاقتي به.. في داخلي اعتبرت عدي الذي عرفته ايام الجامعة مات او ربما هاجر دون رجعة .. هناك حدود لما نستطيع تقبله من عيوب بعضنا .. الا الاعراض والشرف والتهاون في سمعة بنات الناس .."

ثم يشير بحركة خاطفة من رأسه ناحية دينا ووالدها ليضيف " ما ذنبها وابيها ؟! هما اولى باهتمامك من رجل خسيس مثله .."

فيعبر موريس عن عجزه بحنق وغيظ

" للاسف لا يوجد ما نفعله لاجل الفتاة.. الكلام اسهل واكثر وقعاً في عقول الناس .. وحب الثرثرة والنميمة مرض مستشر فينا جميعاً .."

يصمت لحظة ثم يضيف بمزيد من شعور العجز

" فكرت بالذهاب لعائلته .. لكن علاقتهم به سيئة ولا تأثير لهم عليه .."

كان منذر اكثر عملية في نبرته وهو يقول بتفكير

" المشكلة ان لا قانون صريح مباشر ينفذ في حالات كهذه ومجتمعنا اكثر ظلماً وتهاوناً وتنصلاً من المسؤولية لحمايتها..لكني سأستشير محامٍ صديق لي في هذه المسألة ..."

عينا موريس حادتا نحو دينا ووالدها ليقول

" يبدو انهما سيرحلان ... اعتقد انهما يقطنان قريباً من هنا ..."

التفت منذر برأسه فيراها كيف تلف ذراعها حول ذراع والدها وتضم جسدها اليه وكأنها تتدفأ به ..

تمتم موريس " الجو اخذ يبرد .. هواء الخريف بات يحمل ريح الشتاء معه .."

فيغض منذر بصره ويتمتم هو الآخر بنبرة لا حياة فيها " اجل ..الخريف ..... يرحل ..."

الجمرة السابعة عشرة

بعد يومين ..

الاسطبل القديم

لف عبد الملك عباءته حوله بينما ينحني ليجلس جوار ابن عمه المنبطح على ظهره فوق القش ..

تطلع حوله بابتسامة دهشة وهو يقول لفرقد

" لا اصدق انك اعدت تنظيم الاسطبل كله ونظفته بمفردك .."

توسد فرقد ذراعه بينما يقول بشجن خفي

" اشغل وقتي ..."

فيلتفت اليه عبد الملك ليقول له بتعاطف

" لا بد ان الملل يقتلك هنا .."

تشرد عينا فرقد لسقف الاسطبل وهو يردد بصوت أجش مبحوح

" بل الوحشة بدونها ... تقتلني .."

أطرق عبد الملك ولم يعقب بينما يأتيه سؤال فرقد بنبرة لا تخفي التياعه " كيف هي ...؟"

يرد عبد الملك وهو يعدل كوفيته فوق رأسه قائلا بهدوء وحديث صريح " انا لا أراها تقريباً.. لكن نسرين دوماً تنقل لي اخبارها .. انها لا تحب ان تغادر غرفتها كثيراً .. تفضل ان تكلم الصيصان اغلب الوقت... هل تعلم ان امي اسمتها باسمها (عِجمية) ! "

اصابع فرقد تحكم قبضتها على كومة قش وكأنه يريد احالته لتراب من شدة الغضب الذي يستعر بداخله بينما يقول وهو يسحق اسنانه " انها مكسورة ... لكنها تقاوم ... لا ابقاني اللّه على هذه الارض وانا من فعل بها كل هذا ..! أردتها عزيزة امام ابي على وجه الخصوص فلم أفعل الا كسرها وبخسها قيمتها.. وها هي تقاوم وتواجه بمفردها عاقبة جنوني وافعالي وانا محبوس هنا عاجز عن دعمها ..."

فيعلق عبد الملك محاولا رفع معنوياته

" اظنها تقاوم حقاً وبشجاعة .. فحالما تزرنها النساء تتغير وتصبح مرحة وتجاريهن الحديث.. انها تثير حيرة اختك نسرين بشكل جنوني ولا حديث لها معي الا عن (عجمية ال الشيوخ) .."

توقد قلب فرقد وهو يتخيلها بين نساء العشيرة تصطح باختلافها عنهن ..

سأل بإلحاح " ماذا عن فستان الزفاف الابيض الذي اوصيتكم به ؟"

فيطمئنه عبد الملك بالقول

" لا تقلق .. سيكون جاهزا باذن اللّه يوم العرس .. اخواتك البنات وحتى امك تخِطنه لها وتطرزنه .. لم تبقَ فتاة في القرية لم تعرض ان تغرز فيه ولو إبرة ..."

يهب فرقد مستقيماً بجذعه ليؤكد على ابن عمه بالقول وقد أفلتت منه مشاعره التي فضحتها كلماته ونبرة صوته

" انه مهم جدا يا عبد الملك .. فستان من الحرير الابيض.. يُخاط باسمها ولاجلها ... بل.. بل اريد ان ينقش اسمها على الفستان ..."

تمتم عبد الملك وقد شعر ببعض الحرج من اندفاع فرقد في الكلام هكذا امامه ليتساءل بحيرة " ماذا ؟! اسمها ؟! لكن .."

يقاطعه فرقد بإصرار مجنون

" اجل .. اسمها ... هاجر .. اطلب من امي ان تطرزه بيديها بحبات اللؤلؤ الصغيرة.. اخبرها اني اريد هذا .. اريد لهاجر فستان لا يليق الا بها هي وحدها ومسمى على اسمها.."

ثم تغيم نظراته وهو يميل بظهره للخلف يعاود الاضطجاع فوق القش مضيفاً بعجز " اعلم اني اثقل عليك .. لكن ليس لدي غيرك .. وهذا دين برقبتي نحوها.."

فيقول عبد الملك " لا تقل هذا يا فرقد .. انت اخي ولست ابن عمي فقط .. وسيكون لها باذن اللّه كل ما تريده .. انت فقط اهتم بنفسك .."

نظرات عبد الملك علقتا على حاجب فرقد الايسر ليقول له " الجرح سيترك أثرا غائرا فوق حاجبك .. كان يحتاج لتقطيب .."

لم يرد فرقد بشيء وقد كان في حال لا تسر.. عذاب العاشق يشع منه اشعاعاً..

سأله عبد الملك وهو يقف على قدميه " هل تحتاج لشيء اخر مني .. ربما لن أراك حتى يوم العرس .."

رفع فرقد نظراته لابن عمه الذي يخيم فوق رأسه ليقول معترفاً بمرارة وساخراً من استحالة مطلبه في نفس الوقت " اريد ... رؤيتها .. فقط ان تراها عيناي وتتفقدانها ... هل تستطيع تحقيق هذه المعجزة لي الليلة ؟!"

اغمض فرقد عينيه وكأنه يضم عذابه اليه.. فلا احد سيفهم ولا احد سيقدر حجم ما يعانيه ..

فجأة جاءه صوت عبد الملك الجاد بطبيعته

" نعم .... استطيع .."

فتح فرقد عينيه وكان على وشك شتم ابن عمه لانه يسخر منه عندما علقت انفاسه وهو يرى عبد الملك يخلع كوفيته عن رأسه ثم يلحقها بعباءته ..

عقد فرقد حاجبيه وهو يستقيم بجذعه ببطء متسائلا بغير تصديق

" ماذا تفعل ؟!"

فيبتسم عبد الملك وهو يهز رأسه متذكراً الايام الخوالي ليقول له

" هل تذكر .. فعلناها سابقاً عندما حبسك الشيخ وانت في السادسة عشرة .. لقد جعلتك تخرج لبعض الوقت متنكرا انك انا ... وعدت دون ان يعلم احد .."

اخذ صدر فرقد يعلو ويهبط بجنون ودون اي تردد وقف على قدميه ليأخذ العباءة والكوفيه بينما يضيف عبد الملك مازحاً

" مشعان اصبح ضعيف البصر خاصة في الليل رغم عدم اعترافه بهذا .."

اشفق عبد الملك على فرقد ايما اشفاق وهو يرى كفيه يرتعشان بينما يلبس عباءته ويضع الكوفية فوق رأسه ..

انه الشوق الجارف الذي يُرعش ابن الشيخ هكذا ...

قال عبد الملك اخيراً وهو يربت على كتف ابن عمه " اخفي وجهك بالكوفيه قدر المستطاع وعندما تخرج لمشعان ادّعي انك تسعل وانت تكلمه حتى لا يشك في صوتك.. اخبره انك ذاهب لاحضار بعض السجائر وعائد خلال نصف ساعة ..."

لفّ فرقد طرفي الكوفيه حول وجهه بينما ينظر لعبد الملك بامتنان بالغ قائلا بتحشرج " لن انسى لك هذا .. يا عبد الملك .."

فتبسم عبد الملك وهو يضطجع بجسده فوق القش قائلا بمزحة

" انت الآن (عبد الملك).. وأكد على مشعان العجوز كبندقيته ان لا يزعجني لاني سأنام.."

ثم نظر في عيني فرقد مضيفاً بجدية

" نصف ساعة فقط يا ابن العم .."

بلهفة تحرك فرقد وهو يقول

" سأخبره .. ربما لساعة ..."

يضحك عبد الملك وهو يقول بخفوت

" حسن يا ابن الشيخ .. ساعة .. لكن حاول أن تعود قبلها حتى لا تثير ريبة العجوز.."

يلوح له فرقد وهو يصل باب الاسطبل يكاد يتعثر بخطوات تترنح شوقاً ولهفة ...

بيت عبد الملك

غرفة هاجر

تجلس قرب الشباك تناظر السماء المرصعة بالنجوم .. تبحث عن نجم ساطع مميز لها ..

كانت هذه لعبتها مع سهر ..

لكن سهر سرعان ما تمل اللعبة وتنام بينما تظل هي تبحث عن نجمها وتتخيله ملكها ويراقبها على الدوام ...

كم كانت رومانسية وتتشبث بالخيالات لتمنحها القوة والدعم ...

ريح تهب وتبعثر افكارها واحلامها كما بعثرت شعرها ... بل تبعثر حتى سنين العمر وكأنها لم تمض .. وها هي قابعة في حلم النجم الذي يهواها ويكون لها ...

دقات خافتة على الباب فاجأتها ..

نظرت لساعة الحائط لتجدها العاشرة مساء ..!

كانت تقفل باب الغرفة بالمفتاح لكنها مع هذا لم تشعر بالاطمئنان ..

تحركت لتغادر مكانها قرب الشباك بينما قلبها يخفق برعب ...

كل يوم تتخيل ان احد رجال عبد الجبار الشيخ سيأتي ويبلغها ان الزفاف ألغي وسيتم التخلص منها دون ان يعلم بها احد ...

لقد باتت حتى تحلم بهذا الكابوس...

رغم كل الهرج والمرج عن الزفاف المرتقب الا انها لم تأمن جانبهم ...

انها الدخيلة وهم عصبة واحدة تحكمهم كلمة الشيخ لا يخالفونها ...

حتى عبد الملك يبدو لها غامضاً او ربما هي التي لا تثق بأي انسان هنا ينتمي لعشيرة الشيخ ..

كلهم غرباء عنها ويبادلونها شعور الغربة عنها ..

ابتلعت ريقها وهي تمد يدها لمفتاح الباب لتحركه وتفتح القفل فـ.. يتحرك مقبض الباب من نفسه ...!

تراجعت غريزياً للخلف وقلبه يهدر ارتعاباً والباب يفتح ثم تهدأ قليلا وهي تتعرف على عباءة عبد الملك دون ان تطمئن بالكامل ...

لكن لماذا يتلثم هكذا ؟!

تراجعت برهبة اكبر وهي ترى عبد الملك يتقدم ليدخل الغرفة دون اي كلمة او حتى استئذان فتجزع وهي تتمتم اسمه بوجل

" عبدالملـ...."

شهقت وهي ترفع يدها لفمها عندما وقعت عيناها على ما انكشف من وجهه وميزت الجرح الغائر في حاجبه الايسر .. ثم التقت عيناها بعينيه .. فهبت ريح الألفة والمعرفة الحميمية ...

كانت تهمس اسمه وهو يفك اللثام عن وجهه ليكشف وجهه " فرقد ...."

بدا شديد العبوس غاضباً جدا وعيناه تمشطان جسدها في الجلباب الاحمر ثم تستقر على شعرها الذي بعثرته الريح حول وجهها عندما كانت تجلس قرب الشباك ...

خلع عن رأسه الكوفيه ورماها ارضاً بينما يلتفت ليغلق الباب ويقفله بالمفتاح ليعاود الالتفات اليها وهو يدفع العباءة عن كتفيه لتقع أرضا ايضا فتسأل بلا استيعاب

" لماذا .. تخلع العباءة ؟!"

فيهدر من بين اسنانه " كي لا تعلق رائحتك على ملابس رجل اخر ..."

تهز رأسها بغباء بينما يضيف هو بتصلب شديد

" كيف تفتحين الباب لعبد الملك وانت .. هكذا ..؟! "

تنظر اليه بعينين جاحظتين .. تمعن النظر بوجهه المرهق والجرح البشع فوق حاجبه ثم تنحدر نظراتها لجلبابه الرمادي المدعك وبعض القش عالق فيه ...

بدى في حالة يرثى لها بمعنى الكلمة ..

عاود سؤاله بمزيد من الغضب وعيناه محمرتان

" ثم ما هذه الألفة معه ؟! تنادينه باسمه بدون تكلف .. وتقابلينه بملابسك هذه .."

يقف على بعد خطوة منها فتتماسك وهي تستوعب وجوده لتقول بصوت يرتعش حنقاً منه وتكاد تشعر برغبة بكاء عارمة دون ان تستجيب لتلك الرغبة

" وماذا يفترض ان افعل ؟"

يتقدم ليمحو تلك الخطوة التي تفصلهما فتشتم رائحته مع رائحة الغيرة المجنونة التي تفوح من انفاسه " يفترض ان تلبسي العباءة السوداء والوشاح فوق رأسك .. انت لستِ في العاصمة .. اللعنة ... الرجال هنا لا يرون الا نسائهن مكشوفات هكذا.."

تدير وجهها جانباً وهي تقول باختناق غاضب

" امرك سيدي .. المرة القادمة سأتلحف بالغطاء امام عبد الملك اذا شئت .. هل هناك اوامر اخرى قبل ان تغادر وتتركني بسلام ..."

باتت الرغبة رغبتين ! رغبتان متصارعتان .. ان تصرخ باكية او تصرخ غاضبة ... الانفعالات داخلها لا حدود لها ولا مرسى ترسو عليه ..

شعرت بتلك الانفاس المالوفة منه تغمر وجهها وكأنها تلتصق ببشرتها كالقبلات !

" هل .. انت بخير ؟"

سؤاله .. آآآه من سؤاله الموجع ..

تعيد وجهها اليه فتمس ذقنه الخشن بخدها لتنفلت اعصابها بانفعال هادرة بنظرات تشع غضباً احمراً نارياً

" نعم .. بخير .. كما ترى .. لم تكسرني كما لم يكسرني والدك ...كبير الشيوخ "

رأته كيف يبتلع ريقه ويهمس بخشونة

" انكسر ألف مرة ولا يمسك انت خدش .."

يرتج قلبها بين اضلعها بينما تتمتم بمقاومة لم تعد تعرف لماذا تبديها بكل هذا العنف

" فقط .. دعنا نتوقف عن الكلام لانه لم يعد له قيمة ..."

دمعت عيناها رغماً عنها وهو يهمس بنفس الخشونة



" قد لا يكون له قيمة عندك لكنه كل شيء بالنسبة لي يا هاجر.. وعائلتي كلها باتت تعرف ماذا تعنين لي .."

قالت بقهر وهي تمنحه نظرات مجروحة حتى العمق " انا احسدك على عائلتك ... يصطفون لنصرتك حتى وان كنت على باطل...هل تظن اني لا اعلم ان والدك يفعل كل هذا لحمايتك ايضاً ؟! "

ثم تضيف بغصة وهي ترى انعكاس جرحها في عينيه " انا لم ولن احظى بهذا يوماً ..."

هدر بعنف " دوماً لديك انا ..."

صدرها يعلو ويهبط كصدره ...

يكادان يلتحمان .. ينصهران بنار تتآكلهما دون حتى ان يتماسا بجسديها ...

هدر بمزيد من العنف " ألن تسألي عن حالي ؟ الا .. تفتقديني ... ؟! "

يكاد جفناه ينطبقان وهو يضيف بهمس قاتل " الا .. تفتقدين ...حضني ...؟"

خلاياها تصرخ بالافتقاد ... تصرخه بكل لغة ... وكأن هذا الافتقاد يتحداها نكران الفهم لما لا يحتاج لغة تفسرها ...

تنجذب بكليتها اليه ولا تعرف ماهية هذا الذي بات تفتقده بغيابه عنها منذ ثلاثة ايام ويعذب خفقان قلبها ...

تميل برأسها دون ارادة منها نحو كتفه تكاد تلامسه بشفتيها دون ان تفطن لميلانها حتى .. وينجذب هو بالمقابل بعذاب مضاعف عن عذابها وادراك ساطع بفهم ما هو مستعص عليها .. يموت و يمنع نفسه عن لمسها لكنه يميل نحو عنقها فاقداً ارادته كما فقدتها هي.. ينعصر كل جسده في مقاومة وقد كادت شفتاه ان تلامسا بشرتها الشاحبة...

" لا...."

تهدر انفاسه كما هدرت كلمة (لا) الصامدة منها...هذا كان ردها على سؤاله ...

لكنها لا تبتعد .. فقدت قدرتها عن الابتعاد كما فقدها هو ...

حمى تسري فيه حد الهذيان ...

انفاسه خشنة وهلوسات تتلاعب برأسه ..

حواسه تصرخ بجوع .. لكنها .. قالت (لا)...

فليتعذب اكثر سحقاً له ولكل ما فعله من جنون معها ..هي زوجته لكن دون رضاها .. فأي رجل خسيس ان قربها الآن ولو بلمسة !

زفر من اعماق صدره قبل ان يتمتم قرب بشرتها " حسن .. ما دام (لا) .. اذن لن اطيل البقاء اكثر .. يجب .. ان اغادر... لقد .. أطمأننت عليك .. و .. رأيتك .."

عنف مشاعره يسبب له ألما جسدياً لا يُحتمل..

يكاد يصرخ بالوجع وهو يضيف بصوت متقطع " لا تخبري .. احدا اني .. أتيت .."

ابتعد عنها وهي لا تصدق انه ابتعد دون ان .. تلمسه .. او تتأكد انها كانت اللحظة معه ..

لا تصدق انه ببساطة هكذا... سيرحل ويتركها من جديد ...

كانت مسمرة مكانها مصدومة وهي تراه كيف ينحني ليحمل العباءة والكوفيه ثم يعاود ارتداؤهما ...ليتوجه بعدها ناحية الباب وقبل ان يفتحه همس بصوت معذب

" لم يبق للزفاف شيء وتتحررين... مني ...في اليوم التالي سأعيدك بنفسي .. لشقتك.."

ثم فتح الباب وخرج واغلقه خلفه بهدوء...

خطواتها حملتها دون شعورها نحو الباب المغلق..

وهناك وقفت طويلا ... طويلا جدا وفمها يلتصق بالباب تكتم همسة تناديه باسمه ...

فقط كانت تريد ان تناديه ...

حتى وروحها المكسورة بسببه تجلدها بالسياط ... ومع كل سوط تتذكر كل ما كان وكل ما رأته معه من هوان ...

الاسطبل القديم

حالما ارتدى عبد الملك عباءته وكوفيته التي استرجعها للتو من فرقد التفت اليه ينظر باستغراب وقلق فيسأله

" هل انت بخير ؟! تبدو ..وكأنك غاضب او.."

بنبرة خافتة قاطعه فرقد بعنف مكبوت

" اتركني بمفردي يا عبد الملك ... ارجوك احتاج .. للخلوة .."

ظل عبد الملك ينظر اليه وهو عاجز عن تخمين ما حصل بينه وبين هاجر ..

لم يكن بيده فعل شيء آخر فآثر ان يترك فرقد بمفرده كما أراد فقال عبد الملك وهو يتحرك ناحية الباب

" كما تشاء يا ابن العم .. استودعك اللّه.."

حالما خرج عبد الملك واغلق باب الاسطبل التي يحرسها مشعان انفجر احتقان فرقد دفعة واحدة فأخذ يزمجر بصوت عالٍ وهو يفرغ شحناته في اي شيء تطاله يداه ..

كسر وحطم وعربد ..

حتى القش اخذ يبعثره بجنون في كل اتجاه وزاوية ..

الاسطبل غدى في حالة خراب ودمار وفوضى ..

دخل عليه مشعان العجوز فينظر اليه بذهول تكاد عيناه تخرجان من محجريهما فيصرخ فيه بصوته الثقيل النبرات

" ماذا تفعل يا ابن الشيخ ؟! هل فقدت عقلك؟! ام تظن اني سأطلق سراحك شفقة عليك لانك لا تحتمل سجنك .."

بادله فرقد الصراخ " اخرج من هنا يا مشعان قبل ان تكون التالي فاحطم عظامك .."

منحه مشعان نظرة باردة جوفاء ثم تركه وخرج واغلق الباب خلفه ...

كان فرقد ينهت وهو يرمي بجسده فوق القش..

ينهت ويغلي ويموت من شدة الوجع ...

انها لا تطيقه .. حتى وهي تحتاجه ..

لا تطيق حتى احتياجها له ...

لن تنسى ابداً انه كسرها مرتين ...

والمرة الثانية كانت القاصمة ...

ماذا يفعل ليقتل ألمه ؟!

بل ماذا سيفعل حين يحررها منه ؟!

اليوم التالي ..

عيادة الدكتورة فريدة ..

بعد كلام كثير مشوش بعض الشيء هذرت به شهرزاد فجأة شعرت بالانهاك فصمتت ...

ثم رفعت عينيها لتنظر للدكتورة فريدة عبر منضدة المكتب التي تفصلهما لتسأل بغتة

" هل تظنين انه قادر على خيانتي مرة اخرى ؟"

كانت فريدة تنتظر هذا السؤال منها منذ اول جلسة.. كل من يأتي اليها والغالب من النساء لا يفكرون الا بإيجاد الاجابة السريعة لسؤال محدد يقض المضجع.. لكن في الواقع المشكلة ليست في السؤال ولا في اجابته ..

المشكلة تكمن في مصدر أعمق وهم تائهون لا يدركون هذا .. و كل ما تفعله هي ان تحاول الأخذ بايديهم ليصلوا لذاك العمق ويتخذون القرار بإنفسهم ...

تبتسم فريدة بتفهم بينما تقف على قدميها وتتحرك حول مكتبها وهي تقول بسلاسة

" الخيانة تجربة .. حالها حال كل تجارب البشرية في الوقوع بالخطأ .. لكن هناك فرق بين النظر من بعيد لفخ تجربة جديدة مغرية طازجة وبين تجربة الوقوع فيه فعلا .. انهما حالتان مختلفتان.. "

أخذت شهرزاد تهز رأسها وهي لا تفهم فتشرح فريدة

" الحالة الاولى تكون الرؤيا فيها مشوشة ضبابية مثيرة تتحرك فيها الغرائز والرغبات لاستكشافها وتكون تلك الرغبات هي السيد والقائد .. فيندفع الانسان بعمى الغرور ليقع فيها برضاه الكامل... والمتعة لا توصف مع احساس بالتحرر والشجاعة والقدرة .. "

تستوعب شهرزاد الكلام بينما تسأل بلهفة رغم الألم الواضح الذي يعتصر ملامحها الناعمة " والثانية ؟"

فترد فريدة بملامح هادئة

" الحالة الثانية تبدأ ... منذ لحظة الوقوع في الفخ فيبدأ معها الضباب بالانقشاع التدريجي .. ينجلي متخلياً عما كان يمنحه من غموض

جذاب .. ومع مرور كل لحظة يشعر الانسان بقيمة الثمن المدفوع .. في البداية لا يشعر بما يدفعه حقاً او يستصغره .. لكن مع استمرار الوقوع يزداد الثمن المدفوع طردياً .. وكلما طال الوقت كلما ارتفع الثمن .."

أطرقت شهرزاد النظر واصابع يدها تتقلص فتضيف الدكتورة قائلة " تجربة الوقوع لا تُنتسى .. تظل محفورة خاصة اذا كان الثمن غالياً جدا .. بعدها عندما يمشي المرء في طريق يصادفه مزيدا من الافخاخ يبتسم والاغراء يحاول عبثاً شده من جديد وقد تتحرك بعض رغباته لتشجعه لكنه في النهاية يمضي تاركا الافخاخ تمر به دون أن يهتم ... فليقع فيها غيره ويجربها ان شاء.. اما هو فقد اكتفى منها .."

رفعت نظراتها لتهمس بالسؤال بإلحاح

" اذن هيثم.. لن يفعلها مرة اخرى ؟"

تحركت الدكتورة لتعود لمكانها وهي تقول بهدوء ونبرة واضحة محددة

" انا لا اعطي اجوبة كهذه يا شهرزاد .. "

جلست على كرسيها باستقرار تنظر لوجه شهرزاد الحائر المعذب فتبتسم لها وتقول

" نحن نتحدث فقط عن الطبيعة البشرية .. نمعن النظر فيها .. فالمنطق يحكمها حتى في جنونها .. لا يوجد شيء لا يخضع للمنطق .."

هذه المرة يدها تقبضت فوق سطح المنضدة لتسأل بوجع " اذن .. ما الحل ...؟"

ما زالت تبتسم لها وتبثها بعض الطمأنينة بصوتها دون وعود حاسمة وهي تقول بدقة

" الحل سنعمل معاً على محاولة ايجاده .. خطوة بخطوة سنظل نحاول معاً دون يأس .. الآن يجب ان أعرف باقي الحكاية كلها ...
امممممممم.. ماذا ستحكين لي اليوم ؟ "

استرخت شهرزاد قليلا وهي تميل بظهرها للخلف تسترخي على كرسيها وتلتمع عيناها هامسة " سأحكي لك .. كيف احببته طوال حياتي.."

اخر الاسبوع ...

صبيحة يوم الزفاف...

(إلبسي يا عروس الفستان .. البسي يا عروس الفستان .. ابن الشيوخ ينتظر فقد آن الاوان .. البسي يا عروس الفستان ...)

صوت الفتيات الصغيرات يصدح بالغناء منذ الصباح الباكر في طرقات القرية التي تتزين ابتهاجاً ما بين بيت كبيرهم عبد الجبار الشيخ حيث العريس حضر من (العاصمة) وبين بيت عبد الملك الشيخ حيث تجمعت النسوة لتحضير العروس (عجمية) لتُزف الى بيت الشيخ وعريسها ابن الشيوخ...

صوت الغناء وتصفيق النساء وزغاريدهن ورقصاتهن منذ ليلة الامس وهن يحتفلن بليلة الحناء كل هذا جعل هاجر بذهن مخدر تستسلم لهم بعينين مفتوحتين ذاهلتين ووجه محمر من انفعال يخطف انفاسها ..

" انها ليلة عرسك يا عجمية التي لن تعوض .. ولن تتكرر .. افرحي .. افرحي .."

همس نسرين الدائم في اذنها بهذه الكلمات جعلها تدخل عالمهم برضا عجيب وتتركهن يفعلن بها كل ما شئن ..

تجلس وسط بخار الحمام وجسدها ملفوف بمنشفة كبيرة وامرأتين تعتنين بها تحت اشراف نسرين ..

تدلكان بشرتها بالزيوت العطرية فتسترخي هاجر وترتخي اجفانها ولا ترى عيناها الا رسم الحناء على ذراعيها وكفيها البارز بوضوح متناقض مع بشرتها ...

انها لم تعد هي ... لقد تلبستها روح (عجمية)!

يفتح صنبور الماء ليجعله ينهمر فوق رأسه ..

لقد غادر (سجنه) منذ ساعات ليمضي الخطوات بما رُسم له ويصل بيت والده حتى يؤدي دوره الاخير معها ...

اخاه ناصر هو من احضره بصمت .. لم يتبادلا الكلام على الاطلاق ..

أتاه قبيل الفجر للاسطبل القديم واخذه لبيت اباهما حتى لا يراه أحد بمنظره البائس ...

تسلل للبيت وكأنه طريد يلجأ لبيت الشيخ..

ذلٌ يتحمله .. ومستعد ان يتحمل المزيد معه..

لكن فقط يريدها .. راضية ..

(إلبسي يا عروس الفستان .. البسي يا عروس الفستان .. ابن الشيوخ ينتظر فقد آن الاوان .. البسي يا عروس الفستان ...)

صوت غناء الفتيات في الطرقات عذاب جديد يصل مسامعه فيدير وجهه تحت المياه المنهمرة وقلبه يتجمر تجمراً ..

سيراها الليلة بفستان الزفاف الذي اراده لها..

ربما لن يلمسه بيده لكنه سيكتفي ان يحفظ الصورة برأسه حتى آخر العمر ..

ليلة العرس...

منذ ساعات والذبائح تذبح على اصوات الاهازيج وقد تجمع اهالي القرية كل يأخذ نصيباً من الفرح .. صوت الاعيرة النارية مستمر منذ الغروب والكل يتجمع في بيت الشيخ بانتظار وصول عروس ابن الشيخ ..

الكل بات يناديها (عجمية) فقد انتشرت التسمية كما تنتشر النار في الهشيم ...

رفع عبد الجبار الشيخ سيفاً لتتعالى اصوات الطلقات والزغاريد بكثافة تحية للشيخ وهو يرقص بالسيف في عرس ولده المفضل ...

يجلس فرقد بأبهى حلة وسط الرجال المحتفلين بعرسه .. اخوته.. ابناء عمومته.. والده الذي يناظره بين الفينة والاخرى...

كلهم كانوا مدعاة للفخر والعزوة...

حفنة من سعادة تسللت لقلبه وهو يبتسم بصمت للعرس المقام وكأنه مهرجان ينير ظلام الليل..

انه سعيد لاجلها هي .. فكل هذا يخصها كما يخصه ويرفع من شأنها ...

عيناه حادتا نحو شبابيك الدار يتلوع شوقاً كي يراها .. ان يمسك كفها ويشد عليه ويهمس في اذنها

(انا عزوتك امام العالم أجمع...)

تغيم عيناه وتتباطأ نبضات قلبه..

فغداً الفراق ...

بعد ساعات ...

في غرفة ملوكية الطراز من عهد عثماني قديم تقف هاجر امام مرآة كبيرة تحدق بتشوش في صورتها المنعكسة ، بل باحاسيس عجيبة تخنقها تأثرا واثارة ...

كانت تشعر بالدوار من كل هذا اليوم الطويل العجيب على انغام الغناء والزغاريد والأعيرة النارية ...

ووسط كل هذا تتوه من نفسها جزعاً وفرحاً وهي تنظر لفستانها الابيض ..

فستان مختلف عن اي فستان عرس رأته او حلمت به يوماً ليكون لها ...

ليس الأجمل لكن في نظرها هو الأجمل لها على الاطلاق .. هو لها وحدها .. مختوم باسمها المطرز باللؤلؤ ...

خيال فرقد بات خلفها بعد ان اغلق باب الغرفة فتلمح عباءته وهيبته لكنه صامت مسبل الاهداب فلا تعرف كيف يراها ..

تخنقها العبرة من شدة التأثر وقد اضمحل كل الكون في هذا الفستان الذي ارتدته منذ بضع ساعات لا اكثر ...

تمسد بكفين مرتعشين فوق الحرير الذي يكسوها تماما وحبات اللؤلؤ التي تزينه .. غطاء الرأس من نفس الحرير وكانت قد ابعدته عن وجهها للخلف لتحدق بلهفة في تفاصيل الفستان..

تمتمت وهي تكاد تنهار من الفرح

" هل أبدو جميلة بالفستان ..؟ "

يا وجع القلب ... الا تشعر به هذه الغبية الاحساس ؟!

ما زال مسبل الاهداب غير قادر على النظر ..



يكفي طارف الفستان الذي يلمحه يلامس الارض يشعل فيها النيرااان ..

اغمض عينيه تماماً وهو مسمّر مكانه يدعو اللّه ان يمنحه القوة لتمر هذه الليلة بسلام ..

لكن الاختبار صعب بل مستحيل وهي لا تيسره له .. تقترب منه فتهمس بنبرات متوسلة كطفلة صغيرة " اريد صورة لي بالفستان ... ارجوك ... التقط لي صورة ..."

بدأ العرق يتصبب منه وهو يتمتم

" حاضر .."

ثم يخرج هاتفه من جيب جلبابه بصمت .. يده ترتجف وهو يفتح كاميرا الهاتف ويرفعه ليحدد صورتها وينظر اليها من خلالها...

للحظات كان يحدق بالصورة دون ان يلتقطها بكاميرته .. انها .. هاجر ... من ضاع بسببها..

ربااااه هل يمكن ان يراها اجمل مما تراها به عيناه الآن ..؟!

تقف سعيدة فخورة كطفلة بفستان العرس الابيض الذي حمل اسمها .. شعرها الاحمر شع حول وجهها .. عيناها المكحلتان وشفتاها الشهيتان بحمرة قانية...

ها هي تقف هكذا عروسا له في بيت والده واهازيج العرس والفرح ما زالت مستمرة تصدح في الخارج ..

ها هي .. كما حلم منذ اول مرة وقعت عيناه عليها ... منذ ابتليُ بعشق روحها الوهاجة ...

دوى قلبه وكأنها اعيرة نارية في صدره ...

لا يعلم هل ضغط بإصبعه زر الكاميرا عن وعي ام ينفذ كمعتوه مشيئتها دون ارادة منه..

ما زالت تلهو بفستانها غائبة مغيبة عما يعانيه وهي تهمس بارتجاف " فرقد .. اريد ان آخذ الفستان معي .. هل استطيع الاحتفاظ به ؟ ارجوك اترك الفستان لي .. لم أحظ بشيء خاص كهذا في حياتي .. ولن يكون لي ليلة زفاف اخرى لانتظر فستان عرسي .."

وقع الهاتف منه ارضا ... لا هو ادرك وقوعه ولا هي ....

كلاهما واقفان امام بعض في لحظة ثابته من الزمن ولا يفصل بينهما الا .... خطوتين ...

عذاب عذاب عذاب ..

فقدانه السيطرة يصل الذروة وكل جمر في روحه يلتهب ..يشتعل... مطالباً بها ...

تنظر اليه بتلك العينين المكحلتين تهمس بصدق ورضا بالمكتوب

" لن تكون لي يوماً ليلة زفاف حقيقية ككل البنات .. على الاقل احظى بالفستان الابيض الذي طالما حلمت ان املكه .. بل هو هذا الفستان دون غيره ما حلمت به .."

قطع ما يفصل بينهما وكأنه يقطعه بسيف بتار ليقف امامها لاهثاً مشتعلاً وجسده يكاد يلامس جسدها فتشب النيران شوقاً...

هدر وهو يتنفس بصعوبة



" ان كان الفستان الابيض حلمك فأنت الليلة كل حلمي .. يا حشاشة قلبي المتوله بك .. اللعنة انا لا احتمل رؤيتك هكذا يا هاجر دون أن .. ألمسك ... اقتليني او ... ارحميني و.... ارضي .."

رفعت وجهها اليه تحدق بتوهان وجمره المشتعل ينتقل اليها " انا ... لكن ... انت ..."

لم يعد يستطيع .. اصابعه ترتفع لتلمسها أول لمسة فيختض جسده بعنف لملمس الحرير الملتصق ببشرتها فيقول بخفوت " لا يوجد (لكن) .. فقط انا وانت ... دعيني امنحك ليلة زفاف لم تحلمي بمثلها قط.. يا من تغار منها كل فتيات الصحارى والوديان ..."

اخر جملة قالها بلهجته القروية ليرتجل مزيدا من الشعر مشبعاً بروح بيئته وارض اجداده ..

" طفلة تلعب بمواطن الحنان ..

وصبية تتلاعب بشغاف قلوب الانام ..

وامرأة بكل جبروتها تبحث بضعف عن الاختباء في الاحضان .."

تعذبه بنظرات عينيها المشدوهتين لشفتيه .. تعذبه بانفاسها المتسارعة حتى اخذ صدرها يلامس صدره مع كل صعود ..

الكلمات تخرج من فمه دون تفكير فقط ينبضها قلبه فينطقها لسانه وهو يقترب بفمه من حمرة فمها



" حُسنها ليلة زفافها يعذب الروح فيهمس القلب في أذن الزمان حيران ..

يقول هل سمعت بهذا الحُسن ام هل أجوب مزيداً من البلدان ..؟"

ما زالت عيناها مشدوهتين ومع كل كلمة منه تنهار فينهار هو الآخر واصابعه ترتفع لوجهها تلامسه بجنون وتخلع عن رأسها طرحة الحرير لتسقط أرضا كالريش وما زال فمه يتعذب انتظارا لمذاق فمها فيكمل من فيض الذي يحرق جوفه

" يجيب الزمان..

سافر وابحث ما شئت رحّالاً بين الشطآن..

سيظل الحُسن فيها قابعاً في حشا روحك كربوع الأوطان ..."

تقطعت حروف اسمه على شفتيها بحاجة ضارية مزقتهما معاً " فـ..ـر..قـ..ـد ..! "

فتنغرز اصابع كفيه بخشونة مؤلمة بين خصل شعرها والحرمان الطويل يقتله

" تنادي بالحروف إسماً حامله يتوجع بلوعة الحرمان ..

يتوله بها فيثور ويمزق لاجلها الأبدان ..."

عيناه في عينيها وكأنهما يغوصان في بعض حتى اعماق خفية فيهدر بأنين ألم العشق المبرح

" يشتاق وصالها .. يشتاق روحها.. يشتاق منها ما لم يصل اليه أنس ولا ..جان.."

كلاهما تحرك ملتحماً في الآخر في جوع قبلات محمومة فيصرخ فرقد بشغف الهوى المكبوت وهو يدفع عباءته لتقع ارضاً

" ارحمني من عذابي.... يا رحمن ...."

لهجته القروية الثقيلة وهو يلقي شعراً يتغزل بعشقها جعلتها تتنفس الحياة وكأنها ولدت لاجله ..

تشبثت به بجنون صاعق لها اكثر مما هو صاعق له ... تتأوه وهي تشده اليها وتهمس له بالرضا والقبول .. بل تطالبه بحقها فيه ..

حقها في ليلة زفافها معه ... معه هو ..

يبعثر مشاعرها وتضيع اصابعه تائهة بين نعومة الحرير ونعومة جلدها المعطر فيصرخ لها بالعشق الذي خلع عباءة النكران ...

العاصمة..

بيت منذر الطحان ..

يتقلب في السرير ويشعر بالاختناق ..

يحلم بهاجر وكأنها تقف وحيدة ..

في مكان مظلم وفمها مكمم !

يناديها .. يحاول الوصول اليها لكن وكأنه يقف مكانه وخطواته لا تقربه اليه..

التفتت اليه ..نظرت نظرة واحدة نحوه ثم...
عادت تنظر في اتجاه آخر ...

رنين شديد يضج في رأسه فجعله يشعر بصداع
رهيب وهو تحت سلطان النوم ..

شعر بالألم يشق صدره و هو يوقظ نفسه مم
كان يحلم به .. انفاسه ما زالت متسارعة
والعرق يتصبب منه ..

تلاشى كل الحلم الا .. الرنين !

التفت جانباً وهو ينهت فينظر بلا تصديق
لهاتفه الذي يضيء ويرن في نفس الوقت..

بيد مرتعشة التقطه وينظر للرقم الغريب
المجهول الهوية فيفتح الخط وهو يلهث
بالسؤال " من .. من معي؟"

كان ينتظر بجنون ان يسمع صوت هاجر
لكنه لم يسمع الا صوت انثى اخرى ..

" ارجوك .. انا.. دينا .. اسفة لكني لا اعرف
ما افعل ... ولمن ألتجأ ... "

ببطء يستوعب منذر من تكلمه فيبعد الهاتف
عن اذنه لينظر كم الساعة فيجدها قرابة
الفجر !

تتأهب كل حواسه بينما يعيد وضع السماعة
على اذنه ويسأل دون مماطلة

" اخبريني ماذا حصل ؟ "

فترد وهي تختنق ببكائها المكتوم وقلة
حيلها فيما ابتليت به

" انه عدي .. لا اعلم من اين تحصل على رقم هاتفي .. لا يكف عن الاتصال منذ ساعة .. صوته غريب وكأنه.... مخمور ... انه هنا .. يقف في شارعنا ويهددني ان لم انزل له الآن سيثير فضيحة لي في المبنى كله .. اتوسل اليك تعال واقنعه ان يرحل ..."

اشتعلت عينا منذر غضباً فيزيح الغطاء عنه وهو يغادر سريره قائلا

" انا قادم في الحال.. اعطني العنوان بالكامل.."

وخلال اقل من دقيقة ارتدى ملابسه ثم غادر البيت دون ان يُشعر والديه يقود سيارته وسط شوارع العاصمة الهادئة بسرعة جنونية ...

قرية الشيوخ .. مع بداية بزوغ الشمس..

بيت عبد الجبار الشيخ ..

بين حرير الملاءات تشعر بالاكتمال.. بالامتلاء.. بالانتماء !

عقلها يحلق ومشاعرها تحلق ...

تتقلب عارية واحلامها تختلط بواقعها ...

ليلة طويلة وكأن لا نهاية لها .. لم تعد تميز متى تكون بين ذراعيه حقاً يبثها الغرام ومتى تعيش حلماً معه يشتعل بالهيام...

لقد احتل ليلتها طولاً بعرضاً ..



وكأنه افرغها من كل شيء وأعاد ملأها من جديد ....

عبست وهي تفتقد خشونته جوارها ...

تيقظت حواسها وهي تستقيم بجذعها فيتزحلق الغطاء .. تحمر وهي تعيد الغطاء تتشبث به لتستر عريها بينما تنظر حولها في الاضاءة الخافتة للفجر تبحث عنه ...

فستانها الابيض مكوم على الارض مع باقي ملابسها و .. عباءته وجلبابه ...وكوفيته...

عضت شفتها السفلى وهي تعاود البحث عنه ثم تهمس بارتباك " اين .. ذهب ؟"

تتضرج وجنتاها بحمرة رهيبة بينما عقلها يستوعب كم الصور الحميمية التي عاشتها معه في ليلة كأنها طالت لاجله ولاجلها ..

أجفلت وقرع خافت على باب الغرفة وصوت انثوي يناديها من خلفه " هاجر .. هاجر ..."

رمشت وهي تسارع لتهبط من السرير تلف حولها الغطاء وتتجه لخزانة الملابس تبحث بخجل فظيع عن اي شيء يستر عريها ..

وجدت عباءة نسائية حريرية فسارعت لارتدائها ثم تتجه نحو باب الغرفة تفتحه بمقدار ضئيل حرجاً مما قد ينكشف من آثار ليلة زفافها الصاخبة فترى امامها نسرين بوجه .. شاحب..

يخفق قلبها بحدس مباغت خانق وهي تتساءل بصوت مبحوح " نسرين ؟! ماذا هناك ؟"

ردت نسرين والدموع تسيل من عينيها دون ارادتها هامسة بلوعة " ابي تعرض لحادث اطلاق نار وهو في طريقه.. لصلاة الفجر .. "

شهقت هاجر وهي تسأل " هل هو .. بخير ...؟"

عندها انفجرت نسرين بالبكاء وهي تولول

" لقد ...اختطفوه... يا عجمية .. اختطفوه.."

اضطربت انفاس هاجر ورأسها استدار بحدة نحو داخل الغرفة تمشطها بحثاً عن اي اثر .. تشعر وكأنها ستموت دون ان تلمح وجوده .. أثره .. صوته الذي اشبع اذنيها غزلا وعشقاً طوال الليل وكأنها لم تسمع صوته قبلاً .. انفاسه التي غزت كل شبر منها روحاً وجسداً وكأنه يملكها للمرة الاولى ...

اذناها تطنان وهي تسأل بشراسة

" اين فرقد ؟!"

ردت نسرين وسط ولولتها " جن جنونه وحمل السلاح بمفرده وانطلق باحدى السيارات قبل تجمع باقي رجال العشيرة .."

تجمدت نظرات هاجر وقلبها فقد نبضاته .. ذكرى آخر همسة منه في اذنها وهو يعتصرها لصدره " تعالي ونامي بحضني يا طفلة "...

الجمرة الثامنة عشرة

العاصمة

تنفس منذر الصعداء اخيراً عندما عثر على عدي.. وجده يقف وحيدا في الشارع الخالي مقابل احدى المباني السكنية المتراصة ذات الادوار القليلة التي لا تتعد الاربع.. مبانٍ في مجملها قديمة متوسطة الحال ..

مؤكد المبنى الذي اختاره عدي ليقف قبالته على وجه التحديد هكذا وهو مخمور يكاد يفقد توازنه هو المبنى حيث تقطن دينا احدى شققه مع والدها ...

ترجل منذر من السيارة وداخله يموج بالغضب الذي يحاول جاهداً كبته .. لا يريد اثارة اي مشكلة تستجلب النظر وتكون تلك المسكينة ضحية لها من جديد ..

نظر باشمئزاز لعدي الذي كان يترنح على الرصيف وزجاجة الشرب الفارغة تترنح هي الاخرى في يده غير الثابتة...

تطلع منذر حوله ليتأكد من خلو الشارع ثم تقدم بخطوات واسعة ناحية من كان يوماً ما صديقه او ربما .. ظنه صديقه ..

أمسكه من ذراعه وهو يقول بخفوت لا يخلو من غضب مكتوم

" هيا لنرحل ... انت مرهق .."



اخذ عدي ينظر بعينيه الحمراوين الى وجه منذر .. يمعن النظر فيه للحظات وبدا وكأنه يتعرف عليه بصعوبة ثم بدأ يقاومه بضعف قائلا بتعثر ثقل لسانه

" منذ..ر ....مممماذا ... تفـ..عل هنا... ؟"

يمارس منذر كل ما يستطيع من ضبط النفس وهو يجره من ذراعه قائلا بتصلب

" هيا عدي .. جئت لأعيدك للبيت .."

لسان عدي يثقل أكثر كثقل جسده وهو يستند على منذر " لا .. ارحـ..ل انتـــ... انا انتظـــ...رها... لم تنـ..زل الي.."

ثم يبتسم ابتسامة حقيرة ونظراته تبدو وكأنها غائمة مضيفاً " ستأ..تي .. تلك الملعو..نة... لن .. تحتمل... فضيحـ....آآه ..."

كان منذر قد لكمه بعنف شديد حتى أوقعه أرضاً وفقد عدي وعيه على الرصيف .. بصق منذر عليه وصدره يعلو وينخفض انفعالاً وهو يردد هادراً " خسيس وضيع ...نذل ..."

تمالك منذر نفسه وهو ينحني ليرفع عدي الغائب عن الوعي ونقله لسيارته ثم خلال دقائق كان ينطلق مرة اخرى بين شوارع العاصمة وهو يجري اتصالا بموريس ...

جاء صوت موريس الناعس من اثر النوم لا يخلو من القلق

" ماذا هناك يا منذر ؟ هل انت بخير ؟"

تطلع منذر لحظة لوجه عدي جواره الذي علا شخيره ورائحة الكحول تفوح منه مع رائحة العرق الى درجة شعر بانقلاب معدته ...

عاد منذر ليتطلع للطريق ويرد على موريس

" أنا بخير لا تقلق .. اعتذر للاتصال في هذا الوقت .. فقط اريد منك ان تصف لي عنوان بيت عدي بالضبط .. ولا تنس رقم الدار .. مرت سنوات مُذ ذهبت هناك لآخر مرة..."

بدا صوت موريس اكثر تركيزا وهو يسأل بقلق مضاعف " ماذا يجري ؟ لماذا تسأل عن عنوانه في هذه الساعة من الفجر ؟"

يكز منذر على اسنانه ثم يرد " سأخبرك بالتفاصيل فيما بعد .. انا اعيده لبيته وهو مخمور ولا اعرف كيف اصل .."

رد موريس بنبرة عملية

" حسن .. خذ العنوان .."

استغرق منذر ما يقارب الثلث ساعة حتى وصل الى بيت عائلة عدي .. سلمه لوالده الذي توشح وجهه بالخزي بينما يتمتم خجلا بكلمات شكر خافته فأشفق عليه منذر أيما أشفاق لينسحب سريعاً عائدا لبيته ...

كان بيت عدي في الجهة الاخرى من العاصمة ..

تلك المسكينة مع ابيها اختارا حيّا بعيدا عن عدي حتى يتخلصان من الفضائح التي يثيرها ومع هذا لم ينفع !

ماذا يفترض ان يفعلان ؟! ما هو الحل ؟

كيف يمكن لفتاة مثلها ان تعيش حياة طبيعية .. ما ذنبها بخسة شاب حقير مهووس بها ولا هم له الا ان يكسرها حتى أمام نفسها.. لم يكتفِ انه كسرها امام الناس ...

التقط منذر هاتفه واتصل برقمها ...

رق قلبه لجزع صوتها الخافت وهي تقول له

" طمأني بالله عليك .. هل رحل ؟"

فرد منذر يطمئنها بنبرة دافئة

" لا تقلقي... لقد اعدته للبيت ووالده استلمه مني وهو غائب عن الوعي من شدة السُكر.."

لم يسمع في حياته صوتاً باكياً مؤثرا هكذا.. تداري عليه وكأنها تخجل منه وتبكيه وكأنها لا ملجأ لدموعها غيره ..

لقد لمست فيه شيئا مختلفاً .. ايقظت احساساً انسانياً عجيباً مجرداً ... رغبة ملحة ان يفعل المستحيل حتى تتوقف عن البكاء ..

ركن السيارة على جانب الطريق ثم لم يشعر الا بصوته يأتي نابعاً من تأثره ذاك

" ارجوكِ لا تبكي .. "

كانت تتعثر وهي تحاول لملمة شجاعتها وتماسكها لتقول بخفوت



" شكـ..را..... اسفة .. لاني .. لجأت اليكـ.."

ابتسامة رقيقة داعبت ثغره وهو يقول بنبرة رجولية تفيض تدليلاً وكأنها اختاً صغيرة حظي بها على غفلة ! يكلمها ويطيب خاطرها بألفة عذبة ... لم يشعرها في هذه اللحظات انها مجرد فتاة ناضجة غريبة تماماً عنه جعلتها الظروف تلجأ اليه

" لا تأسفي ابداً... انا راض وسعيد ان تتصلي بي متى ما احتجتِ .. اذهبي الآن وخذي قسطاً من النوم ... وعندما تستيقظين اتصلي بي لو سمحت.. اريد ان اكلمك بموضوع.. ربما نحاول ايجاد.. حل.. بل سنجده ... "

نبرته تلك أفاضت عليها بشعور الطمأنينة اليه لكنها مع هذا تمالكت اعصابها المنهارة ومسحت وجهها لترد بتوتر

" لا تقلق ..علي.. سيد منذر .. أنا سأجد حلا بنفسي .. انا اسفة لاقحامك الليلة لكن ..."

قاطعها منذر بإصرار " لكني ارغب ان تقحميني ... انا اريد مساعدتك حقاً في هذه المشكلة .."

صمت للحظة وهي على الجهة الاخرى صامتة ليضيف منذر بجدية " انت تحتاجين لمساعدة يا آنسة دينا .. عدي لن يتوقف وانت تعرفين.."

عندها همست بيأس وكانها تكلم نفسها

" ماذا أفعل ؟! ماذا أفعل ؟! سأفقد أبي بسببه .. يا الهي.. فقط لو كنا نستطيع الانتقال لمكان جديد .. رباااه كيف أتصرف ؟!"

عادت شعلة الغضب لتتأجج فيكبتها منذر قائلا بهدوء " الآن يجب ان تنامي وتهدأي .. سنتكلم لاحقاً .. "

بدت شاردة منه وهي تتمتم بخفوت

" يفعل الله ما يشاء .."

عندما اغلق الخط معها كان يتملكه شعور انها تبعده بطريقة مؤدبة لكنه يعلم عن يقين انها تحتاجه ... لم يكن يشعر انه يفرض نفسه عليها بل على العكس هي تريد عونه لكنها عزيزة النفس لا تتقبله منه..

اخذ منذر يقود سيارته لبيته وهو يتثاءب دون ان يفارقه التفكير بايجاد حل جذري لمشكلة دينا ..

في نفس الوقت ... شقة طاهر الاحمدي

دخلت حياة غرفة المكتب الخاصة بزوجها حاملة فنجان القهوة بينما يسألها طاهر قائلا

" كيف هي سهر ؟ هل نامت ؟"

تنهدت حياة بعاطفة الام وهي تقول بينما تضع له فنجان القهوة على سطح مكتبه

" نعم ..اخيراً ..بعد ان تقلبت كثيرا ثم استبد بها الارهاق ليرغمها على النوم .. مسكينة طفلتي .. حملها الاول متعب جدا وزوجها الجلف عديم الاحساس لا يفهم ولا يعرف كيف يراعيها.."

تبسم طاهر وهو يحمل الفنجان لفمه يرتشف منه ويخفف عن زوجته بالقول

" هانت لم يتبق الا شهر واحد باذن اللّه.."

جلست حياة على كرسي قبالة مكتب زوجها لتستند بكوعها على حافة المكتب وتضع يدها على خدها تنظر لزوجها باهتمام قائلة

" ما بك يا طاهر ؟ لا اظنك مهموماً هكذا بسبب سهر .. ولا اظن استيقاظك المبكر هذا لتطمئن انها نامت .."

تجهمت ملامح طاهر الاحمدي وهو يقول

" لا اكف عن التفكير بهاجر يا حياة.."

ردت حياة ببعض الجفاف " هي من اختارت البعاد بهذه الطريقة .. دوماً كانت تتصرف على هواها ولا مُشاور لها الا عقلها .."

عاتبها طاهر بالقول

" لا تكوني قاسية هكذا عليها .."

ردت حياة وهي تعقد حاجبيها قائلة

" انا اقول الحق يا طاهر .. ألم تصر هي على العيش بمفردها منذ البداية ؟ ألم تصر على الزواج من زميلها بالعمل فرقد دون اعتبار لك وكأن لا أهل لها ثم تتمم زواجها به بطريقة مخزية لا تليق بأعرافنا لتضع نفسها بموقف سيء حتى انها لم تجرؤ على الاعتراف بما جرى معها الا لك.."

حاول طاهر ان يفتح فمه ليرد عندما أضافت حياة بنفس النبرة الاتهامية الموجهة لهاجر وهي تعدد ما فعلته من اخطاء

" ألم تخدع رجلا اخر لا ذنب له الا انه تعلق بها وهي توهمه انها (بنت بنوت) .. ثم تختفي الآن بعد ان تترك لك رسالة باهتة انها تحتاج للوحدة تاركة المسكين منذر في حالة جنون لا يستحقها منها .."

مرت لحظة طويلة صمت فيها طاهر ثم تشرد عيناه نحو صورة مؤطرة على مكتبه لابنته سهر وهي طفلة بملابس السباحة .. طفلة سعيدة وممتلئة بالاكتفاء .. لقد منحها وزوجته حياة كل مشاعرهما واهتمامهما ..

لم يجعلاها تشعر بلحظة وحدة ، خاصة وهي طفلتهما الوحيدة فكان العبء عليهما حتى يمنحانها التوازن .. بذلا قصارى جهديهما ليربيانها بطريقة صحيحة ...

وبينما يتذكر صغيرته سهر طفلة لا يسعه الا ان يتذكر ابنة اخيه .. هاجر ..

طفلة ولدت وعاشت وكبرت ... وحيدة ...
بكل ما تحمله الكلمة من معنى ... وحيدة ..
ليس وحيدة فحسب ...

بل ...مهملة.. تعيسة... جائعة للعاطفة ...

عندها قال طاهر معبراً عن افكاره

" انها وحيدة يا حياة .."

فترد حياة بغيظ " لا تختلق لها الاعذار يا طاهر .. هي اختارت ان تبقى وحيدة .. انا اعرف ان والدها كان سببا فيما آلت اليه امورها لكنك كنتَ موجودا وعرضتَ عليها دعمك .."

فقال طاهر يرد على كلامها بنبرة شابها الحزن واحساسه بالذنب

" لقد اعتادت فكرة وحدتها والاعتماد على نفسها .. انا جئت متأخرا جدا لأمنحها اي شعور.. كما اظنني لم اقدم لها الاحساس الذي ارادته .. الابوة الحقيقية .."

لكن حياة ما زالت مصرة على وجهة نظرها لتتكلم من منطلق واقعي وتقول

" انا لا افهم هذا الكلام يا طاهر .. هل كلنا عشنا حياة اسرية متكاملة ومثالية؟! ثم ان الاحاسيس والمشاعر ليست كل شيء .. لدينا تقاليدنا التي يجب أن نحترمها وحدود مجتمعنا وتصرفاتنا المحسوبة فيه تحفظ كيان هذا المجتمع .. لا اظن انها كانت ستعاني (القهر) لو تنازلت قليلاً ورضيت البقاء تحت سقف بيتك حتى وان لم تمنحها (الابوة الحقيقية)

كما تصفها انت .. غيرها يتمنى ربع الدعم الذي عرضته انت عليها .."

كان طاهر الاحمدي ينظر لزوجته فيرى فيها نموذجاً او صورة للمجتمع الذي كانت تتحدث عنه للتو ..

حياة هي فعلا انعكاس كامل للمجتمع بحسناته وسيئاته ..

لا يستطيع لومها ولا يستطيع تفنيد ما تقوله لو نظر للامور من وجهة نظرها هي ..

لكن .. الاخطاء تحصل على الدوام والاعراف والتقاليد احيانا تحدث خللا بدلا من ان ترأب صدع !

قال طاهر بنظرة عميقة " كل انسان عندما يكون في موقف ما يقيس بطريقته ووفق منظوره وظروفه .. لا يقيس بالادنى ويرضى بما لديه بل يقيس بالاعلى ويتحسر ويغضب عليه .. هذه طبيعة البشر .. لا نستطيع ان نلوم هاجر على احساسها بالوحدة ونأيها بنفسها عنا لاننا لم نعطها المنزلة الخاصة بالمشاعر التي تحتاجها .. لكن نستطيع ان ندعمها لتمضي قدماً .."

تنهدت حياة وكأنها لم تقتنع بدفاع زوجها عن ابنة اخيه لتسأل " الآن ماذا ستفعل ؟"

يحدق طاهر في الفنجان الذي بردت قهوته فيقول بإحباط

" لا اعلم .. حقاً اشعر بالعجز الكامل .. اسبوعان كاملان وهي مختفية .. سألت عنها كل من يعرفونها ولم أصل لخبر .. هاجر دوماً تضع حدوداً في علاقاتها مع الاخرين بل ترتدي قناعاً مختلفاً عن حقيقتها .. ولا تسمح لاحد ان يقترب اكثر مما هي تريد .. "

صمت للحظة ووجهه يعاود التجهم ليضيف

" مصطفى استفزني اخر مرة كما هو متوقع منه وهو يقول لي ربما ستجدها تلف اوروبا ! تخيلي والدها ليس لديه حتى فكرة عن قدرات ابنته المالية .. اي اوروبا هذه ؟! ومن اين لها لدفع تكلفة رحلة كهذه ..؟!"

رفع عينين قلقتين لشريكة حياته وهو يتساءل " ماذا لو كان اصابها مكروه وهي بمفردها في مكان مجهول ؟! كيف سنعرف لنجدها؟"

أشفقت عليه زوجته فتمد يدها لتمسك بيده تشد عليها وتقول " هون عليك يا طاهر .. لو حصل شيء لا قدّر اللّه مؤكد هي تحمل هويتها أو جواز سفرها وسواء كانت داخل البلاد او خارجها سيتم تبليغنا .."

فيجزع طاهر أكثر قائلا

" يا حياة نحن لا نعرف الى اين ذهبت .. يا الهي كل يوم أخشى ان افتح الصحف لاجد اسمها مدوناً في حادث ما .."

عفوياً قالت حياة بتأثر

" يا ساتر .. لماذا فأل الشؤم هذا على الفتاة ؟!"

فيتنهد طاهر وهو يرخي رأسه للخلف قائلا

" كل يومين تقريبا أبحث عنها في المستشفيات او مخافر الشرطة .."

ثم رفع يده ليمرر اصابعه فوق جبينه مضيفاً بهم وغم

" من يفترض ان أبلغ ؟! من يساعدني لايجادها؟ هل اوظف تحرياً مثلا ليبحث عنها ؟ ربما هذا الحل الوحيد المتبقي لدي.. لكني لم أفعلها في حياتي ولا اعرف متى مصداقيتهم او حفاظهم على الاسرار... لا اريد الفضائح لها .."

ردت عليه حياة بعبوس " يا طاهر انت تبالغ .. الفتاة اعتادت السفر بمفردها منذ الصغر وطبيعة تربيتها بمجتمع غربي تختلف .. كما انها في الثلاثين وامرأة كاملة مسؤولة عن نفسها .. هل تظن شخصية كهاجر ستتوه مثلا او لا تجيد تسيير حياتها اذا وقعت في مشكلة..صدقني اسبوع او اسبوعان وستظهر.."

ثم تضيف بامتعاض

" وربما ستعود بشعر أشقر هذه المرة ؟"

رغماً عنه تبسم طاهر ليقول

" انت لا تحبينها .."

تراخت ملامح العبوس من على وجهها لتقول بصدق " اطلاقا ! كيف تقول هذا .. انا احبها واشفق عليها لكني لا احب افعالها .. الناس لها ظاهرنا وتحكم عليه وتعاملنا على اساسه.. ويجب ان تعترف انها لم تحترم شيئا من هذا.."

ردد طاهر " المجتمع احياناً ظالم وسطحي .."

فترد حياة بعقلانية " نعم احياناً ... وشدّد على كلمة (احياناً).. لكن الحياة كلها غير منصفة يا طاهر .. وكل مجتمع له عيوبه ونواقصه .. نتعايش معه ونرتضيه ونسايره .. والا نتحمل ما يجري لنا ونمسك ألسنتنا محشورة داخل افواهنا ولا ننطق بحرف شكوى.."

ظل طاهر ساهماً وهو يردد" ولا حرف شكوى!"

عادت لتواسيه بالقول

" ستعود .. صدقني .. وستراها بألف خير .. قلبي ينبؤني بهذا.. وسهر ايضا حلمت بها حلماً جميلاً .."

فاكتفى طاهر بالصمت والهم يثقله..

ليس الهم فحسب وهو يفكر بطريقة لايجادها ...

بل احساس الذنب القديم نحوها عاد ليؤرقه .. كلمة (لو) التي يتعذب بها عقله ....

(لو) انه فقط تصرف بشكل مختلف حيال زواجها بفرقد الشيخ .. لكان مسار حياة هاجر تغير تماماً ..!

قرية الشيوخ

مع ضوء الصباح الباكر الباهت..

حالة شلل كامل تسيطر على مشاعرها فتبدو وكأنها غريبة حتى عن ذاتها ...

تقف مسمرة القدمين وسط بهو البيت ..

على يسارها الصالة الكبرى حيث تجمعت النسوة المتشحات بعباءات سود وعلى يمينها باب البيت الكبير المفتوح حيث تأتيها أصوات الرجال في الخارج بألفاظ خشنة ثقيلة قبضت قلبها قبضاً...

أما النساء فجامدات الملامح في الصالة ...

بعضهن ابتدأن الولولة فأخرستهن حماتها سيدة الدار ..

الحاجة نزهت او الشيخة نزهت كما يناديها الكل في احترام وتوقير مبالغ فيه...

الاطفال الصغار متحلقين في وجل حول امهاتهن .. حتى نجمة إلتصقت بأمها ..

الكل انكمش بعد اختطاف الشيخ ...

وكأنهم فقدوا امانهم وانكسرت عزوتهم...

عزوة ؟! يا لها من كلمة ....!

ماذا عنها هي ؟! اين تجد (العزوة) ؟!!

تلفتت هاجر حولها يجف ريقها وهي تبحث عن عزوتها ولا تجده ....

" تعالي ونامي بحضني يا طفلة "

صوته ما زال حاراً في أذنها وكأنه همس بالجملة قبل لحظة !

صوته فقط ؟! لا .. هو كله بحرارته ما زال ملتصقاً بجسدها ... وكأنه لم يغادرها ...

عيناها مفتوحتان حتى آخرهما .. لا ترمشان لدرجة انها بدأت تشعر بالحرقة فيهما ...

بعض الدموع تتجمع لكنها لا تسيل ..

مؤكد هذه الدموع بسبب الحرقة !

باحة البيت الامامية امتلأت أكثر بالرجال الغلاظ الذين يتجمعون مع اسلحتهم ، تنظر لوجوههم عن بعد فلم تميز بينهم الا ناصر وعبد الملك ..

وجوههم كالحة صخرية التعابير .. خشنة حادة الملامح ..

يبدون بهيئة مخيفة وكأنهم انبثقوا فجأة من عهد قديم قاس لا ينقصهم الا حمل السيوف بدلا من البنادق التي يحملونها الآن...

علا صوت ناصر الآمر وهو يقول

" هيا يا رجال .. الطريق طويل ووعر للجبل .. يجب ان نلحق بفرقد قبل ان ينفردوا به "

قلبها أخذ يضخ نبضات هادرة في كل جسدها حالما سمعت اسمه ...

" تنادي بالحروف إسماً حامله يتوجع بلوعة الحرمان ..

يتوله بها فيثور ويمزق لاجلها الأبدان ..."

قوة رهيبة دبت في اوصالها فلم تشعر كيف اخذتها قدماها يميناً ناحية الباب المفتوح ..

يداها ترفعان طارف الوشاح الاسود الذي تلفه حول رقبتها لتغطي به رأسها...

صوت نسرين تناديها فلم تأبه وهي تتقدم ناحية الباب بخطى حثيثة لتعبر حدود عتبته وهي تقول بنبرة مرتفعة واضحة لجمهرة الرجال الملثمين بكوفياتهم

" انا سأذهب معكم ؟"

احنى كل الرجال رؤوسهم وتوقفت همهماتهم.. حتى عبد الملك شاركهم غض الطرف فقط ناصر من كان يرعد بالغضب وهو يتجاوزهم ليصل اليها قائلا بنبرة مرعبة

" عودي للدار مع باقي النساء.."

لم يرهبها .. بل ربما حتى شعور الخوف الغريزي منه لم يقف عائقاً امام رغبتها المحمومة لتذهب معهم ...

قالت وهي تشمخ بذقنها تتحداه بجبروت أتاها من حيث لا تدري " انا ذاهبة لأبحث عن زوجي.. ولن تمنعني "

برق الغضب الهائل في عينيه وتقلصت ذراعه حول السلاح الطويل الذي يحمله ليصرخ فيها بصوت كالرعد المزلزل

" قلت لك عودي للدار والا قسماً باللّه لطمتك على وجهك وأسلت دمك .."

كانت ذراعه الاخرى قد ارتفعت في الهواء وكفه منبسط في قسوة يوشك على صفعها عندما هب عبد الملك ليقترب من ابن عمه وهو يقول له مهدئاً " على رسلك يا ناصر .. لا تغضب هكذا .. انه زوجها ومن خُطِف حماها.. وهي امرأة شجاعة لتختار مرافقتنا .. لا تنس انها تجهل تقاليدنا وعاداتنا .."

بنفس الرعد الغاضب صرخ ناصر " سأكسر رأسها قبل ساقيها ان خطت خارج أسوار دار ابي.."

تحرك عبد الملك ليقف حائلاً بينهما مولياً هاجر ظهره .. بدا متوتراً وهو ينظر للرجال بينما يقول بصوت خافت لناصر " هدئ من روعك يا ابن العم .. دعنا نذهب الآن.."

صوت الشيخة نزهت جاء صارماً وهي تسأل

" ماذا يجري يا ناصر ؟! ما لك ومال عجمية؟"

لا تعلم هاجر اي جرأة ملكت وهي تحدق في عيني ناصر من فوق كتفي عبد الملك ..

فقط تنظر اليه بصلابة رجال اشداء لا يهابون الموت ...

ثم قالت له بنبرة ثابتة بشكل عجيب

" هل تتخيل انك تخيفني وانت تهددني رافعاً يدك في وجهي .. ام تظنني سأسمح لك بلمسي حتى.."

فيرد باستصغار وبنظرات تبخسها قيمتها

" تكلمي على قدر ما تستطيعين فعله فقط يا.. امرأة أخي الاصغر ...! طلقة واحدة من بندقيتي هذه في رأسك وأدفنك هنا دون ان يسأل عنك بشر ..."

الشيخة نزهت صامته وخلفها نسرين المصدومة وبعض النسوة المذهولات مما يجري بينما يقول عبد الملك بنفس الخفوت والجدية في نبراته ونظرات عينيه

" ناصر .. ما دام فرقد وعمي عبد الجبار غير موجودين فهاجر في حماي .."

حول ناصر نظراته لابن عمه ليقول باستهانة

" تتحداني ؟! "

فيرد عبد الملك بنبرة تبدو هادئة في ظاهرها فقط " حاشا للّه ان اتحداك .. لكنها في عهدتي حتى يعود فرقد ويستلمها مني .. لقد خرجت من بيتي عروساً وزفت اليه .. وحتى يعود زوجها ستظل تحت حمايتي .. او .. تغادرنا معززة مكرمة لاهلها في العاصمة .."

جاء صوت الشيخة نزهت حاداً شديد الصرامة

" يكفيك هذا يا ناصر .. دع عجمية واذهب لايجاد ابيك واخيك ..."

صوت رنين هاتف قاطع شحنات التوتر ليخرج عبد الملك الهاتف من جيبه فيقول بصوت مكتوم " هذا فرقد ..."

يدها ترتفع مرتجفة في الهواء وكأنها تتلمس الطريق الذي يوصلها لسماع صوته ..

لم تكن تعي انها ترتجف كلياً وان عبد الملك ابتعد قليلا مع ناصر حتى تضببت الرؤيا امامها بدموعها الغزيرة ..

سَمعُها فقط مرهف جداً يلتقط كل ما يقال بينما انخرس لسانها وعجزت عن النطق ..

جاء صوت عبد الملك عبر الهاتف خشناً صارماً وهو يسأله " اين انت ؟ ولماذا لم تكن ترد على اتصالاتنا ؟ الا تكف عن تصرفاتك المتهورة هذه ؟! "

على الجانب الآخر يستند فرقد بظهره على احدى الاشجار ، سلاحه جوار ساقه وعيناه تراقبان ما حوله بنظرات كالصقر ليضع الهاتف بين كتفه وخده ويمزق بيده اليسرى كم جلبابه الايمن ثم يلفه حول جرحه النازف بغزارة وهو يشد احد طرفيه باسنانه بينما يرد بصوت مكتوم على ابن عمه قائلا بخفوت حذر

" ليس وقت الغضب من تصرفاتي يا عبد الملك .. المهم أبي الآن .. انا في الجهة الغربية من القرية.. ابي محتجز في بيت على الاطراف واظن جازماً انه مصاب.."

عقد عبد الملك حاجبيه وهو ينظر في عيني ناصر بينما يردد بدهشة " الجهة الغربية ؟! لكن ظننا انه في الشمال على الجبل حيث قطاع..."

قاطعه فرقد بالقول الذي يتكسر قسوة وغضباً " ليسوا قطاع طرق يا عبد الملك بل.. حمدان الضاري ومعه بضعة من رجاله المخلصين له .. سأستخرج احشاءه بيدي حالما أصل اليه ذاك الجبان الخسيس .."

كان ناصر يستمع للحوار فشحب تماما كما شحب عبد الملك وهو يتمتم بذهول

" حمدان ؟!!! ذاك الفتى ابن الشيخ محمد الضاري الاصغر ؟"

رد فرقد وهو يتحامل على ألم جرحه ويقول

" نعم هو .. الأرعن اختطف ابي لينتقم .. اظنه لم يعجبه عودة المزرعة لنا .."

تمتم ناصر بقسوة لا توصف وقد ابيضت شفتاه

" هذه ستطير بها رقاب كثيرة .."

أخذ عبد الملك بذراع ناصر وهو يخفض صوته ويقول " يجب ان لا نعلن الامر الا لرجالنا المقربين .. نحرر الشيخ سالماً وهو من يتخذ التدابير التي يراها مناسبة .."

هدر صوت ناصر وهو يأخذ الهاتف من عبد الملك ليقول بعينين تفيضان برغبة القتل

" نحن قادمون يا فرقد اين مكانك بالضبط..؟"

تطلع فرقد حوله واصفاً المكان بدقة فهز ناصر رأسه قائلا بثبات " ربع ساعة وسنكون عندك فقط .. لا تتهور .. انتظرنا وسنمزقهم تمزيقاً اولاد الـ....."

رد فرقد " انا أصبت أثنين منهم .. واظن احدهما قد مات .. "

سلم ناصر الهاتف لعبد الملك ثم صرخ في الرجال ليركبوا السيارات بينما هرولت هاجر كالمجنونة تتوسل بعبد الملك

" اعطني اياه لأكلمه .."

نظر عبد الملك اليها قائلا بإشفاق " خذيه وابقيه معك .. اخبريه ان يتصل بخط هاتفي الآخر .."

ثم تركها ومضى راكضاً ليلحق بالرجال ووسط الهرج والمرج الذي يحصل من حولها كانت يدها ترتجف بشدة حتى اسقطت الهاتف ارضا لتشهق مرتعبة وهي تلتقطه وتضعه على اذنها وتكاد لا تسمع شيئا وسط كل هذا الضجيج الذي علا فوقه نبض قلبها فتصرخ بغباء وتعثر

" فرقد .. فرقد .. هل تسمعني ؟"

يجلس على الارض مغمضاً عينيه ضاماً سلاحه لصدره تغزو مخيلته دون ارادته كل ما حصل بينهما ليلة الامس من اول ما ضاع مع نعومة الحرير على جلدها المعطر حتى نامت على صدره كطفلة .. آآآه .. هي المرة الاولى التي تغفو هكذا على صدره ... المرة الاولى التي لا تنسحب منه شاعرة بالخزي .. ويا لها من ..مرة !

كيف فعل هذا وأفلتت الامور منه وهو يتوسلها حرفياً الرضا .. لا يعرف ..

كيف سيمنع نفسه -ان عاد حياً- ان لا يفعل ما فعل مرة اخرى ...واخرى ... لا .. يعرف !

رد اخيراً بهمس خشن

" يا حشاشة فؤاد فرقد .. انا هنا... اسمعك ... وسمعت ما قاله عبد الملك .."

عادت دموعها الغزيرة تغرق خديها وهي تقول ببلاهة " اين انت .. اريد.. ان آتي اليك .."

عندها فتح عينيه ليقول بغضب متفجر

" ابقي في دار أبي.. هل فقدتِ عقلك ؟! أم تتخيلين نفسك في احد احياء العاصمة وستخرجين في نزهة للنادي ؟! .."

تمتمت بجزع " لكن .."

هدر فيها بمزيد من الهياج والغضب حتى انكمشت على نفسها " قلت لا تغادري بيت الشيخ مهما حصل ولا تخرجي منه ولا تخطي عتبة بابه حتى اعود.."

اخذت تتطلع حولها للبيت الكبير الغريب بطرازه العجيب الخانق واسواره المرتفعة وبواباته المذهبة البشعة التي اغلقها الحراس للتو بعد خروج الرجال فيصيبها الرعب وحاجة ملحة ليكون جوارها لتسأله بأنفاس متحشرجة " ستعود اليس كذلك ..؟"

سألها بخشونة من نوع آخر يغلي من حاجته لاجابة تروي ظمأه " تريدينني ان أعود ؟"

اخذت تشهق بالبكاء وهي تصرخ فيه

" اللعنة.. اخبرني فقط انك ستعود .. لن اسامحك طوال حياتي ان لم تعد .."

يضحك بتسلية ومشاعره الظمآنة تتبعثر فينظر لجرحه الذي ينزف عبر القماش بينما يرد عليها " تخشين عليّ من الموت ؟! حسن .. وكيف وانا أموت فيك كل لحظة يا حشاشتي وبضعة من روحي... آآخ منكِ انتِ..."

هستيرية جزع انتابتها وكأنها جنت لتصرخ فيه بحنق بين شهقات بكائها

" اريدك ان تعود .. الآن .. الآن ...حالا .. انت وعدتني انك ستعيدني بنفسك للعاصمة .. وأنا لن أترك قريتك المخيفة هذه الا معك انت .. هل سمعتني يا فرقد .. لن أسمح لغيرك.. سأدفن هنا فأنا لن اغادر ان لم تعيدني أنت ... انت فقط من ستخرجني منها كما احضرتني اليها .. "

ادرك انها مرتعبة حد الموت ...

لم يعد يهمه ان كان ارتعابها لاجله هو ام لاجلها .. كان يجب ان يحجّم رعبها ذاك حتى لا تنهار في هستيرية وهو بعيد عنها ..

صرخ فيها بصرامة قاسية " هاجر توقفي الآن! لن تتصرفي كفتاة مدللة سخيفة .."

خفت صوتها حتى بدى كالأنين وهي تشهق وتقول " ارجــع فرقد .. لن .. احتمل.."

تسمع تنهيدته قبل ان يقول بحزم مؤثر فيها



" سأعود ... لا تقلقي ..فقط اسمعي الكلام وامكثي في الدار وابقي بصحبة امي .."

يدها تتشبث بالهاتف وهي ترتعش وتهمس

" حاضر ... "

لحظة صمت ثم قال بنبرة غريبة

" ولا تتصلي بأحد .. حتى أعود .."

ردت دون اي تفكير او تردد " لن اتصل ..."

هذه المرة تنهيدته من الاعماق قبل ان يقول

" اغلقي الهاتف الآن .. قد أموت بسببك الآن لانك تلهيني .."

اخذت تهز رأسها ثم بغباء اغلقته دون ان تقول كلمة لتصدم وهي تنظر للهاتف الذي ابتلع صوته بينما فرقد على الجانب الآخر يضحك ويهز رأسه متمتماً " اقسم بالله هذا المرأة ستقضي عليّ .. انها ابتلاء ابتليت به يا ابن الشيخ !"

كانت الشيخة نزهت قد أمرت كل النساء بالدخول بعد ان حدجت احداهن بنظرة كالصاعقة لانها تمتمت بلؤم ان (العروس الغريبة) كانت شؤماً على آل الشيخ ...

زجرتهن جميعاً وتوعدتهن بخفوت صارم انها ستقطع لسان كل امرأة تتفوه بهذه الحماقة..

وها هي الشيخة تقف بمفردها عند الباب تنظر بملامح لا تعبر عن شيء الى عِجمية ...

طوال الوقت كانت تراقب بعين متفحصة كنّتها الجديدة وهي تكلم فرقد على الهاتف.. تراقب كيف ترد وتطالب بنارية كما تراقب كيف تنكمش طاعة لزوجها ...

هذه الـ عجمية فيها شيء ... مختلف ..

لكن ما دامت تحت طوع زوجها عند اللزوم فلن يهمها كيفما تكون (آخر كناتها) ...

فرقد يحتاج امرأة مثلها .. لن ترضيه اي امرأة اخرى من نساء العشيرة .. هذه الصهباء الغريبة ابنة العاصمة تضاهيه ...

تقدمت الشيخة نزهت ناحيتها وهي تراها كيف تحدق في الهاتف بعجز وشرود فتمسك ذراعها وتقول بنبرتها الصارمة

" هيا عجمية لا يصح وقوفك هنا .. النساء في الداخل .."

تركت هاجر لحماتها مهمة قيادتها الى الداخل بينما تسمعها تضيف

" الرجال يجب ان يقوموا بما عليهم فعله وكلنا نتقبل بصمود اي خسائر حتى لو كانت بالدم والروح ما دامت النتائج ترفع الرأس .. ستعتادين هذه الامور .. تذكرينني بحالي عندما كنت بمقتبل العمر وقلبي لم يتجلد كفاية .. "

ثم رمقتها بنظرة جانبية مضيفة باعتراف

" لكني ربما اظلمك .. فنحن هنا تربينا على هذه الامور منذ الصغر ، ويجب ان اعترف أنك أكثر جلدا مما توقعت .. كما أنك مهاجمة ضروس جبارة عندما تريدين.."

ادخلتها البيت ثم أخذت تنظر لوجهها المبلل بالدموع وانفها المحمر جدا من اثر البكاء فتكاد تحتار فيها هل هي امرأة جسورة قوية واثقة ابهرتها مذ رأتها لتبهرها اليوم أكثر وهي تواجه ابنها البكر ناصر بذاك التحدي ام انها مجرد طفلة خائفة تائهة تحتاج لزوجها كي تتخفى خلفه وتتعلق بذيل جلبابه طلباً لأمانه وحمايته ؟

ربما هذا ما يجعلها مختلفة ويجذب ولدها ..

قالت الشيخة نزهت أخيرا بنبرة آمرة " اذهبي لغرفتك افضل.. النسوة هنا سيزعجنك بالاسئلة عن العلامة فأنت عروس ابن الشيخ وليلة زفافك كانت بالامس فقط..."

دون ان تسأل هاجر عن التفسير تسلقت درجات السلم وما زال هاتف عبد الملك في يدها تضمه لصدرها بتشبث كطفلة ...

في الغرفة الملوكية التي احتضنت ليلة زفافها مع فرقد تتحرك هاجر بترنح غير محسوس والهاتف ما زال مضموماً لصدرها ...

عيناها تجولان .. تتلمسان المكان تبحثان عما هو أكثر من مجرد مكان وجدران ...

لم تعد الغرفة يعمها عبث ليلة الزفاف المحمومة وقد تم اعادة ترتيبها من قبل خادمة البيت لتشعر هاجر بالاختناق وسط الغرفة التي تبدو وكأنها لم يدخلها بشر قبلها...

وكيف لم يدخلها بشر ؟! كيف ؟!

حتى السرير عاد ليزدان بمفارش العروس وكأن العرس ما كان بالامس وسيقام من جديد الليلة ...!!

تلهث وهي تتحرك بهستيرية ناحية الخزانة لتفتحها تناظر ما عُلق فيها .. فتهدأ قليلا وهي تمد يدها تلمس فستانها الابيض المعلق ثم تتحرك اناملها لتلمس .. عباءته !

كان جنوناً ما تشعره .. جنون مطبق ..

في حالة انفعالية مفجعة تنتابها وتوسوس بمخيلتها ان ما حصل كان مجرد وهم ...

لكن .. ها هما ... فستان زفافها وعباءته ... دليلان لما لن ينتسى ...

لقد منحها ليلة العمر ... في اكثر احلامها جنوناً لم تحلم بهذا الكمال ...

فجأة انهارت للارض واصابعها تمر فوق قماش عباءته فتجهش بجنون وهي تناديه

" أرجوك عد يا فرقد .. لم أعد اريد شيئا الا ان تعود .."

تسيل دموعها الغزيرة فيضيء قلبها بدعاء للّه وحده تهذر بالكلمات التي تنطق بالصدق

" أعده سالماً يا رب ..أعده أتوسل اليك.. لا اعلم ان كنت احبه .. لا اعلم أن كنت اكرهه .. لكني سأموت أن لم يعد ... لا يهم ان كنت سأسامحه يوماً ام لا .. لكني اريده حياً يا رب .. اريده حياً ... هو دوناً عن كل البشر اريده حياً حولي .. أعده يا رب .. أعده يا رب ... لا اريد شيئا آخر .. فقط أعده .. "

وبضياء الدعاء عمّتها سكينة لم تشعرها سابقاً ليرتخي جفناها حتى غفت ورأسها يميل مستنداً الى حافة الخزانة المفتوحة وأنفها ينغمر بعطر عباءته فتهمس شفتاها اسمه

" فر...قـ...ـد..."

ثم تعم الظلمة الحالكة كل شيء...

العاصمة..البنك المركزي..

بداية نهار العمل..

دخلت دينا للركن الصغير المخصص للموظفين لاعداد قهوة او شاي تدلك صدغها بيد بينما تعد شايها باليد الاخرى ...

ناظرتها زميلتها علياء باهتمام فتسألها بنبرة حشرية " ما بك يا دينا ؟ منذ حضورك البنك هذا الصباح ووجهك شاحب جدا .. تبدين مرهقة.."

اخذت دينا تحرك الملعقة الصغيرة في قدح الشاي تراقب تسلل اللون الاحمر الى الماء الساخن بينما ترد على زميلتها بالقول الهادئ

" لم أنم جيدا ليلة الامس .."

تقترب علياء منها لتقول بنبرة تسلطية فارضة اهتمامها " خذي اجازة وعودي للبيت ..."

ترفع دينا قدح الشاي لشفتيها ترتشف القليل ثم ترخي اجفانها بتعب واضح لكنها تقول بصدق وعفوية

" لا اريد العودة .. اريد شغل تفكيري بالعمل.."

زادت حشرية علياء وهي تسألها " هل هناك مشاكل ؟! هل والدك بخير ؟"

بجهد كبير رسمت دينا ابتسامة لطيفة على وجهها ثم قالت " لا تقلقي بشأني يا علياء .. انها بعض منغصات الحياة التي تصر ان تلاحقني ... يوم صعب ببساطة وكلنا نمر بايام صعبة ..."

عندها استغلت علياء الفرصة كما دأبت ان تفعل منذ شهرين قائلة بغمزة شقاوة متصنعة

" اخي ما زال متبرعاً جيداً ليحارب كل المنغصات لاجلك.."

تمتمت دينا في سرها

(ها قد عدنا لنفس الموضوع .. يا رب ليس إلحاح علياء اليوم .. لن أحتمله ..)

تلاشت ابتسامة دينا لتكتسي ملامحها بالجدية ترد على محاولة علياء الجديدة لربطها بإخيها قائلة

" علياء ارجوك ... موضوع غسان انتهى منذ شهرين واتفقنا ان لا نتكلم فيه مجدداً .."

مطّت علياء شفتيها بامتعاض بينما ترد على دينا ببعض الجفاء " اسفة .. نسيت انك لا تتمتعين بالمرونة الكافية لتعيدي التفكير في طلب اخي للزواج بك..."

منحتها دينا ابتسامة باردة قبل ان تتحرك لتغادر وهي ترفع القدح وتقول

" سآخذ الشاي معي ..."

بدت علياء مغتاظة جدا .. وفضولية جدا جدا لتعرف اسباب دينا لرفض اخيها ...

الفتاة عادية في الثامنة والعشرين ليست صغيرة السن لترفض العرسان وتتدلل ..

ملامحها جميلة لا بأس بها لكنها لا تجذب خاصة وهي تصر على عدم التبرج وارتداء هذه الملابس الفضفاضة وكأنها تتعمد ان لا تلفت الانظار !

مع هذا جذبت اخاها غسان جدا واعجبته للغاية وكان متلهفاً للزواج بها وجعلها تفاتح دينا برغبته هذه ...

لاتزال علياء تذكر عندما فاتحت دينا برغبة اخيها كيف انسحب الدم من وجهها وكأنها خافت او صدمت ! ثم تمالكت نفسها سريعا لترفض بأدب وغموض ..

ما سر هذه الفتاة ؟! مؤكد هناك سر ..

جلست دينا على كرسيها خلف الحاجز الزجاجي الذي يفصلها عن العملاء والمراجعين تخفي كل مشاعرها خلف واجهة ملامح هادئة ومسيطرة لترفع وجهها تستقبل العميل الاول قائلة جملتها الرتيبة المعتادة

" تفضل كيف أخد......"

بترت جملتها وهي تشعر بانسحاب روحها منها عندما حدقت بوجهه البغيض ... الباسم !

يقف عدي بتلك الابتسامة التي تنضح حقارة وعيناه محمرتان بشكل منفر ، ذقنه غير الحليق وقميصه المجعد اخبراها انه استيقظ من سريره ليأتيها من فوره دون إبطاء ...

لقد بات الامر لا يُحتمل ...

يا الهي .. انه مصر بشكل اسوأ حتى من الماضي ...

قلبها ينبض بطريقة موجعة في صدرها وتكاد انفاسها تتلاشى رعباً ...

بادر هو للكلام بنبرة مستفزة ومشاعر مرعبة تطل من عينيه

" كيف وصل لي منذر ليلة الامس ؟ كيف علم اني .. امام المبنى الذي تسكنينه ؟ "

كان صوته خافتاً كفاية كي لا يسمعه احد غيرها فتبتلع دينا ريقها وتقاوم ان لا تحاول النظر حولها لتتأكد ان لا احد يسمع ثم تقاوم أكثر وتلبس قناع التماسك والبرود لتسأل بنبرة آلية متجاهلة سؤاله



" سحب ام ايداع ام فتح حساب جديد ؟"

تشتد شراسة تلك المشاعر المرعبة في عينيه لتصبح ابتسامته قبيحة وهو يسأل بصفاقة " ماذا بينك وبين منذر الطحان ؟"

ما زالت تتماسك امامه ولو ظاهريا لتعاود تكرار نفس الجملة الآلية

" سحب ام ايداع ام فتح ....."

قاطعها بشراسة ونظرة احتقار" ان كنتِ تظنين ان منذر سينظر بجدية لواحدة مثلك من مستوى ادنى وليس فيها شيء يجذبه بحجابك القبيح هذا وملابسك الفضفاضة العادية اضافة طبعا ... انكِ .. مشكوك في سمعتك واخلاقك !.. فأنت تحلمين .. انه انتقائي جدا وذوقه أرقى من هذا بكثير .. هو لن يفكر بكِ هكذا حتى لو اثرتِ شفقته واحسانه وبعض فروسيته بادعاء تمثيلية باهتة مكررة عن (فتاة في محنة) .."

كلامه المهين لها لم يفاجئها بل لم يكن جديداً عليها ...

كان دوماً يختار كلمات فظيعة كهذه ليحط من قيمتها كلما علم بتقدم احدهم لطلب يدها ...

لكن منذر الطحان لم يفعل ! فلماذا يقول عدي هذا الكلام الآن ؟!

فجأة التمعت الفكرة في رأسها وهي تنظر لعينيه الحمراوين ...

انه يغار ... !

ليس عليها ... وانما من منذر الطحان ...

لم يكن أمامها وقت للتفكير والتحليل ..

يغار من صديقه ام لا .. لا يهمها الامر ..

الآن يجب ان تتصرف سريعاً لجعله يغادر قبل ان تنتابه احدى نوبات الجنون ويثير لها فضيحة بالبنك ..

سيطردونها دون ادنى شك ...

وهي تحتاج للعمل فالراتب التقاعدي لوالدها لا يسد الرمق ..

عيناها لمحتا تململ المراجعين المنتظرين فقالت بهدوء وثبات وتجاهل تام لكل ما قاله

" عفواً اذا لم تخبرني بطلبك سأضطر لاستدعاء امن البنك .. فأنت تعرقل تلبية طلبات باقي العملاء المنتظرين .."

انتابها فزع فجائي عجيب وهي تراه يرفع سبابته اليمنى لاحدى عينيه ثم يقول بخسة ووضاعة

" عيني هذه ستراقبك دوماً يا دينا .. "

ثم ينقل سبابته لعينه الاخرى مضيفاً بنفس النبرة المقيتة التي تفيض تهديداً صريحاً

" وعيني الاخرى ستنتظر لحظة سقوطك بين ذراعي.. وعندها سأجعلك تتوسلين مني الزواج .. هذه المرة لن تفلتي مني ابداً .. سآخذك ولو بالقوة .. او أحطمك تماماً .."

لم تستطع السيطرة على تعابيرها هذه المرة
وقد اكتسحها الرعب الخالص .. ورأت تأثير
رعبها عليه بتعابير رضا تام رققت وجهه !

رفع يده ضاماً اصبعيه السبابة والوسطى
لجبينه في حركة تحية قبل ان يستدير
ويغادر بخطوات متمهلة .....

بعينيها المصدومتين لم تشعر دينا بمرور
الثواني الا عندما أخذ احدهم ينقر على
الزجاج الفاصل بقلة صبر وهو يقول

" يا انسة .. الى متى سأنتظر ؟!"

عندها نظرت دينا بجمود للرجل الخمسيني
لكن دون ان تراه حقيقة ...

كل عقلها مشدوه في كلمات عدي ومعانيها..

تشعر انه جاد ... جاد جداً هذه المرة ...

تمتمت بشكل آلي وهي تعود لأرض الواقع

" سحب ام ايداع ام فتح حساب جديد !"

اخذ الرجل يقول مطلبه ودينا لا تستوعب !

فتعيد جملتها مرة اخرى حتى جعلت الرجل
يحنق ويبدأ باثارة جلبة عن سوء الخدمة فلم
تشعر دينا الا وعلياء تطلب منها المغادرة
بخفوت وهي ستهتم بالعميل بنفسها ...

خارج البنك المركزي كان عدي يصرخ
عبر الهاتف بغضب جنوني وهو يكلم موريس
هادراً

" قل لمنذر الطحان ان لا يحشر أنفه فيما لايستطيع التعامل معه ... قل له ان يبقى ببرجه العالي ووسطه المثقف الانيق بعيدا عن اي شيء يخصني ... انه ليس ندا لي .."

حاول موريس تهدأته بالقول " عدي انا لا افهم شيئاً .. ماذا حصل بينك وبين منذر ؟!"

لكن عدي لا يفسر فقط يوصل الرسالة التي يريدها عبر موريس قائلا بتهديد هذه المرة

" قل له ان عدي مجنون ! واي محاولة للتدخل بيني وبين دينا فلن يدفع احد الثمن الا هي ... فليدعنا لشأننا وانا ودينا سنتفاهم ..."

ليغلق الخط بعدها وصدره يعلو ويهبط بانفعال وعيناه تنضحان بالغل والغيرة والوعيد ...

كانت دينا ترتعش وهي تنزوي في احدى اركان مبنى البنك تفتح هاتفها لتتصل بمنذر .. صورة والدها المتعب هذا الصباح تؤرقها ... تخيلت خلال بضع ثوان سيناريوهات لا تعد لما يمكن ان يفعله عدي ...

انفتح الخط وقبل ان يقول منذر شيئا سارعت دينا لتقول بلهاث وتعثر " سيد .. منذر ... انا اسفة للاتصال .."

جاء صوت منذر مهدئاً لاعصابها وهو يقول بارتياح وألفة طبيعية في نطق اسمها

" مرحباً دينا .. كنت انتظر مكالمتك... لم أشأ التطفل والاتصال بنفسي .. لكني اوشكت ان افعلها لو لم تتصلي الآن .."

حاولت جهدها استجماع رباطة جأشها لتسأل بخفوت " هل لديك حل مقترح تساعدني به؟ اقصد كيف يمكنك مساعدتي حقاً ؟"

رد منذر وهو يستشعر الارتعاش في صوتها

" لدي محام جيد سآخذ موعدا منه لنذهب اليه ونستشيره .. هل انت بخير ؟! هل حصل شيء جديد ؟"

تحجرت نظراتها وهي تتذكر وجه عدي .. نظرات عينيه ... صوته البغيض وهو يهددها..

لا ... لن تقضي باقي عمرها تخافه !

ان كان نجح بتشويه سمعتها لكنه لن ينجح بتشويه حياتها ... ستقاتله لاجلها ولاجل والدها ...

تملكتها سكينة وهي تفكر ان ربما ظهور منذر الطحان في حياتها هو شرارة النهاية لعدي .. ربما يريد الله ان يجد لها مخرجاً من خلاله ... والا ما حكمة ظهوره الآن مع عودة عدي ليهدد حياتها ؟!

افكارها هذه منحتها العزيمة لتسيطر على ارتعاشها تماماً ثم ترد على سؤال منذر قائلة

" جاءني قبل قليل للبنك المركزي حيث أعمل .."

لحظة صمت قبل ان يسأل منذر بتوجس

" هل تعرض لك ؟ هل احرجك ؟"

كل كلمات عدي ترددت في ذاكرتها فشعرت فجأة بالرثاء له والاشفاق عليه !

شعور متجرد من اي عاطفة اخرى ، منفصل عن ذاتها وكأنها خرجت من دائرة محنتها لتقيم حالة شاذة مرضية لا تعنيها في شيء !

المرضى في نفوسهم أشد اثارة للشفقة من مرضى الاجساد ..

احساسها بالشفقة نحو عدي منحها قوة فردت بمزيد من الهدوء والسيطرة دون ان تتجاهل مخاوفها منه ومما قد يفعله

" اكتفى بنفث سمومه فحسب .. اعتدت منه هذا كلما كنت ارفضه .. لكني ..خائفة مما ينتويه معي هذه المرة ... انا لا يهمني نفسي قدر اهتمامي بأبي .. يجب ان أجد حلا .."

بدا صوت منذر كمن يكبت انفعاله وهو يقول باختصار " سأتصل فورا بالمحامي وآخذ اقرب موعد ممكن معه وسأخبرك به .."

تمتمت وهي تسبل اهدابها

" شكرا .. لن انسى معروفك ..."

ثم تضيف " ولا داعي ان تحضر معي للمحامي سيد منذر .. افضل الذهاب بمفردي .. ان لم يكن في هذا ما يزعجك..."

تخيلت انها تعفيه من حمل ثقيل لتفاجأ به وهو يقول بنبرة هادئة واثقة فيها إصرار

" لكني اريد الذهاب معك..يهمني أن أحضر "

الكلمة المتسائلة خرجت على شفتيها بعفوية واستغراب " لماذا ؟!"

فيرد السؤال بسؤال " لماذا ماذا ؟!"

فتعبر عما يخالجها بصدق صريح " لماذا يهمك ؟ لماذا تشغل نفسك بمشاكلي وانت لا تعرفني .. وعدي صديقك .."

فيقول ببعض الانفعال " قلت لك لم يعد صديقاً .. انا لم اعرفه جيدا .. كان رفيقاً ممتعاً ايام الجامعة .. في مطلق الاحوال حتى لو كان صديقاً مقرباً فما فعله ينهي ما بيننا من معرفة .."

ما زال ذهنها صافياً لتسأل بنفس الصراحة

" لم ترد علي .. لماذا ؟"

فيعاوده الهدوء ويصمت للحظات وكأنه يبحث عن الاجابة مثلها !

قال اخيرا وبنبرته الرجولية الجذابة " لاني لا استطيع ببساطة تجاهل معرفتي بما تعانينه ولا استطيع التغاضي عن احتياجك لمن يسندك انت وابيك .. الامر تلقائي ببساطة يا دينا .. فاسمحي لي ان اساعدك كأخ "

كانت ثاني مرة يناديها باسمها دون تكلف وبعفوية دون ان تستشعر هي غرابة تعارفهما الحديث العهد

" حسن ... انا بانتظار الموعد مع المحامي .."

تنفس منذر الصعداء وكأنه كان ينتظر موافقتها باحتياج كبير ...

ابدا لم يكن بقادر على ترك الفتاة تواجه ما يحدث دون ان يفعل شيئا لمساعدتها ..



بل أنه لن يتركها الا وموضوع عدي انتهى بالكامل من حياتها ...

بين أروقة مؤسسة الجراح يسير منذر في اتجاه وهو يكلم المحامي ليقنعه بموعد أقرب بينما يسير طاهر الاحمدي بالاتجاه المعاكس وهو يحاول الاتصال بمخبر خاص للبحث عن هاجر..

تقاطعت طرقهما دون ان يلتقيا !

الاثنان كل مشغول بملكوت بعيد عن الآخر حتى انهما لم يريا بعض وهما يمران ببعض ...!

تفارقا ليكملا طريقهما المتعاكسين بينما ينهي منذر مكالمته بارتياح اكبر بعد حصوله على موعد في الغد فيسارع للاتصال بدينا لاخبارها بالموعد وعنوان مكتب المحامي ..

بينما ينتاب طاهر الاحمدي ثقل في صدره وهو يأخذ موعدا لهذا اليوم مع المخبر ولسان حاله يشعر بالحرج مما سيقدم عليه ...

لكنه لم يعد يستطيع الصبر أكثر ...

غياب هاجر بدأ يثير فيه هواجس مرعبة ..

ترا .. اين تكون ؟ وماذا تفعل اللحظة ؟

قرية الشيوخ ..

هبّت مسعورة بالرعب وصوت الاطلاقات النارية يصم اذنيها ...

تاهت في رعبها وخفقات قلبها تجن في صدرها ولا تعلم اين هي وماذا يجري لها ...

اخذت تصرخ كالمجنونة لكن صوت صراخ الرجال مع الطلقات النارية المتتابعة بجنون بدد امواج صرخاتها ..

لكنها ظلت تصرخ وتصرخ حتى تجرحت حنجرتها فترفع يديها لتغلق بهما اذنيها الاثنتين ...

مرت دقائق بطيئة وسط دوامة الرعب المجنون هذا حتى هدأ صراخ الرجال وهدأت الاعيرة النارية دون ان تتوقف تماماً ...

أدركت انها هي الاخرى توقفت عن الصراخ فقط قلبها ينبض بعنف في صدرها ..

تُنزل كفيها عن اذنيها وعيناها المتسعتان تنظران حولها لتجري الاحداث في رأسها جرياً وتترتب فتوقظها من ذهولها ذاك ...

ادركت انها نامت متكئة برأسها على الخزانة جوار عباءته فتهب من جلستها على الارض وهي تشهق بحروف اسمه مع انفاسها " فرقد .."

تسابق ساقاها الريح وهي تغادر الغرفة .. تطير طيراناً على درجات السلم تكاد لا تشعر بلمس الارض من تحت قدميها ...

ايادٍ كثيرة امتدت تحاول ثنيها عن الخروج لكنها فقدت السيطرة فأخذت تدفع بعنف كل من يلمسها وهي تصرخ

" دعوني .. دعوني .."



عند باب البيت تسمرت قدماها وجحظت عيناها لهول ما تراه ...

رجال الشيخ المسلحون بتعابيرهم البدائية المخيفة وهم يدفعون ببضعة رجال آخرين مجردين من السلاح ومربوطي الايدي للخلف وكوفياتهم مشدودة حول افواههم تكممها بشكل مهين..

دماء تلطخت هنا وهناك على الجلاليب البيض فبدو وكأنهم جيوش الموت الدامي قد خرجت من جحيم الوحشية ...

صراخهم بشتائم لا تفهمها حتى بينما كل همها ان تبحث عن وجه واحد ..

وجه قد يشبههم لكنه مختلف .. مختلف لانه يخصها هي وحدها ...

ريح قوية باردة هبت بترابها لتبعثر شعرها الذي استطال خلال الاسابيع الماضية واحمر أكثر واكثر بانحسار الصبغ عنه بشكل شبه كامل فبدت تلك الخصل كالنار حول وجهها الشاحب لتنيره كوهج ..

تغمض عينيها مجبرة بحركة عفوية من اثر التراب الذي هاجمها لكن مخيلتها تسجل اخر لمحة رأتها ... لقد كان معهم ...

هل كان هو ام ان عقلها يترجم لها حاجتها الضارية لرؤيته فيوهمها انها رأته حقاً بينهم...؟!



يا الهي .... هل كان معهم ام عادوا بدونه ؟!

يرتعش كل كيانها وهي تنادي اسمه بعلو صوتها ودون شعورها وسيطرتها ..

" فرقاااااد...."

الجمرة التاسعة عشرة

" فرقاااااد...."

كان قد رآها قبل حتى ان تنادي اسمه ..

رآها مع هبة الريح الترابية التي بعثرت حمرة شعرها فشقت صدره شقا من الغيرة عليها ...

وكأنها امسكت بالخناجر الحامية وشرعت تمزيقاً فيه..

جن والغضب الاسود المهول تلبسه ...

خطواته تركت الرجال من حوله لتتجه اليها يكاد بقدميه يحرق الارض من تحته..

اشتعل مزيد من الغضب عندما صرخت باسمه امام كل الرجال ...

طفح الكيل .. لم يشعر الا وهو يرفع كفه ويغرز اصابعه بخشونة خلف رأسها يشدها من شعرها المشتعل هذا ثم يسحبها اليه ويواصل خطواته النارية ليدخل بها الدار وهي تصرخ جزعا وألما ومقاومة ضارية ..

صرخ فيها والنساء يتجمهرن

" اخرسي وتوقفي عن الصراخ ..."

عندما سمعت صوته استكانت في لحظة ! لتنظر لوجهه وترتفع يديها .. تزحف اصابعها حتى مقدمة جلبابه تهتف بتعابير أقتلعت قلبه من صدره

" لقد عدت .. عدت .. الحمد للّه .. يا رب .. الحمد للّه .. لقد استجاب لي واعادك.. "

تضاعف انفعاله الرهيب وهو يصعد بها الدرج فتتعثر في خطواتها وتكاد تقع منه فيسندها وهو يسب ويشتم..

دخل بها الغرفة واغلق الباب بعنف صارخاً هادرا وكأنه وحش مجنون

" اقسم باللّه اذا خرجتِ دون غطاء الرأس هكذا مرة أخرى امام رجال العشيرة سأشطرك لنصفين..! "

كانت لا تفقه شيئاً من كلمات غضبه ..

فقط اصابعها متشبثة بمقدمة جلبابه تنظر لوجهها المكفهر بالغضب واثر جرح حاجبه يبرز بشكل بشع لكنها ابدا لم تشعره بشعاً .. لقد عاد ..

لقد حقق اللّه امنيتها وعاد ... آآه من الفرح الذي ينتشر في البدن ويحتله بلمح البصر..

همست اسمه بحشرجة تفتت الصخر الصوان

" فرقـ...ـد... "

لم تشعر الا وهو يدفعها بخشونة للخلف عدة خطوات حتى سقط بها بل فوقها على السرير وهو يختطف انفاسها وروحها بجنون قبلاته ..

كانت تشعر انها في حالة هذيان عاطفي وكفاها تتلمسان جذعه ورقبته وذراعيه تتفقده بانفعال لايقل عن انفعاله لتتأكد بارتعاش انه حي يرزق ولم يصبه مكروه..

لكن فجأة تأوه كأنه يتوجع في نفس اللحظة شعرت بلزوجة دافئة في احدى يديها اللتين تتلمسان ذراعيه ، ووسط جنون قبلاته التي تغزو وجهها ورقبتها ونحرها رفعت يدها لتتفجع برؤية اللون الاحمر القاني ...

شعرت كأنها تموت وصوتها يخرج بصعوبة وهي تهمس " انت تنزف ... تنزف ... هل أصبت؟! رباااه هل .. أصبت ... "

رفع وجهه لينظر لوجهها للحظات فبدى في حالة عاطفية وحشية وهو يهدر

" انت تبكين ...! هل تظنيني سأموت الآن ؟! ليتني أموت معك هكذا يا هاجر .. لكن لنجرب ..ربما ستنفع وأرتاح !"

المجنون عاد ليكتسحها بمزيد من الشغف وذراعه تنضح دماً في يدها لتصرخ به وهي تحرر شفتيها " انت تنزف ... لا فرقد .. يجب ان نوقفه .. "

تحاول وقف النزيف بضغط اصابعها ودموعها تهطل بغزارة وهي ستموت عليه هلعاً ..

اما فهو فجن بها وبخوفها عليه فيحاوط خصرها بذراعه الاخر وينقلب بها ليحتضنها فوق صدره يسحقها سحقا وشفتاه تصل شفتيها في احتراق اشد جنوناً ...

تبعد وجهها وهي مشوشة بين عواطف جمة كلها متفاعلة معاً

" توقف .. يا مجنون انت تنزف ... "

لكنه كان مجنوناً بالفعل وهو يهدر

" أموت وانا انزف عشقك.. الألم في ذراعي لا يُحتمل لكنه لا شيء امام ألم وجودك معي وانت تبغضيني وتخافين على حياتي في نفس الوقت !"

قرع شديد على الباب وصوت الخادمة العجوز الخاصة بالشيخة نزهت تقول بخشونة

" سيدي فرقد .. الشيخة نزهت تنتظرك.."

يسب ويشتم بخفوت وهو ما زال يشد هاجر لتلتصق به ثم يقول بصوت مرتفع جاف

" سأنزل بعد قليل .. سأنظف جرحي اولا واعقمه .."

مضت الخادمة لحالها وهاجر تهب تدفعه لتبتعد عنه بينما هو يستسلم مستلقياً على السرير يحدق فيها بصمت...

شعرها المشعث ودمه الذي لطخ يدها اليسرى وجانب عنقها وخط فكها فبدت وكأنها قتلته للتو..

عيناها لا تفارقان الخرقة التي تحاوط اعلى ذراعه الايمن العاري والدم يتسرب من خلالها فاخذت تراوح مكانها وهي تسأل بهلع

" اين مواد التعقيم ؟! اين الشاش الطبي ..؟ انطق .. قل لي .. من اين آتي بهما ؟هل يوجد شيء من هذا في الحمام ام .. ام اطلبها من احدهم في الاسفل ؟! "

ما زال ينظر بصمت وصدره يعلو ويهبط ثم قال أخيرا بصوت خافت أجش " هناك قطعة قماش مخرمة بيضاء وبحاشية من الدانتيل .. ابحثي عنها في الخزانة ذات الادراج على اليمين... في الدرج الثاني تحديدا ..ستجدينها مخبئة بين طبقات ملابسي المطوية هناك...احضريها.."

كانت لا تستوعب .. فقط تنفذ .. تريد اي شيء تعالجه به فهرولت للخزانة وفتحتها ثم فتحت الدرج الثاني لتبحث بيدها النظيفة بين ملابسه وهي تصرخ بلهاث حانق وقد تلبسها الغباء فلم تكن تفكر لماذا يريد هذه القطعة من القماش تحديدا..

" اين هي ؟ اين هي ؟! "

تسمع صوته يرد بنبرة غريبة

" ابحثي بهدوء... لقد اخفيتها بنفسي هناك حتى لا يراها أحد .."

اخذت تبحث اكثر حتى وجدت قطعة قماش مختبئة حقاً بين طيات ملابسه وكانت كما وصفها بالضبط ..

رفعتها للاعلى امامها تحدق فيها مستوعبة للتو فقط غرابة القطعة التي ارادها لتسأل بلا تصديق

" هذه ؟! هل سأعقم جرحك بـ...هذه ؟! "

ابتسامة غريبة على فمه بينما يرد بغموض

" احضريها الي ..."

تحركت نحوه وهي تتمتم " انت مجنون بلا ادنى شك ! لم أعد احتمل .. فقط اخبرني اين المعقم ؟ نحتاج لشاش طبي وقطن حقيقي.. يا الهي يجب ان تذهب للمستشفى ..."

كان قد مد يده اليسرى ليأخذ منها قطعة القماش حالما وصلت اليه فانتزعها من اصابعها ثم قال آمرا " اعطني يدك .."

مدت يدها غير الملوثة بالدم وهي انهكت من عدم الفهم فقال بنفس النبرة الآمرة

" بل الاخرى ..."

تسمرت مكانها وهي تشعر انها اما مجنونة او انها دخلت بيتاً للمجانين !

تأفف ليتركها لحالة ذهولها ثم تجحظ عينا هاجر وهي تراه يمرر قطعة القماش بخفة الريش فوق موضع جرحه وكأنه يأخذ مسحة!

تمتمت بذهول تام " ماذا تفعل ؟!! "

يبتسم وهو يرد عليها " لا تهتمي .. انه أمر تحتاجه امي وباقي النسوة المنتظرات هنا ..."

عقدت هاجر حاجبيها وهي تهمس وكأنها في كابوس " يحتجن لمسحة دم منك ؟!"

فيرد متسلياً بحالتها " بل ...منك ... انت .."

ترتعد اوصالها ويقشعر جلدها دون ان تفهم مقصده فيضيف وعيناه تغيمان بالعاطفة

" فخر كل عروس ليلة زفافها .. انه (علامة) عفافها..."

شهقت وهي تتراجع للخلف بصدمة بينما يعتدل بجذعه وهو ما زال جالساً على السرير فيقول بصوت مبحوح محدقاً لوجهها الذي لطخته الدموع " دَيْن جديد اسدده لك ..."

ما زالت متباعدة عنه تضع يدها على فمها لا تفهم حتى او تستوعب مشاعرها هذه اللحظة..

أخفض فرقد نظراته وهو يضع قطعة القماش جانباً فارداُ اياها على السرير وهو يقول وكأنه يكلم نفسه " سأعطيه لامي ربما غدا .. حتى لا تميز انه .. دم جديد .."

ثم وقف على قدميه وتحرك ماراً بها وهو يقول بجمود " سأذهب لآخذ حماماً وانظف الجرح ... بنفسي ..."

لم تستطع قول كلمة واحدة عندما أضاف عند وصوله لباب الحمام " ابي سيكون بخير.. طلقة واحدة اخترقت كتفه لكنه سيكون بخير.. انه في المستشفى الآن .."

ثم دخل وحالما اغلق باب الحمام استند بجبينه على الحائط المرمري يضرب برأسه ويشتم نفسه بينما يرفع ذراعه السليم ليمزق بيده باقي جلبابه ويزيحه عن جسده و نار الألم تشب بذراعه الايمن المصاب ...

على الجهة الاخرى من باب الحمام تقف هاجر تحدق بقطعة بيضاء مخرمة قد لوثها الدم ...

دم كان يفترض ان يكون لها .. ويُقدم باسمها .. عنواناً لعفتها ...

اذن ... هذه هي (العلامة) ؟!

يدها تهدلت الى جانبها وتضاءلت كل المشاعر غير المفسرة وتشتتت كمن ينفخ في ذرات غبار فيبعثرها حتى تتخفى عن البصر...

قشعريرة سريعة ضربتها كصاعقة من قمة رأسها حتى اخمص قدميها...ثم .. استكانت...

لم تجد في نفسها رغبة بالبكاء والقهر وانما احساس عجيب بالنشوى الانتقامية انتابها ...!

التمعت عيناها لمنظر لون الدم .. انه دمه .. انه دينه الذي يسدده لها ..

لقد دفعت هي ثمن استسلامها باهظاً جدا ...

فلماذا لا يدفع هو ايضا ...

تعلم وتعترف انها تتحمل المسؤولية معه ..

لن تنكر انها شاركت معه في إتمام زواجهما الاول بتلك الطريقة المُعيبة المخزية ...

لكن هل هذا يكفي لتلتمس له العذر ؟!

لا .... بل وألف لا ...

في زواجهما الغريب ذاك كانت هي الطرف الاضعف وهو استغل حاجتها وجعلها تشعر بكراهية ذاتها وهي تستسلم له مراراً وتكراراً ..

كان يذلها امام الاخرين وامام نفسها ايضا ..



يذلها وهو لا يمنحها طمأنينة كلمة حب واحدة.. بل يعاملها وكأنها .. أدنى من ان تستحق منه اي كلمة ... اي شعور ...

ثم .. طلقها !

هل ستنسى ايضا يوم طلاقها ؟!

قست نظرات هاجر وهي تتذكر ليلة طلاقها وهجرانه لها وكيف لجأت لعمها منهارة ... وعندها اخذ لسانها يلهج بالقسم الغليظ النابض بالكبرياء

" ابداً لن أنسى حتى وانا أوارى التراب ! "

ثم تتأجج مزيد من النيران وهي تتذكر كيف اختطفها عند عودته من تركيا ليأتي بها الى قريته الخانقة هذه مسلوبة الارادة محبوسة بين اربعة جدران ...

وكأنها مجرد سلعة رخيصة يبيع ويشتري فيها كما يشاء وفي الوقت الذي يشاء ..

هو حتى اللحظة لم يخبرها لماذا فعل بها كل ذاك ؟ لماذا انتقم ؟!

اتسعت عيناها مذهولة كيف نسيت تماماً انه اعترف لها بأنه كان ينتقم !

هكذا ببساطة ينتقم ...!!!

لولا حضور والده واخيه للمزرعة في صبيحة ذاك اليوم لكانت علمت لماذا فعلها ...

" هاجر ..."

التفتت اليه برأسها في حركة حادة عنيفة تناظره بغل مكتوم وانفاس متسارعة انفعالاً وحقداً وكرهاً آنياً ..

كان يقف مسمراً مكانه قرب باب الحمام المفتوح عاري الصدر يلف حول وسطه منشفة كبيرة بينما يثبت بيده اليسرى القطن فوق جرح ذراعه الايمن ...

برز امام ناظريها الوشم على ذراعه الايسر فشعرت بغضب عارم ونار في صدرها وهي تفكر ربما هو في تركيا كان يستمتع جيداً بينما تركها هي هنا ... وحيدة منهارة محطمة .. تتعذب وتقاوم مترنحة حتى لا تسقط ذليلة منهارة للارض !

تقدم خطوة منها ونظراته اليها مبهمة تماماً ليقول بصوت هادئ أجش لا يخلو من بعض الفظاظة في الطلب

" تعالي وساعديني في لف الضمادة "

اشرست نظراتها واوشكت ان تصرخ في وجهه عندما لمحت لون الدم يلوث القطن الابيض الذي يعتصره عصراً فوق جرحه ..

لقد كان هو الآخر منفعل .. غاضب ... ويكبت كل شيء وكأنه بركان خامد ..

نظراتها تعلقت بصدره ... صدره الرجولي دافئ.. بل حار .. حار جدا .. لم تنم يوماً على صدر احدهم كما فعلت ليلة الامس ...

فجأة داهمها شعور عجيب مخجل مخز.. مؤذٍ !

هي لم تنم يوماً جوار اي انسان !

دوماً كانت تنام وحيدة ....

مُذ وعت على الحياة وهي تنام بمفردها

تحتضن غطاء سريرها وتتخيله حضن امها

ومخدتها تتوسدها وكأنها صدر ابيها ...

خنقتها غصة وهي تنظر لعينيه الضيقتين ..

لقد اوشكت ان .. تفقده اليوم ...

ريااه ... هو الانسان الوحيد الذي حظيت به

وكان لها كما كانت له ... اوشكت ان

تخسره... اي جنون هذا الذي تعيشه؟!

هل هي تريده ام لا ؟!

هل تكرهه ام تحبه وتتعلق به بشكل مرضي

دون ان تدري ...؟!

هل هذه اجواء القرية الغريبة تؤثر في عقلها

ومشاعرها ام انها لاول مرة تتذوق معنى الحياة

والموت و....الدم ؟

هل هي لهجته الثقيلة كلهجة بني عشيرته

من فتنتها وغيبت عقلها .. ؟!

لقد أرتجل ابياتا شعرية لاجلها هي ..

عصفت بانوثتها تلك الابيات ...

جعلها تطالب به .. رجلا لها وحدها ..

ليلة الامس ملأها فخرا ..انوثة... وجوعاً

للمزيد ...

لكنه جوع لم ولن يُكتب له حتى سد

رمقه...!

فكل هذا ليس حقيقياً .. كل ما يحصل مجرد عاصفة عاتية تشدها اليه ..تتشبث.. وتتعلق به لكن سرعان ما ستهدأ .. لتنفصم عنه من جديد ...

قلبها لن يسامح وروحها لن تغفر له ... ابداً ...

خطت نحوه والحزن الدفين يزحف ليقتل غضبها الثائر ...

تمتمت بغصة وهي تأخذ الضمادة منه

" الجرح ما زال ينزف ويبدو موضعه ساخناً .. يجب ان يراه طبيب .."

لم يرد وهي تقف قريبة منه انفاسه تلفح وجهها .. تلف الضمادة حول ذراعه وغريزياً جسدها يقترب منه يلامسه وكأنه يشتاقه !

كانت تعاني من اختلاجات متناقضة وهي تقف وسطها تحاربها جميعاً ...

يجب ان تفهم اولاً قبل ان تتقبل اي شيء .. يجب ان تخرج من هنا وتمحو من رأسها تأثير قرية الشيوخ عليها وتعود لمكانها في العاصمة لتجلو كل ما يحدث لها لتفسره وتفهمه ...

هل هي انسانة معقدة لهذه الدرجة حتى انها اكتشفت انها لم تفهم نفسها يوماً !

لم تفهم ما تريد حقاً ... لم تفهم وتحدد نوع المشاعر التي تريدها ...

وكأنها جاهلة بابسط انواع المشاعر التي تشعر انها جائعة اليها بالفطرة ...



كما الطفل الوليد يبحث عن صدر أمه بالفطرة...

ثُرى ... هل أرضعتها امها يوماً ؟!

هل أشبعت فيها تلك الفطرة الاولى ام تركتها للجوع العاطفي منذ ولادتها ؟!

عيناه لا تحيدان عن وجهها يقرؤها ككتاب مفتوح .... شعر بالخوف يعتصر قلبه الصنديد الذي لا يهاب الموت لكنه يهاب فراقها من جديد ...

انه يقرأ بوضوح حاجتها للعودة الى العاصمة..

هل حان الوقت حقاً لتفلت منه من جديد ؟

هل حان الوقت ليطلقها كما وعد ؟

سحق اسنانه بقسوة ثم بانانية العاشق الولهان ارادها ان تعود اليه بفكرها واحاسيسها ...

أراد ان يبعدها عن الماضي البعيد ليعيدها عنوة اليه .. هنا .. في وجودها معه في قريته..

لم يجد الا ان يستفزها بالقول المباغت متجاهلا ملاحظتها عن جرحه

" صباح مبارك يا عروس..."

نبرته وهو يقولها كانت فيها ظلال الشجن ورائحة العشق ووقود الغضب..

رفعت اليه نظراتها لترى في عينيه كل ذلك دفعة واحدة .. عيناها تعلقتا بشفتيه الرفيعتين وهو يضيف ببحة ترعشها

" بعد ان اغادر اغتسلي وتعطري وتجملي ..
النسوة سيجتمعن في الدار وسيأتين للاحتفال
والمباركة .. البسي جلباباً من الكشمير
يدفؤك فالجو اصبح بارداً .. اختاري احدى
الجلاليب المهداة لك ذات التطاريز الذهبية
.. اختاري لونها غامقاً .. احمر او اخضر او ازرق
او حتى كحلي.. المهم اختاريه غامقاً ليبرز
لون بشرتك ويجعلك تنيرين وجه من
يراك.."

انتشى بتأثرها به ... انتشى بها وهي تهمس
بصوتها الذي يفضحها كما تفضحها عيناها...

تهمس .. تحاول التلاهي عن التفكير
بتحديقها الغبي في شفتيه " كيف تحتفلون..
ووالدك بهذا الحال وفي المستشفى "

يرد بخيلاء وقوة جعلتها تنجذب لصوته أكثر

" انها طريقتنا لنظهر قوتنا .. نحن لا ننحني
بل نكسر عيون الذين ينتظرون رؤية
انكسارنا.. والنسوة سيجعلن الاحتفال
احتفالين نكاية بكل من أراد ويريد الاذى
برجالهن ... وشيخ عشيرتهن .."

ما زالت تحدق في فمه ويدها تضغط على
ضمادة جرحه دون ان تشعر هي او يشتكي
هو.. فيتحرك فمه بانفاسه الحارة مضيفاً

" لا ترتبكي انها تقاليدنا .. لا تتوتري
وكوني فقط كما انت .. مبهرة حد الوجع..
امي ستلبسك عقد ذهب موروث ، ربما
ستجدينه قديم الطراز ولا يناسب ذوقك

لكنه سيعجبك لانه سيكون لك .. اقبليه بصدر رحب وقبّلي ظاهر يدها باحترام .."

عندها فقط ارتفعت عيناها لعينيه وشعلة تمرد غاضب تتأجج منهما فيروق له هذا وتلتمع نظراته في شموخ يغيظها ليضيف بنفس النبرة

" اخواتي البنات ايضا سيلبسنك بعض المصوغات الذهبية هدية العروس في صباحها الاول .. اظهري لهن ابتهاجك وامتنانك .."

سألت وهي لا تخفي حنقها لاسلوبه معها

" هل هناك اوامر اخرى ؟"

قتلها وهو يكلمها بلهجة قريته قائلا بخفوت خشن " لا يأمر عليك عدو .. لكن لو كان لي أمراً نافدا على قلبك لأمرته ان يكون طوع قلبي .. "

دموع غريبة احرقت عينيها .. لماذا تؤثر فيها لهجته لهذه الدرجة ؟! لماذا تشعر بالضعف وكأنه يشق صدرها لينتزع روحها منها ...

انفاسها تتسارع بتسارع قلبها وهي تنظر اليه مشدوهة من حالها العجيب لتهمس بمقاومة شرسة وعناد " ليس للقلب من سلطان ..."

بكل شموخها وشجاعتها وجرأتها تنسكب دمعة على خدها يراقبها فرقد بصمت وتعابيره تشتد بسعيرها لتصب هاجر الزيت على النار من حيث لا تشعر وهي تهرب من دمعتها لتسأل بعفوية أول ما خطر ببالها

" هل عبد الملك بخير ؟"

زمجر فرقد يكاد يقطع الحروف باسنانه

" لعن الله عبد الملك !"

تهتف اسمه بدهشة لردة فعله " فرقد ! "

رفع اصابعه لشعرها بحركة عنيفة يلف بعض خصله حولها فتتوجع متأوهة ولا تعلم ان وجع غيرته اعظم بكثير فيهدر فيها

" لم تسألي عن حال ابي لتسألي فقط عن حال ابن عمي .. "

فترد عليه وغضبها من افعاله يلمع في عينيه بجرأة " لقد اخبرتني بنفسك عن حال ابيك.. ماذا تريدني ان اسأل بعد ؟! اترك شعري يا متوحش .. "

صرخ فيها وهو يشد خصل شعرها اكثر بدلا من أن يحررها " اريد ان تسألي عن حالي انا .. عن جرحي .. عما تعرضت له وانا اواجه من خطف ابي .. ليتني كنت متّ هناك وتركتك وحيدة هنا تأكلك الضباع ..!"

تنبض كل عروقه بالغضب .. تكاد ترى مسرى الغضب في عروقة النافرة النابضة في عنقه وصدغيه ...

غيرته ..غضبه... احباطه.. كلها تنفجر في وجهها فتجعلها في سكرة الاستسلام فينبض قلبها بجنون كنبض قلبه الغاضب ويتراخى جفناها وشفتاها تصرخان بدعوة عطشى لشفتيه ...

لكنه كان اقسى من ان يلبي ليعتصر جمجمتها باصابعه هادراً بخفوت ناري

" لو اقتربت من شفتيك اللحظة سأمزقهما يا هاجر .. ثم لن اتوقف حتى انالك بجنون أعظم من جنون ليلة الامس ... وقد وعدت نفسي اني .. لن أفعل ... واللعنة على هذه الوعود ! "

(لن أفعل) ... كلمتين كانتا كدلو ماء مثلج ايقظها من غيبوبة الاستسلام له ...فتفتح عينيها على وسعهما تحدق فيه وتهمس بكبرياء انثوي " اذن توقف عن جنونك واعتقني ! لان لا قوة جسدية لي لمقارعة رجل مثلك .. "

أخذ يسب ويشتم وهو يحرر رأسها وخصل شعرها ليدفعها بعيدا ويتحرك ناحية الخزانة يوليها ظهره مخفياً عنها جحيم ما يعانيه ...

فتح باب الخزانة وألم ذراعه يشتد فتتقلص اصابعه حول حافة باب الخزانة ليسمعها تسأله بنبرة مهتمة " لماذا لم .. تطلب معالجة ذراعك عندما اخذتم والدك للمستشفى ..؟"

أغمض عينيه للحظات طوال يقاوم رغبة أشد جنوناً للعودة اليها وقتلها ربما دون ان يشعر ..

دوماً تثير فيه نزعة وحشية لقتلها ..

في عشقه لها .. في انتقامه منها .. في عدم قدرته على نسيانها .. حتى في طلب رضاها يريد قتلها ...

يتمالك نفسه ليرد بصوت اجش

" لم أذهب للمستشفى حتى اللحظة .. اثنين من اولاد عمومتي هما من اخذا والدي لتتم معالجته بأسرع وقت .. انا كان لدي ما افعله مع باقي الرجال ونحن نمسك اؤلئك الانذال"

همست بسؤال " هل كانوا قطاع طرق ؟"

رد وهو يخرج جلبابا رجاليا رمادياً يلائم الجو البارد في ليل القرية " بل ابن مدلل خسيس لشيخ عشيرة الضاري كان بيننا وبينهم نزاع انتهى بالتراضي .. لكن الجبان لم يكن راضياً واراد اذلالنا بابينا وشيخ عشيرتنا ..."

تمتمت هاجر وهي تقترب منه " يا الهي ! هل .. هل سيحدث بين العشيرتين قتال وانتقام ؟!"

استدار اليها وبدا وجهه شاحباً مرهقاً بشكل اقلقها بشدة دون ان تسيطر على مشاعرها تلك او تخفيها عنه ..

قال بصلابة " سنتباحث اليوم ثم نرى ما يقرره والدي عندما يغادر المستشفى بعد ايام.. لذلك سأتأخر ربما حتى بعد منتصف الليل... اليوم سيكون طويلا والرجال سيجتمعون في ديوان الشيخ .. سيحضر بعض شيوخ العشائر ايضا وقد يحضر الشيخ محمد الضاري لفداء ولده الذي اسرناه مع من ساعده "

اقترب اكثر منها فتبتلع ريقها بشعور مثير يوترها ويخيفها منه لكنه يبقى مثيراً ويربكها ويشوشها ويغيبها عن كل غضبها



السابق منه ، يا الهي .. عندما يتكلم بهذا الفخر والقوة والاعتداد يُضعفها ..

ابتلعت ريقها بينما يهمس بخفوت وعيناه على شعرها المشعث الناري " لا تقصي شعرك مرة اخرى ولا تصبغيه ابدا.. جريمة ان تفعلي هذا بهبة ثمينة كهذه من لدن الرحمن "

أوجعها قلبها لسبب غامض .. وكأنه يودعها ! يا الهي .. أجل هو يودعها ويوصيها بشعرها ..

أضاف وهو يطرق بنظراته للارض " سأذهب للمستشفى لاطمئن على احوال والدي اولا .. وسأرى ما يقوله الطبيب عن جرحي.. أظنني احتاج لعلاج فالألم لا يُحتمل .."

قبل ان ترد عليه بشيء قال المزيد وباسلوب ساخر " ساعديني بارتداء جلبابي بدلا من وقوفك غير النافع هذا .. لكن اغسلي يديك اولا .."

هزت رأسها وهي تذهب للحمام .. وهناك تنحشر انفاسها وهي ترى جلبابه المطلخ بالدم ممزقاً على الارضية الرخامية ...

حاولت ان تهدأ وهي تغسيل يديها جيداً قبل ان تعود اليه ...

عندما غادرت الحمام وجدته على نفس الوقفة لكن النظرة الشاردة في عينيه كانت تحكي ألف حكاية سرية غامضة ...

شعر بها ليرفع اليها نظراته التي تغيرت للعبث فيمد يده نحوها بالجلباب الذي يحمله ليسلمه لها ثم بابتسامة صغيرة اشد عبثاً كان يحل المنشفة من على جسده لتسقط أرضا وهو يقول بسخرية " لا اظنك ستحمرين خجلاً وانت .. تساعديني... لا شيء جديد سترينه .."

تضرج وجهها بحمرة قانية وهي تقاوم النظر لجسده وتركز على وجهه بينما تكز على اسنانها لتجاريه في عبثه هذا قائلة

" مؤكد لا .. لا جديد .. انت لم تترك شيئا (جديدا) من البداية .. "

ان كانت تقصد إيلامه وتذكيره بالماضي فقد نجحت ..

ثم تحركت بلا مبالاة تظهرها عن عمد لتتجاوز جسده العاري تتوجه ناحية الخزانة وهي تقول ببرود مقصود

" سأحضر ملابس داخلية وسروالا طويلاً مما ترتدونه تحت الجلابيب ..."

مرت الدقائق عصيبة على هاجر لكن ابداً لم تتراجع ..

ساعدته بارتداء كل ملابسه وكانت ستشعر بالفخر بنفسها وتسخر من محاولاته السخيفة لاحراجها لولا ان لاحظت انه يتألم فعلا من جرحه ووجهه يصبح اكثر شحوباً حتى اخذ بعض العرق يتجمع على جبينه ..

كان ينهت من وجعه بينما يلف كوفيته حول رأسه بصعوبة شديدة لانها تجهل كيف تشدها له بالاسلوب المتعارف عليه عندهم فكان عليه ان يفعلها بنفسه ..

قال اخيراً وانفاسه تتقطع من الألم الذي يتحمله

" اعطني العباءة السوداء.. الجو سيكون أكثر برودة بعد منتصف الليل .."

فعلت ما طلبه منها بصمت وقلقها يتزايد عليه..

اللعنة عليه .. هل يستحق منها كل هذا الخوف واللوعة عليه والقلق لاجله وهذا الاحساس المقيت الذي يخنقها انها لا تحتمل ان اصابه مكروه ..

ساعدته بوضع عباءته فوق كتفيه الصلبين .. لاول مرة تفكر به بهذه الطريقة ...

رجلها .. ليس بجسده فقط بل بروحه الجسورة المقدامة ايضا ...

ماذا فعل بها هذه المرة ؟! كيف ستداوي هجره الجديد المرتقب ؟!

رأته يتحرك ليلتقط قطعة القماش المخرمة فيطويها بعناية لتهمس باختناق ووجل

" هل ستأخذ..ها... الآن ..الى امك .. قلت لن تأخذها حتى .. الغد .."

أخفى القطعة في جيب جلبابه وهو يرد عليها

" لقد فكرت ان امي لن تنتظر .. ثم ان الدم جف بما يكفي .. "

رفع عينيه المجهدتين اليها ليقول بنبرة عابثة رقيقة

" حالما انزل ستسمعين الزغاريد يا عروس .."

(ستسمعين الزغاريد يا عروس) .....

ثلاث كلمات دفعت بحشرجات البكاء لتتجمع بتدفق سريع في صدرها ثم دون سابق انذار فاجأت نفسها كما فاجأته وهي تنفجر باكية دفعة واحدة...

تبكي احساسها الخائب بذاتها ..

تبكي الاكاذيب التي تعيشها هنا وهي توهم نفسها انها تستعيد حقوقها .. وترفع من قيمة نفسها...

كل الاقنعة التي ارتدتها لتظهر انها قوية امام هؤلاء النسوة الغريبات المتشحات بالسواد...

كل الصلابة التي أدعتها وهي تواجه والد فرقد واخاه ناصر وتقارع نظراتهما الفائضة بالاستهانة والاحتقار لها ...

لكن هذا كله كذب وخداع .. كله من الخارج فقط .. هي رخيصة .. رخيصة .. يكفي نظرة ناصر لها وكلماته المبطنة لتعلم كم هي رخيصة ..

لو عادت اللحظة لشقتها فمرآتها الكبيرة ستذكرها بكل الذي كان ...

بعريها روحاً وجسداً امامه عبث فرقد بها ..

كيف امتلكها واذلها وكسرها .. لا العرس البهي ولا الفستان الابيض المطرز باسمها ولا قطعة مخرمة بدم ليس منها سيعيد لها قيمتها امام نفسها ...

لم تدخل هذا البيت عذراء وبنت بنوت كما يعتقدونها ...

يا الهي كم يؤلمها كل هذا الاذلال ...

شعرت باصابعه الخشنة تحاوط خدها فيسألها بانفاس عنيفة

" لماذا تبكين هكذا الآن ..؟"

اخذت تدفع يده وهي تهتف ببكاء حارق

" اتركني ...فرقد ... اتركني .."

وكأنه يشعر بكل تفصيلة ألم فيها فيهمس بنفس العنف والخشونة " هل يؤلمك لهذه الدرجة .. اني .. لم امنحك فخراً حقيقياً .."

هتفت به بمزيد من حرقة القلب " اسكت ..."

يضغط باصابعه على خدها ويهتف بها في المقابل كأنه يعذب نفسه معها " لماذا اسكت قوليها في وجهي واغضبي مني .."

تضربه بقبضتها في صدره وهي تهتف بمزيد من دموع القهر " اسكت.... اسكت .."

اصابعه تزحف لتتخلل خصل شعرها ويضم رأسها بقسوة لصدره هادراً كهدير قلبه المسموع " قد يسكت لساني لكن قلبي نااااااار لن يسكت .."



تحاول التملص منه وهي تواصل رفضها له

" ارحل .. فقط... اتركني لوحدي .. انا اكرهك ...لا أطيقك .."

قست ملامحه في لحظة ليبتعد عنها ببرود وهو يقول بملامح متصلبة " سأرحل ولن تري وجهي ربما حتى الغد .."

تحرك ناحية باب الغرفة وهو يقول بنبرة حادة قاسية " استعدي كما طلبت منك .."

يده على مقبض الباب وقبل ان يحركه اضاف بنفس القسوة وبمزيد من البرود

" الزغاريد ستعلو خلال لحظات .. مبارك فخرك يا عروس .. انه فخر لي انا قبلك "

ثم اشتد ضغط يده على المقبض وكأنه يقبض على روحه وهو يهمس بخشونة

" غداً صباحاً او بعد غد سأعيدك للعاصمة.."

حالما غادر واغلق الباب عادت لتنفجر بالبكاء المؤلم ...

ثم خلال لحظات كما وعدها علت الزغاريد حتى كأن جدران البيت تزغرد مع الحناجر ... انه فخر الشيوخ !

مسحت هاجر وجهها بعنف وشمخت بذقنها وهي تكلم نفسها قائلة

" خداع ام حقيقة ... لا يهم .. لن أدع احدا يذلني بعد اليوم .. وسآخذ كل ما استطيع ثمناً لكل قهري واذلالي ..."

وبهذه الروح العنيدة كانت تتحرك نحو الخزانة لتحضر الملابس التي سترتديها بعد ان تأخذ حماماً طويلاً ساخناً ...

بالعند فيه لم تختر جلباباً بلون غامق كما طلب منها ...

بل اختارت لوناً صيفياً يتحدى الشتاء ...

نظرت للجلباب الفيروزي فشعت عيناها بالتحدي وزمت شفتيها بتعابير الاصرار ..

يريدون أكمال المسرحية ... ستكملها ..

ستكون خلال دقائق العروس الابهى المحتفى بفخرها في قرية الشيوخ.....

العاصمة

مؤسسة هيثم الجراح ..

تقف شهرزاد امامه وهي تقرأ بعبوس التركيز الطفيف بينما هيثم جالساً على كرسيه من خلف مكتبه يراقبها باستمتاع خفي ..

انها موهبة لديه ان يرمي الطعم المناسب في الوقت الأنسب ليصطاد الفريسة التي يريدها..

وما ألذها من فريسة صعبة المنال والاسترضاء.. اسمها .. شهرزاد..

خمرية البشرة تؤكل أكلا كحلوى ساخنة في الشتاء ...

كم اشتاق لليلة خاصة جدا معها...

لكنه يريدها منها ... هي من تقررها.. بل

تخطط لها ... تغويه وتثير جنونه ...

شعورها بقوتها مهم في هذه المرحلة وهو

سيمنحها كل ما يستطيع ... ربما ستكون

ضمانتها معه ان تشعر بقوتها تلك ...

عيناه الزرقاوان تراقبان بتحفز نظراتها التي

تتحرك بتمعن على اسطر الورقة التي تقرأ

فيها ... لكن ما يريده لم يحصل عليه بعد ..

انها تقرأ باستغراب فقط وكأنها تتساءل

(ما دخلي انا بهذا ؟!)...

فجأة رفعت عينيها اليه لتتساءل بنفس العبوس

" ما هذا يا هيثم ؟! لن أكمل قراءة باقي

الاوراق قبل ان تخبرني ..."

بواجهة رجل الاعمال رد بتلقائية ذكية

" انه عمل... اطلبه منك انت .."

بداية الشرارة عندما تلاشى عبوسها لتسأل

بدهشة " تجهيز صفقة ضخمة لاجهزة

حاسوب محمول وكل متعلقاتها ؟"

فمها حلو وهو يعبر عن الدهشة فيكتم

ابتسامة رائقة وهو يقول " وانت المجهز لنا .."

هذه المرة كان الاستغراب ما حل ضيفاً على

نظراتها وهي تسأل ببعض التوجس

" تقصد شاهين ؟! "

زرقة عينيه تحتد وهو يرد بنبرة هادئة لكن قاطعة المعنى " لا .... انت فقط .."

وضعت شهرزاد الاوراق على سطح المكتب لتعبر بالقول الصريح " لا افهمك .."

ما زال يراقب مرآة روحها .. (عينيها) ...

فيلتقط فيهما الآن... التمرد ... !

انه يبتعد عن اهدافه وهذا خطأ ..

اللعنة .. بات انتماؤها لشاهين ومكتبه تلقائيا فتتأهب دفاعاتها بشكل عفوي حتى دون قصد منها او تخطيط ...

ابتسم لها ثم وقف على قدميه ليتحرك حول مكتبه مقترباً منها ثم يجلس على حافة مكتبه واصابعه تمتد لبلوزتها الوردية الانيقة من صوف الكشمير الرقيق ...

يمرر ظاهر اصابعه على بلوزتها وعيناه في عينيها قائلا بمراوغة جمعت الذكاء والعاطفية بنبرة صوت واحدة " اريدك ان تجربي الامر بنفسك .. اظنك حصلت على خبرة كافية بهذا النوع من الصفقات وحان الوقت لتلعبي اللعبة بمفردك .. لذلك اريدك وحدك .. لا شراكة .. حتى معي أنا.. الا ترين هذا من حقك لتبني لنفسك اسماً يخصك ... "

جنى ثمار صبره ومراوغته المتأنية لتسترخي وهي تنظر لعينيه بصمت فيشعر هيثم بزهوة النصر وهو يلتقط بداية الخيط ...



والبداية هي مع تلك اللمعة ..

كم رآها كثيراً في عيون من يثير طمعهم لينفذوا ما يريده منهم ...

هذه المرة شهرزاد ستنفذ ما يريده وما يخطط له وسيكون كلاهما رابحاً في النهاية اذا سارت الامور وفق تصوره ...

بلمعة الاثارة والرغبات الطامعة لتحقيق الذات تألقت عيناها الجميلتان لتقول ببعض التشكك في قدراتها " لكن هذه صفقة ضخمة يا هيثم .. وانا لست بالخبرة التي تظنها.. مكتب شاهين لم يعقد صفقات بهذا الحجم .. ربما هم اولى كي ..."

قاطعها بصوت أجش شديد التأثير وما زالت اصابعه تعبث فوق بلوزتها متسائلا

" الا يثيرك ان تفعليها بنفسك ؟! انت وحدك ... سيدة نفسك ... "

ثم يميل نحوها يلثم ذقنها الرقيق بشفتيه هامساً بأغواء " واي سيدة ... "

شعر برعشتها فتسبل اهدابها هرباً من تأثيره وتبتعد بطريقة غير محسوسة عنه فيضيف هيثم بلامبالاة وكأنه لم ينتبه لتباعدها عن لمسته وتأثيره قائلا " تستطيعين الاستعانة بخبرات ... شاهين .. او سمارا .. لا امانع .. تصرفي كما يحلو لك .. لكني اريدك ان تقومي بالعمل هذا لحسابك الخاص .."

ثم وقف على قدميه ليسأل بنبرة طبيعية

" هل ستعودين لمكتب الشاهين الآن ؟"

ما زالت تسبل اهدابها وترد بمراوغتها الخاصة

" بل .. ذاهبة في موعد ... جديد ..."

يبتسم ابتسامة عريضة ثم يمد يده ليدها يحتضن كفها الصغير في راحة كفه وكأنهما حبيبان يافعان ليقول بمزحة عذبة متلاعبة " حسن يا سيدة الاسرار ... اوصلي سلامي الحار لـ...مواعيدك "

ثم سحبها معه ناحية باب مكتبه وهو يقول بخفة " سأوصلك لسيارتك بنفسي .."

في احدى أروقة المؤسسة مر الاثنان بطاهر الاحمدي فتبادلا التحية بشكل رسمي ثم تفارقا ....

نظرة من شهرزاد للسيد طاهر من فوق كتفها لتتساءل بعدها " السيد طاهر يبدو غريباً اليس كذلك ؟!وكأنه مشتت الذهن .."

يواصل هيثم سحبها معه واصابعه تعبث باصابعها قائلا بلا اهتمام " لا يهمني ان يكون مشتتاً بحياته الشخصية .. ما يهمني ان يكبح تشتته ويركز في عمله والا سيلحق بابنة اخيه ويغادر المؤسسة ! "

توترت شهرزاد لتعبس وهي تحدق بجانب وجه زوجها قائلة

" انت قاس يا هيثم ... كيف تتعامل معه هكذا ؟ اليس هو موظفك المفضل ؟"

فيرد وهو يرمقها بنظرة جانبية

" نعم هو موظفي المفضل عندما يقدم لي النظير العادل لقاء الاجر المجزي الذي امنحه له .. "

ثم التمعت عيناه ليضيف بتأكيد على كل كلمة " و ... نعم انا قاس .. وعليك تعلم هذا اذا اردتِ قيادة عمل ناجح خاص بك ... والا ستظلين محلك سر ولن ترتقي لأكثر من مكتب بسيط يسد رمق العيش لا اكثر .."

حدقت فيه للحظات قبل ان تغرق بالتفكير وكأنها تقيّم وجهة نظره ...

ابتسم راضياً وهو يقودها بسلاسة ...

انها حتى اذكى مما كان يتوقعها ...

اذكى في مرونتها وقدرتها ان تكون عملية رغم حساسيتها الطبيعية كامرأة عاطفية رقيقة ..

كانا وصلا المصعد عندما اقترب من اذنها هامساً بشقاوة " سأخبرك بسر .. طاهر الاحمدي مشوش لانه يبحث عن ابنة اخيه الصهباء التي سافرت على حين غرة دون ان تخبر احدا الى اين اتجهت ثم انقطعت اخبارها بعدها حتى اللحظة ..."

اتسعت عينا شهرزاد بدهشة وهي تسأل

" كيف علمت انت ؟! "

فنظر اليها نظرة ضاحكة قبل ان يرد

" لان طاهر الاحمدي اتصل صباح اليوم بنفس المحقق الغبي الذي دفعت له ليراقبك ... يطلب منه ايجادها له "

اتسعت عينا شهرزاد على وسعهما بينما يبرز هيثم بطاقته الخاصة ليفتح المصعد ثم يدفعها لتدخله بينما هي تسأل بذهول

" هل السيد طاهر من اخبرك ؟"

انغلق الباب فيرد هيثم وهو يقترب منها حاشرا اياها في احدى زوايا المصعد ليهمس وزرقة عينيه تلمعان بشدة " بل المحقق الغبي اتصل بي يعتقد ان الامر سيهمني او له علاقة بي لان طاهر الاحمدي يعمل في مؤسستي .."

وقبل ان تفتح فمها كانت شفتاه تغلقانه ويده تمتد لتوقف المصعد ...

همس بحرارة بعد ان ابتعد وهو يحدق برضا مغرور في التماعة عينيها العاطفيتين

" ألذ سيدة اعمال رأيتها في حياتي .."

تتهرب منه بنظراتها هامسة بحرج

" ابتعد هيثم .. نحن في مصعد المؤسسة .."

فيرد لها بصوت أجش " انه مصعد خاص لا يستخدمه سواي ... "

يميل ليلثم خدها يسألها بألحاح

" متى ستخبرينني عن سر مواعيدك ؟"

فترفع عينيها بتحد لعينيه قائلة

" عندما تتوقف عن السؤال ..."

فيضحك بخفوت مراوغاً

" لكني اخبرتك بسر السيد طاهر والصهباء الا استحق في المقابل ان اعرف سرك ؟"

فترد بنفس التحدي

" مقايضة فاشلة ايها الجراح .. كما ان استمرارك بمناداتها بـ(الصهباء) لا يشفع لك بل يزيدني اصراراً لأخفي عنك .."

ابتعد قليلا ينظر لوجهها بملامح جدية ثم يرفع اصابعه ليلامس خدها قائلا

" اريدك ان تغاري ربما بمناداتي هذه لها .. قد يشعرني الامر ببعض الطمأنينة ..."

تنظر اليه عالقة فيه فترد همساً " اصبر يا هيثم ... اظنني ... سأرسو قريباً.."

قرية الشيوخ

مجلس النساء

تجلس جوار حماتها مرفوعة الرأس شامخة المحيا .. تثير الغيرة بتلك الأنفة التي تضاهي أنفة الشيخة نزهت بذات قدرها..

تشع باللون الفيروزي وقد اضفى بريق الذهب الذي زين جيدها ومعصميها وهجاً خلاباً..



عقد قديم الطراز والتاريخ على شكل مثلث مقلوب امتد من حافة عنقها ليتدلى حتى منتصف صدرها .. تمت صياغتها وكأنه سجادة محاكة من خيوط الذهب ...

اساور كثيرة متنوعة الاشكال والاحجام أثقلت معصميها...

نساء كثيرات اخذن يقبلنها بإسراف حتى شعرت بحاجة ماسة للعودة لغرفتها واخذ حمام جديد !

لكنها امتثلت لأوامر فرقد واوامر امه ايضا التي اجلستها جوارها واجبرتها على التعاطي مع هؤلاء النسوة الغريبات عنها بكل ما تحمل الغرابة من معنى ...

لقد تحملت ان تقبّل يد امه باحترام وهي لم تقبل يوماً حتى يد طفل ! وتحملت ان تتقبل تداول النساء لعلامة عفافها بشكل منفر غريب عليها بل وجدته حتى مهينا مخجلا ...

تخيلت لو كان حقيقيا وان هذا الدم على قطعة القماش منها وليس من جرح فرقد ...

مؤكد لم تكن ستحتمل وربما كانت ستتقيأ امامهن من شدة النفور ....

ثم ... تتحمل الآن نظراتهن الممعنة فيها ...

بعضهن ينظرن اليها بحقد واضح وغيرة وحسد.. وبعضهن تنطق عيونهن بأنهن يرينها نذير شؤم..

حتى ان هاجر لاحظت احداهن تتحرك شفتيها بقراءة المعوذات وترفع كفها بخمسة اصابع مفرودة في وجه هاجر ...!

كانت تدعي اللامبالاة لكنها في الواقع تتأثر وينعصر قلبها في صدرها .. لقد بدأت تعتقد انها نذير شؤم حتى على نفسها...!

كل هذا تتحمله حتى تجاريهن بل وتثبت لهن انها تفوقهن كبرياء وثقة ... وأنها ابداً لن تتوه وسط كل هذه التقاليد المريعة ...

انها محنة حقاً وكم تود لو تنتهي الامور سريعاً لتعود للعاصمة ... آآه .. العاصمة ... متى ينتهي كل هذا لتعود للعاصمة ...

ابتلعت ريقها وهي تستدير ناحية حماتها لتسألها " ألن تذهبن لزيارة الشيخ بالمستشفى مع الرجال ؟!"

ردت الشيخة نزهت بأنفة " لا .. الشيخ سيكون بخير ولا يحتاج للنائحات جواره وكأنه لا سمح اللّه يفارق الدنيا .. بضعة ايام ويعود لداره ونحن سنظل نحتفل هنا بسلامته وبزواجكما انت وفرقد وكأن لا شيء ينغصنا... "

الاستغراب والدهشة علت ملامح هاجر لتضيف الشيخة نزهت بمزيد من الأنفة والخيلاء

" رجالنا رفعوا رؤوسنا اليوم ونحن نرفع رؤوسهم بصلابتنا وجلدنا في المواقف الصعبة ... هذا ما يتوقعوه منا في المقابل ..."

الذهول الذي انتابها تحول لأمر آخر ...

أمر موجع وهي تفكر بكلام حماتها بشكل مختلف ...

كل هذا الاحترام والرفعة يزيدها ألما وطعناً في القلب .. لا تستطيع الا ان تفكر وتتساءل.. الى هذه الدرجة لم يحترمها فرقد وهو من تربى في بيئة كهذه تهتم بكل تصرف وخطوة حتى يحمون كرامتهم نساء ورجالاً؟!

تُسال دماء الرجال لاجل الكرامة ، ويُكبت نواح النساء ليتحول الى زغاريد واحتفالات نكاية بكل من أراد المساس بتلك الكرامة ...

ماذا فعل فرقد لكرامتها هي ؟!

كلما اقتربت أكثر منه وعلمت المزيد عن بيئته ومرتع صباه كلما ادركت قبح انتقامه منها وعمق الاذى الذي اراده لها عامداً متعمداً...

اختنقت وهي تفكر بعمها طاهر ... تريد ان تكلمه.. ان تصل اليه ...

تذكرت هاتف عبد الملك الذي ما زال بحوزتها ... اغمضت عينيها تعصر ذاكرتها وهي تفكر

" فكري هاجر .. كم هو رقم العم طاهر ؟! او .. رقم سهر ! فكري ... يا الهي انا لا احفظ اي رقم لاتصل به ! .."

لكنها لم تيأس .. اخذت تعصر ذاكرتها اكثر واكثر حتى تسللت الارقام الاولى الى رأسها بينما عجزت عن تذكر الباقي ...

العاصمة .. عيادة الدكتورة فريدة ..

كانت شهرزاد ممددة على الاريكة الخاصة وعيناها تحدقان في السقف ولا يسعها الا ان تفكر بلحظاتها مع هيثم في المكتب ثم في حوارهما في المصعد قبيل ظهر اليوم ..

ذهنها اليوم كان صافياً جدا كماء ينبوع بارد .. تشعر بالانتعاش والحماس ...

كانت تتكلم بذاك الصفاء عن كل ما فعلته وانجزته وما تفكر بانجازه بينما الطبيبة تلتزم الصمت البليغ تستمع بتركيز شديد ...

فجأة التفتت شهرزاد برأسها ناحية الطبيبة لتسألها بألحاح " ما الذي ينقصني ؟! لماذا لا استطيع تجاوز الامر والعيش بسعادة معه ؟ انه يعشقني وانا اعشقه ... كلانا لا يقوى على الفراق ... هو يبذل الكثير كي يعوضني عن اخطائه وكي يدفعني لأكون افضل واقوى .. نساء كثيرات يحلمن بدعم كهذا من ازواجهن .. اذن لماذا؟!"

قالت الدكتورة فريدة واصابعها تتلاعب باطراف خصل شعرها الداكن

" ربما لانك تبحثين عن كمال رومانسي مع من تعشقين .. والعشق خطير يا شهرزاد عندما يصبح الهدف الاوحد في الحياة الزوجية.."

ترقرقت الدموع في عيني شهرزاد بينما ترد

" ماذا تقصدين ؟ انا تغيرت عن شهرزاد القديمة .. لم أعد رومانسية هكذا .. "

ضيقت فريدة عينيها وهي تمعن النظر لوجه شهرزاد وكأنها تبحر في دواخل هذه المرأة الرقيقة الشجاعة

" في داخلك امرأة عاشقة مرهفة الحس .. تبحث عن فارس الاحلام .. وقد جسدته ووجدته منذ صغرك في شخص هيثم الجراح حتى تكلل حلمك بالنجاح وتزوجتِ به ..

بعد الزواج وحصول الفتور بينكما كنت ترفضين الخلل دون ان تعرفي كيف تعالجينه.. كنتِ تتخبطين حتى طرقتِ ابواب المشعوذين من شدة يأسك فيستغلونك ويوهمونك بسحر التميمة !"

عينا الطبيبة بدتا متعاطفتين وهي تقول لها بألفة صديقة

" هذه المرأة الرومانسية ما زالت داخلك تعذبك ... "

بدت شهرزاد منفعلة عاطفياً وهي تصر بالسؤال

" والحل ؟"

ردت فريدة بتأنٍ " الحل مبدئياً ان تواجهي نفسك بعدة امور منها ايجابي ومنها سلبي .. اولى الحقائق التي يجب ان تدركينها انك لا تحتاجين للبحث عن كمال رومانسي في علاقتك الزوجية بل تحتاجين للتعايش مع النواقص فيها ..."

بدت شهرزاد متسعة العينين قليلاً وكأنها تفكر ملياً بما تقوله الطبيبة لتضيف فريدة بنفس التأني " لقد خطوتِ اغلب الخطوات يا شهرزاد لكنك أنكرت على نفسك أهم خطوة .. او ربما خطوتين ..."

تساءلت شهرزاد بتعطش للمعرفة " عن اي خطوات تتحدثين ؟ هلا شرحتِ لي أكثر .."

فردت فريدة بهدوء وصوت مؤثر " خطوات الشفاء لتجاوز ألم الخيانة.."

(ألم الخيانة) .. كلمتان فقط كانتا كافيتين لتشحب بعدها شهرزاد ويمزقها الاعتراف انها حتى اللحظة لا تستطيع تحمل هذا الألم ...

بينما تبدأ الدكتورة بالتعداد على اصابعها وهي تقول بتركيز ذكي لتجذب اهتمام مريضتها " مما حكيته لي انت واجهت زوجك بخيانته ولم تتبعي سياسة الانكار التي تتخذها بعض النساء لتجاوز الموقف .. اخذت موقفاً قوياً بطلب الطلاق وابتعدت عنه لفترة لتتعاملي مع مشاعرك السلبية نحو ما حصل وهذا اشعرك ببعض رد الاعتبار وانك قادرة

على اتخاذ خطوات مضادة لفعلته .. اخذتِ وقتك بالحزن والانفعال .. وجدت لكِ صحبة جيدة اسندوك وكانوا عوناً لك .. كما وجدتِ في عملك التغيير الذي احتجته .. فعززتِ ثقتك بنفسك واستعدتِ هدوئك وسيطرتك لتصبح كل الوقائع واسبابها واضحة جلية في ذهنك .. اتخذت خطوات لتغيير تعاملك مع زوجك لتفرضي عليه احترامك وتقديرك وتغيير تعامله المستهين معك في المقابل .. لكن ..."

صمتت للحظة وهي ترخي اصابعها لتضيف بنفس التركيز " كل هذا ليس كافياً .. حتى مع اعتراف زوجك بخطئه .. حتى مع تشبثه بك .. حتى مع ما يوليك اياه من حب واهتمام .. لم يكن كافياً .. فكان يجب ان تأتي الفكرة بعد السكرة .. "

مع كل جملة قالتها الدكتورة كانت شهرزاد تستعيد كل ما حصل بالماضي ..

الوجوه والاحداث تمر بمرارتها .. هيثم .. نورا .. شاهين سمارا .. والد سمارا .. هديل .. كل شيء يمر ومعه احداث الماضي الصعب ..

سألت بضراوة وهي تختنق

" ما الذي ينقص اذن ؟! اخبريني ..."

لم تشعر بالدموع التي تنسكب على خديها وهي ترفع نظراتها للدكتورة فريدة ..

تنظر لوجهها الهادئ ونشيج بكائها يعلو ..

تحركت فريدة لتغادر كرسيها وتلتف حول مكتبها متجهة اليها وهي تلتقط علبة المناديل الورقية لتأخذها اليها ..

قدمت لها العلبة فتأخذ شهرزاد بعض المناديل وهي تتمتم " شكرا.."

لتجلس فريدة على كرسي قريب تراقبها كيف تمسح دموعها لتقول بعدها بهدوء مؤثر

" ما ينقص انك لم تسيطري على غضبك بشكل صحيح يا شهرزاد .. بل تجاهلته وركنته بعيدا في اللحظة التي عدتِ فيها لزوجك بشكل رومانسي .. وكأنك تجبرين نفسك على اعتراف كاذب انك لم تعودي غاضبة لمجرد انك ارتضيتِ العودة له .. فارتكبت الخطأ .. انت لم تسامحيه وما زلتِ غاضبة منه فاقدة للثقة به ... المسامحة من القلب مهمة جدا في حالتك .. "

هتفت شهرزاد ووجهها الناعم يحتقن بالانفعال

" ليس بيدي .. انا غاضبة .. غاضبة .. اكره ما فعله .. اكرهه .. اكرهه .."

ابتسمت فريدة بتسامح لتقول بلطف

" لا يا عزيزتي .. انت لا تكرهينه وهذه هي مشكلتك ... انك ابداً لن تكرهينه .. بل تهيمين به حباً ... آه منا نحن النساء .. نقول الكثير من الكلمات الانفعالية الرنانة دون ان نعنيها حقاً .."

اطلقت فريدة تنهيدة رقيقة ثم عادت ملامحها لتتخد تعابير مهنية بحته وهي تفسر لها جوانب أخرى من علاقتها الماضية بزوجها وكيف تنعكس على حاضرها

" اسباب فشل زواجك في السنوات الاولى انك جعلتِ زوجك محور حياتك .. هو الشمس وانت مجرد كوكب يدور في فلكه .. فلا تلومي الشمس اذا زاغت عينها لكوكب جديد يدور في فلكها وتمنحه بعض الضياء.."

نظرة متوهجة شعت من عيني شهرزاد بينما تضيف فريدة " كوني انت شمساً لذاتك .. شمساً منيرة لاجل نفسك .. "

تتقبض يدا شهرزاد وهي تدافع عن نفسها بالقول " لكني فعلت هذا ... وتغيرت .."

لتشرح لها فريدة بصبر " نعم فعلت الكثير لا انكره عليك .. لكنك وقعت بنفس الفخ دون ان تشعري .. انت تجعلين زوجك (مرة اخرى) محور حياتك... على الدوام تفكرين به .. هل سيخونني ؟ هل سيفعلها ؟ هل ستغريه أخرى ؟ هل سيستسلم للاغراء ؟ هل يريد هذا الاغراء ؟! "

كان صدر شهرزاد يعلو ويهبط بعنف وملامحها تتقلص بوجع واضح ... كل ما قالته فريدة صحيح .. انه يدور في رأسها طوال الوقت يتغذى على مخاوفها ويحطم حياتها مع هيثم...

أخيراً قالت فريدة أهم ما تريد ايصاله لشهرزاد

" هل تعلمين ما مشكلة نسائنا يا شهرزاد ؟ انهن يحتجن ان يحببن انفسهن .. يحببنها بجدية .. يقدرنها ... نحن كائنات مستقلة لكن ناقصة في ذات الوقت .. لذلك نحتاج لانس الشريك ودعمه وتبادل المشاعر معه .. ليس بالضرورة ان يكون الشريك رجل .. قد نكمل حياتنا مع اناس مختلفين يمنحونا ما نحتاج ..لكن المهم في كل الاحوال والخيارات ان لا ننصهر في احد ... لا احد على الاطلاق .. لن تنقلب الدنيا لاجل اي شخص .. فالدنيا باسرها زائلة .. اذن لنعشها بشكل صحيح .. ولانوقفها لاجل اي انسان .. هل تفهمين ما أعنيه عزيزتي ؟ "

أخذت شهرزاد تهز رأسها وتوترها ينحسر بعض الشيء لتقول لطبيبتها " يريدني ان .. يكون لي عمل مستقل .. يدفعني لاستقل بذاتي .. وكأنه .. يمنحني قوة خفية .."

احساس داخلي شخصي لفريدة معجب بذكاء زوج شهرزاد .. هذا الرجل يتمتع بذكاء ملفت ... انه يمنحها القوة وهو يعلم عن يقين ضعفها نحوه .. يتلاعب بميزان القوة والضعف لديها حتى يمنحها ما تريد لتمنحه ما يريده هو ... قالت فريدة بابتسامة صغيرة وغمزة من عينها اليسرى " هذا امر ممتاز ..."

استرخت شهرزاد برأسها للخلف واغمضت عينيها وهي تتمتم " اظنني سأجرب ..."



اتسعت ابتسامة فريدة وهي تشجعها بالقول

" ذكاء منك ان فعلتِ ..."

بعد نصف ساعة كانت فريدة تودع شهرزاد عند الباب وبعد ان عادت وحيدة في مكتبها تحركت نحو مكتبها لتخرج دفتر ملاحظاتها الخاص بكتابها الجديد الذي تؤلفه فتسجل

الرجل الذي يخون قلب امرأته تكون رغبته بالفعل موجودة حتى ولو بعقله الباطن ، تبقى هناك متخفية عنه ... لكنها تترصده وتتحين الفرص وعند اول لحظة ضعف منه تكشف اللثام عن وجودها وتقوده صاغراً لمقتل انثاه وربما مقتله !...

أغلقت الدفتر ثم ضيقت عينيها قليلا قبل ان تلتقط هاتفها وتتصل بزوجها وحالما انفتح الخط هدرت فيه دون مقدمات

" يجب ان اخضعك لتنويم مغناطيسي .."

انفجر شاكر ضاحكاً وهو يمزح بعجب

" يا ساتر يا رب .. ولماذا تريدين ان تفعلي بي هذا ؟! "

فترد وهي تدعي الجدية " لاستكشف رغباتك المتخفية في عقلك الباطن .."

لم تتوقف ضحكاته بينما تلتقط هي سيجارتها لتضعها في فمها دون ان تشعلها كالعادة ...

البنك المركزي

نهاية يوم العمل

كانت تتوجه ناحية محطة الباصات القريبة من البنك عندما رأته يقف مستنداً على سيارته المركونة على جانب الطريق...

احساس مدغدغ لامسها عندما ابتسم في وجهها ابتسامة رائعة ...

توردت رغماً عنها وهي تشيح بنظراتها قليلاً وتتقدم نحوه بارتباك ....

تماسكت وهي تواجهه مطرقة بنظراتها تسأله

" هل حصل شيء يا منذر ؟!"

لم يرد على سؤالها فقط ألقى التحية بلطف

" مرحبا دينا .."

عاودها ذات الشعور المدغدغ فرفعت نظراتها اليه لتكتشف في وهج شمس الظهيرة لون عينيه الرماديتين .. لم ترعينين بهذا اللون من قبل!

توترت وشعرت بالسخافة من افكارها الحمقاء وسط كل المشاكل التي تعيشها لتسأله بجفاء

" هل هناك شيء ؟ اليس موعدنا بالغد .."

لكنه فاجأها بمزيد من العذوبة قائلا

" أتيت لاطمئن عليك فقط .."

اوشكت ان تصفعه ! لا تعلم لماذا ؟!

فقط رغبة رهيبة ان تصفعه وتمحو ابتسامته الرائعة هذه وكأنه يكلم طفلة صغيرة يعطف عليها!

لم تجد ما تقوله الا ان تكون اكثر جفاء وخشونة " ارجوك .. لا تظهر كثيرا بالصورة .. هذا يسيء الي .. ربما عدي يراقبنا الآن او حتى زملائي ... انا لا ينقصني المشاكل.."

ما زال لا يتأثر بخشونتها وفظاظتها معه ..

ما زال يتعامل معها بصبر يغيظها ...

فيقول بصوت يفيض رجولة

" فليراقب وليظهر لي ان كان رجلاً ... ربما يحتاج ان يعرف انك لم تعودي بمفردك .."

كان وجهه الوسيم جدي للغاية ..

عفوياً اخذت تنظر حولها ببعض الهلع وهي تتوقع ان ترى وجه عدي الحقود يراقبهما ...

تنفست الصعداء وأخذت تمسح على جبينها بانهاك وهي تهمس بتعب " حقاً لماذا حضرت الآن .. اسفة ان كنت فظة قليلا .. لكني ..."

قاطعها قائلا " لا تعتذري .. انا لم آتي لأسبب لك مزيداً من الضغط .. لكني حقاً لم أستطع الا المجيء والاطمئنان عليك ... ولأكون أكثر صدقاً .. قلقت ان يكون عدي بانتظارك يفتعل لك مشكلة جديدة في الشارع .."

كان يبتسم ! انه لا يكف عن الابتسام لها ..

ماذا دهاها ؟!

ابتلعت ريقها فتبتعد وهي تودعه بالقول

" شكرا لكل اهتمامك ... اراك غدا باذن الله .."

ظل ينظر اليها طويلا والابتسامة لا تفارق وجهه ... كانت عجيبة تلك الابتسامة ..

للحظة رأت فيه حنان ابتسامة والدها ...

لكن .. ابتسامة ابيها لا تجعل قلبها قلقاً بشكل غريب هكذا !

خنقتها غصة .. انكمش قلبها مختزياً ..

ورفضت حتى التفكير بما تعنيه تلك الابتسامة لها ...

استدارت توليه ظهرها وتسير باتجاه محطة الباص بينما تسمعه يقول بحمائية

" سأكون خلف الباص حتى تصلي لبيتك .."

لم ترد عليه بل واصلت المسير مرفوعة الرأس وهي تزجر نفسها لكل هذا الاحساس المقيت الذي يحيرها ...

انطلق الباص الذي يأخذها لوجهة سُكناها ومنذر يلحقها بسيارته ...

الغفلة اخذتهما عمن كان يراقب ...

عينان تنضحان بالحقد الاسود تابعتا ما يحدث بين دينا ومنذر بصدمة مريعة ...

لا يصدق ! لا يصدق ما التقطه من دينا ناحية منذر !

تحرك عدي من خلف الشجرة التي كان يختبئ خلفها ...

العرق يتصبب من جبينه رغم برودة الجو ..

إنه غاضب ... غاضب كما لم يشعر يوماً في حياته ...



الجمرة العشرون

في مقعد السائق في سيارته يجلس منذر وعيناه تراقبان عن بعد وعبر شباكه الجانبي المفتوح نزولها من الباص بينما يستمع لصوت موريس المضطرب المحتقن بالانفعالات عبر الهاتف قائلا له " كفاك يا منذر .. كفاك.. ابتعد عن الفتاة .. عدي لا تؤتمن افعاله .."

لاه عن تحذيرات ومخاوف صديقه فيبتسم منذر عفوياً عندما التفتت دينا نحوه كأنها تستشعر وجوده القريب منها فتلتقي نظراته بنظراتها فلا يملك الا هذا الابتسام لها حتى دون ان يشعر انه يفعل !...

يراها ترتبك وعيناها تمضيان بحثاً قلقاً فيما حولها فيعبس منذر وتنحسر ابتسامته مستدركا انها لا بد ان تكون خائفة من ظهور مباغت لعدي!

علا صوت موريس لينبهه للخط المفتوح بينهما

" لماذا تصمت يا منذر ؟! لا اسمع الا اصوات السيارات وضجة المارة من حولك ..."

ما زال في عبوسه الحانق وهو يراها تدخل عبر بوابة المبنى السكني لتختفي تماماً وتتركه يحاور موريس ببعض الشرود

" اسف موريس .. كنت اطمئن انها دخلت المبنى السكني بأمان ..."

زفر موريس بقوة قبل ان يواجه منذر بالسؤال



" ماذا تظن نفسك فاعلا ؟! هل تتخيل ان عدي سينكمش متراجعاً لمجرد ظهورك بالصورة ؟"

فيرد منذر وعضلات وجهه تتصلب

" انه جبان ولن يجرؤ ... فليواجهني ان كان يحمل ذرة رجولة في دمه العفن..."

يتنهد موريس وهو يعبر بالقول

" الطامة الكبرى انه جبان يا منذر ! والجبان يجب ان تخافه اكثر من الشجاع .. لانه لا يواجه ولا يقاتل كما ينبغي للرجال بل يختار الطرف الاضعف ويضربه في الظهر ضربة مقتل .."

تنكمش اصابع يد منذر حتى تقبضت يده بينما يعقد حاجبيه وعيناه لا تفارقان بوابة المبنى السكني حيث دخلت دينا قبل قليل بينما يضيف موريس بنبرة تحذير صريح

" ودينا هي الاضعف وانت ذكي ومدرك لهذا.. عدي لن يتوانى عن فعل أحقر حتى مما نتخيل أنه قادر عليه .."

هدر منذر بانفعال " ماذا تريدني ان افعل الآن ؟ تريدني ان اتخلى عنها وانسحب ببساطة ؟! اخبرني يا موريس لو كنت مكاني ماذا كنت ستفعل ؟ هل ستتركها ببساطة لتواجه عدي بمفردها حتى يتسبب بمقتل والدها ثم ينهش فيها كما يشاء ؟!"

رد موريس بغير اقتناع " ربما .. يحبها حقاً...ربما لن يؤذيها اذا اقنعها بالزواج منه .. "

تضاعف انفعال منذر وهو يهدر من جديد

" اي حب يا موريس .. اي حب .. ينهش سمعتها وعرضها بالباطل ليحطم مستقبلها وتقول لي حب ؟! انه لا يحبها ... انا وانت نعرف هذا .. انه مجرد مريض مختل ! "

بدا موريس يائسا وهو يردد

" ربما ما تقوله صحيح .. لكن ..."

ما زال منذر في انفعاله وهو يقاطعه متسائلا بقلة صبر " لكن ماذا ؟"

حاول موريس ان يستجمع افكاره ليوصل الى منذر مكمن مخاوفه " النتيجة واحدة يا منذر .. وجودك في الصورة معها يقلقني .. لان هذا يثير جنون عدي اكثر .."

زمّ منذر شفتيه قبل ان يقول بنبرة اقتناع كامل " اسمعني يا موريس .. سواء انسحبت من الصورة كما تصف ام لن انسحب فإن عدي لن يترك الفتاة بحالها .. قبيل فجر اليوم كان يقف مخموراً في الشارع امام المبنى الذي تسكنه يتصل بها ويهدّدها انه سيثير فضيحة ان لم تنزل اليه ثم لا يكتفي ليذهب لمكان عملها في البنك صباحاً يهددها بإثارة فضيحة أخرى ... واللّه يعلم ماذا يخطط ليفعل ايضا في المستقبل .. ومؤكد لن يكون الا فعلا خسيساً قذراً ..ام هل تراك تنتظر حصول معجزة بأن يتغير عدي فجأة .."

تمتم موريس بيأس " انتهى زمن المعجزات.."

جملة موريس جعلت منذر اكثر تشبثاً ليفعل ما يراه صحيحاً ويدعم الفتاة بما يستطيع ... بينما يصمت موريس وقلبه ينقبض وحدس داخلي يحدثه ان امرا سيئاً قادماً لا محالة ...

بعد ساعة .. شقة دينا ..

والدها على كرسيه وهي تجلس امامه على الارض تطوي ساقيها تحتها...

تستسلم برضاها للمشط في يد والدها العجوز وهو يمرره بخشونة مؤلمة بين خصل شعرها الكثيف الرطب ...

تغمض عينيها والدمع يترقرق فيهما ...

مذ عادت للبيت وهي تشعر بالاختناق ... والحنق !

لا تكف ابتسامة منذر عن التسلل لعقلها واثارة احساس غريب في قلبها ...

أخذت حماماً ساخناً ثم طلبت بنفسها من والدها ان يمشط شعرها .. كانت تريد ان تشعر بأي شيء مختلف يُلهيها عما تشعر به الآن ...

كانت تريد فقط ان .. تقترب من ابيها وتختبئ في حضنه كما كانت تفعل وهي طفلة صغيرة...

لماذا حصل ويحصل لها كل هذا ؟!

لم تكن يوماً فتاة لعوب او جريئة ...

بل مجرد فتاة عادية بسيطة بطموحات هادئة

كأصوات طير خافتة مع اشراقة صباح

مألوفة ...

وظيفة بسيطة وبيت صغير يجمعها مع شريك

عمر طيب يخاف الله وتنجب منه اطفالاً

محبوبين ...

هذا كل ما كانت تحلم به ...

لماذا ابتليت بحقير كعدي ؟!

لماذا اختارها دوناً عن باقي الفتيات ليتخذ

منها هدفاً لهوسه المرضي وتحدياً خسيساً

يرضي رجولته المنقوصة ...

لقد وأد كل احلامها الرقيقة وأطاح بكل

فرصها لتحظى بذاك البيت الصغير ...

وارتضت ان تدفن مشاعر طبيعية تنتاب كل

الفتيات مكتفية بوجود والدها معها ...

وضعت حاجزا بينها وبين احلام الفتيات

بالفرسان ... اصبحت جدية واقعية فقط

فاندثرت مشاعرها كانثى باكراً جدا ...

ليس عدي من قتل الاحلام فيها بل المجتمع

الظالم الذي يأخذ بالظواهر هو من خذلها

وكأنه السكين الذي امسكه عدي ليذبح

تلك الاحلام البسيطة...

لم تشعر بانحدار الدمع على خديها ولا توقف

والدها عن تعذيب فروة شعرها بالمشط ...

لم تشعر الا باصابعه الواهنة تمسك بها

لتطالبها بصمت ان تستدير اليه ...



شهقة البكاء سبقت استدارتها لترتمي في حجر والدها تبكي بقهر ...

كان صوت والدها مخنوقاً وهو يقول بعجز

" لا اعلم ما بك اليوم يا صغيرتي .. لكن حزنك وقهرك يسلبني عقلي .. ليتني كنت بقوتي لأقف على قدمي وأهز الارض لأجلك.. سامحيني يا بنية .. "

تشبثت به تحاوط جذعه بذراعيها وهي تهمس له بين شهقاتها " انت كل قوتي يا ابي .. لو تعلم كم هو وجودك سند لي يمنحني العزم لأواصل حياتي .. يكفيني فخراً اني ابنتك.."

يده تمسد على شعرها المفرود وهو يرد بحسرة

" اتمنى فقط لو اطمئن عليك .. تستحقين رجلا طيباً يدرك معدنك الاصيل وعفاف قلبك ونظافة روحك في زمن أغبر كهذا الذي نعيش فيه .."

عادت ابتسامة منذر تؤرقها فتخبئ وجهها اكثر في حجر والدها كأنما تطمر في حضن ابوته تأثرها بمنذر .. خجلا و ... يأسا ...

سمعت والدها يضيف اخيرا وهو يحاول ان يكون مرحاً " اين تغمرين وجهك يا فتاة ..! انت تدغدغيني .. كفاك تدللا وقومي لتتذوقي غداء الحجوج "

لكنها لم ترفع وجهها .. بل تتشبث به أكثر كواقعها الوحيد الذي لا غنى ولا بديل عنه..

وكأنها تحمي نفسي من الاحلام .. مجرد احلام الطيور بالتغريد في اشراقة صباح عادي...

بيت هيثم الجراح ... وقت الغروب ...

على كرسي هزاز قرب نافذة غرفة المعيشة تجلس شهرزاد مختلية بنفسها منعزلة بذاتها عن كل ما يحيط بها ... فقط الكرسي يتحرك برتابة ليهزها برفق ...

يقف هيثم قرب الباب يراقب بتدقيق تعابير وجهها وهي شاردة النظر تحدق في لون الغروب بنظرة مبهمة عصية الفهم عليه ...

اليوم حصل معها شيء خاص يجهله ...

تبدو كمن يستعيد ذاكرته ليحدق في تفاصيلها بتمعن بطيء ...!

اقترب هيثم بخطواته فيعقد حاجبيه قليلا وهو يراها لا تتنبه لوجوده حتى ...

كان يوشك ان يقول شيئا او ربما يلقي تحية عندما سمع تمتمة منها بنبرة عميقة ساحرة

" كوني انت شمساً لذاتك .. شمساً منيرة لاجل نفسك .. "

تسمرت خطواته وتشع زرقة عينيه تركيزاً فيها ... وتدور جملتها الشاردة تلك في رأسه يقلبها خلال ثوان سريعة وكأنه يبحث عن مصدرها ومعناها وتأثيرها ...

فطنته وذكاؤه تلتقطان اهمية خاصة لما يحدث لشهرزاد الآن ... وتلك الجملة لها بعد عميق في نفسها اياً كان من قالها لها ...

غيرة مباغتة شوشت عليه وهو يفكر ربما شاهين من اسمعها الجملة ! لكنه نفض رأسه وتحكم بانفعاله فتصلبت ملامحه بالقسوة وقرر ان يدفعها أكثر لتقدم على خطوة استقلال بعيدا عن مكتب الشاهين ...

تحرك بخطوات خافتة كالفهد الاسود حتى انقض عليها ليكتم شهقة اجفالها بقبلة حارة على شفتيها ..

رفع جذعه قليلا دون ان يبتعد مستمتعاً بغرور لرؤية لمعان العاطفة في عينيها ...

استند بكوعه على ظهر كرسيها الهزاز بينما يبتسم لوجهها الفاتن قائلا بنظرة مشعة من عينيه " نسرق من بعض ضيائك ..."

تحدق في عينيه وتذوب فيهما فتعترف رغم ارادتها " انت تدرك كم احب عينيك اليس كذلك ؟"

يبتسم ابتسامة العارف فيغيظها غروره لكنها لا تملك الا ان تعترف ان الغرور يليق به ...

يرفع يده ليمرر سبابته على جبينها فترخي شهرزاد اجفانها بينما يهمس لها ببحة حلوة " متى ستبدئين العمل يا شمسي أنا ...؟ عليك اتخاذ القرار سريعاً قبل ان استخدم شركة اخرى اكثر جرأة وترحيباً منك ..."

عندها اغمضت عينيها تماماً تستمتع بلمسة اصبعه تلك وتشعر بطريقة ما انه يقرؤها عبر تلك اللمسة الحميمية ...

قالت اخيراً وبقرار حاسم " سأحضر في الغد للمؤسسة لأتعرف على كل التفاصيل ..."

لم تكن ترى الانتصار في عينيه وسبابته تنحدر من جبينها على خط انفها لتمر فوق شفتيها قائلا بهمس " كنت اعرف انك لن تضيعي فرصة كهذه ..."

لم تقل شيئا .. فقط تحاول جاهدة ان تركز بذاتها .. ان تشعر بكل خلية منها مستقلة عنه ... ربما اذا وجدت هذه الاستقلالية والثقة ستجد سعادتها... معه ...

بيت منذر الطحان ..

كان منذر صامتاً بتفكير بينما يشارك امه شرب الشاي وهما جالسان سوياً على الارجوحة..

كم يحب هذه الارجوحة ...

عمرها من عمره ... تشهد على كل اعترافاته لامه... مذ كان فتى حتى صار شابا يافعا ثم رجلا تعدى الثلاثين ...

وها هو اليوم عاود الكرة فألقى كل ما في جعبته عن دينا وحكايتها ليشارك بها أمه ...

وهي كعادتها تأخذ وقتها بالتفكير والتمحيص المبالغ فيه احياناً حتى ترد عليه..



الواقع انه لم يكن يطلب رأيا منها لانه اتخذ قراره لكنه احتاج لمشاركتها بما يحصل ..

او ربما أحتاج ان يسمع وجهة نظر امرأة يثق بها ليعلم انه على صواب فيما يفعله ...

" اخشى ان اقول اني اشارك موريس مخاوفه بنيّ .. أمر لا يصدق .. لم أكن اظن ان عدي ذاك الفتى الخفيف الظل بمرحه المحبب يحمل كل هذا القبح ! عجيب هو الانسان كم يجيد التخفي.. "

التفت منذر لامه وقد كان عدي آخر اهتمامه الآن وكل تفكيره منحصر في دينا فقال لامه باهتمام منفعل " انها لا تستحق ان تحتمل كل هذا من انسان مريض مثله .. فتاة كالدرة خلقاً وحشمة وعقلاً وكبرياء ..."

ارتفع حاجبا الام بشكل طفيف وهي تمعن النظر في ملامح وجه ابنها الوسيم ...

لم تره يوماً منفعلا بالطريقة ذاتها ناحية اي انسان .. للحظة اوشكت ان تسأله عن الفتاة الاخرى التي تعلق بها ثم حصل امر عظيم بينهما جعله يعاني بشكل غير مسبوق ..

لكن الام آثرت الصمت في اللحظة الاخيرة ..

ربما دينا بقضيتها المؤلمة شغلت تفكيره عن الآم قلبه مع الاخرى ...

احياناً عندما يمر المرء بتجربة سيئة يحتاج ان يشارك الغير تجاربهم تنسيه تجربته ..

ورغم راحتها الداخلية لهذا الا انها قلقة ..
فهي مجرد أم تخشى على ولدها التورط
بحكاية شائكة كهذه..

كل تعاطفها مع الفتاة خاصة وابنها منذر
يصفها بأفضل الصفات لكن ماذا يستطيع ان
يفعل لاجلها حقاً ؟!

قالت الام اخيرا " اريدك ان تأخذ حذرك يا
منذر .. واستمع لرأي المحامي غدا فربما
سينصح الفتاة بإجراء يحميها .. او على الاقل
يقلل من تجاوزات عدي معها .."

تنهد منذر وقد بدا عليه بعض اليأس ليقول

" لا اخفيك سراً امي .. انا لا اعتقد بوجود
اجراء رادع لعدي .. في هذه الحالات الفتاة هي
المتضررة الوحيدة ولا يوجد ما يحميها .. وهذا
ما يغضبني .. يغضبني جدا .. لا أكف عن
التفكير في دينا وكيف يمكن ان اساعدها"

لثاني مرة توشك الام ان تسأله عن حكاية
فتاة اخرى .. شغلت قلبه وعقله وفتنته فتونا..

ماذا جرى بينهما يا ترى ؟!

ما الذي فرق بينهما وقد كان ولدها مغرماً
شغوفاً متحمساً للارتباط بها ؟

انها حتى لا تعرف اسمها !

حدقت في وجه ابنها وقد غرق بافكاره
الخاصة بعيدا عنها وكأنه نسي وجودها ..

كان عابساً جدياً عازماً كما لم يكن يوماً..

ابتسمت بحنان الام وهي تفكر انه لم يبدُ يوماً أكثر وسامة مما تراه الآن ...

قرية الشيوخ بعد منتصف الليل ..

سيارة عبد الملك ...

يجلس فرقد جوار ابن عمه في السيارة وهو يرخي رأسه للخلف مغمضاً عينيه والحمى بدأت تفعل افاعيلها به ..

جرحه ينبض بالألم بشكل فظيع ... لكن روحه تتألم أضعاف ... بل انه يتألم بما يفوق أي ألم مر به ...

" آآآآه يا هاجر ... يا جنية تلبستني ..."

لا زال حقيراً معها حتى وهي لا تشعر بحقارته او ربما لا تفهم بالضبط كيف تفلت الامور منه ليعود للؤمه المعهود معها ..

تذكر ما فعله معها قبل ان يغادرها صباح اليوم...

يربكها وهو يشير بجرأة ووقاحة لارتباطهما الحميمي كرجل وامرأته ويشوش عليها وهو يشجع فيها تعلقها الغريزي به وهي تتشبث بوجوده حولها كأنها طفلة تتشبث بوالدها !

يريد ان يظل محفوراً كرجل في حنايا روحها الى آخر عمرها ... يريدها ان تتشرب تفاصيله ويتلبسها هدير العشق الذي يحاوطها به، عسى ان يبتليها بما ابتلي هو .. عشق كالموت !

ثم يشغلها باحتفالات قريته بل ويفرضها عليها
دون ان تعلم حتى ...

لقد اوصى امه ان لا تفارقها لحظة هذا اليوم
وان تبقي النسوة في بيت الشيخ يحتفلن حتى
آخر الليل ..

امه لم تكن تدرك مقصده ...

ظنته يريد ان يعوضها لغيابه ..

لكنه في الواقع هو يخشى ان تظل بمفردها
وتسيطر عليها رغبة العودة للعاصمة لتفعلها
بنفسها وهو غائب منشغل بما يحدث بين
العشائر ...

لا يحتمل فكرة ان تغادر ....

لا يحتمل حتى وهو يموت رغبة ان يحررها!

ان يعيد لها كرامتها وهيبتها وعزة نفسها ...

يريدها مرفوعة الهامة لا يكسرها شيء
لكنه يتلهف بضراوة الى ان تنحني بإرادتها
فقط لتضم نفسها الى حضنه ...

يده تبعدها عنه لكن اصابعه لا تفلتها ...!

يعلم ما تعانيه لكنه لا يعلم كيف يتصرف
مع تلك المعاناة ...

انها لن تغفر له ... تشعر ان كل ما حصل مجرد
خداع وليس حقيقياً ..

العرس والاحتفال وليلة الزفاف وكل شيء
كان مجرد ترضية تبهج بشكل وقتي
كمفرقعات العيد ..

قد تظل ذكراها حلوة عميقة في القلب وقد تطيب خاطر ذاك القلب المكلوم لكنه ... ليس كافياً لهاجر ..

يكفي ان تنظر لعيني ابيه او اخيه ناصر لتتذكر في لحظة كل الاذلال والاهانة اللذان تعرضت لهما ..

لتتذكر كيف تم عقد القران بالتهديد والغصب ... وكأنه لم يكن يكفي انها مخطوفة في بيئة غريبة عنها تواجه غضب اناس لم تلتقي بمثلهم من قبل ...

كل هذا تعرضت له بسببه هو ...

وهاجر ليست فتاة غرة بسيطة يمكنه ببساطة ان يتلاعب بمشاعرها ليمحو ما حصل أو يطيب خاطرها بعرس وفستان ابيض يخاط لاجلها كي تسامحه ..

هاجر .. آآه منها .. امرأة نارية في الثلاثين ..

فخورة بذاتها تعودت ان تقاتل الحياة بمفردها وبكل شراسة وعنفوان..لها كيانها واستقلاليتها ...

لقد تعلق بها بهذا الجنون لانها هكذا فكيف يريد اليوم ان تكون مختلفة لتغفر له ...

ما انكسر لن ينصلح بينهما ...

هي ... لن تغفر له ابداً ...

وستظل تتذكر كيف اذلها مراراً حتى وهي تشتعل كامرأة بين ذراعيه ..

حتى وهي تبكي خوفاً على حياته وكأنه الانسان الاهم لها ... سيظل قلبها عصياً عليه وهو رجل لا يرضى بالجزء !

اما كل شيء او لا شيء ....

جنون غضبه وانتقامه سيظل عائقاً بينهما وسيظل يدفع له باهظ الاثمان ..

" كيف عرفت يا فرقد ان من اختطف عمي كان الضاري وليس قطاع الطرق ؟"

صوت عبد الملك قاطع افكاره ليرد عليه فرقد دون ان يفتح عينيه قائلا

" شككت من البداية لان قطاع الطرق يعلمون جيدا من هو عبد الجبار الشيخ ولن يقدموا على فعلة رعناء كهذه ويفتحوا على انفسهم ابواب جهنم .. يكفي ان الحكومة تلاحقهم بضراوة هذه الايام .. لا يمكن أن يبحثوا عن اعداء جدد... لذلك ذهبت استقصي بمكان الحادث والتقيت ببعض الصبية شهدوا ما حصل واخبروني انهم رأوا سيارة رباعية الدفع حديثة الطراز نزل منها خمسة رجال ملثمين واطلقوا النار على ابي بينما كان يسير على قدميه بمفرده كالعادة ذاهباً للصلاة ... واخذوه معهم بالقوة بعد ان اصابوه بطلق ناري.."

الألم يزداد في ذراعه لكنه لا يظهر توجعاً .. الطبيب قال له ان الجرح تلوث وحقنه بإبرة لعلاج سريع المفعول للالتهابات بعد ان غير له ضمادة الجرح ثم اعطاه بعض المسكنات ..



يجب ان يأخذ حبتين حالما يصل البيت عسى ان تجعله ينام الليلة ...

سأل عبد الملك " هل الصبية من لمحوا وجهاً مألوفا بين الرجال ؟"

فرد فرقد " لا ... بل وصف السيارة ما جعلني اتيقن أنهم ليسوا قطاع الطرق فلم يخطر ببالي الا حمدان الضاري فذهبت لأبحث عنه حتى وجدته في بيت مهجور .. وصدق توقعي.."

تمتم عبد الملك بتصلب وعيناه تقدحان بالغضب " الارعن المجنون ... سيثير نزاعاً جديداً بين العشائر لا يحمد عقباه .."

يفتح فرقد عينيه قليلا ليقول لابن عمه

" لكننا اتفقنا الليلة على التهدئة وبانتظار كلمة ابي يوم غد عندما يغادر غرفة العناية المركزة ونستطيع ان نراه ونطمئن عليه .."

قال عبد الملك بتفكير " من الجيد الشيخ عمران الاسدي وابنه عبد الهادي قد حضرا الجلسة للتهدئة "

فيرد فرقد " نعم.. الشيخ عمران صديق والدي منذ الطفولة .. وجوده كان مهم ... انا نفسي كنت احتاجه لأهدأ وامسك لجام غضبي.. ستذهب ارواح كثير من كل الاطراف ان لم نتحكم بغضبنا .. "

لكن ملامح فرقد تتجهم بقسوة اهل البادية وهو يضيف

" لكن اقسم بالله لو أمر ابي لأقطعن الرؤوس دون تفكير .. واولهم رأس ابن الضاري "

نظر عبد الملك لابن عمه قائلا

" اهدأ يا فرقد .. انت تصرفت بشكل جيد والكل اشاد بفراستك لنجد الشيخ قبل ان نفقده وتفلت الامور بين العشائر ... لكننا نحتاج ضبط النفس الآن .. وكم اخشى من بعض اخوتك ان تأخذهم الحمية ويتصرفوا بشكل فردي متهور دون ان ينتظروا كلمة الشيخ.."

رد فرقد وهو يعاود اغلاق عينيه

" ناصر كفيل بهم .. لا تقلق .."

مضت بضع دقائق وعبد الملك يقود سيارته بهدوء ليقول فجأة وكأنه استدرك امراً

" كيف حال زوجتك .. كانت مرتعبة جدا خوفاً عليك ... لكنها والحق يقال قوية وشجاعة للغاية.. لقد واجهت ناصر بجلالة قدره وهي تصر دون أن تهابه انها ستأتي معنا وتتحداه ان يمنعها .."

ابتسامة داعبت ثغر فرقد وخلاياه تتوهج بالفخر بها وهو يتخيل وجه اخيه ناصر المغتاظ بمواجهتها ، عاجز عن اخافتها او بث الرعب في نفسها لتطأطأ رأسها له ...

فيهمس فرقد السؤال بنبرة متلاعبة

" هل فعلت هذا ؟!"

يضحك عبد الملك بخفوت ثم يرمق ابن عمه بنظرة قبل ان يقول بنبرة خاصة تحمل معانٍ مبطنة " نعم .. ولم يوقفها الا .. انت ..."

هدر قلب فرقد في صدره ...

ليت له سلطاناً على قلبها ايضا ليوقفه عن النبض الا لاجله هو ...

اضاف عبد الملك بنبرة اعجاب وتقدير

" حقاً انها امرأة فريدة تليق بك يا ابن العم .."

(قوية شجاعة فريدة)...

ألن يتوقف عبد الملك عن اغداق الاوصاف ؟!

ماذا يجري للاثنين ؟! هل اتفقا عليه ؟

يترك هاجر ولسانها الطويل يسأل عن حال عبد الملك ويأتي عبد الملك الآن ليتغنى بمميزاتها امامه !

ماذا ان ذبح الاثنين معاً وارتاح ؟!

بيت الشيخ ...

دخل الغرفة يكاد يترنح من الوجع والحمى التي دبت في كل جسده..

اقترب من السرير ليفتح الانارة الخافتة القريبة فيرى هاجر ممددة هناك غارقة بنوم عميق وتبدو منهكة حقاً ...

جلبابها الفيروزي خلاب وقد توهج معصماها وجيدها بلون الذهب ...

رمى عباءته أرضا يلحقها بكوفيته وكيس دواءه ...سيأخذ المسكن فيما بعد ...

يريد ان ... ينام جوارها ... فقط ان يتنفس الهواء الخارج من رئتيها وهي نائمة ...

تمدد على جانبه الايسر جوارها .. وجهه قريبا من وجهها ... كل الألم والحمى اللتين تفتكان به لا تنغصان عليه جنة قربه بهذا الشكل الحميمي منها ..

على نفس السرير .. على نفس المفارش المطرزة ..

هل يمكن انها لن تنام جواره مرة اخرى ؟

هاجس سيطر عليها ودون شعور زحف بجسده ليقترب اكثر ثم يرفع ساقه ليضعها فوق كلتي ساقيها وكأنه يأسرها ...

تراخى جفناه والحمى ترتفع...

لكن حمى القلب لا تعادلها حمى ..

العاصمة .. ملهى ليلي

الخمر سلاح بعض اليائسين الضعفاء عندما ينهارون فيبحثون عما يوهم عقولهم بالقوة ...

حيلة .. مجرد حيلة تخدع النفس قبل ان تخدع العقل ....

يتجرع عدي كأسا خلف كأس ونظراته تتمايل وتتراقص كجسد تلك الراقصة التي تتوسط المخمورين من امثاله ..

هذا يراقصها بابتذال وذاك يرمي عليها اوراق المال وهو يكاد يفقد وعيه وثالث يصارع الاول ليحظى بجسد انثى ترهل خزياً وهو يباع من جديد في صفقة قذرة...

كل صفقات المجون تعقد هنا ممهورة بتوقيع من شيطان يرتع عابثاً بأرواح البشر التائهين...

وكل ما يفعله انه يغذي نيرانهم التي لا تهدأ..

نيران شهوة جسد وفجور لحظة منسية ويا ليتها كانت منسية ...!

يغذي احقادهم ونوازع الشر فيهم ورغباتهم المحمومة لخلود في دنيا فانية ...!

وها هو يجد الشيطان ضالته في عدي ...

يوسوس في اذنه وهو يسقيه الكؤوس ..

ساعة يوسوس له... (اغتصبها وحطم للابد مستقبلها دون أي أمل لها) ...

وساعة يوسوس له ... (اقتلها واحرمها حياتها.. بل الافضل اقتل والدها واحرق قلبها عليه ... أو اقتل منذر ودعها ترى سطوتك وقدرتك لتهابك وتقع مستسلمة ذليلة امامك ...)

وساعة اخرى يلهب الشيطان الكره والمقت فيه فيوسوس بصوت قبيح لاهث اقتلهم جميعاً انهم يستحقون !



ثم ييأس الشيطان منه وهو يراه ضعيفاً خائفاً من ارتكاب كبائر لا يجرؤ على فعلها ...

جبان يا ابن آدم .. جبان..

تريد ان تحصل على كل شيء وأنت جبان...

كل هذه اللذة تريدها ان تأتيك على طبق من ذهب دون ان يكون عليك دفع الاثمان !

فجأة تلتمع الفكرة وتتوهج النظرات المخمورة في عيني عدي عندما همس الشيطان في اذنه وسوسة خبيثة تلائم روحه الدنيئة فتجد صداها في نفسه المريضة ... فيتجرع عدي كأسه دفعة واحدة ويده التي تمسك الكأس ترتعش إثارة من خطته الجهنمية والشيطان يضحك مجلجلاً ...

قرية الشيوخ .. بعد ساعتين ..

استيقظت هاجر وهي تشعر بقيود ساخنة كلفح النار الوهاجة تحاوطها من كل جانب..

تلقائياً اخذت تتحرك تريد الخلاص منها فارتفع صوت أنين ألم رجولي خشن جعلها تفيق تماما من نومها ...

تنظر ببطء فيما حولها عبر انارة خافتة حتى أخذت شيئا فشيئا تستوعب الوضع العجيب الذي هي فيه ...

اول ما استوعبته ان فرقد يحشر وجهه في عنقها ثم استوعبت انه يلف ذراعه الايمن حول وسطها ليلصق جسدها بجسده ..

ولم يكتفِ بهذا بل حشر كلتيّ ساقيها تحت ساقه..!

لقد كان يقيدها بكل جسدها اليه ...

المجنون كان يلف بإحكام ذراعه الايمن المصاب حولها لذلك اصدر انين الألم عندما كانت تحاول ان تدفعه في نومها..

ذراعه المصاب ؟!

تنبهت كل حواسها .. هذه الحرارة العالية الصادرة منه مؤكد بسبب ذراعه المصاب ...

نادته بهلع وهي تستشعر حرارة جلده الساخن وانفاسه المتسارعة وحتى نبض قلبه الهادر

" فرقد .. فرقد .. استيقظ .. يا الهي انت تشتعل بالحمى .."

لكنه لا يرد ... يبدو كمن فقد وعيه !

اخذ عقلها يعمل سريعاً فحاولت بحذر شديد ان تبعد ذراعه عن جسدها دون ان تمس موضع جرحه وهي تزحزح جسدها بعيدا في نفس الوقت .. لكنه يعاندها ويتشبث بها أكثر ويأبى السماح لها بإبعاده ...

وجهه المشتعل ما زال محشورا في عنقها ولا تراه حتى .. تنهدت وهي تنقلب بحذر على جنبها لتواجهه فتجذبها ذراعه تلقائيا ليلغي الفراغ بينهما ...

تنهدت ثانية لتميل اليه بوجهها يلامس خدها خده وشفتاها قريبا من اذنه تهمس له والقلق يمزق نبرات صوتها

" فرقد .. انت تعاني الحمى .. اتوسل اليك
فقط دعني اساعدك .. انا لن أرحل عنك ..
فقط سأحضر لك دواء ..."

دمعت عيناها دون سبب وهي تؤكد له

" لن أرحل ... سأعود اليك ..."

تشعر بشفتيه خشنتين جافتين على خدها
وهو يهمس اسمها بحرقة " هاااجر ..."

يخفق قلبها بعنف وترد بخفوت " أنا هنا ..
جوارك .. انت مريض جداً .. دعني أفعل شيئا
ارجوك ..."

مرت لحظة .. لحظتان عندما همس بهذيان

" ماء .. عطشااان .."

لم تصدق كيف تحرك ليمنحها الحرية
منقلباً على ظهره فسارعت لتتحرك واصوات
الاساور في معصميها يعلو رنينها وهي تغادر
السرير وتقول " حالا .."

مرت دقائق قبل ان تعود اليه بكوب الماء
البارد والحبوب المسكنة التي وجدتها داخل
كيس ملقى باهمال على الارض ...

كان تقريباً لا يشعر وهي تساعده ليبتلع
الحبتين وبدا شديد العطش وهو يرتشف
كوب الماء بأكمله دفعة واحدة... فأعطته
المزيد ليشربه بنفس التعطش ..

كان يهذي بكلمات غير مفهومة ويئن في
نفس الوقت ...



هرولت بعدها للحمام واحضرت وعاء نحاسياً عميقاً وجدته هناك وملأته بالماء واحضرت معها كثير من القطن الطبي ...

جلست جواره على السرير واخذت حفنة من القطن غمرتها بالماء وعصرتها قليلاً قبل ان تضعها فوق جبينه المشتعل ...

ثم أخذت تفتح بعدها ازرار جلبابه كاشفة عن صدره لتأخذ حفنة اخرى من القطن وتبللها وتعصرها ايضا وتبدأ بالمسح على باقي وجهه ورقبته واعلى صدره وحتى كفيه ...

كان يتأوه واحياناً يدفع يدها باعتراض خشن لكنها لم تبالي بافعاله وظلت تعيد غمر القطن في الماء لتواصل عمل الكمادات الباردة حتى تنخفض حرارته ...

لم تعرف كم مر من الوقت وهي على هذه الحال والليل يبدو طويلاً والنهار لا ينبلج.. اخذت تترنح برأسها وجذعها تكاد تغفو دون شعورها من شدة التعب .. حتى شعرت بانخفاض حرارته اخيراً فمالت طواعياً لتتوسد برأسها على كتفه وكمادة القطن الرطب محشورة بيدها فوق صدره المكشوف بينما كمادة اخرى فوق جبينه قد جفت ...

مع خيوط الفجر ايقظ هاجر قرع ثقيل على باب الغرفة فعبست وهي تفتح عينيها لترفع رأسها عن كتف فرقد وتنظر اليه ..

يده تمسك بيدها وتثبتها فوق صدره العاري فتلمست بشرته باصابعها لترتاح وهي تشعر بحرارته الطبيعية مستقرة ..

كان شاحب الوجه وشفتاه جافتان لكن على الاقل لا يعاني الحمى ....

مع قرع اخر اثقل على الباب اغضب هاجر فسحبت يدها من يده وتسللت من السرير سريعاً وهي تتمتم بغلظة " من عديم الاحساس هذا!"

تحركت ناحية الباب لتفتحه قبل ان يعاودوا الطرق ويوقظوا فرقد ..

كانت عابسة حانقة لكن حالما وقعت عيناها على الطارق اتسعتا وتراخى عبوسها وهي تتمتم بتصلب " ناصر ! هل حصل شيء .."

كانت قلبها ينبض بعنف وللحظة تخيلت الاسوأ .. ان الشيخ مات في المستشفى !

خنقتها العبرة وهي تلتفت ناحية فرقد النائم في السرير فتوجع قلبها ايّما توجع لاجله ...

انه يعشق والده .. تستطيع ان تشعر بذاك العشق الذي يكنه له ....

لكن صوت ناصر الجاف بنبرته المستهينة التي يختصها بها اعادتها من خيالاتها السيئة

" ايقظي زوجك ... بعض رجال العشائر حضروا باكراً ويجب ان يكون فرقد موجودا مع اخوته قبل ذهابنا للشيخ في المستشفى.."

ابتلعت ريقها بعد ان هدأت مخاوفها بل حتى وبخت نفسها على سوء توقعاتها النحسة !

قالت بهدوء " فرقد مريض جدا .. طوال الليل عانى وكانت حرارته مرتـ....."

هدر فيها ناصر " اذهبي ونادي زوجك يا امرأة.. لم يتبقَ الا امثالك من النساء ليجادلنني.."

بغتة امتدت ذراع صلبة من جانب كتفها من الخلف لتفصل بينها وبين ناصر كحاجز ...

التفتت هاجر شاهقة بإجفال لترى فرقد يقف جوارها وكفه الايسر قد استقر على حافة الباب بينما يتقدمها بجسده قليلا ليجعلها خلفه ثم ينظر اليها من فوق كتفه هادراً

" اذهبي للداخل ..."

لمعة عينيه الحادتين جعلتها غريزياً تتراجع وهي تهز رأسها فتقف وسط الغرفة بينما يرد فرقد الباب قليلا ليكلم اخاه الاكبر قائلا

" انا لن احضر الاجتماع ... جرحي ملتهب واحتاج للراحة اليوم في السرير ..."

تمتم ناصر " كما تشاء .. لابأس عليك.. سنذهب ظهراً لابينا في المستشفى .."

كان ناصر سيستدير ليرحل عندما اوقفه صوت فرقد بنبرة صارمة حادة كالسيف

" انت اخي الاكبر يا ناصر .. واحترامك لا جدال فيه .. لكن .. حتى هذا الباب تنتهي صفتك عندي !"

كان يضرب بكفه على حافة الباب مؤكدا كلامه ...

للحظة بدا ناصر مذهولا عندما أضاف فرقد بشراسة " زوجتي ... الف حد وحد بينكما ... وكل حد هو باب كهذا ..."

تلاشى الذهول من وجه ناصر ليكتسحه التجهم القاسي فيقول من بين اسنانه المطبقة

" العشق يفعل بك ما فعله بخالنا .. إحذر يا ابن ابي وامي ... فرجولتك في احدى كفتي الميزان .."

كانت نظرات فرقد كالصاعقة وهو يراقب رحيل اخيه ...

ثم تقبضت يده واخذ يضرب بها على حافة الباب مرتين ثلاث قبل ان يتحرك ليغلق الباب بعنف!

استدار ليراها تقف شاحبة الوجه وسط الغرفة.. تنظر اليه وعيناها تنطقان بالكثير.. مشاعرها تضج منها باهتياج ونظراتها تفضحها ...

الغبية ... تريده وتريد ان ترحل عنه في نفس الوقت ....!

اللعنة على اليوم الذي رآها فيه ...

تحرك مترنحاً فتهرول نحوه لتلف ذراعها حول جذعه تسنده وهي تهمس بارتعاش

" تعال لأعيدك لسريرك .."

يميل بوجهه لشعرها يغمر انفه بين خصلاته هامساً بنبرة ساخرة جافة " هل ستحمليني ؟!"

لا تبالي بسخريته وتسنده حتى السرير وهو يرمي بكل ثقله عليها عن عمد !

كانت تنهت عندما أجلسته أخيرا على حافة السرير ثم انحنت لترفع ساقيه وتساعده ان يستلقي على السرير فيتركها تفعل ما تشاء وعيناه تراقبانها في صمت ...

تعدل الوسادات خلف ظهره ليجلس بارتياح ثم ترفع الغطاء الخفيف فوقه لتغطيه لكنه يدفع الغطاء بساقه فتكز على اسنانها وهي تناظره بحنق فتراه ينظر اليها بعينين شبه مطبقتين وشبح ابتسامة تتلاعب على شفتيه الجافتين ...

هدرت به " كف عن افعالك هذه.. "

تعاود المحاولة بعناد لتغطيه فيرفس الغطاء بعنف هذه المرة .. تعتدل بظهرها وتنظر نحوه لتراه يبتسم ابتسامة اوسع ثم يقول بنبرة آمرة

" احضري لي الافطار هنا .. وكثير من الماء المثلج ... انا عطشان وكأن دهوراً مرت دون ان أشرب.. "

تأففت بصوت عال فيغيظها أكثر مضيفاً وهو يكلمها بلهجة اهل قريته

" لكن اذهبي اولا واغسلي وجهك من آثار النوم يا امرأة .. واخلعي عنك اتلال الذهب التي كنتِ تنامين معها وكأنك لم تلبسي في حياتك مصوغات ذهبية !.. تبدين كدمية عروس العيد المبهرجة المشعثة الشعر التي تتقاتل لشرائها فتيات القرية.."

بات قلبها يخفق طواعياً كلما غيّر لهجته وفي نفس الوقت ارتفعت عفوياً احدى يديها لشعرها تتلمسه ويدها الثانية ترتفع لاعلى صدرها حيث العقد القديم يفترش نحرها ورنات الاساور في معصميها تغيظ فيها وكأنها تسخر منها ايضاً..

حنقت نظراتها وهي ترى في عينيه السخرية والاستمتاع فترخي يديها الى جانبيها تشدهما في قبضتين وهي تكز على اسنانها هادرة بطفولية " انت لا تستحق ما فعلته لاجلك .. وانا لم أفعل هذا لأحد في حياتي .. يا خسارة سهري جوارك طوال الليل وانت تهذي من شدة حرارتك التي تلهب جلدك... "

يحرك حاجبيه بطريقة مستفزة ويواصل السخرية منها بلهجته الام لكن بكلمات حميمية هذه المرة " لم يزعجك لهيب جلدي بل أظنك احببته وقد انتهى الامر بك نائمة مستريحة على كتفي .. جسدك ملتصق بجسدي وكأنه لا يريد مفارقته ! واصابع يدك تعبث بصدري العاري .. اممم .. هل لهذا السبب فتحتِ ازرار جلبابي ؟. عيب عليك فعل هذا ... اين حشمة الفتيات فيك ؟!"

كانت تعلم انه هو من يعبث معها الآن لكنها شعرت بخجل رهيب فوقعت بفخ استفزازه لتدافع عن نفسها بعاصفة عاطفية وهي محمرة الوجنتين " فتحتها لأمسح اكبر مساحة من جلدك بالكمادات الباردة حتى تنخفض حرارتك المشتعلة .. لم أكن .. أعبث ؟"

يحدق في عينيها ويصر قائلا ببطء

" بل ... كنتِ ....."

قتلها الخجل والخزي وهي تفكر انها ربما فعلا كانت تحرك اصابعها فوق صدره فتصرخ به وهي بأشد الاضطراب والارتباك

" انت ... انت .. كريه ....؟"

هذه المرة ابتسم بذوبان وهو يرخي اجفانه هامساً بصوت خشن " وانت مخادعة كاذبة .... جامحة ... جريئة وقحة ... فيكِ كل الخصال السيئة .. "

بدت مصدومة بالوصف فتعض جانب شفتها من الداخل وهي تحاول ان تسيطر على تعابيرها حتى لا تفضحها أكثر ليواصل فرقد منحها الاوصاف وهو يمرر نظراته على ملامحها

" مدعية كبيرة فتجيدين ادعاء الشجاعة حتى وانت جبانة ترتجفين رعباً من الداخل .."

يرفع يده اليسرى لموضع الجرح في الذراع الايمن فيصدمها أكثر بالقول

" طفلة جاااائعة ..انانية ...لكنك تريدين ان تأكلي بمفردك..."

ما زالت لهجة قريته تحكم كلماته ليهمس بالمزيد ونظراته اللامعة تتجول على خصل شعرها المشعثة " جنية حمراء الشعر والمزاج تأخذينني للجنة وانت تلقين بي في النار ..؟"

نبضات قلبها تتفجر في صدرها فتكاد انفاسها تتوقف ليقول أخيرا وهو يغمض عينيه منهياً القائمة الطويلة لما ينعتها بها من صفات

" ورغم كل هذه الابتلاءات التي انزلها اللّه بك فأنا... اعشقك ... هل ترين ؟ كلنا لديه ابتلاءاته .."

شعرت انها في فخ أكبر !

فخ لكل كيانها كأنثى ...

شعرت انها دون ان تشعر تخطو لتدخل مصيدته التي لن تخرج منها ابداً...

احساس مخيف جعلها تنظر حولها لوهلة مضحكة وكأنها سترى قضباناً من حولها !

قلبها ما زال يقصف اضلعها قصفاً بخفقاته وكأنه يتخلى عنها وينفصل عن ارادتها ليعيش حالة ترفضها .. يا آلهي .. لا .. لا تريد هذا الفخ .. لا تريد ان تلفظ اسمه على لسانها ...

لن تقع فيه لانه سيسجنها الى الابد وستفقد ما تبقى من كرامتها ...

أخذت تتمتم في سرها برعب عجيب

" يا الهي لا .. لا تجعلني أقع بفخ كهذا .. لا تجعلني أتأثر به لهذه الدرجة .. يا ألهي .. أخرجني سريعاً من هنا .. أعدني الى حيث أنتمي .. لا يمكن انني انتمي لهنا ! انا .. انا يجب ان ... أكلم عمي طاهر ... يجب ان أتذكر رقمه ..."

صوت فرقد الجاف أخرجها من دعواتها وافكارها الهلعة وهو يقول " الوجع في ذراعي رهيب .. احضري لي المسكن والماء قبل ان تذهبي للحمام .. يومنا سيكون طويلا وانا قررت اني لن اغادر السرير طيلة النهار ... وانتِ.. لن تفارقيني ..."

سمع تمتمتها بـ(نعم) مع ابتعاد خطواتها ليدرك انها غادرت غرفتهما لتحضر له الماء ..

يقاوم ألم ذراعه بينما يكلم نفسه " ليست وحدها المخادعة يا ابن الشيخ .. انت تخادعها وتخادع نفسك ! .. متى ستعيدها وانت تتحجج بأوهى الحجج لتبقيها هنا ... في حضنك .. تتلاعب بمشاعرها بيأس ان تبادلك العشق وتغفر لك يوماً ... ايها اليائس البائس ! اذا كنت انت نفسك عجزت عن الغفران لها في الماضي القريب وانتقمت منها شر انتقام وانت تعشق الارض التي تسير عليها .. فكيف تأمل ان تحظى منها بالغفران الآن ؟! حتى فخ العشق ليس كافياً ...ليس كافياً ..."

الجمرة الحادية والعشرون

بعد نصف ساعة كانت تجلس جواره على السرير وقد بدأ ألم ذراعه يخف تدريجياً ..

امامها على السرير صينية عامرة بافطار مبالغ فيه ساعدتها خادمة الشيخة نزهت باعدادها في المطبخ ... واصرت عليها بوجوب ان تضع لزوجها كل الانواع وبكميات تكفي عائلة كاملة !

بيض مقلي واخر مسلوق .. قشطة وعسل جبلي وقطعة ضخمة من جبن ابيض بثقوب واسعة صنع نساء البيت... وخمس أرغفة من خبز كبير الحجم خرج للتو من تنور طيني ..

كم هائل من النعناع والبقدونس والبصل والطماطم والخيار والفلفل الاخضر !

هل هو افطار او وليمة ؟!

لقد ارادت الخادمة العجوز ان تشوي له دجاجة كاملة في التنور !

لم يكن ينقص الا ان تشوي له عجلاً !

لكن هاجر عاندتها في هذا ورفضت بشكل قطعي وفرضت على الخادمة اطاعتها بحزم وقرار غير قابل للنقاش ... فامتثلت المرأة على مضض وهي تتمتم بكلمات غير راضية ...

مع كل هذا كانت صدمتها لا توصف وهي تحدق بمحتوى الصينية التي تحملها للغرفة !

وعندما دخلت رأت فرقد ما زال مستلقيا وظهره
بوضع مائل مستند للوسادات خلفه فينظر
نحوها ويربت جواره في دعوة صامتة بينما
ابتسامته تتسع مع كل خطوة تقترب منها
نحوه حاملة الصينية الثقيلة العامرة ...

في البداية ارتبكت من كل هذا ولم تعرف
ماذا يفترض ان تفعل ؟ .. رباه انه مجرد افطار
تتشاركه معه لكنها لا تعرف من اين تبدأ
ولسانها لايطاوعها لتسأله ماذا يريد ...

لم تكن معتادة على كل هذا ؟

حتى في كل المرات التي شاركته فيها
الطعام كان هو من يتولى المهمة بل ويدس
الطعام في فمها ويدللها بطريقته الاجبارية ...

أخيرا نظراته المتسلية جعلت كرامتها
تنتفض بطريقة طفولية فأخذت تعد له
الشطائر دون ان تسأله ما يريد أولا ...

كانت تعلم انه يراقبها عن كثب .. لم
تفارقها نظراته على الاطلاق ...

وبينما تقشر له بيضة مسلوقة قال لها فجأة

" لن استطيع اعادتك للعاصمة اليوم ..
أظنك تعلمين هذا .. الجرح يؤلمني ..."

رفعت نظراتها اليه فلم تر في عينيه الا
الهدوء.. لكنه هدوء غامض وكأنه غير
حقيقي ؟

عادت للتركيز في البيضة التي تعافر لفصل قشرها البنيّ عن بياضها وهي ترد عليه بافكار عفوية

" لا بأس .. اعلم ايضا ان الوقت غير مناسب لاجل عائلتك .. لا بد ان أخوتك ينتظرون منك تواجدا معهم في هذا الظرف الصعب .."

فجاء صوته أشد غموضاً من نظراته وهو يقول

" نعم ... صحيح .. ربما سأعيدك بعد يومين او ثلاث على أكثر تقدير .. اذا مرت الامور بسلام مع عشيرة الضاري ..."

قدمت له البيضة المقشرة وهي شاردة النظرات بينما كان يردد في سره " او سأعيدك بعد اسبوع و..ربما ...شهر او ... سنة ؟"

اما هي وبينما تقشر البيضة الثانية ففي سريرتها تتردد صدى أرقام ؟

أرقام فقط ... أرقام تشكل سبيلها لتصل الى عمها ولو عبر الهاتف ....

أخذت الارقام تتجمع وذهنها شديد التوقد حتى رفعت يدها بالبيضة الثانية نحو فرقد فيلتهمها من يدها مباشرة وهي لا ترى ملامح وجهه ولا تشعر بملمس شفتيه الخشنتين اللتين تعلقتا باناملها ببطء متعمد ...

انها لا ترى الا مجموعة أرقام تراصت بشكل صحيح لتحقق امنيتها ...

انتصار صغير منحها رضا لا يوصف ...

بعد ساعتين ...

أخذت هاجر حماماً مريحاً ثم ارتدت جلباباً
بسيطاً من قماش دافئ ، مشطت شعرها الرطب
ثم صفقته بعقدة للخلف ..

تنظر لنفسها بالمرآة فتشعر انها ليست هي !

لا ارتداؤها لهذا النوع من جلابيب متشابهة
التفصيل ولا وجهها الخالي من التبرج و لا
شعرها المصفف بتسريحة بسيطة اقرب
لتسريحة ربات البيوت !

انها تبدو جميلة منتعشة لا تنكر هذا ..

لكن ... هي تشعر انها خارج مدارها ...

هكذا ببساطة ...

تنهدت وهي تفكر بتحين فرصة مناسبة
لتكلم عمها حالما يتركها فرقد بمفردها ..

ربما آخر الليل اذا ذهب لاجتماع العشائر ...

او حتى غدا صباحاً ...

حاجة رهيبة أن تسمع صوت عمها طاهر دوناً
عن غيره .. تريد ان تأنس باحساس انها تنتمي
اليه بأي طريقة ..

وكأنها تبحث فيه عن ارض ثابتة تخصها
تسند وقفتها العجيبة هذه في ارض غريبة
عنها ...

الا يحق لها ان تفاخرهم بأرضها كما يفعلون؟!

خرجت من الحمام لتتفاجأ بفرقد وهو يرتدي جلباباً كحلياً مهيباً فتتقدم منه وهو يلتقط كوفيته ليلفها حول رأسه فتقول دون تفكير بكلماتها " قلت سترتاح هذا اليوم .. ظننتك ستبقى معي لآخر النهار على الاقل .. "

أمال نظراته لها وابتسامة حارة على فمه فيقول بلهجته الثقيلة

" لا تفتقديني هكذا كثيراً .. انت تصعبين الامور علي يا ابنة الاحمدي ..."

يميل بوجهه دون مقدمات فيقبل جانب خدها بحرارة تنعش القلب هامساً بصوت مبحوح

" ليتني أصاب بجسدي كل يوم فأحظى بتدليلك كما حظيت به منذ ليلة الامس وحتى اللحظة ... لم أكن اعرف انك تجيدين الاعتناء هكذا .."

قبلة أخرى لخدها وكأنه يقبل قلبها الخافق..

اصابعه تلامس عنقها بشكل عابر لكن حميمي ...

دوماً يجيد الملامسة .. حتى قبلته لمسة !

تحرك مبتعداً عنها ليجلس على السرير ويبدأ بارتداء حذائه قائلا

" لا أحب على قلبي من أن ابقى معك هكذا.. لكن يجب أن ألحق بالرجال ..."

تمتمت " نعم ..." ثم تناظره كيف يرتدي حذائه الجلدي فتجد غرابة ان تتقبل ارتدائه لحذاء كهذا مع الجلباب الرجولي ..

لكنها اعتادت الامر كما اعتادت على الكثير هنا ... اعتادت غرابة كل شيء وباتت تتقبلها ... بل تشعر انها لن تنساهم ابداً طيلة حياتها ...

فجأة تذكرت صيصانها !

تغيرت ملامح وجهها دون ان تشعر ..

لهفة شديدة قفزت من نظراتها وهي تتطلع اليه يبادلها النظر وهو يقترب منها و يقف قربها فيسألها بصوت أجش " ما بك ؟ وجهك تغير فجأة .."

ابتلعت ريقها وهي تخجل من حاجتها الملحة لاستعادة صيصانها لتقول بتردد

" اريد منك .. امراً مهما يا فرقد .."

تعبث ابتسامته بها فيقول بلهجته التي اصبح لا يتخلى عنها وهو يكلمها

" اؤمريني يا حشاشة قلب فرقد .."

كانت تشعر بالضعف .. وتكره احساس الضعف .. لكنها تكره اكثر ان تبتعد عما تحبه ... انهم صيصانها .. ملكها هي ...

همست بمزيد من التعثر

" صيصاني .... عند نجمة ..اريدهم "

انفجر فرقد ضاحكاً حتى ارتد رأسه للخلف فتحمر حنقاً وهي تهتف به بما يدور في خلدها

" انهم صيصاني .. ومؤكد يفتقدونني .. منذ يومين لم يرونني .."

ضحكاته تخفت فينظر اليها وكأنه يتفهمها تماماً بل ويؤيدها ايضا بحقها لاستعادة ملكيتها لبضعة صيصان صغيرة...

قال أخيرا بصوته الضاحك وهو يلثم خدها

"أمرك يا أم الصيصان .. امهليني حتى الليل فقط واحضرهم لك بنفسي .. او ربما نذهب سوياً لبيت عبد الملك ونستعيدهم بالقوة.."

ابتعد قليلاً وهو ينظر لساعته ليضيف ببعض الجدية " الآن يجب ان ألحق بالرجال واذهب لرؤية ابي.. فاليوم سيسمحون لنا بالكلام معه .. أتصل ناصر قبل قليل ليخبرني بهذا.."

ثم تحرك ليغادر على عجل بينما تشيعه هاجر بنظراتها وفرح غامر يملؤها ..

ربما هي طفلة بشعورها هذا ... لكنها لا تستطيع ردع نفسها ... تريد ان ترى الصغار بزغبهم الاصفر وتقافزهم المضحك ..

تريد ان تشم رائحتهم الكريهة وتطعمهم بنفسها ..

لم تشعر يوماً بشعور مماثل الا مع صيصانها..

فجأة التمع براسها خاطر ...

انها باتت بمفردها الآن وتستطيع ان تكلم عمها ..

هرولت ناحية احد ادراج منضدة الزينة حيث تضع هاتف عبد الملك فرفعته بيد مرتعشة وقلب أشد ارتعاشاً وخوفاً ...

أخذت الهاتف معها لتتحرك ناحية السرير وتجلس عليه وظلت لفترة طويلة تحدق في الفراغ وعقلها يحاول تجميع الافكار بينما قلبها ينبض بخوف تلقائي وكأنها مقدمة على مجازفة مهولة !

اخذت اصابعها تكتب بارتعاش الارقام وتكاد لا تصدق ان ضغطة زر واحد ستجعلها تصل العاصمة ولو عبر خط هاتف ...

وكأن دهوراً مضت ..!

فجأة اصاب عقلها الشلل ...

ماذا ستقول لعمها ؟ بماذا ستفسر له ؟

صوت طرقات على الباب اجفلها بعنف فسقط منها الهاتف أرضا وصوتها المرتجف يقول

" من بالباب ؟"

فيأتيها صوت الخادمة العجوز بنبرتها الجافة قائلة " الشيخة نزهت تقول لك ما دام زوجك غادر فانزلي في الحال لتشاركي النسوة جلستهن .."

كانت مرتعبة بغباء .. وكأن الخادمة تراها عبر الباب المغلق وتعرف بنواياها للاتصال بعمها طاهر دون ان تخبر فرقد ...

التقطت الهاتف من الارض وهي تقول على عجل " سأنزل حالا ... "

فتؤكد عليها الخادمة بالقول " لا تتأخري .. الشيخة نزهت لا تحب الانتظار "

ثم رحلت الخادمة وهاجر تمسح على جبينها بارتباك شديد لتقف وتتحرك ناحية منضدة الزينة مرة اخرى فتعيد الهاتف لمكانه وهي تفكر بحجة ما للانسحاب من جلسة النسوة بعد نصف ساعة لا اكثر ...

فلا طاقة لها لتحملهن اليوم ايضا ... لا طاقة لها لتلبس قناعها حتى تواجههن بصلابة دون ان تظهر ارتباكها لاختلافها عنهن ..

كما انها يجب ان تكلم عمها قبل عودة فرقد... فربما لن يتسنى لها فرصة أخرى كهذه تضمن فيها أن يغيب فرقد حتى آخر الليل !

غادرت الغرفة وعقلها مشتت تماماً عما حولها ..

بعد ساعة كانت هاجر بمفردها اخيراً في الغرفة .. تتحرك بتوتر والهاتف في يدها تعتصره عصراً ...

اغمضت عينيها وعدت حتى العشرة لتهدأ ثم بشجاعة ضغطت الاتصال ....

" نعم ..."

كلمة واحدة مختصرة قالها عمها بصوته المألوف الرجولي ليجعل كل افكارها التي أعدتها سلفاً تنهار ...

بوجيعة الحاجة لانسان من لحمها ودمها تسللت عبر نطقها لحروف انتمائها له " عماااا..ه.."

جاءها صوته مشبعاً باللوعة عليها وهو ينادي بدون تصديق " هاجر ؟!"

هتفت بفوران عاطفي والدموع تجري على خديها " نعم عمي .. انها ....أنا ..."

يا الله ... هل مضى هذا الوقت الطويل لم تسمع فيه صوت عمها ؟! ام ان حاجتنا الماسة القاهرة لأمر ما لا تقاس بالايام والشهور والسنين ...

تشهق بالبكاء وكأنها وجدت روحها بعد طول تيه وضياع ...

ابدا لم تتخيل ان المشاعر ستتكاثف داخلها بهذا الاهتياج حالما سمعت صوت عمها طاهر...

ابداً لم تظن ان اشتياقها لرؤيته سيعذبها هكذا ...

جاء صوت عمها مشبعا باللهفة الصادقة عليها " هاجر انت بخير يا ابنتي ؟! اخبريني بالله عليك هل انت بخير ...؟ اخبريني اين انت وسأحضر اليك في الحال ؟"

كانت تستجمع شتات انهيارها بشق الانفس وتمسح دموعها الغزيرة وهي تهتف بارتعاش تطمئنه " لا .. لا تقلق عماه ... اسفة اقلقتك هكذا .. انا .. بخير .."

فيسألها عمها بإلحاح أبوي " لماذا تبكين اذن؟ وماذا جرى لك لتغيبي كل هذا دون ان تتصلي بي او تخبريني عن مكان رحلتك؟ "

ابتلعت ريقها وهي تستعيد تركيزها لتنظر فيما حولها تحدق في اثاث الغرفة الثقيل وتستعيد في لحظات سريعات كل ما مر بها

منذ استيقاظها لتجد نفسها سجينة فرقد في مزرعة معزولة وحتى هذه اللحظة وهي تقف الآن وسط غرفة جمعتها بفرقد في بيت كبير غريب يحكمه شيخ عشيرة ...

همست بحشرجة رغم محاولاتها الجادة لتبدو طبيعية قدر الامكان

" كنت ... في رحلة طويلة .. طويلة جدا .. لكني اشتقت اليك... اشتقت لحضنك .. رباااه... لم اشعر بحاجة لحضنك الا وانا بعيدة عنك هكذا..."

هذه المرة هتف بها عمها بصوت حازم يفيض حنقاً مكبوتاً بشق الانفس

" عودي هاجر .. لقد قتلتني قلقا عليك .. عودي لبيت عمك وكفى من تصرفاتك المتهورة الرعناء هذه .. تصرفاتك دوماً غير محسوبة ولا محمودة العواقب .. متى ستفهمين ان المجتمع لا يرحم ... وافعالك هذه تسيء لسمعتك بل تدمرها بالكامل .. لم أعد أعرف بم اجيب على تساؤلات الاخرين حول غيابك .. بل جعلتني احياناً أكذب وانا ادعي اتصالا غير حقيقي منك .. كفى يا هاجر .. كفى .. "

يدها كانت تعتصر الهاتف وهي تغمض عينيها بألم .. آآه ... لا فائدة .. الكل يحاكمها على تصرفاتها وينعتها بأسوأ الصفات ويحملها ذنوباً هي ليست بقادرة على مجابهتها ....

لتسمع صوت عمها يقول بنبرة خذلان واضح

" هل تعلمين ان قد وصل الامر بي بأن جعلتني اوظف اليوم محققاً خاصاً ليبحث عنك حتى اطمئن انك بخير .. هل تدركين في اي حالة عشت خلال الاسابيع الماضية وانا عاجز عن الوصول اليك لاعرف ان كنتِ حية او ...ميتة ! "

وسط كل ما قاله اثار هلعها كلمة واحدة (محقق) ! لم تصدق ان عمها اتصل بمحقق ليجدها من أجله ....!

هل كان غيابها طويلاً هكذا لتثير هلع عمها لهذه الدرجة ؟!

لا .. لا يمكن لعمها ان يعرف ما حصل ..

لا يمكن ان تسمح بهذا ... لا.. يمكن ...

تباطأت افكارها ومشاعرها تتزاحم بينما عيناها تجحظان ...

اخذت تساؤلات عجيبة تجتاحها ...

لماذا (لا يمكن) ؟!

هل لانها لن تحتمل ان يعرف عمها بكل ما تعرضت له هنا من إذلال .. أم انها لن تحتمل ... ان يتعرض فرقد لأي سوء او عقاب بسبب افعاله المجنونة معها ؟!

هل تحمي كرامتها ام تحميه هو ؟!

ظل التساؤل عالقاً في رأسها وسط كل هذا التزاحم المضطرب في مشاعرها ...

كان عقلها سينفجر رافضاً كل ما يحدث ..

اغمضت عينيها ... في كل الاحوال وفي مطلق الاجابات وفي أغرب ردود الافعال التي تنتابها الآن فعمها طاهر (لا يمكن) ان يعرف ....

بل يجب ان تمنعه بأي ثمن أن يعرف ...

قالت أخيرا وبتعثر عاطفي مشحون

" لا عماه ... اي محقق ؟! انا .. كنت في رحلة لارتاح ... وسأعود اخر الاسبوع .. الجمعة .. اجل الجمعة سأكون عندك .. وسأخبرك بكل شيء عندها .. "

نطقت بكلمة (الجمعة) دون تفكير .. فقط قالتها لتعطي لعمها الثقة بعودتها القريبة ..

لكن عمها فاجأها وهو يسألها بارتياب

" لماذا لا تتصلين من هاتفك ..؟"

تمتمت بتردد " ضاع مني ... ساشرح لك فيما بعد.."

وكأن ترددها اثار مزيدا من ريبة عمها ليقول

" هذا الخط الذي تتصلين منه خط خاص لم يظهر لي ... ؟"

بدأت تشعر بغبائها للاتصال هكذا ! كان يجب ان تنتظر فرقد .. كان يجب ان..تتفق معه عما سيقولانه بعودتها للعاصمة ...

ردت على عمها " لقد استعرته من احدهم .."

ذكاء عمها يحاصرها وهو يعبر باستفسارات مباشرة منطقية

" لماذا لم تشتري خطا خاصا بك ..؟! لما انعزلتِ بهذه الطريقة ولأكثر من اسبوعين.. هاجر انت تقلقيني .. ما معنى كل هذا الغموض والتفسيرات العجيبة التي تعطيني اياها بارتباك ملحوظ ؟! اريد توضيحاً لكل شيء الآن..."

فتحاول كل جهدها لتظهر قوية صلبة وهي تقول بثقة " فقط لا تقلق هكذا .. صدقني كل الامور بخير .. كنت احتاج لهذه الرحلة .. رحلة لأعرف نفسي .. لأعرف ما خسرته ... الآن .. حان وقت العودة .. يوم الجمعة سأكون عندك كما أخبرتك.."

تصمت لحظة ثم تضيف وكأنها استدركت امراً مهما

" وارجوك إلغي كل شيء مع ذاك المحقق .. انا اسفة لاني حملتك بغبائي وانانيتي كل هذا العبء .."

ليفاجئها عمها مرة ثانية وهو يسأل بنبرة اتهامية واضحة المعنى

" ألن تسألي عمّن حملته العبء معي ؟ ألن تسألي عن.. منذر ؟!"

لمحة من حنين لابتسامة رجولية حلوة منحها لها منذر على الدوام ..

يا الهي .. الذنوب تصر أن تلاحقها ... الآن تدرك فداحة فعلها مع منذر..

تمتمت هاجر بسؤال يفيض خجلا وخزياً واهتماماً صادقاً " هل هو بخير ؟"

فيرد عليها عمها بنبرة توبيخ شديد

" اول اختفائك كان سيجن .. قضى اياماً في وضع لا يحسد عليه .. لم أكن أعرف هل اواسيه ام اواسي نفسي .. لكن الآن .. هو يبدو بخير .. حقيقة لا اعرف بالضبط لاننا انشغلنا عن التواصل مع بعض ...اراه دوما في المؤسسة دون ان نتحدث .. لكن انت.. يجب ان تكلميه.. هذا حقه عليك .."

لا يصدق فرقد انه ترك الرجال ونقاشاتهم المحتدمة لأجل ان يعود اليها حتى يأخذها لتُحضر بنفسها صيصانها الغالية...!

لقد شعر بالملل وسط كل هذا اللغط الدائر وهو يعرف انه كلام لا فائدة منه .. فالقرار سيكون لشيخ العشيرة فقط ... وسيذهب الجمع كلهم عصراً ليأخذوا كلمته ان سمح لهم الطبيب ..

لذلك انسحب فرقد دون ان يشعر به أحد وهو يفكر ان " ام الصيصان" أولى باهتمامه الآن...

لديه الوقت الكافي ليأخذها الى بيت عبد الملك فيحضران الصيصان من هناك ثم ربما سيأخذها للسوق الشعبي تتجول فيه قليلا وقد يعجبها ان تشتري المزيد من هذه المخلوقات الصغيرة التي تعشقها .. وبعدها يعيدها للبيت ويعود هو للرجال..

اخذ يرتقي درجات السلم في بيت والده الشيخ والابتسامة تتراقص على فمه حتى وصل باب غرفته اخر الرواق وقبل ان يفتحه تناهى اليه صوتها المخنوق بالعبرات " هل هو بخير ؟"

للحظة لم يستوعب ! مع من تتكلم هكذا ؟!

اوشك ان يفتح الباب عندما سمعها تقول بتأثر صادق " نعم عماه ... منذر اكثر الناس لديه حقوقاً عندي.. وهو اول من سأذهب لرؤيته حال وصولي للعاصمة ... سأكلمه بنفسي وأحل كل شيء بيننا... لقد آذيته كثيراً ولن يغفر لي بسهولة ..."

كأن صاعقة شجّت رأسه ! بينما يسمع المزيد منها مما كان يطحنه طحناً ...

" نعم .. مؤكد .. لا اطيق صبراً لرؤيتك .. سلام عمي ... لا استطيع اطالة المكالمة اكثر .. اراك قريباً جداً .."

من خلف الباب اخذت حبات العرق تتجمع على صدغيه والاسنان تكاد تتكسر وهو يسحقها ببعض ....تمتم من بين شفتيه

" خائنة والخيانة بدمك ...."

انفتح الباب بعنف رهيب وكأن الجحيم المستعر من اقتحم الغرفة ...

سقط الهاتف من يدها تلقائيا على الارض ...

تجمدت مكانها وهي تتمتم " فرقد ..؟!"

ضرب الباب بكفه لينغلق خلفه ثم هدر وهو يخطو نحوها كسيل من حمم بركانية

" خااااائنة ... "

عيناها جاحظتان في رعب لا يحتمل فتعود لتمتمتها الغبية وهو مسمرة مكانها

" فرقـ...آآآآآآآآآآه ..."

صفعة مدوية على وجهها شعرت بعدها بكل شيء حولها يدور بها بعنف سريع بينما هديره الجنوني يطرق مسامعها " خائنة .. خائنة ... "

كانت تتناثر .. تتبعثر ... تتلاشى !!

لم تدرك حتى انها سقطت على الارض من أثر صفعته اما هو فيجن جنونه ليرفس احدى الخزانات الصغيرة ذات الادراج فيقلبها على وجهها أرضا وهاجر تترنح قريباً منه والدموع تهطل منها دون ان تشعر..

طرقات على الباب وصوت الخادمة الخشن يعلو بالسؤال عم يحصل فيصرخ فرقد هادراً كوحش " من سيطرق الباب ويتدخل سأقتله أياً كانت هويته .. ارحلي ... لا اريد احداً هنا.. "

كان ما يزال رأس هاجر يلف وهي تهمس باختناق " ربااااه ... توقف عن الصراخ للحظة... توقف .. اخبرني .. ماذا سمعت ... آآآآه ..."

رفعها من ذراعيها لتقف ثم يدفعها بعنف جنوني حتى ارتطم ظهرها بالحائط فشعرت وكأن اضلاعها من الخلف تطلق صرخات الانين وكأنها تتهشم..

لم يمهلها تلتقط انفاسها وهويلف اصابعه حول رقبتها تنغرز في عمق يكاد يمنع الهواء عنها بينما يهمس بوحشية " من اي طينة نجسة انت لتسعي لاسترضاء رجل حتى يعود اليك ويسامحك وانت على ذمة رجل آخر ؟! لكنها لن تكون الاولى لك .. ألم تكوني على وشك الزواج من ذاك التيس وشهور عدتك لم تنقضي ! قسماً بجلال الله لأقتلن هذا ال منذر بيدي المجردتين ... بل وسأقتل عمك حالما تطأ قدماه ارض قرية الشيوخ .. طلقة وسط جبينه وأدفنه في مقبرة الغرباء .. ايتها الخائنة التي لا تعرف معنى عفة النساء .. ولا تعرف معنى وعد قطعته لرجلها ..."

يده اليسرى كانت تحاوط عنقها بالكامل وجسده النابض بالاشتعال والقسوة كان يحتجزها للحائط ودموعها لا تكف عن هطولها الصامت ...

كانت تحدق بوجهه القريب فتتعلق نظراتها بالعرق الذي يتصفد من جبينه ثم تتحرك نظراتها وهي تكاد تفقد وعيها لتقابل نظرات عينيه الجامحتي الغضب ...

عيناه تحاكمانها .. تتهمانها ... تقتلانها .. تمزقانها إربا إرباً ...

لا تعلم لما اوجعها احساسها انه يراها خائنة!

قلبها ينبض بذاك الوجع تريد ان تصرخ به انها ليست خائنة .. ابداً ليست خائنة ..

لكن كل ما خرج على لسانها كلمات مبعثرة بصوت مبحوح " انت ...لا تفهم ... دعني اشرح لك من .. البداية .. اولا .. عمي .. لم يعرف اين انا .. انه لن .. يأتي ... وثانياً لم .. اقصد ما فهمته عن ... منذر ..."

ضغط اصابعه كان يشتد كقساوة نظراته وهو يتمتم قرب فمها يمزقها باتهاماته وشكوكه

" كاذبة حقيرة خائنة ... كيف اصدقك.."

شعرت انها تتوجع من شدة الضعف ...!

يا الهي لا تحتمل كلماته ونظراته ...

ترمش بعينيها لتهمس بصوت مُعذب وهي تنظر في عينيه الغاضبتين كالجحيم

" عمي لا يعرف شيئاً .. لا يعرف اين أنا .. اقسم باللّه لا يعرف .. وانتظر وسترى انه لن يأتي .. هو لن يصل هنا ابداً .. اقسم باللّه لم اخبره بأي شيء .."

اصابعه ما زالت تتشبث بعنقها لكن ضغطها خف فتميل برأسها نحو كتفه دون اي تفسير فتهمس بارتعاشات متتابعة

" اقسم .. اقسم .. اقسم ... لم .. أخنك .."

يفلت رقبتها ليُسقط يده على الحائط خلفها بينما هي تبكي على كتفه تلتصق اكثر على صدره الهادر بعنف وحشي وهو يعتصر كفه بالحائط يكاد يحفر فيه سيولا من نار غضبه الاهوج ..

كان جسده بالكامل يرعد وهي تستجمع قواها لتفسر له اكثر

" اتصلت .. بعمي لاني اشتقت له ...فقط .."

كان صوته خافتاً يحمل المزيد من الاتهامات لها " وعدتِني انك لن تفعلي .. ام نسيتِ وعدك لي بالامس ؟ كيف تخوني ثقتي بك هكذا وانا تركت الهاتف معك ...؟ لم اسألك ان تعيديه لانك وعدتني .."

يميل فمه قريباً من فمها وهو يضيف بشراسة ويضرب الحائط خلفها بعنف

" وعدتني يا هاجر .. وعدتني ..."

تمتمت بجزع واصابعها تتشبث بجلبابه

" لم .. اظن ... انك .. ستعارض .. لاني لم .. أخبره بشيء ... فقط اني في رحلة وسأعود الجمعة ..."

تشد جلبابه أكثر تعتصر القماش بين اصابعها وهي تهمس بحرقة علّه يفهم " كل ما أردته سماع صوته .. انه عمي ويهتم لأمري .. ألم تفكر انه قلق علي ؟ ألم تفكر اني .. بحاجته وسط غربتي بينكم ؟!.. انت ظالم ... ظالم... قاس بلا رحمة .."

ما زال جسده بل كل شيء فيه ينتفض بالغضب الجامح وهو يرد عليها

" معك انا اعتى الظالمين ...!"

تبكي وهي تشد جلبابه بقسوة هذه المرة وكأنها تصارعه وتقاتله بصمت ليهدر بخفوت خطير " انظري لعيني واخبريني بكل شيء ... ويا سواد ليلك يا هاجر لو احسست لثانية واحدة انك تكذبين .. "

رفعت وجهها فيكاد فمها يلامس شفتيه الجافتين القريبتين فترفع نظراتها لعينيه لترى فيهما الجدية التامة وهو يضيف بشراسة بدائية ويده اليمنى ترتفع لتلامس عرقها النابض في رقبتها

" انا احفظ مسار الدم في عرقك هذا وسأعرف متى يتغير عندما تكذبين .."

الغيرة ... كل شيء فيه كان يشع بغيرة.. مرعبة مخيفة.. مدمرة ...

دوماً غيرته عليها كانت تخيفها ..

فيها قسوة وفقدان سيطرة وغضب مرعب..

لكن غيرته الآن تخيفها أكثر من الماضي ..

صدرها يعلو ويهبط بينما يسألها دوم مواربة

" ماذا كان بينك وبين .. منذر ؟ انطقي ... فسري ... واختصري ..."

يده عادت لتضغط عنقها ... تحاول العودة لاحساسها بمنذر لتشرح له ... وكلما عادت لذاك الشعور مع منذر يثور داخلها غضب وتمرد نحو فرقد ... هدرت فيه وعيناها تقدحان بغضب دفين تحمله نحوه

" تريد التفسير حسناً لك هذا .. لكن لا تطلب الاختصار ! عليك ان تسمع ما أجرمته بحقي .. قد يرضيك ان تعرف انه لم يكن بيني وبين منذر شيء حقيقي .. منذر كان قصة خيالية اوهمت نفسي بها وخدعته معي بهذا الوهم وهو لم يكن يستحق مني هذا.. فهل تأتي انت الآن وتحاسبني لاني كنت ابحث عن وهم اوقف به نزيف انوثتي وكرامتي ؟! لا يحق لك .. ابدا لا يحق لك محاسبتي .. كل ما جرى بسببك انت ... ظلمتني فظلمت منذر معي .. لكني لم أكن بوعيي .. انت هجرتني بعد ان ذبحتني ذبحاً .. لقد تذوقت طعم الموت وانا حية اتنفس بين الناس .."

هيجانها وثورتها زادته غضباً !

كأنهما يتباريان وكل منهما يفجر غضبه كقنابل موقوتة في وجع الآخر ..

صرخ فيها " فـ...ـداواكِ هو ها!؟! "

نظرت اليه بشراسة وحقد فترد له الصاع صاعين قائلة " لا اظنك تريد ان تعرف التفاصيل ..آآآآه.........."

كان يخنقها وهو يصرخ " دوماً تريدين رجالا من حولك يداوون جراحك ... دوماً تريدين الأخذ منهم بانانية وتبررين لنفسك بوقاحة.. اللعنة عليك وعلى اليوم الذي رأيتك فيه .. لكن لا كنت فرقد الشيخ ان لم أعلمك عاقبة استغلال الرجال والتلاعب بهم ..."

شفتاه انهالت على شفتيها تقبيلاً شرساً موجعاً منفراً وكأنه يهينها بقبلاته ككلماته ...

ابتعد للحظة لاهثا فشعرت بطعم الدم في فمها وهو يهدر بانفاسه قائلا بنظرات لا توصف

" ولماذا لا أكون هذا الرجل الذي تبحثين عنه في كل الرجال ؟! استطيع ان اداويكِ بالكثير مما لم تختبريه حتى اللحظة معي.. انت مجرد غبية لا تعرفين اين تبحثين ..."

كان وحشيا وهو يعتصر جسدها بلا رحمة اليه ... ترفسه ترفضه وهو لا يبالي ...

جن جنونه بالغضب وهي جن جنونها بالرفض والمقاومة ...

حتى وجدت اصابعها طريقها لجرح ذراعه فضغطت بكل قوتها ليصرخ مبتعدا متوجعاً

" آآآآآآه .. اللعنة ... اللعنة ..."

كان ينهت من شدة الألم وهو على بعد خطوة.. بينما هي تنهت من مقاومتها الضارية له ...

رفع عينيه اليها لتصرخ نظراته القاسية الوحشية بنواياه الصريحة فابتعدت خطوة وهي تهمس بقسوة " لن تقربني .. هل نسيت انك وعدت انك لن تفعل .. ام انا وحدي من يجب أن ألتزم بالوعود ؟!"

وكأنها ضربته بمقتل !



لم يتحرك من مكانه وهو يناظرها بنظرة غضب اسود فلم يوقفها هذا عن الاضافة بشموخ وتحدٍ " كما انك وعدت باعادتي للعاصمة ...فمتى ستفعل ؟! "

مرت اللحظات بينهما طويلة بطيئة في مواجهة كوحوش الصحراء القاسية ...

برود كصقيع الليل في البراري اكتسح ملامحه ليرد عليها بشموخ سحق شموخها قائلا " سأعيدك الجمعة ألم تقولي أنك اخبرتِ عمك بهذا ؟! أم تراكِ نسيتِ ؟!..."

ثم خطا نحوها وصدره ما يزال يعلو ويهبط فصمدت في وجهه ليجفلها وهو يمر جنبها ثم ينحني ملتقطاً الهاتف من الارض قائلا بنبرة تهديد " حاولي ان تتصلي بأي مخلوق من أي هاتف لعين آخر ولن تري العاصمة بعينيك حتى مماتك..."

تحرك نحو الباب فتحه ثم أغلقه خلفه بعنف وهاجر تختض كغصن صغير غض نبت بمفرده من تحت الارض فأتت عليه الاعاصير دون رحمة ...

يدها تلامس خدها الساخن المصفوع ثم تنحدر لرقبتها حيث آثار اصابعه التي اوشكت ان تخنقها من شدة الغيرة والشك ...

أنحنى رأسها بمزيد من شعور الألم ..

ألم فظيع يئن به قلبها ...

العاصمة

مبنى مكتب المحامي .. عصراً

في المصعد يقف جوارها وداخله طاقة هائلة من الاحباط ! رغم توقعه النتيجة الا انه لم يستطع منع هذا الاحباط من اكتساحه ...

ربما لم يكن احباطاً قدر احساسه بالغضب لظلم لا يمكن درؤه .. خاصة عندما يرى بأم عينه أثر هذا الظلم على انسانة بريئة ..

ينزل بهما المصعد من الطابق الخامس حيث مكتب المحامي فيمر عبر باقي طوابق المبنى المليء بالمكاتب والعيادات الطبية فيدخل بعض الناس يشاركونهما الحيز الضيق ويغادر اخرون ... كل يجري لوجهته والطابق الذي يبتغيه...

لا تفارق عينا منذر النظر لوجه دينا الهادئ ..

هادئ لدرجة لا تحتملها اعصابه ...

تعابيرها تبدو كمن تتلقى النتائج برضا وواقعية ... او ربما تتلقاه كقضاء من اللّه ابتليت به كما عبرت بنفسها بهذه الجملة..

المحامي لم يقدم حلولا حاسمة .. بل في نظر منذر لا حلول على الاطلاق ..

فقط حبل طويل من اقتراحات مهلهلة لتسجيل شكاوي ضد عدي وتوقيع تعهد بعدم الاقتراب من دينا او والدها في افضل الاحوال...



وحتى هذا لا يمكن ان يتم بسهولة ... يجب ان يقتنع الضابط المسؤول بضرورة اجراء كهذا ليتخذه ..

اخيراً وصل المصعد للطابق الارضي فخرجت دينا بملامحها الصابرة تلك ...

كانت تبدو مذهلة بصبرها وتقبلها للواقع المفروض عليها بشجاعة ...

يسير منذر جوارها حتى يصلا بوابة المبنى

وهناك تلتفت اليه بجسدها لكن نظراتها تطرقان الارض فتقول له بصوت رخيم

" انا جدُّ ممتنة لكل ما تكبدته لاجل مساعدتي .. اظن من الافضل .. من الافضل.."

تلكأت كلماتها ومنذر يقف قربها يحدق في وجهها المطرق وداخله يموج بالغضب ليقاطعها قائلا بصوت خافت حتى لا يسمعه المارون بهما

" لا تيأسي هكذا يا دينا .. المحامي قال سيبحث عن اي دلالة او رأس خيط ليوجه لعدي الاتهام ..."

تبسمت وشمس العصر الرقيقة تمنحها تعابير شجن امسكت بتلابيب قلب منذر على نحو أوجعه ....

الجو بات بارداً اكثر مع انحسار ضوء الشمس والهواء الخفيف يحرك طارف حجابها الابيض ويتلاعب بحافة سترتها الكحلية الشتوية التي ترتديها فوق قميص ابيض بلون حجابها

وقد انسدلت تنورتها الفضفاضة حتى كاحليها بحشمة كاملة عنواناً لعفة روحها وهالة الطهارة التي تميزها فتتلفظ اخيرا ببضع كلمات مقتضبات

" الامر انتهى يا منذر ..."

ثم رفعت عينيها الواسعتين اليه لتهمس بضعف انثوي أفلت من عقال سيطرتها

" انا تعبت .. سأغادر العاصمة نهائيا .. لم أعد اريد خوض معارك معه .. سأبدأ بالبحث عن بلدة نائية او حتى قرية صغيرة انتقل للعيش فيها مع ابي .. "

كز منذر على اسنانه وهو يقول لها

" ما هذا الاستسلام يا دينا ؟! هذا ليس بحل وانت تعرفين .. الانتقال لاماكن جديدة ليس بالسهل كما لن تجدي بقرى وبلدات صغيرة اي بنك تلتحقين للعمل به .. بل لن تجدي وظيفة مناسبة .. "

التمعت عيناها بعجز هزه حتى اعماقه !

ثارت رجولته ليقول بنبرة قاطعة

" انتظريني هنا .. فقط سأدفع لتجديد موقف السيارات وأعود اليك .. سنتكلم في مقهى قريب من هنا ..."

تحرك مبتعداً وهو يضيف " لن اتأخر .."

تلحق به دينا بخطوة واحدة تقول له بحرج

" منذر لحظة ... لا استطيع .. انا .."



عينان تنضحان بالحقد قاطعتا رؤيتها لمنذر المبتعد .. وجه ملثم مختبأ في ظلمة زاوية خبيثة برز من ظلمته حالما ابتعدت خطوات منذر عن دينا ...

وتلك العينان الحقودتان نظرتا بتشفٍ غامض لعيني دينا الخائفتين ...

اقترب منها وهي مسمرة مكانها مصعوقة وقبل ان يمنحها اي فرصة كان يفتح الزجاجة التي يحملها بيده ليرش محتواها مباشرة نحو وجه دينا تحديداً ...

الجمرة الثانية والعشرون

مستشفى خاص... الطوارئ..

عاري الصدر لا يرتدي الا البنطال بينما يجلس في غرفة الطوارئ انفاسه تنهت من شدة الألم...

الألم رهيب في ذراعه الايسر ... ألم يتداعى له كل الجسد ... يصك منذر اسنانه يكتم صرخات وجع توشك ان تنفلت من فمه بينما صرخات دينا القريبة تعلو وتعلو ..

عيناه تتابعانها بإجهاد فيرى ممرضتين وطبيبة الطوارئ وهن يحاولن تهدئتها واحداهن تسحب ستارة بيضاء لتعزلها عن الاخرين ...

اغمض عينيه بقوة يكاد يغمى عليه وجسده كله يختض بالوجع واحدى الممرضات تعتني به وتنفذ تعليمات طبيب الطوارئ الذي استلم حالته وابتدأ باسعافه برش محلول مكثف لغسل ذراعه المصاب بالحرق وفي نفس الوقت يطلب من الممرضة بنبرة متعجلة آمرة ان تعلق للمصاب كيس محلول المسكن في الوريد ...

لم يشعر بغرزة الابرة في يده اليمنى لكن ما يفعله الطبيب بذراعه المصاب يخفف القليل من جحيم الالم الذي يشعره ...



اخذ الألم يتراخى قليلا فبدأ منذر بالتركيز لما يجري حوله فينظر ناحية الستارة التي تعزل دينا عنه وما زال صوت أنينها مسموعاً ..

موظفة الاستقبال التي تفتقد لأي احساس بالتعاطف تقف فوق رأسه كالنسناس وتطرح اسئلتها الباردة حول اسمه واسم (قريبته) وباقي بياناتهما ومن سيدفع الحساب !...

لحسن الحظ انه تذكر اسم دينا الكامل وبعض المعلومات عنها التي اخبرت بها المحامي.. ولحسن الحظ ايضا أنه لم يفقد محفظته التي كانت في جيب بنطاله كما فقد هاتفه الذي وقع منه في توقيت ما ..

لم تمر دقيقة والطبيب زجر الموظفة ان تكف عن اسئلتها الغبية وتركه ليعالج الحالة ...

استرخى جسد منذر بعد زوال الألم الرهيب فتتسارع الذكريات في رأسه عن هول ما حصل قبل وقت قصير قد لا يتعد النصف ساعة ..

انه فقط لا يصدق ان بضع ثوانٍ من الزمن مرت ببطء هكذا ! كيف تحرك في الشارع مبتعدا عن دينا وهو يخبرها سيجدد دفع المال في موقف السيارات فتركها قرب المبنى الذي كان فيه مكتب المحامي ، ثم لسبب ما او ربما حدس استدار ليتفقدها بعد بضع خطوات فيصدم برؤية وجه دينا الشاحب المصعوق



وعيناها الواسعتان قد جحظتا بنظرة رعب بينما تحدق برجل ملثم يقترب منها ..

لم يكن منذر يراه الا من الجانب تقريباً .. غريزياً تحرك منذر عائدا اليها دون تفكير ثم أخذ يركض نحوها بأقصى سرعته عندما لمح الزجاجة التي يحملها الملثم ..

في لحظة واحدة كان الملثم يفتح غطاء الزجاجة يرمي محتواها مباشرة ناحية دينا المصعوقة المتجمدة مكانها وفي نفس تلك اللحظة امتدت ذراع منذر الايسر بحركة دفاعية غريزية لتفصل كحاجز بين وجه دينا وبين السائل المرشوش نحوها ..

لحظة رهيبة ستظل محفورة في ذاكرة منذر حتى مماته ..

الصدمة المهولة .. الوجع الرهيب وصراخ دينا... صرخات الناس من حولهما .. هروب الملثم راكضا وهو يوقع الزجاجة الفارغة على الرصيف لتكسر الزجاج ويتناثر ....

ثم احدهم وهو يصرخ فيهما ان اخلعا ملابسيكما حالاً .. هذا السائل ماء نار !

لم يتردد منذر لحظة اخرى فخلع سترته الشتوية من فوره ثم قطع ازرار قميصه بحركة واحدة ليخلعه عنه وهو يصرخ من شدة الألم الذي لا يحتمل .. لكنه تصرف فقط بالغريزة ... غريزة النجاة من خطر !



ووسط هذا لم ينس دينا وهو يصرخ فيها ان تفعل المثل وعيناه تمران عليها بهستيرية كأنه يعاينها بصدمة غير قابلة للتصديق..

كانت تصرخ من الألم هي الاخرى وقد اصاب المحلول كتفها الايمن لتخلع سترتها وتظل بالقميص بينما يهلع وهو يرى طارف حجابها يتآكل بمنظر رهيب فوق قماش القميص فسحبه عنوة ليكشف شعرها المضفور ثم يمسك يدها ويسحبها معه راكضاً بها في الشارع وهو يصرخ بهستيرية في الناس التي تجمهرت من حولهما " اين المستشفى ؟! اين اقرب مستشفى ؟!" لم يستوعب حتى من ساعدهما واخذهما بسيارته لينقلهما الى مستشفى خاص قريب ...

" سيد منذر .. حروقك غالبا من الدرجة الاولى والثانية .. احسنت بخلع كل ملابسك فوراً وهذا خفف الكثير منها وقد كنت محظوظاً لقرب المستشفى.. سنحتاج لاعطائك مرهم مضاد حيوي ومعه نوع اخر للحروق واعادة بناء الانسجة... "

كان منذر شارداً وربما منهكاً ليستوعب التفاصيل بينما يضيف الطبيب " سنربط ذراعك بشاش معقم خاص ولمدة يومين على الاقل لان في هذه المرحلة يجب عزل الجلد المصاب عن .."

يكمل الطبيب شرحه وتعليماته ومنذر يشرد تماماً منه .. فقط عيناه تحدقان في ذراعه ... المشوه !

كان ذراعه بشعاً بشكل رهيب .. شديد الاحمرار والجلد متعرج بشكل منفر ...

تمتم منذر متسائلا بفزع " هل .. هل سيعود طبيعياً ؟ اقصد.. الجلد ..."

فيرد الطبيب يحاول طمأنته " اذا التزمت العلاج ومرت الامور بخير دون مضاعفات فبمرور الزمن واستخدام الدهون الخاصة وربما جلسات ليزر... "

يقاطعه منذر بعصبية " هل سيعود ؟!"

عندها قال الطبيب بلطف " ان شاء الله .. لا تقلق .. فقط يحتاج لوقت .. ربما أشهر ..."

ثم نظر منذر ناحية الستارة التي ما زالت مغلقة فيسأل باضطراب " ماذا عنها هي ؟ اصابتها مثلي صحيح ؟ سيزول كل شيء .."

تردد الطبيب قبل ان يقول " لا اعلم حالتها .. لكن .. للاسف هي لم تخلع قميصها مثلك لذلك مؤكد حروقها ستكون اعمق .."

في هذه اللحظة ظهرت الطبيبة من خلف الستارة فحاول منذر النهوض ليمنعه الطبيب وهو ينادي على زميلته لتقترب هي بينما يسألها عن حال مريضتها فخطت الطبيبة نحوهم لتسأل اولا من يكون منذر بالنسبة لمريضتها فيرد منذر بنزق وحنق

" انا قريبها وكنت معها وقت تعرضنا للاعتداء.. فقط اخبريني ما حالتها؟"

فتنظر الطبيبة لحظة لزميلها قبل ان ترد على منذر قائلة بحذر " الامر الجيد ان مساحة الحروق ليست واسعة كحال الحروق في ذراعك .. فقط جزء من كتفها الايمن وبعض النقط المتناثرة على رقبتها ..."

لتضيف الطبية بعدها بلحظة " حروقها ما بين درجة اولى وثانية .. المقلق هو حروق الدرجة الثانية لانها عميقة للاسف .. ويجب ان نحافظ عليها حتى لا يتلوث وتحصل مضاعفات.. ومستقبلا يجب تكثيف استخدام الدهون والعلاجات قدر الامكان .. "

سأل منذر بضراوة وهو يكاد يفقد صبره

" ما معنى درجة اولى وثانية ؟! وماذا تقصدون عميقة ؟! ما الفرق ؟ انا لست ضليعاً بكل الكلام الطبي الذي تقولونه .."

عندها كان طبيبه من يرد موضحاً

" الدرجة الثانية هي اقوى بالتأكيد من الاولى.. وكون الدرجة الثانية لدى قريبتك عميقة فنخشى ان ربما الاثار لن تزول ..ابداً.."

تمتم منذر وهو يشحب بالكامل " ربااه .. "

حاول الطبيب تهدئته قائلا

" العلاجات تطورت كثيراً .. ربما باهظة بعض الشيء لكنها على الاقل موجودة .. لا تقلق الآن على قريبتك بهذا الخصوص .. المهم ان

نركز على منع التلوث والمضاعفات خلال اليومين القادمين .."

أطرق منذر برأسه وداخله تتجمع شحنات الغضب ليأتيه سؤال الطبيب " لقد قلت ان رجلا ملثماً كان يقصد تشويهها هي وانت تدخلت للحماية .. هل تعرف هوية ذاك الملثم .. المعتدي ؟ انا سأكتب تقريراً ويجب ان نبلغ الشرطة لنخلي مسؤوليتنا .. فهل لديك معلومات عمّن فعل بكما هذا ؟ "

وقبل ان يرد منذر بشيء قالت احدى الممرضات ببعض الاضطراب " ملثم ؟! هناك رجل صدمته سيارة وهو يركض في الشارع في نفس موقع الحادث .. وصل الينا بعدهما.. اصيب بساقه فقط لكن الناس احضروه الى هنا واحدهم ابلغ عنه انه اعتدى على شاب وفتاة في الشارع قبل ان يفر هارباً.. "

رفع منذر وجهه وعيناه تقدحان شرراً وهو يتمتم من بين اسنانه " الحقير ... عدي .. لن يكون سواه ..."

مستشفى قرية الشيوخ

كان عبد الجبار الشيخ جلداً مهيباً حتى وهو مضطجع على سرير المستشفى الابيض .. ملامح وجهه قدت من الحجر الصوان كعادتها وهو يناظر وجوه الرجال من حوله ..

الشيخ محمد الضاري كان حاضراً بنفسه والشيخ عمران الاسدي حضر كوسيط صلح ولمِ شمل العشائر تحت راية شيخ اكبر تلك العشائر واكثرها هيبة وعزوة وتأثيراً .. عشيرة الشيخ..

الشيخ الضاري تعهد بدفع ديّة الدم الذي سال بين الرجال من الطرفين بسبب فعلة ولده واعطى للشيخ عبد الجبار العهد انه سيقبل منه اي حكم يرتضيه لولده الأرعن حمدان حتى لو أمر بجلده فجاء حكم الشيخ عبد الجبار ان يظل حمدان محبوساً عنده لستة اشهر وأن تؤخذ منه افضل مزارعه لتكون ملكاً مشتركاً لمن اصيب من رجال عشيرة الشيخ فارتضى الشيخ الضاري الحكم دون مفاوضة او اعتراض ..

وعلى هذا تعاهد الرجال ان يمضوا قدماً وغادروا جميعاً الغرفة بمن فيهم اولاد الشيخ عبد الجبار تاركين اخاهم الاصغر فرقد منفرداً بصحبة والدهم ....

يقف فرقد قرب الشباك وظهره يستند للحائط خلفه ... كان يستمع بنصف ذهن لما يحدث بين ابيه وباقي الرجال وحالما انتهى الامر برضا جميع الاطراف كان قد انسحب ذهنه كلياً منهم قبل ان ينسحبوا من غرفة ابيه ..

اخذ يحدق في راحة كفه وكأنه يبغضها !
عيناه بدتا كجمرتين اطفأهما الوجع وشعور الندم....

جاء صوت والده مباغتاً جافاً حاداً بالوجيعة

" العشق يقتلك بسكين ثلم بارد .."

رفع فرقد نظراته لابيه فيطل وجعه من عينيه ليضيف والده بنفس النبرة " العشق لا يليق بالرجال .. انه هوان وذل يا ابن الشيوخ .. لا بقيت رؤوسنا فوق اعناقنا ان نكستها النساء..."

يطبق فرقد اسنانه ويزم شفتيه بتصلب قبل ان يطل الشموخ من تعابير وجهه وهو يقول

" هاجر رفعة رأس يا ابي .. انت فقط لم تدرك تميزها ... انها ليست ككل النساء .."

فتحتد نظرات الشيخ وهو يرد على ابنه متهكماً بنبرة جافة " عجمية ها ؟ .. منحوها اللقب لانهم رأوا تميزها في عينيك انت ..."

فيقارعه ولده بالقول الواثق الجسور " بل رأوا فيها ما لا تريد ان تراه ... انت تحكم رؤياك بيد من حديد ! "

نظرات عبد الجبار الغاضبة في مواجهة محتدمة مع نظرات فرقد المتحدية فيقول لولده بخفوت ونبرة حادة " لو كان غيرك كلمني كما تكلمني الآن لكنت دفنته مكان موضع قدميه .."

عندها هال الشيخ عبد الجبار وهو يرى قنوطاً مراً في نظرات أشبه اولاده به الذي رد عليه بالقول اللامبالي " اقتلني ابي .. لا يهمني ..."

تقبضت يد الشيخ ليهتف في ولده بضراوة

" اقسم باللّه سأفعلنها ان لم تحكم امرأتك وتخضعها لإرادتك ..."

عاود فرقد النظر لراحة كفه ثم يقبضها قائلا بنبرة مؤثرة " اريدها ملكي وهي حرة ... هل تفهمني ابي .. اذا لم احصل عليها هكذا فلن أفعل بأي طريقة اخرى .."

ثم زمّ شفتيه للحظة قبل ان يرخيهما ليقول بإصرار وعيناه تلتمعان

" وسأفعل ... اقسم باللّه سأقضي عمري اسعى لامتلاكها حرة طليقة تجوب ارضي من اقصاها الى اقصاها ..."

يضيق الشيخ عينيه وهو يمعن النظر لنظرات الاصرار العجيب فيهما ليسأل " هل ستعيدها ؟"

وجع خام اكتسح ملامح ولده وهو يرد عليه بحشرجة " نعم .. الى بيت عمها .. هي ارتضت البقاء عن طيب خاطر الى يوم الجمعة لاجل ما حصل بين العشائر .."

ارتفع حاجبا الشيخ قليلا وهو يتساءل بدهشة

" هل فعلت هذا حقاً ؟! غريب ! ظننتها لن تكف عن المطالبة بالعودة حال انتهاء العرس.. "

فيرد عليه فرقد بفخر " لم تشأ ان اترك عشيرتي بهذا الوقت الصعب.. أرادتني معكم حتى وأن كان الثمن ان تظل سجينة بيننا لايام أخر .. حتى وأن كانت لا تطيق عشرتنا ولا ما فرضناه عليها .. و عند الشدائد تعرف طينة النساء ..اليس هذا قولك الدائم ؟!"

اغمض الشيخ عينيه دون أن يرد على ولده...

وخلف صمته يرتجل ابياتاً في وصف حال ولده

نار في حشاشة روحه تحرقه

لاتعرف انطفاء كلعنة تلاحقه

مالك انت ومال عشق الحشا ونيرانه

ذل هو ياابن الشيوخ لو تعلم بهوانه

المستشفى الخاص في العاصمة..عند الغروب ..

يتحرك منذر في أروقة المستشفى وقد ارتدى قميص المرضى في المستشفى فوق بنطاله ليستر جذعه العاري وقد تهرب حتى اللحظة من التفسير لعائلته عن السبب الحقيقي لغيابه... اخبرهم فقط انه تعرض للسرقة وفقد هاتفه وهو في المخفر يقدم بلاغاً لدى الشرطة ...

لم يستطع الا التركيز و الاهتمام بوضع دينا خاصة عند حضور والدها للمستشفى بحال تقطع القلب ...



كانت دينا نائمة عندما وصل الاب المفجوع بعد ان حقنوها بمسكن قوي لتنام وترتاح ... لكن الرجل المسن الذي بدا اشبه بمن فقد ادراكه بملامحه المصدومة التائهة غير المصدقة والفائضة بالهلع .. هذا الرجل حالما ادخلوه غرفتها انهار تماماً وهو يواجه واقع ما تعرضت له ابنته، فيجلس جوارها على السرير وهو يحاوطها بذراعه ويبكي كالطفل يطلب منها السماح لانه لم يحمها ...

في الواقع منذر كان يشعر بنفس شعوره وهو يقف بباب الغرفة يراقب الاب المفجوع الباكي لكن الغضب والندم هما ما سيطر عليه اكثر من اي شعور آخر...

لم يستطع الا الشعور بالندم وهو يتذكر تحذيرات موريس ... ولم يكف عن محاسبة نفسه والتساؤل هل هو السبب بدفع جنون عدي الى اقصاه ليفعل ما فعل مع المسكينة دينا؟!

لم يستطع منذر البقاء أكثر وهو عالق بدوامة مشاعر رهيبة وعاجز عن الخروج منها فترك الاب بمفرده مع ابنته النائمة وفي داخل منذر يتفاعل الغضب ورغبة في القصاص لاجلها ..

لقد كان وصول الاب مع انتهاء التحقيق الاولي للضابط المسؤول الذي أخذ اقوال منذر وبعض الشهود للحادث واطلع على تقرير اطباء المستشفى الذين استلموا حالات الطوارئ للمجني عليهما والمشتبه به ، وتم تأجيل أخذ اقوال دينا لليوم التالي ..

وقد أمر المحقق الشرطيين اللذين رافقاه ان يقفا على باب غرفة المشتبه به المدعو (عدي شكري) ويمنعا اي شخص حتى افراد عائلته من زيارته والدخول اليه بل وطلب المزيد من أفراد الشرطة عندما علم ان المشتبه به محجوز بنفس المستشفى مع الضحيتين خوفاً من حصول نزاعات ورغبات انتقامية بوجود الطرفين المتنازعين سوياً بنفس المكان..

كل هذا لم يرض منذر ... شعر ببلادة الاجراءات وسط نيران غضبه وسخطه ...

وما زاد الطين بلة حضور بعض الصحفيين المحليين المتسلقين الباحثين عن اخبار فضائح لصحفهم الصفراء والذين وصلهم بطريقة ما خبر (قصة مثيرة) عن شاب يحاول تشويه فتاة يحبها بماء النار لانها رفضته وفضلت عليه آخر ! ..

كانت الاحاديث المتناقلة بين أروقة المستشفى وهمسات الممرضات مثيرة لتقزز منذر ونفوره أكثر من غضبه وسخطه ..

شعر وكأنه وسط عاصفة ترابية صيفية خانقة محملة بروائح عفنة تعمي البصيرة وتزكم الانوف حد الشعور بالغثيان ..

جن جنونه واخذ يصرخ ببعض الممرضات المتهامسات ثم كسر كاميرا احدى الصحفيين الذي التقط له صورة بملابسه تلك



وتدخل أمن المستشفى الذين أمرهم المدير بطرد الصحفيين ومنع دخولهم ...

كان ينهت انفعالا وهو يناظر الممرضات بحقد فانسحبن من امامه هاربات ...

لا يصدق ان ما كان يمر به مرور الكرام في الصحف والمجلات والانترنت من حكاوي او اخبار الناس دون ان تترك في نفسه أثرا قد أصبح اليوم احد ضحاياها !

اجل يشعر انه (ضحية) .. ضحية مفروض عليه ان يتلقى هذه العاصفة من الاختلاقات والاكاذيب ومساس بالسمعة وحتى الشرف ...

وسيكون فرضاً على عائلته ايضا ان تتلقى نفس العاصفة وتواجهها...

يستند منذر مرهقاً على احد الجدران ليفكر بدينا ووالدها ... ماذا سيكون مصيرهما وسط هذه العاصفة ؟!

رباااه .... ماذا يفعل لاجلها ؟!

عاود منذر المسير حتى وصل اخيراً لباب الغرفة الصغيرة حيث ارشدته الطبيبة التي عالجت دينا..

الغرف اقرب لمخزن صغير متروك يستخدمه من يريد للصلاة وقد قبع والد دينا هناك يصلي ويدعو لابنته ...

فتح الباب على مهل فيأتيه صوت الرجل العجوز مرددا هذا الدعاء وهو يبكي ويذرف الدموع ..

(اللَهُمَّ إِنِّي أَعوذُ بكَ مِنْ الْهَمِّ وَالْحَزَن ، وَأَعُوذُ بكَ مِنْ الْعَجْز وَالْكَسَل ، وَأَعُوذُ بكَ مِنْ الْجُبْن وَالْبُخْل ، وَأَعُوذُ بكَ مِنْ غَلَبَة الدَّيْن وَقَهْر الرِّجَال)

دخل منذر للغرفة الضيقة فيرى الرجل جالساً على الارض وعصاه التي يتوكأ عليها جواره..

ظل منذر للحظات طوال يستمع للدعاء الذي يعيده الاب مراراً ويبكي مع كل كلمة فيه..

خاصة عندما يصل لاخر كلمتين وَقَهْر الرِّجَال فيجهش بالبكاء بصوت مرتفع كأنه يشكو قهره بصرخة عجز ...

جلس منذر جواره بينما يهدأ بكاء الرجل ويكفكف دموعه ومنذر يقول له

" تقبل اللّه منك صلاتك .."

فيرد الاب بعبرة مخنوقة

" منا ومنكم يا ولدي .."

ثم التفت اليه جانباً فيسأله بنظرات مطرقة

" كيف حال ذراعك بنيّ ؟ "

فيرد منذر متناسياً ألمه

" سيكون بخير ان شاء اللّه يا عم .."

يبتسم الرجل العجوز فيبدو وجهه أكثر طيبة ورقة وهو يقول كطفل يحاول طمأنة نفسه بعد تعرضه لكابوس مريع " الطبيبة طمأنتني ان بنيتي ستتحسن خلال اشهر ويختفي اثر الحروق ...كلها ستختفي .."

ابتلع منذر ريقه بصعوبة وهو يتخيل جهد الطبيبة لمنح العجوز الامل حتى وان كان هناك احتمال كبير ان هذا الامل ما هو الا كذبة !

تمتم منذر " نعم ... لا تقلق عماه ... ستكون كل الامور بخير .."

فجأة احتقنت ملامح الاب بالغضب ليقول بتحدٍ وثقة تامة " نعم ستكون بألف خير .. رغماً عن أنف ذاك الابليس المسمى عدي .. سأموت وأنا رأسي مرفوعة برؤية ابنتي سعيدة .. ربي لن يخذلني ..."

صمت منذر وهو يشعر انه عالق اكثر مع هذا الرجل الطيب اكثر حتى من ابنته !

بيت الشيخ .. اخر الليل...

فتح باب الغرفة ليخطو في الظلام... البارد !...

هواء بارد جدا يلفح وجهه وظلام يكاد يكون دامساً الا من شعاع خافت للقمر قادم من شباك مفتوح على مصراعيه !

عبس فرقد باستغراب وهو يتقدم ناحية الشباك المفتوح ليغلقه ..

وبينما يعيد الستائر لوضعها تجمدت يده ونبض قلبه بعنف وخاطر رهيب يمر كالعاصفة في رأسه ...

(هل هربت هاجر من الشباك في جنح الظلام؟!)

ألتفت بحدة ناحية السرير وقد اعتادت عيناه على الظلام فيعلو هدير قلبه بعنف مضاعف وهو يرى السرير ... خالياً !

قطع المسافة بخطوات مجنونة ونار كالجحيم تبتلع احشاءه ليقف قرب السرير من الجهة التي ينام عليها لانها الاقرب للشباك فيرى مكان هاجر المجاور له مهجوراً منها ... ومن اي شيء يخصها... حتى وسادتها اختفت ...

امسك بطارف احد الاغطية يعتصره عصراً بين انامله واوشك ان يمزقه قبل ان يخرج الصراخ الغاضب من حنجرته ويجن جنونه اكثر ليخرج باحثاً عنها ..

لكن كل هذا الانفعال تجمد في لحظة عندما لمح شيئا على الارض من الجهة المقابلة للسرير..

تحرك مخطوف القلب والاحساس ليلتف حول السرير وهناك كانت صدمته.. المفرحة !...

لقد كانت جنيته هاجر تفترش الارض !

تنكمش على نفسها وهي تلف حولها باحكام الغطاء الآخر للسرير بينما انتثر شعرها على الوسادة ...

زفر بقوة وهو يحيد بنظراته جانباً يحدق في الظلام بعجز يمقته ...

انه عاجز معها .. مكبل .. مسجون فيها ...

خائف حد الرعب ان نظر حوله يوماً فلم يجدها..

ماذا تفعل به هذه المجنونة التي أدمنها ؟!

هل تحاول معاقبته ام معاقبة نفسها ؟

صك أسنانه ليعاود النظر اليها فزفر من جديد وهو يتذكر رد الخادمة العجوز عندما سألها عبر الهاتف عن هاجر .. لقد اخبرته العجوز ان (امرأته) كما تحب نعتها لم تغادر غرفتها اطلاقاً ولم تتناول لقمة طعام مما احضرته لها في الغرفة لتعود صينية الطعام كما هي الى المطبخ .. وكما وصفتها كلما دخلت عليها الغرفة رأتها عند الشباك تحدق عبره وكأنها أميرة اسيرة !

العجوز كانت تسخر بطريقتها عندما وصفتها بهذا الوصف .. لكنها لا تعرف أنها اصابت الهدف واصابت معه قلب فرقد ...

تمتم فرقد بخفوت وعيناه لاتحيدان عنها

" اميرة أسيرة .. كيف استطيع أن اطلقك من أسرك ؟ كيف ؟! "

تنهد وهو يتحرك مبتعداً والغم يثقل قلبه ..

مرت بضع دقائق عندما عاد بعد ان أبدل ملابسه ليذهب ناحية السرير وبهدوء لملم وسادته وغطائه ليلتف الى الناحية الاخرى ويفترش الارض جوارها ...

مضطجع على ظهره ويطوي ذراعه فوق رأسه ليستند بمعصمه على جبينه، عيناه تحدقان في السقف لكن عيون قلبه تهفو للنظر الى تلك التي تجاوره وتوليه ظهرها ...

قاوم كثيراً قبل ان ينقلب على جانبه ليحدق في ظهرها ثم قاوم أكثر حتى فشل ليمد كفه نحوها يلامس بخفة ظهرها ...

امه اتصلت به عندما كان بصحبة والده في المستشفى وكانت مستاءة من اعتزال (عجمية) في مخدعها ورفضها الطعام او مشاركة النسوة جلستهن ...

ووصفتها انها متدللة وخيبت املها !

لم تستطع الشيخة نزهت ان تتفهم ان كنتها هاجر من بيئة مختلفة ..

أنها ليست كنساء القرية اللواتي يتقبلن صراخ وغضب ازواجهن بسلاسة دون ان تؤثر على واجباتهن ...

كما انه لم يستطع ان يخبر أمه انه .. صفع هاجر بعنف..

يا الله .. كيف صفعها ؟! كيف طاوعته يده ليفعل ؟ كيف فعل وهو يموت في هواها ولديه استعداد كامل ان يقتل لاجلها حتى ان كان هو ذاته المقتول ... !

كان ما زال يلامس ظهرها عندما شعرها تتشنج بالكامل فادرك أنه ايقظها..

وقبل ان يسحب كفه سمع صوتها يأتيه خافتاً لكن حاداً كنصل السكين

" أبعد يدك عني .. لا تلمسني ! "

ابتلع ريقه فيهمس اسمها بوجد " هاجر .."

حينها أتاه صوتها مشبعاً بالألم وهي تقول بنفس الخفوت الحاد " هاجر ؟! يليق بي الاسم اليس كذلك ؟ يذكرني بالليلة التي هجرتني فيها .. هل تذكرها ؟"

أخذ صدره يعلو ويهبط وهو يحدق في ظهرها بألم ينبض به قلبه بينما تضيف هي بنفس النبرة " دوماً تساءلت ماذا فعلت عندما غادرت شقتي تلك الليلة تاركاً اياي منهارة على الارض كحيوان جريح نهشته بانيابك .. "

رباه .. ماذا يقول لها ؟! هو نفسه لا يتذكر ماذا فعل تلك الليلة ..

شعر بها وكأنها تضرب بقبضتها على الوسادة ثم تقول له بحشرجة ألم رهيب

" دعني اخبرك عن ليلتي اذن كيف قضيتها... لقد تركت شقتي و.. خرجت ... أجل تخيل اني خرجت ... خرجت وجملة (انت طالق يا هاجر) ترن كجرس الموت في أذني .. خرجت راكضة في شوارع العاصمة حتى وصلت بقدرة الهية الى بيت عمي فانهرت على بابه ..."

اغمض عينيه ويكاد الوجع يحطمه !

يود لو يصرخ فيها (كفى هاجر لا تقولي المزيد) لكنه تحمل وجيعته وصمت ..

تحملها كرجل الآن لانه لم يكن رجلا معها آنذاك ... ربااه .. اي جنون غضب جعله يغرق في عمق انتقام حقير كهذا ...

تجلده بسياط الذنب وهو تسرد حكاوي وجعها فتزرعها في فؤاده هو " لا اعرف كيف وصلت هناك .. لا استطيع ان اتذكر كيف .. مهما حاولت لا استطيع .. الطريق محجوب من ذاكرتي تماماً .. مطموس بعذاب يفوق طاقة البشر.. على الاقل كان يفوق طاقتي لتحمله.. فوق قدرتي لاتعامل معه .."

اخذ جسدها ينتفض وصوتها ينتفض معها

" ثلاث ايام وانا اصرخ وابكي في حضن عمي .. ومجددا ... لا اذكر شيئا عدا صراخي وبكائي هذا ... فقط اتذكر طعم الألم المبرح ... ألم فظيع كان يجعلني اشعر بجسدي يئن بالوجع فيوقظني من النوم الاجباري الذي تفرضه اقراص المنوم التي كنت ابتلعها ... لثلاث ايام وليال وانا اصرخ من الألم .. "

لم يعد يحتمل يتوسلها وهو ينادي اسمها

" هاجر...."

لكنها كانت تنتفض بألمها فيخفت صوتها بنبرة جريحة .. جرح غائر عميق .. قديم ..

" لم يكسرني شيء ولم يحطمني انسان كما فعلت أنت ... طوال حياتي كنت .. وحيدة .. لكني أجدت حماية نفسي .. قاتلت بضراوة لاحمي ذاتي وعنفواني ... حتى لو اخطأت الطريقة فلم يكن يهمني .. كانت حماية نفسي دوماً تأخذ الاولوية الاولى وربما الوحيدة ... سمها انانية .. سمها ما شئت ... "

شهقات بكاء خانتها وهي تهدر بوجع لما لم تعد تستطيع كتمانه

" معك ... تنازلت عن نفسي لاجل ... صحبة ! لاجل ان لا ..اكمل حياتي وحيدة .. هل كان كثير علي ان ترضى بصحبتي دون ان تقتلني بجنونك وشكوكك وغرابة ما يعتريك من رغبات انتقامية نحوي؟! "

اغمض عينيه .. ماذا يقول لها ؟!

ماذا يبرر ؟! لقد كان يعلم باحتياجاتها تلك لكنها لم تشفع لها عنده ليغفر لها ...

لقد عرفها وكأنه اول انسان في الوجود يعرفها.. كان يشعرها ويقرأها فيراها وكأنها احيانا وكأنها للتو ولدت ...

ولدت وحيدة وعاشت أكثر وحدة !

وكأنها نبتت من ارض بور دون ان يزرعها بشر... كنبتة صبار في صحراء جرداء لا يهتم بوجودها احد ...

نبتة عطشى لكنها تقاوم العطش ...

وهو الحقير انتزع اشواكها دون أن يرويها !

وكأنها تشعر بعذابه فتزيده عذاباً وهي تقول بثورة واهتياج " لن استطيع ان انسى ما فعلته معي ... مهما بررت .. مهما قلت من اسباب .. الألم لن يتغير ... وكسر عنفواني وكرامتي لن يتجبر .."

عاودت ضرب وسادتها بقبضتها وهي تطالبه بحرقة ما بعدها حرقة " اعدني فرقد .. اعدني الى حيث انتمي .. لم أعد اتحمل هذا السجن هنا .. لم أعد اتحمل قناع القوة الذي ارتديه امام نسوة عشيرتك وامام ابيك واخيك .. بينما في داخلي أرتجف فزعاً من غربة المكان وغربة الناس وغربة كل ما يحصل لي لم أعد أتحمل التناقض الذي اعيشه بمشاعري نحوك .. وكأني لست أنا ولا اعرف من تكون هذه التي باتت تحتلني فأقاومها وتقاومني !.."

اخيراً شهقة بكاء شقت حنجرتها وهي تهمس " لم أعد .. أتحمل يا فرقد .. انا اعافر لأحفظ ماء وجهي امام نفسي .. أعافر حتى أنجو بما تبقى من كرامتي ... هذا ان بقي اصلا شيئا من كرامتي ..! "

يمد ذراعه يريد ان يطوقها فتدفعه ويتوجع من جرحه لكنه لا يرتدع ليحاول مجددا وهو يتوسلها بصدق " تعالي بحضني .. انت تحتاجين لهذا يا حشاشة قلبي ..."

تدفعه مرة اخرى بضراوة وكأنها تقاومه وتقاوم نفسها في ذات الوقت لتعبر بالقول

" رباه .. فقط .. ابتعد ..."

كم يعرفها وكم يوجعه انه يعرفها لهذا العمق ..

يبتلع غصته وهو يزحف اكثر ليلتصق بها ويحاول مرة تلو المرة " انسي اني فرقد .. وكأني غير موجود .. أو كأني شخص آخر تحتاجين فقط لحضنه تبكين فيه ..."

تتلوى بعنف تدفعه .. ترفضه .. تحرقه بنيرانه ...!

يهادنها بصوت أجش وبثقل لهجته القروية

" تعالي يا طفلة وابكي من وحدتك التي لم اعرف كيف املأها ... ابكي من حقارتي معك واذيتي لك التي لم استطع ان أمنعها .."

تدفع ذراعه بعنف فيطلق صرخة ألم مكتومة بينما تهدر فيه بقسوة وجسدها يتشنج بالكامل " رائحتك ستذكرني انه حضنك انت ! يدك التي ستلمني لصدرك هي اليد التي صفعتني يا فرقد ..."

العرق أخذ يتصبب من جبينه وهو يقاوم ألم ذراعه وقلبه معاً فتهدر روحه بالوعد قبل ان ينطقه لسانه " قطع اللّه يدي ان امتدت لك بالسوء مرة اخرى ..."

أبعدت جسدها عنه وتتزحزح بينما تسأله بقسوة ضارية ونبرة حيرته للحظة

" اريد أن اعرف السبب .. فقط اخبرني لماذا ؟"

همس وهو عاجز عن التبرير بما يرد لها كرامتها " هاجر ... باللّه عليك ... جن جنوني وانا اسمعك تتكلمين عن رجل اخر مع عمك... ظننتك تتفقين مع عمك ضدي... فقدت رشدي وتصرفت بعنف معك.."

عندها قالت بنبرة جوفاء باردة

" انا لا اقصد هذا .. "

تمتم وقلبه ينبض بالتوجس " ماذا ؟!"

لم يصدق وهي تستدير بجسدها اليه .. عيناها تقدحان وسط الظلمة لتتساءل بشراسة " لماذا انتقمت مني يا فرقد ؟! ظننت يوماً ان السبب لاني رفضتك مراراً قبلها لكنك أكدت لي بعد أن اختطفتني للمزرعة انه لم يكن السبب ووعدتني انك ستخبرني ! ولولا وصول ابيك واخيك ذاك الصباح ويكتشفا أمرك لكنت اخبرتني ... فاخبرني الآن .. لماذا ؟! ماذا فعلت لك ليحصل كل ما حصل بيننا... لماذا آذيتني هكذا ان كنت حقاً تعشقني ؟! "

كانت لحظة عصيبة ! عصيبة عليهما معاً ..

الظلمة تلفهما والنار تنير فؤاديهما وان كانت لكل ناره !

ملامح احدهما مكشوفة للآخر رغم تلك الظلمة فترى فيه وجعاً شرساً شتتها ..

ويرى فيها وجعاً شرساً ضيعه !

قال اخيراً وهو يعتصر روحه كي لا تصرخ فيها وقد عانى الامرين معها دون ان تدري او تشعر به " انا الذي اريد سؤالك يا هاجر .. وربما في اجابتك ستجدين الاجابة التي تريدينها مني .. لماذا رضيتِ بي زوجاً وانت لم تحبيني يوماً؟"

كان صوتها يعبر عن ذهولها وانهاكها في الآن ذاته وهي تقول له " هل هذا هو سبب انتقامك؟! لاني لم احببك ومع هذا رضيت بك زوجاً ؟!! هل هذا جرمٌ في نظرك ؟! "

ما زال يعتصر روحه وذكرى كلماتها البعيدة يطن في اذنيه ... في تلك الحفلة البائسة .. كانت خطيبته للتو عندما رآها تتسلل بعيداً عنه لتترك القاعة دون أن تلفت الانظار ..

فيلحق بها دون ان تشعر ويراها اخيراً في الحديقة الخلفية تتلصص على الحبيبين المتعانقين ! رجل يبث زوجته الغرام وهاجر تراقبهما بلوعة واحتراق الغيرة ...

تذكر فرقد كلماتها وصوتها الملتاع على ذاك الرجل لعله الرجل الوحيد الذي حرك قلبها ....

" انه يناديها ... طفلتي ! ألهذه الدرجة رافد ؟! اتعشقها لهذه الدرجة ؟! وماذا عن .. وماذا عن .. طفلتي انا ؟! ألن تجد من يناديها ويعتصرها بين ذراعيّ عاطفته؟ "

" انه مجنون بطفلته ..! اي نوع من النساء هي لتفعل هذا برجل كرافد ؟! كـ..ـكيف .. استطاعت ... ان .. تحصل عليه ؟! "

يضغط فرقد فوق قلبه المتجمر ويكاد احساس الرغبة بنفس قوة الانتقام يعاوده !

فينظر اليها ويلتمع عنقها الابيض رغم ظلام الليل وكأنه يغريه ان يلف اصابعه حوله !

يتماسك من خيالاته الصاخبة المجنونة ليداري على ما يعانيه قائلا بحشرجة

" فقط ردي على السؤال يا هاجر ... لماذا رضيتِ بي في ذلك التوقيت بالذات .. لقد رفضتني قبلها لأشهر لكنك فجأة أتيتِ الي بقدميكِ وقلتِ لي انك موافقة على الزواج مني ! "

فترد وقد بدت حيرتها فوق الوصف " قلت لك.. كنت اشعر بالوحدة واحتجت لصحبة "

جاءت كلمته شرسة بالتساؤل " فقط ؟...."

التقط اضطرابها .. التقط محاولتها لقراءة ما يعنيه بسؤاله .. التقط ... خوفها !

انها .. خائفة .. خائفة ان يكون على علم بسرها القديم ...

همست وهي تفضل الركون لحيرتها اكثر من خوفها قائلة بتشتت " ماذا تعني ؟! انا لم أعد اتحمل ألغازك .."

وكأنه يسمع صوت ذئاب تعوي في اذنيه وكأن الظلام داخله بات أشد حلكة وخطراً ...

أغمض عينيه وبقرار لا رجعة فيه قال بنبرة عجيبة " نامي هاجر .. انت لستِ في حالة للمصارحة الحقيقية الآن .. لكن اوانها اقترب وهذا ما سنفعله حال وصولنا للعاصمة .. "

تمتمت وهي تسأله بتمرد " لماذا تنتظر عودتي للعاصمة ؟ لماذا ليس الآن .."

رد وهو ما يزال يغمض عينيه ليتجنب مرآى عنقها الذي يثير فيه نوازع غير مأمونة

" لاني اريدك بموقع قوة عندما تسمعينني .. لا اريدك ان تشعري انك تحت رحمتي ولا حول لك ولا قوة كما حصل اليوم ... ربما انا ايضا احتاج ان اشعر انك بمركز قوة عندما نواجه بعض بهذه المصارحة .."

كان يسمع فقط صوت انفاسها المتمردة وكأنها تنافس أصوات الذئاب اللاهثة التي تجيش في ظلمة صدره فيتمتم بخفوت حاد..

" نامي هاجر ... نامي ..."



الجمرة الثالثة والعشرون

العاصمة ... بيت منذر الطحان ..

دخلت الام على رؤوس اصابعها تحاول ان تتبين ان كان ولدها نائما ام لا ، ليأتيها صوته خافتاً وهو يشعل الانارة المنضدية جوار سريره

" انا مستيقظ أمي .."

ارتجف قلب امه لاجله وعاودتها غصة البكاء فتقاومها بصمود وهي تسأله بينما تقترب من سريره " هل تتألم يا ولدي ..؟"

تجلس جواره على السرير فترى عينيه شاردتي النظرات وكأنه في مكان آخر بعيد بينما يرد عليها بهدوء " انه يخف لا تقلقي .. اخذت من الدواء المسكن قبل نصف ساعة .."

تحدق في ذراعه الملفوفة بالضماد فيتوجع قلبها لفلذة كبدها ..

منذ عودته بعد المغرب بصحبة اخيه حازم وصدمة معرفة ما تعرض له مع تلك الفتاة وهي في حالة ذهول باكٍ ..

حتى والده كان مصدوماً مذهولا مثلها وكأنهما في كابوس ..

لاول مرة في حياتها لم تعرف كيف تتصرف .. لاول مرة تكون بهذا الضعف فلا تجد الا البكاء كردة فعل عاجزة ...

لم تدرك الام انها في هذه اللحظة كانت تبكي مرة اخرى ودون شعورها الا عندما قال منذر بإنهاك واضح " لا تبكي اماه باللّه عليك ..يكفيني ما أنا فيه ..."

بقلب الام المرتعب المفجوع على ولدها هتفت به ودموعها تسيل على خديها " كيف تورط نفسك في مصيبة كهذه ؟! ماذا لو كان شوهك او حتى قتلك ! ربااه .. ماذا سنفعل الآن مع هذا المجنون ؟! ماذا ان اطلقوا سراحه فيعاود الكرة ؟! "

هدر منذر بنبرة حادة عازمة

" سأسعى لسجنه حتى يتعفن في السجن .."

عندها صرخت الام اسمه باعتراض

" منذر ! .."

فيناظرها منذر بنظرات اخافتها

" اجل امي ... سأفعل كل ما بوسعي ان يدفع ثمن ما فعله بدينا ..."

كانت يدها ترتعش وهي تضعها على كتفه لتحاول بيأس ان تتماسك وتتخذ نبرة الحزم الامومي لتؤثر فيه " انت لن تتوقف ..اليس كذلك ! تريد ان تحرق قلبي وقلب ابيك عليك .. الا تفكر فينا وما سيحصل لنا ؟! "

وقبل ان يرد منذر بانفعال جاءه صوت والده من عند باب الغرفة حيث يقف ليقول مؤيداً للام

" يا ولدي امك معها حق في مخاوفها .. الامر بات خطيراً فعلا ..."



تقبضت يد منذر وهو يقول بانفعال مضاعف

" ابي انا لن اتخلى عن تلك الفتاة المسكينة واهرب كأرنب مذعور لمجرد اني تعرضت لاعتداء حقير دنيء كهذا ! كيف اتركها مع والدها العاجز ؟! كيف سأواجه نفسي أن فعلت ؟! ساشعر اني افقد رجولتي واحترامي لذاتي .."

تقدم الاب ليقف وسط الغرفة بينما يقول لابنه " من قال اننا نطلب منك التخلي عن مساعدتها .. لكن يمكنك مساعدتها باسلوب مختلف دون ان تظهر في الصورة معها.."

فيرد منذر بمزيد من الانفعال

" انا ظهرت بالصورة ابي وانتهى الامر .. لم يعد هناك مجال لايقاف ما سيجري .. وغدا ربما ستجد صوري على احدى الصحف السخيفة مع قصة ملفقة حقيرة قذرة .. حتى يصدقها الناس بل ويتقولون المزيد من السيناريوهات المقززة ليستمتعوا وقت شربهم للشاي او القهوة او في جلسات النساء التافهة للنميمة .. وما اجملها من قصص عندما يكون شرف فتاة كشاة جاهزة للذبح ..."

كان الاب والام مذهولان من كل هذا الانفعال الرهيب من ولدهما بينما يضيف منذر المزيد وبنفس الانفعال



" لاول مرة اشعر بكل هذه الطاقة السلبية نحو مجتمع تربيت وعشت فيه وكنت فخوراً بانتمائي اليه .. لاول مرة اشعر بالقهر والغضب من هذا المجتمع الظالم البائس الذي يتخاذل عن حماية فتاة عفيفة من رجل معتوه وبدلا من هذا يشحذ السكاكين بهمة انتظاراً لسقوطها حتى يستمتع بذبحها... ؟ "

نظرت الام بقلق ناحية الاب الذي لم يتأخر بالرد على ابنه قائلا " انه ليس مجتمعنا فحسب يا ولدي .. انه حال البشر ... كل البشر يأخذون بالظاهر .. كل البشر يستمتعون باحاديث النميمة والفضائح زادها الاكبر"

فيرد منذر بنبرة اتهام وغضب

" لكننا مجتمعات شرقية ابي .. نحاسب الفتاة على كلمة .. على هفوة ... ندينها .. نحاكمها دون بينة .. نقتلها ان أمرتنا الاعراف والتقاليد؟ اننا لم نتغير منذ عصر الجاهلية عندما كانوا يئدون البنات، كل ما تغير اننا غيرنا الطريقة والاسلوب لنبدو أكثر تحضراً "

كان جسد منذر يرعد من شدة الانفعال فتشبثت امه بكتفه تحاول تهدئته بعجز

" كفى يا ولدي اتوسل اليك .. انت تؤذي نفسك بهذا الغضب .."

ويضيف الاب على كلام زوجته " هذا الانفعال ليس جيدا في حالتك .. اهدئ الآن وحاول ان تنام .. سنتناقش في الصباح .."

تدخلت الام وهي تشعر بالقلق لاجل ابنها فتقول لزوجها " لكن يا جابر يجب ان يعرف لا فائدة من ان يناطح مجتمعا بأكمله .. "

فيرد منذر بتصميم أكبر وقد هدأ بعض انفعاله " انا لا اناطح امي .. انا سأفعل ما يمليه علي ضميري وليحدث ما يحدث .. لن اتخلى عن الفتاة .. ببساطة انا عالق معها في هذا ولن اتركها تواجه مصيرها بمفردها .. ما فعله عدي لن يخيفني لأتراجع .."

كان الاب حاسماً هذه المرة مع زوجته وهو يقول " تصبح على خير بني ..دعيه ينام يا سلوى .."

حاولت الام " لكن .. "

فقاطعها الاب " دعيه ينام .. من حقه ان ينفس قليلا عن مشاعره وغضبه وأنا أثق به أنه سيهدأ ليتخذ التصرف السليم .. "

كانت عينا الاب في عيني ولده وكأنه يتوسله ان لا يخيب ظنه ويفكر جيداً في قراره القادم ...

أغمض منذر عينيه وهو يتمتم

" تصبحان على خير .."

وكأنه أنهى النقاش وكل الكلام ...

قد تكون ذكرى دعاء والد دينا ودموعه الغزيرة تؤرقه ..

قد تكون ذكرى صرخات دينا وهي تتوجع تحرمه النوم ..

لكن المؤكد ان هذه الذكريات بمجملها

تركت علامة في حياته الى الابد ..

تركت أثرا لن يمحوه الزمن ..

وكأنه كان يعيش في عالم آخر وفتحت دينا

امامه باب عالم كان يسمع عنه فلا يُعره

اهتماماً حقيقياً ..

انه عالم الظلم .. عالم العجز وقلة الحيلة ...

اطفأت والدته الانارة جواره وغادرت بصحبة

والده بعد ان طبعت قبلة دافئة على جبينه ..

لم يكن بمقدروها فعل شيء الآن الا ان تدعو

له ...

صباح اليوم التالي ... قرية الشيوخ

رفرفت هاجر بعينيها وهي تشعر بثقل في

رأسها.. لم تعرف هل كانت تبكي طوال الليل

ام انها كانت تحلم فقط ؟

ليست ممن يحلمون .. دوماً نومها لا نور الاحلام

فيه .. ظلام دامس تقبع فيه بمفردها ..

ليلة الامس شعرت انها تبكي بكل روحها

وهي نائمة .. لكن مؤكد لم تكن وحيدة!

فتحت عينيها على وسعهما لتحدق في السقف

للحظة قبل ان تدير وجهها جانباً لتبحث عمن

شاركها افتراش الارض ..

لم يشاركها بل فرض عليها الامر ..



جاءه صوته وبلهجة اهل قريته

" نعم حبيبتي .. شكرا لك .. "

لم يكن يكلمها !

اذن .. لمن يقول (حبيبتي) ؟

وجع طرق قلبها بقوة واحساس عارم بالغيرة !

لا .. مستحيل .. مستحيل ان تغار عليه ..

فجأة بزغ وجهه من خلف السرير ليقول لها بابتسامة صغيرة ولهجة العاصمة الانيقة

" صباح الخير ..."

شعرت بالضيق لانه غير لهجته معها !

عيناه بدتا متعبتين جدا وفيهما غموض من نوع مختلف .. وكأنه أغلق على نفسه داخل نفسه ليكلمها من السطح حاجباً عنها العمق

استقامت بظهرها وهي ترد عليه بعبوس

" صباح ... الخير ... "

اخذت تلملم اغطيتها وهي تتعمد تجاهله..

لا تريد ان تكلمه اطلاقاً حتى يصلا العاصمة.. هذه المرة ستعرف منه اسباب كل ما حصل .. وستحاسبه على كل ما فعله بها ..

سؤال خبيث أخذ ينطنط في قلبها يوجعها

" مع من كان يتحدث على الهاتف ؟"

كانت تطوي الغطاء وهي تشعر بمراقبة عينيه الناعستين لها ليقول اخيراً بنبرة رقيقة وهي تضع الغطاء على السرير

" كنت أكلم نسرين .."

اللعنة على فرحة سخيفة تافهة شعت في قلبها .. ! ما زالت تجافيه حتى النظر لترد بلا مبالاة ظاهرية " لم اسألك ..."

نبرته هذه المرة كانت جدية وهو يقول بشكل فاجأها " سنذهب لبيت عبد الملك .."

دون ارادتها رفعت نظراتها لتنظر اليه وقفزت نظرة شجن حزين ولمعة طفولية خافتة في عينيها النرجسيتين ثم تساءلت

" لنحضر الصيصان ؟"

لم تكن تراه حقاً وهي وسط نسمات هذه الريح من حنين لشيء لم تملكه يوماً .. انه حنين لأمر تشعره وتحتاجه ولا تعلم مسمّاه ..

فيرد عليها فرقد وهو يناظرها بامعان ويتحرك حول السرير ليقف قبالتها " و لنبيت هناك ليلة او ليلتين اذا احببت .. ما رأيك ؟"

خنقتها العبرة وهي تتذكر غرفتها في بيت عبد الملك ورغماً عنها أفلتت مشاعر مختلفة كلها انفعال وهي ترد عليه بغصة بكاء

" نعم ... ارجوك ..."

أطرق برأسه قليلا وهو يقول بهدوء

" كنت أخمن ان هذا سيسعدك ..."

استدار بنفس الهدوء والغموض فادركت لاول مرة انه يرتدي كامل ملابسه .. جلباب الخروج مع الحذاء .. أضاف لها بنفس النبرة

" جهزي ما تحتاجينه من ملابس واغراض بما يكفيكِ ليومين وثلاث ليال لاننا .. سنعود آخر ليلة لنبيت .. هنا..."

تحرك ناحية الباب فتحه فيقف للحظة ينظر نحوها بصمت وهي ترد له نظرته بنفس الصمت وكأنهما على حافة فراق !

تعثر صوته وهو يقول " سـ .. أتركك بمفردك .. لتستعدي .. انا سأذهب لاخبر .. امي .. سنتناول افطارنا مع .. نسرين ..."

أطرق قليلا بينما هاجر تشعر باحاسيس عجيبة متناقضة ..

نشوى لانها ستغادر بيت الشيخ الذي يخنقها ويشعرها انها في سجن ..

فرحة كطفلة لانها ستذهب لبيت عبد الملك وتقضي فيه ايامها المتبقية في القرية.. ترقب واشتياق لانها ستعود الى العاصمة بعد ايام قليلة...انتصار لانها قررت ستأخذ بحقها من فرقد ..

وجع و.. خوف !

وجع فراق أكيد وخوف من قادم مجهول ...

" نصف ساعة يا هاجر واريدك جاهزة .. "

بصوته الغامض كغموض صباحه هذا غادرها تاركاً اياها وحيدة ليغلق الباب خلفه ..

غادرها وهي تتحرك بطاقة انفعالية لتلملم حاجياتها ...غادرها وهي تعده في سرها انها ستجعله يدفع ثمن ما فعله معها ... هي ابنة العاصمة ... هي هاجر الاحمدي ..

العاصمة

" هاجر ستعود .. الجمعة ؟!"

كان شعور منذر عجيباً وهو يسمع الخبر عبر الهاتف ...! هاجر ستعود ؟!

ما هذا الشعور البارد المقلق الذي ينتابه الآن..

لماذا تبدو صورة هاجر ضبابية وكأنه لم يرها منذ اشهر بل منذ سنوات طوال ...

لماذا تبدو باهتة ومع هذا .. مقلقة !

هناك شيء في داخله انطفأ ناحيتها لكن ما زالت تقلق احساساً رجولياً فيه ...

" منذر .. هل انت معي ؟!"

ابتلع منذر ريقه وهو يقف على الرصيف يحدق بما حوله في ضوء النهار وريح باردة تدغدغ لحيته الخفيفة التي لم يحلقها منذ الامس...

الوجع عاد في ذراعه وتشتت ذهنه للحظة وهو يفكر باوجاع دينا ..

حدق في باب المستشفى حيث وقف عندها وهو يرد على اتصال السيد طاهر فيتمتم

" اسف سيد طاهر .. لا اعرف ما أقول.."

فيرد السيد طاهر بنبرة تفهم واعتذار

" انا الذي يجب ان يتأسف فقد فاجأتك بالخبر.. لكني شعرت ان من واجبي اخبارك.. واسف ان كان الظرف غير مناسب .."

عينا منذر تلتقطان شرطيين يغادران المستشفى فتتأهب حواسه بينما يستعيد تركيزه بعض الشيء ليقول " لا بأس سيد طاهر .. انا ممتن لاهتمامك وممتن لاتصالك هذا حتى تطمئن على صحتي بعد الحادث .."

يستشعر طاهر الاحمدي غرابة منذر فيحاول ان يكون عملياً لانهاء المكالمة وهو يستشعر ايضا تعجل منذر لفعل هذا

" مؤكد بني .. انت لك معزة خاصة عندي.. أراك بخير بعد عودتك من اجازتك .. "

حتى انه لم يسأله ما حكاية هذا الاعتداء المفاجئ الذي تعرض له خاصة ان موظفي مؤسسة الجراح يتحاكون منذ الصباح بالقصص الغريبة حول وجود فتاة في الحادث ايضا .. لكن طاهر ليس من النوع الذي يأخذ بقصص مثل هذه بل يتغافل عنها عن ادراك ..

مع هذا اثارت ردة فعل منذر الباردة على عودة هاجر دهشته وتساؤلاته ...

جاء صوت منذر أكثر تعجلا وهو يقول

" وأنا أكن لك كل الاحترام .. اعتذر منك.. انا سأدخل المستشفى الآن وربما لن يكون الاتصال جيدا في الداخل .."

فيرد طاهر " لا بأس بني ... في أمان اللّه .."

فيقول منذر وهو يرتقي الدرجات القليلة لباب المستشفى

" نلتقي فيما بعد سيد طاهر و سنتكلم.."

انهى منذر الاتصال ووضع هاتفه الجديد في جيبه ... كان اول ما فعله اليوم استحصاله على شريحة جديدة لخط هاتفه ثم توجه مباشرة للمستشفى ...

اتصال طاهر الاحمدي وخبر عودة هاجر يوم الجمعة جعله للحظة يستشعر انه فقد تركيزه لكن حالما رأى الشرطيين عاد الى ذهنه كل شيء ليتخذ قراره انه سيتعامل مع عودة هاجر لاحقاً..

الآن لديه ما هو أهم بكثير من مجرد موضوع عاطفي فاشل او حتى غير فاشل !

الآن لديه حياة حقيقة ..

حياة فتاة بأكملها ..

فتاة قد تضيع بالكامل وتسحق تحت الاقدام هي ووالدها دون ان يرف جفن انسان لاجلهما...

في احدى غرف المستشفى

العلقم ! مر ومرار ... مر طعمه ومرار تجرعه..

يتجرع عدي مرارة العلقم وهو ممدد هنا مقيداً برجله المجبرة المعلقة ينظر للمحقق امامه والذي كان يواجهه بملامحه الباردة والاتهامات المُدينة تطل من نظراته ..

تمتم المحقق بذاك البرود المستفز

" ما اقوالك فيما نسب اليك من التهم ؟ "

يريدونه كبش الفداء ليدفع الثمن وحده ؟!

يريدونه (الشرير) وهم الابرياء ...

يريدونها محرقة ويلقونه وحده وسط نيرانها ..

البشر ... تعساً لهم !

يلعبون دور الانقياء بإتقان وينكرون انهم في الخفاء لديهم اسرارهم القذرة التي يقضون حياتهم لاهثين لاخفائها واحكام السيطرة عليها حتى لا تنفضح وتفضحهم ...

وها هو انكشفت فضيحته ويريدونه وحده بالوجه الاسود !

لا احد يريد ان يعذره فيما يعتمل داخله ..

أيحق لمغرور كمنذر ان يختطف قلب دينا لنفسه ؟! أيحق لها ان تهنأ الحقيرة وهي من عذبته لسنوات برفضها له وتعاليها عليه..

حسن ان كان سيدخل السجن فلن يدخله الا وقد عاث في حياتها فساداً وإفساداً..

ألم تفسد هي حياته ؟! حتى عائلته تبرأت منه

ولم يحضر ايا منهم للمستشفى حتى يطمئنوا

عليه او يحضروا له محامٍ يدافع عنه ..

كله بسببها ... هي الحقيرة التي لا تساوي في

سوق النساء قرشاً !

الحقد ملأ قلبه وانتشر في صدره حتى امتلآت

به رئتيه لتتعفن انفاسه ..

غلٌ وحسد وغيرة تجاوزت كل الحدود طافت

للسطح ، ملامح انسانية كانت تمحى شيئا

فشيئا عبر السنوات حتى اختفت ...

هيئة انسان وليس بانسان ...

روح تدنست ونفس تشوهت ...

فلم يعد هناك طريقاً للرجوع ...

رد أخيراً " نعم ... فعلتها ... "

عيناه تلتقطان اختباء ممرضة وربما اكثر من

واحدة تتنصت خلف باب الغرفة الموارب

فيبتسم داخله بشيطنة بينما يضيف بنبرة

قهر مصطنعة " لكني لم أكن بوعيي .. لم

أكن بوعيي .. وكيف أكون وأنا ارى حبيبتي

ومن بحكم خطيبتي تغادر مبنى بصحبة

عشيقها؟! ليتها اكتفت بهذا بل تركت كل

الرجال لتختار اقرب اصدقائي حتى يكون

شريكها في خيانتي .."

ضيّق المحقق عينيه بتشكك وهو يسأل

" اذن انت تعترف بالفعل لكنك تنكر

الاسباب التي قالها المجني عليهما ؟"

فيرد عدي وهو يدعي المعاناة والصدمة

" مؤكد انكرها ... ربااه .. الخائنان لم يكفهما انهما طعناني بمقتل في شرفي وعرضي وانما يشوهان سمعتي ايضا .."

فينتقل المحقق للسؤال

" لماذا كنت ملثماً وقت الحادث ؟ "

يمسح عدي دموعاً وهمية وهو يرد بخفوت

" كنت... اراقبهما .. وصلني خبر علاقتهما الخفية ولم اصدق..أردت ان أتأكد بنفسي .."

كان عدي يرخي اجفانه مدعياً الانهاك بينما المحقق يراقبه بفضول ليقول المحقق

بنبرة سخرية متسائلا بفطنة

" وهل كل من يشك بخطيبته يراقبها في الشوارع حاملاً معه ماء نار ليشوهها ؟.. هذا طبعا ان افترضنا صحة ادعائك انها بمثابة خطيبتك.. لانها هي ووالدها انكرا الامر جملة وتفصيلا .."

ما زال يعيش الدور لآخره فيرد بنفس النبرة التي تلائم رجلا مطعوناً في قلبه

" انا اعرف ما يقوله والدها .. وهي تخاف منه فلا تجرؤ على مخالفة كلامه .. منذ سنوات وهو يعاديني .. ويرفض زواجنا لاني غير ملتزم دينياً .. لكنها تعشقني كما اعشقها .. وكنا نلتقي سراً ونخطط للهروب معاً والزواج .."

فيعيده المحقق لنفس السؤال

" لم ترد عن سؤالي عن سبب حملك زجاجة ماء نار وانت تراقب من تدعي انها خطيبتك.."

صرخ عدي كمن فقد عقله

" قلت لك كنت مجنوناً بالغضب عندما علمت انها تخرج برفقته .. ويلتقيان سوياً في احدى الشقق .. لذلك جن جنوني واقسمت ان صح ما وصلني عنهما سأحرقهما كما احرقاني .."

شهقة من احدى الممرضات ودمدمة بينهن جعلت المحقق يتنبه فيستدير ناحية الباب ويهتف بحنق

" ماذا تفعلن هنا ؟! انصرفن حالا واغلقن الباب.."

أغلِق الباب ببعض الحدة دلالة ارتباك الممرضة ومن معها فيعود المحقق لعدي متسائلا " وهل رأيتهما يدخلان الشقة ؟"

يغمض عدي عينيه ليرد بصوت متحشرج

" لا .. لكني رأيتهما داخل المصعد وهما يتبادلان القبلات الحارة قبل ان يغادراه متشابكي الايدي.."

ارتفع حاجبا المحقق فيقول له

" امر مثير ان يتبادلا القبلات في مصعد مزدحم دوماً داخل مبنى يعج بالمكاتب والعيادات الطبية !"

التقط المحقق التشنج في جسد المتهم فيفتح عدي عينيه ليفلت المزيد منه وهو يتسائل بارتباك وحيرة " مكاتب و .. عيادات ؟!"

رد المحقق ببساطة " أجل .. وما لا تعرفه (على ما يبدو) انهما كانا في زيارة لمحام معروف وكانت الانسة دينا توكله ليرفع قضية ضدك .."

يكز عدي على اسنانه وهو ينسى تماماً الدور الذي كان يمثله امام المحقق ليقول بشراسة

" كانت تريد رفع قضية ضدي تلك الحقيرة السافلة ؟!"

شعور بالنفور الشديد انتاب المحقق نحوه .. لقد مر عليه مجرمون كثر ومن اقترفوا ذنوباً اشنع لكن هذا الرجل يثير في نفسه شعوراً كريهاً حقاً ...

نحى المحقق مشاعره الخاصة جانباً ليغلق المحضر باصدار أمر ان ينقل المتهم الى مستشفى اخر حكومي وتحت حراسة من الشرطة حتى تتحسن حالته ليتم نقله بعدها للسجن على ذمة القضية لاستكمال التحقيق واستدعاء الشهود..

كان عدي يستمع لقرار المحقق وهو يشعر بالقهر اكثر واكثر..

احساس خانق يطبق على انفاسه ويجعله يشعر كفأر وقع في مصيدة !

حالما دخل منذر الاستقبال في المستشفى رأى دينا وهي تقف بملابس الخروج ومعها والدها الذي بدا في غاية الغضب وهو يصرخ بانفعال ويلوح بعصاه وابنته تحاول جهدها تهدئته ...

" انتم مجموعة لصوص ! يا خسارة ان تحملوا لقب مستشفى واطباء .. انتم جزارين ولستم اطباء .."

يقترب منذر بخطوات واسعة وعيناه تتركزان عليها باهتمام يأخذ بمجامع رجولته ..

بدت متألمة ووجهها ينعصر بينما تحني كتفها كمن يتحامل على نفسه ..

وقف جوارها ينادي اسمها بحنو رقيق

" دينا .. ارتاحي بالله عليك ..."

رفعت عينيها اليه ولا يعرف ما حصل !

تجمعت دموع رهيبة فيهما وهي تناظره بصمت... لا .. لم يكن صمتاً .. كان كلاما كثيرا لكنه مخنوق محبوس في جوفها ...

كلام شكوى وتظلم و.. تعب ويأس ...

كلام مناجاة وصراخ..وجع ... وذل.. انكسار..

أخذ صدره يعلو ويهبط بانفعال ...

كانت المرة الاولى التي يراها منذ الحادث ..

شعرها ستنهار فامسك ذراعها ليسندها ويجلسها على اقرب كرسي بينما يلتفت بحدة وعنف ناحية موظفي الاستقبال ليهدر فيهم

" ماذا هناك ؟! ماذا فعلتم للرجل وابنته ؟"

كان الاب يلهث بانفاسه هو الاخر بينما يصرخ بانفعال " هؤلاء مجرد لصوص يا منذر .. انظر لفاتورة مبيت ليلة واحدة عندهم .. وكأن المستشفى باتت فندق سبع نجوم ! اما فاتورة العلاجات فحدث ولا حرج .."

أخذ منذر الورقة من يد الموظف المتجهم ليطلع عليها وبعد نظرة سريعة قال منذر بنظرة باردة حادة " اريد التحدث مع مدير المستشفى .. حالا ... "

بينما تجلس دينا شبه منهارة على الكرسي ومنذر يتكلم مع والدها ليهدئه ويتناقش معه بانتظار وصول مدير المستشفى مرت بضعة ممرضات لتلقي احداهن نظرة ناحية دينا ثم تهمس للاخرى بصوت مسموع " هذه هي الفتاة التي خانت خطيبها مع صديقه المقرب .."

جحظت عينا دينا والهمسة تصلها بوضوح ..

رفعت عينيها مباشرة نحو منذر وابيها لكن ايا منهما لم يلتقط تلك الهمسة ....

تجمدت وشحب وجهها اكثر واكثر ثم كتمت صرخة الـ آآه لتصرخها فقط من قلبها لربها ... لم تشعر بالظلم كهذا الظلم اليوم..

ماذا بعد ستتلقى من بؤس وقهر في هذه الحياة الظالمة ؟!

تشوهت سمعتها وتشوه جسدها وتشوهت كل حياتها ...

ليتها تموت ....!

قرية الشيوخ

في الطريق بين بيت الشيخ وبيت عبد الملك

تجلس بجانبه لكنها تدير وجهها الناحية الثانية .. موشحة بالسواد من قمة رأسها وحتى قدميها اللتين اختبأتا تحت العباءة السوداء...

ابتلع ريقه وهو يشعر كأن شوك الصحراء الغليظ القاسي مغروز في حنجرته ...

يتذكر دموعها وبكاءها ليلة الامس .. طوال الليل تبكي وهو يسهر جوارها مسهداً ممزقاً معذباً عاجزاً بكل ذنوبه نحوها... يخاف لمسها حتى لا يفزعها وفي ذات الوقت يقتله بكاؤها ...

هي تتألم وتتوعده العذاب ... لكنها مشتتة في ذات الوقت وتنتظر عودتها للعاصمة لتستعيد سيطرتها على افكارها وتواجهه..

قضى الليل يفكر ويفكر وعلى صوت بكائها الخافت ومرآى وجنتيها المبللتين ترتبت الامور في عقله بوضوح تام ...

اتخذ طريقاً أطول بين البساتين حتى يكلمها بكل ما يريد ويقنعها بضرورة اتخاذ تدابير كهذه لمصلحتها أولا .. ربما سيحتاج لبعض القسوة والحزم في اقناعها فهاجر طفلة عنيدة في تصرفاتها احيانا وتحتاج ساعة للشدة وساعة للين.. طفلة رأسها من حجر !

الطريق بين البساتين كان وعراً بعض الشيء مما جعلها تتوتر من حركة السيارة ما بين ارتفاع وانخفاض مفاجئ ...

آثر فرقد البدأ الآن بالكلام عما اعتزم فيحاول جهده ان ينأى بمشاعره جانباً ليتكلم بنبرة طبيعية وهو يسألها

" هل فكرتِ عند العودة للعاصمة ماذا ستقولين لعمك ؟ ... لاهلك ؟"

أجفلت بوضوح وهي تلتفت اليه تناظره بتوجس وعبوس ... منحها الوقت لتستجمع افكارها قبل أن تقول " لا تشغل بالك .. لقد تعودت ان أتحمل مسؤولية نفسي يا فرقد ولن تكون اول مرة اواجه مواقف صعبة .."

عادت لتنظر من شباكها وهي تضيف بنبرة قاسية فجاءت كلماتها كطعنة خنجر وسط قلبه تماماً

" لقد واجهتهم وحدي عندما طلقتني اول مرة وهجرتني بوضع لا يتقبله احد .. دوماً كنت اواجه عواقب الامور وحيدة ... منذ ولدت وأنا هكذا .. احيانا أبرر واحيانا لايهمني التبرير.. من لديه الحق ليحاسبني ؟! انا انسانة وأخطئ وانسانة ايضا عندما أكون غبية ولا اتعلم من المرة الاولى .. بل احتاج لمرتين .. ثلاث .. اربع .. وفي كل مرة ادفع الثمن كاملاً بل حتى مضاعفاً لمجرد اني .. وحيدة ..."

اصابعه حول المقود تتشنج بعنف ..

يشعر وكأن وحدتها هذه هي ذنبه الاعظم

الذي يحمله على كاهله ... وسيظل يحمله

حتى آخر انفاسه على وجه الارض ..

لقد أرادت صحبته مرة هرباً من وحدتها ..

لكن غضبه اعماه ولم ير الا انها خدعته

واهانته باتخاذه بديلاً لرجل آخر كانت تريده

ولم تطله ..

فلتعذبه الغيرة حتى تتفتت روحه من الألم

كلما ذكر ذاك الرجل... رافد ...

انه يستحق ان يعاني هكذا ...

التزم الصمت ليهدأ ولم يستطع ان يبوح

بافكاره اللحظة ... فواصل طريقه وسط جنة

البساتين وهو يتلظى بنار الجحيم !

اوقف السيارة عند بوابة بيت عبد الملك ..

بوابة عالية مزخرفة بنقوش مألوفة حالها

كحال كل بوابات البيوت في القرية ..

لم يفعل شيئا للحظات وهي ما زالت توليه

ظهرها حتى ناداها " هاجر.."

التفتت اليه بعينين جامدتين باردتين شقت

قلبه المتيم بها فيطبق فكيه تشنجاً من شدة

الألم قبل ان يجبر نفسه على الكلام وعيناه

تحومان على ملامح وجهها دون إرادة منه

" هذه المرة سأكون معك في المواجهة .."

شفتاها بلونهما الطبيعي تحركتا لتنطق هادرة

بقسوة " لا..."

عندها كان يجب ان يلعب دوره الذي ارتآه ليقول بنبرة قاطعة ونظرة حازمة من عينيه

" بل نعم .. القرار ليس قرارك وحدك .. كما انك هذه المرة لم تشاركي بأي شيء .. انا وحدي من فرضت كل الامور عليك فرضاً.. صحيح اني عندما اختطفتك كنت مجنوناً لكني كنت أعي بنفس الوقت ما انا مقدم عليه لذلك اتحمل كل المسؤولية .."

قلبه ينزف وهو يراقب نظراتها التي تشع بغضاً لكل ما فعله لها ، يكاد يشعر ان كل خلية فيها (لحظياً) ترفضه .. فيتمتم بصوت أجش وكأنه لا يملك الا ان يذكرها بما يجمعهما وهي لا تعيه تماماً

" انا رجلك هاجر .. حتى وانت ترفضينني ... كما اني وعدتك سأكون سندك حتى آخر يوم في حياتي .. "

تمتمت من بين اسنانها وبغلظة بينما عيناها تشعان بجموح الغضب " لا اريد .. لا اريد.."

اصابعه امتدت دون شعوره لتمسك بذراعها فتقاومه بشراسة وهي تحاول تخليص نفسها بينما يهدر فيها " اهدئي واسمعيني .. انه دين برقبتي لك .. ولعمك طاهر ايضا .. فكري بموقفه امام الناس كيف سيكون .. "

فجأة استكانت وأخذت تنظر الى وجه فرقد وتعقل الموقف الذي يصوره لها ..

عمها طاهر .. رباااه ...

قد تستطيع مواجهته بمفردها ومصارحته بكل ما جرى .. لكن هل هذا كافٍ له ؟! هل يستحق منها ان تذله فيها؟! ستكسره امام نفسه وامام الناس من جديد وتنكس رأسه ...

الا يكفي ما تحمله في المرة السابقة ؟!

تراخت في كرسيها واتسعت عيناها كأنها مفجوعة ومرعوبة مما ينتظرها في العاصمة لتأتي كلمات فرقد تطمئن روحها بالقول وكأنه يسمع افكارها التي لا تنطقها

" هذه المرة انا من سيكلم عمك واعطيه ما يحفظ كرامتك وقدرك امامه وبالتالي سيحفظ كرامته وقدره امام الناس .. "

تنظر اليه وهي مشوشة والافكار تتخبط في رأسها لتتمتم شفتاها " ماذا تريد ان تفعل ؟!"

فيرد بتوتر خفي لا يظهره لها " سنعلن اننا تصالحنا وتزوجنا .. وسنفعل المثل في القناة الاعلامية حيث عملنا سوياً.. "

تتسارع انفاسها وهي ما زالت مشوشة فتقول من بين اسنانها بصوت خافت متشنج

" هل ستفرض علي الابقاء على زواجنا؟! بعد كل ما حصل ؟! لا يمكنك فعل هذا .. لقد وعدتني بالحرية فرقد.."

الاشواك الحارقة باتت مغروسة في كل جسده .. لكنه يكفر عن ذنوبه التي لا تحصى نحوها..



يقاوم الاقتراب منها وهو يرد عليها بالقول

" سأنفذ وعدي بالـ..حرية.. في النهاية .. لا تقلقي .. زواجنا سيبقى سارياً لفترة مؤقتة فقط وانا سأترك العاصمة وأعود لعملي في تركيا .. سيكون أمر طبيعياً ومقبولا بين الناس وحتى لعمك وباقي اهلك ومعارفك... صلح بين زوجين ثم عودة لحياتنا الطبيعية واعمالنا "

كانت تهز رأسها سلباً وكأنها لا تتخيل ما يرسمه من صورة خادعة لتكون هي جزءا من هذه الصورة " لكن هذا كله كذب !.."

حرر ذراعها وهو يستدير قليلا بجسده ناحية الباب جواره قائلا بأجفان نصف مطبقة تخفي عذابه الذي يحترق في عينيه " اجل .. كذب.. لكن احيانا نحتاج للكذب حتى على أنفسنا لنخفف عنها بعض العذاب.. "

يده فتحت عتلة الباب بينما يغير من نبرات صوته ليقول ببعض الخفة

" كفا كلاما الآن... سنتفق فيما بعد على التفاصيل .. اريدك ان تسترخي ببقائك في بيت عبد الملك وترتاحي .. واول شيء سنفعله هنا ان نذهب لرؤية عجمية .. نسرين اخبرتني انها تسأل عنك بألحاح.."

ترجل فرقد من السيارة تاركاً الباب مفتوحاً وهو يتوجه ناحية بوابة بيت عبد الملك ليطرقها بقبضته بقوة بانتظار من يفتحها ..



الهواء البارد وصوت الطرقات الهادرة أشعرت هاجر وكأن ناقوس خطر قادم يؤذن ببدأ مرحلة جديدة في حياتها ...

لملمت شتاتها وصفت نظرات عينيها النرجسيتين لتشع بالارادة ..

لقد أدركت ان ما يعرضه فرقد عليها هو الصواب الوحيد !

للاسف نحن نحتاج للكذبات حتى نسترضي المجتمع عندما يكتشف ذنوبنا...

ولن تلوم هذا المجتمع لانها جزء منه .. وجزء من تلك الكذبات التي نقولها كل يوم دون حاجة فعلية ..

فقط نكذب لاننا أقل شجاعة واكثر رغبة لنحصل على ما نريد حتى وان كانت رغباتنا تودي بنا الى الخسارة في النهاية ...

فمن هي لتعيب على المجتمع نواقصه ؟!

غرفة عجمية...

دخل فرقد اولا تتبعه خطوات هاجر متأخرة بتلكؤ ورهبة ..

عينا هاجر تنظران في ارجاء الغرفة وكأنها تتلمس شيئا فيها يمنحها قوة خفية !



وقفت وسط الغرفة تبحث عما تبحث من مصادر القوة بينما فرقد يتقدم بخطى ثابتة ناحية السرير الضخم الذي يتوسطه جسد العمة عجمية الضئيل ..

عبست العمة عجمية وهي تحرك نظراتها متسائلة " من دخل ؟!"

فيقف فرقد قرب سريرها بابتسامة عريضة شريرة بشقاوة فيقول وهو ينحني ليقبل ظاهر كفها " مرحبا عجمية .."

تسحب يدها وعبوسها يزداد لتبرق عيناها الزرقاوان بطريقة مخيفة وهي تهدر

" عبد الجبار ! ماذا تفعل هنا؟! لماذا أتيت ؟ وكيف تدخل غرفتي دون استئذان ؟! سأرميك بطابوق الجير ان لم تخرج حالاً .."

يجلس فرقد جوارها على السرير وهو يقهقه ضاحكاً من قلبه فتناظره هاجر بانشداه !

رنة ضحكاته هذه لم تسمعها منه يوماً ...

وكأنه مجرد شاب يافع شقيّ مشاكس ...

جاء صوت عجمية اهدأ وقد خفت التوهج المخيف في عينيها لتقول بامتعاض لا تخفيه

" آآه انت لست عبد الجبار .. انت ابنه الاصغر.. ذاك المعتوه المسمى فرقد .. "

يحاول فرقد امساك يدها مرة اخرى لكن العمة تسحبها بعناد منه بينما يقول لها بنفس النبرة المشاكسة المستمتعة

" كيف حالك عجمية .. اشتقت لك .."

تدعي الصرامة والغضب وهي توبخه بالقول

" تحشم يا ولد .. انا العمة عجمية .."

هذه المرة شد يدها عنوة ليرفعها لفمه ويلثمها كما يشاء بشفتيه قبل ان يقول بشقاوة

" لقب عمّة لا يليق بك وانت بهذه الفتنة .. ماذا تفعلين بنفسك يا امرأة لتكوني مغرية هكذا وانت بهذا السن ؟! "

كان قلب هاجر يقرع بطريقة مخيفة كأنه سحر مبهم انسكب في قلبها جرعة واحدة..

لا تعلم ما ينتابها اللحظة وهي تتابع ما يقوله ويفعله فرقد مع العمة بتأثر عجيب ..

والانكى انها تشعر بالغيرة !

تغار من كلماته لتلك العجوز الغريبة الاطوار..

ولتزداد غيرتها قوة ونبضاً في قلبها وهي تسمع رد العمة عجمية المتراخي بغرور انثى

" تجيد الكلام عندما تشاء يا ابن عبد الجبار.. لكنك في هذا كعمك بالضبط .. ملك قلبي وهو ابن العشرين وانا ارملة تعدت الثلاثين ! وكأني ما عرفت رجلا قبله... حتى اللحظة اخجل مما فعله بي وسلب عقلي مني.."

ثم تمط شفتيها الذابلتين لتضيف بأنفة

" لكني لم ابالي بشيء .. لقد اردت ما كان يجعلني اشعر به وحصلت عليه رغم معارضة الكل وسخريتهم ..."

اقتربت هاجر اكثر وعيناها لا تفارقان يد فرقد التي تحتضن يد العمة عجمية بينما يقول لها بصوت رخيم وبلهجة القرية

" كان يرتجل لك الاشعار.."

سرحت نظرات العمة وبدا لون عينيها يتغير من الازرق للبنفسجي ! كان لوناً سحرياً لم تشهد هاجر لوناً كهذا في حياتها ..

قالت العمة العجوز بصوت عجيب وكأنها عادت فتاة غرة فخورة اشبعت انوثتها بعشق رجل " واحفظ تلك الابيات كلها عن ظهر غيب .. جعلني ملكة وتوجني امرأة لا تتكرر بين النساء رغم أنف عبد الجبار المترفع ..."

يضحك فرقد بخفوت بينما تضيف العمة قائلة بنفس النبرة وان بدت أكثر شجناً وكأنها غرقت في لجّة الذكريات البعيدة ومشاعرها الصاخبة " لكنه صعب عند الغضب .. يصبح هادراً مرعباً كبركان نار ينفجر في وجهي فأنكمش واتمسح به ليرضى.. اوووف .. لا اعلم لماذا تأخر اليوم! كان يفترض به ان يأتي باكراً ليأخذني للسوق اشتري قماش العيد ... افتقده ! "

ماض يغزو حاضراً ويتلاعب به فتختلط الامور في رأس العمة عجمية للحظات ثم تنتهي بحقيقة واحدة انها (تفتقده) ..

يشد فرقد على اليد الصغيرة قائلا بصدق

" لا بأس عجمية.. انا ايضا افتقده ..."

رغبة حارقة بالبكاء انتابت هاجر ..

وكأنها تشاركهما شعور الافتقاد ذاته !

لكنها لا تعرف تحديداً لمن تحمل هذا الافتقاد بالضبط ؟!

لماذا كل مشاعرها قوية ومبهمة هكذا ؟!

متى سيأتي الجمعة لتعود للعاصمة ؟ متى ؟!

ربما عندها ستفصح مشاعرها عن حقيقتها ..

بغتة سألت العمة وكأنها عادت بلمح البصر للواقع من حولها " اين عجميتك ؟"

التفت فرقد برأسه قليلا ليناظر هاجر ويداعبها بشكل غير مباشر وهو يرد على العمة قائلا " عجميتي الحمراء هناك .. انظري اليها تقف وسط الغرفة ترتعد اوصالها من غرابة حوارنا .."

تربط على قلبها المتلوع بشعور الافتقاد المبهم لتشمخ بأنفها وهي تتقدم من السرير بثقة " تكلم عن نفسك ..."

يضحك بينما يراقب ببعض الانبهار والاعجاب كيف انحنت هاجر بعفوية لتقبل جبين العمة هامسة لها بدفء طبيعي

" مرحباً عمتي عجمية ..."



لقد فعلت المثل مع امه هذا الصباح عندما غادرا بيت والده .. لم تكن امه راضية عن رحيلهما لبيت عبد الملك ورغم زعلها وعدم ردها على وداعهما المؤقت الا ان هاجر أصرت ان تقبل رأسها وتسترضيها ببضع كلمات خافتة قالتها في اذنها ..

والشيخة نزهت لم ترض ولم تجب بكلمة لكن فرقد يعلم ان والدته في داخلها تأثرت بمحاولة هاجر تلك ..

اتسعت عينا العمة بتلك الطريقة المخيفة وهي تمعن النظر في وجه هاجر ..

قالت اخيراً بنبرة غامضة مبحوحة

" تبدين مختلفة يا امرأة النار .. ماذا فعل بك ابن الشيوخ ؟"

راقب فرقد وجه هاجر عن كثب وقلبه يضخ الدم ضخاً رهيباً لكل انحاء جسده ..

كانت هاجر تسبل اهدابها وكأنها تتفكر قبل ان تسأل بنبرة عذبة

" هل انطفأت ناري يا عمة ؟"

ما زالت عينا العمة واسعتين كبحر عميق لا قرار له وهي تقرأ فيها ما يعجز غيرها عن قراءته لترد عليها بالقول

" بل متوهجة بشكل مختلف ..."



فتفتح هاجر عينيها وتنظر للعمة مباشرة

لتضيف العمة ببعض الاهتياج والانفعال

وكأنها وجدت بغيتها وفكت طلسماً عجيباً

" آآه .. عيناك فيهما وهج رهيب ... لك اللّه

يا ابن الشيوخ .. لك اللّه فيما ينتظرك ..."

ثم حولت العمة نظراتها لوجه فرقد الذي لا

تفارق عيناه النظر لهاجر فتكرر جملتها

وتضيف عليها

" لك اللّه يا ابن عبد الجبار .. لك اللّه ..

لكن ما تحصده اليوم هو علقم زرعته بيدك

في الامس ... فتحمل مرارة العلقم ! "

لم يحد فرقد بنظراته عن وجه هاجر حتى

التفتت بنظراتها اليه ليرى فيهما ما رأته العمة

فيرفع قبضته لصدره يضرب بها على قلبه

بعنف وهو يتمتم بصوت مبحوح ناري الهوى

" علقم أنتِ في قلبي يا ... عجمية ..."

الجمرة الرابعة والعشرون

بيت عبد الملك

كانت تحبس انفاسها وهي تقف عند باب الغرفة المغلق .. وكأنها تختبر احاسيسها من جديد .. تختبر الفرق بين شعورها عندما غادرت هذه الغرفة كعروس وبين شعورها حاليا وهي تدخل اليها لتودعها الى الابد ...

انفاسه الدافئة دوماً لفحت جانب خدها وهو يقترب منها من الخلف ويمد ذراعه ليفتح الباب لها بنفسه قائلا " ادخلي .. فالخادمة الصبية سعدية تراقبنا من زاوية خفية .. "

لم تأبه لملاحظته بينما يبهرها الضياء وتلفها باقات من الهواء النقي البارد ...

امتلأت روحها من كل شيء وهي تخطو وسط الغرفة ...

احساس شديد الرقة والعذوبة انتشر في كل جزء منها ... كأنها لمست شيئا حميمياً يخصها.. السرير الكبير ومفارشه المألوفة .. الستائر المتطايرة قرب الشباك المفتوح على مصراعيه .. الاريكة قرب نفس الشباك حيث كانت تجلس لساعات وخاصة في الليل تراقب نجمها في السماء وتتخيله ملكها يكلمها ويناغشها وينير لها طريقاً تسلكه في حياتها...



جلستها على الارض حول المائدة ذات القوائم القصيرة تأكل طعامها بصحبة نجمة احياناً واحياناً بمفردها...

صيصانها ! ربااه اين هم ؟!

التفتت بحدة عفوية تسأل ببعض الهلع الفجائي " اين صيصاني ؟! لقد تركتهم هنا!"

كان قد اغلق الباب خلفه ووضع الحقيبتين أرضا ويحدق فيها بنظراته الغامضة التي لا تخلو من ... النار !

تمتم باختصار " نجمة تضعهم في البستان الصغير خلف بيت عبد الملك وتعتني بهم فلا تقلقي.. سآخذك اليهم الان.. نسرين تعد الافطار هناك والكل بانتظارنا...حتى نجمة قررت عدم الذهاب للمدرسة اليوم لاجلك .."

ضياء الشمس توهج فوق جلبابه الصحراوي وحافة الكوفية التي تلف جبينه منحت عيناه حدة وصرامة ...

واجهته بحدة نظرات مضادة وارتفع حاجباها بحركة تحدٍ لتقول " هل تعلم اني تعلقت عاطفياً بهذه الغرفة على نحو لا استطيع تفسيره .. في الواقع ليس الغرفة فحسب ..."

قاوم بضراوة ان يقترب منها خطوة وهو يتمتم بصوت أجش " وماذا بعد ؟"

كانا يتحديان بعض بطريقة غير معلنة ..

لكن فرقد كان يتقبل منها الهجمات وصدره مكشوف امامها ليتلقى الضربات ...

ردت بنبرة ذات معنى مقصود " بيت عبد الملك كله تعلقت به بنفس العاطفة .. هذا هو البيت الذي خرجت منه معززة كعروس .. حتى ولو كان العرس خداعاً الا ان هذا البيت منحني شيئا حقيقاً وسط الزيف .. منحني قيمة واحتراماً وحماية .. خرجت منه وانا املك القوة لرفع رأسي .. هذا البيت بكل ما فيه سيظل أبد الدهر في وجداني ..."

فورة دماء تجيش في شرايينه ...

قلبه يهدر بجنون وغيرة فتاكة بمخالب الاسود الضارية تنهشه ...

نبرة صوته كانت تتمزق بتلك الغيرة وهو يقول " يوماً ما ستتسببين بمقتل احدهم يا عجمية دون ذنب جناه..."

ظلال ابتسامة من شفتيها بينما تعدل الوشاح الاسود حول وجهها لتقول ببراءة مصطنعة

" لا بد اننا تأخرنا على الافطار .. وانا جعت .. البيت برائحته المألوفة المحببة فتح شهيتي.."

كان فرقد يسحق اسنانه سحقاً ثم استدار بحدة ليفتح الباب بصمت ويخرج قبلها فتلحق هاجر بخطواته الغاضبة .. تناظره بتشفٍ...

انها تشعر بالقوة هنا .. وهو يشعر بقوتها تلك..فليمت كمداً وقهراً ...!

العاصمة ... في احدى الشوارع..

يقود منذر سيارته ببطء في زحامات الطرق بينما كان يرد على والد دينا ويحاول التخفيف من انفعاله ..

عيناه تطرفان بنظراتهما عبر المرآة الامامية نحو وجه دينا التي تجلس خلفه....

كانت منكمشة على نفسها ويبدو جلياً انها تتألم من كتفها المصاب، لكن عيناها الواسعتان تحملان الهموم .. الاحزان .. اليأس و .. الخوف !

ترى ما الذي يجعلها تشعر بالخوف ؟!

كل احساس مؤلم يلتقطه منها كأنه زيت يصب صباً فوق نار الغضب و ... الذنب ...

الذنب نحوها يحرقه حرقاً اكثر من حرق ذراعه الموجع ...

" بني .. لن ننسى فضلك علينا .. ذراعك هذه حفظت وجه ابنتي وسأظل لاخر يوم بعمري مدين لك .."

ابتسم لوجه العجوز وهو يشعر بالخجل ..

الخجل لانه لا يستحق هذا المديح ولا اي عرفان بالجميل ... العجوز المسكين لا يعلم انه احد الاسباب التي اثارت جنون عدي ليعتدي بماء النار على ابنته ...

وكأن العجوز بعرفانه ودون ان يدري يصب المزيد من الزيت فوق نار الذنب فيزيدها اشتعالا ...

ماذا سيفعل الرجل المسكين حين يعلم ان العلاجات التي تحتاجها ابنته ستكون اضعافا مضاعفة عن فاتورة المستشفى التي اعترض عليها ؟

كيف ستتمكن دينا من اخذ العلاج لتخفيف أثر التشوه وهو يعلم ان امكانياتها المالية لا تسمح ...

ما هذا الظلم ! ما هذا العجز القاتل ...؟!

عاد لينظر لعينيها عبر المرآة فيجيش صدره بمزيد من التعلق بها ...

انه تعلق بمذاق مختلف .. انساني بحت ..

بعد نصف ساعة اوقف منذر السيارة جوار المبنى السكني وترجل منها بينما تفعل دينا المثل ..

استدار حول السيارة ليحاول مساعدة الاب لكن دينا سبقته لتساعد والدها بنفسها وهي تفتح بابه وتمد له ذراعها يتكئ عليها قبل ان يستعين بعصاه..

هذه الفتاة لا توصف !

تمتم متسائلا " كم رقم الشقة وفي اي طابق.. سأحمل اغراضك اليها .."

همست وهي تنظر للرصيف " شكرا لك لا داعي .. سأحملها بنفسي .."

فيتدخل والدها قائلا بحنق " انا ومنذر سننقل الاغراض .. انت اتركي ذراعي وكفي عن التعامل معي كضرير ! "

كان يناغشها كعادته ليصدم الاب وهو يرى قرة عينه تجهش بالبكاء المفاجئ...!

وقف الاب ومنذر مسمرين امامها وهي تبكي بحرقة ولوعة حتى تقاطر الدمع الغزير فوق سترتها ...

خرج الاب من صدمته ليقترب من ابنته يقبل جبينها ويعتذر لانه ناغشها بخشونة وهي لا تتوقف عن بكائها الذي يقطع نياط القلب ..

اما منذر فظل على صدمته وهو يراها وسط الشارع هكذا تتكئ برأسها على كتف والدها ولا تتوقف عن البكاء ..

عجوز يتكئ على عصاه وفتاة تتكئ على كتفه وليس لهما في الواقع الا اللّه ليتكئا عليه...

للحظة عجيبة شعر منذر برغبة ان يهدر صارخاً ثم يضم الاثنين معاً اليه وليرميا حملهما فوق كاهله هو ..

عندها أضاء عقله واتسعت عيناه وهو يستوعب تلك الاضاءات التي باتت تنبض داخله بتسارع..

مؤسسة الجراح

اصابعه تلتف حول عنقها بمزيد من الشغف والسيطرة ... تحاول الافلات بشفتيها من شفتيه وهي تهمس اسمه باعتراض وانفاس لاهثة

" هيثم ... هيثم ..!"

دون مجهود يشد جسدها الرقيق اليه اكثر حتى يلصقها به تماماً فتعجز عن مقاومته ..

هو ايضا عاجز عن مقاومتها ..

هو ايضا قتله الشوق واصبح يتصرف كالمراهقين يكاد يعاشرها هنا على سطح مكتبه وسط مؤسسته ...

يرن هاتفها فتتحرك يدها المرتعشة تحاول ابعاده بينما يدها الاخرى تتلمس مكتب هيثم بتعثر بحثاً عن هاتفها الملقى هناك ...

لم يكن عادلا ابداً ... كان يفترض انهما يتناقشان في العمل وتوقيع العقد لتسرع بالعودة لمكتب شاهين .. لكنه متحايل وخبيث .. رباه كم تعشق خبثه هذا وتحايله ليغازلها ثم يباغتها بقبلاته واحضانه وفقدانه التام للسيطرة ضعفاً امامها...

يدها وجدت ضالتها وكادت تمسكها وقد عاد الهاتف ليرن من جديد لكن هيثم كان يسبقها وهو يدفع الهاتف بعيدا حتى وقع أرضاً فتهمس بتوسل وهو يقبل عنقها " هيثم .. لقد تأخرت .. ارجو..ك.... لا بد انها سمارا.."

لا ترى التماعة عينيه وقد توقف الهاتف عن الرنين بينما يهمس بصوت أجش مغوٍ

" اريد طفلا آخر .. تحملينه بين احشائك شهرزادي .. "

يرتعش قلبها لفكرة طفل ثان بل وثالث ورابع... لكن .. لكن ...

" طفلة خمرية .. بلون الشيكولاته الشهية التي تحبها امها ... قولي نعم ..."

صوته كان لحن الاغواء نفسه ...

يملأ بانغامه رأسها ويعزف على اوتار كل رغباتها واحتياجاتها ... تريد الاطفال .. تريد العمل باستقلال ونجاح .. تريده هو .. تريد زوجها الذي لا يستطيع العيش بدونها..

كانت لحظات خاصة جدا بينهما ولم تكن تعي حتى ما يتسربل من بين شفتيها المرتعشتين بينما يواصل الهاتف رنينه وهي باتت لا تسمعه حتى ...!

فقط تستمع لعزف اغوائه ...

نظرة خاطفة منتصرة رماها هيثم ناحية الهاتف الذي استكان خامداً باستسلام صامت..

انه يعرف ويشعر ان شهرزاد تخطو معه وحده في الطريق الذي يريده لهما معاً ..

لم يتبقَ الا القليل لتكون معه بكامل ارادتها ووجدانها ... وايا كان من يساعدها لتتخطى الازمة بينهما فأنه ينجح تماماً ...

لم يكن يحتاج لذكاء خارق حتى يخمن انها تزور طبيباً نفسياً ... او ربما مختصة بعلم الاسرة والاجتماع ...

لا يهم ... من اختارته ليساعدها ..

المهم ان جهودهما معاً تصب بمصلحته..

هذه الليلة ... سيجعلها اكثر الاناث سعادة لتمنحه طفلا ...

سيمنحها قطعة من روحه ...

تأوه وهو يقاوم انفلات عواطفه اكثر من هذا

فتخرج كلمات العشق من فمه عفوية دون اي تخطيط " اشتقت لوصالك وحبك .. هذه الليلة لن أصبر أكثر ..."

مكتب الشاهين ..

تأففت سمارا ومزاجها سيء بينما تحاول مرة جديدة الاتصال بشهرزاد وهي تهذر بحنق

" اين تأخرت ؟! يفترض ان تلتقي بنفسها بالعميل .. لم يتبق الا نصف ساعة ويحضر .. سيستاء ويعتبر اننا لا نهتم ..خاصة وهو يفضل الاتفاق مع شهرزاد.."

كان باهر يهز راسه بلا معنى محدد وهو يمر بها فتعبس سمارا وتصب حنقها فوق رأسه قائلة

" ولماذا تهز رأسك أنت ! تبدو كرأس الخس عندما ينفضه شاهين بطريقته الفوضوية بعد غسله بماء الحنفية .."

أجفلت وشاهين يظهر لها من الخلف فجأة ليقول بتشتت اقواله وافعاله المعهود وهو يحمل صندوقاً ممتلئاً بلوحات مفاتيح متنوعة خاصة باجهزة الحاسوب كان يحاول اصلاحها

" لن تأتي اليوم ايضا لا تتعبي نفسك .."

دخل لغرفته بينما تشعر سمارا انها تغلي وباهر ينظر اليها ويرفع يديه باستسلام وهو يقول

" اذهبي اليه هو وصبي غضبك ونقمتك فوق رأسه .. رأسي أخذ حصته ! "

زمجرت سمارا بينما يسرع باهر للاختفاء في اخر الممر لتدخل سمارا خلف شاهين وهي تهدر فيه

" ما معنى هذا الكلام غير المنطقي وغير المعقول ! لقد قالت ستمر بمؤسسة زوجها فقط لتوقيع الاتفاق رسمياً معه ثم تعود مباشرة لتقابل العميل .."

وضع شاهين الصندوق على مكتبه وأخذ يحرك رأسه بحركات دورانية يخفف من تشنج رقبته بينما يقول ببساطة مغيظة

" تعودي على غيابها سمارا ... زوجها نجح بخطته .."

هتفت به وغيظها يتفاقم " اي خطة ؟! وتوقف عن فعل هذا برقبتك اشعر بالوجع في رقبتي انا ! ماذا تعني نجح ؟! وما هي الخطة اصلا ..؟"

توقف شاهين عن تحريك رأسه لينظر اليها بامتعاض من تحكماتها بينما يتخصر بذراع واحدة وهو يرد " خطة الرجل العظيم واضحة حتى للطفل الرضيع ولو سألتِ ابني يوسف لاخبرك بتفاصيلها .. حسن ... انا مضطر للشرح ما دمت تتصرفين وكأنك بليدة العقل ! .. ببساطة يا حمراء خطته هي سحب شهرزاد نهائيا من هنا.."

فغرت سمارا فمها كهبلاء فيمط شاهين شفتيه قبل ان يضيف " لا تظهري الصدمة .. مؤكد انت تعرفين ان هذا غرضه من البداية .. ان يحظى بشهرزاد بعيدا عن هنا ... ثم ألم تكوني تنوهين باستمرار ان هذا لمصلحة الجميع ؟! ألم تقولي لي مرة اذا جاءتك شهرزاد يوماً تقدم استقالتها فلا ترفضها ؟ "

بدت سمارا شديدة التأثر ويدها حاوطت بطنها المنتفخة وهي تتمتم " لكن .. ليس بهذه الطريقة .. كما لم يخطر ببالي ان يلف هيثم هذه اللفة الطويلة ليصل لبغيته .."

تعابير صبيانية مرت على ملامح وجهه قبل ان يجلس على كرسيه قائلا " الرجل العظيم يحب المناورة والمراوغة .. هو يلاعبها ويتلاعب بها .. يمنحها الحرية بالبقاء ويرمي لها الطعم لتخرج وحالما التقطت الطعم وخرجت ... هوبااااا "

ثم رفع يده ليقبضها بحركة ذات دلالة امام ناظري سمارا مضيفاً بفطنته العفوية وادراكه للمخفي " قبضها بين اصابعه ... ولن يفلتها ..."

فجأة عبست سمارا وكأنها تكره الفكرة وترفضها ليرخي شاهين قبضته ويعيد يده فوق سطح مكتبه وهو يقول بتفهم لحالتها

" لا تعبسي ... لن تخسريها ... لكن تعودي انك لن تريها كثيراً كما السابق ..."

تساءلت بعاطفة امومية حمائية

" هل تظنها ستكون سعيدة هكذا ؟"

أخذ شاهين يضرب كفاً بكف وهو يقول باسلوبه الفكاهي

" اقسم باللّه انك مجنونة او تعانين الانفصام.. لقد كنتِ تؤيدين رحيلها لاجل انجاح زواجها ..! ماذا جرى لك الآن ؟!"

ردت ببعض الحسرة وكثير من الحنق الموجه له تحديداً وبانفعال مفرط " لكنها صديقتي وسأفتقدها .. انت بلا مشاعر .. بلا احساس .. أعان اللّه اختي عليك ..."

أخذ يمرر يده في شعره المجعد بينما يتمتم بملل مصطنع " اففففففف متى سينتهي حملك وننهي مسلسل التراجيديا المتجدد هذا ... صدقيني أنه الاسوأ بين كل تراجيديا المسلسلات التركية التي تأبى الوصول للنهاية .."

فاض حزن حقيقي من عينيها بينما تعترف بجدية " سأفتقدها شاهين ..."

يبتسم شاهين ليعبر بصدق وعقلانية

" وانا ايضا ... لكن دوام الحال من المحال .."

مؤسسة الجراح ..

ظهراً ..

تحاول الاعتذار مرة جديدة وهي تقول لسمارا عبر الهاتف بحرج بالغ " انا اسفة جدا سمارا .. توقيع .. العقد .. اخذ مناقشات كثيرة مع هيثم .. وسرق وقتي مني .. دون أن اشعر .."

رغم تفهم سمارا الا ان شهرزاد تشعر كفتاة مراهقة ضبطتها امها مع ابن الجيران !

يصاحبه احساس بالذنب انها احرجت سمارا لتجعلها هي من تتعامل مع العميل المنتظر ...

شعرت بالغيظ من هيثم الذي وضعها بهذا الموقف وكانت سعيدة انها منعته بحزم من أن يوصلها لسيارتها بنفسه ، فالابتسامة الشقية والنظرات الزرقاء العابثة لم تطمئنها ، بدا واضحاً انه سيتلاعب بها في الطريق ليقنعها ان يعودا سوياً للبيت منتصف نهار العمل !

أنهت شهرزاد المكالمة مع سمارا وهي تسير في الرواق الذي يؤدي الى المصاعد لتلتقي في طريقها بالسيد طاهر الاحمدي ..

تبسم في وجهها باحترام فتبادر هي لاالقاء التحية " مرحباً سيد طاهر .."

يرد لها بلطف ومجاملة " اهلا سيدة شهرزاد .. كيف حالك .."

كان شيئا ما يتفاعل داخلها ..

ربما فضول الانثى .. وربما العكس تريد ان تقهر قلق الانثى فيها !

تكلمت بنبرة محايدة وهي تتشجع لتكون طبيعية من خارجها وداخلها ايضاً

" بخير الحمد لله .. كيف حالك انت و.. حال ابنة اخيك .."

تعابيره بدت متفاجئة وهو ينظر اليها دون رد يحضره...

وبدا وكأنه قلق من السؤال فشعرت بالذنب نحوه وندمت لفضولها السخيف ...

لم يكن يفترض ان تسأل عنها قبل ان تفكر.. لقد احرجته بغبائها وغاب عن ذهنها انه كان يبحث عن ابنة اخيه عبر محقق استأجره ..

اوشكت ان تقول اي جملة مجاملة لتنسحب وترفع عنه حرج الرد عندما قال السيد طاهر بابتسامة هادئة " انها بخير الحمد لله .. هاجر مسافرة وستعود يوم الجمعة .. اتصلت بي بالامس .."

فورة من مشاعر متداخلة انتابتها خلال لحظة!

مشاعر لم تستطع استيعابها وتفسيرها ..

تمالكت نفسها وسارعت للانسحاب وهي تتشبث بتعابير مجاملة قائلة

" اتمنى لها سلامة العودة .."

فاجأت نفسها وهي تبتسم له ولا تعلم اي قدرة ملكتها لتبتسم وسط ما يعتريها من تشتت مشاعر متضاربة ..

رد بمجاملة هو الآخر " شكرا لك .. يومك سعيد .."

فترد شهرزاد وهي تتحرك بالاتجاه الكعاكس لاتجاهه

" ونهارك ايضا .. "

وبينما تسير لتصل المصعد كانت تخرج هاتفها من حقيبتها لتتصل بعيادة د.فريدة..

يواصل طاهر الاحمدي طريق عودته لمكتبه وهو يفكر بابنة اخيه وما عليه التناقش معها عندما تعود عندما أخرجه من افكاره مروره بجمهرة غريبة غير مألوفة للموظفين...

عبس ببعض الفضول وصوت همهماتهم تصل مسامعه بعضها مفهوم وبعضها تعذر عليه ..

اسم (منذر الطحان) المتداول بينهم اقلقه ..

اقترب اكثر ليفهم ما يجري..

سمع بوضوح احدهم وهو يقرأ ما يبدو وكأنه خبر في جريدة او مجلة

" انظروا هذا الخبر ايضا منشور على صفحة محلية اخرى .. اقدمت الفتاة د. ض (تعمل موظفة في احدى البنوك) على خيانة



خطيبها ع.ش (عاطل عن العمل) مع صديقه المقرب م.ج (يعمل محامٍ بمؤسسة مشهورة) مما جعل الخطيب المفجوع يتصرف بطريقة جنونية كرد فعل فقام برش (ماء النار) عليهما عندما رآهما يخرجان من احدى الكباني السكنية حيث يلتقيان سراً .. وبغيته الانتقام منهما بكل تأكيد.. هذا وأكد الجاني وهو يبكي انه مجرد رجل مغدور فيما نفت الفتاة (د.ض) ووالدها بوجود اي علاقة تربطهما لكنهما لم يفسرا ما علاقة الصديق (م.ج) بالموضوع وما سبب تواجده مع الفتاة في وقت الحادث "

كان طاهر مصعوقاً بما يسمع بينما تسأل احدى الموظفات " لكن منذر كنيته الطحان"

فيرد عليها احدهم " اسمه الكامل منذر جابر الطحان .. لقد تأكدت بنفسي ! "

ليقول آخر " لكنها مجرد صحيفة مغمورة تبحث عن فرقعة لزيادة البيع .. انا بحثت في الجريدة الرسمية ولم يذكروا اي تفاصيل كهذه .. مجرد خبر صغير عن اعتداء شاب بماء النار على فتاة وشاب اخر .."

لتشهق موظفة اخرى قائلة باستنكار

" لكنها تظل فضيحة للفتاة .. ولا دخان من غير نار ! ... اللهم استرنا .."



تجهم وجه طاهر بينما يتقدم ليعلن عن وجوده بالقول " اظن مؤسسة الجراح تدفع رواتب مجزية لتضعوا (مواهبكم) في انجاز العمل وليس في تتبع صحف الفضائح الصفراء المفبركة باخبارها "

تبعثر جمع الموظفين خلال لحظات بينما يتركهم طاهر ليعود لمكتبه وهو يفكر بشكل عميق وجدي هذه المرة ...

لم يكن يظن ان حادث الاعتداء سيكون له ابعاد كهذه تصل للجرائد .. وردة فعل منذر عندما كلمه صباحاً عن عودة هاجر لم تكن ايجابية بأي طريقة ..

غياب هاجر المفاجئ وعودتها المفاجئة سيحدث الكثير من التغييرات في حياتها ...

يتمنى فقط ان لا تكون خسائرها كبيرة ...

عيادة الدكتورة فريدة ..

كانت فريدة تبدو مختلفة وغير رسمية على الاطلاق ببنطالها الجينز وبلوزتها الشتوية الصفراء البسيطة مطبوع على منطقة الصدر صور فتيات برسم كارتوني ومكتوب تحتهن عبارة (فتيات شقيات) ! هذا عدا حذاء الرياضة الابيض الذي ترتديه بطبعاته البويهمية كلطخات الاصباغ الملونة ...



حتى شعرها الداكن بدى مختلفاً وهي تشده برباط ذا لون احمر فاقع !

لم تكن امرأة رشيقة تماماً لكنها تحافظ على انوثة محببة لجسدها وربما قد يجدها اغلب الرجال مغرية ...

ومع ملابسها وهيئتها هذه تبدو وكأنها تتحدى عمرها وتناكفه ! وكأنها اليوم قررت ان تلعب دور صبية مشاكسة وسط عيادتها ومرضاها ..

امرأة تجاوزت الاربعين كما قالت لشهرزاد مرة في احدى الجلسات .. قالتها بكل فخر ...

تصالحها مع نفسها مثير للحسد ..

تتمنى شهرزاد لو كان تصالح النفس عدوى لكانت ستكون ممتنة لالتقاطها من شخص طبيبتها..

اليوم ابتدأت الجلسة وهي مستقرة خلف مكتبها تتلاعب بالسجائر بطريقة تبدو كانتقام طفولي ! تخرج واحدة تكسرها الى اقسام داخل المنفضة ثم تنثر محتواها من التبغ وتتلاعب به .. وحالما تستكفي تخرج سيجارة اخرى لتعيد الكرة ...

كانت تستمع لشهرزاد وهي تفعل ما تفعل بسجائرها وعندما صمتت شهرزاد اخيراً وهي تحملق بالتبغ البني المتناثر سألتها فريدة

" اخبريني شهرزاد .. ماذا يعني لك اسم ..
هاجر الاحمدي ... ماذا يثير سماع اسمها من
افكار ومشاعر داخلك ؟"

ارتفع حاجبا شهرزاد وبدت حائرة عندما رفعت
فريدة نظراتها اليها لتضيف بذكاء

" هل هو الاغواء ام الخطر ام ربما شيء آخر ؟"

خفت مستوى الحيرة وكأن شهرزاد تبحر في
دواخلها لتجد الاجابة .. تركتها فريدة تأخذ
وقتها كله حتى وجدت شهرزاد شيئا فتشبثت
به لتقول بثقة ويقين

" لو سألتني قبل اسابيع قليلة لقلت.. الخطر.."

تلمع عينا فريدة وهي تحاول الابحار معها
لتسأل " خطر على قلبك ؟"

فترد شهرزاد بعنفوان " بل على كرامتي ..."

ابتسمت فريدة وبدت راضية ان شهرزاد اخيرا
اصبحت تفصل الامرين عن بعض لتقول
ببساطة " لانك تثقين بعشق زوجك لك فلا
خطر على قلبك .."

اخذ شهرزاد الانفعال وهي تعترف بتوتر

" لكني لا اثق باخلاصه الجسدي .. وهنا
كرامتي من ستتحطم..."

ابتسامة فريدة هذه المرة بدت وكأنها لمسة
تفهم لتعود بتركيزها على المنفضة وهي
تخرج سيجارة جديدة فتبدأ بتقطيعها وهي
تقول

" هل تعلمين ... كثير من النساء لا يستطعن ادراك الفرق بين عشق الرجل لامرأة واحدة وقدرته على الاخلاص (بجسده) لها وحدها.. يجدن الامر مربكاً وغير مقنع لمنطقهن .. لانهن ببساطة ينظرن للاخلاص بنظرة انثوية بحته .."

ما زال التوتر والانفعال يطفو للسطح بينما تحاول شهرزاد جهدها مقاومته لتبحر للعمق بينما ترد على كلام فريدة " انا ايضا لا افهم .. كيف يستطيع الرجل ان يعشق بقوة ويخون من يعشقها في ذات الوقت ؟! كيف يستطيع ان..ان يعاشر سواها وقلبه معها وحدها ؟! "

تركت فريدة ما تفعل لترفع وجهها وتضع يدها تحت ذقنها تتنهد بطفولية تناقض تماماً جدية وحميمية الموضوع الذي أخذت تتكلم فيه بسلاسة

" الغريزة الجسدية مهلك الرجال اذا استثيرت وسيطرت عليهم .. ولولا هذا لما كان تجنيد العملاء والجواسيس للمخابرات واستخلاص المعلومات تعتمد الى حد كبير على استثارة هذه الغرائز .. هل تعلمين هناك مدارس خاصة في هذا المجال الامني .."

شعرت شهرزاد بالتقزز فتعبر عن احساسها بالقول " انه امر بشع ومنفر .. كيف يمكن ان يضعف الانسان بهذه الطريقة امام الغريزة ؟! "

هزت فريدة كتفيها ويدها ما زالت اسفل ذقنها بينما يدها الاخرى تتلاعب بالتبغ وهي ترد

بمنطق وموضوعية " هي طبيعة البشر ..
الغريزة وجدت فينا للمتعة .. لا عار في هذا ..
الله خلقها فينا كجزء من متع الحياة فجعلها
حاجة تختلف بقوتها من شخص لاخر ..
لكنها حالها كحال غيرها من الاحتياجات ..
استخدامها الخاطئ يودي للاذى .."

اخذت شهرزاد تنظر في عيني فريدة وكأنها
تحاول استيعاب وتقبل ما تحاول شرحه لها
لتضيف فريدة بنفس النبرة الهادئة
الموضوعية " هل تعلمين هناك نساء يخن
ازواجهن رغم وجود العشق ؟"

كانت عينا فريدة تراقبان باهتمام شديد ردة
فعل شهرزاد على ما قالته للتو لتلتقط منها
تعابير نموذجية للنساء ... (عدم التصديق)!

ولم يطل الامر لحظة لتقولها شهرزاد صراحة

" لا استطيع تصديق هذا او تصوره ! النساء اذا
عشقن فأنهن يخلصن حتى الموت .."

واجهتها فريدة بنبرة واضحة ودقيقة

" انت كغيرك من النساء تعممين حالة
انثوية معينة فتسبغينها على كل النساء
بشكل مطلق... بمعنى انت تقولين ان كل
النساء اذا عشقن ازواجهن فمن المستحيل ان
يقدمن على الخيانة .. بينما بت مقتنعة
(بسبب تجربتك الشخصية) ان الرجل
يستطيع فعلها ومتحيرة بشأنه كيف
يستطيع!"

لم تستطع شهرزاد الرد لان ما تقوله فريدة صحيح تماماً ..

شعرت انها محتارة اكثر ... شعرت انها طفلة حقاً وليس لديها عمق معرفة بطبيعة الرجال والنساء .. أخذت تتساءل من المسؤول حقاً عن حيرتها وجهلها ؟!

ترا .. هل فريدة محقة ؟! هل هناك نساء يخن ازواجهن رغم وجود العشق ؟!

جاء صوت فريدة حاسماً لكل تساؤلاتها وهي تخبرها بما تجهل ...

" هل تعلمين كم امرأة جلست هنا مكانك وتبكي بحرقة قلب وهي تعترف بأنها خانت زوجها الذي تعشقه لانها .. ضعفت .."

فتتساءل شهرزاد بعجب " وهل الضعف عند النساء سبب حقيقي للخيانة ؟! قد اتقبل امرأة تخون زوجها اذا لم تكن تحبه او يعاملها بشكل سيء .. لكن .. ان تضعف هكذا ؟!"

فترد فريدة " مؤكد الضعف الجسدي سبب حقيقي .. حقيقي و قوي لمن لا تملك مصدراً للقوة يشد عزمها او تعويضاً عما تفتقده.. البعض يجد في الايمان ومخافة الله قوته والبعض يجد في وجود الاطفال مناعته وعصمته وغيرها من المصادر .. لكن .. يظل الضعف وارداً .."

لم تعقب شهرزاد بشيء وكل حواسها في إنصات كامل بينما تسترسل فريدة لتضيف

" سأحكي لك بعض القصص .. احداهن كان زوجها يسافر بالاشهر ويتركها وحيدة .. فضعفت امام اغواء زميلها في العمل وقد كانت تحتاج لحميمة العلاقة مع زوجها .. والثانية ضعفت عندما اصيب زوجها بحادث واصبح عاجزاً عن معاشرتها فلم تستطع تركه كما لم تستطع ان تحكم غريزتها ... فخانته بعد صبر ثلاث سنوات .."

حزن وإشفاق بينما تسرد فريدة حكاية ثالثة وبدت متأثرة بشكل منفعل بعض الشيء

" وثالثة كانت حالة خاصة جدا .. زوجها امممم لنقل لم يكن حتى يقبلها في لحظاتهما الحميمية .. كان يعاشرها دون اي مشاعر او مقدمات محببة كما يفعل الازواج للتقارب .. لم تستطع الطلاق منه لان اهلها هم من وقفوا ضدها ومنعوها الانفصال وفي النهاية خذلتها عزيمتها فخانته مع طبيب نفسي كانت تراجع عنده...!"

جحظت عينا شهرزاد وللحظة تذكرت المشعوذ الحقير الذي حاول اقناعها بفعل الرذيلة معه لفك السحر المفترض عن زوجها فتهتف دون شعورها " رباااه ... لقد استغل يأسها بأبشع صورة ..."

ظهر الاشفاق على ملامح فريدة وبدا واضحاً ان قضية تلك المرأة تؤثر فيها بشكل خاص لتقول بذاك الاشفاق والتأثر

" المؤلم بالامر انها عندما أتتني باكية تصارحني بوضعها اخبرتني انها اكتشفت بعد خيانتها لزوجها انها ببساطة تحبه ! تحب حنانه على اولادهما .. تحب مراعاته لها اثناء المرض .. تحب وقوفه جنب عائلتها عندما يحتاجون لعون .. تحب انه يخاف الله في كل افعاله الحياتية ويتقيه فيها فلم يهنها يوماً ولو بكلمة بل كان يعتذر منها لانه غير قادر على منحها ما تريد ولا يفهم حتى ما ينقصها!.. ببساطة هو لا يجيد المعاشرة الزوجية .. "

لم تحتمل شهرزاد لتنسكب الدموع على خديها وهي تهتف بانفعال شديد

" ذاك الطبيب حقير لانه استغل ضعفها .. حقير لانه جعلها تقدم على فعل شنيع كهذا"

ردت فريدة باشمئزاز " نعم .. دوماً كان حقيراً مذ كان معي في الجامعة .. وسعيدة جدا اني كنت السبب ليسحبوا منه رخصة ممارسة المهنة .."

ثم نفضت رأسها لتضيف " دعك من قصصي المرعبة .. اخبريني .. عن شعورك اليوم حيال اسم (هاجر الاحمدي) .."

شعرت شهرزاد وكأنها كانت تبحر في عمق مياه بعيدة غريبة عنها ثم عادت فجأة لعمق مياهها هي ..

شعرت وكأن فريدة اخذتها في رحلة لتدرك ان النفوس كلها في عمقها واحدة ..

اننا كلنا معرضون للضعف ..

معرضون ان نزل ونخطئ ..

كلنا .. دون استثناء ...

ما نحتاجه حقاً ان لا نتعلق كثيراً بوهم الكمال .. فالكمال كالخلود في الدنيا بالضبط .. مجرد وهم ...

شعرت انها أكثر استقراراً من اي وقت مضى واخذت تنظر لنفسها وتعيد تسجيل ساعة مضت من حياتها .. كيف وقفت مع السيد طاهر تسأله عن ابنة اخيه وكيف أثر بها رده انها ستعود يوم الجمعة ..

قالت شهرزاد بهدوء عجيب " عندما اخبرني عمها بعودتها الجمعة للحظة انعصر قلبي بتوجس .. للحظة خاطفة فقط..."

اخرجت فريدة آخر سيجارة في العلبة لتقطعها الى ثلاث قطع وهي تقول " وبعدها ؟"

ردت شهرزاد بنفس النبرة " بعدها فكرت أني سآخذ موعداً معك ! "

تبدأ فريدة بنثر التبغ من القطعة الاولى وهي تقول بنبرة تساؤل بسيط " ثم ؟"

بدت شهرزاد وكأنها شاردة لكنها في الواقع كانت بقمة التركيز وكأنها تشرح مشاعرها في تلك اللحظات قائلة بنبرة خافتة

" تذكرت كل كلامك في جلساتنا السابقة.. كلمة كلمة .. فشعرت فجأة أني .. لا اهتم ..."

توقفت فريدة عما تفعل مع التبغ لترفع نظراتها اليها وتسألها بتركيز " لا تهتمين بعودتها ام لا تهتمين اذا شعرتِ بزوجك يبدي اهتماماً بها ؟"

لم تتأخر شهرزاد لحظة وهي ترد بشكل مباشر وصريح " لا اهتم بعودتها هي شخصياً ... لكني لا استطيع ببساطة محو اهتمامي اذا اهتم هيثم .. مع هذا .. لا اعرف كيف أشرح شعوري بالضبط .. وكأن اهتمامي اصبح أقل .. او ربما عابر ... لا ادري .. ربما هو تأثير كلامك علي ..."

عادت فريدة لتبعثر تبغ القطعة الثانية تخفي ابتسامتها الخبيثة وهي تقول

" او ربما تأثير ما يفعله معك زوجك .. كذاك الاثر الذي تركه على رقبتك .. كنت معه في مؤسسته قبل ان تأتي هنا تطلبين موعدا عاجلا معي اليس كذلك ؟ "

عفوياً ارتفعت يد شهرزاد بحرج وهي تلامس عنقها وكأنما تحاول ستر الاثر الذي لا تعرف اين موقعه حتى بينما ترد بخجل " نعم .. كان يفترض ان أمر به سريعاً لأوقع العقد وأعود لعملي في مكتب شاهين .."

ما زالت الابتسامة الخبيثة تتراقص على فم فريدة وهي تناغشها بالقول

" لكنه أخرك ... "

لم تتبق الا قطعة واحدة من السيجارة الاخيرة لترفع فريدة نظراتها مرة اخرى تقول لشهرزاد بنوع من الشقاوة المحببة رغم جدية السؤال

" اممممم ... انت لم تسمحي له حتى اللحظة بمعاشرتك منذ اخر مرة بينكما اليس كذلك ؟"

تحمر شهرزاد وهي تشعر انها مكشوفة بالكامل فتبتلع ريقها وتعترف " لا .. لم اسمح له حتى الآن .. ولكنه .. يريد الليلة .."

نظرات شهرزاد ارتبكتا للحظة وهي تضيف تساؤلا من كلمة واحدة " هل .....؟ "

ردت فريدة بنبرة قاطعة

" انت وحدك من تقررين .... "

شردت نظرات شهرزاد وكأنها تقلب الامور في رأسها يميناً وشمالاً فلم تقاوم فريدة ان تمنحها دفعة صغيرة وهي تقول لها " لا تفكري كثيراً شهرزاد ... احياناً تكون الحياة اجمل اذا عشناها لحظة بلحظة .. دون تفكير مسبق لخطوتنا القادمة ... نكتفي ان نترك لعواطفنا قيادتنا بعفوية ... "

اصابع فريدة اخذت تفتت اخر قطعة في المنفضة وهي تضيف آخر المقال وبتركيز

" فقط (احياناً) ... تذكري هذا .. انها لعبة بين العقل والقلب وتبادل للادوار بينهما ... والذكاء انك وحدك من تديرين اللعبة وتجيدين اختيار توقيت المبادلة .."

قرية الشيوخ..

بستان خلف بيت عبد الملك..

في جلسة بسيطة مفترشين الارض الخضراء بحصيرة محاكة من سعف النخيل كان عبد الملك يتكلم بهذر عن الزرع حولهم ونسرين تقدم لهما الشاي بينما فكر فرقد شارد وعيناه تطرفان بين الفينة والاخرى تحومان خلف هاجر التي تلاحق الخراف الصغيرة مع نجمة...

بدت سعيدة .. سعيدة وبعيدة !

كم يتعطش لفكرة ان تكون سعادتها قربه.. جواره وبين احضانه وفي كنف رجولته محاطة باسوار عشقه المجنون ...

احلام تبدو مستحيلة التحقق تراوده دون يأس عن حياة كاملة يعيشها معها ..

عن بيت واولاد .. عن سراء وضراء يتشاركانها.. عن عمل الصحافة الذي يتشاركان حبه ... عن مزرعة دجاج ينشئانها سوياً هنا في قرية الشيوخ لتدر عليهما وارداً اضافياً ينفعهما وبنفس الوقت ستظل المزرعة مكاناً يربطهما بالقرية اكثر ويربط اولادهما ايضا لتتعمق جذورهم في هذه الارض التي تربى فيها وتسري في روحه كما تسري الدماء في الشرايين...

كان يريد ان يأخذها في رحلات لبر الصحراء يختليان فيها بعيدا عن البشر ... ان يمسك بيدها ليغمرها بدفء الرمال او ان يعلمها كيف تزرع مع الفلاحين ...

كثيرة هي الاحلام المستحيلة !

أطرق برأسه وكأس الشاي وضعته اخته نسرين امامه وذهبت لتلحق بهاجر ونجمة ..

" ماذا يحدث معك يا ابن العم ؟"

دون ان يرفع فرقد رأسه رد على سؤال عبد الملك بالقول

" سنعود للعاصمة يوم الجمعة .."

صمت عبد الملك للحظة قبل ان يقول

" هل هي تر ... ماذا بها نجمة ؟!"

رفع فرقد عندها رأسه عندما قطع عبد الملك كلامه عن هاجر ليحوله الى نجمة..

رأى فرقد ابنة اخته نجمة بجسدها الضئيل الصغير تكاد تهرول نحوهما بوجه حزين والدمعة ستفر من عينيها.. تتعثر بحافة عباءتها ووشاح رأسها سقط على كتفيها ..

كانت امها نسرين في أثرها تناديها بينما هاجر عابسة وهي تلحق بهما وعيناها تناظران بغضب راعي الخراف الذي يجمع قطيعه ..

امتدت ذراعا عبد الملك نحوها بعفوية لاستقبالها والصبية لم تخيب ظنه فهرعت

لحضنه تجلس على حجره وتتعلق بعنقه تناديه بنبرة شكوى رقيقة

" ابتاه عبد الملك .."

يضمها عبد الملك وهو يسألها همساً أبوياً يرتعش القلب لعذوبته " ماذا هناك ؟ "

تحشر نجمة وجهها في رقبته وهي تشكوه

" الراعي منعنا اللعب مع الخراف الصغيرة ..
قال اننا نؤذيها .. اقسم لم أكن اؤذيها ..
كنت فقط اريد حمل احدهم لعجمية فقد أحبت فرائه .."

جلست نسرين جوار زوجها وهي تحاول ان تخفف عن ابنتها بينما فرقد ترك ما يحدث بينهم لينصب كل اهتمامه بل وكل عقله وقلبه مع نظرة هاجر التي تقف متسمرة على بعد خطوتين ...

ما هذا الجوع في عينيها وهي تنظر لنجمة ؟!

ما هذه الغيرة الطفولية التي تتقافز من تلك العينين النرجسيتين ؟

انها جائعة محرومة .. غيورة متألمة ...

خطفت قلبه بدموع شفافة شابت عينيها وهي تحدق في عبد الملك !

تحدق بذراعه التي يلفها حول جسد نجمة ليضمها لصدره بدفء طبيعي .. تحدق في وجهه الذي غمره في شعر الصبية يراضيها وينصرها بالقول الابوي المتحيز " لا عاش ولا كان من يمنع ابنة عبد الملك من شيء ... "

ماذا فعلوا بها وهي طفلة ؟!

هل حرموها كل هذا ؟!

كان سيفقد رشده ليذهب اليها ويشدها لصدره عسى ان يمحو نظرة الحسرة والحرمان هذه من عينيها ...

ناداها وهو يقاوم جنون ما يريد فعله

" هاجر ...."

التفتت اليه لتنظر في وجهه للحظات طويلة مزقته تمزيقاً .. نظراتها باتت قاسية .. قاسية جدا .. وكأنها تحمله إثم جوعها وخطيئة حرمانها ... هو الذي لم يرحم فيها احتياجها...

جاء صوت عبد الملك يقطع بينهما تلك اللحظات من الصمت الصاخب ....

" غدا سيكون لك صغيرين ابيضين في دارك ..."

أرخت هاجر نظراتها لتتحرك وتجلس جوار نسرين بدلا من ان تجلس جوار فرقد بينما يعلو صوت نجمة بفرح

" وواحد لعجمية .. لقد احبتهم ايضا .."

فيضحك عبد الملك بصوت رجولي ويرد وهو يطرق بنظراته للارض

" وواحد للـ(ست) عجمية .. اوامركما على رأسي... تنفذ في الحال.."

يقسم بالله سيبرح عبد الملك ضرباً حالما يختلي به ...!

كان صدر فرقد يعلو ويهبط ويمد يده من فوق الحصيرة فيصل الى الحشيش الاخضر فيقطعه تقطيعاً باصابعه ..

ولم يكن ينقص فرقد الا نبرة صوت (الست عجمية) وهي ترد على ابن عمه بصوتها الذي شع انوثة وفخراً

" شكراً ... عبد الملك ... انا مكتفية بالصيصان .. لن أكلفك عناء ان تحضر لي خروفا ايضا ... كما اني لن استطيع اخذه معي للعاصمة مثلما سأفعل مع صيصاني .."

تضحك نسرين وهي تردد " لا اصدق أنك ستأخذين الصيصان للعاصمة ! سيتوهون منك هناك .."

تضحك هاجر وعيناها تشعان وهي تنظر في عيني فرقد الذي يواجهها بنظرات كالنار ثم تنساب نظراتها ليده التي تقطع الحشيش بعنف لترد " لا تقلقي .. لن يضيعوا مني ابداً .. انا اجيد الاعتناء بمن أحب .."

هذه المرة اقتلع الحشيش من جذوره وهو يطبق فكيه ونظراته باتت مفترسة ...

كانت نسرين تضحك وساهية تماماً عما يحصل بين هاجر وفرقد ... لكن عبد الملك التقط التوتر الحاصل وغضب ابن عمه من زوجته لكلامها المبطن ..

حاول عبد الملك تلطيف الاجواء وهو يوجه كلامه لهاجر قائلا

" لا كلفة ابدا.. وسيكون لك هذا الخروف باذن اللّه ويرعى في بيتي بعيدا عن مزاج الراعي النحس ..."

تبتسم هاجر بعرفان الجميل في وجه عبد الملك الذي أطرق بنظراته احتراماً وحياء رجولياً...

عينا فرقد ما زالتا تنظران اليها يود لو يقتلع رأسها عن عنقها ثم تقدح نظراته وهو يرى قدمها البيضاء تصطلح تحت اشعة الشمس مكشوفة من تحت عباءتها السوداء ..

يكز على اسنانه وهو يرفع قدح الشاي ليهب واقفاً على قدميه ثم يتحرك نحوها ليجلس بخشونة جوارها وهو يقول من بين اسنانه

" خذي هذا الشاي لاجلك .."

يحرك ساقه ليغطي قدمها الابيض المكشوف ، تنظر للحظة للاسفل كيف غطى قدمها ثم ترفع عينيها لعينيه فلم تفعل شيئا الا أخذ قدح الشاي منه لتبدأ بارتشافه على مهل وهي تبتسم وكأنها خالية البال !.....

بعد ساعات ..

يمسك ذراعها وهو يقودها دفعاً ويهمس من بين اسنانه بشراسة " امشي امامي .."

تحاول نزع ذراعها من اصابعه القاسية وهي تتساءل بحنق " ماذا هناك ؟! "



ادخلها الغرفة واغلق الباب خلفهما بعنف بينما يهزها من ذراعها وهو يهدر فيها

" قلت لك الف مرة انا لا تتباسطي مع عبد الملك .. وان تتحشمي في هندامك .. والف مرة اخرى قلت لك نحن في قرية .. هل تسمعين .. في قرية .. في بيئة محافظة جدا لا تتقبل انفتاحك وقلة حشمتك... لقد مللت تنبهيك وحشر هذا في رأسك .."

تزم شفتيها وهي تحدق في عينيه ملأ عينيها تطبق فكيها دون ان ترد عليه بكلمة بينما انفاسه الهادرة تلفحها كالنار ...

كانت تتفاعل داخلها كل مشاعر التحدي له.. لا تعلم اي قدرة وقوة ملكت حالما خطت برجليها لبيت عبد الملك ..

ولتمعن في تحديه تلبست قناع اللامبالاة وهي تقول " اذا كنت أنهيت كلامك دعني أذهب لاحضر الصيصان... يجب ان احضر مكان مبيتهم عندي الليلة .."

رغم الغضب والغيرة المشتعلة داخله الا انه يرد لها بسخرية نارية ورغبة انتقامية واضحة

" مبارك لانك تذكرتيهم الان ... لكن للاسف سيبقون الليلة مع نجمة .."

استفزها فتضرب بقدمها الارض لتصر بالقول

" انا اريدهم معي هنا في غرفتي .. لن انام بدونهم .."

عيناه باتتا تشتعلان بمشاعر مختلفة وهو يضيف ساخراً بصوت مبحوح

" للاسف انت مضطرة ان تكتفي بي شريكاً وحيداً لغرفتك الليلة.."

بدت متفاجئة حقاً وهي تقول بضيق

" ظننتك ستعود لبيت والدك .. ظننتها اجازة لي وحدي بعيدا عن كل الضغوط التي تمارسها علي .."

فيرد ممعناً بمضايقتها " للاسف ظنونك ليست في محلها .. وأنا سأبيت في المكان الذي تبيتين فيه .. ام ربما نسيتِ انك زوجتي؟!"

ترد له بوقاحة وجرأة " لا تترك لي فرصة لانسى لكني لن أكف عن المحاولة !"

اصابعه انغرزت أكثر في لحم ذراعها وتجهم وجهه بطريقة مخيفة وبشق الانفس صمدت حتى لا تظهر خوفاً منه ..

لحظات مرت قبل ان تهدأ ملامحه ليضيف بهدوء غامض " لكنك وللاسف ... زوجتي .. وعلى هذا الاساس احذرك .. اذا ادعيتِ الغباء مرة جديدة يا هاجر وتجاهلتِ ما اقوله لك فهذا يعني انك غبية بالفعل لانك لم تعرفي حتى اللحظة ما يمكن ان يصدر عني دون ارادة مني .."

اشتعلت عيناها كما اشتعلت النار في قلبها

وهي تقول بنبرة حاقدة تشع غضباً دفيناً

" وماذا ستفعل ؟ تصفعني مرة جديدة ؟"

زم شفتيه قبل ان يهمس بخفوت

" لن تدعيني انساها ..."

بنفس الانفعال المشتعل ردت له

" ولا يوم واحد ..."

لا تعرف كيف باتت محشورة بينه وبين خزانة الملابس الضخمة خلفها وقد اسبل اهدابه وباتت شفتاه متراخيتين بطريقة تعرفها وتألفها عندما يهم بتقبيلها ...

حاولت ان تتحرك لكن اصابعه تحتجزها وصدره كالحائط يضيق الخناق عليها ليقول بنبرته الخافتة المنذرة بالخطر " لكنك اخطأت التخمين يا بنت العاصمة .. قد اقرر حبسك هنا الى الابد .."

كانت تقاوم هستيرية داخلها .. تقاوم رغبة محمومة ان تهرب منه الآن وقد يقدم على عمل متهور عاطفي مجنون ...

ان فعلها واستسلمت له ستكره نفسها لآخر يوم في حياتها ...

زادت مقاومتها ضراوة وهو يضيف بنفس النبرة الخطرة " قد اقرر ان يكفيني من جحيم العذاب هذا "



حاولت ان تبدي البرود وهي تنظر لوجهه القريب قائلة " ابتعد ... فرقد ..."

لكنه يواصل هذره المجنون الحار

" قد أقرر ان .. اعشقك على طريقتي أنا حتى وان لم تفهمي .. فأنت ستظلين ابدا مجرد طفلة لا تعرف اين مصلحتها .."

وكأنه نغزها بدبوس لتنفجر !

صرخت دون شعورها " اكره هذه الجملة منك! كنت تقولها لي باستمرار عندما كنا نعمل سوية في القناة وانت تحاصرني بمشاعرك دون هوادة.. لكن ذاك عهد وولى ... فافهم ذلك يا ابن الشيوخ .."

لم يبالي بصراخها فيواصل بثها حرارة ما يعتريه وكل مناه واحلامه " وقد... أجعلك تحملين ... اطفالي .. الكثير منهم يا حشاشة قلبي انت ..."

كانت تنهت من فرط الانفعال وتعلم انه مدرك لما يعتريها لكنه يزيد الامور تعقيداً بانفلات سيطرته على مشاعره هكذا ..

لم تستطع الا ان تهدر فيه وهي تهدده جدياً

" ابتعد قلت لك .. جرحك لن يحتمل عضة من اسناني .. اقسم بالله سأفعلها حالا ان لم تبتعد ..."

ابتسامة مرتعشة مرت بثغره قبل ان يعتقها ويبتعد خطوة للخلف ...

نظر في عينيها يبثها كل لواعج قلبه بينما يقول وهو يعود لغموضه المربك

" اذن حذاري يا ابنة الاحمدي من استفزازي ... انا اقاوم بشق الانفس فقط .. لاجلك .. "

تقدمت وهي تدفعه بصدره وتقول بتجاهل تام لمشاعره التي لا يخيفها رغم غموض نواياه

" ابتعد ... اريد اخذ حمام .. رائحتي كرائحة الخراف .."

لاحقها وهو يقول بنبرة فضحت غيرته

" ولماذا تتذمرين .. ألم تطلبي من عبد الملك خروفاً صغيراً وكأنك طفلة سخيفة.."

استدارت ناحيته وهي عند باب الحمام لترد

" انا لم أطلب .. في حال لم تكن تسمع حواراتنا جيداً فأن نجمة هي من طلبت .."

قطع الخطوتين بينهما في لمح البصر ليقف عندها يسألها بغيرة متفاقمة

" هل سيكون عزيزاً عليك مثل الصيصان التي احضرتها لك ...؟"

أبعدت نظراتها عنه ويدها ترتفع لتمسك مقبض الباب وهي تقول ببرود مستفز

" انت من تتصرف كطفل الآن .."

كفه ارتفعت لتستقر على باب الحمام المغلق بينما يميل بوجهه ناحية وجهها قائلا بهمس

" انا ؟ آآآآه ... انا اوشك ان اتصرف كحيوان لو تعلمين ..."

تطرق برأسها وقلبها يخفق توتراً ...

كانت تعرف انها يجب ان تحذره اللحظة ..

لكن داخلها طاقات غضب تراكمت حتى

باتت لا تشعر بغير هذا الغضب ...

ليضيف فرقد بنفس النبرة " لاخر مرة

احذرك من استفزازي المتعمد.. دعي هذين

اليومين يمران بسلام ..."

شعلة الغضب كانت وقود عزيمتها ..

رفعت نظراتها اليه تريد أذيته بكل ما اوتيت

من عزم لتقول بقسوة تواجهه بضعفه نحوها

" اذا كنت تغار هكذا وانا ما زلت امامك وفي

بيت ابن عمك وسط قريتك .. ماذا ستفعل

عندما تعيدني للعاصمة وتسافر انت لتركيا

تاركاً اياي ... بمفردي ؟"

عذابه يطفح من عينيه ليعبر لسانه

بالكلمات " لا تعذبيني هاجر ..."

وكأنه يغذيها بالمزيد وهو يطلب منها ذلك !

بشراسة ترد عليه " لن أترك طريقاً واحداً

فيه عذاب لك لن اسلكه ..."

يحدق في عينيها وكأنه يرى فيها مقتله !

لتواصل هدير غضبها هي تذكره بالذي مضى

" سارد لك كل لحظة اذلال شعرت بها وانت

تدوس بقدميك على كرامتي وتنتهك

ضعفي حتى رميتني كخرقة بالية

وهجرتني.."

ابيضت شفتاه وهو عاجز عن الرد لتضيف المزيد والمزيد " سأرد لك اختطافي الى هنا وحبسك لي والهوان وقلة القيمة والنظرة الدونية التي رأيتها في عيني والدك واخيك وهما يظنان بي اسوأ وأحقر الظنون ، ظنون قاتلة لأي امرأة حرة شريفة.."

ثم التمعت عيناها بشدة لتهمس بنبرة حادة

" سأرد لك ... صفعك إياي ..."

أرخى كفه عن الباب لتهبط الى جانبه وهو يحدق فيها شاحب الوجه تماماً..

تفتح باب الحمام وهي ترمي له اخر شعلاتها

" ولنرى ماذا ستفعل عندما لايكون لك علي سلطان ... اي سلطان ..."

العاصمة .. مساء ...

بيت منذر الطحان ... غرفة الجلوس..

يجلس على الاريكة مستنداً برأسه للخلف بينما عيناه تحدقان في السقف ..

والده يدعي انه يتابع الاخبار ووالدته لا تملك القدرة على الادعاء لتحمحم حوله باسئلة مكررة لا معنى لها ...

" منذر هل تتألم ؟! تبدو ...."

اغمض عينيه وهو يقاوم بقوة ان يفقد اعصابه فيرد بكل ما أوتي من تحكم

" انا بخير امي ..."

لكنها تواصل اسئلتها التي سبق وسألتها خمس مرات حتى اللحظة

" هل ابدلوا لك الضمادة ؟ "

تحكمه أخذ يتصدع فينفلت منه لتتوتر نبراته وهو يرد عليها بالقول

" نعم لا تقلقي ووضعوا الدهون واخذت المسكن .. فقط توقفي عن اعادة نفس الاسئلة اتوسل اليك اماه ..."

هتفت به تستنكر ردة فعله

" لماذا تبدو نزقاً هكذا ؟! هل هذا جزائي لاهتمامي وقلقي عليك ؟! ماذا جرى لك ؟! "

زفر منذر من اعماقه بينما يعتدل بجلسته ويقول " انا مشغول البال ..."

عندها يتدخل الاب فيسأله بينما يطفئ التلفاز " بماذا ؟ بالقضية ؟"

فيرد منذر على ابيه " بأمور متعددة من ضمنها القضية .. سيحصل تحقيق ومحاكمة .. المؤكد ان عدي سيأخذ حكماً لا يقل عن سنة ولا يزيد عن خمس سنوات .. وهناك ... افكار اخرى اكثر اهمية تشغلني ..."

نظرة قلقة متبادلة بين الوالدين لتبادر الام بالقول " هلا تشاركنا افكارك ربما نتباحث سوياً .."

رد منذر بابتسام

" انت تريدين ان تعرفي فقط .."

فتعترف الام وقد غلبتها مخاوفها

" هل تلومني ؟! انا اموت قلقاً عليك .. وما يخيفني هو ما تخفيه عنا ولا نستطيع التكهن به ! وكأنك تريد ان تسلك طريقاً غير متوقع.."

بدت ملامح منذر جامدة وهو يرد بطريقة مبهمة " ما زال امامي بضعة ايام لاقرر.."

هذه المرة والده من يسأله " تقرر ماذا ؟!"

فيرد منذر بنفس الملامح

" اقرر ماذا سأفعل بحياتي .. لكني يجب ان انتظر يوم الجمعة ..."

فتحت الام فمها عندما رن هاتف منذر فسارع ليقف على قدميه وهو يحمل الهاتف بيده قائلا لوالديه على عجل

" عن اذنكما.. هذه مكالمة مهمة ..."

تسلق منذر الدرج للطابق العلوي بينما يفتح الخط وهو يقول باهتمام شديد لا يخلو من القلق " مرحباً دينا .."

يأتيه صوتها غريباً وهي ترد " مرحبا ..."

يسألها وهو يعقد حاجبيه " هل انت بخير ؟"

عندها فاجأته بنبرة برود شديد وهي تقول له برسمية " سيد منذر اريد أن اطلب منك معروفاً .."

رد عفوياً " أؤمريني .."

جاء صوتها بنفس النبرة الباردة الرسمية " لا اريدك ان تأتي لزيارتنا ولا ان تتصل بنا ولا ان يكون لك اي مكان في حياتنا ...! "

في نفس الوقت ...

القرية.... بيت عبد الملك

باحة البيت الخارجية..

دلة القهوة العربية وسط النار المشتعلة بينما يكسر عبد الملك المزيد من اغصان الشجر اليابسة ليضيفها فوق النار الملتهبة بينما يناظر ابن عمه بطرف خفي وهو يقول له

" كفاك غضباً لكل تصرف منها ! تكاد تحرقها حية وانت تنظر ناحيتها هكذا.."

تمتم فرقد من بين اسنانه

" اخرس يا عبد الملك .. "

عيناه لاتفارقان النظر اليها وهي تجلس في شباك غرفتها بالطابق العلوي تناظر سماء الليل وكأنها تناجيها ...

وشاحها تطاير ليقع على كتفيها فيكشف شعرها الاحمر و وجهها الوضاء فتبدو كوهج مذنب خاطف ...

اللعنة لماذا تجلس هناك مكشوفة هكذا؟!

يصب عبد الملك من دلة القهوة في الفنجان فيقدمه له وهو يقول بتأن " انها لا تفعل سوءا.. فقط تجلس في الشباك .."

التفت فرقد ناحيته وعيناه تشعان بلهيب الحطب المشتعل ليهدر دون سيطرة

" قلت لها ان تتحشم .. افهمتها أكثر من مرة انا في قرية ..."

ما زالت يد عبد الملك ممدودة نحوه بالفنجان ليحثه بالقول

" اشرب قهوتك وصل على رسول اللّه..."

اخذ الفنجان من يد ابن عمه وهو يعاود النظر ناحيتها فيراها الان تتكئ بذقنها على يدها وعيناها شاخصتان للسماء الشاسعة ...

بدت له شديدة الانعزال .. مختلية بنفسها عن كل ما حولها .. بدت بعيدة .. بعيدة جدا كنجمة اذا مددت اصابع يدك نحوها فلا تطولها الا وهماً وخيالاً...

داهمه شعور بالضيق فيهمس بالصلاة على الرسول

" اللهم صل على محمد واله وصحبه وسلم..."

فجأة رآها تستدير خلف ظهرها كأنها تلتفت لاحدهم يناديها ثم تتحرك لتختفي بعيدا عن الشباك ...

أخذ يرتشف من فنجانه بينما يسرح بحاله اليوم معها .. يومهما الاول في بيت عبد الملك كان انتقاماً اولياً منها ...

قضى النهار يلاحق وجودها المتنقل في بيت عبد الملك .. يداري بفشل ذريع حاجته ان يراها وهو من سيفارقها خلال ثلاثة ايام لا

اكثر ... فيعجز عن منع نفسه وتسعى عيناه لمرآها الذي سيحرم منه ...

ساعة يراها عند التنور الطيني خلف البيت تساعد نسرين بعجن وخبز الرغيف القروي فلا تفعل الا ان تتلاعب بالعجين هي ونجمة لتوبخهما نسرين سوياً وهما تردان عليها بالضحك المستمر ..

لكنها حالما تلتقي عيناها بعينيه يسكن نظراتها البرود وتشيح جانباً بعيدا عنه...

اول رغيف انجزته فرحت كالاطفال لكنها رفضت ان تعطيه منه وأبعدته عن متناول يده عندما مدها ليقتطع جزءا من الرغيف الساخن..

نظرتها الباردة اليه أذابت قلبه شوقاً !

توسلها لقطعة صغيرة من رغيفها فتقترب بوجهها منه وترفع حاجبيها قائلة بنفس البرود " لا ... "

ثم هرولت بالرغيف مبتعدة لتتوجه لغرفة العمة عجمية وتقدمه لها لتتذوقه تاركة اياه يتنهد حسرة لقرب حقيقي منها !

يموت فداء لرغيف من يديها ...

وساعة يجدها تغيب عن ناظريه فيلتاع قلبه ليبحث عنها كالمهووس حتى يجدها اخيراً في غرفة نجمة منبطحة على ظهرها واثنين من صيصانها يتقافزان فوق بطنها ثم يسرحان



حولها وتلاحقهما نجمة لتمنعهما الهرب والاختباء تحت السرير ...

اما الصوص الثالث فكان قد استكان منكمشا حول نفسه فوق صدرها ، مستقراً بكسل هناك ومغمضاً عينيه ..

كانت تتجاهل وجوده في غرفة نجمة بينما تكلم الصوص الثالث الملتصق بها وهي تمسد على زغبه الاصفر قائلة بعذوبة حانية

" لماذا انت كسول هكذا اليوم يا فوفو ؟ ام انك تحب البقاء ملتصقاً بي هكذا ؟"

(فوفو .. توتو .. جوجو) ثلاث اسماء ألصقتها بصيصانها وبإرادة طفولية عنيدة ..

يكاد يتخيل صدمة من يعرفها بالعاصمة لو رأوها بهذا المنظر الآن وهي تدلل صيصانها ! مؤكد لن يصدقوا انها هي نفسها هاجر الاحمدي ..

هو فقط من كان يعرف بوجود كل هذا داخلها ... كل هذه العاطفة الجائعة للانتماء..

كم هو غبي ! يتذكر مقولة تصف حاله

" ان كنت لا تدري فتلك مصيبة وان كنت تدري فالمصيبة أعظم "

وهو من الغباء انه كان يدري ..

يدري لاعمق اعماقها ..

غبي يا فرقد ... غبي ..

" فرقد ..."

ارتفع رأسه مع مناداة اخته نسرين التي خرجت للتو من البيت تناديه بنبرة صوت أقلقته ..

تمتم وهو يضع الفنجان جانباً " ماذا هناك ؟"

فتقف نسرين وعيناها دامعتان بوضوح لتقول بتأثر شديد

" احد صيصان هاجر ... مات ..."



الجمرة الخامسة والعشرون

العاصمة .. بيت هيثم الجراح ..

يقف شامخ الملامح في الباحة الدائرية الخارجية للبيت والهواء البارد يتلاعب بشعره يبعثره بينما يضع كلتي كفيه في جيبي بنطاله الجينز الانيق ...

بلوزته الزرقاء انعكس لونها في لهيب زرقة عينيه وهو يراقب دخول زوجته بسيارتها..

واثقاً مسيطراً غامضاً لكن من الداخل ينبض قلبه اشتعالا ...

لقد غابت منذ الظهيرة وها قد قاربت العاشرة حتى عادت للبيت ...

اربكته وظن انه تمادى معها صباح اليوم في المؤسسة ولم يتصرف بذكاء وهو يضغط على عاطفتها لتضعف ...

ترجلت من سيارتها برشاقة بعد ان ركنتها بمكانها المخصص ثم أخذت تتهادى نحوه بخطوات واثقة ...

يضيق هيثم عينيه يحاول استكشاف ملامح وجهها لكن ظلال الظلمة حجبتها ..

مرت اللحظات بطيئة وهي تتجه نحوه حتى أشرق وجهها عندما أنارته حزمة ضوء حالما وقفت قبالته..

يراها كيف تنظر اليه بسكينة مقلقة لتلقي التحية وشعرها الناعم يتطاير بخفة الريش

" مرحباً ..."

يمد يده وتلامس اصابعه خصلات شعرها المتطايرة بينما يقول بنبرة ذات معنى مبطن

" تأخرتِ كثيراً .."

ترد بنفس الثقة والسكينة والهدوء

" اتصلت بك مرتين لاطمئنك .."

كان يجاهد قلبه القلق .. يجاهده حتى لا يؤثر على تصرفاته معها ولا يظهر ضعفه امامها..

شهرزاد امرأة رقيقة لكن حالها كحال البشر اذا لمست ضعفاً استغلته ...

ما زالت اصابعه تعبث بشعرها بينما يقول بسيطرة تامة فيها نبرة توبيخ حازم

" الاولى قلتِ انك في .. (مشوارك المعتاد) .. والثاني قلتِ انك تحتاجين لخلوة قد تطول لبضع ساعات ... "

ترك المعاني تأخذ مساحتها من ادراك زوجته فيكون ردها عليه حكيماً في امتصاص نقمته وممتناً بصدق له

" وانت كنت كريماً وصبوراً حقاً لتمتنع عن السؤال او .. المحاسبة لغيابي حتى هذا الوقت من المساء.."

جزء خفي من شخصه يظهر بشكل خطر غامض وهو يقول لها بعينين نصف مطبقتين

" هل تظنينه كرماً مني ؟! اظن انك ما زلتِ ببراءتك تجهلين جانباً من شخصي ..."

أسبلت اهدابها وتهز كتفيها قائلة بنوع من الاستسلام الرقيق " ربما ...."

اصابعه التفت حول عنقها وهو يطالبها بافصاح اكبر " اذن ...؟"

ردت وهي ما زلت مطرقة النظرات وكأنها تختلي بنفسها للتباحث الاخير قبل الافصاح امامه " اريد أن نتحدث .. هناك بعض الامور الهامة ابلغك عنها .."

صوتها كان انثوياً جدا لكنه جاد تماماً وهي ترفع نظراتها اخيرا قائلة بعينين براقتين

" أنا قررت بشكل نهائي ... قررت.. أن أبقى معك ..."

لم يستجب هيثم لفورة الفرح العفوية التي اجتاحت قلبه العاشق فما زال عقله يورد له اشارات مقلقة فيصمت متأنيا بردة فعله وهو ينتظر الاهم منها ولم يخِب حدسه وهي تضيف بنفس النبرة الجادة والنظرات البراقة كسحر الليل البارد هذا

" لقد وصلت لهذه القناعة المُرضية بعد ان أمعنت النظر في تحديد اسبابي .. "

سأل بتنبه كامل " وما هي اسبابك ؟"

فاجأته وهي تأخذ نفساً عميقاً وكأنه قطعت مشواراً طويلاً لتلتقط انفاسها في آخره !

نظرت اليه نظرة ذائبة متفردة تشع سحراً غير عادي ودون ان تتكلف عناء ابرازه لتقول بسلاسة وشموخ تلقائي " انا اريد البقاء لأجل نفسي فقط وليس لاجلك ولا حتى لاجل صقر.. اريد البقاء لاني اشعر بالسعادة معك .. لأنك ترضي انوثتي بغرامك وترضي كرامتي بتمسككك بي وبسعيك الدؤوب للحفاظ علي وعلى بيتنا وابننا.."

قلبه كان يعصف في صدره وعقله يسجل الكثير بينما تضيف بمزيد من الشموخ والتحرر والمطالبة في ذات الوقت

" وأنا استحق منك كل هذا وأكثر يا هيثم لانك لم تمنحني الكثير في السنوات الثلاث الاولى من زواجنا .. جعلتني اعيش اسوأ مشاعر تنتاب أي امرأة .. انها ليست (امرأة كافية) في عيني زوجها وحبيبها ... فكانت خيانتك مجرد تحصيل حاصل ..."

اسمها خرج من بين شفتيه بتوتر بينما تتصلب اصابعه حول عنقها الخمري " شهرزاد .."

اوقفته عن اي محاولة ليبادر بالكلام قائلة بحزم " دعني أنهي كلامي يا هيثم .."

يضيق عينيه وتتصلب ملامحه هذه المرة وكأنه يستعد لتلقي ضربات غير محسوبة فتضيف هي

" عليك ان تعلم امرا أشد اهمية.. في اللحظة التي سأتوقف فيها عن الشعور بالسعادة معك انا سأرحل دون رجعة ... لا يهم السبب .. سواء كان خيانة جديدة ..أو اهمال .. أو اي سبب آخر ... في كل الاحوال سأرحل ..."

عيناها هذه المرة اظلمتا تماماً ...

لقد كان فعلا هذا قرارها الاخير الذي لن تتراجع عنه مهما حصل ... لقد صبرت حتى استجمعت كل دواخلها بنفسها ثم قررت .. ولتؤكد له ما يدور في خلده قالت

" وصلت لقناعتي هذه بعد الكثير والكثير من التفكير والاستشارة واحمد اللّه اني املك القوة والقدرة لاستقل وانفصل عنك دون معاناة بينما هناك الآف النساء عاجزات عن فعلها لاسباب لا تحصى ..."

هواء شديد البرودة عصف به وأرعد اوصاله ...

كابوس قديم انتابه يوماً أنه سيموت وحيداً بعيداً عن شهرزاد ...

كابوس جاءه وهو يقظ عقب وفاة والدها مباشرة .. كابوس ايقظه لينظر حوله بشكل مختلف .. ليعيد حساباته في اختياراته في هذه الحياة ...

وتظل هي نسمته الرقيقة فتخفف عنه (هلعه غير المعلن) بالقول والوعد الصادق

" من جهتي سأفعل كل ما يجعل حياتنا سعيدة هانئة .. سأحبك وارعاك وسأنجب منك مزيدا من الاطفال اذا شاء الله "

تنهيدة طويلة خرجت من صدره وكأنه لم يستطع احكام سيطرته عليها ...

انها احدى لحظات ضعفه النادرة امام شهرزاد..

وعلى قدر ما يرفض الضعف على قدر انه لا يستطيع كتمانه اللحظة !

تمتم وهو يميل لشفتيها بعاطفة تذيب الصخر

" هذا افضل جزء سمعته حتى اللحظة .."

وقد اذابها وذاب معها وحرارة قدها النحيل تلتحم به يضمها اليه ويتشرب دفئها وسط برد الليل ... تتمتم شفتاها من بين شفتيه

" هيثم ...."

هدير انفاسه يسبق صوته وهو يقول بشغف

" احكي ما شئت وحتى الصباح شهرزادي ... هذه الليلة لن انساها طوال حياتي ... اعدك.."

وقد كانت لا تنتسى لكليهما ..

ليلة عجيبة حيث الانتصارات بمذاق الخوف..!

لقد فاز ... فاز وعادت شهرزاد ملكه بشكل ثابت وحقيقي ..

لكنه دفع الثمن باهظاً ...

الثمن كان أن يمنحها مقبض سكين نصله الحاد موجه لقلبه ...

ستظل دوماً تحمل ذاك السكين في يدها ولن تتوان لحظة عن غرزه في صدره متى ما توقفت عن شعور السعادة معه...

من قال ان الحياة غير عادلة فقد صدق ..

ومن قال ان لكل شيء ثمن قد صدق أكثر!

بيت منذر الطحان ..

عاري الصدر يقف امام وسط غرفته يحدق في ذراعه المربوط بضمادات ..امتدت الضمادات البيضاء من ظاهر كفه وحتى مرفقه ..

عقله لا يفتأ يفكر بدينا .. لا يفتأ يتخيلها تقف وسط غرفتها تحدق ربما مثله بضمادة بيضاء تلف كتفها الايمن .. وربما حتى حدود رقبتها.. ان كانت تظن انها بمكالمتها المقتضبة ومطالبتها اياه ان يبتعد عن حياتها أنه سينفذ ببساطة فهي واهمة .. واهمة وغير مقدرة للوضع بشكل صحيح ...

" هل تحتاجني بني في شيء آخر بني ؟ ربما اساعدك في ارتداء ملابسك ؟"

يلتفت منذر نحو والدته التي تقف قرب سريره بعد أن أصرت على تبديل الشراشف للمرة الثانية خلال هذا اليوم وهو تركها تفعل ما تشاء فلم يكن في مزاج ليعترض او يجادل..

ملامح وجهه تبدو أكثر خشونة وتجهماً في عيني والدته المدققتين .. لا تعلم ماذا يجري مع ولدها ! لا تعلم هذه التغيرات التي تتفاعل داخله وتجعله مختلفاً عن (منذر) الذي تعهده...

رن هاتفه فيتقدم منذر نحو المنضدة الجانبية لسريره وهو يقول لامه بهدوء " شكرا لكل شيء اماه .. لاتقلقي سأتدبر أمر ملابسي بنفسي.."

تطلع لشاشة الهاتف وعبس قليلا ..

ما بين دهشة واحساس بعدم الرغبة في الرد !

سألته امه بفضول وبعض التذمر

" من يتصل بك الآن ؟!"

يرد منذر وهو يستعد لفتح الخط

" انه رجل اعرفه .. مستشار اقتصادي في مؤسسة الجراح .. دعيني ارد عليه .. تربطني به .. علاقة شخصية .. ولا بد انه يتصل ليطمئن علي أكثر.."

فهمت الام رغبته بالانفراد لتنسحب وهي تتنهد وتخفي قلقاً امومياً لا قبل لها بالسيطرة عليه ...

حالما أغلقت أمه الباب كان منذر يرد على المكالمة " سيد طاهر .. مساء الخير .."

يأتيه صوت طاهر الاحمدي قائلا ببعض الحرج للاتصال بهذا الوقت

" مساء الخير منذر .. اعتذر عن الاتصال المتأخر .. أعلم انك ربما تحتاج للراحة وانا ازعجك لكن ارتأيت ان أتصل للاهمية .."

شعر منذر بوخزة تأنيب الضمير وإن كان مصحوباً بشعور عجيب اقرب للرغبة بانهاء الحوار بأكمله !

نأى بمشاعره جانباً ليقول باحترام وتقدير حقيقيين " انا الذي اعتذر سيد طاهر .. كنت مشغولا صباحاً ولم اسأل باهتمام عن تفاصيل موضوع هاجر و..."

تفاجأ منذر بمقاطعة السيد طاهر وبنبرة فيها نوع من الحدة او ربما وكأنه يقطع عليه اي تمادٍ في الكلام عن هاجر ليقول طاهر

" لم أكلمك لاجل هاجر وعودتها بني .. وانت غير ملزم بالسؤال والاستفسار عنها .. هاجر ملزمة مني انا وحدي ..."

صمت منذر للحظات واحساس طفيف بالراحة يخفف عنه وطأة قرارات أهم يفكر فيها بينما يترك لطاهر الاحمدي حرية الافصاح عن سبب مكالمته ليضيف الرجل باسلوبه الذي يعبر عن رقيّ خاص بشخصه

" لقد اتصلت بك لاجل موضوع اخر تماماً يخصك انت .. طوال النهار كنت افكر هل هناك حاجة لاخبرك ام لا .. لكني لم استطع الخلود للنوم ووجدت من واجبي ان اطلعك عما وصل الى مسامعي حتى تأخذ حذرك ولا تتفاجأ .."

عقد منذر حاجبيه وهو يتساءل بتوجس

" آخذ حذري ؟! ماذا تقصد ؟!"

عندها اتسعت عينا منذر عندما سمع الاجابة

" الموضوع يخص اخبار وشائعات حول الحادث الذي تعرضت له بالامس مع ... الفتاة ..."

قرية الشيوخ.. بيت عبد الملك

أتاها فرقد راكضا على الدرج حتى وصل غرفتها ليقف عند حدود بابها المفتوح وضجيج قلبه الهادر يشق صدره ..

يراها وسط الغرفة جاثية على ركبتيها تفرد كفها والصوص الميت يتوسط راحتها البيضاء..

شفتاها ترتعشان بشكل عجيب وعيناها جاحظتان متحجرتان بنظرة صدمة.. لامعتان بدموع شفافة لم تفارق جفنيها المحمرين ...

لم تكن تحدق في الصوص ..

لم تكن تحدق فيه ..

ولا في نجمة الباكية قربها و لا في اخته نسرين التي لحقت به ووقفت جواره عند الباب..

لم تكن تحدق في شيء الا في شعورها هي ... شعورها بالموت ...

قلبه أخذ يتقطع أرباً من الوجع لوجعها ..

يكاد يلمس بيده وجيعة قلبها ...

لم يكن الامر مجرد صوص صغير ..

ابداً ليس مجرد صوص ...

التفت لاخته ليهمس لها بصوت خشن النبرات

" خذي نجمة واتركاني معها .."

هزت نسرين رأسها ونادت على ابنتها التي كانت تقف قرب القفص حيث ينام الصوصان الباقيان جنب بعض ...

غادرت نجمة مع امها التي حاولت مواساتها بينما يغلق فرقد الباب ليقترب من هاجر...

جثا على ركبتيه قبالتها وهي لا تشعر بوجوده حتى فيناديها همساً بلهجته القروية وبنبرة تفيض حنان الدنيا وما فيها

" يا هاجر الحشا .. انظري الي .."

بعض الحياة دبّت في نظراتها وهي تحولها نحوه

ابتلع ريقه هامساً لها " اعطني اياه هاجر .. "

كان يمد كفه بحذر قرب كفها وهو يحثها بالقول

" اعطني اياه .. أنا سأعتني به لا تخافي .."

جزع قفز من عينيها وهي تتمتم كما الثكالى " ماذا ستفعل به ؟ لقد .. مات..."

فيقبض على قلبه الملتاع ليقول بصبر



" لأنه مات .. فيجب ان تعطيه لي ..."

فهمت ما ينتويه .. تغيرت ملامح وجهها في ثانية لتهتف بضراوة متوحشة وهي ترفع يدها تضم الصوص الميت الى صدرها " لا ..."

حاول ان يفتح فمه ليقول ما يقنعها فتسبقه لتضيف بنفس الشراسة

" لقد خذلت فوفو ولم أفهم ما يعانيه .. طوال الوقت .. طوال الوقت كان ينازع ! .... "

اطرقت بنظراتها للصوص الميت الذي تضمه لصدرها فتهمس بنبرة مفجوعة " لن أخذله وأتركه يفارق يدي الا للتراب .. أنا من سأدفنه.. ولا احد غيري سيلمسه ..."

كانت نبرات صوتها ترتفع مع كل كلمة بينما تتحرك بانفعال لتقف على قدميها وتسير حافية القدمين حثيثاً ناحية الباب ...

يلحق بها فرقد منادياً اسمها ويحاول لمس كتفها ليوقفها عندما صرخت به " ابتعد ..."

فتحت باب الغرفة واخذت تهرول لاهثة وفرقد يلحق خطواتها وهو يكاد يجن قلقاً عليها ...

في الحديقة اختارت مكاناً منعزلاً في زاوية لتجثو على الارض ثم اخذت تنبش الطين نبشا باصابعها تحفر حفرة صغيرة ...

عاجزا عن فعل شيء الا الجلوس قربها وهو يراقبها بوجع لا يقل عن وجعها كيف تحفر بانفاس متسارعة انفعالا هستيرياً ...

ثم بكل حذر تضع الصوص في الحفرة ويدها ترتعش...

حالما وضعت (فوفو) في حفرته سحبت يدها لصدرها وكأنها تتلمس مكان دفئه حيث كانت تضمه اليها للتو ..

للحظات ظلت تحدق في منظر الصوص وهي عاجزة عن ردم الطين فوقه ...

فما كان من فرقد الا أن مد يده واخذ بهدوء يردم الحفرة ...

وكأنه منحها عزيمة لتكمل ما بدأته فتمد يدها وبنفس الهدوء تردم معه ...

لا يصدق ما تفعله به !

لم يدفن حيواناً في حياته ولم ينتابه اصلا اي شعور كهذا الذي يشعره الآن ...

وكأنه يردم جزءا منها !

وآآه لو تعرف ما تعنيه (هي كلها) له...

هبت فجأة لتقف على قدميها لكن هذه المرة لم تكن تهرول .. بل تسير حافية القدمين بخطى بطيئة شاردة تائهة ...

وسط توهانها لم تعرف طريق العودة الى داخل الدار حتى قادتها يده التي امسكتها من اصابعها البادرة ...

في الغرفة تمددت على جانبها فوق السرير وعيناها تحدقان بصمت في الفراغ حتى أغلقتهما ...

أنفها محمر وفمها ما زال يرتعش ...

احضر فرقد وعاء عميقاً من الماء الدافئ

ليجلس قربها على حافة السرير ثم تناول احد

كفيها واخذ يغمره داخل الماء ويغسله

بالصابون ليزيل آثار الطين ... وعندما انتهى

جفف يدها واصابعها ودون شعوره يرفع تلك

الاصابع لشفتيه يلثمها..

يفعل المثل بيدها الاخرى وهي مستسلمة

مغمضة عينيها دون اي ردة فعل ...

اخيرا حمل الوعاء والتفت لقدميها ينظفهما

وهو يمسحهما بطارف المنشفة بعد ان بللها ...

بعد ان انتهى حمل الوعاء والمنشفة للحمام

ثم عاد اليها ...

أطفأ النور الا من اضاءة خافتة قبل ان يلتحق

بها لينام جوارها على السرير ..

مرت دقائق يحدق في ظهرها وقلبه منقبض..

فكرة راودته وجعلته يجزع ..

مد ذراعيه نحوها يحاول ان يديرها ليضمها الى

صدره عندما انفجر كل شيء ..!

اهتاجت هاجر بشكل غير مسبوق ..

انفعال جسدي عنيف ونوبة بكاء .. بل عويل

رهيب ...

لم تكن تنطق بما هو مفهوم حتى .. فقط

تنطق بكلمات متقطعة .. تضربه بقبضتيها

تخربشه باظافرها واخيراً عضته باسنانها فوق

مكان الجرح مباشرة حتى كتم صرخته....

لكنه لم ييأس وهو يواصل محاولاته المستميته ليضمها لصدره قائلا لها بصوت مرتعش خشن " اهدئي .. انتهى الامر .. لقد مات الصوص .. اعلم ما يعنيه لك .. اقسم بالله اعلم .. لكنه مات .. اهدئي .. اهدئي .. انا معك .. "

وأخيراً اخذت تنهت انهاكاً وقد استقر جبينها على صدره ...

كان يعرف انها استكانت لصدره لا عن رغبة منها لكن لانها استنزفت تماماً...

دموعها الساخنة اغرقت صدر جلبابه طوال الليل ... انها ليلتها الثانية على التوالي التي تقضيها في بكاء لا يتوقف ...

انها ... تعيسة .... هنا ...

وهو سبب تعاستها ...

وهو سبب تعاسته ..

رباه ما اشقاه من رجل !

صباح اليوم التالي

تنظر للهاتف ووجهها خلا من كل تعبير بعد مكالمة علياء (المغرضة) لها ..

تقف وسط المطبخ الصغير للشقة وصوت الماء الفائر في أبريق الشاي على النار يشوشها فتفلت منها الافكار ولا تستقر في اتجاه ...

تغمض عينيها ويدها ترتفع قرب كتفها
المصاب تتحامل على الألم بينما عقلها يدور
في افلاكه المرعبة

(ماذا سأقول لأبي ؟! ماذا سيحدث لنا ؟ ماذا ..
سيحدث لي ؟)

اشتد الالم فتتحرك بانفاس متقطعة تبحث
عن المسكن وهي صابرة متجلدة ..

ابتلعت حبتين دفعة واحدة وشربت الماء على
عجل سعياً لمفعول المسكن ...

وضعت قدح الماء على الطاولة الصغيرة
لتنساب اصابعها حتى حافتها المعدنية
تعتصرها وغصة مريرة تخنقها ...

أجفلها رنين جرس الباب فخفق قلبها بعنف
وهي تتوقع الاسوأ ! أطفأت النار تحت الابريق
وهرولت بخطواتها المتعثرة لغرفتها فترتدي
مبذلا وتغطي شعرها بالحجاب ثم عادت
مهرولة ايضا ناحية باب الشقة تفتحه قبل ان
يستيقظ والدها ..ان كانت هناك اخبار
سيئة فلا يجب ان تصل اليه ..

لم تصدق ما رأته عيناها عندما فتحت الباب ..

تمتمت اسمه بصدمة " منذر ؟!"

ببدلته الانيقة واطلالته الوسيمة وقد بدا
كأن لم يمسسه سوء !

ولولا طارف الضماد الظاهر من كفه الايسر اسفل كم القميص لما صدقت أنه اصيب بحروق رهيبة معها ...

ابتسم بهدوء وبدت نظراته غريبة بعض الشيء وهو يلقي التحية بثقة قائلا

" صباح الخير دينا ... اعتذر للمجيء باكراً .. هل يمكنني الدخول ؟ "

تمالكت نفسها وخنقت كل احساس انثوي يأبى ان يفارقها كلما كان منذر قريباً منها ..

لا يعقل ما تشعره نحوه !

ولا يعقل ان تستمر بالتمادي فيه ...

بعد كل ما حصل انتهى كل شيء ...

انتهت الى الابد كل امالها واحلامها التي بهتت عبر السنين .. انتهت وقررت ان تعيش الواقع يوماً بيوم وان تواجه المشاكل الآنية فقط وتتأهب لها فلا قبل لها ولا قوة لمواجهة مشاكل المستقبل البعيد ..

واولى هذه المشاكل .. سمعتها و... قلبها المتورط ...

قالت بعصبية وهي تشد على حافة مبذلها

" سيد منذر اظن اني بالامس كنت واضـ..."

صوت والدها علا من جانب باب غرفته

" من أتانا بنيتي ؟ "

وقبل ان ترد دينا كان الاب يضيف مرحباً بشوشاً عندما اكتشف هوية الزائر المبتسم بحبور

" يا اهلا ومرحباً بك ولدي .. جئت في وقتك.. تعال وشاركنا الافطار .. "

التفتت دينا بوجهها لوالدها ويدها تتشبث بمقبض الباب تحاول جهدها منع منذر الدخول فتدعي كذباً

" منذر مستعجل ابي .. يجب ان يذهب لعمله .."

جاء صوت منذر جذلا رخيماً مناغشا حتى وهو يقول " في الواقع انا مستعجل فعلا .. لكن لإتمام موضوع آخر تماماً ..."

بحركة حادة عادت دينا بوجهها ناحية منذر فتنظر الى وجهه الوسيم وقلبها يقرع بجنون وسط صدرها فتتساءل بنبرة انفعالية تؤثر فيها العاطفة التي تشعرها نحوه

" اي موضوع ؟!"

عيناه الرماديتان في عينيها وبدا لها وكأنه .. وكأنه .. ينظر اليها بشكل مختلف ! وكأنه يفتح باباً مختلفاً للنظر بينهما... وكأنه في حالة دهشة مما يرى .. في حالة فضول لمعرفة المزيد .. في حالة عزم لا يلين !

لم تستطع دينا فهم ما يحدث خاصة وهو لا يرد بشيء بينما يقترب صوت والدها قائلا من خلف ظهرها معاتباً اياها

" ما هذه الضيافة يا ابنتي ؟! نسأله من عند الباب ؟! دعيه يدخل اولا .."

عينا منذر انتقلتا بنظراتهما للاب فيقول بابتسامة تفيض تقديراً واحتراماً

" أنا جئت وكلي أمل ان اصبح من اهل البيت لا ضيفاً عماه ..."

بدا الاب مشوشاً بعض الشيء وهو يبتسم في وجه منذر ابتسامة لا تخلو من ... الامل !

بينما منذر يعيد نظراته لوجه دينا الذي اصبح ممتقعاً ليضيف بنبرة واضحة قاطعة

" جئتك طالباً يد ابنتك واتمنى ان احظى بقبولها ورضاها.."

قرية الشيوخ .. بيت عبد الملك

كان ممتناً انها تنام على جانبها ووجهها اليه..

على الاقل يستطيع ان ينظر لوجهها يعانق بعينيه تلك الملامح التي تشكل امرأته ..

في لحظة ما اثناء الليل ابتعدت عن حضنه بنوع من الرفض الانفعالي لقربه منها ..

ولم يستطع النوم بعدها ولم يستطع فعل شيء الا النظر لوجهها .. هكذا دون شبع او ارتواء..

إنه مدرك للقادم وان لم يكن يستطيع تحديد تفاصيله ... وكل ما يستطيع فعله الآن ان ينتظرها تستيقظ لترسم هي له تلك التفاصيل..



مرت الدقائق تتبعها أخرى وهي ما زالت في سكونها تنام بعمق على جانبها جواره ..

انسابت اشعاره العفوية من حنجرته لتلفظها شفتاه فيقولها بنبرته القروية التي تفيض شجناً وعشقاً وهياماً

" شقيّ في الهوا من ينتظر على حر الجمر ، نظرة الحبيب اليه ويعلم لن يرى فيها الا الأهوال ..

شقيّ في الوصال شقيّ في الجفا ، سيان بين الاثنين ما دام ذاك الحبيب ينشد للفراق موّال"

رمشت بعينيها على نبرات صوته وببطء فتحت عينيها ليطل لونهما النرجسي لامعاً بانعكاس ضياء شمس الصباح ...

ابتسامة منه تذوب في عشق الجمر الذي يتقلب فيه ليهمس لها " صباح الخير .."

لم ترد عليه ...

كانت لحظة سكون طويلة ..

ربما هي المرة الاولى التي تستيقظ هكذا جواره في الصباح لتفتح عينيها وتراه امامها يلقي تحية الصباح ...

كان يعلم انها ستتجاهل سماعها لاشعاره فيها ولم يكن يهمه الامر كثيراً ..

هو يقول الابيات بعفوية ودون تفكير او غرض ..

يقولها فقط ليترجم لوعته في العشق ..

وكأنه يحاكي جزءا منه ..

لم ترد حتى تحية الصباح بينما تواصل تحديقها الصريح فيه ..

وكانت نهاية لحظات السكون التي لن ينساها كلاهما عندما قالت بنبرة واضحة لا لبس في الاصرار فيها " اريد العودة للعاصمة ...اليوم .."

أظلمت دواخله وانطفأت روحه وزأرت فيه رجولته واحترق بلهيب الفراق قلبه ..

هي ما زالت امامه لكنها تفارقه ...

تمتم بصوت أجش " حاضر ... "

لا زالت تنظر اليه وكأنها تقول له (انظرني وانا افارق .. انظرني فليس لحبك فارق !)

بسيطرة على الذات أضاف " سنغادر بعد الظهر.. سأذهب وأحضر باقي اغراضك بنفسي من بيت الشيخ .."

ومضة ضعف أنثى نبضت فيها وهي تتمتم " فستاني الابيض ......"

اللعنة على الرجولة التي تفرض عليه ان يعتقها ! اللعنة كيف سيفلتها مع فستانها الابيض ....

رد وهو يجاهد ذاته

" سأحضر كل شيء لك لا تقلقي .."

بنبرة تشبث طفولي هذه المرة قالت

" سآخذ جوجو وتوتو معي .."

(خذي قلبي معك ايضا باللّه عليك واريحيه من عذابه..)

يبتلع ريقه وكأنه يبتلع الصخر ليكتفي بالهمس الأجش " مؤكد ..."

ارتعش صوتها وهي تهمس بوجع رقيق

" لم يكن .. مجرد صوص .."

يتملى في وجهها ليرد " اعلم ..."

عادت للحظات السكون بينهما ...

تنظر اليه دون ان تبعد نظراتها ...

كأنها كانت تعلم بمدى عذابه لفراقها فتسقيه مرارته أكثر وهي تحفر روحها وملامحها في رجولته ...

أخيراً قالت " ارفع ساقك عن ساقي .."

للحظة شعر بالدهشة !

لم يشعر حتى أنه رفع ساقه ليضعها فوق ساقها! متى فعل ؟!

يبعدها ببطء وهو يقول بصدق

" أأ .. اسف لم انتبه .. انها مجرد عادة .."

عندها اغمضت عينيها وهي تتمتم

" اعلم ..."

العاصمة

بيت منذر الطحان

تنظر الام بانشداه لولدها .. تنتظر منه في اي لحظة ان ينفي ما قاله للتو ...

لكن منذر ما زال على وقفته التي تشع إصراراً وثباتاً بينما الاب يقف جوار الام بانشداه أقل..

أخوه حازم بدا متوتراً وان حاول جهده ان لايبدِ انفعالا حتى يفهم ابعاد الموقف الذي تقف فيه عائلته الآن بعد تصرف منذر المتهور غير المدروس...

تمتمت الام وهي تنقل نظراتها من منذر للاب

" انا لا اصدق انك فعلت هذا يا منذر ! لا اصدق ..! جابر أفعل او قل شيئا بالله عليك.."

حاول الاب جهده ان يخرج من حالته ليكون عقلانياً وهو يكلم ولده الاصغر

" بني لا يمكنك طلب فتاة للزواج لانك مشفق عليها .."

عبس منذر وبدا متفاجئا بعض الشيء وهو يقول بدفاعية

" من قال اني مشفق عليها ابي ؟! انا اقدرها كما تستحق ولن أجد بمثل عفتها وقوتها واخلاقها وكرم اصلها ... يكفي ما تفعله لاجل والدها ليعبر عن معدنها الاصيل .."

تدخل حازم وهو يحاول مع اخيه " منذر انت تتسرع بشكل غير مقبول وغير منطقي .. انا لم أعد افهمك على الاطلاق .."

التفت منذر لاخيه ليرد عليه ببساطة

" لماذا ؟! ألم تنصحني سابقاً ان اختار الزوجة التي تناسب مبادئي وافكاري ورؤيتي للحياة ؟ دينا لديها كل هذا واكثر ... انها فخر لأي رجل ترضاه زوجاً .."

شعر حازم بالغيظ ليواجهه بالسؤال الذي لم يستطع كتمانه أكثر " وماذا عن هاجر ؟"

تمتمت الام وهي تنظر لبكرها تتساءل يغلبها التيه " من هي هاجر ؟!"

ثم تنقل نظراتها لولدها الاصغر تسأله

" هل هي الفتاة التي احببتها مؤخرا واردت الزواج بها ؟!"

قبل ان يرد منذر سبقه حازم وقد بلغ انفعاله أشده قائلا بانفلات وعصبية " نعم اماه .. هي .. ولانه اكتشف انها سبق وتزوجت قبله ودون ان تخبره من البداية اصيب باحباط شديد كما يبدو ليختار بديلا عنها اي فتاة يلتقيها في الشارع ! "

تقبضت يد منذر فيرد على اخيه وهو يحاول ان لا ينزلق للانفعال معه " دينا ليست (اي فتاة التقيتها في الشارع) .. هل تراني مجرد غبي أحمق اسير في الشارع بحثاً عن عزاء ! لن انحدر لهذا المستوى من قلة النضج يا اخي.. "



زفر حازم انفاسه بقوة وهو يحاول استعادة هدوئه بينما يحول منذر عينيه لامه قائلا بنظرات تلمع بالرضا والصدق

" انا مررت بتجربة اماه وخرجت منها بقناعة جديدة .. اريد حياة صلبة بقواعد راسخة صحيحة مع امرأة كدينا .. تنجب لي اولادا وتربيهم على نفس مبادئها التي تعجبني .. هل اخطأت في هذا ؟! "

تدخل الاب وهو يحاول السيطرة على الوضع واتجاه الحوار ليقول " حسن حسن .. لنتوقف قليلا لاني اظننا تهنا عن النقاش الصائب ..."

ساد الصمت للحظة او لحظتين قبل ان يضيف الاب باحثاً عن مخرج لهذه المعضلة العويصة

" لو كانت دينا هي مجرد فتاة التقيتها واعجبتك كزوجة كنت سأرتضي خيارك.. لكن الآن وبعد الفضيحة التي حصلت والتشوه الذي حصل للفتاة سواء في.."

قاطعه منذر بانفعال " لا تشوه ابي .. سأفعل المستحيل لتتلقي دينا علاجات تمحو الاثار .. وان كنت تقصد التشوه في السمعة فالفضيحة التي حصلت انتظر عليها بضعة ايام وستموت .."

حاول حازم بوجهة نظر عقلانية

" زواجك منها سيؤكد وجود علاقة مشبوهة بينكما جعلت خطيبها السابق ينتقم منكما.."

بنفس الانفعال بل وأشد رد منذر

" هو ليس خطيبها ولم يكن يوماً .. ولن اتركها تواجه الناس بمفردها وهم يتهمونها في شرفها وينهشون عرضها بسببي .. يلوكون سمعتها بقصص حقيرة قذرة معي .. بل انا كنت السبب ايضا فيما تعرضت له من اعتداء .. انا من ألححت عليها لتذهب للمحامي أدفعها دفعاً لترفع قضية ضد عدي .. وانا من كنت معها هناك امام المبنى اثير جنون عدي ليتهجم عليها بغية تشويهها وتدمير مستقبلها..."

هتفت الام باستهجان للفكرة

" اذن تتزوجها لشعورك بالذنب نحوها ؟! رباه منذر .. لا يمكن ان يبنى الزواج على شعور كهذا .."

فيرد منذر بإصرار " لثاني مرة اقولها امي .. انا اتزوجها لاني مقتنع بها .. لاني لن أجد انظف ولا اطهر منها .. اتزوجها لاني اريد حمايتها من مجتمع مريض لا يسكت عن تشويه الاعراض الا اذا فقأت عينيه باصابعي وواجهته بارتباط مقدس يخرس الألسن .. كوني اشعر بالذنب لما حصل لها بسببي لا ينفي اقتناعي واعجابي بشخصها.."

بدا الثلاثة قد عجزت حيلتهم عن ايجاد منطق يقنعه فيؤكد منذر موقفه وهو يوجه كلامه بمنتهى الجدية والثبات لوالديه

" امي ابي ... انا لن اتراجع عن الزواج بدينا ..
هي الانسانة التي اريد حقاً الارتباط بها لآخر
العمر ... مهما كانت الاسباب التي تعتقدونها
لكني لم أتخذ هذا القرار لشعور ذنب او
اشفاق .. بل لاني مقتنع تماما بهذا الارتباط من
كافة الاوجه ولصالح جميع الاطراف "

بدأ يشعر بالوجع في ذراعه المصاب فيحني
رأسه ووجه دينا الممتقع لا يفارق خياله ...
لقد التزمت الصمت التام حالما أعلن عن
رغبته بينما تهلل وجه والدها بالبشر والفرح..

لتنسحب هي دون ان تضيف كلمة بينما يطلب
منه الاب اعطاءها مهلة للتفكير بعرضه...

في مكان ما داخله شعر منذر ببعض الوخز ..

فقط الوخز ان دينا قد ترفضه ...

عاد لواقعه حيث عائلته التي يواجهها الآن
ليضيف " في مطلق الاحوال هي لم تقل (نعم)
حتى اللحظة وربما كل نقاشاتنا هذه لن
يكون لها قيمة اذا رفضتني .."

عاد الوخز لينتشر هذه المرة في كل جسده ..

شقة دينا ضياء الدين

تحيط جبينها بكفها وهي تجلس على سريرها
يرتعش جسدها رغماً عنها بينما تواصل هتافها
الرقيق الانفعالي

" لن ارضَ والدي .. ابدا لن أرضَ .."

يقترب من السرير وهو يتوكأ على عصاه حتى جلس جوارها ليحاول ان يكون فكاهياً مرحاً دون ان يخلو كلامه من جدية التساؤل

" يا فتاة اتعبتِ قلب الحجوج .. فقط ردي علي بكلام افهمه .. لماذا ؟! فقط اخبريني لماذا ترفضينه ؟"

تجاهد حتى لا تصرخ باكية بينما ترد على والدها بوجع " ابي هل ترضاها لي ؟ هل ترضى ان اتزوج من رجل لانه .. مشفق علي ! "

عبس الاب وبرز طبعه العنيد وهو يرد عليها

" لا بد انك مجنونة لتفكري هكذا ! هل يوجد رجل كمنذر يتزوج من فتاة شفقة ! "

هبطت كفها لحجرها وأخذت تضرب على فخذها بانفعال وتهتف " ولماذا اذن ؟ ما هي اسبابه ؟ ولماذا الآن تحديداً؟! "

بدا الاب للحظة متعجباً !

هذا الارتعاش والانفعال من ابنته غير عادي ..

ويشعر بالبلاهة حقاً لان يستقبل منها اشارات تشوشه !

دينا ابنة عمره وتربية يديه ..

وسط كل هتافاتها الرافضة الانفعالية الا ان التماعة عينيها والشحنات والارتعاشات تخبره بأمور اخرى ...

لم ير ابنته يوماً بهذا الانفعال العجيب ..

لم تكن المرة الاولى التي يخطبها فيها الشبان وفي كل مرة كانت تبدي خجلاً وحياء طبيعيين .. لكن الآن ... الآن تبدو وكأنها في هستيرية مشاعر !

فجأة شعر بالغيرة ! غيرة اب على ابنته ..

أتكون صغيرته تحرك قلبها ناحية منذر الطحان الوسيم هذا ؟!

ألهذا تبدو منفعلة مرتعشة و .. هل وجنتاها محمرتان ؟!

عبس وهو يحاول جهده ان يلعب دور الاب الصالح

" رداً على اسئلتك البلهاء فالجواب لانه عرف معدنك الاصيل عن قرب .. ولانه من اصل طيب علم ما سيفوته ان تركك تفلتين من بين يديه .."

ليزداد عبوسه وهو يضيف بغيرة

" لقد بدأت اشعر أن عليه اقناعي اولا لاوافق على افلاتك من حضني ! من يحسب نفسه ليأتي ويأخذ صغيرتي من حجري ؟! "

رغماً عنها ضحكت وأفلتت دمعة على خدها فتمسحها وهي تقول بهمس مرتعش

" انت .. تحاول فقط اقناعي عبر اسلوب رومانسي غير واقعي .."

يمط فمه جانباً وكأنه ممتعض ثم يرد على كلامها بالقول

" بعيدا عن مدى جدية محاولاتي الآن لاقناعك الا انك لا تفهمين الرجال يا بنيتي.. فثقي بشيبات ابيكِ وفكري بمنذر الانسان هل يلائمك ام لا .. واي اسباب سخيفة أخرى تمنعك ارميها في حوض غسيل الصحون اغسلها لك واعيدها نظيفة من الترهات .. "

اغمضت عينيها واطبقت فمها وبدت مغتاظة مرتبكة تفيض انوثة عذبة بينما الاب يراقب وجنتيها المحمرتين بمزيد من ..الغيرة !

هذا الطحّان سرق قلب ابنته ...

لو كان بقوته لكان لكم وجهه الوسيم لفعلته هذه بقبضة من حديد...!

مع شمس العصر ...

في الطريق بين القرية والعاصمة

أرخت الوشاح الاسود عن رأسها لتخلعه حتى شعت حمرة شعرها لتلهب قلبه !

أتبعت الوشاح بالعباءة السوداء لتزيحها عن جسدها وتظهر ملابس (المدينة) التي ترتديها تحتها .. بلوزة خفيفة فوق بنطال جينز ...

تقلصت اصابعه حول مقود السيارة وهو يفكر بقهر انهما لم يصلا العاصمة بعد وها هي تخلع عنها رداء القرية ..

الا يمكنها ان تصبر أكثر لتذكره بعودتها لعالمها حيث سيفارقها ..

أدارت وجهها جانباً بعيدا عنه تنظر من شباكها الجانبي وهي تحيط ذراعيها حول جسدها كمن يشعر بالبرد فسألها بصوت أجش

" التدفئة لا تعمل .. هل تشعرين بالبرد ؟"

تهز رأسها نفياً .. لكن ارتعاشة جسدها تفضحها .. يعلم انها من النوع الذي يبرد سريعاً لكنها ترفض الاعتراف وتتصرف معه بعنادها الطفولي المعهود ...

مد ذراعه للخلف يتلمس مكان سترته الجلدية الملقاة على المقعد الخلفي حتى وجدها فيسحبها ويضعها على حجرها قائلا

" ارتديها هاجر .. ستمرضين .."

تأففت بخفوت لكن لحسن الحظ لم تجنح لمزيد من العناد لتتقبل سترته وترتديها فوق بلوزتها ...

ابتلع ريقه وهو ينظر اليها .. دفء سرى في اوصال رجولته وهو ينظر لسترته تحتضنها..

سألها بنبرة دافئة " هل اعجبك الصندوق الخشبي الذي وضعت فيه الفستان الابيض وهدايا العرس ؟ انه هدية من عجمية ارسلته لك مع عبد الملك.."

ردت بنبرة عادية وهي ما زالت لا تنظر ناحيته " انه مذهل... يحزنني اني لم استطع وداعها وشكرها .. كانت نائمة عندما دخلت غرفتها لاخر مرة ..."

اصابعها تلامس الجلد الاسود للسترة بشرود
فتستقر نظرات فرقد على تلك الاصابع التي
يهواها بينما يسمعها تضيف بشجن

" لكني سعيدة لاني ودعت والدتك وراضيتها
ولو بكذبة عن حاجتي للسفر لرؤية والدي..
لم أكن اريدها غاضبة مني وانا اغادرها ...
كانت طيبة معي رغم كل غرابة تعارفنا
وتقاربناخلال الاسابيع الماضية.."

التفتت فجأة نحوه واصطدمت عيناها بعينيه ..

عيناها مغلفتان بنظرة باردة قتلته بينما تقول
على حين غرة " نسرين اخبرتني بالامس عن
حكاية خالك علوان مع ... شيماء ... "

اعاد نظراته للطريق الممتد امامه بينما عضلة
في وجهه ترتعش وهو يحاول جهده إخفاء ردة
فعله بينما تضيف هي " لقد اتهمته انه ..
افسدك .. هل صحيح هذا ؟"

صمت للحظات يحاول أن يسترخي ...

حكاية خاله علوان ما زالت تؤثر به .. خاصة
وقد باتت ترتبط بطريقة او بأخرى بحكاية
قلبه هو وجمرات روحه ...

قال معترفاً وعيناه تميلان بالنظر اليها للحظة

" ربما هو فعل .. لكن دون قصد منه .."

بدت فضولية وهي تصر على السؤال

" كيف دون قصد ؟ "

أرخى فرقد رأسه للخلف وهو ينظر للطريق بعينين نصف مغلقتين بينما يفضفض بماضٍ مؤلم مع خاله لم يسبق أن أخبر به احداً من قبل

" كنتُ يافعاً عندما ذهبت لاعيش معه في العاصمة .. حياته كانت مؤلمة وهو غارق بآلامه لا يشعر به أحد .. اشفقت عليه كما لم أشفق على انسان في حياتي .. شاركته اول كأس خمر عندما سالت دموعه امامي .. اردت ان اشاركه وجع قلبه وروحه .. لقد توسل الي لأفعل .. كان مخمورا وظل يتوسل وكأنه لم يعد يحتمل مرارة الكأس دون شريك يتجرعه معه .."

ليأتي صوت هاجر حاداً ساخراً " وهل اجبرك على النساء ايضا .. انا اعلم انك كنت تعرف الكثيرات.... قبلي .."

لم يبال بسخريتها فيرد معترفاً بنفس النبرة

" الامور السيئة تجر بعضها ... تبدأ بكأس ثم تجرنا للرذيلة .. لكني أتحمل مسؤولية اختياراتي .. ولا احملها لخالي ابدا..."

لتفاجئه مرة جديدة بسؤال لم يخطر بباله أنها ستسأله

" ما الذي جعلك تترك الخمر حقاً ؟"

بسلاسة اوقف السيارة على جانب الطريق الترابي ثم التفت نحوها ليرد على سؤالها بقلب شجاع نابض بعشق العمر " انتِ ..."

ظلت تحدق فيه وهي تطبق شفتيها بينما يضيف هو

" كنت تكرهينها بشكل شخصي جدا .. "

جرح أطل من عينيها .. جرح غائر من عمق طفولة بعيدة لا يرى تفاصيلها سواه ...

سألها بنبرة خافته " هل اذاك والدك يوماً لانه كان مخموراً ؟ "

تصلبت ملامحها واتسعت عيناها لكنها سرعان ما عادت لبرودها وهي ترد بنبرة كالصقيع

" لم يضربني في حياتي ولم يضرب امي حتى .. لكن .. اغلب الشجارات الكلامية العنيفة بينهما كانت تبدأ حالما يعود البيت تفوح منه رائحة الخمر .. وربما حتى رائحة النساء !"

امسك بيدها المتوترة ليضمها لصدره وهو يقول بصوت أجش حار " هاجر ... انا لم أقرب امرأة اخرى مُذ وقعت عيناي عليك وعشقتك..."

سحبت يدها بعنف من أسر يده لتتقوقع على نفسها وهي تحيد بوجهها بعيداً قائلة بنبرة غامضة " يبدو ان كلانا مكتوب عليه ان يدفع ثمناً غالياً لعشقك المجنون لي يا فرقد.. "

اعتدل فرقد في جلسته وشغل محرك سيارته ليقول بنبرة عاصفة " ربما ......"

انطلق مرة اخرى في الطريق لكن بصمت مطبق هذه المرة ...

كلاهما صمت .. وكلاهما يتوجع ..

وكلاهما يدفع الثمن و... سيدفع المزيد...

وعلى مشارف العاصمة نطق فرقد اخيراً بجملة مقتضبة

" سنصل بيت عمك خلال ثلث ساعة.."

انكمش قلب هاجر وهي تدخل اجواء العاصمة .. وكأنها تدخل عالما غريباً عنها نسيت ملامحه .. عالم منفصل تماماً عن العالم الذي كانت فيه في قرية الشيوخ ..

لا تعلم لماذا شعرت بنفس شعورها المضطرب المرتعب عندما كانت طفلة وحيدة تدخل المدرسة لاول مرة في حياتها ...

العاصمة

شقة طاهر الاحمدي

جاء صوت طاهر الاحمدي ثابت النبرات

" اتركينا لوحدنا لو سمحت .. ولا تخبري سهر الآن .. الاثارة الزائدة ليست جيدة لها وهي قد تلد في اي لحظة .. سأخبرها بنفسي فيما بعد"

هزت حياة رأسها وهي تغادر غرفة المكتب دون حتى ان تلقي نظرة جديدة على هاجر ..

كان واضحاً جلياً ان صدمتها من عودة هاجر مع (زوجها السابق) اكثر من صدمتها من اي شيء آخر حدث ؟

غادرت حياة غرفة مكتب زوجها الذي كان يظهر قمة التماسك في حالات كهذه ..

يحدق طاهر الاحمدي في ابنة اخيه بتمعن خاص .. يدرس ما يراه بعناية .. شعرها المربوط للخلف وقد استطال وعاد لحمرته الوهاجة .. وجهها الـ... مختلف !

كلها بدت مختلفة وغير تقليدية ... بملابسها البسيطة .. السترة الجلدية (الرجالية) .. قفص للصيصان تحمله بين ذراعيها وكأنها تحمل أثمن ما تملك ..!

لغة جسدها التي تستنجد تلقائياً بحماية الرجل الغامض الشامخ الواقف جوارها والذي كانت لغة جسده في المقابل تعبر عن منتهى التأهب للدفاع عنها حتى الموت بل يبدي حتى استعداداً للهجوم إن لزم الامر...

لم يكونا متلامسين لكن حتى الاعمى يرى ذاك الرباط الخفي الذي يجمعهما بشكل يفوق التصور وقدرة الاستيعاب بعد كل ما حصل بينهما في الماضي القريب..

سأل طاهر بنبرة شديدة البرود لا تخلو من القسوة " اين كنتِ ؟"

سبقها فرقد ليرد بعنفوان وكبرياء " كانت معي طوال الوقت .. في قريتي ومع عائلتي .."

عينا طاهر كانت تنتقلان بتركيز شديد بين الاثنين وهو يمارس سياسة ضبط النفس بكل طاقته فيسأل بنفس النبرة موجهاً كلامه لابنة اخيه " هل هذا صحيح يا هاجر ؟"

ردت هاجر وهي تتشبث بالقفص الذي تحمله

" نعم عماه ..."

ثم حادت عيناها للحظة ناحية فرقد مضيفة بصوت خافت " لقد عدنا لبعض و.. اقمنا العرس ..."

تتسع عينا طاهر بنظرة جمود بينما يسمع فرقد يقول بنفس النبرة " عرس كما يليق بها من البداية ..."

هدر طاهر الاحمدي " وهل يليق بها اقامة عرس دون وجود ابيها وعمها وباقي عائلتها ؟! "

بدا فرقد كمن يفترش صدره ليتلقى الهجمات كلها فبادر للقول معترفاً بشجاعة

" انا اتحمل مسؤولية هذا .. الخطأ كله مني انا وحدي وانا على أتـ..."

تفاجأ الرجلان عندما قاطعت هاجر كلام فرقد قائلة بشجاعة تضاهي شجاعته

" الخطأ مني ايضا عماه .. التقيت بفرقد وانا مسافرة ثم اقترح علي ان اقضي فترة مع عائلته وفي قريته .. فوافقت دون أن أخبر احدا منكم .. أردت فرصة جديدة .."

التفت فرقد متفاجئاً ناحية هاجر بينما هي تستمر بقول المزيد وبكل ثقة

" ثم تصالحنا هناك واقام لنا والده عرسا .."

تقبضت يد طاهر وضرب بها على سطح مكتبه ليقول وهو بأشد حالات الصدمة

" والده أقام عرساً ؟! هكذا ببساطة ؟ هل هانت عليك نفسك مرة اخرى يا ابنة اخي ؟! ألم تتعلمي الدرس من تجربتك الاولى ؟! تعودين لزوجك دون ان تخبرينا وتشاركينا الرأي والمعرفة ؟ هكذا وكأن لا أهل لك تحفظين لهم قيمتهم ومنها قيمتك انت.."

كان فرقد متشنجاً بالكامل بينما تبرر هاجر ببعض الارتباك " صدقني لم أخطط لشيء .. الامور جرت هكذا .. ولم استطع الاتصال بك .. انا .. انا اخبرتك سابقاً ان هاتفي تعطل .. ولم أجد وسيلة ..."

تدخل فرقد لينهي صراعها للتبرير ويتصدر الموقف قائلا " يكفي هاجر.. هذا خطئي انا فقط وليس خطأها يا سيد طاهر .. أردت ان تعود زوجتي لي وخفت ان افقدها وتتراجع ان اتصلت بكم فتصرفت بانانية وطيش وهي لم يكن بمقدورها الرفض بعد الضغوط التي حاصرتها بها ... "

ثم أخرج فرقد ورقة من جيبه ليتقدم ناحية العم مضيفاً " تفضل سيد طاهر .. هذه ورقة زواجنا .. والشاهدان اخي الاكبر ناصر وابن عمي عبد الملك .. كما اخبرتك الخطأ مني .. الامور اخذتنا سريعاً هناك .. ثم أصر والدي على العرس والاحتفال .."

ارتدى طاهر نظارته الطبية وجلس على كرسيه وهو يقرأ بتمعن عقد الزواج وكل تفاصيله ..

بتأن يقرأ التواريخ والمكان واسماء الاشخاص ويربطهم بما اخبراه به للتو...

منذ ان فتح باب الشقة ليصدم برؤية هاجر امامه وبصحبة (فرقد الشيخ) وكل القطع تجمعت في رأسه وكوّن صورة مبدئية ..

يعترف ان جزءا منه ارتاح نسبياً ..

كان ينتظر فقط تأكيداً لظنونه حتى يستوعب ابعاد تلك الصورة التي كونها مبدئياً ويبذل ما في طاقته لتدارك الوضع مهما كان سوءه ...

وضع طاهر عقد الزواج جانباً وخلع نظارته ليضعها فوقها ثم وجه كلامه لفرقد متسائلا

" واين والدك ؟ الا يفترض ان يأتي على الاقل اليوم ليعتذر عن اقامة عرس ابنة اخي دون وجودي او وجود والدها؟"

رد فرقد " ابي اصيب بطلق ناري صبيحة ليلة العرس .. هناك من اعتدى عليه .."

بدا طاهر مصدوماً مشوشاً للحظة وهو يتساءل

" ماذا ؟! طلق ناري ؟! "

فيطمئنه فرقد بالقول " لا تقلق سيد طاهر .. ابي سيكون بخير .. سيغادر المستشفى غدا.. لذلك أنا سأعود الى القرية الليلة "

ضيق طاهر عينيه وهو يحدق في وجه فرقد اولا ثم وجه هاجر الممتقع ليتمتم

" حمدا لله على سلامته .. لكن زيارته لنا واجبة ..."

أطرق فرقد بنظراته للحظة مما اقلق طاهر لكن فرقد قال بهدوء

" مؤكد ... لكن ليس بهذه الفترة .. انا مضطر للسفر لتركيا خلال يومين فقط او اقل .. عملي ينتظرني هناك وقد انتهت اجازتي... ربما سأغيب لشهرين او .. ثلاث .. قبل ان استطيع العودة في اجازة جديدة .."

ثم رفع نظراته لينظر في عيني طاهر الاحمدي قائلا بقرار قاطع

" هاجر ستبقى هنا معك .."

ارتفع حاجبا طاهر قليلاً بينما يسمع همسة الاعتراض من هاجر

" فرقد.. سنتكلم عن هذا لاحقاً .."

فيراقب طاهر كيف يرد عليها زوجها بنبرة لا تقبل الجدل

" ستبقين هنا يا هاجر .. مع عمك وحضن عائلتك ... لن أرضى لزوجتي ان تعيش بمفردها .. من جديد .. وهذا أمر لا نقاش فيه .. "

ظلا يحدقان ببعض وطاهر يراقبهما دون ان يشعرا لتكون الغلبة للزوج وهاجر تتمتم

"نعم"

ما زال طاهر يراقب بأشد حالات العجب والانبهار عندما رأى فرقد كيف يتبسم لوجه زوجته وكأنه يكافئها كطفلة محببة قائلا لها بنبرة خاصة مؤثرة " عندما أعود في اجازتي القادمة .. سنتكلم أكثر ونرتب الامور بما فيه مصلحتك .. اريدك ان .. تكوني مرتاحة ووسط اهلك حتى اطمئن عليك وانا .. بعيد .."

خيط من مرارة شاب صوت فرقد والتقطها طاهر دون ان يفهم السبب ؟

هل هذه مرارة ان يفارق زوجته لبضعة أشهر ام ان لظواهر الامور بواطن اخرى يجهلها ..

جاء صوت طاهر واضح النبرات

" يجب ان نرتب اولا لامور الاعلان عن عودتكما لبعض وربما حفل بسيط مساء الغد في احد مطاعم الفنادق المشهورة نظراً لضيق الوقت واحتراماً لاصابة والدك .. لكن الاعلان واجب في العاصمة ..."

رد فرقد بالتزام " مؤكد سيد طاهر .. سنعلن للجميع وسأطلب انزال الخبر في الجرائد المحلية ايضا ... كل معارفنا في العمل سنوصل لهم خبر العرس ..."

عندها قال طاهر وهو ينظر لهاجر

" لقد خسرتِ عملك في المؤسسة .."

توتر واضح من فرقد بينما ترد هاجر بلا اهتمام " توقعت شيئا كهذا .."

ليسارع فرقد قائلا باندفاع " القناة الاعلامية ستفرح بعودتك .. وهذا أنسب لك .."

ليفاجأ طاهر هذه المرة بلا مبالاة من هاجر ناحية زوجها وهي ترد بغموض مُحير

" سأفكر .."

بدا فرقد أشد توتراً وهو يناظرها بعينيه نظرات تبرق بالعواصف بينما هي تمرر اصابعها فوق القفص تتجاهله ...

لم يعد طاهر يفهم حقيقة العلاقة بين الاثنين ... ! انها أعقد بكثير مما يظهر منهما معاً اللحظة ..

بتلك العواصف التي تهب منه قال فرقد من بين اسنانه

" ارتاحي قليلا الرحلة اتعبتك.. سأعود بعد ساعة او ساعتين .. لدي أمور مستعجلة أفعلها وسأعود بعدها لنتكلم .."

وقف طاهر على قدميه قائلا

" اظننا نحتاج جميعاً لكلام مطول .. لا اتخيل انك تظن ببساطة ان تأتي هكذا بصحبتها لتخبرني بعودتكما لبعض واقامة العرس وتنتظر مني تقبل الامر .."

ارتفعت عينا هاجر نحو عمها تناظره بشعور ذنب واضح وهي تعض شفتها السفلى ..

يرد فرقد وهو يخفي حقيقة احساسه

" مؤكد سيد طاهر .. وجودك الليلة ضروري لنا انا وهاجر على السواء "



لم يفهم طاهر ما قصده فرقد لكن شعر بأهمية الامر لديه ..

في كل الاحوال يجب ان يفكر بحكمة وان يختار بعناية ما يصب بمصلحة هاجر ...

إن كان فرقد صادقاً بضرورة سفره لاجل عمله في تركيا فإن طاهر يحتاجه كي يجبر هاجر على البقاء في بيت عمها ...

التفت فرقد ناحية (زوجته) التي تلتزم الصمت وهي غارقة بتفكير عميق ليقول لها

" اراك .. قريباً.."

ثم بحركة حادة انفعالية ابتعد عنها ليقترب من طاهر يمد كفه قائلا

" أعلم اني ارتكبت اخطاء لا تغتفر بحقك وبحق هاجر .. لكني لا استطيع اعادة الزمن للوراء .. كل ما استطيع فعله أن احاول بكل طاقتي التعويض .. حتى لو .. خسرت صفحها .. الا اني اتعهد امامك أني سأسندها وأحميها بحياتي لاخر لحظة في عمري .."

صافحه طاهر وهو يعيش اشد حالات الذهول مما يجري ..

غادر فرقد دون ان ينظر لهاجر ..غادرها وهو غير قادر على النظر ..تركها بعهدة عمها وهو يكاد يقتل نفسه قهراً .. كيف أفلتها ؟!

ظلت هاجر تحدق في اثر فرقد واصابعها تتشنج بعنف حول القفص ...

نظراتها اليه خليط عجيب من نار غضب موجه نحوه ولهيب حاجة ضارية اليه !

لم يكن طاهر حتى اللحظة بقادر على ان يمسك زمام الامور بشكل تام ..

عودتها المبكرة للعاصمة فاجأته ولم يكن مستعداً كفاية خاصة مع ما تحمله معها من مفاجأت تحتاج منه لجهد مضاعف حتى يستوعبها ويتعامل معها ..

تحرك طاهر من خلف مكتبه ليقترب من ابنة أخيه الشاردة بنظراتها في إثر زوجها الذي رحل ليواجهها بنبرة صارمة

" ماذا جرى معك يا هاجر ؟ "

ارتج القفص بين كفيها وأخذ الصوصان يطلقان اصوات فزعة وهي تحاول تهدأتهما باهتمام شديد !

كان طاهر يراقب هذا المشهد الذي لم يشهد له مثيلاً مع هاجر من قبل ...

لم يرها يوماً متعلقة بأي حيوان او طير ...

ولم يفكر يوماً ان يشتري لها هدية كهذه حتى عندما كانت طفلة ..

سهر دوماً كانت مقياسه دون تفكير .. وابنته المدللة لم تكن من النوع الذي يجيد الاهتمام بالحيوانات.. قد تحبها لكن لم تكن من النوع الذي يحب الاعتناء بها ...

وعفوياً وجد طاهر نفسه يحذف هذا الخيار من قائمة هداياه حتى لابنة اخيه !

فكان يحضر لها ما يحضر لسهر ...

لقد كان يحضر لها ما تحبه سهر !

اي غباء هذا ؟! هل ظن انه بهذا يفرحها ؟!

عاد طاهر لهاجر يحاول استعادة تركيزه وسط هذه التخبطات والاكتشافات التي تعتريه ..

يعاود سؤاله ببعض الانفعال

" اخبريني هاجر .. ماذا حصل بالضبط؟"

بعد ان هدأ الصوصان استجابت لعمها وهي تتكلم ببعض التعثر

" تقصد العرس ... في قرية الشيوخ ؟ سأريك الصور حالما يرسلها لي فرقد ... لكن هاتفي ليس معي الآن .. اقصد احتاج لجهاز جديد .. "

يضيق طاهر عينيه وهو يرميها بنظرة ذات معنى قائلا ببعض السخرية الحانقة

" على الاقل هو كان معه هاتف ليلتقط لك الصور .. هذا جيد .. اذن لم تكونا منقطعين تماماً عن العالم !..."

أدركت ما يقصده عمها لترد عليه بصدق

" عماه ارجوك .. لا تسألني عن التفاصيل لاني لن أجد ما يقنعك او يبرر تصرفاتنا انا وفرقد ... "

وضعت القفص على الارض وهي تتمتم بكلمات خافته رقيقة لصوصيها ثم تعود باهتمامها لعمها معترفة بالقول

" الامور خرجت عن السيطرة منذ تلك الليلة التي .. تركت فيها شقتي .."

أصر العم " اخبريني عن تلك الامور ..."

أخذت تمسد على جبينها وكأنها تحاول التذكر بصعوبة ! ثم أخذت تتكلم بطريقة غريبة وكأنها تعاني لتجمع الاحداث بتسلسل مفهوم " كنت قد قررت السفر تلك الليلة .. ثم التقيت بفرقد .."

طاهر كان بقمة تركيزه ليجد ثغرة واحدة في كلامها فيسأل بتدقيق

" لكن فرقد كان في تركيا ؟"

فترد بمنطقية واقناع " كان قد عاد في اجازة لزيارة عائلته .. ألم يخبرك للتو ان اجازته انتهت ؟ "

فيواصل طاهر تساؤلاته الشكوكة

" وانت التقيته هنا .. في العاصمة ..؟! هكذا فجأة في نفس الليلة وانت تحزمين حقيبتك لتسافري بعد خلاف مصيري مع منذر ؟"

نظراتها بدت مرتبكة وهي ترد

" لقد كان بانتظاري .. امام المبنى .."

يعبس طاهر مستفهماً

" تقصدين انه عاد ليصالحك ..؟"

فردت متشجعة وكأنه يعينها على ترتيب الاحداث في رأسها " نعم .. نعم .. هذا ما حصل.. لكني كنت بحالة سيئة جدا.."

لا يعلم لماذا يشعر بالغرابة من اجوبتها .. من ارتباكها .. من شعوره وكأنها تائهة في احداث عاشتها قبل بضعة اسابيع لا اكثر !

ماذا يحصل معها ؟! ما الذي تخفيه ؟

سألها عمها " هل اخبرته عن منذر ...؟"

ردت دون تأخر " نعم ..."

فيسأل بتوقع " ولهذا اقترح عليك ان تذهبا معاً لقريته ..؟ "

تسارع للرد مرة اخرى " نعم ..."

اخذ ينظر في عينيها ويشعر انه لن يعرف هذه الفتاة ابداً ...

لم يكن يوماً بقادر على قراءة كل اختلاجاتها ولا حتى ان يحزر كذبها من صدقها ..

عليه ان يعترف انه كان مجرد (عم لطيف) بالنسبة لها .. عم يشفق عليها من اهمال والديها فيعوضها باحضار هدايا تعجب ابنته لا تعجبها هي !

شعور بالذنب والضيق سيطر عليه فيسألها ببعض الخشونة " كيف كان العرس ؟"

عندها استرخت ملامحها تماماً التمعت عيناها بسعادة حقيقية وهي تقول بصوت عذب

" لم أحلم يوماً بعرس كهذا ... كان خيالياً عماه .. القرية كلها احتفلت .. والاطفال كانوا يغنون في الطرقات .. والدته واخواته البنات كنّ طيبات معي .. وقد شاركن جميعهن بخياطة ثوب زفافي الابيض المنقوش بإسمي.. ليس هن فقط بل كل نساء القرية شاركن بالخياطة .. وكأنهن يمنحن العروس مباركتهن وبهجتهن ..."

هذه الفتاة لا تكف عن مفاجأته ...

هل هذه حقاً هاجر التي يعرفها منذ ولدت ؟!

هل هذه هي الفتاة الجريئة المتهورة المتحررة بشكل لا يرضيه ؟!

لا تبدو في عينيه الآن بأكثر من صبية حالمة ! تغرق بتفاصيل العرس العاطفية متناسية ما هو أهم بكثير ...

الاهمية الكبرى تكمن في (اقامة العرس) نفسه ووسط اهل زوجها ومباركتهم وتأثيره الايجابي على سمعتها وقيمتها بين الناس ...

ترا هل اكرموها هناك ؟ ام هل استهانوا بها؟

سأل طاهر وقد انتابه قلق ما

" لماذا اصيب والد فرقد بطلق ناري ؟ هو شيخ عشيرة اليس كذلك ؟ "

ردت بعفوية المعرفة والاجواء التي اعتادتها لاسابيع " نعم .. هو شيخ عشيرة الشيخ .. اكبر عشائر قرية الشيوخ .. "

فيسأل بمزيد من القلق

" اذن كيف ولماذا اصيب ؟ هل لديهم ثأر او شيء كهذا ؟!"

لتطمئنه بالقول " لا تقلق عماه .. لقد حصلت مشاكل مع عشيرة الضاري واحدهم تهور.. لكن انتهى الامر على خير بصلح عشائري "

ارتفع حاجبا طاهر وهو يعاود التحديق فيها ..

ليعبر بقول يحمل تساؤلاته الداخلية

" عشيرة الشيخ .. عشيرة الضاري.. وصلح عشائري ! اصبحت متمرسة بحديث العشائر .. وكأنك اصبحتِ منهم بطريقة ما ! "

احمرت وعيناها تطرقان ناحية الصيصان فيلحظ تلك النظرة منها ليضيف بتساؤل

" وما حكاية الصيصان معك ؟!"

شهقة رقيقة ناعمة صدرت عنها وهي تهمس بوجع يمس القلب " انهم صيصاني ... احضرهم فرقد لي .. كانوا .. ثلاثة .. مات ...فوفو.. بالامس ..."

ثم فاجأته وهي ترمي بنفسها على صدره تحتضنه بقوة تناديه باشتياق رهيب

" عمااه ... لو تعلم كم مرة احتجت لحضنك هذا ... البارحة لم افكر الا بك انت .. وفي الصباح لم احتمل البقاء اكثر فطلبت من فرقد ان يعيدني اليك .."

كل ما قالته واحتضانها له بهذا الشكل اضعفه بل جعل بعض الدموع تتجمع في عينيه فيحتضنها في المقابل قائلا بعزم

" هذه المرة لن اتركك ترحلين وتعودين للعيش بمفردك .. "

رفعت وجهها اليه فيرى دموعها الغزيرة تملأ وجهها فتهمس بمزيد من الوجع " لا اريد .. لا اريد ان اعيش مرة اخرى بمفردي .."

عبس قليلاً بتشكك وهو يتساءل

" لكنك بدوتِ قبل قليل وكأنك ترفضين رغبة زوجك بالبقاء في بيتي ..؟!"

بدت صغيرة وعنيدة كما كانت طفلة وهي ترد باعتراف صريح

" كنت اضايقه بعنادي لا اكثر .."

هز طاهر رأسه ثم رفع يده يلامس باصابعه وجنتها المبللة بالدموع فيسألها بقلق ابوي

" صارحيني بالله عليك بنيتي .. هل تحبينه؟ ألهذا وافقت على الذهاب معه للقرية ثم العودة اليه بعد كل ما فعل معك ؟ لا اعلم ما يجري بينكما لكنك تبدين مختلفة معه .. مختلفة جدا..."

بدت متفاجئة بما يقول ...

شعّت عيناها وتلكأت شفتاها قبل ان تنطقان

" انا اصبحت مختلفة حتى مع نفسي .. "

لتصمت لحظة قبل ان تضيف بقسوة

" لكن .. فرقد يحتاج ان يدفع ثمن ما فعله بي .. وبعدها ربما سأستوعب مدى الاختلاف الذي حصل .."

متى سيفهمها ؟! لا يعلم ...

متى سيكسب ثقتها لتصارحه بكل ما يجول برأسها ؟ مؤكد لا يعلم ...

لكن كما يبدو هي تعلم بما يجول برأسه الآن لتقول له اخيرا

" ثق بي عماه ... هذه آخر مرة اطلب منك ان تثق بي واتمنى ان لا اخيب ظنك هذه المرة ايضا .."

مساء .. غرفة سهر القديمة

وضعت هاجر القفص على ارضية الغرفة ثم تقدمت من ابنة عمها المستلقية على سريرها الوردي والتي ترفض النظر لها وتتكتف ذراعاها بطفولية فوق بطنها المنتفخة ...

جلست هاجر جوارها وعيناها تحدقان في بطن سهر فيخفق قلبها تأثراً ...

طفل ...! هذا طفل من لحم ودم سيخرج قريباً للحياة .. رباااه ما اقواه من شعور ان ينمو داخلها طفل منها تحتضنه في رحمها ويكون لها ..

كفها لا شعورياً لامس بطنها المسطحة فتخنقها الحاجة بأن تشعرها منتفخة بالحياة كبطن سهر ...

الحرارة شعت من وجهها من شدة انفعالها ورغبتها المحمومة لكنها قاومت هذا الاهتياج العاطفي الغريب لتركز في مصالحة ابنة عمها وربما صديقتها الوحيدة حتى لو لم تكن صداقتهما بالقوة الكافية لكن تبقى سهر هي الصديقة الوحيدة التي حظيت بها ..

نظرت بحنان لوجه سهر المرهق ... الحمل ينهكها وهي توشك ان تلد خلال ايام ..

تنهدت هاجر قائلة بصوت رقيق

" سهر ... انظري الي ..."

هتفت سهر بتدللها المحبب " لا تكلميني .."

عادت هاجر لتتنهد وهي تهمس بتوسل صادق

" سهر انا احتاج اليك ... احتاجك جدياً .."

فما كان من سهر الا ان التفتت نحوها وهي تهدر بانفعال انثوي يليق بشخصيتها

" لقد امضيتِ اسابيع تحتفلين بزواجك وسط قرية دون ان تحتاجيني او تفكري حتى باخباري عما يجري معك فلماذا الآن ..؟! "

بنبرة متعبة نطقت هاجر اسم ابنة عمها

" سهر ..."

لكن سهر تواصل افراغ شحناتها الغاضبة بقول المزيد

" قضينا الاسابيع منهارين لانعرف ما جرى لك واين تكونين .. انا كنت ابكي لليال طويلة اتخيل حالتك بمفردك وحيدة منهارة بعد الموقف الذي حصل مع منذر .. بل عشت اسوأ ايام حياتي وأنا ألوم نفسي كيف لم اشعر بما عانيته على يد ذاك الهمجي فرقد الذي اهانك واذلك باتمام زواجه منك ثم تركك ببساطة لتواجهي فداحة ما حصل .. هل تظنين اني كأبي سأتغاضى عن كل هذا لمجرد انك عدت الينا مع عريسك الهمجي ذاك لتبلغينا انك تصالحتِ وأقمتما العرس بين عشيرة الهمجيين من امثاله .. تبلغيننا وكأننا مجرد غرباء عنك !..."

أسبلت هاجر اهدابها لتقول بهمس خافت

" الا تظنين ان ما حصل كان لمصلحتنا جميعاً؟ مصلحتي انا لتصحيح وضعي ومصلحة عمي طاهر ليرفع رأسه وسط الناس .. الا ترين ان فشل علاقتي بمنذر كان اشارة الى اني يجب ان اصلح وضعي مع فرقد اولا ؟ هل كنتِ تستطيعين يا سهر اخبار ياسر ان زواجي من فرقد كان .. مكتملاً في المرة الاولى؟! هل تستطيعين قولها ببساطة اني كنت .. مطلقة في فترة عدة لو علمت بوضعي ساعتها ؟"

كانت سهر في قمة التأثر وهي تسمع كلمات ابنة عمها لتهدر وعيناها تدمعان

" اقسم باللّه لو كان بيدي لأخبرت ياسر حتى يذهب اليه ويخرج احشاءه من بطنه ذاك التيس الهمجي.."

اخذت هاجر تضحك وعيناها تمتلآن بالدموع فتحتضن سهر قائلة بمزاح رقيق " زوجك الجلف اصابك بعدوى كلماته المرعبة.."

فترد سهر وهي تبتعد عنها تمسح دموعها

" وبأسوأ مما تخيلين ! حتى انه ...."

طرقة على الباب قاطعت كلام سهر لتدخل الخالة حياة بنظراتها الصارمة غير الراضية وهي تلقي نظرة اشمئزاز ناحية قفص الصيصان ثم تقول لهاجر بنفس النبرة الخالية من اي تعاطف " زوجك ... حضر ..."

شحب وجه هاجر وهي تقف على قدميها وتقول بغموض " شكرا خالتي حياة ... انا ذاهبة اليه في الحال .."

غرفة الضيوف ...

يجلس على الاريكة متوتراً مشحوناً دون ان ينظر نحوها وكان قد صف كل اغراضها على جانب الحائط في غرفة الضيوف بما فيها الصندوق الاثري الذي اهدته لها عجمية ..

قال بصوت رتيب لا يخلو من بعض الحشرجة

" غداً سينزل اعلان زواجنا في ثلاث صحف .. اتصلت ببعض من نعرفهم في القناة الفضائية وسربت لهم الخبر ايضا فتوقعي في الغد سيتصلون بك .."

اشار لهاتف جديد موضوع على المنضدة البيضاوية امامه قائلا

" هذا هاتفك الجديد وفيه شريحة الخط الخاص بك.. "

سألت ببرود " اين هاتفي القديم ؟"

رفع نظرات مستعرة نحوها ليقول من بين اسنانه " كسرته في لحظة غضب ..."

نظراتهما في قتال متبادل صامت ليضيف هو بنبرة وحشية " لقد محوت كل الرسائل ... واي ارقام هواتف غير مرغوبة نزلت مع تثبيت الشريحة في الهاتف الجديد..."

وضعت ساقاً فوق ساق لتسأل ببرود وعدم اهتمام ظاهري " وماذا ايضا ؟"

قبضة يده نزلت بتشنج فوق المنضدة وكأنه تهديد صامت لتنطق ملامحه الخشنة بذاك التهديد قبل ان ينطقه لسانه

" اذا علمت انك التقيتِ بمنذر الطحان بأي شكل من الاشكال لن يكفيني حتى أن أسفك دماءه .. سأقطع اوصاله امام ناظريك.."

داخلها يتفاعل بشكل عجيب غير مسبوق مع غيرته المجنونة هذه .. تجد نفسها مشحونة بالطاقة الايجابية واللهفة للمزيد ...

ما زالت تقاتله بنظراتها الباردة بينما يضيف هو غير مبال بالبرودة التي تبديها نحوه

" تذكري انك زوجتي فصوني عرضي واحفظي سمعتي وسمعتك معي .."

رفعت حاجبيها لترد بهدوء مغيظ " حاضر ..."

زفر بعنف وهو يرفع قبضته ويضرب بها على فخذه بينما يحيد بنظراته بعيداً عن وجهها قائلا " أنا ساسافر تركيا بعد غد ... الليلة سأبيت في شقتك وغدا فجراً سأذهب للقرية حتى أكون في استقبال ابي غدا عند عودته لبيته.. ثم أعود العاصمة مباشرة لنرتب لسهرة الاحتفال في المطعم الذي اختاره عمك.. سأغيب غدا معظم النهار وربما لن تريننى الا في مطعم الفندق .."

عاود النظر اليها لينبهها على أمر " لا تخبري عمك أني سأبيت في شقتك الليلة لانه سيستغرب لماذا لا تأتين معي .. انا اخبرته اني سأذهب للقرية حال خروجي من هنا وليس فجر الغد .."

تساءلت بنبرة أشد هدوءا " هل انتهيت....؟"

صدره يعلو ويهبط بانفعال شديد ليهب واقفاً على قدميه ويتحرك في الغرفة كأسد جائع فيرد عليها بذاك الانفعال الذي يختلج في صدره " لا .. فهناك الكثير لنقوله لبعضنا يا هاجر .. ويوجد الكثير ايضا لنضع النقاط فوق حروفه .. لكن .. قبله يوجد اعتراف قديم انا مدين لك به ..."

وقفت هي الاخرى على قدميها وبدت ملامحها بمنتهى القسوة وهي تسأله بضراوة " اذن انت تعرف ما انتظره منك .."

كانت تنظر لجانب جسده المتحفز بالانفعال وهي تضيف بمزيد من القسوة الساخرة

" الآن .. في بيت عمي .. وقد اصريت ان تتأكد من وجوده في البيت حين تحدثني .. اظنك تخشى ان تفقد اعصابك وتثور وربما.. تقرر قتلي بلحظة انفعال اذا تذكرت (اسبابك العظيمة) لتنتقم مني ..."

استدار ليواجهها أخيراً والانفعال بينهما على أشده ليشوح بكلتيّ ذراعيه وهو يقول بنبرة خافتة النبرات حادة المعاني " انا اخترت بيت عمك لأمنع نفسي عن اذيتك .. هذا صحيح .. لكني اخترته لاجلك ايضا .. لامنحك القوة والقدرة علي...! "

اتسعت عيناها بينما يضيف هو

" لا اريدك ان تشعري انك .. في موقف أضعف.. عمك هو ظهرك .. اياك ان تفرطي فيه مهما حصل .. الانسان دون عائلة وسند ضعيف .. مهما ادعى القوة سيكون ضعيفاً .."

هتفت به ولم تعد تحتمل " انطق .. اخبرني لماذا؟ لماذا فعلت بي ما فعلت ؟ لماذا انتقمت مني؟ كيف آذيتك لتؤذيني هكذا؟"

وجهه امتقع وتجهم كوحوش البراري الغاضبة لينطق بكلمة واحدة " رافد ...."

الجمرة السادسة والعشرون

هتفت به ولم تعد تحتمل " انطق .. اخبرني لماذا؟ لماذا فعلت بي ما فعلت ؟ لماذا انتقمت مني؟ كيف آذيتك لتؤذيني هكذا؟"

وجهه امتقع وتجهم كوحوش البراري الغاضبة لينطق بكلمة واحدة " رافد ...."

اختل توازن افكارها .. اختل العالم كله من حولها وهي تحدق فيه وتتمتم بصدمة

" ما .... ماذا .. قلت ؟!"

لا شعورياً نطقت اسم (رافد) وكأنها لا تستوعب الاسم من فم فرقد

" رافد ..؟ من .. كيف ..أأ ..."

ما زال وجهه بنفس التعابير المرعبة المخيفة.. بل ان نطقها بالاسم زاده وحشية وغضباً حتى شعرت انه يوشك ان يفقد تحكمه بموجة عنف تضرب دواخله...

قال والكلمات تتكسر على فمه

" هل تريدين ان اخبرك عن ... (طفلتك الغبية المتحسرة على رجل اخر تركها ليناجي .. (طفلته) هو ؟!"

انسحبت الدماء من وجهها وجحظت عيناها وشلل عجيب اجتاح جسدها كما روحها ..

عقلها فقط من يرسل لها اشارات مرعبة يذكرها متى قيلت هذه الكلمات من قبل..

اما فرقد فكان يخوض غمار حروبه الداخلية الطاحنة وهو لا يبتعد كثيراً عما يدور في رأسها فيضيف ساخراً وهو ينبض بالغضب

" ام ربما لن تسعفك الذاكرة وتريدين ان اعيد عليك بعض الجمل كـ (انه مجنون بطفلته ..! اي نوع من النساء هي لتفعل هذا برجل كرافد ؟! كيف استطاعت ان .. تحصل عليه ؟!) هل تذكرين كلماتك هذه يا هاجر ومتى قلتها بالضبط ؟!"

كانت في قمة الاضطراب .. قمة التشوش ..

كيف ؟! متى ؟ من ... أخبره ؟!

همست بحشرجة وهي ضائعة تماماً

" فر.....قد .."

لم يحتمل وهو يقترب بخطوة واسعة نحوها يمسك ذراعيها يغرز اصابعه في لحمها يكاد يمزقها إرباً وقد ثارت جموح الغضب فيه الى اقصاه هادراً " آه (فرقد) .. اذكر جيدا كيف رددت على ابنة عمك وانت تكررين لفظ اسمي وكأنك تشمئزين من حروفه ! انا الذي كنت اختنقك بحصاري اليس كذلك !"

أخذت تهز رأسها في رفض تام للتصديق ..

تهذر بالكلمات

" لا يمكن ... مستحيل .. لا يمكن .."

بذل مجهوداً خرافياً ليتذكر اين هو وتحت سقف بيت عمها يجري هذا الحوار الصاخب بالغضب ورائحة انتقام قديمة كريهة تفوح..

نفضها بعيداً عنه ليتماسك بشق الانفس فتنعصر كل عضلات جسده وكأنه يحبس انفعالاته ليقول بشقاء وهو يبعد نظراته عنها

" بل يمكن هاجر .. يمكن ... منذ ان جئتني يوماً لتخبريني انك غيرتِ رأيك وموافقة على زواجك مني وكنت أشعر ان القادم مهول بيننا ..."

قبضتان تنعصران عصراً الى جانبي جسده ويود لو يحطم كل شيء حوله وهو يشعر بالذل ذاته من جديد ...

يضيف بنبرته الخافتة الخشنة مفصحاً عن اسراره التي طال كتمانه لها

" في ذاك العرس لاخت ياسر كنت اراقبك دون ان يفوتني شيئا منك .. اصرارك ان نذهب معاً كـ(خطيبين) تلك الليلة كان يقتلني حتى دون ان اعرف السبب .. كنت اشعره ولا اعرفه ... وكان ذاك العرس المشؤوم هو لحظة المعرفة .. تركتني وسط الحفل لتلاحقي طيف الرجل .. رأيتك قبلها كيف تنظرين اليه وهو يرقص مع زوجته وانت تظنين اني .. لا اشعر بك ... لا اراك ! وبينما كنتِ مغيبة تراقبينه ساهية حتى عن وجودي جوارك كنت أنا وبكل اذلال اسأل عنه عمك طاهر وعلمت انه رافد الصديق المقرب لياسر وشريكه في المطعم..."



أعاد عينيه اليها فكانتا حمراوين كالجمر الذي ألتهب قائلا دون رحمة لما تعانيه امامه وهي تسمع انفضاح كل اسرارها مع اسراره

" وقفتُ هناك اتشرب المعرفة وجنون الغضب يشتعل .. لقد كنت أشعر بدمائك كيف تجري سريعاً في عروقك وانت تلتهمين رافد بنظراتك .. ثم تستأذنين مدعية الذهاب للحمام لكنك في الواقع ذهبت خلفهما عندما تركا القاعة سوية ... هكذا تركتني ببساطة وسط الحفل أتجرع كأس الذل والهوان ...؟ "

ازداد لهيب الحمرة في عينيه فشعرت بالرعب ان الدماء ستنفجر منهما في اي لحظة ..

لم يحاول الاقتراب مرة اخرى .. وهي تقف مسمرة جامدة تستعيد تفاصيل عرس (سعد وجودا) .. كيف انسحبت تاركة فرقد بصحبة عمها ..

كيف كانت منشغلة تماماً بعيدا عنه حتى انها لا تذكر وجهه .. لا تذكر ماذا فعلا معاً تلك الامسية .. لا تذكر هل تحدثا من الاساس ام لا ...

كل ما تذكره ما حصل بعدها عندما اعادها لشقتها وحاول تقبيلها فصدته ثم رحل تاركاً اياها في شقتها تكتب في دفتر مذكراتها ..

لقد كانت تكتب عن ... طفلتها ! رباااه ...

كان يعلم .. طوال الوقت كان يعلم ...

لقد اتصل بها هاتفيا في نفس الليلة ولم ترد عليه ..

هل لو ردت عليه كان سيخبرها انه كشف سرها ؟! انه يريد انهاء كل شيء بينهما ؟!

لماذا استمر معها ؟! لماذا لم يخبرها ؟

صدح صوته المرعب بالقول المخيف النبرات

" انا الفتات الذي التقمته من قارعة الطريق ..
انا الذي لم يكن في عينيك الا شبه رجل !
انا الذي كان يخنقك بينما كنتِ تبحثين
عن انفاس رجل آخر تتنفسينها بشراهة !"

نظرت اليه شاهقة باحساسه الرهيب الذي اكتسحها فمزقها ! كيف فعلت به هذا ؟!

ليتردد صدى سؤالها من فمه هو

" لماذا فعلتِ هذا ؟! لماذا لم تفهمي ان رجولتي لن تحتمل عبء غباءك وانانيتك؟! لماذا وافقتِ على الزواج بي وانت قلبك متيم برجل آخر ؟! هل أردتِ اغاظته ام انه من الاصل لم يلتفت اليك فأردت ان تردي اعتبارك بأي كان ... اي رجل عابر .... لا يهم .. حتى لو ترينه رجلاً بعيني قلبك وروحك .."

كانت تتلعثم تتعثر تكاد تقع وهي واقفة

" انا .. انا لم ..."

اقترب منها من جديد دون ان يلمسها هذه المرة.. جبينه يميل لجبينها وانفاسه الحارة تلفح وجهها الشاحب قائلا من بين شفتيه اللتين ابيضتا من شدة الغضب

" لم أكن اريدك ان تمنحيني قلبك ببساطة .. كنت راضياً مقاتلاً لأصل اليه مهما طال الوقت ... كنت راضيا حتى بالهزيمة لو لم انجح .. لكن لم احسب حساب طعنة منك في الظهر، لم احسب انك تستهينين بي لهذه الدرجة..."

عجز كامل أصابها وهي تحدق في عينيه وترى انعكاس كلماته فيهما .. ثم ترى وتسمع المزيد ولم يعد هناك رادع او سبب يوقفه عن الافصاح " هل تعلمين ما جرى لي تلك الليلة وانت تتسللين من جانبي في القاعة لتلاحقي الرجل الذي تعشقين .. لقد حطمتِ داخلي اعتزازي بذاتي واحترامي لنفسي قبل ان تحطمي فؤادي وقلبي .."

ثم تأجج الانتقام في عينيه .. وكأنهما عادا بالزمن للوراء .. الى ما قبل اشهر مضت ..

نار توقدت فيها فجأة وهي تتذكر نفس هذه النظرات البشعة الكريهة التي كان يرميها بها وهي لا تفهم معناها فتتجاهلها بغباء !

فيضيف زيته على نارها تلك بالقول

" اقسمت اني سأذيقك نفس المرارة وأنا أطعن انوثتك .. اقسمت أن اراك خاضعة ذليلة تتوسلين مني شيئا يفوق الحب والعشق ... تتوسلين ان لا اتركك ... وقد فعلتها ...!"

بصيرتها عُميت بالنيران .. تذكرت العار والذل والهوان الذي جعلها تتجرعه ..

هدرت بنبرة خافتة حادة ونيرانها تتأجج هي الاخرى " ايها الحقير المجنون .."

شيء ما حدث لحظتها ...

شيء ما جعله يهدأ من جنونه ..

ربما عودة لعقل تاه منه يوماً فأمعن في اذية الانسانة الوحيدة التي عشق في حياته ..

او ربما .. محاسبة للذات لفعلة أحقر من أن يفعلها الرجال .....

قال ونبراته تستكين الى شعور كئيب

" نعم كنت حقيراً .. نعم كنت مجنونا... نعم كنت افقد حتى رجولتي وأنا أفعل ما فعلت بكل خسة معك .. لقد كنت احترق في الجحيم وجررتك معي اليه بجنون يفوق قدرتي على ايقافه.."

العبرات تخنقها وهو يضيف بنفس النبرة الكئيبة وهو يحملها عبء المزيد من الاتهامات " لشهرين كنا نحترق معاً .. اصطلي بالنيران معك .. لشهرين لم تفهمي ان كلمة منك او حتى شعور عابر نحوي تشعرني اني انسان في حياتك كان كافياً ليطفؤها ... لكنك كنت كعلقة ! تمتصني دون ان تبالي بي ... لم تكوني الا (آخذة) باستنكاف ولم تعرفي ان تكوني (معطاءة) بسخاء ..."

كان يجرحها بعمق لا يوصف وهو يواصل جرحها " كرهت نفسي وحتى كرهتك .. لذلك .. طلقتك و ... رحلت ..."

لم تعد تحتمل فأخذت تضربه بقبضتيها على صدره وهي تهدر فيه

" اكرهك .. اكرهك .. رباااه امقتك .. "

يستقبل ضرباتها وهو يرد بجمود

" الآن اصبحنا .. متساويين ... كرهتك يوماً فكرهتني الآن .."

دفعته في صدره وهي تهتف بصوت عال والدموع تتجمع في عينيها " اخرج .. اخرج ... سأتقيأ ان بقيت هنا لحظة اخرى .."

ابتعد خطوة وهو يقول بنفس الجمود

" سأخرج هاجر .. لقد أزف الوقت للرحيل .."

انفتح الباب ليطل العم طاهر فينظر للاثنين معاً بقلق شديد متسائلا

" ماذا يحدث ؟ لما تصرخ هاجر ؟"

التفت فرقد ناحية العم قائلا

" اعتذر سيد طاهر .. الخطأ مني .. ازعجتها ببعض.. الامور من الماضي.. لكن لا تقلق .. "

نظر العم لابنة اخيه وقلقه يتزايد من نظراتها التي التمعت بالدموع وقد امتزجت تعابير غضب عنيف مع ألم شديد على محياها ..

سألها بحنان وهو يقترب منها حتى امسك ذراعها المتشنج " ماذا هناك بنيتي ؟ اخبريني ؟"

مالت برأسها اليه وبصمت بليغ أرخت كل مشاعرها على صدره ليسمع صوت فرقد يقول

" اسمح لي .. يجب أن اغادر الآن لاني ساسافر للقرية .. سأعود غدا ان شاء الله ونتفق سوية على التفاصيل للحفل في الفندق .."

تحرك فرقد ناحية الباب والعم يشيعه بنظراته بينما يضم ابنة اخيه اكثر لصدره ولا يفكر الا كيف يهدئ من ارتجاف جسدها حتى يستطيع ان يفهم منها ما حصل مع زوجها..

لكن هاجر سرعان ما انسلخت عنه حالما سمعا صوت باب الشقة يفتح ويغلق لتقول بنبرة لا حياة فيها

" اعذرني عماه .. احتاج ان أختلي بنفسي .."

وقبل ان يوقفها كانت تركض لغرفتها!

عند الفجر .. شقة هاجر ...

ممدد على سريرها وعيناه مفتوحتان ...

أشرقت شمس الفجر وحتى اللحظة عاجز عن النوم ...

لقد قضى الساعات صامتاً يجول في كل ركن من الشقة يلمس حاجياتها .. اغراضها .. اشياءها الخاصة جدا ..



فتح الخزانات .. فتح الادراج .. لم يترك شيئاً دون أن يلمسه باصابعه ...

وها هي أصابعه الآن تمر على الشرشف الابيض للسرير وعطر مسحوق التنظيف الذي تستخدمه هاجر دوماً يفوح منه..

الشقة باردة لكنه لم يهتم ...

حتى الصقيع لن يستطيع اطفاء الحريق داخله..

تذكر كل لحظة قضاها مع هاجر في هذه الشقة .. كيف تضحك بعفوية كطفلة عندما يحضر لها ما تحبه ..

كيف ترتبك وتضطرب فتتسارع انفاسها عندما يعلن بوقاحة انه يريدها ..كيف تبتسم بمكر كامرأة جريئة شغوفة ..

كيف تنظر اليه عندما تشعر بالقهر والانكسار من افعاله معها وكيف تبرق عيناها عندما تبادله الغرام فيشعرها أنها امرأة ولا كل النساء ...

كيف يطعمها بيده ..و ملمس شفتيها على اصبعه.. آآآآآه ... يشعر وكأن الدنيا ملكه عندما يطعمها هكذا ...

آآه يا هاجر الحشا .. امرأته وطفلته ..

وفي كل حالاتها تعود له ..

رنين جرس الباب جعله يجفل من حمى افكاره فيعبس بدهشة ثم يغادر السرير متوجها لباب الشقة ...

اتسعت عيناه بصدمة وهو يحدق بهاجر تقف امامه بهيئة مقلقة ! كانت بنفس البلوزة والبنطال الجينز وحتى سترته الجلدية السوداء لكن شعرها الاحمر مبعثر بفوضوية وجفناها محمران ووجهها ذابل ...

تنظر اليه بحقد وانفاسه تتسارع من بين شفتيها بينما يتمتم هو

" هاجر ؟! ما الذي أتى بك هذه الساعة ؟!"

دفعته في صدره بعنف لتدخل الشقة وهي تهذر بصوت يرتعش اضطراباً

" هل نمت مستريحاً في شقتي ؟ من المضحك اني لا املك مفتاحاً بينما انت تملك ! "

اغلق الباب وهو يلحق بخطواتها حتى غرفة النوم يناديها مطالباً باجابة

" هاجر .. لماذا أتيت الآن ؟"

تقف بباب الغرفة تحدق بالسرير ونظرتها تطفح بمزيد من الاضطراب وهي تهذر بشراسة محمومة " هل سريري ذكرك بالذي مضى ! بلياليا ... آآه عفواً لم تكن ليالينا .. كنت حريصاً ان لاتبيت ولا ليلة واحدة عندي .. لتؤكد لي ان ما يحدث كان .. قبيحاً .. قبيحاً جدا .. لم يكن هو ذاته ما يحدث بين زوجين حقيقيين .."



خلعت السترة لترميها ارضا ثم ترفع عينيها اليه مضيفة بحقد ساخر

" وبما اننا الآن (زوجين حقيقيين) فما رأيك ان نجرب ! ربما سيختلف شعورنا ...ها ؟ قل لي .. ما رأيك بالتجربة ؟"

كان يطبق اسنانه بعنف وهو يستشعر انها بوضع غير طبيعي على الاطلاق بينما تستمر بهذرها المحموم وهي تشير ناحية السرير

" هل تريد أن نفعلها هنا في الغرفة على السرير الذي شهد نزع عذريتي مني ؟ ام ربما هنا على سجادتي الوثيرة في غرفة الجلوس التي شهدت ملاحم عاطفية ساخنة بيننا.. اذكر انك كنت تحب هذا وتشتعل

مشاعرك وانت تلامس جسدي على نعومة السجادة التي تلطف من قساوة الارض تحتنا .."

زم شفتيه ثم نظر اليها نظرة صاعقة قبل ان يقول بتماسك " هل انتهيتِ ؟! هيا لاعيدك لبيت عمك انت لست في حالة طبيعية.."

لكنها تدفعه مرة اخرى لتترك الغرفة وتتجه لغرفة الجلوس ناحية المرآة الضخمة لتقول وهي تتصنع (الاستدراك)

" آآه هذا خطئي .. كيف نسيت ؟! انت كنت أشد اشتعالا وسخاء برجولتك وانت تخلع عني ما يستر جسدي امام تلك المرآة ... كنت تتلذذ بتجريدي مما هو أكثر من ستر الجسد.. اذكر جيدا عينيك .. كانتا مفتوحتين دوماً

تحدقان في تفاصيلي عبر المرآة .. هل كان يرضي انتقامك وانت تقرأ تعابيري الخاضعة لك.. العاجزة عن رفضك.. الجائعة للمزيد مما لا أفهمه ؟! "

أخذت تنظر لصورتها في المرآة وعيناها تبرزان أكثر وسط وجهها وكأنهما تطالعان ما خلف الصورة الماثلة امامها بينما تتسربل الكلمات القاتلة من بين شفتيها

" ابدا لم يكن عُري جسد ... انت كنت تعري جوعي .. احتياجي .. الآمي... تعريها دون رحمة ... تُمنيها الخلاص ولكن .. لا خلاص.."

اخفى عذابه وهو يبصر عذابها ليهمس بخشونة

" هاجر .. كفى .. هذا الكلام سيؤذيك أكثر ..."

ما زالت عيناها على اتساعهما الغريب فتتحرك مستديرة لتواجهه لكنها لا تنظر اليه فقط تحدق فيما حولها لتضيف بنفس النبرة " انا اكره هذه الشقة .. اكره جدرانها.. اكره كل قطعة اثاث فيها اشتريتها بتعبي وعرقي ... اكره هذه المرآة التي شهدت ذلي..."

قالت جملتها الاخيرة و... فجأة .. ودون مقدمات ضربت بكفها على اطار المرآة المزخرف لتنكفئ على وجهها ويتعالى صوت تحطم زجاج مرآتها ...

أخذ فرقد ينظر مصعوقاً للاسفل نحو المرآة التي تهشمت ثم يرفع نظراته لهاجر التي تجاوزت الزجاج المهشم متقدمة ناحيته قائلة بخفوت ينضح بالانفعال والضعف ودنو الانهيار

" لثلاث اشهر وانا كنت اواجه هذه المرآة كل صباح بادعاء محموم اني لا اهتم .. لكن في داخلي كنت اجلد نفسي بالسياط ... اسواط من نار ... اليس هذه التسمية التي كنت تطلقها على خصل شعري ؟! "

اصابعها امسكت بتلابيب بلوزته القطنية البيتية تشده وكأنها تريد قتله فتصرخ فيه بصوت مذبوح يقطع نياط القلب

" لماذا عدت ؟! لما اختطفتني لقريتك وانت تكرهني لما فعلته معك .. ام هل كنت تتخيل انك ستجبرني هناك ان أنسى كل شيء ونفتح صفحة جديدة ! وهل نسيت انت ؟! كاذب ان قلت نعم ... ما قلته لي ليلة الامس يعني انك لم ولن تنسى ..."

عيناها تذرفان الدموع وهي تصرخ بالمزيد

" وانا مثلك يا ابن الشيوخ ... لن انسى .. ام هل تتخيل ان الزفاف الذي اقاموه عشيرتك والفستان الابيض الذي طلبته لي وتلك القطعة البالية المفبركة عن فخر كل فتاة سيعيد الي كرامتي ؟! ام تظن عشقك المجنون سيداويني ؟! سأسامح وأمحو من رأسي كيف عذبتني واهنتني ثم طلقتني وهجرتني

امام هذه المرآة تحديدا التي شهدت ذبحك لي فانزف روحي ودمي وانت تستمتع بامتصاصي..."

وجهه قريباً من وجهها دون ان يبدي اي محاولة لرفع يده كي يلمسها بينما يقول بهمس خشن

" وهل تظنين اني كنت استمتع بدور مصاص الدماء هذا ؟!"

عادت لتشد بلوزته بعنف تكاد تمزقها وهي تصرخ بانهيار وجنون " لم أعد احتمل .. لم أعد اريد البقاء على ذمتك .. لن ترحل قبل ان تطلقني يا فرقد .. هذه المرة ستهجرني بشروطي انا .. بشروطي أنا .. انا ... انا .."

انتهى... لم يعد يحتمل وهو يعيش انهيارها هذا بسببه هو ... طوقها بذراعيه يحاول ان يسيطر على جنونها كي تهدأ فيقول بحزم وهو يستجمع كل تماسكه " هل فقدت صوابك؟! لم يمض الا ساعات على اعلاننا اننا تصالحنا وكيف اقمنا عرساً مفاجئاً كبيرا في قريتي وانتشر الموضوع حتى على الفيسبوك بين معارفنا ومحيط القنوات الفضائية..."

ملتصقة به وانفاسها المجنونة تعصف بوجهه ليضيف بصوت خافت دون ان يفقد حزمه

" كل هؤلاء سيمزقونك أربا انت وعائلتك كما سيمزقك هذا المجتمع كله ... هل انت مدركة اذا تطلقنا الآن كيف سيتكلمون عنك ؟ كيف سيواجه عمك الموقف ؟ "

فاضت ملامحها المنهارة الباكية بعذاب مضاعف لتتحرك شفتاها قائلة بكل ذرة من كيانها المرتعش بين ذراعيه

" اكره هذا المجتمع .. أمقته وأمقت ظلمه .."

نظر في عينيها ويلعن نفسه ألف مرة قبل ان يعترف بحقيقة يدركها كلاهما

" هل تنكرين اننا كلانا اخطأنا بحق انفسنا وبحق بعض ؟! هل تنكرين ان ما حصل كان خطأ من الاساس يا هاجر ..؟ هل حقاً تؤمنين ان المجتمع ظالم في هذا ؟"

تشهق ببكاء مخنوق وهي تهمس بتمرد ووجع

" انه ظالم لانه يحاكمني انا بمفردي ولا يحاكمك انت وانت شريكي فيما حصل .. لماذا ؟ لماذا هذا الظلم ؟ انا لم أفعل حراماً .. "

اشرست ملامحه ليقول وهو يعني كل كلمة

" سأقتل اي انسان يقولها لك .."

شعر بجسدها يرتعش بقوة من شدة الضعف ..

لا بد انها قضت الليل دون نوم لتأتي اليه بهذه الحالة المجنونة ...

كيف سيترك هذه المتهورة بمفردها ؟

مالت بجبينها على صدره تهمس باختناق البكاء " ليتك تقتلني انا وتريحني من عذابي .."

ابتلع ريقه وهو يطلب منها بشق الانفس

" هاجر ارفعي وجهك لي ... دعينا نتحدث ببعض التعقل .. بقاؤنا كزوجين هو الانسب لك ولسمعتك وسمعة عائلتك .."

رفعت وجهها لتقول له كأنها طفلة خائفة تبحث عن أسهل الحلول

" لم أعد اريد شيء .. انا سأهاجر ..! سأترك البلد واعود للبلد حيث ابي .."

اصابعه تخونه وهي ترتفع لشعرها تزيحه للخلف بعيدا عن وجهها الذي ابتل بالدموع فيقول بصوت أجش " انت لست بحالة تسمح لك بالتفكير الصائب .. اعلم ان ما

صارحتك به بالامس أثار فيك المواجع وبعثر افكارك ومشاعرك ..."

دون ان يشعر تعلقت اصابعه بخصل شعرها واخذ يلفها حول كفه مضيفاً

" والدك لا يهتم لامرك وانت تعرفين .. ستشعرين بمزيد من الوحدة .. ابقي هنا مع عائلة عمك انهم يحبونك ويهتمون لامرك.. ابقي في حمى عمك طاهر حتى لو لم يمنحك عاطفة أب لكنه عمك ويخاف عليك .."

كانت تحدق فيه بنظرات غريبة ..

هادئة بعض الشيء لكنها غريبة ...

ثم .. همست " لماذا لم تفهم ؟! "

عقد حاجبيه وهو يسأل " ماذا تقصدين ؟!"

خرجت كلماتها ثقيلة لكن تحمل معانٍ واضحة وضوح الشمس

" كنت أبحث عن حنان الاب فيه .. "

توقفت اصابعه عن العبث بخصل شعرها لتتصلب ملامحه وهو ينظر لعمق عينيها ثم يردد لسانه طواعياً بصوت أجش مشحون

" تقصدين ... رافد ...؟ "

تراخت عنها ذراعاه بنفس اللحظة ليفلتها وهي تبتعد بجسدها عنه ...

يقفان متقابلين .. في مواجهة جديدة من نوع أكثر هدوءا وعمقاً ...

قالت له كاشفة عن أعمق اوجاعها

" انت لن تفهم ابداً ... تغار بوحشية من اوهام وانتقمت بخسة من سراب ! لكنه .. لم يكن حباً .. لم يكن عشقاً .. كان .. جوعاً ! جوعاً استيقظ بضراوة ومزقني ... "

غامت عيناه وهو يردد بعاطفة دفينة

" وقد أخترت من لا يطعمك ولا يُشبعك ..! وحتى اللحظة لا تختارين ... ستظلين دوماً طفلة غبية تائهة ... "

تمسح وجهها وتشمخ امامه متسائلة بسخرية

" وهل ساعدتني انت لأهتدي الطريق يا فرقد...؟! "

صمت للحظتين قبل ان يقول بصوت أجش

" ألم تفكري ولو للحظة اني حاولت لكنك

لم تكوني تنظرين في الاتجاه الصحيح

لتعرفي طريقك ..."

يبعد نظراته عنها ليضيف بشرود

" لقد كنت أموت وأنا احاول .. اتوه من نفسي

وانا احاول .. لكنك لم تفهمي ...؟"

(لكنك لم تفهمي) ...

هذه الجملة جعلتها تعود لشهور مضت ... عادت

الى ليلة عنيفة طلقها فيها وهجرها ...

عادت لكلمات قالها ليلتها ولم تفهمها...

تذكرت كل كلماته قالتها له بانهيار كامل

في تلك الليلة الرهيبة

(" انا .. لا افهم .. لا افهم ..")

اسبل اهدابه في لحظة صمت ... ثم قال وهو

يتحرك ناحية باب الشقة

" مؤكد لم تفهمي ... ولن تفهمي ... ولاجل

ذلك اقول لك اننا انتهينا ..")

عادت هاجر للحاضر وفرقد يقف امامها لكنه

ما زال ينظر في اتجاه بعيد عنها ..

شارداً ربما بنفس الذكريات ...

لقد وصلا لطريق موحل بذكريات عصيبة

يغرقان فيها هما الاثنان ...

قال اخيراً وهو يطرق بنظراته للارض

" سفري لتركيا فرصة كي نبعد عن بعض .. يجب ان نبعد يا هاجر والا سنقتل بعضنا دون ان نشعر ... وربما البعاد سيجلي في نفوسنا الكثير .. وان شعرتِ بعد اشهر انك تريدين الطلاق حقاً فسأمنحك اياه ..."

شعرت بيقين أنه لم يعد هناك ما يقال فالتزمت الصمت وسكن جسدها وهي تعي أنه الوداع ليسألها فرقد وكأنه يطيل (لحظة وداع) تلك

" اليس لديك ... ما تقولينه ..؟ ربما هذا وداعنا الاخير .. لن يتسنى لنا الحديث على انفراد .. طائرتي في الثالثة بعد منتصف هذه الليلة .."

كان ينظر اليها الآن فبادلته النظر العين بالعين قائلة باقتضاب " لا .."

تنهد وهو يقول " سأعيدك لبيت عمك.."

تحرك ناحية الغرفة عندما توقف منتصف الطريق ليلتفت اليها ويقول بنبرة قوية

" عندما اسافر اعيدي كل النظر في كل التفاصيل التي حصلت بيننا بمنظور آخر ... انظريني من جديد .. انا رجلك وسندك وعاشقك حتى الممات ..."

ثم امتلأت عيناه بانفعال أكبر وهو يضيف

" حاولي ان تري ما لم تفهميه مني سابقاً .. "

لم ترد بكلمة بينما يدخل الغرفة ليغير ملابسه حتى يعيدها لبيت عمها طاهر..

مؤسسة الجراح .. بداية النهار

تفاجأ منذر وهو يدخل للمكتب الخاص بالشؤون القانونية حيث يعمل بصحبة زميلين له بوجود السيد طاهر بانتظاره والذي بادره للقول بابتسامة لطيفة غامضة

" مرحبا منذر الحمد لله على السلامة.. "

تصافح الرجلان بينما يرد منذر

" مرحبا سيد طاهر .. شكرا لك ... "

لم يطل السيد طاهر حيرته ليقول بشكل مباشر ومختصر " هل استطيع ان اكملك لبعض الوقت هناك موضوع هام يحتاج أن انهيه معك رجلا لرجل .."

كان المكتب خاليا لكن سرعان ما سيأتي زميليه خلال دقائق ربما فيرد منذر باحترام

" مؤكد .. في الواقع كنت سآتيك وأقول لك نفس الجملة..! "

ضيق طاهر عينيه قليلا ليقول بهدوء

" اذن فقد التقينا في التوقيت الصحيح .. هيا لنخرج من المؤسسة ونذهب للمقهى القريب .."

في المقهى القريب

تطلع منذر حوله وهو يشعر بالغرابة ..هذا هو نفس المكان الذي فارق فيه هاجر لآخر مرة عندما واجهها بكذبتها وخداعها له..



لا يصدق انه لم تمر الا بضعة اسابيع على الحدث الذي خلخل توازنه لايام بعدها..

وكأن سنوات مضت على ذاك اللقاء الغريب المفعم بالانفعالات السلبية ..

ذهنه يخذله فيكاد لا يتذكر تفاصيل ذاك اللقاء لكنه مؤكد يتذكر كل مشاعره الغاضبة المشوشة المصدومة..

لكن أكثر ما يحضره الآن هو احساسه العام بهاجر في تلك اللحظات وهي تجلس امامه محملة بشعور الذنب ..

كيف كانت تنتظر منه تفهماً بل تفترض منه هذا التفهم الذي يفوق قدرته على عطائه..

كيف كانت مصدومة من ردة فعله لتتحول صدمتها نحو ذاتها وكأنها ادركت للتو حجم الخطأ الذي ارتكبته بحق نفسها اولا...

ومنذ تلك اللحظة وبدأ التغيير داخله...

اول معرفته بهاجر في اول لقاء بحفل مؤسسة الجراح في العوامة بدت له اقرب للوحة فنية شدت انتباهه بقوة ثم تعالى مستوى مشاعره سريعاً ليرغب ان تكون له...

كانت اجمل لوحة خريف غامض خلاب رآها..

لكن ... بعد ذاك اللقاء الاخير وسفرها المفاجئ أخذت معالم اللوحة في خياله تتغير تدريجيا حتى غدت ليست هي نفسها التي رآها أول مرة وانبهر بها ...

ليس فقط بسبب اكتشافه لخدعتها حول زواجها الاول ولكن ما حصل بعدها وانغماسه في قضية دينا النابضة بحياة من نوع مختلف أكثر مساساً بالوجدان ... وكأن ظهور هذه الفتاة جعلت معاييره تختلف تلقائياً ..

ام ربما ... هو كله بكل افكاره كان يتغير ويواجه خيارات جديدة مصيرية في حياته..

فجأة قال السيد طاهر دون مقدمات

" هاجر عادت ليلة الامس .."

باغته الرجل حقاً! فاتسعت عينا منذر وهو يقول بانشداه " ليلة الامس ؟! لكنك قلت انها ستعود الجمعة .."

كان منذر ينظر لعيني السيد طاهر فيستغرب ما يراه فيهما .. يبدو الرجل وكأنه موشك على اعلان مهم !

ولم يطل الامر ليوضح طاهر " عادت باكراً لظروف خاصة .. ولكنها لم تعد بمفردها .."

عقد منذر حاجبيه متسائلا " ماذا تقصد لم تعد بمفردها ؟ هل عادت مع والدها ؟ اظنها كانت معه .."

تصلبت ملامح السيد طاهر ليقول بثبات

" لا .. لم تكن بصحبة والدها .. لقد عادت مع زوجها .. فرقد الشيخ .."

لم يستوعب منذر الخبر وظل يحرك برأسه وهو يردد " انا .. لا افهم ! "



أخذ طاهر نفساً عميقاً ثم أطلقه بتراخٍ قبل ان يشرح الموقف أكثر وبأقل التفاصيل

" لقد التقت به وهي .. مسافرة .. ثم تصالحا وقررت ان العودة اليه هي الانسب لها ... "

ما زال منذر مصدوماً ولا يستطيع حتى تفسير مشاعره هذه اللحظة !

نغزة في قلبه جعلته مشتتاً عن باقي مشاعره المتفاعلة داخله..

ليضيف السيد طاهر " عائلته اقامت عرساً لهما في مسقط رأسه في القرية والليلة سنقيم حفلا هنا في العاصمة في احد مطاعم فندق (...) للاعلان عن عودتهما وتصالحهما.."

فورة الصدمة تتراجع ببطء ليستوعب منذر شيئا فشيئا .. سكنت ملامحه وشعر بفراغ كبير داخله .. احساس غريب غير مفهوم ..

لم يكن غاضباً ولا منزعجاً حتى ..

وهل يحق له الاعتراض بأي طريقة ؟

هو نفسه قرر بفك ارتباطه بشكل كامل مع هاجر حال عودتها سواء وافقت عليه دينا ام لا..

لكن السؤال .. كيف يشعر حيال الامر بكليته ؟ لماذا هذا الفراغ ؟

ماذا كانت تعني له هاجر ؟

مع غالية الامر اوضح بكثير ...



ببساطة اعجبته غالية وارادها زوجة لكنها فضلت عليه ابن خالتها الذي (لا يستحق) مما مس كرامته الذكورية وغروره السخيف ...

لكن مع هاجر الامر كان .. أشبه بمغامرة جريئة .. مثيرة .. ليكتشف في النهاية أنه لا يحب هذا النوع من المغامرات ...!

من جديد يتساءل .... لماذا هذا الفراغ ؟!

يشعر وكأنه كان جالساً في محطة يتوقع قدوم القطار في أية لحظة ويمضي الوقت وتمر الساعات ليأتي احدهم في النهاية ويخبره ان القطار لن يمر ابداً بمحطته !

شعور غريب وغير مفهوم على الاطلاق ..

هل فكرة ان هاجر انتهت من حياته تماماً ولّد لديه شعور الفراغ ؟ ام ربما لانه لم يكن مستعداً كفاية لهجر ارتباطهما بهذه السرعة وبهذه الطريقة الصادمة ... ؟

سأله السيد طاهر وقد طال الصمت

" لماذا تصمت يا منذر ؟! اليس لديك ما تقوله ..؟ "

تطلع منذر اليه فشعر ان الامر يقتضي منه مواجهة حاسمة وتقبل الوضع الجديد مهما كان مشوشاً ، ربما فيما يخص هاجر ما زال مشوشاً لكن المؤكد ان قراره الارتباط بدينا هو القرار الثابت الوحيد المنطقي الذي يرتضيه عقله ووجدانه ...

لسانه نطق وهو يحاول جاهداً ان يكون هادئاً

" تمنياتي لها بكل السعادة .. لقد تعذبت كثيراً وأظن فعلا .. ان هذا الانسب لها .."

أخفى طاهر استغرابه وبعض شكوكه لينهي الكلام عن هاجر ويحيد بالحوار لمنذر نفسه فيسأله بنبرة غامضة لا تفصح عن افكاره

" حسن بما اننا انتهينا من موضوع هاجر هلا اخبرتني عما اردت انهاءه .. رجلا لرجل ؟"

تطلع منذر اليه ثم قال بمقدمة ارتجالية لا تخلو من الصدق " سيد طاهر .. لطالما احترمت فيك الكثير من الصفات .. ذهنك المتوقد .. رقيك .. نباهتك .. ومرونتك ..."

ثم أطرق منذر بنظراته قليلا وهو يكمل كلامه بصدق وصراحة و... سلاسة فاجأته هو شخصياً " انا واثق انك مدرك في داخلك انني وهاجر لا ننفع بعض على الاطلاق .. ليس بسبب ما اخفته عني فقط .. هناك شيء مفقود اكثر اهمية .. التوافق ..."

فيعلق طاهر متسائلا بالقول " هل أفهم من كلامك ان هذا ما كنت تريد ان تكلمني فيه ؟ ان تخبرني ان (لا توافق) بينكما ؟"

فيرفع منذر وجهه ليواجه طاهر الاحمدي بالقول الصريح الشجاع " نعم .. ولأخبرك ايضا بأمر ربما سيُعلن قريباً .. لقد تقدمت لخطبة فتاة تناسبني وأنا بانتظار ردها على الطلب.."

أخذ طاهر ينظر لمنذر بتمعن ..

اذن ما كان يستشعره حقيقي ..

منذر وجد فتاة أخرى او ربما هي من وجدته..

يكاد يجزم انها نفس الفتاة التي تعرضت معه لحادث الاعتداء .. لقد أرضى طاهر فضوله وقرأ الاخبار في الصحف الصفراء .. مع ترجيح التلفيق طبعا بمعظم التفاصيل لكن يبقى أصل الحكاية موجودا ..

ربما جاء هذا رحمة لكل الاطراف ...

وقف طاهر على قدميه واخرج محفظة نقوده وهو يقول باختصار للموقف ككل

" اعتقد اننا قلنا كل شيء يا منذر ولم يعد هناك ما نضيفه .. بالتوفيق لك ..."

وضع المال على المائدة ثم ابتسم بطريقة رسمية لبقة وهو ينظر لملامح منذر الهادئة المسيطرة ليضيف " القهوة على حسابي ..."

وبينما يغادر السيد طاهر المقهى أخذت منذر الافكار نحو هاجر للحظات لكنه بحزم وجّه افكاره نحو دينا والرد الذي ينتظره منها ...

اخرج من جيبه هاتفه ليتصل بوالدها وخلال دقائق كان يقنعه ان يأتي لزيارتهما في الشقة مع غروب الشمس ويكلم دينا بنفسه ..

أغلق منذر الهاتف وتحرك مغادراً المقهى وهو يدور بانظاره فيه ..من يصدق ان هذا المقهى سيشهد على احداث مهمة في حياته هكذا .. سيشهد على تحولات فيه هو شخصياً ..!

شقة دينا ضياء الدين.. قرابة الغروب ..

ابتسم منذر في وجه العم ضياء الدين وهو يغادر غرفة الضيوف الصغيرة مؤكدا على بقاء الباب مفتوحاً دون كلمات معلنة !

فقط تشبث بالمقبض المعدني بتشدد ثم دفعه ليجعل الباب مفتوحاً حتى آخره فيهز منذر رأسه بامتنان قائلا " شكرا لك عمي ..."

بدا الرجل عابسا بنوع من الطفولية وهو يحدق بابنته المرتبكة التي تقف قرب منذر ثم غادرهما وهو يتمتم بما لا يسمعاه ...

أشار منذر لدينا كي تجلس على الاريكة وهو يقول لها بنبرة عذبة محببة

" اجلسي من فضلك .. اريد ان اكلمك بامور هامة وأظن الحوار سيطول .."

جلست دينا (محمرة الخدين) بتوتر واضح على حافة الاريكة وهي تعتصر كفيها ببعض ثم ترفع يدها اليسرى لحافة حجابها وكأنها تتأكد منه قبل أن تعيدها لحجرها جوار اليمنى..

جلس منذر على كرسي منفرد مجاور للاريكة وأراد ان يسألها عن كتفها لكنه تراجع ..

شعر ان الامر لن يكون مناسباً اللحظة فربما ستظن انه مهتم بالسؤال من باب الشفقة وستجد عذراً لتصر على الرفض ...



بدت دينا أكثر توتراً وهي تحني رأسها للاسفل قليلاً ولا شعورياً أخذته افكاره لهاجر !

وجد نفسه يتساءل ان كانت سعيدة الليلة وراضية ام انها أقدمت على الرجوع لزوجها فقط لانها لم تقوَ على مواجهة المجتمع بعد فشل تجربتها معه هو ..

هل لعب دوراً ليدفعها القبول (راضخة) وتعود لزوجها من جديد انقاذا لسمعتها أم ان القدر جعله سبباً لتعبر من خلاله الى مصالحة للنفس قبل ان تتصالح مع زوجها ؟

عاد من افكاره حول هاجر لتبصر عيناه دينا..

قلبه الآن في حالة .. حياد !

حياد تام وكأنه استكان لركن الانعزال عن عاطفة الحب ...

رغم هذا هو مدفوع بعاطفة أخرى كي يتمم زواجه من دينا تحديداً دون غيرها من الفتيات.. عاطفة اعمق من الحب واقوى من ان تكون مجرد اثارة لرجولته وحميته...

انها عاطفة خلابة تستأثر بلبٍّ جوهره كانسان لتترجم برغبة ملحة ان يرتبط بهذه المخلوقة ذات العينين الواسعتين وبشرة تميل للسمرة .. ترفل بالعفة والطهر وتزدان بالقوة والصلابة رغم كل ما حدث ويحدث لها ...

حياء مثير للنظر اليها دون ان ينقصها جرأة المواجهة لتدافع عن نفسها وابيها بكل ما اوتيت من قوة..

سألها بنبرة رجولية ناعمة

" هل ابدأ أنا الكلام ام هناك ما تريدين قوله اولا ؟"

أخذت اصابعها تشد بطارف تنورتها الفضفاضة التي تغطيها حتى الكاحلين .. فشعر برغبتها أن تقول بعض الامور قبل ان تنطقها بنفسها وبصوت خافت

" أجل .. اريد اخبارك اولا بأمر هام .. البارحة اتصلت بي زميلة لي في البنك واخبرتني انهم .. اوقفوني عن العمل .."

شعر بفورة غضب تجتاحه فصك اسنانه للحظات قبل ان يسيطر عليها ويسأل بنبرة عملية جادة " لماذا اوقفوكِ ؟"

هبّت لتقف على قدميها وتلتفت بعينيها الواسعتين اليه قائلة بنفس الخفوت " ارجوك أخفض صوتك فأبي لا يعرف شيئاً .. ورداً على سؤالك .. انت تعرف لماذا .. لذلك اتوسل اليك انسحب من حياتي .. ولا تعاود .. (اقتراحك) .. مرة اخرى .."

لم يستطع ازاحة نظراته عن تلكما العينين فخرجت بضعة انفاس متسارعة من فمه قبل أن يقول بصوت خافت كما طلبت منه " اقتراح ؟! هل انت بريئة حقاً لهذه الدرجة ؟"

نبرته الخافتة مع كلماته تلك كان لها تأثير مختلف عما أراده او قصده ...

أحمرت دينا بشدة وأخذت تعبث بتنورتها من جديد وهو لسبب مبهم يروقه ما يحدث !

أبعدت نظراتها عنه وهي تحاول التكلم بجدية " سيد منذر انا ..."

يقاطعها بالقول الرقيق " دينا اجلسي من فضلك ... فلدينا حديث يحتاج لوقت .."

جلست وهي ما زالت تتحاشى النظر اليه بينما يضيف هو بابتسامة " اولا .. سيكون طفوليا ان ننادي بعض (سيد وانسة) ..."

عبست دون ان تقول شيئا ثم يكمل هو " ثانيا .. لا يوجد رجل بكامل عقله ينظر لموضوع الزواج كمجرد (مقترح) .. وكأننا نتكلم عن حل قانوني .. لذلك انا لم (اقترح) الزواج منك .. انا اطلبه كرجل وبشدة .."

هتفت به دون شعورها ويداها تتقبضان في حجرها " لماذا ... لماذا ؟! "

تتراخى ملامحه بشعور مدغدغ ليقول بصوت أجش

" لاني ارغبك انت بكل ما فيك كزوجة .. انت تحديداً وليس أي فتاة اخرى.. هل هذا ... كافٍ ..؟ "

عيناه تسرحان فوق حمرة خديها وتتابعان باهتمام وفضول نظراتها المبعثرة في زوايا غرفة الضيوف فيشعر بفورة مشاعر تجذبه اليها ... دون تفكير ..

فضول رجولي رهيب أن يراها دون حجاب ..

ان تمتد اصابعه لضفيرتها البنية ويفكها بنفسه ..

ان تكون دينا كلها له .. يعتني بها .. يدللها.. يكون سبباً لضحكات ثغرها ...

يتمتم بنفس النبرة " اذن هل صمتك يعني انك اقتنعتِ بالسبب ؟ هل نقول مبارك ؟"

صوتها يتحشرج بألم حقيقي رغم الحمرة القانية على خديها

" انت تعلم انك ... تؤذيني .."

ارتفع حاجباه قليلا ليسألها بابتسامة

" أؤذيكِ ؟! كيف ؟ اشرحي لي ..."

أغمضت عينيها للحظات وكأنها تستعيد شجاعتها ثم فتحتهما وهي ترفع نظراتها اليه..

شحنات كهربائية شديدة الرقة تطرق جلده.. شعور لذيذ .. ناعم.. يجعله يشعر بالشوق !

لكن الشوق لأي شيء بالضبط لا يعرف ..

مع دينا الامور تبدو عكسية ...

لقد رآها كانسانة قبل ان يتوغل لانوثتها المخفية حياء وحشمة ...

قالت له بنبرة شجاعة " منذ انا فتاة عادية الجمال في الثامنة والعشرين تحصيلي الدراسي جيد لكني بوظيفة دون المستوى وحتى هذه الوظيفة ربما سأفقدها نهائيا .. وكل هذا افضل هو ما لدي ! أما الاسوأ فأنت تعرفه ايضا.."

ألم عصف بملامحها سرعان ما أخفته لتقول بارتعاش خذل نبراتها

" مشوهة بسمعتي .. ومشوهة بـ....جسدي .."

يتقدم بجذعه ليستند بكوعيه على ركبتيه يتطلع اليها وكأنها تخاصمه وهو يحايلها لتصفح عنه !

سألها بتلك النظرة الجذابة من عينيه

" هل هذا الاسوأ بنظرك ؟"

يشتد احمرار وجهها ولم تعد قادرة ان تخفي تأثرها به ليخرج صوتها مبحوحاً بل حتى متوسلاً ان يتفهمها " انا لا انفعك وكرامتي توجعني وانا اعترف اني لا أليق بك ... فكفى باللّه عليك ... ارجوك انسحب من حياتي ودعني ألملم وأستر ما عرّاه عدي بفعلته ..."

ما زال يناظرها بنفس النظرة وهو يقول بعذوبة " موضوع عدي سنعالجه سوية مهما كان ردك على طلبي .. الآن دعينا في انفسنا.. هل هناك ما ترفضيني لاجله كرجل ؟"

همست بضعف وبراءة " مؤكد لا ..."

فيناغشها مضيفاً " ربما ذراعي المشوه ...؟ "

تسارع لتنفي بكلمات متدفقة " انه فخر لك لانك حميت وجه فتاة لا تعني لك شيئا فتصرفت بعفوية تليق برجل نبيل ..اي .. فتاة ستكون فخورة بهذه التشوهات .. لكنك باذن اللّه ستتعافى ويعود كل شيء لوضعه الطبيعي .."

اصبحت نظراته اكثر جرأة وحميمية وهو يسألها بنبرة رجولية لحوحة " اذن لماذا لا تكون هذه الفتاة الفخورة هي .. انتِ ...؟ "

لم تعد تستطيع الاستمرار في النظر اليه وهو يرمقها بهذه النظرات ..

لا بد انه يعلم ما يفعله بها ..

هي المغفلة البريئة بدرجة تافهة مضحكة..

أخفضت نظراتها وهي تشد طارف تنورتها بتوتر واضطراب شديد " لن .. استطيع.. أنا سأظل مشوهة لاخر حياتي .. فلا تضغط علي أكثر ... الامر موجع فوق ما تتصور .."

بحزم طالبها بصوت أجش " انظري الي دينا ..."

عادت لتنظر اليه فيقول لها بابتسامة حلوة

" سنواجه هذا معاً .. اي معاناة اي مصاعب سنواجهها معاً ... لا اعرف كيف اوصلها لك .. لكن .. انا جاد لأبعد حد .. واريدك انت بالذات دون غيرك من البنات .. اريدك زوجة وشريكة لآخر العمر ..."

هبت لتقف على قدميها وهي تلهث من شدة التأثر به .. ماذا تفعل لتقول له لا وتبعده ..؟

وقف منذر هو الآخر على قدميه ليقول لها بجدية " اذا قررتِ ان ترفضيني يا دينا فاختاري سبباً يمسني أنا ولا يمسك انت .. واتمنى ان تكون اسبابك مقنعة عندها "

تحرك ليقترب منها قليلا وهو يضيف بعزم " انتظر ردك يوم الجمعة فإن كان قبولا سأحضر عائلتي لنطلبك رسمياً من والدك .. وبالنسبة لموضوع ايقافك عن العمل سأرى ما استطيع فعله .. هناك قوانين ولوائح لا يمكنهم تجاوزها .."

تحرك خطوة قبل ان يتوقف لينظر اليها مجدداً وهي تطرق بنظراتها للارض فيقول لها بجدية واهتمام " كلمة اخيرة يا دينا .. والدك أقوى مما تظنين .. فلا تدفني اوجاعك داخل روحك تخفينها عنه وتخافي عليه اكثر من اللازم .. "

فجأة أطل الاب من الباب المفتوح ليهتف بحماسة وهو يشوح بعصاه

" سلم لسانك وفمك يا ولدي .."

همست دينا وهي تحدق باحراج في ابيها

" ابي ! "

يتقدم الاب وهو يقول بغيظ وحنق

" فقأتِ مرارة الحجوج يا فتاة .. هل تظنين أني أحمق ولا اعرف ما يجري من حولي ؟ ام ربما تظنين ابلهاً لا يسمع ولا يرى "

ثم وقف امام منذر متكئاً على عصاه ليقول بنبرة جادة حاسمة

" يوم الجمعة ننتظرك مع عائلتك بني .."

امسكت دينا بذراع والدها تتوسله

" ابي ارجوك ... هذا ليس وقت المزاح .."

نظر اليها الاب بلا مبالاة لحرجها بينما يقول منذر وهو يكتم ابتسامته

" دعها تقرر بنفسها عماه .."

فيرفع الاب احدى يديه ويلامس باصابعه شعره الاشيب قائلا " انها فتاة ساذجة للغاية خذها من شيبتي هذه ؟ "

تشد دينا على كم قميص والدها وهي تزم شفتيها بيأس واحباط ليسألها منذر مشدداً من حصارها مع ابيها

" انتظر ردك دينا .. نعم ام ... لا ...؟"

فما كان منها الا ان شهقت راكضة لتترك غرفة الضيوف ودموعها تجري على وجنتيها الساخنتين دون سبب ...

عندها قال الاب بابتسامة عريضة فخورة

" الهروب ... علامة الرضا ...؟"

آخر الليل .... في مستشفى الولادة ..

جلس ياسر بحركة خشنة جوار زوجته المستلقية على السرير يتطلع عابساً نحو ابتسامة وجهها الواهن من تعب الولادة ليقول بخفوت وهو يكز على اسنانه

" هل سيظل والداك ملتصقين بنا طويلاً ؟!"

عضت سهر شفتها السفلى حرجاً وهي تتطلع لوالديها المحدقان عبر شاشة الهاتف للصور الاولى التي التقطاها لحفيدتهما عند الولادة..

بدوا في حالة سعادة لم ترها على وجهيهما من قبل ... وكأنهما هما من حظيا بمولودة جديدة لا هي ...

همست سهر وهي تميل برأسها ناحية صدر ياسر

" اخفض صوتك يا ياسر .. سيسمعانك "

ما زال ياسر على عبوسه وهو يقول بنفس الخفوت وبنبرة تفيض غيظاً وتذمراً

" هل تظنين انهما حالياً يسمعان شيئا من الاصل ؟! انهما مشدوهان وكأنهما لم يريا مولودة في حياتهما من قبل ! "

ترد بصبر نافد وقد تملكها الغيظ هي الاخرى " لان المولودة هي حفيدتهما الاولى في حال عقلك المتحجر لم يسعفك للتذكر.."

تأفف وهو يرد عليها باسلوبه الغليظ المعتاد منه

" وهي ابنتي الاولى في حال رأسك الفارغ أهمل هذه المعلومة .. الحمد لله لم اخبر عمتي فائزة ولا اختي المجنونة بخبر ولادتك والا كان علي تحمل المزيد من الصحبة .. "

تنهدت سهر وقالت تناكفه " فوضت أمري لله.. لم تمض ساعة على انجابي لطفلتي وها أنت تتحفني بكلماتك التي ترفع الضغط .."

نظر لوجهها القريب ليسأل بمزيد من العبوس

" ثم ماذا تعني والدتك المصون بكلامها عن بقائك لشهر آخر عندها بحجة النفاس ؟! الا يكفي الاشهر الماضية وانت منبطحة في سريرك الوردي السخيف ؟! "

حملقت فيه تعض شفتيها بغيظ لترد عليه

" مع كلامك المفجع هذا أظنني سأبقى لبضعة اشهر قادمة.. "

ترقق عبوسه وهو ينظر لشفتيها وكيف تعضهما بغيظ واضح ليقول بلا مبالاة متعمدة ليثير غيظها أكثر " كفاك تدللا .. اسبوعاً واحدا يكفي وسآتي لاخذ ابنتي وقرري ان كنت تريدين صحبتنا ام البقاء في حضن والديكِ .."

نظرة جانبية من سهر لوالديها لتتأكد انهما ما زالا مشغولين بالصور ثم تعود لتنظر لعيني زوجها باغراء هامسة بصوت انثوي مبحوح

" لماذا يصعب عليك ان تقول بأنك اشتقت الي يا داكن العينين ..؟ "

تحركت اصابعها لتندس تحت سترته الانيقة تلامس بطنه وصدره فوق قماش القميص فيبتلع ياسر ريقه بوضوح وتكسو نظراته العاطفة فيميل بوجهه قريباً منها هامساً لاذنها بجلافة " لن يكون مشهداً محترماً اذا اظهرت (اشتياقي) وتأثير القحط الذي عشته لاشهر امام امك الآن ... ستشهق بنبرة ارستقراطية منمقة وكأنها ابنة العصر الملكي قبل قرن من الزمان .."

اصابعها تتمادى بالعبث تحت السترة لتغيظه وهي ترمش بعينيها المتعبتين هامسة بميوعة

" اذن فأنت اشتقت للوردية ..."

يمد يده تحت سترته فيمسك باصابعها الشقية بخشونة موجعة قائلا

" أبعدي اصابعك يا مدللة ابيك .. والا سيكون المشهد التالي فاجعاً لوالديك معاً.."

ضحكت سهر بخفوت بينما تستسلم اصابعها لاعتصار يده تحت السترة ثم سألته بمزيد من الميوعة " ماذا ستسمي لعبتي الصغيرة ؟"

رد وعيناه تغيمان بمشاعر المشاكسة

" مفسدة الافراح والليالي الملاح ..."

فترد بهمس وهي تنظر لعينيه بغرام

" اخشى ان تكون ورثت منك الكثير في هذا..."



يده تعتصر اصابعها أكثر حتى تأوهت بخفوت وهو يقول لها بنبرة ساخرة

" اظنها ورثت منك أكثر .. هل رأيتها ! قطعة لحم وردية تبكي وتدلل منذ لحظة ولادتها.."

فجأة جاء صوت طاهر ليقطع حوارهما الخافت

" انا ذاهب لأبحث عن هاجر وفرقد .."

التفت كل من ياسر وسهر ناحية الاب الذي وقف على قدميه وينادي زوجته معه مضيفاً

" هل تأتين معي يا حياة ؟ سنذهب بعدها لرؤية الصغيرة التي لم اشبع منها .."

هزت الام رأسها لتقف هي الاخرى وترافق الاب خارج غرفة ابنتها ..

حالما أغلقا الباب انحنى ياسر بكليته ليغمر زوجته وهي تضحك بينما يقول بخفوت خشن

" اخيراااا .. حمدا للّه على السلامة يا وردية .. اشتقت لعظامك ...! "

حذرته بالقول الصارم الطفولي

" اياك ان تؤذيني .. يكفيني ألماً مما عانيت واعاني الآن .."

فينظر لعينيها الخضراوين ويهمس بنبرة شبه متوسلة

" فقط قبلة افرغ فيها بعض احباطي .."

تضحك مرة اخرى ويخفق قلبها تأثرا بمحاولاته المرتبكة كي لا يؤذيها..فيشتم وهو لا يعرف من اين ان يحتضنها وكيف...

في الممر توقفت خطوات طاهر وامسك بذراع زوجته ليوقفها معه وهو يقول بهدوء مشيرا برأسه " فرقد وهاجر واقفان هناك قرب غرفة المواليد الجدد .. دعينا نتركهما بمفردهما وسنأتي لاحقا لرؤية الصغيرة .. لنذهب ونشغل انفسنا بشرب بعض القهوة .. اظن ياسر قد ضاق بوجودنا حوله مع زوجته.."

ألقت حياة نظرة عابرة لا مبالية للـ(عريسين) في وقفتهما المتباعدة عن بعضهما قبل ان تتحرك بصحبة زوجها ناحية مقهى المستشفى وهي تتمتم تعقيباً على كلام زوجها عن ياسر " هذا الجلف سيسبب لي ارتفاع الضغط والسكر ... لا يطاق .. الا يخجل من اظهار ضيقه بحمويه ؟!"

رد عليها طاهر بانصاف لصهره " يا حياة كوني عادلة.. الرجل منذ اشهر صابر .."

هتفت حياة باستهجان " صابر ؟! اللهم صبّر صغيرتي على عشرته..! "

دخلا المقهى الصغير الخالي تقريبا الا من امرأة وحيدة تشرب القهوة بمفردها ليرد طاهر بخفوت على زوجته " هما سعيدان هكذا مع بعضهما يا حياة فلا تتدخلي بينهما .. "

وقفا ليطلبا القهوة ثم أخذا الطلب وجلسا على مائدة صغيرة ليقول طاهر بتفكير

" اتمنى ان تجد هاجر سعادتها مع فرقد ايضا .. يبدو ان هذا الرجل قدرها في النهاية .."

ابدت حياة امتعاضها وهي ترتشف من قهوتها وتقول " هل يبدوان كعريسين سعيدين في نظرك ؟! انظر اليهما بالله عليك ... طوال حفل الليلة كانا يمثلان دوريهما بإتقان ليبدو ما يحصل بينهما طبيعياً وهو ليس كذلك على الاطلاق .."

رد طاهر بجدية مخفياً ضيقه من الوضع الحاصل " حياة ... كل ما اريده منك ان تعاملي هاجر بأفضل معاملة .. انها بمثابة ابنة لي ولن اطالبك ان تعامليها كأبنة لك لكن على الاقل راعيني أنا في هذا .. وتذكري انها لم يعد لها غيري وقد تخلى والدها عنها تماماً فلا يسأل عنها او يهتم على الاطلاق .."

ما زالت ملامح حياة ممتعضة ليضيف طاهر بمزيد من التأكيد على اهمية الامر لديه

" ما أطلبه منك لاجلي انا .. وليس لاجلها .. هذه فرصتي الاخيرة لابدأ معها دوري كأب يسندها ويكون لها واجهة تدعمها وتحفظ لها قيمتها وقدرها واحترامها امام الكل بمن فيهم زوجها حتى وعائلته .. ان لم أقدم لها هذا سأظل أحمل وزرها لآخر عمري ..."

تراخت ملامح حياة وأبدت اللين والتفهم وهي ترد عليه " كما تشاء طاهر .. أنا سافعل ما بوسعي لاجلك فقط .. واتمنى ان لا تخذلك هاجر مرة جديدة .."

رأسه حليق تماماً وسترته الكحلية ضاق بها
ليكتفي بفك ربطة عنقه واول ثلاث ازرار
من قميصه الابيض ثم يستند بظهره للحائط
خلفه مسنداً رأسه عليه وبعينين شبه
مغمضتين كان يقرأ تفاصيل معشوقته الجنيّة
وهي تقف على بعد خطوتين منه...

كيف ترتعش يدها وهي تلامس الزجاج
الشفاف وعيناها ترمشان بتأثر رهيب وهما
تحدقان عبر الزجاج نحو المولودة الصغيرة ...

يراقبها فرقد متيماً بها وبرغباتها المحمومة
التي يشعرها منها دون ان يحتاج ليبذل جهدا
في قراءتها ...

آاه من حشا قلبه .. كيف سيطيق الدنيا ولا
يتنفس هواها ...

جنيّته .. كتلة من انثى كشعلة نار ...

وقد اختارت لون النار لفستانها ورفعت شعرها
الاحمر بثقة ليظهر عنقها الابيض الشاحب ..

فراء بني على كتفيها زادها جاذبية وبعداً
عنه ! لقد تلبست ازياء العاصمة من جديد ولم
تعد هي نفسها (عِجمية قرية الشيوخ) ...

التمع معصم يدها بإسورة اهداها لها الليلة ..

إسورة حملت اسمها مضافاً لها لوعة روحه
فاسماها (هاجر الحشا)...

كان قد ألبسها الاسورة الذهبية في بداية السهرة كما ألبسها خاتماً في بنصرها الايسر ليلثم بفمه باطن كفها دون ان تبدي أي تأثر او حتى اهتمام ...

قاسية عليه كقسوة حجر من عصور سحيقة ما قبل التاريخ حتى ..

ابتلع ريقه ولم يعد يحتمل رؤيتها هكذا تنظر لطفلة سهر بتمنٍ موجع فكلمها بصوت أجش

" دعيني اعيدك للبيت .. الكل منشغل مع سهر وانت تعبتِ .."

لكنها غارقة في عالم الامنية العطشى لتتمتم بعذوبة انثى تحمل جينات الامومة منذ ولادتها

" انظر اليها .. ربااااه .. كم هي صغيرة وفاتنة.. انظر لقدميها وشقاوتهما وهي تحركهما في تمرد ومطالبة بالانتباه!"

يدها تمر فوق بطنها دون ان تشعر بينما هو يتفتت قلبه يود لو يمنحها طفلا في الحال .. ان يملأ احشاها وروحها بكل ما تشتاقه وتشعر بالنقص اليه !

دوماً كان يعلم بغيرتها من سهر..

لن ينسى ابدا لمعة عينيها في احد الايام وهي تحكي له ما فعلته بابنة عمها المدللة عندما كانتا طفلتين وكيف قصت فستانها الجديد بالمقص في يوم عيد ميلادها ثم ذهبت بعدها لتنام ... !

كان يعلم انها لم تذهب لتنام لانها شعرت بالانزعاج من بكاء سهر (كما أدّعت) بل لانها شعرت بالذنب لما اقترفته وجبنت ان تعترف به لأحد لتخفف عبء الذنب عنها...

شعر بوقتها ان هاجر التي تبدي كل هذه الثقة والجرأة في داخلها تعاني من نقص رهيب لم تستطع سده فاكتفت ان تخفيه ..

ان تنفيه الى اقصى ركن بعيد من دواخلها ..

الآن تبدو هاجر في عينيه مختلفة ..

ما زال النقص موجودا لكنها تتعامل معه بإحساس مختلف ...

لم يعد يستشعر منها نفس الغيرة القديمة وهي تراقب الآن المولودة الصغيرة التي انجبتها ابنة عمها للدنيا قبل ساعة واحدة فقط مفسدة ليلة الاحتفال عليهم...

احتاج ان يرى عينيها في تلك اللحظة ..

احتاج ان يرى في تلكما العينين ما يقرؤه من صاحبتهما ...

ناداها بصوت أجش " هاجر ..."

التفتت اليه فخرجت انفاسه من صدره تضج بالحنين لذاك الذي يملأ نظراتها ...

هذه المرة مؤكد لم يكن هناك غيرة من سهر بل رغبة بإحساس امومة قد يملأ نقصاً ما فيها ...

هذه المرأة الفاتنة بوهج روحها كانت الليلة محط انظار الجميع وهي تبدو كقطعة كريستال ثمينة تتوهج تحت اضواء المطعم الفخم...

كانت الليلة ليلتها وهي نجمة عالية في السماء .. انيقة واثقة تجامل الجميع وتبدي تحفظاً يجعلها أكثر جاذبية واثارة للاهتمام.. كانت السهرة ناجحة .. سهرة رائقة عامرة حضرها بالاضافة لعائلة طاهر الاحمدي بعض المقربين من المعارف في محيط الصحافة والقنوات الاعلامية الفضائية ...

لم يكن تجمعاً كبيراً حتى لكنه ضم تنوعاً بمن حضروه من النخبة ..

كل شيء سار على افضل ما يكون ولو ظاهرياً وقد تقبلت هاجر منه ان يلامسها احياناً دون ان تظهر اي اعتراض ..

و بينما هو كان يخفي اشتعاله بشق الانفس كانت هي باردة منيعة شحيحة النظر اليه وقد لعبت دور (العروس) المتألقة ببراعة ...

ووسط معاناته هذه وعقارب الساعة تسخر منه وموعد الفراق يقترب شيئا فشيئا فجأة صرخت سهر متوجعة وهي تمسك بتلابيب سترة زوجها ياسر لتنتهي تلك السهرة ومازالت في منتصفها ...

عاد لينظر اليها فيقول لها وهو ينظر للمعة عينيها البعيدة عنه

" عمك وزوجة عمك يبدوان مأخذوين بالحدث ولن يفارقا ابنتهما وحفيدتهما الاولى الليلة وانت تبدين مرهقة وتحتاجين بعض النوم .."

جفّ ريقه وكأنه يبتلع شوك الصحراء مضيفاً

" وانا ايضا يجب أن .. ألحق بطائرتي .."

أكتفت أن ادارت وجهها ناحية الزجاج واصابع يدها تتقلص على سطحه الشفاف للحظة او اثنتين قبل ان تعيد وجهها نحوه ودون ان تنظر اليه فقط تسبل اهدابها وتهمس

" هيا بنا ...."

طوال طريق العودة كان يشعر انه مشحون حتى آخره .. وجع فريد يقطع اوصاله وهو يقود السيارة في طريق الفراق ...

لم يكن حتى بقادر على ان ينظر نحوها وهي تجلس جواره تتدثر بالفراء ونظراتها بعيدة كما روحها ...

كلها تبتعد عن روحه بكل عمد وقصد حتى قبل ان يبتعد بجسده عنها ...

على باب شقة العم طاهر ودعته ببرود واصابعها تتشبث بذاك الفراء اللعين

" رحلة سعيدة .. وموفق في عملك .."

لم يرد عليها وعيناه تنظران لعينيها النرجسيتين الباردتين ...

صدره يعلو ويهبط بعذاب انفاسه المتحشرجة لتستدير هي وبكل برود تفتح باب الشقة وتدلف ثم تغلقها في وجهه ...

حدسه يخبره انها ما زالت خلف ذاك الباب الذي يود تحطيمه ...

هل تبخل عليه حتى بـ ... قبلة ؟!

هل تبخل عليه ان يضم روحها ويستنشق عطرها ليقتات بها في غربته ؟!

اللعنة بم يهلوس ؟! هل سيكتفي بقبلة او أن يضمها لصدره ؟!

لو لمسها الآن لن يحتمل ..

ربما سيختطفها مرة اخرى ويعيد ليلة زفافهما بجنون أشد وشغف أوجع ...

ناداها بصوت خشن وهو يرفع قبضته للباب

" هاجر ..."

ما زالت انفاسه ثائرة في صدره وهو يسمعها ترد ببعض السخرية

" ماذا تريد ؟ لماذا لا تزال هنا! لا تقل لي انك ستطلب ان افتح لك الباب وتتوقع اني .. سأفتحه .."

لم يعد يهتم لانتقاماتها منه ...

هناك ما يجب ان يقوله .. ويحتاج ان يقوله من خلف جدار صخري عصي عليه حتى لا يفقد السيطرة ...



قال بصوت مبحوح ولسعات النيران تسري في جسده " لا ... لا تفتحيه... إياكِ .. لن استطيع ان ... امنع نفسي عنكِ.."

اغمض عينيه بقوة وقلبه العاشق يقوده بدرب آخر ... يحتاج أن يقول لها أنه يعلم بما تتمناه..

يحتاج ان يمنحها دعماً حتى لا يتركها لوحدتها وامنياتها غير المحققة ...

العرق يتصبب منه لما يبذله من مجهود بينما يضيف " اعلم انك تعذبينني عن عمد .. عذبيني ما شئتِ أنا أستحق .. لكن اقسم برب الكعبة كل ما اتمناه اللحظة اني اريد أن امنحكِ طفلا فقط كي اراك سعيدة وانت تحظين به .. أن املأ عينيك بالفرح وهما تنظران لبضعة منك في حجرك ..."

كانت تعض يدها من خلف الباب تكتم شهقات البكاء فتسمعه يضيف بصوت سيعذبها لليال قادمة طويلة موحشة بنبرته القروية

" لا تبكي يا حشاشة قلبي ... ابلغي روحك مني السلام .. وقبّلي وجنتيّ قلبك عني وثغر العشق والغرام.."

ليختمها بنبرة الوجد والهيام قبل ان تبتعد خطواته " سلام يا هاجر الحشا .. حصنك ربي من كل مكروه ..."



الجمرة السابعة والعشرون

بعد شهر .... الجمعة ..

" كفى جوجو ! لا تكوني لئيمة واتركي لتوتو بعض الطعام .."

تتربع هاجر جالسة على ارضية الشرفة الصغيرة الضيقة لغرفتها والتي خصصتها لصوصيها جوجو و توتو ...

لم يعودا صوصين ! لقد كبرا .. او .. كبرتا..

عودت نفسها على ان تتعامل معهما بصيغة المؤنث فهما توشكان ان تصبحا دجاجتين ...

ترتعد من البرد وتضم اللحاف اكثر حول جسدها بينما شعرها الاحمر يتطاير بعبث..

تراقب بحب خاص توتو النحيلة وهي تأكل على استحياء بينما المشاغبة جوجو تحاول ان تسرق منها بعض الحبات ..

طوال الاسابيع الماضية اعتنت بهما كل الاعتناء .. اعطتهما كل اللقاحات الضرورية وتحضر لهما افضل انواع العلف للدجاج وترافقهما حتى تنامان ليلا جنب بعض فتودعهما بابتسامة وتغطي القفص لتحصلا على الدفء...

ما زال امامهما بضعة أشهر لتصبحا ناضجتين ..

رفعت هاجر وجهها للشمس المشرقة تستمد منها بعض الدفء ...

اغمضت عينيها لتعيش اللحظة المتوقفة منذ.. رحيله ...!

هدوء .. سكون تام ... كل شيء ساكن بالنسبة لحواسها حتى وهو يتحرك !

وكأن رحيله حمل الحياة معه فلم تعد تستشعر النبض فيها ...

ليالٍ قضتها تبكيه في سريرها افتقاداً موحشاً جباراً لوجوده الذي اعتادته في حياتها ...

اتصل مرة واحدة ليخبرها عن رقم هاتفه في تركيا وأن تتصل به اذا احتاجت منه شيئا

فسارعت لتغلق الخط في وجهه بعد ان شكرته بنبرة مقتضبة جافة ..

تحتاج ان تؤذيه هكذا .. تحتاج ان تقسو عليه .. تحتاج ان تشعره عاجزا عن فعل شيء حيالها .. تريد ألمه حتى وهي تتألم معه ...

انها تعيش ايامها شبه منعزلة عن الاخرين ..

حددت علاقاتها بعائلتها فقط وتقضي يومها بين العمل الجدي في المحطة الفضائية ثم العودة لبيت عمها تتسامر معه احياناً ومع سهر ان كانت متواجدة في زيارة والديها واحياناً تفضل العزلة في غرفتها تتسامر مع دجاجتيها الصغيرتين ..

لم تعد تستخدم النت الا للعمل ...

كل مواقع التواصل الاجتماعي المشتركة فيها مغلقة منذ اشهر وكان هذا بناء على طلب فرقد عندما تزوجا اول مرة ...

لم تهتم بوقتها لانها اصلا لم تكن من النوع النشط بهذه المواقع وتشكل عبئا عليها ...

مجرد علاقات سطحية ونزاعات مستترة وخلافات تافهة عدا المشاجرات العامة والتراشق بالكلام حول الدين والسياسة فاصبحت هاجر تشعر بالنفور من كل هذا ..

لم يكن لها اي علاقات صداقة جدية لذلك تركت هذه المواقع دون رجعة او ندم ...

ولم تعد لفتح حساباتها من جديد بعد كل ما جرى بينها وبين فرقد..

الغريب انها لا تنفك تفكر بقرية الشيوخ ..

تحن اليها بل حتى .. تحلم بها ...

هي .. تحلم ؟! شيء لا يصدق ...!

بعد كل هذه السنوات من نوم خال من الاحلام ، تبدأ وهي بعمر الثلاثين لتحلم بمكان كانت موجودة فيه بالغصب والاكراه وحتى الاذلال ..

لقد حلمت انها وحيدة في بيت المزرعة ورائحة الطير المشوي تنبعث من مكان ما مجهول وبوابة المزرعة الكبيرة مقفلة بالسلاسل .. حلمت ببيت عبد الملك .. بنسرين ونجمة.. والبستان خلف البيت...

تحلم احياناً بالشيخة نزهت .. وأجواء
الاحتفال بالعرس والاطفال يغنون بأنس..

لقد حلمت حتى بالشيخ عبد الجبار بل وناصر
وجمهرة الرجال الملثمين الثائرين...

الغريب انها ابداً لم تحلم بعجمية حتى
اللحظة ..لقد تخيلت انها ستحلم بتلك المرأة
المؤثرة كثيراً لكن .. لا شيء...!

اما .. هو ... نجمها البعيد ... فرغم انها لم تر
وجهه ابدا في احلامها الا ان انفاسه ولمسه
الحي بوجدانها يلاحقانها في الاحلام ...
تشعره هناك زائر دائم في متنفس الاحلام
الجديد عليها مع كل الصور التي تراها لاهله
وعشيرته لكنه زائر متخفٍ غير ظاهر ...

فليبقَ متخفياً ما يشاء .. لن يربك صفائها
ويزحزح قرارها بأن تعاقبه ...

تنهدت لتخرج من عزلة افكارها وتعود للواقع
وأخذت تستعد لتنظيف مكان الدجاج وهي
تتكلم معهما بألفة وشقاوة

" هيا لننظف المكان فاليوم هو الجمعة
والساحرة حياة ستأتي لتتأكد من نظافتكما
وإلا ستسحركما لدجاجتين مشويتين .."

تضحك لفكاهتها الخبيثة الطفولية بينما
تبدأ بالتنظيف وابتسامة رائقة تعلق بفمها
فرحاً لحضور سهر اليوم مع لعبتها الصغيرة..

آآه لو يعلمون جميعاً كم تخفف عنها نيفين الصغيرة من وحشتها وتمنحها فرحاً حقيقاً من الأعماق ...

لا شيء يضاهي تقبيل يديها الصغيرتين ..

كم كانت بلهاء لانها لم تقبل يد الاطفال من قبل ...!

عندما أنهت عملها دخلت لغرفتها ثم توجهت لحمامها لتستحم ...

وعندما خرجت تحركت تلقائيا بمبذل الحمام ناحية الهاتف لتجد رسالته اليومية ...

(صباح الخير)

لا شيء أكثر من هذا ..

كل يوم يرسلها لها منذ سفره ..

لكنها تعلم عن يقين انه يتصل بعمها طاهر ويعرف كل اخبارها منه ...

فتحت الرسالة (القصيرة) المألوفة المكررة فتشع عيناها بالرضا القاسي ...

مجرد كلمتان منه تعبران عن جحيمه ..

عن يأسه .. عن ... عذابه ...

فليتعذب .. !

عليها ان تبرأ وتتحرر من عذابها بعذابه هو ..

أعادت الهاتف لمكانه ثم خلعت مبذلها لترتدي ثياباً تدفئها وهي تتساءل هل البرد قارص في تركيا الآن ؟!

اجل .. تعتقده قارصاً ..

بل تتمناه متجمداً !

فتحت خزانتها لتختار بلوزة بينما عيناها النرجسيتان تشعان بمزيد من القسوة وشفتاها ترددان " ليته يتجمد هناك ! "

اسطنبول

ساحة السلطان احمد مقابلا للمسجد الازرق الشهير ، عربة لرجل عجوز يبيع (السحلب التركي الساخن) يقف فرقد وهو يمد ذراعه من فوق العربة ليمسك بالكوب الابيض الصغير ويأخذه من يد الرجل وهو يشكره بصوت متحشرج من اثر انفلونزا شديدة اصابته الاسبوع الماضي وما زالت اثارها عالقة بحنجرته وصدره ...

ارتشف من الشراب الساخن ورائحة القرفة المرشوشة فوق سطح السحلب تفوح فتتلقفها حواسه ويشعر بذاك التحسن الفوري المألوف ولو كان لفترة محددة من الزمن ..

شكر العجوز بالتركية ثم تحرك ليجلس على المصطبة ولم تمض دقيقة حتى جاءت وبزغت له من العدم لتجلس جواره ..!

كتم زفرة حنق منه متطلعاً بطارف عينه للفتاة المتجهمة التي فرضت وجودها عليه لتجلس على نفس المصطبة ترفض الانصياع لأمره المتكرر ان تبتعد عنه...

منذ أن عاد لتركيا والتقاها بلهفتها المجنونة ودموعها المشتاقة تحسبه عاد لاجلها فتحتضنه بجرأة وتحاول تقبيله فكان حازماً معها وهو يبعدها ويخبرها باقتضاب أنه تزوج ولا يصح ما تفعله..

لقد تشاجر مع فيصل لانه تعمد ان لا يخبر هوليا .. بل تجاوز الحقير كل الحدود ليحضرها بنفسه حتى المطار لتستقبله الفتاة وهي تظنه عائدا لاجلها ..

انهارت حالما اخبرها وتركته راكضة ...

ولم يكن فرقد بحالة ليلحق بها ويواسيها او يخفف عنها فقد كان هو من يحتاج المواساة !

الحقير فيصل كان يعرف أنه تزوج لكنه آثر الصمت ليستمتع بمشهد (لا ينسى) كما وصفه لاحقاً فرد له فرقد بلكمة على وجهه المبتسم بخبث فيوقعه على ارضية الرصيف مقابل بوابة المغادرة للمطار ثم تركه ومضى ليستأجر سيارة أجرة ...

اربعة اسابيع مرت منذ اخبر هوليا ..

ابتدأتها هوليا باسبوع صدمة وانهيار لا تغادر بيت عائلتها ..

ثم اسبوع عزلة وكآبة ورغبة بالانتحار كما أخذت صديقتها بيتار توصل اليه في محاولة لتحنن قلبه ..

ثم أسبوع غضب وهستيرية مجنونة لتأتي الى مكان عمله وتثير فضيحة فما كان منه الا ان اخرجها بالقوة من مركز المحطة ثم يأخذها لاقرب مقهى ويحاول جهده ان يجعلها تفيق من هوسها الطفولي المضحك ..

و .. اخيرا هذا الاسبوع وبينما هو طريح الفراش قررت هوليا زيارته في الاستديو الصغير الذي استأجره ولم تراعي حالته لتستمر بهذرها اللحوح حول وجوب اعادته النظر بزواجه من ... (اسواط النار) كما تسميها باستخفاف ظاهري بينما كان يعرف أنها تتألم غيرة من الداخل ...

لقد كانت ذكية لتعرف أنه تزوج من نفس الفتاة التي وشم وصفها على ذراعه ...

ظلت هوليا تلح وتصر لساعتين وهو يعاني آثار الصداع الشديد وحشرجة حارقة في الحنجرة بينما هي تواصل خداع نفسها تحاول اقناعه أنه تعجل .. وأنه لا يحب تلك الفتاة .. وأنه لو كان يحبها حقا لما تركها وحيدة في الديار..

" هلا احضرت لي بعض السحلب ايضا ؟"

لم يلتفت اليها بل يواصل ارتشافه من الشراب متجاهلا اياها علّها تعتقه من تطفلها المزعج هذا ...

نوبة سعال شديد اصابته حتى دمعت عيناه وتسارعت انفاسه المتحشرجة مما جعل ملامح هوليا المتجهمة تترقق وهي تميل نحوه وتهمس له بصوت انثوي شديد الاهتمام

" فرقد .. دعنا نذهب للاستديو الذي تسكنه

بدلا من الجلوس في هذا البرد القارص ..

تكاد تتجمد وانت جالس هنا على المصطبة..

دعنا نذهب وسأعد لك حساء رائعا تعلمته من

امي ثم ..."

نظر اليها جانباً نظرة قاسية وهو يهتف بها

" عليك التوقف عم تفعلينه يا هوليا .. لماذا

تقللين من قيمة نفسك هكذا وانت تعرفين

بداخلك ان لا أمل .. "

تضع يدها على ذراعه تتوسله بعينيها

الزرقاوين قبل لسانها " لكني .. أشعر .."

انتزع ذراعه بقسوة وعنف ليهتف بها من

جديد وبمزيد من الغضب المشتعل

" المهم ما اشعره انا .. اللعنة .. الا تفهمين ؟!

لا يكفي ان تشعري بمفردك .. يجب أن اشعر

معك .. وانا لست معك .. لست .. معك .."

اخذت دموعها تسيل على خديها وهي تقول

بغضب طفولي وكلمات ساذجة

" لكنها لو كانت تحبك لقطعت المسافات ..

لقطعت البحار والمحيطات لتأتي اليك وتعتني

بك وانت مريض هكذا .."

اغمض عينيه وهو يشعر بمزيد من البؤس ..

ماذا يفعل ليتخلص من هوليا الى الابد ؟!

الا يكفيه ما يعاني لتأتي هذه الطفلة فتتعلق

باذياله هكذا ...

لقد جرب معها كل شيء ولم ينفع ..

جرب العنف والقسوة .. جرب اللين ومحاولة الاقناع بالمنطق .. جرب التهرب منها وتجاهلها.. وكل تجربة كانت اسوأ بنتائجها من الاخرى ! فلا تزيدها الا تعلقاً وهوساً ...

مد يده جانبا حيث وضع كوب السحلب على المصطبة عندما فاجأته نوبة السعال فيلتقط الكوب ويرتشف منه وهو يقول بضجر

" تفسيراتك الخيالية أبقيها لنفسك .. ألم تفكري للحظة أني لم أخبرها بمرضي ؟! "

كان يقولها بتلك النبرة المتضجرة في ظاهرها لكن قلبه يتقطع تقطيعاً ...

نعم هو لم يخبر هاجر لانه ببساطة لا يتكلم معها .. لا يتواصل على الاطلاق ..

تتمزق روحه ألف مرة خلال اليوم يتمنى ان يسمع صوتها فقط ...

اللعنة ! هذا ليس حقيقيا ... هو لا يريد سماع صوتها .. هو يريدها .. يريدها كلها ...

اما كل شيء او .. لا شيء ..

يأتيه صوت هوليا باصرارها المألوف الخانق

" كانت ستعلم من نفسها .."

ألتفت اليها فيجد وجهها قريباً جدا من وجهه..

وجه رقيق وزاد رقته الطاقية الصوفية الزرقاء التي ترتديها وتبرز لون عينيها الدامعتين..

تبدو .. جميلة هذا الصباح ...

شفتاها الحمراوان ترتعشان بينما نظراتها المتلهفة تتركز على شفتيه هو ...

همس بخشونة والكوب ينعصر في يده

" كيف ستعلم يا ذكية ؟ بالتخاطر عن بعد ام بوسيط روحاني ؟! "

اقتربت بفمها من فمه تقول بحشرجة تمس القلب " بل بقلبها .. لو كانت تحبك كانت ستعرف بقلبها انك .. لست بخير .."

اسبلت جفنيها واوشكت ان تلتحم بشفتيها مع شفتيه هامسة بتقطع الاسم الذي اطلقته عليه سابقاً " بو..لا..ريس ..."

هذه الطفلة انفاسها حلوة مغرية خاصة وهي تعيش دور العشق معه وتناديه بهذا الوله ..

لكنها ابدا لن تكون كانفاس العشق من حشاشة قلبه .. هاجر ..

غامت عيناه وهو يبعد وجهه عن هوليا قائلا ببرود " كفاك هوليا .. لا تجبريني ان أكون خشناً بطريقة تهينك.. "

عادت دموعها لتنسكب وارتعاشة شفتيها الآن ليست من الاثارة واللهفة بل من القهر والألم ..

هتفت به وهي تشد سترته بانفعال

" لن أكتفي ابدا وسأثبت لك ان حبي حقيقي وليس طفولياً كما تعتقده .. "

تراجع بظهره للخلف وعاد ليرتشف شرابه بملل وهو يأمرها بالقول

" اذهبي من هنا ودعيني اشرب بمفردي ..
يكفي الصداع الرهيب في رأسي وانت تزيدينه
سوءا .."

سحبت يدها بخشونة من سترته الجلدية لتهب
واقفة على قدميها وتتحرك خطوتين
غاضبتين عندما غيرت رأيها لتستدير عائدة
اليه ثم تقف فوق رأسه هادرة بعينين لامعتين

" انا لست غبية يا فرقد ... قد تراني صغيرة
لكن لدي عينان تراقبانك وقلب يشعر
بك.. انت منذ اربعة اسابيع عدت لتركيا وانا
لم أرك ولا مرة واحدة فرحاً .. لم اركِ
تضحك .. لم أرك مرة واحدة تتهامس
بالهاتف معها كما يفعل كل من يفارقون
زوجاتهم ويحنون للاتصال بهن .. انت لست
سعيدا بزواجك منها .. بل على العكس تبدو
كمن يتعذب .. يصطلي بأتون العذاب... هل
تريد ان تقنعني ان رجلا بمثل عواطفك
الحارة يبدو بائسا وحيدا منبوذا هكذا ؟!
يجلس في برد تركيا دون قلب عاشق له
يشعله؟ انت تطحن نفسك بعشق يشقيك ؟!"

لم يرفع حتى نظراته اليها وواصل ببرود
ارتشاف ما تبقى من شرابه فاطلقت هوليا صوتاً
مغتاظا وهي تسحق اسنانها ببعض ثم ضربت
بقدمها الارض قبل ان تستسلم (ولو آنياً)
وتستدير لتمضي مبتعدة تاركة اياه وحيدا...

أخرج هاتفه من جيبه وفتحه باحثا عن صورة
محددة .. هاجر في ثوب العرس ....

الدم يتجدد في عروقه عندما يرى هذه الصورة .. انها مفتاح صبره ...

لدقائق طويلة ظل بعدها عيناه لا تفارقان تفاصيل الصورة...

الوجه المنير بالفرح .. العينان النرجسيتان الكحيلتان بكحل عربي .. الفم الاحمر الشهي.. الثوب الحريري الابيض البسيط المطرز باسمها ولف جسدها المعطر ..

وهنا ... تتبعثر كل الذكريات في حياته ولا تبقَ الا ذكرى واحدة ..

ليلة من الف ليلة وليلة ..

ليلة كانت جنيته قد رضت عنه وبين الحرير منحته كل شيء... كل شيء ...

نوبة سعال جديدة انتابته بشكل أقوى من الاولى حتى أخذ العرق يتصبب من جبينه والهواء البارد يلفح وجهه فيجعله يشعر بمزيد من السوء في حالته ...

صدره يوجعه وقلبه ينبض بعنف مجنون بينما عيناه الواهنتان بالمرض تأبيان مفارقة النظر لعينيها الكحيلتين ..

لتذبحه المزيد من الذكريات في القرية وهي في حالاتها المتناقضة نحوه ما بين التصاق به وبين نفور منه...

ولا يعلم اي حالة تذبحه أكثر!

ولا يعلم .. الى ماذا سيودي به هذا العذاب ....

العاصمة

عصراً .. شقة طاهر الاحمدي

طوى طاهر الجريدة ويقدمها لهاجر التي تجلس قبالته عبر طاولة مكتبه وهو يشير باصابعه لمقال محدد قائلا بملامحه الهادئة الوقورة

" لقد حكم عليه بخمس سنوات .."

أخذت هاجر تقرأ الخبر لبضع ثوانٍ ثم تجذب نظرها صورة محددة التقطعت من كواليس المحاكمة ليظهر فيها منذر بوجه غاضب متجهم وهو يتصدر بجسده عدسة الكاميرا حاجبا فتاة محجبة خلفه فلم تظهر ملامحها...

علقت نظرات هاجر على تلك الفتاة التي تحتمي به فتتساءل بنوع من الغيرة

" هل تزوجا ؟ الخبر لا يذكر شيئا .."

فيرد طاهر وهو يراقب ابنة اخيه عن كثب

" انهما ما زالا مخطوبين .. ولا اعرف متى سيتزوجان .. لم تعد علاقتي بمنذر كما كانت ..."

يصمت للحظة قبل ان يسأل " هل تغارين ؟"

ترفع عينيها لعمها لتقول بشكل صريح مباشر اتخذته سبيلاً معه بقرار منها " ليست غيرة فتاة من فتاة او حتى غيرة لاجله لانه ارادني زوجة يوماً .. لكن الصورة .. لا اعرف كيف أصفها .."

صمتت لحظة واحدة قبل ان تفيض بالتفسير

" اغار من تلك النظرة الحمائية في عيني منذر .. انه رجل طيب في داخله ومن اصل طيب .. لكنه .."

كانت تناضل لتجد الوصف الصحيح ليساعدها عمها بالقول مبادلا اياها صراحتها

" لكنه اكثر غرورا ذكورياً ليتزوج امرأة سبق ان كانت لرجل قبله وأقل مرونة في تغيير معتقداته التي لا تمس الخط الاحمر عنده.."

اغلقت هاجر فمها وعيناها سرحتا في آخر لقاء لها مع منذر قبل ان يختطفها فرقد للقرية ..

رغم كلام عمها هذا الذي تصدقه الا انها مع هذا ترى منذر تغير .. ربما لم يتغير كثيرا .. ربما نضج في رؤيته بعض الشيء .. لا تعلم ..

لكن قصة ارتباطه بهذه الفتاة ذات الظروف الصعبة ومحاولة الاعتداء التي تعرضت لها وواجهها منذر معها ليحميها تجعلها تؤمن بحصول تغيير فيه ... يكفي هذه النظرة في عينيه وكأنه يذود بحياته لاجلها ..

أنه احساس أقوى من الحب ...

ما أجمله ....

طافت بخيالها عينا فرقد وحركات يديه وهو يعتني بها بعد انهيارها لموت فوفو .. ثم كيف احتضنها وتحمل هستيريتها..

آه من يديه .. كم هما قويتان دافئتان كل لمسة منهما تحيي فيها ارواحاً لا روحاً واحدة..

مع فرقد تشعر انها عدة شخصيات بعدة ارواح..

تشعر انها غير عادية وغير تقليدية ..

مرغوبة مُحتواة معشوقة مبهرة صعبة المنال..

لهثت دون شعورها وهي تتذكر ليلة الزفاف ..

فارت الدماء وثارت المشاعر حتى جف ريقها..

لكن كبتتها عنوة ورفضت الانصياع لها ..

لا وقت للضعف .. كل ما فعله لاجلها لا يشفع له عندها لتسامح وتغفر...

حتى لو كانت هي المخطئة في البداية وآذت رجولته .. على الاقل هي لم تتعمد هذا..

اما هو ففعلها عامداً متعمداً يلف حبل الانتقام حول انوثتها يرضي كبريائه وهو يشد الحبل فيشعر بسكرات الموت لتلك الانوثة التي لم تعرف رجلاً الا اياه ...

كان جباراً بانتقامه دون رحمة ...

" وجهك يبدو شاحباً .. هل انت بخير ؟"

بدت مأخوذة على حين غرة فشعرت بخجل فظيع وهي تبادل عمها النظر وتهز رأسها بـ(نعم)... ومع هزة رأسها شعرت بقلق مبهم !

يبتسم لها ابتسامة غامضة وهو يسألها

" هل ما زال اهل زوجك يتصلون بك ؟"

لم تكن المرة الاولى التي يسألها وتشعره يريد الاطمئنان لوجود هذا التواصل فترد عليه وهي تنحى بكل مشاعرها جانباً " نسرين ما زالت كل يومين تتصل لتطمئن علي وآخر مرة كلمت الشيخة نزهت ايضا .."

يضيق طاهر عينيه وهو يسأل " وماذا عن .. ناصر .. اليس اسمه ناصر ؟"

التمعت عيناها وهي تدرك انه عاد لموضوع قديم يحفر وراءه لتقول له بعتب رقيق

" عمي... هلا توقفت عن محاولاتك الدؤوب لتعرف تفاصيل ما حصل في القرية ؟"

فيرد طاهر بذكاء " اذن فأنت تعترفين انك غامضة بشكل يثير الحيرة !"

تعقد حاجبيها الاحمرين قليلا وهي تتساءل

" كيف يثير الحيرة ؟"

عينا طاهر تراقبان كل خلجاتها بدقة وهو يرد عليها " احيانا عندما تتكلمين عن القرية اراك منفتحة جدا وتخبريني تفاصيل دقيقة جدا ابهجتك او حتى اخافتك كما عندما حصل يوم اختطاف الشيخ عبد الجبار وذهاب فرقد خلف الخاطفين بمفرده .."

ترتبك هاجر تلقائيا وتبدو لعيني عمها وكأنها ستقع في فخ تريد الفرار منه ولا تعرف كيف ، مما يجعل طاهر يكمل ما بدأه مضيفاً

" واحيانا اراك (كما الآن) مرتبكة متوترة وعندما تتكلمين عن تفاصيل اخرى تتلكئين وكلماتك تخرج متعثرة بالتردد والتفكير .. وكمثال على هذا عندما أخبرتني عن قرارك السفر مع فرقد وذهابكما معاً لقريته دون ان تتصلي بي.. كنت غريبة وكأنك تحاولين اختلاق قصة ما ترضيني ..."

حاولت معه وهي تشعر أنها وقعت في فخ حقاً

" الا يمكنك ان تترك الامور كما هي ؟"

يشفق عليها فيتراجع عن ضغطه ثم يسترخي في كرسيه ويتناول فنجان قهوته يرتشف منها ويقول

" لو كان وضعك طبيعياً الآن ربما كنت سأتركه .. لكن طالما يوجد جفاء وتباعد منك ناحية زوجك فاذن يجب ان اعرف .."

احتدت نظراتها فجأة وهي تقول بقسوة

" اذن فقد اشتكاني اليك ؟ "

يبتسم وعيناه تفيضان بشقاوة جعلته يبدو أصغر سناً ثم يقول بنبرة أكثر شقاوة

" من ؟ فرقد يشتكيكِ ؟ بل أنه لا يكف عن توصيتي أن .. ادللك .."

أحمرت بشدة ورغماً عنها تتأثر من شعورها الدائم أنه قريب منها ويراعيها ويحاوطها بعنايته وحمايته ...

قلبها ينبض بعنف ويقتلها شوق لحضنه ..

آآآه من حضنه كم اشتاقته ...

لتأتي كلمتان مباغتتان من عمها وكأنه يواجهها بحتمية ما تتجاهله

" انت تحبينه ..."

همست بانفاس رقيقة " عمااه .."

وضع فنجانه جانباً وهو يتنهد ثم يحيطها بكل تركيزه متسائلا بحيرة

" لماذا تفعلين به هذا ؟! "

تبدو متألمة بما يفوق اي شعور آخر لتقول باختناق " هل تظن اني لا اعاني عماه ؟ "

فيلح في السؤال " اذن لماذا ؟"

فترد وصوتها مثخن بالجراح " لانه يستحق .. لانه اهانني وحطم كبريائي وانوثتي .. ام هل تراك نسيت كيف أتيتك بمنتصف الليل عماه عندما طلقني ورماني ككلبة ضالة .. لو كان احدهم فعل هذا بأخته نسرين لكان قتله بيديه المجردتين ... الا يحق لي الثأر منه ولو على طريقتي ..؟! "

بكل طاقته حاول طاهر جهده ان ينحى بعيدا هذه الذكرى الرهيبة ..

حاول جاهدا ان يتغاضى عن غضب الرجل فيه.. ربما تكون بيئته في العاصمة قد هذبت هذا الجزء منه لكن الغضب موجود ورغبة الثأر لاجلها مكبوتة بشق الانفس...

اذا كان يريدها ان تسامح زوجها وتعيش حياة طبيعية وتكون عائلة سعيدة عليه ان ينسى هو الآخر ليتعامل مع فرقد الشيخ كنسيب ...

ذكرها بنبرة متلطفة " لكنك ذهبت معه قريته وتصالحتما واعاد اليك قدرك واحترامك واقام لك عرساً .."

يعبس قليلا وهو ينظر لملامحها المتألمة وهي ترد عليه بتصميم

" هذا لا يعني انه وفى دينه لي .."

كانت تقولها بنبرة مؤثرة حتى اعماقه ..

ثم سالت بضع دمعات وعيناها تفيضان بمشاعر واضحة ... انها تحبه لكن حصل بينهما ما يمنعها مسامحته حتى اللحظة !

انها متعلقة به .. تدفعه بعيدا لكن تؤمن انه موجود لاجلها ..

هو منحها ما لم يمنحه اياها اي انسان آخر..

ومع كل هذا ... لا تسامحه !

تعود له شكوكه وتساؤلاته وحيرته لكنه يفضل التراجع قليلا حتى لا يضغط عليها أكثر فيثبت موقفه حتى وهو يتراجع ليقول

" اشعر ان في الامور امورا اخرى .. لكن لا بأس صغيرتي .. دموعك هذه تخبرني أن علاقتكما أقوى حتى مما تتخيلينها انت .."

فتهمس وهي تمسح دمعاتها " لا أكف عن تذكر التفاصيل معه بمرها وحلوها .."

فيرد عليها " هذه هي الحياة يا هاجر .. مر وحلو .. يوم طلقك بتلك الطريقة كان مرّاً.. لكنه ابدله بحلو يوم عرسكما في القرية.. وجهك يشع بالحلاوة كلما ذكرتِ العرس وليلة الزفاف .. "

فجأة رفعت وجهها اليه وبدت ساهمة شاحبة !

فسألها باهتمام " هل هناك ما يقلقك ؟"

صوت جرس الباب انقذها من الاجابة لتهب واقفة على قدميها ويتأرجح شعرها الاحمر المربوط كذيل حصان يمينا ويسارا قبل ان تقول بتعجل للهرب " لقد حضرت سهر ... سأذهب لأسرق نيفووو .."

ثم أفلتت تهرول وتتقافز بطريقة مضحكة كأنها سنجاب صغير ..

كانت تهرول هاربة بنفس الطريقة في طفولتها عندما تشعر أنها قامت بفعل سيء ولا تريد التفكير فيه ... !

في شقة دينا ...

وقف منذر على قدميه حالما دخلت دينا غرفة الضيوف مطرقة بنظراتها للارض ..

بشرتها التي تميل للسمرة بدت أجمل وهي تلبس حجابا زهرياً ، عيناه المهتمتان تلاحقان خطواتها في جلبابها الزهري المطرز بخيوط ذهبية وفضية ...



ألقت التحية بصوت خافت ثم رفعت وجهها اليه ... يصدم بتعابيرها الجامدة فيسألها بحذر " هل انت بخير ؟"

فترد بتصلب " نعم بخير الحمد لله .."

ينظر اليها متفحصاً ملامحها المقلقة ...

الاسابيع الماضية كانت منهكة لهما معاً ..

المحاكمة كانت بشعة فعدي بذل ما بوسعه لتكون بهذه بشاعة ولحسن الحظ ان الجلسة كانت سرية بطلب من محامي الادعاء ...

لقد تحمل منذر هذه الضغوط بينما يشعر ان دينا تبتعد عنه من جهة واهله يضغطون عليه لينسحب من جهة ثانية ... فكانت خطوبتهما متوترة بكل المقاييس ..

لكن كل هذا زاده اصراراً لتكون دينا زوجته.. فعل المستحيل لاقناع والديه ان يرضيا بخياره ويساندانه كما يتوقع منهما ..

كانت امه أشد اعتراضاً وقد أثر عليها اللغط الحاصل حول القضية في محيط العائلة والمعارف وشعرت بالضغط والانهاك العصبي ولولا دعم والده لربما تفاقمت الامور أكثر..

حتى حازم لم يتقبل ما يحصل وقرر أنه لن يتدخل في شيء ما دام منذر مصر على تشبثه بالزواج من الفتاة ...

دينا كانت صامتة صابرة طوال الوقت لكنه كان يستشعر تباعدها عنه ..

والدها هو الوحيد الذي كان متماسكا بشكل ايجابي وكأنه يتحدى بشاعة ما تتعرض له ابنته بأن يرفع هامته عالياً ولا يبالي ..

لكن هذا الرجل الغيور على ابنته يتصرف بتملك شديد نحوها ويبدو احياناً وكأنه يدفع بمنذر بعيدا عن عمد !

لم يكن منذر يفهمه تماماً ولكن العم ضياء الدين له عقلية خاصة واهداف غامضة ..

ساعة يظن منذر ان حماه يدفعه لانه يغار منه وساعة يشعر ان له اسباب اخرى .. وكأنه يختبر ردة فعل ابنته ..

لم تكن الامور واضحة ولا سلسلة خاصة مع الانشغال بتفاصيل المحاكمة وجمع الشهود..

الآن وقد انتهت المحاكمة يجب ان تتغير الامور .. يجب ان تأخذ علاقته بدينا مسارها الصحيح ...

سألها بهدوء " هل سنظل واقفين ؟"

عيناها حادتا نحو كيس موضوع على المنضدة لتسأله بدلا من أن تجيبه على سؤاله

" ما هذا الكيس ؟"

فيرد وهو يخفي توتره مما يلتقطه منها من مشاعر سلبية " هذه ادويتك .. لا بد أنها نفدت منك كما نفدت مني .. فاشتريت لك ولي .."

عيناها الواسعتان قدحتا بمشاعر الغضب فتقول ثأراً لكرامتها التي تظنها مُست

" وانت تتعطف علي فتشتريها لي اليس كذلك ؟ لانك تعرف أني لا استطيع شراءها كلما نفدت مني.."

اقترب منها فجأة وبشكل حميمي فصدرت عنها شهقة تأثر ناعمة بينما يقول لها بصوت خافت " اخبريني ماذا فعلت كي اوحي لك بهذا وعندها سأعاقب نفسي بنفسي ؟"

كان صدرها يعلو ويهبط وهي عاجزة عن التراجع للخلف والاريكة خلفها ..

ترقرقت عيناها بدموع شفافة وبدت شديدة الانوثة رغم شكواها المتألمة وهي تهتف به

" كف عن التعامل معي وكأني .. وكأني ... اختك الصغيرة !"

ارتفع حاجباه بدهشة وهو يتساءل كمن لا يستوعب " أختي... الصغيرة ؟!"

ارتفع صوتها أكثر وهي تقول بحرقة قلب الانثى فيها

" اجل... اجل .. انت منذ البداية تعاملني بهذه الطريقة التي تؤلمني .. لماذا تريد الارتباط بفتاة لا تشعرها الا كأخت لك ؟! "

اتسعت عينا منذر بصدمة بينما يدخل على حين غفلة والدها باسلوبه المفاجئ المعتاد ليقول هادراً وهو يضرب بعصاه الارض

" ماذا يحصل ؟! لماذا ابنتي غاضبة وتصرخ هكذا ؟"

ثم عبس الاب وبدى ساخطاً وهو يأمر منذر بالقول " ابتعد عن صغيرتي .. لماذا تقف ملتصقاً بها هكذا ؟! "

ابتعد منذر بحرج بينما تتحرك دينا نحو ابيها هاتفة بصوت متعثر " لا اريد اتمام هذا الزواج ابي .. ارجوك .. اوقفه .."

احتضن الاب ابنته بينما يرفع عصاه ناحية منذر قائلا له بنفس العبوس

" اسمع يا منذر الطحان .. انا ضغطت عليها لتوافق لاني وجدت فيك خيرة الرجال .. لكن سعادة ابنتي فوق كل شيء .. "

ينظر اليهما منذر وعيناه الرماديتان تلمعان اصراراً فيسأل بملامح متصلبة

" هل أفهم من هذا انك تفكر فعلا بفض ارتباطي مع ابنتك ؟"

انكمشت دينا في حضن ابيها بينما يهدر الاب بنبرة عناد " سيكون هذا خياري الاول ان استمرت صغيرتي الشعور بهذه التعاسة .. والحمد للّه اننا لم نعقد القران .."

يرفع منذر ذقنه ليقول بنبرة جادة

" انا متمسك بها حتى آخر لحظة و اخبرت عائلتي برغبتي ان نعقد القران الاثنين المقبل وحصلت على رضا والديّ .. فقد انتهت المحاكمة ولا شيء آخر يمنعنا .."

عيناه لم تفارقا دينا المختبئة في حضن ابيها فيشعر بالغيرة ! غيرة شديدة لا توصف ..

يبتلع ريقه وقد فاضت نظراته بتلك الغيرة فيضيف " انتظر رأيكما الاخير غدا .."

فيتحرك منذر مغادرا والاب يشيعه بنظرات الرضا ...

بعد يومين .. في احدى شوارع العاصمة

عصراً ...

ركنت هاجر سيارتها الصغيرة ثم أخذت تمشي وهي تضم سترتها الشتوية لجسدها وامواج من القلق والارتباك تدفعها للترنح وهي تسير على ارضية الرصيف ...

لا تعلم لماذا جاءت هذا الشارع تحديدا ولماذا اختارت هذه الصيدلية بالذات دون غيرها ..

تذكرت انها مرة احتاجت لمسكن بسبب صداع داهمها وهي في طريق العودة من العمل فأوقفت سيارتها ودخلت هذه الصيدلية طالبة الدواء ..

وجدت امرأة عجوز قصيرة القامة والصيدلانية الشابة تشرح لها الدواء ...

(الدكتورة علا) كما نادتها المرأة العجوز بألفة من يعرفها عن قرب كان لها صوتاً من أرق الاصوات الانثوية التي سمعتها هاجر في حياتها..

لم يكن صوتها فقط .. بل تلك الطيبة التي تشع من وجهها البيضاوي الابيض وقد احاطه حجاب ازرق بلون السماء الصافية ...

كانت الدكتورة علا من سنها تقريبا .. لم تستطع هاجر تحديد العمر ... لكنها وبشكل عجيب شعرت بالراحة الى درجة ان صداعها الشديد قد خف دون أن تدرك السبب ...

كان يكفي ان تسمع صوت هذه الصيدلانية وهي تعيد شرح الدواء مرارا وتكرارا وبصبر عجيب دون ان تتعب او تظهر تذمرا ..

حتى أن هاجر بدأت تشك ان المرأة العجوز ترتاح لصوت الصيدلانية فتدعي عدم الفهم او النسيان لتجبرها ان تكرر مرة جديدة ..

فيما بعد عندما رحلت العجوز وهي تحمل كيس ادويتها اعتذرت الدكتورة عُلا على التأخير فما كان من هاجر الا ان سألتها بفضول إن كانت تشك ان العجوز تدعي عدم الفهم ! لتضحك الدكتورة بصوت أكثر حلاوة من صوتها وهي تتكلم فتخبرها ببساطة انها تعرف هذا لكنها عجوز وحيدة وتحتاج ان تشعر ان هناك من يهتم لامرها ..

اليوم شعرت هاجر انها تحتاج لاهتمام احدهم .. تحتاج من تثق به وفي نفس الوقت لا يعرف عنها شيئا!

كانت معادلة صعبة ولم يسعفها ذهنها لحلها الا بتذكر هذه الصيدلانية ...

ربما هو شعور طفولي سخيف لكن بوضعها المرتبك هذا والشعور الرهيب المتناقض الذي يكتسحها منذ ايام فلم تكن تفكر بوضوح او حتى بمنطق مفهوم ..

دخلت الصيدلية لتجد الدكتورة علا خلف منضدة البيع وهي ترتب بعض الادوية لكنها استدارت حالما احست بدخول احدهم ..

ابتسمت لها بألفة جعلت عينا هاجر تدمعان ..

تسارعت انفاس هاجر وهي تلقي التحية وتقول بتعثر " مساء ..الخير... دكتورة علا .."

فترد الدكتورة " مساء الخير .. هل استطيع مساعدتك بشيء ؟"

اوشكت هاجر ان تنهار من شدة الاضطراب الذي يعتريها وكأنها تعترف لنفسها بسرها الذي لا تعرف ان كان حقيقة ام خيال !

ارتفع حاجبا الدكتورة الداكنان ببعض الحيرة بينما تتمتم هاجر " انا .. انا ..."

ثم أغمضت عينيها لتدلو بدلوها دفعة واحدة " اريد أسرع وأدق وسيلة للكشف عن وجود حمل .."



الجمرة الثامنة والعشرون

تمد يدا مرتعشة لتدسها في حقيبتها تبحث
عن مفتاح شقة عمها طاهر ...

تغمض عينيها واناملها تلامس علبة كارتونية
أعطتها لها الدكتورة علا واخبرتها انه
كاشف الحمل الافضل ..

لن تنسى معروف تلك الصيدلانية حتى وإن
كانت لا تعرف أنها أسدت لها ذاك المعروف...

وجهها الذي يفيض بالبشر كان يشجعها
ويؤازرها دون فضول او حتى كلمات منمقة...

اخبرتها كيف تستخدمه باسلوب سلسل
ونغمات صوتها الناعم يتسرب لمواطن التوتر
لدي هاجر فيجعلها مسترخية بعض الشيء...

اخرجت المفتاح أخيرا وحالما دسته في الباب
جاءتها اصوات غريبة ...

ارتفع حاجباها ببعض الدهشة وهي تدير
وجهها جانباً متتبعة الاصوات الرجولية
القادمة من غرفة الضيوف ..

يبدو أن هناك ضيوفاً لدى عمها واستغربت
هاجر الامر لان خالتها حياة بالعادة لا تستقبل
ضيوفاً دون موعد متفق عليه تتحضر له مسبقاً
وتخبر هاجر عنه لتساعدها بشؤون المطبخ ..



انها احدى تلك السويعات القليلة التي تكون فيها الخالة حياة بمزاج أكثر ألفة معها ...

خاصة وأن سهر متعبة على الدوام بسبب صغيرتها نيفو ولا تحضر لبيت والديها الا كي ترتاح وتترك ابنتها لامها تعتني بها ...

أغلقت باب الشقة خلفها لتعيد المفتاح لحقيبتها وعيناها تطرفان ناحية العلبة فتهمس لها " عليك الانتظار حتى الليل .. الخالة حياة تحتاجني بشكل مؤكد مع ضيوفها المفاجئين .."

ما أن تحركت خطوتين حتى هلت نحوها حياة من باب المطبخ تناديها همساً وملامح وجهها تبدو غريبة للغاية ..

اغلقت هاجر حقيبتها بحرص ثم اقتربت تستوضح منها الامر لتعاجلها الخالة حياة بالقول وهي في قمة الانفعال والتفاعل

" لقد حضر حموك ومعه ولديه الاكبر والاوسط كما فهمت من عمك .."

للحظة لم تستوعب هاجر فتتساءل بغباء

" اي حمو ؟! ومن ولداه ؟! "

بدت حياة مصدومة من تساؤل هاجر لتقول لها بنظرة متمعنة " ما بك يا هاجر ؟! اقصد الشيخ عبد الجبار طبعا وولديه .. أخوا فرقد.. زوجك .."

جحظت عينا هاجر بصدمة وسقطت حقيبتها أرضا فارتفع حاجبا الخالة حياة وهي تحدق في وجه هاجر المصدوم الممتقع ..

انفتح باب آخر وارتفعت أصوات الرجال بينما يطل العم طاهر بابتسامة هادئة ليقترب منهما قائلا لابنة اخيه تحديدا

" جئت في وقتك بنيتي .. حموك هنا .."

فجأة شعرت هاجر بالهلع ويدها لامست بطنها تفكر ماذا لو كان هناك طفلا ينمو في احشائها ؟! هل ... هل سيأخذونه منها ؟!

سارعت لتنحني وتلتقط حقيبتها تضمها لصدرها وكأنها تخفي سرها عن الاعين

فيحدق فيها كل من طاهر وحياة بدهشة شديدة ..

وبينما حياة لم تجد ما تقوله كان طاهر أكثر تماسكا حيال ردة فعل هاجر الغريبة ليقول لها بلطف لا يخلو من الحزم والأمر

" هيا بنا لتسلمي على اهل زوجك .. الشيخ عبد الجبار حضر خصيصاً ليتعرف بي ويعتذر لاقامة العرس دون حضوري ..."

شعرت ان جسدها تثلج بالكامل بينما يسحبها عمها لتسير معه ثم يميل لاذنها ليقول بصوت منخفض " انا لااعرف سر خوفك هذا لكن تذكري انت في بيتي يا ابنتي .. ولا احد سيجرؤ ان يؤذيك .."

حفنة من دفء سرت في اوصالها المثلجة جعلتها أكثر صلابة وعندما وصلت لباب غرفة الضيوف تنفست الصعداء راحة وهي تؤكد لنفسها أنها في بيت عمها وفي حماه ...

ليست الحماية من الاذى لكن هذا الشعور انها ند لهم ولم تشعره للحظة حقيقية واحدة وهي في عقر قريتهم ...

حتى وجود فرقد معها ووقوفه بوجههم جميعاً لاجلها لم يستطع منحها هذا ...

هؤلاء القوم لا يعترفون بفتاة لا اصل ولا عائلة لها .. إنها العزة والكرامة التي تحملها كل فتاة على رأسها كتاج .. فيقدرها أمثالهم على وجه الخصوص ..

شمخت بذقنها وعلقت حقيبتها باطمئنان على كتفها بينما تدخل بصحبة عمها لتواجههم..

عيناها التقتا مباشرة بعيني الشيخ عبد الجبار القاسيتين الباردتين..

ذاك الرجل بعباءته السوداء المهيب المخيف المؤثر حتى نخاع العظم لم يتحرك من جلسته !

ناصر وأخاه وقفا على قدميهما احتراما لدخول العم طاهر مع زوجة اخيهما وقد أطرقا بنظراتهما للارض وهما يلقيان التحية بنبرتهما الخشنة الخافتة ..

كانت مذهولة وهي تستوعب تغير الامور في حضرة عمها ...

" مرحباً بـ عِجمية ..."

عادت نظراتها لتتركز على الشيخ الذي لم يقف على الاطلاق فرأت في عينيه التماعة وهو ينطق بكنيتها في القرية ..

بدى العم طاهر متحيراً وهو يلفظ الاسم

" عجمية ؟! "

فيرد الشيخ عبد الجبار بصوته العميق الشديد الخشونة وهو يرفع ظاهر كفه ناحية هاجر

" إنها كنية اطلقوها في القرية على ابنتنا هاجر .. تعالي يا بنية .. تعالي وسلمي علي.. انت زوجة الغالي ..."

ملامحه المتحجرة لا تعبر عن شيء لكن التماعة عينيه كانت واضحة بالأمر..

أخذت هاجر نفساً وبخطى ثابتة واثقة اقتربت منه ثم مدت يدها لتلتقط كفه الضخم ثم تنحني بهدوء وتلثم بشفتيها ظاهر الكف قائلة بصوت خافت وبنبرة أهل القرية

" العاصمة أنارت بوجودك عمي الشيخ .."

توسعت عينا طاهر بشكل طفيف عجباً ودهشة لغرابة المنظر الذي يراه والنبرة التي تكلمت بها هاجر مع الشيخ ثم يرى كيف رفع الشيخ يده فوق رأسها المحني ليربت عليه بحركة أبوية ربما !

ابتعدت هاجر لتعود وتقف جوار عمها بينما يدعو العم ولديّ الشيخ ليجلسا من جديد ..

واخيراً التفت لابنة اخيه وسحبها لتجلس على اريكة صغيرة ويجلس جوارها ثم يتحدث بلطف وقور يثير الاعجاب

" حللت أهلا ونزلت سهلا يا شيخ .. زيارتك هذه شرف لنا ولابنتنا هاجر .. "

ثم يضيف بنبرة ذات معنى

" ولو اننا كنا نود رؤيتك قبلها .. لكن .. نطوي صفحة جديدة ويظل لنا في رقبتكم ديّة اختطاف ابنتنا منا .."

توترت الوجوه في لحظة والتقط طاهر هذا التوتر لكن ملامح الشيخ عبد الجبار لم تتغير وهو يرد عليه بصوت الرجال الاشداء

" وديتكم في رقبتنا نسددها .. ارض المزرعة الصغيرة تعرفها هاجر .. ستكون لها.. مرضٍ يا ابا سهر؟"

أطرقت هاجر وهي تلتقط انفاسها بصعوبة بينما يبتسم طاهر بشموخ وهو يمسك بكف ابنة اخيه المتوترة ويرد بالقول

" مرض يا شيخ .. ادامك لهاجر ذخراً وسنداً.."

في هذه اللحظة دخلت الخالة حياة باناقة تحمل صينية الشاي المذهبة وهي تطلب من هاجر ان تأتي معها المطبخ وتساعدها في اعداد العشاء والحلويات ..

لم تصدق هاجر ان تجد فرصة للهرب تحفظ لها ماء وجهها امامهم فلا تظهر امامهم جبانة ..

لكن عينا الشيخ عبد الجبار لم تفارقانها

وهي تغادر بصحبة الخالة حياة كما لم يفعل

عمها طاهر ...

الساعات التي مرت بعدها كانت عصيبة

للغاية .. أخذ العرق يتصبب من جبين هاجر

وهي تحمل طبق الحلوى للضيوف بعد انتهائهم

أخيراً من تناول العشاء ...

امسكتها حياة من ذراعها وبدت متحيرة

لحالتها وهي تقول لها

" تبدين شاحبة يا هاجر! هل أصبتِ بفايروس

زكام ام مجهدة من العمل ؟ "

ردت هاجر وصحن الحلوى يهتز قليلا بين

كفيها

" اظنني اصبت بفايروس فعلا.. اشعر بالتوعك

وربما بداية .. حمى .."

بدت حياة متعاطفة حقاً وهي تقول لها بصوت

خافت " لولا انهم اهل فرقد لطلبت منك

الذهاب للنوم ونيل قسط من الراحة .. لكن

لا يجوز ان تتركينهم وتنامين .. "

أخذت هاجر تهز رأسها ثم تحمل الصحن ناحية

غرفة الضيوف وقلق متزايد يجعل خفقات

قلبها تتسارع ...

تعمدت وهي تودعهم عند الباب أن تتشبث

بذراع عمها طاهر من جهة لتوصل لهم رسالة

أنها في حماه ومن جهة ثانية كانت تستند

عليه تماماً وهي تشعر أنها ستقع مغشياً عليها !

أدت دورها حتى آخره وكانت الكلمة الاخيرة للشيخ عبد الجبار عندما قال بنبرته الثقيلة

" عندما تتصلين بزوجك اوصيه أن يتصل بأمه أكثر مما يفعل لانها تشتاق اليه .. فهو ولدها المدلل المفضل كما تعرفين..."

هزّت رأسها وقلبها يقرع كالطبل ..

ليت فرقد معها اللحظة !

اغلق عمها الباب بعد خروج الضيوف وبدا غامضا رغم تعابير الرضا على وجهه ..

نظر لهاجر بعمق قبل أن يقول لها

" أذهبي ونامي .. لقد كان وجودهم ضاغطاً عليك بشكل ملحوظ "

بعد ساعة ...

تتمدد في سريرها وعيناها شاخصتان للسقف..

انفاسها ثقيلة وما زالت حبات عرق تتجمع على صدغيها ...

كانت عاجزة عن النوم .. عاجزة عن اي تفكير منطقي ...

تشعر أنها .. عاجزة حتى عن الحراك في سريرها!

اخذت تهمس بحدة تؤنب نفسها

" جبانة .. جبانة .. لماذا لم تجري الاختبار ؟! هل تخافين منهم ؟ لقد رحلوا فلماذا لا تجرينه الآن ؟"

ترتعش شفتاها وهي تهمس المزيد بنبرة موجعة " ام هل تخشين النتيجة يا هاجر ؟ ما الذي تخشينه حقاً ؟ ان تكون سلبية ام .. ايجابية ؟ هل ترفضين ان تحملي طفله في احشائك ام تتمنينه كما لم تتمني اي شيء آخر في حياتك ...؟!"

اغمضت عينيها بقوة عندما ارتفع صوت رنة وصول رسالة نصية ...

أدارت وجهها تتطلع لهاتفها الملقى على المنضدة الجانبية فتتردد للحظة قبل ان تلتقطه وتقرأ رسالة تعرف عن حدس اقرب لليقين أنها من فرقد ..

(وقلبي توّله بجنيّة .. ملكت كلي مني ولم تترك لي بقيّة ...تتوه مني فأتوه من نفسي ويا ويلي ان ارتكبت فيها المعصية ...

مجرد خواطر راودتني يوماً لاجلك تذكرتها الآن وأنا اعاني الحمى ! كنتِ بين ذراعي في بيت المزرعة عندما حاولتِ الهرب مني ووقعت بين الاحراش.. آآه يا حشاشة قلبي .. شعرت ساعتها أنني في الجنة .. ليتني مت هناك جوارك)

سالت دموعها وهي تقرأ رسالته الطويلة نسبياً.. اول مرة منذ سفره يكتب رسالة طويلة كهذه..كيف يختار اوقاته ؟! كيف يعرف ؟

لا .. انه لا يعرف فقط بل ويشعر لاجلها...



احتضنت الهاتف واطبقت جفنيها وهي تهمس كلماته مرارا وتكرارا " وقلبي توّله بجنيّة .. ملكت كلي مني ولم تترك لي بقيّة ... تتوه مني فأتوه من نفسي يا ويلي ان ..هل.. يعاني الحمى.. حقـــا؟! وقلبي توّله بجنيّة ... ملكـ..تـ..... "

وكأنها ترنيمة للنوم خاصة بها وحدها ظل لسانها يرددها حتى ثقل ، لتغفو أخيرا والهاتف قرب قلبها النابض ..

في جهة اخرى من العاصمة..

تتحرك دينا في غرفتها على غير هدى ودون اي استقرار ... تمسك الهاتف مثبتاً على اذنها بينما تسمع صوت منذر وهو يحاول ان يبثها طمأنينة بكل ثقة تثير الغيظ فيها

" سترين في الغد كل شيء سيمضي بخير وسيذهب الى غير رجعة كل شعورك الحالي بالتوتر .. ثقي بي ... "

أخذت تشد بضفيرتها وهي تهمس بتوتر

" انا لا اعرف كيف وافقت ؟! لا اعرف هل انت تتلاعب بي ام انا من اتلاعب بنفسي واغرقها بالاوهام ..ام ربما هو ... الحجوج ! "

كان منذر يبتسم على الطرف الآخر ..

هذا (الحجوج) فيه بعض الخبث ولا ينعدم الحيلة ... لقد بات منذر على ثقة انه هو والحجوج يتبادلان الغيرة نحو هذه السمراء ..

لقد جعل منذر ينتظر ليومين كاملين حتى تحطمت اعصابه قبل ان يعلن له في مكالمة قبل ساعة واحدة فقط أن دينا وافقت على عقد القران في صباح الغد ...

لا زال صوت العم ضياء الدين يرن في أذن منذر مع نبرة غيرة وتهديد وهو يحذره أن يسبب لابنته اي شعور سلبي والا سيكون هو من ينهي مشروع الزواج من اساسه..

ورغم هذا الا ان موافقة دينا بحد ذاتها جعلت منذر في حالة استرخاء تام ولم يستطع أن ينام قبل أن يتصل بها ... في الواقع .. لقد اشتاق !

اشتاق لرؤيتها واشتاق لسماع صوتها ...

ما زالت الابتسامة الجذلى على شفتيه واللمعة الرائقة في عينيه الرمادتين بينما يسألها بصوت رجولي مؤثر

" دينا .. لماذا لا تثقين بي ؟"

جاء ردها فورياً عفوياً صريحاً ... أشد تأثيراً مما تخيل " انا تعودت ان لا اثق بأحد الا ابي.."

تمتم بصوت أجش " حسنٌ .. ضربة موجعة لي قولك هذا ! واعترف اني .. أغار ..."

ما ألذه من شعوره عندما يدرك أنه يسقي براعم انوثتها لتنمو .. عندما يستشعر ذاك التأثير عليها وكأنها لم تكن تعرف معنى كونها انثى قبله ...

انفاسها المتسارعة عبر الهاتف تفضح كل شيء وصوتها الذي جاء متعثراً بالخجل لم يخلُ من نبرة حزينة تعبر عن جدية ما تقوله

" منذر توقف عن ... قول اشياء لا تعنيها .."

هذه الفتاة تتغلغل بشكل رهيب الى أدق تفاصيله الناقصة لتكملها ! لا يعرف كيف ولكن هذا هو ما يشعره .. انها تملأ فراغات داخله لم يكن منتبهاً لوجودها من قبل ..

مع كل هذه الانوثة البريئة فيها يرى عقلها مشعاً مقاوماً وهذا .. يعجبه ..يعجبه جدا ..

رداً على جملتها الاخيرة سأل بجدية وقد اصبح يقرأها ويقرأ ما تعنيه كلماتها

" كلميني عن اشياء تعنيها انت .."

صمت لحظة وهو يفكر بكتفها قبل أن يضيف

" عن اشياء تؤرقك وربما تخيفك .."

جاء صوتها مجروحاً " انت اذن تعرف .."

غامت عيناه وهو يستلقي على سريره ويقول بتأن وبعض الفكاهة " انا ايضا ذراعي مشوه حتى اللحظة دينا وعليك ان تعرفي امرا عن زوجك... انه رجل فخور مغرور بوسامته.. "

تتنهد وهي ترد عليه بغصة مخنوقة

" انت تحاول رفع معنوياتي .."

فيقول بثقة واختصار

" العلاجات تأخذ وقتاً ... وانت تعرفين ،،،"

لتأتيها همساتها بمنتهى الاضطراب

" انا خائفة... خائفة يا منذر ولا أعلم لمن ..
اقولها .. خائفة ان كتفي سيبقى ..هكذا ...
قد أتقبل وجود بقاء بعض الاثر لآخر حياتي
لكن .. أن يبقى التشوه كاملا لن ... "

قاطعها بالقول الحازم " من قال ان اثرا سيبقى
بشكل دائم ؟! هذا كلام اطباء الطوارئ في
المستشفى .. هناك علاجات متنوعة
وحديثة لهذه الحالات وسترين أن كل شيء
سيعود لاصله .. "

صمتت ولم ترد عليه ... ناداها بقلق

" دينا ... لماذا تصمتين ؟ الا تصدقينني ؟ "

لتفاجئه بتساؤل بعيد عن حالتها الصحية
قائلة بنبرة ألحاح وقوة " لآخر مرة اسألك ..
واحلفك باللّه ان تُصدق نفسك القول قبل ان
تُصدقني ... لماذا تريد الزواج مني ؟"

تنهد وهو يقول بصدق مؤثر " هل تعلمين .. لم
أكن يوما واثقا من رغبتي بشيء كما أنا
راغب بك .."

أرخى جفنيه وهو يضع كفه تحت رأسه
مضيفاً بمزيد من الصراحة والصدق

" انت لا تعرفين قيمة نفسك حقاً .. لكن
يكفيني اني اعرفها تماماً .. ما حصل بيننا قد
يبدو كأعجوبة .. هل تتخيلين كيف قادنا
القدر لنلتقي ؟ "

تذكر نفسه بعد رحيل هاجر عندما كان منهاراً في السيارة مع اخيه حازم وكيف طلب منه اخوه ان يعاود التواصل مع اصدقاء الجامعة ويشغل نفسه !

ليضيف بعجب لتلك الاقدار " كيف كانت خطوط حياتنا متشابكة لكن منفصلة عن بعض ثم يتدخل القدر ليربط هذه التشابكات بتناغم وكأننا مقسومان لبعض منذ البداية ..."

سألته بتشكك " هل حقاً تظن هذا ؟!"

فيرد بثقة وايمان كامل

" بالطبع .. طوال الوقت افكر بهذا .. بالنسبة لي في الليلة الاولى التي رأيتك فيها كنت منقادا لصدفة قدرية ان أذهب لذاك المقهى تحديداً مع اصحاب قدماء .. ظروف صعبة مررت بها جعلتني اتصل بهم لنلتقي هناك ..."

يبتسم بجذل وهو يضيف بصوت أجش مناغش

" لا زلت اذكر رفرفة فستانك الطويل وهو يحاذي بطرفه كاحلك ... اممم .. كاحلك جميل هل سبق واخبرتك بهذا ؟ "

شهقة رقيقة منها وهي تهتف به بحنق وخجل

" انت لم تر كاحلي .. لا تكذب .. فساتيني دوماً تغطيه .."

يضحك قبل أن يقول بمزيد من المشاكسة

" حسن اعترف أني كاذب ... لكني استطيع تخيله الليلة حتى تنفرج الامور في... الغد ..."

همست اسمه بارتباك " منذر ؟"

مشاعره تتفاعل باشتياق عنيف فيضيف بنبرة مبحوحة " في الواقع سيكون أمتع أن أتخيل كيف سأحل ضفيرتك البنية بيدي .. شعرك طويل أليس كذلك ؟"

بدت في قمة الارتباك وهي تنهي المكالمة بهمس أبله متعثر " تـ..ـتصبح على.. خير ..."

فيرد ضاحكاً بانشراح كامل

" تصبحين على خير.."

أغلق الهاتف وضحكته ترسم فمه بل كل محياه عندما لمح وقفة امه عند باب غرفته...

استقام بجذعه وانزل ساقيه عن السرير جالساً ليضع هاتف على المنضدة الجانبية وهو يقول لأمه " هل هناك شيء امي ؟"

علاقته بأمه متوترة بعض الشيء .. حتى مع اخيه متوترة ولكن على نحو أخف كون حازم يسكن بعيداً وطبيعته لا يحب التدخل كثيراً فيما لا يعنيه ...

على العكس من أمه التي تحمل صفات (المعلمة المثابرة على تغيير القناعات) ..

تقدمت الام لتفتح انارة الغرفة بالكامل وقد كان منذر مكتفياً بانارة خافتة هادئة ثم قالت بفم مزموم

" اخوك حازم سيأتي غدا كشاهد .."

ابتسم منذر ابتسامة صغيرة وهو يقف على قدميه ويقترب منها قائلا

" لا اعتقد انك جئتني لهذا السبب اماه.."

نظرت اليه مطولاً بنظرة امومية صارمة غير راضية فاتسعت ابتسامته بصمت وكأنه يسترضيها دون كلمات ...

لم يعرف كم بدا وسيماً في عيني أمه تحديداً فتراخت ملامحها طواعياً وهي تنظر لوجهه ثم تقول

" اعترف اني اعتبرتك دوماً (فتاي الذهبي) المميز الوسيم الذكي .. ربما لأنك الاصغر وربما لاني رأيتك مميزا عن اخيك حازم .. انت الاكثر عاطفة والاقرب الي .."

أسبل اهدابه فتنهدت الام وهي تفكر بهذه الرجولة التي تشع منه .. ربما هي .. مجرد أم .. ترى ابنها مميزاً لهذه الدرجة ...

جاء صوت منذر بتفهم خاص ونبرة عملية

" انت تستكثرينني على دينا.. ترينني افضل منها من عدة نواحي .."

فتقول بصراحة " هل تلومني ؟! الفتاة طيبة ولطيفة المحيا كما انها حلوة المعشر ووالدها طيب.. لكن .."

قاطعها منذر بلطف محاولا جهده ايصال ما يشعره " لا يوجد (لكن) اماه .. لا تفتحي موضوع عدي مرة اخرى لانه يضايقني ويجعلني اغضب.. وانا لا اريد أن اغضب .. "

ثم يميل ليقبل خدها مضيفاً ما هو أهم بنظره الآن " عليك أن تعرفي .. كل يوم امضيه معها يقربني اليها ويربطني بها اكثر .. فيها ما يمتلك كل وجداني كانسان وكرجل ..
فأشعر باليأس للحظة من فكرة مرعبة انها لن تكون من نصيبي .."

ما زالت تلك النظرة غير الراضية وغير المقتنعة تشع من عينيها ..بل وكانه كلامه هذا زاد قناعتها أنها لا تناسبه (من وجهة نظرها)..

قالت بعاطفة الام واحلامها حول ولدها المفضل " كنت اريدك عاشقاً .. لا اعلم لماذا تصورتك دوماً ومنذ مراهقتك انك ستكون عاشقاً متيماً بزوجته وأني سأغار منها وافعل بها افاعيل الحموات الشريرات .."

رعشة في صوت أمه ضايقته بينما تضيف
" وانت رغم كل ما تقوله عنها الا انك لا تعشقها بني.. "

لا يعلم كيف يشرح لها أكثر...

أنه أمر اكبر من الشرح ... لكن اصرارها على اسباغ هذا البرود العاطفي حول علاقته بدينا يضايقه جدا ..

قال بذاك الضيق " انت تتسرعين الحكم .."

فترد باحباط " هذا ما يقوله لي ابوك ايضا..
هو يرى أنك تبني معها علاقة متينة على كل المستويات .. حتى العاطفية .."

شعر بتوتره وضيقه يخفان قليلا ليقول بعدها

" ابي يفهمني فعلا ... أماه .. انا مدرك لما اشعر به.. لكن .. هناك ما هو أعمق واقوى يربطني بدينا .. ربما لا ارتدي حلة العاشق المجنون التي أردت رؤيتي فيها لكن دينا اشعرها في قلبي انثى ستمحو كل الاناث ... انتظرها بفارغ الصبر ان تكون زوجتي وتحت سقف بيتي .. دينا تثير الشوق امي .. لا تعرفين كم تثير الشوق في رجولتي .. وكأنها لن تكتمل الا بها .. ستجعلني رجلا فخوراً بنفسه لانها رضيت ان تنتمي له ..."

تمتمت الام وهي تحرك رأسها بحيرة لا تخلو من الميل لعدم الاقتناع بما يقوله

" ربما أكون مخطئة ...! في كل الاحوال غدا سيعقد قرانكما وانتهى الامر ... انها حياتك وقرارك .."

حاول منذر من جديد وبرجاء خاص

" ارجوك امي .. توقفي عن رفضها في داخلك.. لا تنظري اليها بالعين المستصغرة لقيمتها .. دينا افضل من كل البنات اللواتي حلمتِ بهن لتكون احداهن زوجة لي .. "

صمتت وهي تنظر لاصراره المشع من عينيه فتستسلم لتسأله

" هل تنوي اقامة العرس قريباً ؟"

فيرد وعيناه تشردان بتفكير

" لا .. ليس بعد .. ربما حتى الربيع .."

صباح اليوم التالي

خرجت من الحمام راكضة لاهثة الانفاس تبحث كالمجنونة عن هاتفها ...

نظراتها زائغة لامعة وكأنها اصيبت بمس من الجنون !

تتمتم وهي ترتجف من اعلى رأسها حتى اخمص قدميها " لا يمكن .. لا يمكن .. رباااه مستحيل .. لا يمكن .."

تتلفت في انحاء غرفتها ولا ترى هاتفها ..

لقد كان هنا جوار سريرها على المنضدة !

آآآه .. لقد احتضنته جوارها على السرير ليلة الامس ..

اخذت تبعثر الاغطية وترمي الوسادات وتبحث عن الهاتف بهستيرية دون ان تجده ..

قلبها يخفق بعنف رهيب وهي تنزل عن السرير بعد ان يئست من ايجاده هناك لتنحني هابطة بجسدها للارض فتجلس على ركبتيها وتُخفض رأسها لتنظر تحت السرير وهي تهمس بخفوت مرتعش والدموع تتجمع في عينيها

" اين الهاتف .. اين الهاتف .. اين انت ؟!! "

هطلت دموعها أخيراً وهي تجده اخيرا لتمد ذراعها وتخرجه من تحت السرير ..

ترتعش يدها وهي تتصل... به ...

رنين يتلوه رنين ولا رد !

ستجن .. مؤكد ستجن ..

اللعنة لماذا لا يرد ..

هدرت بعنف وهي تتطلع للهاتف اللعين

" رد يا فرقد... رد ..."

لكن يستمر الرنين وتعاود الاتصال قبل صافرة الرسالة الصوتية ..

كانت ما تزال جالسة على ركبتيها وهي تعاود الاتصال ربما للمرة العاشرة وعيناها تذرفان الدموع بسخاء حار لتقرر أخيرا أن تترك له رسالة صوتية ...

بذلت كل طاقتها حتى تبدو نبرات صوتها هادئة ومتماسكة فأغمضت عينيها وقالت

" فرقد .. اتصل بي حال سماعك للرسالة .. هناك أمر مهم "

ثم ترددت لثانية واحدة قبل ان تضيف كلمة واحدة " أرجوك ....."..

أغلقت الخط وأودعت الهاتف في حجرها ثم اعتدلت بجلستها لتميل بجذعها وتنام برأسها على السرير ...

اغمضت عينيها وجسدها ما زال يختض وشفتاها ترددان بما يشبه الهلوسة

" هل يعقل ؟! هل حقا يعقل ؟!"

عصراً...

بيت منذر الطحان

كان يعرّفها على اجزاء البيت بصبر ثم أخذها للطابق العلوي ومر بغرفة والديه وغرفة حازم القديمة ثم غرفته التي لم ترض حتى أن تعبر عتبة بابها ...

كتم ضحكته وهو يراها شديدة التوتر وانفاسها تتسارع تتلفت حولها وكأنها تبحث عن نهاية لهذا الدهليز الطويل..

واخيرا فتح منذر باب غرفة قائلا بنبرته الرجولية التي تستفز انوثتها وتقلقها

" وهذه غرفة جلوس عائلية صغيرة نستخدمها غالباً في الشتاء فقط .. اكثر دفئاً وتضع فيها امي بعض ادوات اعداد الشاي وبراد صغير وفرن كهربائي .."

امسك كفها فجأة وهو يسحبها بحركة تبدو عفوية بينما يشير لاحدى الارائك قائلا بحنين " هذه الاريكة كنا دوماً انا وحازم نتشاجر ونحن اطفال بسببها .. نتسابق من يأخذها اولا ويستلقي عليها ..."

يشعر بارتعاش كفها في راحة كفه ..

وكم يمتعه هذا لو تعرف ...

تحاول ان تتحايل لتسحب يدها بخفة لكنه لا يمنحها الفرصة ابداً ...

وقفا قرب الاريكة ذات القماش المزخرف الدافئ بينما تتطلع دينا حولها فتنظر باعجاب للغرفة .. حقا هي غرفة دافئة بسيطة الاثاث لكنها تمنح احساساً بالراحة..

فجأة شعرت بالقلق !

لماذا أرادها ان ترى الطابق العلوي ؟! هل غير رأيه ؟!

التفتت اليه وهي تتساءل بارتباك " لماذا أصريت ان آخذ فكرة عن الطابق العلوي يا منذر ..نحن اتفقنا اننا .. أعني .. يفترض أن .. نسكن مع ابي .. بعد .....الزو...."

تلاشت الكلمات منها وعيناه تتركزان على شفتيها اللامعتين هامسا " مبارك يا عروس ..."

كم هي غبية ..! لماذا وضعت هذا الملمع اليوم ؟! سيظن بها .. الظنون ...

لكن .. ارادت ان تبدو .. جميلة ..رغم كل الارتباك الذي تشعره لارتباطهما هذا ..

اختارت فستانا زهرياً ليوم عقد القران وهي تأبى الاعتراف أنها فعلت هذا لانه أخبرها يوماً أن الزهري يليق ببشرتها كثيراً ..

حتى إنها وبمزيد من الغباء اختارت حجابها بنفس اللون وكأنها تؤكد له رغبتها بإثارة اعجابه ...

شعرت بالسخف الآن لما فعلته فأزاحت نظراتها بعيدا وهي تتمتم بتلعثم

" أ .. أ .. لا بد أن أبي .. يسأل عني الآن .. "

تحرك ليحتجزها بينه وبين الاريكة خلفها دون ان تشعر وهو يشغلها بالكلام قائلا

" ألن تقولي شيئا عن بيت عائلتي على الاقل ؟ قد لا نسكنه سوية انا وانت لكن يبقى هو بيتي الذي قضيت فيه اجمل سنين عمري.."

عاجزة عن رفع عينيها اليه فتحدق بغباء في قميصه الكحلي الانيق وقد خلع سترته حال دخوله البيت الدافئ بعد عودتهم ...

كم يبدو وسيماً اليوم .. حتى انها شعرت بالنقص امامه وهما يدخلان المحكمة الشرعية لعقد القران .. انظار بعض الفتيات وحتى سيدات حامت حوله لتدب الغيرة في قلبها وتوجعها ايّما وجع ..

ليس عدلا انها لا تجاريه في هذا ! ليس عدلا.. انها حتى لا تعرف كيف تجاريه اذا ارادت !

همست وهي تعاني الامرين من هذه الخلوة التي تثير فيها كل الاضطراب " انه بيت جميل.. حميمي جدا... خاصة هذه الغرفة ..."

ما زالا على تلك الوقفة وكفها يتعرق في كفه لتزداد ضربات قلبها وهو يقول بصوت أجش " دينا .. لقد رفضتِ خلع الحجاب لوجود اخي حازم .. الآن... لا حجة لديك .."

نبضها ارتفع ليصل عنقها واذنيها !

قالت بحشرجة وهي تلتصق بالاريكة خلفها

" لكن أنا .."

لم يمهلها حتى لتفكر بايجاد مخرج من ورطتها لترتفع كفاه معاً وبعفوية يحاول ايجاد الدبابيس في حجابها قائلا " دعيني اساعدك... لا بد أنها تأخذ وقتاً منك .."

بهلع رفعت كفيها لتتشبث بالحجاب وهي ترفع نظراتها لعينيه الشقيتين هامسة بصوت مرتعب

" أنا .. غير مستعدة ..."

لكن منذر ببساطة اخذ يسحب الدبابيس.. الاول ثم الثاني ويدسهما في قماش الاريكة بينما هي تهمس بجزع " لاا..اا..."

ليفك الثالث ثم يرفع قماش الحجاب من الجانب وهو يقول بصوت أجش

" لو تركتها لك لن تكوني مستعدة ابداً .."

كانت تهتف وجسدها كله يختض من فرط الانفعال " منــذر ... ارجوك .. لا ..."

لكن حجابها بات ملقى على ظهر الاريكة فتغمض عينيها بقوة وتختض امامه وهي تشعر بانامله تلامس ضفيرتها الملفوفة من الخلف..

تسمع صوته غارقاً بالعذوبة وهو يسأل

" لماذا تجمعين ضفيرتك في عقدة هكذا ؟"

ترد عليه بارتجاف مفضوح

" بسبب ... الحجاب .. ارجوك كفى .."

كان يفك عقدة ضفيرتها لتتحرر طويلة حتى منتصف ظهرها فيقول بنبرته المتأثرة المؤثرة

" لقد علمت ان ضفيرتك طويلة .."

فتحت عينيها على وسعهما فتسأل باضطراب

" كيف علمت ؟! متى رأيتها ؟!"

ثم تستدرك لتشيح بوجهها جانباً مضيفة

بغصة قلب " آه .. عند .. الحادث .."

سبابته لامست ذقنها واعادت وجهها نحوه

ليقول بابتسامة تأخذ بمجامع قلبها

" لا .. ليس عند الحادث .."

تحدق بعجز في عينيه وكل حواسها مشدودة

لنظراته اليها وهو يضيف

" في ليلة ما .. التقيتك فيها لثاني مرة في

المقهى العائلي .. ثم غادرتِ بصحبة والدك

وكنت تمشين امامي على الرصيف معه..

انحنيت لتلتقطي من الارض عصاه التي وقعت

منه .. ريح خريفية رفعت حجابك من الخلف

لتقلبه للامام ... فـ... انكشفت الضفيرة

البنية .."

ابعدت سبابته التي تلامس ذقنها لتقول بحنق

تغطي به على خجلها " لم يكن يفترض ان

تنظر .. كان يجب أن .. تغض البصر .."

التفتت تمد يدها لتأخذ الحجاب من على ظهر

الاريكة الا انه سبقها ليسحبه ويرفعه عالياً

بعيدا عن متناول يدها فتهتف به

" كفى منذر .. اعطني حجابي .."

لكنه يرمي الحجاب بعيداً ويحتجزها أكثر بجسده واصابعه تتجرأ لمؤخرة رقبتها تداعبها وهو يقول بصوت مبحوح يفيض مشاكسة لانوثتها " اعطني ضفيرتي اولا .."

تحاول ابعاد يده وهي تهتف به بانفاس لاهثة

" انها ضفيرتي أنا .. ارجوك .. دعني آخذ حجابي .. كف عن مزاحك هذا .."

لكن يده الاخرى تمتد لتلتقط ضفيرتها ، يرفعها وينظر اليها بفضول وكأنه لم ير في حياتها ضفيرة كهذه !

شعرت بالغيظ وهي تقول بمزيد من الغضب

" لماذا تحدق هكذا ؟! إنها مجرد ضفيرة.."

فيرد عليها وهو يمرر اصابعه على طول الضفيرة قائلا " انها طويلة وسميكة حقا .. الا تتعبك وانت تضفرينها كل يوم .."

ابعدت الضفيرة عن ملامسة اصابعه لترد عليه وهي تكاد تختنق من شدة الخجل

" ابي احيانا .. يضفرها لي .. لان شعري متشابـ... آآآ..."

كانت لحظة فظيعة وصوت الصفعة يدوي!

اتسعت عينا دينا لهول ما فعلت وهي ترفع كفيها لتضمهما معاً فوق انفها وفمها ...

اما منذر اكتفى أن اسبل اهدابه دون ان يبتعد عنها قيد أنملة ...

كانت صفعة منها رداً على قبلة خاطفة منه قرب شفتيها ..

اخذت تهمس ويداها ما زالتا تغطي انفها وفمها

" انا اسفة .. اسفة .."

لم يبدِ اي ردة فعل بينما تهبط يداها الى جانبيها تشد فستانها وهي تقول بحشرجة بكاءِ قادم " لم أقصد ان ... اصفعك اقسم باللّه .. كانت .. ردة فعل تلقائية .."

جموده كان رهيب الوقع في نفسها لتترقرق عيناها الواسعتان بالدموع فتهمس وهي تحاول تجاوزه " دعني أمر ارجوك لارتدي حجابي .... يجب أن ... ننزل .. اريد الرحيل ..."

لم تتحرك حتى ربع خطوة عندما اوقفتها حركة مباغتة منه وهو يلف جسدها بذراعيه يضمها اليه بجرأة قائلا بهمس رجولي حميمي " ليس قبل أن .. آخذ حقي .."

هذه المرة لم يخطئ شفتيها البريئتين .. لم يخطئ الاحساس بنشوى ان تكون دينا حلال له ...تتأوه بانوثة تتفتح له ... قبضتيها تحاولان دفعه لكنهما واهنتان بالاستسلام له..

اخذت تتوسله

" أأ...ار...جوك .. تو...قـــ...تف ..."

كان يعلم أنه يتمادى .. لكن لا يعرف لماذا صفعتها له اثارت فيه نوعاً من الغضب والرغبة فيها أكثر ..

يقبل عنقها وهي ترتجف فيرتجف قلبه استجابة في صدره ...

رباه كيف سيصبر حتى الربيع ؟!

" منذر .. انزلا وتناولا الشاي والفطائر معنا .. "

نداء أمه من اسفل الدرج كان كدلو ماء بارد أيقظه مما يفعل ليعيده الى صوابه ..

كان يلهث وهو يبتعد عنها ويدير ظهره اليها ليستجمع سيطرته ويمنحها خلوة تستجمع فيها نفسها هي الاخرى ...

شعر بها تتحرك خلفه .. لا بد أنها تلتقط حجابها الذي رماه بعيداً ليسمعها تهمس بحنق لذيذ " ارجوك لا تفعل هذا .. مرة اخرى .."

أخذ نفساً عميقاً قبل ان يستدير اليها فيبتسم طواعياً وتغيم عيناه وهما تنظران لحمرة خديها فيهمس بصوت مبحوح " أرجوكِ انت توقفي عن هذا الرجاء !... لا بد انك هبلاء بطريقة فاضحة..."

هتفت به وهي تلف حجابها وتضع دبابيسها

" لست هبلاء .. وسأخبر ابي عن افعالك هذه.. لانك .. لانك لم .. تحترم وجوده .."

يضحك بخفوت وقلبه يرفرف سعادة في صدره ثم يقول بصوت أجش مشاكس

" أخبريه ان كنت شجاعة حقاً .. واوصيك أن تسهبي بسرد التفاصيل ليكون على .. اطلاع كامل ..."

يتقدم نحوها وعيناها الرماديتان تشعان بالشقاوة مضيفاً بنفس النبرة " ربما تودين بعض المراجعة حتى لا تنسينها وانت تخبرين بها الحجوج ؟"

تخضبت وجنتاها بينما تزمجر وتتحرك بخطى غاضبة وهو يلحق بها ضاحكاً..

يجعلها تسير امامه عن عمد لتجري عيناه بحرية كاملة فوق قدها المتمايل ...

ثم تصبح نظراته اكثر جرأة وتدقيقاً ..

الا يحق له ان يعرف تفاصيل امرأته ؟!

مرت الساعات حتى قرابة المغرب ..

قال طاهر الاحمدي بقلق خفي

" يا ابنتي لماذا لا تأتين لبيت سهر معنا ؟ لا افهم لماذا تنشدين الوحدة اليوم ؟! تبدين شاحبة ولست بمزاج جيد .. واصرارك انك لا تعانين من شيء يقلقني أكثر.."

اقتربت من عمها والذي يبدو بهياً وسيماً ببدلته الانيقة والى جواره الخالة حياة لا تقل بهاء وأناقة عنه رغم ملامحها العابسة وتبرمها بعض الشيء من التأخير ...

قالت هاجر برجاء مشدد

" ارجوك عماه .. انا حقاً احتاج الوحدة اليوم.. لقد أخذت اجازة ليومين لاني احتاجها بشدة .."

حاول طاهر من جديد متسائلا وهو ينظر لعينيها المجهدتين " هل انت متوترة بسبب زيارة الشيخ عبد الجبار بالامس ؟ لكن لماذا ؟ لقد عاملك بشكل جيد وراضانا .."

أخذت تهز رأسها بلا معنى وهي ترد بتعب

" فقط .. الليلة.. دعني بمفردي .."

تنهد مستسلماً وهو يقول لها بلهجة ابوية حازمة " اتصلي بي اذا احتجت لشيء .. سأحاول أن لا نتأخر ..."

اكتفت أن هزت رأسها بـ(نعم) هذه المرة ثم رافقتهما حتى الباب لتودعهما وما ان اختلت بنفسها حتى أفرجت عن مشاعرها المحبوسة طوال النهار لتركض ناحية غرفتها وعلى سريرها ارتمت وهي تبكي بانهيار كامل ...

تبكي وتضرب بقبضتها على السرير وهي تدفن وجهها في الوسادة وتصرخ

" لماذا لم تتصل ؟! لماذا ؟ لن اسامحك لانك تأخرت كل هذا .. اتصل يا فرقد .. اتصل .. سأموت بسري هنا وحدي ... انا خائفة .."

نوبة بكاء رهيبة جديدة استنزفتها حتى أخذتها سنة نوم لتستيقظ مجفلة على صوت جرس الباب ..



لا تعلم كم مر من الوقت لكن الظلام قد حل من حولها ...

صداع رهيب وهي تنقلب على ظهرها ودموع عالقة بجفنيها سالت على خديها ...

مسحت بتعب اثار البكاء عن وجهها ثم تتحرك مغادرة سريرها ثم غرفتها متوجهة ناحية الباب وهي تترنح من شدة الصداع..

لم يخطر ببالها الا ان يكون الطارق هو عمها طاهر قد عاد باكراً مع الخالة حياة وربما نسيا أن يأخذا مفتاح الشقة معهما ..

كانت تتحضر لاختلاق عذر يبرر حالتها المزرية التي تتخيلها وهي تفتح الباب اخيراً لتتجمد مكانها وتجحظ عيناها المحمرتان

وهما تحدقان بهيئة داكنة لاهثة مجنونة خشنة تشكلت لتكون ... فرقد !

كانت تتراجع للخلف دون شعورها تحدق في وجهه المرهق الشاحب وكفه مرفوع للاعلى يستند الى حافة اطار الباب الخارجي ..

لكنه اخذ يتقدم نحوها بنظرات تفيض جوعاً وعنفاً و ... غضباً أسودا..

عيناه تبرقان تدرسان احمرار عينيها ولمعان الدموع فيهما وذاك الاحمرار الواضح في أنفها..

تتلكئ هاجر بهمس اسمه (فرقد) وهي تتعثر بخطواتها المتراجعة لتنتابه فجأة نوبة سعال

شديد أستمرت لبضع ثوانٍ قبل أن تهدأ فيغلق بعدها الباب خلفه بصمت..

ثم .. ودون ان يهتم بشيء آخر الا اياها كان يسألها بضراوة وهو يخطو نحوها خطوات واسعة نارية توصله اليها " لماذا تبكين ؟"

رباااه هذا صوته .. انه .... هو .... هنا ...

" هل زيارة ابي فعلت بك هذا ؟ ماذا قال لك؟! لم أصدق عندما اخبرني عمك ليلة الامس بهذه الزيارة .. قضيت الليل افكر فيكِ في اللحظة الف مرة ! ولم أنم حتى الفجر.. هل والدي السبب ؟"

أخذت تهز رأسها يمينا ويساراً علامة (لا)..

دون مقدمات يمد كفه ناحية رقبتها فيحاوطها ويسحبها كلها اليه ببعض الخشونة.. تلتف ذراعه الاخرى حولها ليلصق جسدها به بينما يهبط برأسه لمستوى خدها الرطب يسألها بجدية شرسة

" من ابكاك اذن ؟"

حزمة من مشاعر جنونية تدفقت في كل انحاء جسدها صدمة من دفقه الحار الذي حاوطها كطوفان مشتعل من كل جانب ...

تحاول بشق الانفس ان تستعيد تركيزها وتستوعب وجوده لتسأل وهي تشعر بخشونة لحيته الخفيفة على خدها " كيف اتيت ؟"

وجهه كان حاراً .. هل هو .. محموم ؟!

صوته ايضا متحشرج وبدا واضحاً انه مريض..

ابتعد وجهه سنتيمترا واحداً عن وجهها ليرد عن سؤالها بخفوت

" بالطائرة طبعا .. من ابكاك ؟"

تسأل بغباء " انا اقصد لماذا اتيت ؟"

تحركت شفتاه قائلا بنبرة أشد خفوتاً وتأثيراً

" انتِ قلت هناك امر مهم و .. قلتِ (ارجوك).. فجئتُ اليك بأول طائرة .. اضطررتُ للانتظار طبعا حتى استطعت ان احصل على مكان شاغر.."

لا تصدق جنونه .. لماذا لم يتصل فقط بدلا من ان ... يأتي ... لقد انتظرت مكالمته طيلة اليوم ...

ذراعاه كانتا تمارسان كل صنوف التطويق ليحشرها حشراً اليه فتتأوه وهي تهمس بعجز

" قلت لك... عاود ... الاتصال.. بي .."

اصابعه تضغط على عنقها وكأنه يريد خنقها من فرط تعلقه فيها !

ليقول من صميم قلبه الذي يزأر

" انا اعاود الاتصال بطريقتي... الآن .. من ابكاكِ هكذا ؟ كائنا من كان سأجعل نهاره ليلا حالكاً تعوي فيه الذئاب! "

قالها بنبرته القروية الثقيلة فاشتعلت حواسها كلها استجابة ...

نظرت في عينيه القريبتين جدا وصمتت كل الحياة بعدها الا من نبض قلبه الصارخ......

انها تسمع صرخات تلك النبضات الهادرة بالعشق والشوق .. تسمع عبر رهافة الاذنين و لمسة مشتاقة خائنة من اليدين ونظرة جائعة متعطشة من العينين ...

كل حواسها تشعر في نفس اللحظة....

عقلها تشتت وبدأت تضيع فعلا فتتشبث بكتفيه الصلبين (أأأه كم افتقدتهما) وهي تحاول استعادة سيطرتها هامسة

" انا .. انا ..."

رفع كفيه ليحاوط وجهها من الجانبين يسألها بانفاس ثقيلة " هل يوجد احد هنا ؟"

لم تعد تحتمل كل هذا ..! هل هي تحلم ؟!

همست بضياع ترد عليه

" لا ....لا احد .. لكن أنا .. أنا ..."

حالما اجتاحتها شفتاه المجنونتان ترويانها وترتويان منها حتى كان هو الضياع الحقيقي لها... كانت تحتاج لهذا كما التنفس ... تحتاج لجنونه كي يشعرها أنها في كنفه وأمانه حتى وهما منفصلين .. حتى وهي تعذبه وتتعذب معه ... هو رجلها الذي تعذبه بقسوة..

قبلاته اصبحت أكثر جنونا وجموحاً وهو يهتف بصوت خشن مرتعش من فرط الشوق ونار الهوى " انت ماذا ؟! يا رب السموات .. لعنة اللّه على الشوق لشفتيك وسهاد الليالي وحيداً في سريري اشواك تنبت على جلدي مفتقداً احتضانك .."

يردد اسمها بذاك الجنون " هاجر ... هاااجر.."

تزيح وجهها جانباً بمقاومة واهنة لتتشبث بكلمة واحدة حتى لا تنسى " انا ...."

فيرد لها الـ(أنا) بـ(أنا) اخرى وهو يغرق وجهه في تجويف عنقها " انا اعشقك ..."

تغمض عينيها وما زال همسها المقاوم " انا ..."

يستمر بهذره المحموم حول الـ(انا) ...

" انا عاجز عن الاحتمال .. انا أتعذب .. أنا أموت... انا اريدك كلك يا حشاشة قلبي ..."

(اريدك كلك) كلمتان ايقظتاها من جمرات العشق التي اتقدت بينهما حالما رأته عند باب الشقة ، قاطعاً آلآف الاميال فقط لانها قالت (أرجوك) ...

فتحت عينيها على وسعهما وتهتف بصوت مرتفع " أنا حامل ..."

تجمد وتجمدت ...

ما زال متعانقين جسداها شبه ملتحمين لكنهما تجمدا في نفس اللحظة ..

هي نفسها عندما قالتها بصوت مرتفع شعرت انها تبوح لنفسها بسرها ذاك الذي اكتشفته صباحاً ...

لقد كانت صدمة المعرفة تجتاحها كما تجتاحه ...

وجهه ما زال غارقاً في تجويف عنقها ليأتي صوته مشحوناً بذبذبات العنف

" ماذا ... قلت؟"

ردت وهي تستوعب الخبر مثله تماماً

" أأأ ...انا ..... حامل ...."

رفع رأسه ببطء حتى واجهها بعينين حمراوين بغضب كالجمر .. همس بخشونته المرعبة

" انت كاذبة قاسية بشكل لايوصف.. لا يمكن ان تكوني تكرهينني لهذه الدرجة لتأتي بي الى هنا وتعذبيني ألعن عذاب ..."

فاض الاحتياج اليه وغطى على اي مشاعر اخرى تبعدها عنه .... مرغت وجهها بدفء كتفه المألوف الذي اشتاقته لليال طوال وهي تهمس بارتعاش شديد " انا .. لا اكذب .."

جسده متشنج بالكامل وكأنه تحول لصخرة عملاقة بينما يهمس وكأنه يأبى التصديق

" انت لا .. تكذبين ..؟!"

رباه .. كم احتاجته .. كم تحبـ...ـه ..

اجل تحبه ومزروعة فيه وتسقي روحها بوجوده على سطح هذا الكوكب ...

تحبه حتى وهي تكرهه ... لقد جاء اليها ... لاجلها ... هو رجلها في كل حين ..

شعرت بيده فوق بطنها تقبض على قماش منامتها الشتوية فيعتصره بانامله وهو يهدر

" هنا تحملينه ؟! هنا ؟!"

يشد القماش الناعم بعنف والامور تفلت منهما معاً ... كان الامر فوق احتماله على السيطرة وفوق قدرتها على رفضه ...

جنون ما حصل بعدها !

لا تعرف كيف ومتى وصلا لسرير سهر الوردي!

كان الجوع يفتك بهما كجوع الضواري الهائمة في الصحراء تبحث عن فريسة تقتاتها...

انتهت بهما تلك العاصفة المجنونة وهو يمسك رأسها بين كفيه ويشد شعرها الاحمر باصابعه ويقبل شفتيها بحلاوة تفيض حرارة ذائبة جعلتها تذوب فيه ...

أبتعد قليلاً وعيناه ترسمان عينيها المغمضتين ليهمس بذاك الدفء الصحرواي الذي يميزه

" ايتها الغبية كنت تبكين لانك حامل ؟! "

ترتعش شفتها السفلى دون أن تفتح عينيها فيقبل تلك الارتعاشة بمزيد من الحلاوة ليمنحها استقرار السكينة والاكتفاء والثقة وحتى الأمان هامساً " ستكونين اجمل الاناث واقواهن وانت تحملين طفلك في حضنك .. سأضمكما معاً بروحي واحميكما بدمي ..."

ازدادت قبلاته عنفاً وهي تتنهد استجابة ليبتعد هذه المرة هامساً بخشونة عاطفية متملكة " لن ننتظر حتى الغد .. اذهبي واجمعي حاجياتك حتى نرحل الليلة .. "

شعر بتصلب جسدها بشكل فوري فيعقد حاجبيه قليلا وقبل أن يتفوه بالسؤال كانت تعاجله بالقول البارد

" دعنا نخرج من غرفة سهر ! لا اعلم كيف دخلناها من الاصل ؟! "

حدس ما جعله يفلتها في نفس اللحظة ...

ربما شعوره بالرفض الذي أيقظ طبعه الاسود !

يكاد يشم رائحة رفضها دون ان ينطقه فمها الشهي هذا ...

تركها تبتعد عنه وخلال ثوان معدودات كانت ترتدي منامتها وهي تشير لباب داخلي للغرفة قائلة بنفس البرود

" تستطيع اخذ حمامك هنا.. اذا عاد عمي لن يكون امرا غريبا اخذك لحمام وانت قادم من سفر .. أنا ساذهب لغرفتي لآخذ حمامي .."

مستلق على هذا السرير الوردي يحدق في لغة الجسد منها .. يقرأ ذاك الانعزال البارد عنه بوضوح تام...

لم تكن حتى تنظر اليه وهي تكلمه..

تحرك ليغادر السرير ناحية الحمام دون أن يرد عليها فقط أمرها بصوت خشن

" اريد منشفة ..."

اغلق باب الحمام خلفه بنوع من الحدة بينما جرجرت هاجر خطواتها لتغادر غرفة سهر تاركة لجسدها ان يفضح ما يعتري روحها من ارتعاش ...

بعد نصف ساعة كان صوت فرقد يعلو في غرفة الجلوس الانيقة وهو يهدر في زوجته العنيدة " ستأتين معي رغماً عن أنفك ؟"

تقابله بعناد شرس وهي تقف قبالته وترد عليه بتحد غاضب يعادل غضبه

" وكيف ستفعلها ؟ تجرني من شعري مثلا وتركبني الطائرة بالاكراه وأمام الناس ؟!"

يرفع قبضته ويشد اصابعه وهو ينظر لعينيها المتوهجتين بالعناد والرفض ليسحق اسنانه ثم يبذل المستحيل كي يسيطر على حدة غضبه وهو يقول لها بهمس خشن

" اوشك ان أفعلها فعلا واجرك من شعرك .. لكن السبب الذي يدفعني لاجرك من شعرك هو ذاته الذي يمنعني .. "

ليمد كفه لبطنها ويشد بلوزتها التي ارتدتها فوق بنطالها الجينز فيضيف (السبب) بنفس الخشونة

" انك تحملين طفلي .. طفل آل الشيوخ .."

دفعت يده بعيدا عن بطنها وهي تهتف به باصرار " انه طفلي انا .. "

اللعنة على ملامح وجهها هذه التي اشتاقها ليل نهار في تركيا ! كيف تنظر اليه هكذا الآن ترفضه فتبدو أكثر جاذبية في عينيه ...



ابتلع ريقه فيشعر بالألم في حنجرته فيحاول معها مجددا وهو يقترب منها بشكل حميمي يميل بوجهها حتى عنقها الابيض ودون ان يلمسها كان يحاول اغوائها باسلوبه ليقنعها

" ليس لديك شيء تبقين لاجله هنا يا حشاشة قلبي .. شقتك سلمتها لصاحب المبنى واغراضك فيها بعتها بالكامل .. اذن لا شيء يمنعك او تبقين لاجله ... حتى العمل يمكنك أن تجدي عملا في القناة التي اعمل فيها .. ستحبين اسطنبول .. انها مدينة رائعة بل خلابة ..."

كان نبضها يتسارع لكنها ابداً لم تستسلم لتبتعد للخلف وهي تصرخ " لا .. لا ... لا ..."

زفر بعنف وقد فاض كيله وصداع يفتت رأسه فتقدم ليمسك ذراعيها عنوة ويهزها قائلا بانفعال " انت تحتاجين ألي .. تعالي معي يا بنت الحلال الى تركيا .. ايتها الطفلة الغبية مكانك معي .. مع رجلك ..."

تنفض كفيه عن ذراعيها وهي تواصل اصرارها المحموم " لن آتي معك ولو كنت آخر رجل على وجه الارض ! "

لا بد أنها مجنونة لتقول هذا ! صرخ حتى هز جدران الشقة من حوله " انا آخر رجل بالنسبة لك يا بنت الاحمدي وكري كلام (الرجال) هذا وسأتصرف كرجال الكهوف الذين قرأنا عنهم بكتب التاريخ .."

لا تعلم ما يجري لها .. كل دمائها تفور في عروقها .. احساس رهيب مذهل !

انها لا تشبع من احساسها بالتفوق عليه وأنه يريدها بهذه القوة ولا يطالها كما يشاء ..

يستحق .. تقسم بالله يستحق ...

ابن الشيوخ صاحب الكبرياء والعزة والشموخ الذي حطمها لانها اخطأت بحق كرامته الغالية !

نظرت في عينيه فقفزت خفقة من قلبها لكنها تماسكت وهي تشجع نفسها بالقول

(اصمدي يا هاجر .. اصمدي ليس بعد .. ليس بعد .. بل شهور وشهور اخرى يتعذب فيها قد لا تكفيكِ !)

تشمخ بذقنها لترد عليه بتهكم

" انت منهم لا تحتاج لتقرأ المزيد .. يكفيك أن تنظر في المرآة لترى مثالا حياً لرجال الكهوف في العصر الحديث.."

زمجر وهو يقترب منها بغضب اشتعل في عينيه فتبتعد خطوة وهي تضع يدها على بطنها وتقول بإغاظة " اياك ..."

فما كان منه الا ان ضرب بقبضته الجدار ثم أخذ يسب ويشتم حتى أتته نوبة سعال شديد..

قلبها أوجعها وشعرت بالذنب للحظة واوشكت أن تندفع نحوه لكن قرارها العنيد غلبها فثبتت مكانها ولم تحرك ساكناً نحوه ..

هدأت نوبة السعال وعاد تنفسه طبيعياً ليلتفت اليها ويقول بنبرة قاطعة " انا راحل ... ولن أعود حتى تتصلي بي وتخبريني أنك تريدين العودة الي بشكل جدي ..."

عيناه كانتا تفيضان بكل أنواع العتب والغضب فتقاومهما وهي تزيح وجهها جانباً وتتكتف بحركة دفاعية ليضيف هو بنبرة متحشرجة مؤثرة فيها حتى العمق

" لن أسمح لك باستغلالي مرة اخرى .. ولن أسمح لك بتعذيبي أكثر من هذا .. "

ما زالت لا تنظر اليه .. تخاف أن تضعف ..

شعرت به يقترب منها ليحاول محاولة اخيرة

" تعقلي هاجر .. "

ترد بصلابة وهي تشعر بانفاسه فوق خصل شعرها الاحمر " انا عاقلة كفاية لاعرف أنك لا تستحق غفراني .."

يلف خصلة على يده وهو يسألها بخفوت

" وماذا كنت تفعلين معي بالضبط على ذاك السرير الوردي السخيف !؟ "

احمرت وهي ترد بتعثر

" كان مجرد .. جنون و .. ذهب لحاله.."

يجر تلك الخصلة ببعض العنف فتتأوه متألمة بينما يقول لها من بين اسنانه

" جنون .. ها !؟ وذهب لحاله !؟ "

ثم دفعها ومضى ناحية باب الشقة بخطوات نابضة بالغضب ليهدر من هناك بالوعيد قبل ان يغادر

" اقسم ستندمين لعنادك هذا.."

ثم اختفى من امامها وهو يغلق الباب بعنف ..

ظلت تقف مكانها تحدق بالباب ثم أخذت تتلفت حولها في الشقة الفارغة .. الباردة !

يا الله .. ها قد أخذ كل شيء معه ورحل ..

ثم سطعت حقيقة مذهلة فجأة ! تحني رأسها لبطنها ورفعت اناملها لتلامس جنينها فتلتمع دموع الامتنان في عينيها وهي تهمس لنفسها

" لا .. لم يأخذ كل شيء .. لقد ترك لي الاهم .."

بعد شهرين ..

صيدلية الدكتورة علا ..

قالت الدكتورة علا " هذه الفيتامينات ممتازة للحمل يا هاجر .. وخفيفة على المعدة لن تزعجك .."

نظرت اليها هاجر بامتنان وهي تقول بألفة صداقة عفوية نشأت بينهما خلال الشهرين الماضيين

" شكرا لك لولو .. الوحام ما زال مستمراً رغم دخولي شهري الرابع .."

تتسع ابتسامة علا وهي تشجعها بالقول

" اصبري قليلا حبيبتي .. اغلب النساء يستمر معهن الوحام حتى بداية الشهر الخامس .. "

تنهدت هاجر وهي تطلب من علا الدعاء لها ثم شكرتها وخرجت لتغادر الصيدلية وهي تضع الفيتامينات في حقيبتها ...

وبينما تسير باتجاه سيارتها المركونة اخر الطريق تسمرت قدماها وهي تحدق بلا تصديق الى من يستند على السيارة هناك ...

خفقات قلبها صعدت حتى عنان السماء وكأنه رعد يدوي ...

اوشكت ان تبكي من شدة الفرح ...

منذ شهرين لم يكلمها ولم يرسل لها اي كلمة حتى ...

وتكذب على عمها عندما تخبره أن فرقد يتصل بها على الدوام آخر الليل ليطمئن عليها...

لم يتحرك فرقد في وقفته المائلة تلك وهو يطالعها من بعد بضعة امتار ...

كان يبدو ... نحيلا ... غاضب النظرات .. مكفهر القسمات.. عاشق المحيا حتى العظام!...

ما زال نبضها الصارخ يرتفع معانقاً الطيور المحلقة وهي تهمس لطفلها " ترى هل محياي يفضحني بعشقه كما يفعل محياه ؟! اخبرني صغيري ولا تخفي عني شيئا .."

تنهدت وهي تستجمع القوة في ساقيها لتتحرك نحوه وهي تشد سترتها حول بطنها المنتفخة قليلاً لتدثر (صغيرها) أو ربما لتحتمي به من غضب ابيه عليها ..

بذلت مجهوداً خرافياً حتى لا تركض نحوه كغبية يقتلها الشوق ويضنيها الفراق ..

الطاقية الصوفية البيضاء التي ارتدتها اليوم أخفت طول شعرها الاحمر .. كم كانت تتمنى لو أطلقته ..

ما زال القلب مفضوح النبضات بينما تقترب لتقف قبالة فرقد بشجاعة تسأله دون مقدمات " كيف عرفت أني هنا..؟"

عضلة مرتعشة في خده اخبرتها أنها تزيده غضباً باسلوبها المتجاهل هذا !

وكأنها لا تهتم لفراق طال شهرين كاملين واكثر .. لا تهتم لغضبه الشديد منها حتى أنه لم يتصل بها ويكتفي باتصالاته مع عمها طاهر...

رد أخيرا وبنبرة تشع بالغضب الدفين

" اخبرتني خالتك حياة أنك تذهبين لهذه الصيدلية بالذات لابتياع الفيتامينات او اي شيء تحتاجينه .. هل .. الصيدلانية صديقتك ؟"

ترد هاجر وهي تشمخ بذقنها بتحدٍ

" نعم .. صديقتي .."

يضيق عينيه ويزم شفتيه غيظاً وهو يقول من بين اسنانه شبه المطبقة

" ومنذ متى لديك صديقات ؟"

أدّعت الضجر وهي تتأفف بينما كلها وبكل خلاياها تتفاعل لوجوده الحار هذا ..

هل تستطيع تقبيل شفتيه المزمومتين هاتين دون أن يعرف انها (فعلت)؟!

تعض شفتها السفلى وتتسارع انفاسها رغماً عنها بينما تواصل لعب دون غير المهتمة وهي تسأل

" لماذا أتيت مرة اخرى...؟ "

نظر اليها مطولاً .. فشعرت بسخافة ادعائها ..

إنه يعرف ما تفعله .. ويعرف ان لديها عرقاً نابضاً بجنون في رقبتها كعرقه النابض في عنقه ..

يمد يده لجيب سترته يخرج كيساً صغيراً وهو يغلق عينيه حتى منتصفهما ونظرته خطيرة نحو شفتيها قائلا بنبرة تفيض بعذاب الجمرات

" لاحضر لك... السكاكر .."

الجمرة التاسعة والعشرون

تجلس جواره في سيارتها وقد احتل مقعد القيادة بكل استبداد فقابلت استبداده بلا مبالاة وهي تفتح الغطاء الورقي الشفاف لاحدى السكاكر الحمراء وتبدأ لعقها بلسانها بشراهة حقيقية واستمتاع متلذذ..

اللئيم يعرف اختيار ما تحبه ولا تقاومه ...

هل تُراه يعلم انها لا تتوحم الا على هذه السكاكر ؟!

يرخي رأسه على مسند الكرسي للخلف وعيناه نصف مغمضتين تراقبان افعالها الطفولية ..

يتشنج كل جسده بلوعة الشوق المستعر وهو يتتبع ذاك الاحمرار المتزايد الذي تصطبغ به شفتاها من أثر السكاكر ..

تقبضت يده وهو يتمتم لنفسه

" تحمل يا ابن عبد الجبار .. انت الذي اخترت المجيء وقد ذبحك الشوق وأسال دمك حتى آخر قطرة..."

عيناه هبطتا لبطنها بنظرات من شوق مختلف... سيموت كفه تعطشاً ضارياً ليصل الى ذاك الانتفاخ الصغير المزروع في جسدها.. قطعة منه .. تشاركها معها ليصنعاها سوية في ليلة عشق من حرير مشتعل دامت حتى الفجر ..

أمرها بالقول الجاف المتشنج

" اعطني مفتاح السيارة..."

تهز كتفيها وهي ترمي في حجره المفتاح بينما فرقد يكز على اسنانه ...

يبتلع ريقه وهو يلتقط المفتاح ويشغل السيارة ثم ينطلق بها ...

اين يذهب بها هذه الجنية التي تتلذذ بعذابه وعقابه منذ اشهر كتلذذها بقطعة السكاكر هذه التي تجول فوق شفتيها ؟!

واين هو من شفتيها تلك ؟!

اللعنة على العشق واهله ..

اين يختلي بها هذه العنيدة المتلاعبة ..؟

يقود السيارة بتوتر في شوارع العاصمة وعيناه لا تحيدان عن النظر للامام بينما يسمعها تسأل بغنج واستفزاز متعمدين

" الى اين تأخذني ؟ بيت عمي ليس من هذا الطريق .."

التفت اليها وبنظرات خطرة مستعرة هتف بها

" اخرسي هاجر .."

تبرم شفتيها الحمراوين كطفلة لا مبالية ثم تمرر السكاكر على شفتها السفلى بخبث ومكر انثوي قائلة بلامبالاة

" خرسنا ! ما بك ؟! مزاجك سيء .. يبدو ان اسطنبول لم تعد مدينة ... خلابة ! "

اصابعه تتقلص حول المقود الدائري وتقدح عيناه بمزيد من شرارات الاشتعال بينما يواجه نظرات عينيها النرجسيتين اللتين تفيضان بالاستمتاع!

يصبر ويتوعد بصمت ثم يعاود التركيز في طريقه دون ان يرد عليها بشيء ..

اخيراً ومع غروب الشمس المتعجل في الشتاء اوقف السيارة في شارع خال شبه مظلم ..

تلفتت هاجر حولها لتسأل بعبوس

" لماذا توقفت هنا ..؟! لا احب هذا الشارع .."

زمجرة رعديدة خرجت من فمه وجسده كله يستدير نحوها بحركة خاطفة فتنكمش تلقائيا في كرسيها وقلبها تتسارع نبضاته بجنون الانتظار ولهفة الشوق ...

كفه تمتد اليها ثم تزحف زحفاً فوق جسدها حتى وصلت لبطنها وعندها ...

تجتاح كل حواسها تأثيره المشتعل المألوف ..
آآآآآآه .. تفتقده بجنون يعادل افتقاده لها ...

وجهه ينغمر في عنقها وهو يغمرها عملياً بكل جسده هامساً بضراوة عشق مُنهك

" عودي الي .."

رباه كم يوماً وليلة حلمت بحضنه هذا خلال الشهرين الماضيين ....

لا تحلم الا بالحضن .. لا تحلم الا بلمسه كفه فوق بطنها كما يحصل الآن بالضبط..

يأتي همسه فياضاً بالرجولة

" هل تظنين اني لا اعلم انك تريدينني .. حواسك تشتاقني وهذا يعذبني أنا اضعاف ! "

ما زال قرع القلوب في اوجه ولمسات شفتيه لعنقها ترافق الكلمات المبعثرة المعترضة بدلال الاناث التي تخرج من بين شفتيها

" انت .. مغرور .. ابتعد .. ستفضحنا.."

يرفع وجهه لوجهها فتنير المشاعر الجامحة ملامحه قائلا بهمس حار ساخر

" افضحك ؟! لقد فضحت نفسي وأنا ابذل المستحيل لاقنع زميلي في القناة كي أنوب عنه في تنفيذ مهمة مستعجلة في العمل تقتضي العودة للوطن لنصف يوم لا أكثر .. "

شفتاه تقتربان من شفتيها والظلام يستعجل الهبوط وكأنه يمنح خلوتهما ستراً مشفقاً لحالهما فيهمس بمزيد من الحرارة " مباشرة من المطار الى مركز القناة هنا في العاصمة فأنهيت المهمة كمهووس وخرجت راكضاً لاشتري .. السكاكر..."

ما حصل بعدها لم تكن قبلة جنونية متهورة وحسب.. ابداً لم تكن ...!

الشوق والعذاب تكاتفا ليدمجا روحين ونفسين وقلبين .. لحظات مسروقة من أنين الوجع الذي جمعهما وفرقهما في الوقت ذاته ...

" رباه .. بطنك تكبر بسرعة ..! هل دخلت شهرك الخامس ؟"

كانت ضائعة تماماً وبأجفان مُرخاة وعينين لامعتين من أثر العاطفة تنظر لوجهه القريب وتستوعب همسه الحار بينما ترد بلا تفكير

" لا .. ليس بعد .. اوووه .. أخرج يدك من تحت البلوزة .."

تحاول ابعاد يده الجريئة بينما يغويها بنبرته القروية " طعم السكاكر أدمان من شفتيك يا عجمية فرقد وحشاشة قلبه .."

لاول مرة تاثير نبرته القروية يوقظها بدلا من أن يضعفها امامه أكثر !

في لحظة استعادت عنفوانها وهي تذكر نفسها ان عليه الانتظار أكثر .. المعاناة أكثر وأكثر ..

لقد تعلمت الدرس هناك في قرية الشيوخ منبع مبادئه وعقيدته في الحياة ..

تعلمت كيف تكون قيمتها اعلى كلما اخذت بحقها أكثر ...وأكثر وأكثر ....

هذه المرة صوتها كان حازماً وهي تهتف به

" فرقد ... توقف .. ابتعد عني انت تكاد تطحن طفلي ! ستؤذيني وتؤذيه .."

كانت تعرف انها تستغل الامر بإقناع انثوي ماكر جعله يرتد تلقائيا للخلف وهو ينظر بقلق الى بطنها ثم وجهها ...

اعادت ترتيب ملابسها وهي تعبس عن عمد بينما تسبل اهدابها لتخفي نظراتها عنه ..

سمعت صوته مثخنا بالعجز عن فعل شيء

" يكفي فراقاً .. يكفي تعذيباً لكلينا.."

تتمتم وهي تنحني لتلتقط كيس السكاكر الذي وقع منها على ارضية السيارة

" ربما نحتاج (كلينا) لهذا العذاب ... "

يرتفع رنين هاتفه قبل ان يرد عليها فتسمعه يشتم وهي تلف الكيس حول نفسه وتربطه جيداً قبل أن تدسه في حقيبتها ...

ينطفئ الهاتف دون ان يرد فرقد فيسود صمت غريب بينهما ... لم تكن تعرف لماذا هو صامت هكذا ! هل يحاول ايجاد طريقة ما للضغط عليها ؟!

كانت ستطالبه بإعادتها لبيت عمها عندما ارتفع رنين الهاتف من جديد فرفعت نظراتها اليه لتجده يحدق فيها بنظرات مبهمة فتقول له بلا مبالاة

" رد على هاتفك فلم يتوقف عن الرنين .. ربما من (يتصل) لا يحتمل الانتظار.."

لا تعلم لماذا قالتها بتلك النبرة الغيور !

غبية يا هاجر .. انت تعطينه اسلحة ..

بهدوء عجيب فتح الخط وأخذ يتكلم بلغة غريبة خمنتها هاجر أنها التركية ..

ضايقتها نبرته الرجولية عبر هذه اللغة ..

لا .. لم تضايقها .. بل ... اثارت غيرتها على نحو غير مسبوق ..

انهى المكالمة بضحكة خافته ثم ظل للحظات مطرقاً برأسه وهو ينظر للهاتف في يده وكأنه يستذكر ما قاله عبر المكالمة !

ابتلعت ريقها وهي تحاول ان تبدو طبيعية بسؤالها الساخر " كنت تتكلم التركية اليس كذلك ؟ من المتصل ولماذا تبدو ساهماً بتأثر هكذا ؟"

رد بنبرة هادئة غامضة

" انها صديقة .. تسأل عني متى سأعود .."

فورة مشاعر هائلة غزتها حتى اطراف اصابعها فلم تشعر الا واظافرها الطويلة المعتنى بها تنغرز في ذراعه وهي تسأل بصوت خافت مهدد

" هل تحاول اثارة غيرتي يا فرقد .."

يرد بنبرة انتقامية وهو يلتفت اليها برأسه قليلا " علّ بعض جحيمي ينتقل اليك .."

تشتعل عيناها في الظلام فتهدده هذه المرة بشكل مباشر عنيف

" اياك يا فرقد .. ستحرق كل سفنك معي.."

نظر اليها مطولاً دون أن يظهر تأثرا بتهديدها الجدي ليقول بصوت أجش " قولي على الاقل كلمة واحدة انتظرها منك .. كلمة يا هاجر .. كلمة تشعرينها نحوي بعاطفة جياشة لكنك تبخلين بها علي .. "

الانفعال يتفاعل داخلها فيعلو صدرها ويهبط بينما يذكرها بالقول وصوته يفيض حنيناً حارقاً لماض قريب كانت هي بين يديه

" هل تذكرين تلك الليلة في المزرعة ؟
اخبرتك أني اريدها كلمة واحدة منك ..
(احبك) .."

فترد بغل عاطفي وهي تتذكر سجنها ذاك

" أجل واذكر اني قلت لك افضل أن ابتلع
الجمرات المتوقدات على أن اقولها .."

ليقول بصوت مبحوح وهو يمد يده لخدها
يحتضنه " وانا أجبتك أني مستعد لابتلعها
كي تقوليها .."

ترتعش للمسته .. اللعين يعرفها كم تتأثر
بلمسته .. كيف يفعلها ويجعل لمسته حية
بكل انواع المشاعر ؟ كيف ؟

ثم يضيف بتوق قاتل

" وأنا ابتلع الجمرات حرفياً الآن .."

ترخي جفنيها وهي تتنعم بلمسته تلك بينما
يواصل هو بثها لوعته " لقد منحتك كل ما
عندي .. كل شيء .. واريد منك كل شيء
في المقابل ... "

تشعر بانفاسه قرب خدها الاخر وهو يبذل
المستحيل ليقنعها " عودي لحضن فرقدك ..."

ما اسهل ان تفعلها وما أصعب ان تتقبلها ..

لم تشفَ بعد مما فعله بها ..

دمعة خائنة تريد ان تفلت من بين جفنيها
فتقاومها بكل ذرة من كيانها هامسة " لا ..."

يقدم التنازلات المغريات فيقول بصبر ونبرة اقناع " اذن تعالي اسطنبول.. قريبة مني .. اعتني بك وادللك .."

تضعف من شدة الحاجة اليه لكنها تصر بالرفض " لا .."

يلثم خدها بشفتيه فتذوب في دفئهما فتشعر انها حلوة ! حلوة جدا .. وهو وحده من يعرف مكمن حلاوتها الحقيقية ...

لا يكف عن المحاولة فيشرح وكأنه يهادن طفلة " انا اسكن في بيت امرأة تركية طيبة واؤجر منها غرفة واسعة في الطابق الارضي .. نستطيع أن نتشارك بها .. لن ألمسك .. فقط أعتني بك .."

داخلها يبتهج وهي تفسر انها لا بد أن تكون المرأة التي كلمته قبل قليل على الهاتف لتزداد ثقة وثباتاً على الرأي رغم اغراء ما يعرضه " لا .."

يلثم خدها مرة اخرى يكاد يُضحكها بالقول المراوغ المحتال

" اذن سأعطيك غرفتي وآخذ اخرى في الطابق الاول .. لن ازعجك .."

ترفع نظراتها بتحدٍ وهي ترد بنفس الكلمة

" لا ..."

يزفر بقوة هامساً بشراسة

" الا تعرفين الا كلمة (لا) ؟!"

تبتسم بخبث وعيناها في عينيه لترد على همسه الغاضب بهمس ناعم " لا .. اعرف ..."

ابتعد عنها بحركة حادة فيتكئ بكوعه على حافة الشباك جواره ويمسح بكفه فوق وجهه وكأنه استنفد طاقته ليردد بغضب متفجر " لم أعد أطيق ... متى ستغفرين ؟!"

لم يكن ينظر لها فشعرت للحظة بوخزة إبرة في قلبها فترد عليه بسؤال يحمل معانٍ عديدة

" وهل غفرت انت ؟"

التفت اليها متجهماً مستنكراً وهو يقول بعنف

" بعد كل ما فعلته وتسألين ؟!"

تميل برأسها جانباً وتبدو وكأنها لامبالية وهي تتساءل بنوع من السخرية

" حقاً ؟! اذن لا مانع لديك أن اخبرك عن خطيبة منذر .. انها لطيفة سمراء .."

تجحظ عيناه وتشع قسوة الصحراء والشوك من نظراته فيسألها من بين اسنانه

" هل .. قابلتِ منذر ؟! من وراء ظهري ؟!"

بدا واضحاً أنه يكبت انفجاراً هائلا لكنها لم تبال به لتمعن بإثارته قائلة " كما اظنك ستفرح لاجل رافد .. لقد رزق بصبي واسماه ..."

صرخ يقاطعها وهو يضرب على المقود بكفيه

" كفى ! "

كان ينهت وهي تراقبه بوجع ليبهت قناع السخرية وتظهر ملامح الانثى المتألمة فيها وهي تهمس بوجع

" هل رأيت .. انت لا تنسى .. ولا تغفر في داخلك .. فلا تلمني .."

تتقبض يداه وهو يضرب المقود مرارا وتكرارا يسب ويشتم ..

كان يعرف ما تحاول ايصاله له .. كان يعرف نفسه ...

قالت وهي تدير وجهها جانباً بعيداً عنه تنظر لظلمة الشارع المقفر " من يدري .. لعلك تعود للوطن لتتأكد بنفسك .. ربما لا تثق بعمي طاهر كفاية .. فتأتي لتدحر شكوك نحوي.."

هذه المرة كان قاطعاً وهي يقول دون ادنى تردد

" اللعنة... انا لا اشك ! هل تظنين لو كان لدي شك ولو بمقدار ذرة هل كنت سأتركك وحدك هنا ؟!"

امسكها من كتفيها ليديرها عنوة اليه يهزها وهو يبثها معاناته " لكني أغار ! انا بشر ورجل مجنون متطرف المشاعر .. وكل هذه المشاعر اللعينة تصبح في اقصاها عندما تتعلق بك.."

ينظران لبعض وقد وصلا لنقطة لقاء تفرقهما لتقول هاجر وهي تتشرب ملامحه بشوق قادم يضنيها منذ اللحظة " اذن .. عليك العودة لتركيا .. والصبر لوحدك .. هناك .."

نفضها بعيداً ثم اعتدل بكرسيه ليشغل المحرك وينطلق في رحلة صامتة ...

خلال ثلث ساعة كانا امام مبنى سكني انيق حيث شقة طاهر الاحمدي ليترجل فرقد من السيارة وتفعل هاجر المثل بينما يلتف هو حتى يصل اليها ودون ان ينظر لوجهها يمد كفه بالمفتاح قائلا بنبرة غامضة

" خذي المفتاح .."

ثم تحرك ليبتعد خطوة ..

آلمتها تلك الخطوة لكنها تجلدت وثبتت ..

ما زال لا ينظر نحوها وهو يضيف قائلا

" أنا عائد لتركيا على اول طائرة.. لن انتظر حتى فجر الغد كما كنت أخطط وأسعى لاقناع القناة بأي عذر.. لكني لا استطيع ولم أعد اريد البقاء أكثر من هذا .."

أخيراً رفع راسه وهو يتحرك مبتعداً أكثر ليقول بنبرة حادة تفيض بغضب بريّ مخيف

" تذكري يا هاجر .. كثر الجفا يقتل الشوق.. والفراغ دوماً يبحث عما يملأه "

ثم استدار بجسده ليتقدم قريباً من الشارع العام يشير لسيارة أجرة كي تقف له ..

لحظات وكان يغادر امام عينيها دون أن يلقي نظرة خلفه فتكتفي هاجر بمسح دموعها ثم تغلق قفل ابواب سيارتها لتتحرك نحو بوابة المبنى وهي تحاور طفلها هامسة

" والدك يجب أن يتعلم الصبر علي .. كما تعلمت عشق الانتماء له.. كلانا يتعلم من الآخر..."

شقة دينا ضياء الدين

اعطاها الاطباق المتسخة لتضعها في حوض غسيل الصحون وتبدأ بجليها بينما يتكئ هو بظهره على البراد القريب ويراقبها باسترخاء..

قال لها بخفة " سلمت يداك .. الطعام كان رائعا .."

ردت وهي تكتم ضحكتها " لا تصدق كلام أبي وهو يتقمص دور الام التي تفاخر بابنتها فينسب لي ما لم أطبخه .. نصف الطعام الذي أكلته هو من أعده بنفسه.."

ثم رفعت عينيها الواسعتين له لتقول ببشاشة

" ابي طباخ ماهر ..."

يخفق قلبه سريعاً وهو ينظر لعينيها ..

جمالهما ليس في وسعهما ورسمهما ولا لونهما البني المألوف .. جمالهما في حياء النظرة وبراءتها .. في وضوحهما وكأنهما مرآة صافية لروح صاحبتهما ..

في ارتباكهما كما يحصل الآن وهو ينظر اليها ولا يخفي عنها كيف ينساب قلبه منه اليها في سلاسة ماء عذب يبحث عن مصب له حتى وجده فيها .. سلاسة تحيطها اواصر القوة وتنيرها هالة رقيقة شفافة من عذوبة متناهية ..

قال بصوت مبحوح ونظراته تهبط لشفتيها يناغشها

" انت لا تضعين احمر الشفاه عندما نلتقي !
لماذا ؟ الا استحق منك بعض .. الاهتمام ؟ "

تحمر كعادتها وترتبك ليقع الصحن منها
داخل الحوض فتجفل ثم تحمد الله عفوياً انه
لم ينكسر بينما تتمتم بخجل

" أنا .. انسى .. هذا كل شيء .. هل يهمك
الامر ؟"

يرد وهو يستمتع بحواره معها " مؤكد يهم ..
انت زوجتي .. الا يكفي حجابك هذا الذي لا
تخلعينه امامي الا نادراً ! "

تعض شفتها وتحني رأسها وهي تهمس

" ابي لا يحب أن أخلع حجابي امامك .. يقول
عليك أن تصبر حتى .. أزف اليك "

يتنهد وهو يقترب منها كثيراً "انه يضطهدني"

ترفع رأسها اليه لتنظر لعينيه الناعستين
بالشقاوة فيخفق قلبها بجنون وهي ترد
بارتباك " انه يغار ..قليلا .. منك .."

يرفع يده لتمر انامله فوق خدها الاسمر هامساً
بصوت أجش

" يغار لاني آخذ نصيباً من قلبك .."

تهز رأسها ايجاباً وبشكل عفوي وهي ترد

" اذا انت تتفهمه .."

يبتسم برضا دون أن تنتبه هي لاعترافها
الضمني ثم تحاول ابعاد وجهها عن ملامسة
اصابعه وهي تهمس بقلق " ارجوك منذر .. أبي
سينزعج اذا رآك تفعل هذا ..."

لكن منذر لا يرتدع وهو يقول بحنق رقيق

" انه يمنعك الانفراد بي وانا صابر .. منذ شهرين عقدنا القران وأنا لا التقيك الا بحضوره تقريباً واسرق القبلات الخاطفة بشق الانفس .. على الاقل اريد أن اراك بدون حجاب .. اريدك أن تتزيني لاجلي .. الا استحق ؟!"

كانت انفاسها تتسارع وهي تنظر اليه بهلع بينما يقترب بوجهه منها ، مسمرة امامه عاجزة عن فعل اي شيء الا انتظار مغلف بشوق يخجلها الاعتراف به ..

شفتاه قرب شفتيها وهو يتمتم بحرارة عاطفة تنعكس في عينيه الرماديتين

" انت لذيذة هل تعرفين .. تذوبين من نظرة وتتسمرين مرتبكة من ... قبلة .. رغم انها ليست الاولى بيننا .."

لم تكن حتى الاولى له لكنه يشعر بطوفان يجتاح حواسه ويثير رجولته بعنف وتملك ..

كانت ترتعد بين يديه وهو يناضل ضد طوفان مشاعره حتى لا يتمادى ويخيفها ...

لقد نسي حتى اين هما ووالدها الغيور الذي ذهب ليصلي العشاء في غرفته ..

انها زوجته .. يريدها معه .. يا اللّه .. يريدها الآن وقلبها يخفق هكذا فوق قلبه ...

أدارت وجهها جانباً وهي تلهث وتتوسله همساً

" منذر توقف .. أبي سينهي صلاته وينادينى او ربما حتى .. يفاجئنا هنا .."

يرخي جبينه فوق جبينها وشعور مبهج منعش يخدره بلذة ...

ينظر لعينيها المغمضتين وشفتيها المرتعشتين فيبتسم ويهمس بجرأة " أتوق لسماع اعذارك ليلة الزفاف .."

شهقت بعنف بينما يرتفع صوت والدها من غرفة الجلوس منقذاً اياها

" دينا .. منذر .. ماذا تفعلان في المطبخ ؟!"

يعاود منذر التنهد محبطاً بينما ترد دينا بارتباك وهي تدفعه بعيداً عنها

" سأنهي .. غسل الصحون حالا أبي .. منذر .. يساعدني .. و .. سأعد الشاي .."

زمّ منذر شفتيه وهو يقول لها حانقاً ضاحكاً في الوقت ذاته

" أنا ساغادر لن أشرب الشاي معكما، الحجوج اكتفى مني الليلة كما أظن .."

نظرت اليه وبدت أكثر ارتباكاً فتحاول ان تسترضيه هامسة

" ارجوك لا تنزعج مني .. ربما تراني رجعية بعض الشيء او ربما ترى والدي يبالغ بحمايتي، لكن .. انا تربيت هكذا ..و .."

قاطعها وهو يرفع إصبعاً ليضعه فوق شفتيها قائلا بجدية " أنا .. أحبك هكذا .."

كانت جملة تحمل معنى مختلف عن الحب
والعشق .. لكن تأثيرها كان غير عادي
عليهما معاً ...

إنها المرة الاولى التي تسري بينهما كلمة
(احبك) .. المرة الاولى التي تجمعهما ...

الاثنان يحدقان ببعض بعيون مفتوحة حتى
آخرها وبينما كانت دينا مذهولة مخضبة
الوجنتين كان منذر يستوعب تأثير الكلمة
عليه هو شخصياً ...

احساس غريب ينتابه .. احساس أنه يريد أن
يقولها لها مرارا وأن يسمعها من شفتيها مرارا..

أخذ صدره يعلو ويهبط من تسارع انفاسه
ليمسكها من ذراعيها وهو يطالبها بتوق
مفاجئ " هل تحبينني دينا ؟"

لكن صوت الحجوج المنادي بحزم منح دينا
مخرجاً لتهرب بينما منذر يكز على اسنانه
بغيظ حقيقي وغيرة تعادل غيرة الحجوج !

بعد يومين

مكتب الشاهين للحاسوب... ظهراً

تحتضنان بعض بمحبة وعشرة جمعتهما
فتهمس سمارا بتأثر بالغ " سأشتاق لوجودك
هنا كل يوم يا شهرزاد .."

تشدد شهرزاد من احتضان صديقتها الوحيدة التي حظيت بها قائلة بشعور بالذنب

" وأنا أكثر يا سمارا .. انا .. اسفة .."

أبعدتها سمارا قليلاً عنها لتقول بعبوس امومي

" لا تعتذري .. هذا عمل .. ومن حقك ان يكون لك عمل خاص بك .."

مسحت شهرزاد دمعة أفلتت من طارف عينها لتسأل وهي تتطلع لباب غرفة شاهين المغلق !

" اين شاهين ؟ ألن يأتي لوداعي ؟"

مطّت سمارا فمها وهي تقول بخفة ظل " إنه لا يجيد الوداعات ... يتهرب بالادعاء أنه مشغول بمحاولات مضحكة ان يجعل قردي الصغير يأوي للنوم .."

عبست شهرزاد وهي توبخها بالقول

" لا تنعتي صغيرك بـ(قرد) .."

تواصل سمارا اسلوبها الفكاهي المحبب وهي تؤكد لها بإصرار

" إنه قرد ! .. لا اعلم من اين أتى بشعره الاسود الكثيف المخيف هذا حتى ظهره يحتاج لفرشاة شعر ! لديه زغب شارب حقيقي فوق فمه هل تتخيلين ؟! مؤكد كان بحاجة لماكنة حلاقة وهو يعيش كطفيلي صغير في بطني.."

تنفجر شهرزاد ضاحكة ثم تتنبه للوقت لتنظر لساعة يدها وتقول باستدراك عملي اصبح يميز شهرزاد في الاونة الاخيرة

" يجب أن اغادر .. تأخرت .. هيثم ينتظرني في المكتب الجديد مع مهندس الديكور .."

نظرت اليها سمارا قائلة بصدق

" بالتوفيق حبيبتي .. "

خرجت شهرزاد بخطوات متعجلة وفي طريقها عبر باب المكتب المفتوح ارتطمت بفتاة عشرينية مرتبكة تريد الدخول لمكتب الشاهين ...

اعتذرت منها وهي تبتسم لكن الفتاة بدت في عالم آخر ...

كانت ستسألها عفوياً عن بغيتها عندما رن هاتفها لترى المتصل زوجها هيثم فتفتح الخط وهي تتحرك بعجل تعتذر منه للتأخير ...

تحركت الفتاة والارتباك يجعل خطواتها تتعثر... وقفت عند بداية المكتب تتطلع حولها تبحث عمن تتكلم معه لكن لا احد ..

اوشكت ان تتراجع وتغادر عندما أطلت عليها امرأة حمراء الشعر التي أخذت تتطلع اليها في المقابل وهي تقول بعفوية

" كيف اخدمك عزيزتي ..؟"

فضول غريزي انتاب سمارا وهي تنظر بتمعن للفتاة ... شاحبة نحيلة طويلة .. شعرها البني الفاتح يصل حتى الكتفين .. حنطية البشرة وتقاطيع وجهها رقيقة فيها مسحة جمال ذبل بشكل واضح ... أثر زرقة على جانب خدها تحكي قصصاً وقصص ...

نظراتها غير مستقرة وتائهة و ... خائفة ...

ملابسها أنيقة بنوع من التكلف ..

تقدمت منها وهي تراها مسمرة مكانها تشحب تدريجيا وكأنها اقدمت على حماقة شنيعة !

سألت سمارا بإشفاق فوري

" هل استطيع المساعدة ؟"

تتشبث الفتاة بحقيبتها الجلدية وهي تهمس باضطراب شديد " هناك ..اعلان عن وظيفة "

أرتفع حاجبا سمارا وهي تعاود النظر لملابس الفتاة ثم تقول بتأنٍ " هل قرأتِ الاعلان جيداً؟ نحن نحتاج لمن يصنع القهوة والشاي ويعتني بنظافة المكتب .."

أخذت الفتاة تهز رأسها وهي ترد باضطراب أشد

" نعم قرأته .. هل ... استطيع ...أن آخذ الوظيفة ؟.."

فجأة انفتح باب غرفة شاهين لينادي بصوت جهوري متذمر " سمارا ! تعالي وخذي قردك الاسود هذا ! انه مريع ويخيفني شخصياً .."

ارتدت الفتاة للخلف وهي تحدق في ضخامة شاهين بوجل حقيقي فتدخل سمارا وهي توبخه بالقول " توقف شاهين لقد ارعبت الفتاة .. ستفر هاربة من صوتك المرعب هذا"

تحولت عينا شاهين فورياً للفتاة المرتعبة فيحدق فيها بينما تتمتم الفتاة " انا آسـ.."

ثم تبتلع ريقها لتضيف على عجل وهي ترتجف حرفياً " أنا سأرحل .. انا ... اسفة.."

كانت ستستدير لتغادر عندما اوقفها صوت شاهين الثابت بلطف مؤثر وكأنه انقلب في لحظة من شخصية لاخرى " توقفي لحظة .. هل نستطيع المساعدة بشيء "

كان قد تقدم منها ليقف قبالتها يضيق عينيه وهو يحدق فيها بتركيز خاص بينما ترد سمارا عن سؤاله للفتاة

" لقد أتت لاجل اعلان الوظيفة .."

أخذت الفتاة تنقل نظراتها بين الاثنين بارتعاب شديد بينما تهمس بنبرة متوسلة

" غيرت رايي انا .. لا انفع .. ارجوكما .."

تراجعت وهي تنكمش على ذاتها بطريقة تفطر القلب ليصر شاهين بعزم

" لحظة من فضلك .."

يبتسم في وجهها وهو يرفع كفه الضخمة ليشير لنفسه قائلا " دعينا نبدأ من جديد .. انا شاهين .. مدير هذا المكتب المتواضع .. نادني ابا يوسف .."

ثم يحرك كفه ناحية سمارا التي تقدمت لتقف جواره مضيفاً بألفة وأريحية

" وهذه الحمراء هي سمارا أخت زوجتي ورفيقتي بالنضال ... ويفترض انها ام فرح وقرد صغير اسود قابع على اريكة مكتبي في الداخل .."

تضربه سمارا في كتفه وهو يضحك بصبيانية مشاكسة بينما الفتاة تنظر اليهما وغصة واضحة تخنقها !

انتبهت سمارا لحالتها لتسألها بعطف

" هل انت بخير عزيزتي ؟"

أخذت تهز رأسها وهي تهمس باختناق

" انا اخطأت المجيء هنا .. يجب ان أعود للبيت في الحال .. كان خطأ فادحاً "

تتحرك ناحية الباب المفتوح وشاهين لا ييأس فيسألها بألحاح

" لاتبدين بخير .. كيف ستعودين ؟"

تشوح بيدها دون وجهة واضحة وهي تقول بهمس متقطع غير ثابت النبرات " بيتي قريب... سأعود مشياً كما اتيت.. أنا تسرعت .. لم يكن يفترض أن اتصرف بحماقة و... ادخل هنا .. "

سارع شاهين ليقول وهو يبحث في جيوبه

" فقط لحظة واحدة رجاء قبل أن تغادري .."

ما زال يبحث والفتاة تائهة تنظر لوجه سمارا باستنجاد مبهم ثم يهرول شاهين الى غرفة مكتبه ثم يعود اليها حاملا بطاقة صغيرة بيضاء وهو يقول لها بابتسامة عريضة مرحبة

" خذي هذه البطاقة معك .. والوظيفة بانتظارك دوماً .."

مرت لحظات طوال والفتاة تنظر للبطاقة البيضاء في يد شاهين دون أن تجرؤ على أخذها..

حثتها سمارا بالقول المشفق

" خذيها عزيزتي.. ربما تغيرين رأيك وتنسين العنوان فلا تستطيعين العودة لطلب الوظيفة.."

دون كلمة أخرى أخذت الفتاة الورقة وغادرت مهرولة بينما شاهين وسمارا يقفان جوار بعض صامتين وهما يسمعان صوت خطواتها على الدرج تبتعد حتى اختفت ...

سألت سمارا أخيرا " هل تظنها ستعود ؟"

لكن شاهين يرد بسؤال آخر ويده تتقبض الى جوار جسده " هل رأيت جانب خدها المزرق ؟!"

شعرت سمارا بوجع في القلب وهي تهمس بتاثر

" نعم ..ورأيت خاتم الزواج في بنصرها ايضا .."

هتف شاهين من بين اسنانه

" الا لعنة اللّه على اشباه الرجال..."

ومرت اسابيع واسابيع ... نهاية الشتاء ..

غرفة هاجر ..

كانت تجلس متربعة على سريرها وهي تلتهم من صحن الحلاوة اللذيذة التي احضرها لها عمها ..

يرن هاتفها وهي لا تجد في نفسها الرغبة ولا القدرة على ترك الصحن ومغادرة السرير بحمل بطنها الذي ثقل كثيراً لتذهب الى حيث هاتفها مربوط على الشاحن فوق منضدة الزينة وترد على المكالمة..

صوت خبيث شرير يخبرها أن المتصل قد يكون (هو) وإنها تتدلل عليه كالعادة وتثير غضبه وغيظه ...

عضت شفتها السفلى بنظرة شريرة طفولية لتقرر اخيراً أن تتحرك من السرير ناحية منضدة الزينة ..

التقطت الهاتف وابتسامتها الشريرة تتسع فتفتح الخط وتقول بصوت انثوي " ألووو..."

لم تخطئ التوقع وصوت فرقد يأتيها محملاً بالغضب الساطع " لماذا تتأخرين بالرد .."

ترفع الملعقة الصغيرة بمزيد من الحلاوة لفمها وهي ترد عليه " كنت أبتلع لقمتي .."

ما زال هادراً غاضباً وهو يقول " عذر سخيف ! فقط لو كانت رقبتك تحت يدي .."

تعبس وهي تلملم بالملعقة آخر ما تبقى من الحلاوة في الصحن لتضعه في فمها وهي ترد عليه باسلوب مستفز " هل ستبدأ المكالمة بالشتيمة ؟! راع انك لا تتصل الا مرة كل اسبوع .. واحياناً نادرة تتعطف بمكالمتين .."

هذه المرة كان رده بهمس جاف خشن

" مع انك لا تستحقين .."

تضحك بخفة وهي ترد بمزيد من الاستفزاز

" شكرا ! "

تسمع صوت أنفاسه فتكاد تتخيل وجهه المتجهم ...

كم اشتاقت لوجهه الخشن الاسمر.. تراه بقلبها اوسم الرجال وأقوى الرجال واكثرهم جنوناً ... انه رجلها وحدها.. فكيف لا يكون كذلك ؟!

تتابع كل يوم القناة الاخبارية المملة التي يعمل فيها فقط لاجله .. لاجل أن تراه على التلفاز واحياناً تتصرف تصرفات طفولية فتقبل شفتيه عبر الشاشة البلازمية ..

الحمد للّه أنها تمتلك تلفازها الخاص في غرفتها حتى لا تفضح نفسها بأفعالها الحمقاء هذه..

أخيراً قطع عليها تخيلاتها قائلا

" عمك يقول أنك تحتاجين للراحة بسبب كبر بطنك في الحمل وشعورك الدائم بالتعب بسبب حملك الثقيل ، خذي اجازة لبضعة اشهر "

لا تعلم لماذا تحب اثارة غضبه لهذه الدرجة فلم تتردد أن ترد عليه باسلوب ساخر مستفز

" ومن أين سأعيش عندها ها ؟! أم تريدني أن أموت جوعاً أنا وطفلي ! "

زمجر بنبرة خافتة تفوح بالغضب المستعر

" اقسم باللّه لولا أني وعدت نفسي أن لا اخطو للوطن مرة أخرى لوجدتني آخر الليل عندك أريك كيف تردين على زوجك وتنتقين كلماتك .."

تأففت بدلال تتساءل ببراءة أشد إغاظة

" لِمَ كل هذا الغضب ؟! ماذا قلت لك الآن؟!"

عندها أفلتت اعصابه ليصرخ عبر الهاتف

" ايتها الغبية الحمقاء .. انت ملزمة مني انا ولأنك جاهلة بامور زوجك فمؤكد لا تعرفين أن راتبي جيد في عملي هنا في هذه الخربة اسطنبول ، واستطيع أن أكفل لك معيشتك ومؤكد معيشة طفلنا وأظن أني ابعث لك المال باستمرار على حسابك البنكي رغم عدم استخدامك ولا حتى فلس واحد منه .."

ترفع اصابعها لشعرها الاحمر تتلاعب بخصلاته كما تتلاعب باعصاب زوجها فتسأله بصوت خافت يفيض بنبرات الانوثة

" هل اصبحت (الخلابة) الآن ... (خربة) ؟"

لم تتلق منه الا شتائم وشتائم لا تنتهي !

كانت تعلم أنه يعلم بتعمدها لاستفزازه ..

وصبره عليها رغم غضبه الظاهر يجعلها تتدلل أكثر وتحبه أكثر ... لا بد أنها مجنونة !

بعد سفره آخر مرة تركها لشهر كامل دون اتصال وما اقلقها بشكل جدي أنه لم يتصل بعمها ايضا !

ثم لم تحتمل لتبالغ بادعاء المرض عندما اصابها بعض الزكام وعمها لم يخذلها اتصل بفرقد بنفسه لينقل الصورة التي ارادتها اليه...

وعندما أتصل بها أخيراً بعد انقطاع شهر كان اسلوبه يعبر عن سخطه عليها ..

كلماته متجهمة الحروف .. مقتضبة مختصرة جافة رغم قلقه الواضح ..

ومنذ تلك المكالمة أخذ يتصل بها مباشرة بالاسبوع مرة واحدة غالباً كي يطمئن عليها بنفسه ..

لم يتغير باسلوبه الجاف المقتضب معها ولم يبذل اي جهد لاخفاء غضبه المكبوت لكن مع هذا صوته يفعل بها ما لا يفعله اي شيء على سطح هذه الارض ...

صوته يشعرها بالانتشاء ... بالاكتفاء .. بالامتلاء حد التخمة ومع هذا لا تشبع ...

بل يشعرها بالانتماء ! وكأن دمها بات من دمه هو ودم آل الشيوخ ...

تبتهج كطفلة تناكف اباها لانها تجعله يتراجع عن كلمته (بمقاطعتها) في كل مرة وتجبره بطريقتها ان يتصل ويتواصل رغماً عن ارادته ..

" ماذا كنتِ تأكلين ؟!"

قاطع افكارها الطفولية الشريرة بسؤاله المفاجئ لتهمس متسائلة " ها ؟!"



يعاود السؤال وهي يشدد على كل كلمة

" ماذا.. كنتِ ... تأكلين ؟"

تشرق ابتسامة واسعة على وجهها وهي ترد

" حلاوة الجزر بالجوز ، عمي يشتريها لي دوماً منذ ايام الوحام عندما طلبتها منه .."

صوته جاء أجشاً وهو يسأل " هل هي لذيذة ؟"

فترد بتلذذ وهي تنظر للصحن الفارغ " نعم ... جدا .. تذوب بالفم خاصة عندما تكون دافئة .. امممممم .."

هذه المرة نبرة صوته كانت خافتة خطيرة متشنجة كوتر مشدود " اذن .. سأبحث عنها هنا وأشتري منها لاتشاركها مع .. فمك .."

ثم أغلق المجنون الخط وهو يتمتم بسلام متعجل جاف ..

ضحكت من قلبها وهي تضم الهاتف لصدرها هامسة " اشتقت للمسة يديك وحرقة الجوع من شفتيك .. اشتقت .. لحضنك .."

خرجت من غرفتها وهي تضع الملعقة الصغيرة في فمها تتلذذ بالطعم المتبقي فيها من الحلاوة ... تشعر ببهجة تضم انوثتها وهي تتخيل فرقد يأكل تلك الحلاوة لاجلها ...

في المطبخ رأت الخالة حياة وهي تكلم الخادمة الجديدة التي اتفقت معها كي تحضر اليها بالاسبوع مرتين فكانت ترشدها لاسلوب

العمل، وبينما كانت هاجر تضع الصحن الصغير والملعقة في حوض غسل الصحون التفتت اليها الخالة حياة عابسة قائلة بتذمر

" هاجر .. لم يعد ينفع بقاء الدجاجتين اكثر من هذا في الشرفة.. لقد اشتكى الجيران من الرائحة وبصراحة أنا نفسي لم أعد أطيق الادعاء أني لا أشمها .."

شعرت هاجر بكل مراكز الاعصاب لديها تهتاج ..

لا تحتمل خالتها حياة عندما تتعامل مع توتو وجوجو هكذا او تتهمهما التسبب بسوء الرائحة ، انها تعتني بنظافة مكانيهما أكثر من اللازم حتى لا تسمع كلمات كهذه ...

شمخت بأنفها وهي تقول أول ما خطر لها

" عندما أنجب طفلي واذهب مع زوجي ستذهب كل الرائحة ولن يشتكي أحد .."

ثم استدارت مغادرة المطبخ وهي تغلي غيظاً..

وبينما تمر بالرواق انفتح باب الشقة وظهرت سهر وهي تحمل طفلتها الشقية نيفو ..

بدت الصغيرة حلوة كالسكاكر بفستانها الاحمر وقبعتها الخضراء ذو الوردة الحمراء ..

هرولت هاجر بفرح نحوهما ثم أخذت نيفو (شبيهة ابيها) من ذراعي امها وبينما تلتهمها هاجر بالقبلات كانت سهر تُدخل بنفسها سرير الطفل والحقيبة الكبيرة التي تضع فيها اغراض صغيرتها ..

عقدت هاجر حاجبيها وهي تتساءل

" هل حملت كل هذا بمفردك ؟!"

اغلقت سهر باب الشقة وهي تمط شفتيها قائلة بعبوس " الجلف الذي تزوجته يقول لي تحتاجين تربية بعض العضلات في اطرافك حتى لا تذبل بتقدم العمر ! "

لم تستطع هاجر مقاومة ضحكة عالية رنانة صدرت من حنجرتها بينما سهر توبخها وهي تأخذ نيفو منها ..

ظهر العم طاهر من غرفة مكتبه تقوده خطوات متلهفة وعيناه لا تفارقان وجه حفيدته ..

يأخذها من امها ليحتضنها كأنها أغلى ما في هذا الكون والشقية الصغيرة تضع رأسها على صدر جدها بتدلل يأخذ بمجامع القلب ..

وبينما سهر تتذمر متخصرة من نسيانها وسط هذا الترحيب الخاص لابنتها كانت هاجر تراقب وجه الصغيرة الممتلئة بالرضا لتكتمل الصورة بحضور الجدة (حياة) وقد اخذت تتناقر مع زوجها ليعطيها نيفو كي تحظى هي الاخرى بحضن منها ..

لفت هاجر ذراعها حول بطنها الكبيرة عفوياً وقلبها يخفق تأثراً ...

همست همساً سرياً لطفلها

" لا تقلق .. سيكون لك كل هذا واكثر ..
سأحرص أن تحصل على كل العاطفة
والاهتمام والعزوة والعائلة ... "

ثم شعرت ببعض التحسن وهي تضيف المزيد
لذاك الهمس السري " انت ابن الشيوخ يا
صغيري .. لديك عشيرة كاملة تدعمك
وجدٌ يفضلك على كل احفاده وجدّة
تعشقك من عشقها الخاص لابيك "

رغم شعورها ببعض التحسن الا ان قلبها
ينكمش قليلا على نفسه دون ارادة منها ..

فجأة رفع طاهر نظراته لابنة اخيه وكأنه
شعر بصمتها وانكماشها ..

يبتسم لها ويسلم الحفيدة المدللة لجدتها ثم
يقترب ليحتضن هاجر ويقول لها ببشاشة

" لا اعلم ما سيحصل لي عندما تنجبين
حفيدي الثاني .. قد اقدم على معاش مبكر
وألزم البيت لاجل أن اقضي الوقت معهما .. لا
بد أني كبرت كثيراً لاتأثر بالاطفال لهذه
الدرجة.."

تدمع عينا هاجر وهي ترفع نظرات ممتنة اليه
ثم تميل برأسها على كتفه فيسألها طاهر
بهمس مهتم " أذن غدا سنعرف إن كان حفيداً
ام حفيدة تنافس نيفو بجمالها "

تهز هاجر رأسها وصغيرها يرفس بقوة في بطنها
وكأنه يقول (أنا هنا .. أنا هنا) ..

شقة للترميم

يتكلم منذر بنبرة عادية جدية وهو يشرح لها مشيراً للحائط في غرفة الجلوس المفترضة

" انظري .. اعتقد اللون السماوي الفاتح سيكون مناسباً .."

تنظر اليه بصمت وتهز رأسها وملامحها لا حياة فيها على الاطلاق ...

يحاول جهده أن يثير اهتمامها لتتفاعل معه فيسمك كفها ويقودها للغرفة الاخرى ويبالغ بشرح التفاصيل هناك لكن دينا لا تستجيب بشكل حيوي ..

اخذها اخيراً حتى المطبخ الذي خلا من الخزانات بانتظار اعادة صبغ جدرانه ليتم تركيبها لكنه لم يقل شيئا ! فقط يمسك بكفها ويقف جوارها بصمت هناك ينظر لملامحها الغريبة تلك ..

قال اخيراً " اذن يكفينا ادعاء .."

عندها فقط حصل على ردة فعل منها لتظهر على ملامحها تعابير غريبة وهي تبادله النظر ثم تقول بنبرة أشد غرابة

" اي ادعاء ؟ ألاني ارضى بكل شيء وقليلة الطلبات تجدني .. أدعي ؟! "

شعر منذر بالقلق ليتخذ اسلوباً مباشراً صريحاً هذه المرة قائلا

" دينا .. والدك منذ عقد قراننا لم يتركنا للحظة بمفردنا .. هل تعتقدين اني غبي لاصدق حجته اليوم أنه يشعر بوجع رأس مفاجئ تجعله لا يستطيع الحضور معنا لرؤية الشقة التي نجهزها لسكننا ؟!"

أشاحت بوجهها جانباً دون أن ترد بشيء لكن توترها كان واضحاً جلياً فيضيف منذر وهو يديرها لتواجهه

" اي قلق داخله دفعه ليخلي سبيلك ويمنحني فرصة لأكون معك وحدي .. "

ما زالت تشيح بوجهها فيرفع يده ويمسك ذقنها ويعيد وجهها اليه يسألها باهتمام شديد

" ماذا هناك ؟ فقط اخبريني ..هل هناك من يزعجك في عملك الجديد ؟ ظننتك مرتاحة في المصرف الاهلي بعيدا عن مضايقات زملائك في البنك المركزي .."

ترخي نظراتها للاسفل وهي ترد بصوت بارد غريب عليها " انا بخير ... لا تقلق ..."

شعر منذر ببعض الغضب لتكتمها غير المفهوم هذا فيصر بالقول " لا ..لستِ بخير .. وانا قلق بالفعل ... ماذا يحدث ؟"

رفعت عينيها اليه ليرى فيهما ما لم يره يوماً منذ خطبتها !

غضب .. حزن .. يأس .. احباط ..

لتعبر عن كل هذا بكلمات مخنوقة

" تريد أن تعرف ... انظر لهذا الاثر في رقبتي.." فاجأته وهي تخلع حجابها بعنف حتى تناثرت خصل من شعرها فوق وجهها الغاضب وهي تشير لمكان أعلى عنقها تحت اذنها اليسرى مباشرة ..

رأى بقعة صغيرة بحجم حبة باقلاء .. بقعة مكرمشة السطح وبلون محمر قليلا عن باقي لون بشرتها السمراء ..

زم شفتيه ليرد بعدها بلا مبالاة

" انها لا شيء ! "

تزداد انفعالا وغضباً وتقدح عيناها الواسعتان بشرارات ثورة عارمة تجيش في صدرها

فتصدمه هذه المرة وهي ترفع كفها لتزيح بلوزتها عن كتفها الايسر وتهمس بنبرة حادة

" لا شيء ؟! اذن ... أنظر لهذا وقل لي أنها (لاشيء) ايضا ! انظر لتعرف ما هو مخفٍ عن ناظريك بحرص .."

رغماً عنه انعصر قلبه لتلك البقعة الواضحة في كتفها .. بقعة بحجم راحة الكف .. أشد سوءا من البقعة الصغيرة اعلى عنقها ..

هدرت والدموع تتجمع في عينيها

" انه لن يختفي ابدا .. قبل يومين كانت ثالث جلسة ليزر ومع كل الكريمات التي تنفق عليها الكثير لتحضرها لي الامر لا يجدي نفعاً .. اتحمل الآلآم الجسدية .. أتحمل

الاحباط من الفشل .. أتحمل .. اتحمل أني يفترض فتاة على وشك أن تزف لعريسها .. كيف .. كيف سأكون عروساً وأنا مشوهة هكذا ؟! "

لا يعلم اي قوة جبارة امتلكها حتى يسيطر على ردة فعله تجاه انفجارها الهستيري هذا ..

كان هادئاً واثقاً وهو يرد بصلابة

" انه... لا شيء .. مجرد أثر صغير الحجم أقرب لشكل وحمة ولادة .. وعندي ثقة كاملة سيختفي تماماً يوماً ما .."

اعادت البلوزة لمكانها ثم تغمر وجهها بين كفيها تبكي بحرقة وتقول بغضب لا تعرف لمن توجهه

" اتوسل اليك كفى ادعاء وشفقة .. لماذا لا تعترف .. انا مشوهة مشوهة ..."

ابتلع ريقه وهو يمد اناملة ليلامس رقبتها ويميل اليها هامساً بحزم

" اياك ان تقوليها مرة اخرى .."

لكنها تصر وهي ما زالت تغمر وجهها بين كفيها " مشوهة .. مشوهـ...."

تميل رغما عنها وتسند جبينها لصدره وهي تجهش بالبكاء بينما اناملة تتحرك بحدس رجولي بحت لتنساب من رقبتها الناعمة مروراً بذاك الاثر فترتعش دينا لتلك اللمسة فيميل أكثر حتى يلثمه بشفتيه وهي تهمس باعتراض وارتعاش في نفس الوقت

" لا .. منذر ..."

لكنه يواصل اللحاق بحدسه ذاك وقلبه يتأثر للمسها بتلك الطريقة فتتحرك اناملة للخلف وتفك عقدة ضفيرتها وقبل أن تعترض كانت يزيح الرباط المطاطي آخر الضفيرة ليبدأ بحل الضفيرة ...

حاولت الابتعاد لكن ذراعه الآخر التف حول جسدها يمنعها بينما يحل الخصل البنية وهي ترفع وجهها الباكي المحمر اليه تتوسله بنظراتها البريئة الحلوة

" لا تفك ضفيرتي... ارجوك .. والدي فقط من .. آآه .. لا منذر..."

شفتاه تعانق شفتيها بلهفة شديدة بينما اصابعه تغور عميقاً في جدائل ضفيرتها المحلولة ...

طالت قبلتهما التي اختلطت بدموعها المالحة وفاضت تلك القبلة بالدفء والالتحام ..

لاول مرة يشعر بدينا تبادله القبلة كأنثى .. تحبه..

اما هو فكان ضائعاً تماماً باحساس غامر يسبب له الدوار من شدة حلاوته ...

ابتعد لاهثاً عنها يحكم نفسه بعدم التمادي ليهمس بصوت أجش قرب شفتيها

" حتى فتاة ببراءتك وحيائك يفترض أن تشعر بانجذاب رجل اليها .. هل حقاً تؤمنين

انها شفقة ؟! انا لست ذاك الرجل الزاهد المضحي الذي تعتقدينه يا دينا.. بل انا صعب ومغرور ولا اختار الا الافضل .. وانت هي الافضل.. بل افضل بكثير مما استحق .."

تتنهد بعاطفة امامه فتجمع انامله بعض تلك الجدائل ليرفعها ويضعها فوق كتفها محيطة بجانب وجهها وكأنها تعانقه لتكتمل صورتها في عيني منذر فيحدق بقلب نابض فيها ثم يهمس " أنا احبك ..."

لم يتمالك نفسه ليعاود تقبيلها بعاطفة أشد قوة وهو يكاد يسحق شفتيها ويعتصر جسدها اليه حتى رن هاتفه ليبتعد منذر يغمض عينيه وهو يهمس بخشونة واحباط

" اقسم أنه الحجوج من يتصل .."

فتضحك دينا رغماً عنها وهي تبتعد بخجل وتلملم شعرها بارتباك بينما منذر يفتح هاتفه ويرد على .... الحجوج ....

اليوم التالي .... ظهراً ..

تخرج مع عمها من المبنى التجاري حيث عيادة الطبيبة التي أجرت عندها قبل قليل الفحص الاول لجنينها بجهاز الامواج فوق الصوتية ...

كانت ركبتاها تختضان وقلبها يصرخ في صدرها من فرط التأثر ..

كف عمها تحاوط كفها بقوة وهو يقودها بنفسه على الرصيف وقد شعر أنها ذاهلة تماماً عن كل ما حولها منذ سماعها الخبر من الطبيبة ...

نظر العم لبطن هاجر الكبيرة ويتخيل الصغيرين المحشورين فيها !

إنها حامل بتوأم ! احدهما صبي كما أكدت الطبيبة لكن الجنين الآخر لم تستطع تحديد جنسه وقد اصر على التواري خلف توأمه في رحم أمهما ...

إنه سعيد فوق الوصف .. سعيد لاجلها ...

سعيد أنه استطاع في النهاية ان يشاركها فرحة حقيقية ويقدم لها دعماً احتاجته..

تستحق أن تحظى بتوأم .. تستحق بعد كل الوحدة التي عاشتها طوال حياتها ...

" عماه سأسافر لاسطنبول .. الآن .. حالا ! "

التفت العم لابنة اخيه فيراها لامعة العينين باصرار يعرفه ولا يخطؤه فيحاول اقناعها

" يا ابنتي .. اصبري .. سنتصل بزوجك ومؤكد عندما يسمع الخبر.."

قاطعته وهي تقترب منه بتوسل رقيق

" ارجوك عماه.. احتاج أن اسافر اليه بنفسي.. احتاج أن اخبره وجهاً لوجه .. "

ثم توردت قليلاً وهي تضيف " هو ايضاً يحتاج مني .. هذا .. أن أذهب اليه بنفسي .."

كانا قد وصلا السيارة حيث يركنها طاهر ليتنهد هو باستسلام وتفهم في الوقت ذاته ثم يقول " دعينا نرى خطوط الطيران ليوم غد .. اليوم يجب أن ترتاحي قليلا من إثارة معرفة الخبر ..."

اسطنبول

تتكئ هوليا على السور الذي يرممه فرقد بينما تقول بتذمر

" لماذا تقضي يوم اجازتك بترميم سور مهمل خرب للعجوز الشمطاء التي تكرهني ؟!"

أخذ فرقد يضيف المزيد من مادة البناء الرمادية لتثبيت الطابوق الذي يرصه بينما يرد عليها دون أن ينظر اليها " لا تناديها بالشمطاء عيب عليك فعل هذا إنها بعمر جدتك ! ثم إنها ستسمعك وأنت تعرفين مزاجها الشرس عندما تغضب .."

تكز هوليا على اسنانها وهي ترد عليه بوقاحة " فلتغضب او ترمي نفسها في البحر ! انها تتعمد أن تأخذك مني حتى يوم اجازتك.."

زفر فرقد باحباط ثم رفع وجهه ينظر اليها بملل قائلا " إنها لا تأخذني منك كما اخترتِ التعبير ! كم مرة حذرتك من استخدام جمل كهذه معي ؟!"

تعبس هوليا بينما يضيف فرقد

" السيدة فخرية تحترم الزواج ولا تحب ان تحومي حولي مدعية الصداقة وأنت تعرفين أني متزوج وزوجتي حامل بطفلي ايضا .."

أخذت تضرب بقبضتها على السور وهي تدمدم بكلمات غاضبة غير مفهومة تعبر عن قهرها!

بينما يسرح فرقد مع ما يفعله بالطابوق وهو يشعر بالضيق ..

هوليا اصبحت عبئاً لا يحتمل ..

ليس لانه عاجز عن جعلها ترتدع فقط ولكن لأنه يعاني كرجل جائع لاهتمام انثى ..

الواقع ليس أي انثى بل انثاه هو التي يهواها ويتوله بها عشقاً مجنوناً ..

الا تفهم الغبية هاجر أن بقائه وحيداً هنا خطر عليه وعلى احتماله ؟!

الا تفكر أن اي امرأة قد تستغل هذا الفراغ ؟

لقد حذرها وهي تمعن بالدلال والتمنع وهو يمعن بالقهر والصبر على النبذ الذي يعيشه...

يجف ريقه وهو يتخيل حلوى الجزر كيف سيكون طعمها من شفتيها ؟!

أجفل وهو يشعر بأنامل هوليا تمر بخفة فوق وشم ذراعه من تحت حافة الكم القصير للبلوزة القطنية القديمة التي يرتديها لتهمس بصوت مغو في احدى محاولاتها المنفلتة

" الا تشعر بالبرد ؟! ما زلنا في اواخر شتاء بارد وانت ترتدي بلوزة خفيفة بنصف كم .. ستمرض وهذه العجوز لن تنفعك .."

يتشنج رغماً عنه لكنه يقاوم تأثره التلقائي كرجل بها فينزل بنظراته لاناملها المتلاعبة فوق بشرته السمراء ليقول بصوت خافت حاد

" ارفعي يدك يا هوليا .. اظنك وعدتني سابقاً أنك لن تحاولي اي محاولات رعناء كهذه لن تجد صدى في نفسي .."

ترتعش اصابعها امام عينيه فيشفق عليها فيرفع نظراته لعينيها الزرقاوين المتوسلتين لغرامه قائلا بجدية

" انت تتصرفين كالاطفال المتشبثين بلعبة لايمتلكونها وحان الوقت كي تنضجي وتفهمي الحياة.."

لم تحتمل وهو قريب منها لهذه الدرجة ويكلمها بمراعاة نادرة منه فلم تشعر الا بشفتيها تطبقهما بجرأة وجوع في اول محاولة حمقاء لها أن تقبله عنوة !

تترجل هاجر من سيارة الاجرة وهي تتطلع حولها بابتسامة مشرقة ...

احساسها بالاثارة يجعل قلبها يغرد ..

بدت شديدة الجاذبية بفستان الحمل الواسع ذو اللون العنابي وقد ارتدت فوقه معطف اسود خفيف ...

مع نضارة وجهها المشع بالصحة وتلك الابتسامة التي لا تفارق ثغرها كانت حقاً تبدو امرأة ملفتة للغاية ...

اعطت الرجل أجرته ثم ساعدها لينزل لها حقيبة السفر الصغيرة من الصندوق الخلفي للسيارة ويضعها على الرصيف لتسحبها بنفسها بينما يشير لها بيده لمبنى صغير من ثلاث طوابق على بعد بضع امتار وهو يرمي لها ببضع كلمات تركية عاجزاً عن افهامها بأي لغة أخرى غير لغته الام ..

تبسمت في وجهه وشعرها الاحمر المربوط للخلف يتطاير قليلا فيحدق فيها الرجل بانبهار بينما تمنحه كلمة شكر تركية تجعله يبتسم وعيناه تشعان باعجاب رجولي جريء ..

تحركت هاجر وهي تلوح للرجل بابتسامة فاتنة ثم تتوقف قليلا وهي تهمس لنفسها بشقاوة " كم أتوق لردة فعله عندما يرى (اسواط النار) كم اصبحت طويلة مشعة .."

تمد يدها لرباط شعرها وتحرره فيتحرر قلبها في خفقان مدو واثارة عشق ملتهبة ..

قالوا لها في مركز المحطة الاخبارية أنه اليوم لا عمل له واعطوها تفاصيل الوصول لعنوان البيت الذي يستأجر به غرفة ..

تتحرك بحرص حتى لا تقع فالارض منحدرة وغير مستوية بينما تتشبث بحقيبتها الجلدية بيد ويدها الاخرى تسحب حقيبة السفر خلفها..

كانت توشك أن تصل للمبنى المعني لتتسمر قدماها للمنظر الذي تراه عن بعد مترين ...

اول ما رأته كان .. هو ...

اولها نبضة قفزت ثم.. نبضات متلاحقة جُنت!

ثم سيل حارق مشتعل انصب فوق رأسها لينتشر في كل جسدها فيحولها الى كتلة نار مجنونة ...

واقفاً قرب جدار متهدم بينما تقف جواره فتاة يافعة نحيلة تلامس باصابعها وشم ذراعه بتوله واضح للاعمى..

حدس هاجر الانثوي يخبرها انها سترى الافجع وهي تراه يرفع عينيه لتلك الفتاة ينظر اليها ويهمس بكلمات وكأنه يحاول اقناعها بشيء قبل أن .. أن .. تنقض الحقيرة على شفتيه بقبلة محمومة جائعة !

لم تشعر هاجر كيف وقع مقبض حقيبة السفر من يدها ولا كيف رمت حقيبتها الجلدية من كتفها ولا حتى كيف قادتها خطواتها نحوهما وهي لا تعي الا امرا واحدا..

انها ستقتل الفتاة !

لم يخفف عنها رؤية فرقد وهو يحاول ابعاد الفتاة عنه عابس الوجه ..

ابدا ... لم يخفف .. عنها .. ولم يطفئ ما اشتعل فيها ....

فليذهب عبوسه الباهت الى الجحيم الذي ستأخذه اليه في الحال مع الرعناء هذه التي تقبل شفتيه بوقاحة ..

كان الامر جنونياً وعيناها تلتقيان اخيراً بعينيه فيهمس بصدمة اسمها وهو يدفع الفتاة بعيدا عنه ..

الفتاة تترنح لتستقبلها ... هي !

لم تعد هاجر بحالة طبيعية على الاطلاق وقد فقدت السيطرة على ما تفعله ..

تشد الفتاة من شعرها وتجرها بعنف حتى طرحتها أرضا على الرصيف ثم تهبط اليها ببطنها الكبيرة لتجلس فوقها وشعرها الناري يتطاير بجنون كجنون مزاج صاحبته ثم تبدأ بصفع الفتاة على وجهها وهي تشتمها وتهددها

" ايتها القذرة الحقيرة المبتذلة .. اقتربي من زوجي مرة اخرى وسأقتلك .."

الامر كان مجرد لحظات مجنونة متسارعة لتشعر هاجر بعدها بذراعين قويتين تلتفان حول جسدها وترفعانها عنوة من فوق جسد الحقيرة التي كانت تصرخ وتبكي وهي تستنجد باسم (فرقد)!

وكأن الفتاة بمناداتها لاسم فرقد قد صبت الزيت على النار فلم تعد هاجر تسمع صوت فرقد ولا كلماته التي تحاول تهدأتها وهي ترفس وتقاوم تقييده بعنف ..

ادارها اليه يناضل كي يجعلها تنظر لوجهه وهو يناديها بحزم كي تستمع فما كان منها الا أن غرزت اظافر يديها الاثنتين في رقبته وجبينه واعلى حاجبه فيصرخ هو متوجعاً ليفلتها للحظة ، تستغل الامر فتستدير تحاول الفكاك منه لكنه يعاود التشبث بجسدها المهتاج عنفاً وانفعالا، يطوقها بذراعيه ويشدها ليلصق ظهرها بصدره ويميل لاذنها يشتم قبل أن يقول

" اللعنة هاجر اهدأي .. الامر ليس كما تظنين .. انها صغيرة العقل وكانت .. المرة الاولى التي تتجاوز حدها معي .."

صرخت به وهي تدير وجهها للخلف اليه

" تتجاوز حدها ؟! اقسم باللّه خسارة فيك التوأم الذي احمله منك ؟"

اتسعت عيناه في صدمة فاستغلت هاجر الامر لترفس للخلف بقدمها وبكل قوة اهتياجها فتصيب قصبة ساقه وبنفس الوقت تنحني للامام تعض ذراعه الملتفة باحكام حول صدرها..

تحررت اخيراً بينما فرقد يتوجع فتتحرك خطوات مبتعدة وانفاسها تلهث بجنون ..

تمر بمن ألقتها ارضا وما زالت تبكي وتتوجع فترفسها بقدمها في ساقها هي الاخرى ..

كان فرقد يحاول اللحاق بها وهو يتوجع عندما انحنت هاجر لتلتقط حجراً من الارض وترميها نحوه فيحاول المراوغة بجسده حتى يفلت من الحجر فيتعثر ويختل توزانه ليقع أرضا قريبا من هوليا الباكية النائحة ورغم هذا فقد اصاب الحجر اعلى كتفه، وبينما ينهض نفسه وهو يصرخ مناديا (هاجر) كانت هي تهرول ببطنها الكبيرة بعد أن التقطت حقيبتها الجلدية من الارض تاركة حقيبة السفر ملقاة ليكون الحظ حليفها وتركب سيارة اجرة توقفت لها للتو ..

لم يسعف فرقد الوقت وهو يركض خلف السيارة المغادرة التي لم تتوقف رغم نداءاته الغاضبة ...

عاد خائبا مصدوما ليلتمع في طريقه شيء على الارض فينحني مكتشفاً أنه الاسورة التي اهداها لهاجر (هاجر الحشا) ... لا بد أنها وقعت منها وسط الجنون المطبق الذي حصل ..

اعتصر الاسورة في راحة كفه ثم اغمض عينيه ويكاد يشعر أنه فاقد القدرة على التفكير او التصرف ...

" ماذا تفعل على الارض يا ولد ؟! اذهب وراءها واترك هذه النائحة الغبية أتولى أمرها.."

وقف فرقد ببطء على قدميه يتطلع بتشوش للسيدة فخرية بقامتها الممتلئة القصيرة ووشاح رأسها الملون الذي تشده بعقدة للخلف وقد اتكأت على مقشة قديمة الطراز تستخدمها لكنس الحديقة احيانا من الاوراق المتساقطة من الاشجار ..

نظر ناحية هوليا التي ردت له النظرة وهي تمسح وجهها الباكي بعنف هامسة بغيظ

" هذه المجنونة الحمراء الشعر هي (اسواط النار) اليس كذلك ؟! اذا كانت تغار عليك لهذه الدرجة اذن لماذا تتعسك؟! "

تسمر فرقد مكانه وهو يستوعب أمرين معاً في الوقت ذاته ..

اولاهما أن هاجر ... تغار عليه بجنون حتى غرزت اظافرها في وجهه وكأنها لا تطيق ما رأته وتريد تمزيقه ..!

ثانيهما .. ان هاجر قالت .. قالت .. ربااه .. قالت انها حامل بتوأم ؟!

فورة من مشاعر مجنونة جعلته يعدو راكضا عائدا للبيت وهو لا يفكر الا بأمر واحد..

اللحاق بالجنية ذات اللهيب الاحمر ...

يا رب الكون ... شعرها الاحمر الطويل كان يشتعل بالغضب معها ! لقد عادت اسواط النار لتكون ملكه هذه المرة بإرادتها ورغبتها التي تعادل رغبته ...

ولن يكون ابن الشيوخ هذه المرة اذا أفلتها..

تقدمت السيدة فخرية من هوليا التي علا صوت بكائها أكثر بعد اهمال فرقد التام لها.. حتى أنه لم يطمئن على حالها وقد اشبعتها زوجته ضرباً وصفعاً ...

اخذت تشهق بالبكاء وهي تهمس " سأموت.. سأموت .. من الألم والقهر .."

وقفت فخرية بمقشتها للحظات قرب هوليا ثم بهدوء أخذت تكنس الرصيف ويتطاير التراب نحو هوليا فتحاول ان تحمي نفسها برفع ذراعيها امام وجهها لكن السيدة فخرية لا تهتم حتى باعتراضات الفتاة لتدمدم بلغتها التركية بضع كلمات

" طفلة نائحة على قارعة الطريق تظن أن تاهت منها لعبتها .. مسكينة تلك الفتاة لا تعلم ان اللعبة من وهم صنعتها .. لا بأس فضربة على الرأس من مقشة فخرية ستعيد لها وعيها ورشدها ؟"

تأوهت هوليا من أثر الضربة التي تلقتها من مقشة السيدة العجوز فرفعت وجهها اليها تبكي بحرقة اشد وهي تصرخ فيها

" لماذا ضربتني ؟!"

فتنظر اليها العجوز للحظات قبل أن تقول لها

" قومي من الارض يا غبية .. كفى اهانة لنفسك .. وجدي لك رجلا يخصك وقلبه

معك، وتعلمي الدرس مستقبلا أن لا تعتدي على حقوق امرأة اخرى "

ثم تلتفت العجوز ناحية الطريق الذي ذهبت منه (حمراء الشعر) تلك لتضيف بابتسامة اعجاب " خاصة امرأة نارية كهذه ... آآه .. ذكرتني بالايام الخوالي .. "

*****

تتوجع وهي ترى عجمية برداء ابيض مُذهب الحواف تقترب منها بخطوات متمهلة تحمل في يدها مبخرة نحاسية قديمة غريبة الشكل يتطاير منها الدخان ورائحة البخور تفوح لتملأ الهواء في الغرفة .. بدت تلك العجوز اصغر سناً وقوة وسحراً ... عيناها تصطجان كالزبردج ... يا الله كم هي .. رهيبة التأثير ...!

تعلقت نظرات هاجر بفم عجمية الرقيق الذي كان يتمتم " خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ * وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ * فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ .... "

وظلت تعيد تمتمة اخر آية مرارا وتكرارا وهي تحرك المبخرة حركات دورانية تشتد بحدتها مع ارتفاع نبرات صوت عجمية...

بينما هاجر ترى نفسها مستلقية بظهرها على السرير الواسع وبطنها مرتفعة بشكل مخيف تعاني المخاض العسير ..

نسوة القرية وعلى رأسهم الشيخة نزهت يتجمعن من حولها يمسكن ذراعيها من الجانبين وهن صامتات بملامح ثابتة صابرة متجلدة..

فقط عجمية من تتحرك وتدور حولهن وتردد الايات القرآنية ثم تقترب أخيراً من السرير الضخم لتطوف بمبخرتها فوق بطن هاجر الثائر بما يحمله فتصرخ هاجر والألم يشتد بعنف وبطنها تموج كالبحر الهائج ...

ومع صرختها استيقظت من نومها هلعة مرتعبة..العرق يتصبب من جبينها وانفاسها لاهثة بجنون ...

تنظر حولها لتستوعب انها ما زالت على متن الطائرة العائدة لارض الوطن والمضيفة وبعض الركاب تجمعوا حولها يسألونها إن كانت بخير..

لم تشعر بقدرة حتى على الكلام وغصة ألم في قلبها تمزقه إربا إربا .....

عاودتها نوبة البكاء والغضب والغيرة الجنونية حتى اوشكت ان تمزق الوجوه المحلقة فوق رأسها ...

بعد دقائق هدأت وبينما يعود الركاب لاماكنهم لفت هاجر ذراعيها حول بطنها وهي ترتعد والمضيفة الشابة تدثرها بغطاء

وتتمتم بكلمات لطيفة لم تلق عند هاجر

صدى !

أغمضت عينيها وتعاودها تفاصيل الحلم

الفظيع فينعصر قلبها خوفاً ورعباً من القادم ...

وعندها ... اتخذت القرار ....

الجمرة الثلاثون والاخيرة

اسطنبول .. عصراً

يخرج من بوابة فندق وهو في حالة توتر شديد ، يحاول الاتصال بفندق آخر عسى ان يصل اليها..

جاءته مكالمة من العم طاهر فسارع لفتح الخط وهو يسأله مباشرة " هل اتصلت بك ؟! اين هي ؟ لا اجدها في اي فندق ..! "

فيرد طاهر بنبرة حنق شديد وتوتر واضح

" لقد اتصل والدها .. اخي مصطفى .. يسأل ان كانت وصلت للوطن .. للمرة الاولى يقلق عليها!"

تسمرت قدما فرقد وسط الشارع ليردد بذهول

" ماذا ؟! اتصلت بأبيها ؟!"

تنهد طاهر ثم يرد باحباط وبعض الغيظ

" نعم .. اتصلت به من مطار اسطنبول تطلب منه مساعدتها ببعض المال لتغيير حجز تذكرتها .. بطاقتها الائتمانية لم تعمل .."

يتمتم فرقد بمزيد من الصدمة

" تغيير الحجز ؟! "

فيشرح له العم " التذكرة التي حجزتها لها بالامس كانت ذهابا وايابا وتاريخ عودتها يفترض بعد اسبوع لكني اخترت لها خيار المرونة بتغيير الحجز فيما لو كانت .. تريد البقاء أكثر .. لكن يبدو حصل العكس ! "

اخر جملة قالها العم طاهر بمعنى واضح لكن فرقد لم يهتم ليبرر له او يشرح تفاصيل ما حصل .. كل همه الآن هو هاجر ..

قال اخيرا وهو يكاد لا يصدق

" لكني ذهبت مباشرة للمطار وبحثت عنها هناك ولم أجد لها أثر ! .."

فيرجّح العم طاهر تصوراً ليقول

" ربما تفاوت معها او حتى ربما اختبأت منك في حمام المطار حتى لا تراها .."

ينعصر الهاتف في يد فرقد بينما يتصاعد غضبه واحباطه بشكل فظيع متسائلا " ولماذا تتصل بوالدها وليس بك انت ؟!"

يرد طاهر بنوع من التهكم

" مؤكد حتى لا يصل اليك الخبر .."

يتحرك فرقد وسط المارة وهو يغلي بينما يتكلم بمزيد من الانفعال " بهذه البساطة وجدت مكانا شاغرا ؟!"

رد طاهر باسلوب عملي " يبدو أنها كانت محظوظة لتجد .. الآن يجب أن اذهب اليها للمطار ، والدها اخبرني برقم رحلتها واتوقع أنها وصلت ارض الوطن حسب تقديري .."

ما زال فرقد يغلي ويغلي وهو يعبر عن غليانه بالكلمات المحبطة " وصلت ! وانا ابحث هنا عنها بين الفنادق منذ ساعات ؟! لم اظن أنها ستعود هكذا دون حتى أن تأخذ حقيبتها .. ثم لماذا لم يتصل والدها بك الا الان ؟"

يرد طاهر " لا اعلم .. ربما لم يشك بوجود شيء خاطئ .. خاصة وأنها اخبرته انها حالة مستعجلة تخص العمل وستشرح له فيما بعد .. واخبرته ان لا يقلق لان هاتفها يوشك أن ينفد الشحن منه .."

كان فرقد يشير لسيارة أجرة بينما يسمع العم طاهر يسأل بصبر يحسده عليه هو شخصياً

" ماذا حصل بينكما يا فرقد ؟"

تغافل فرقد عن السؤال وهو يصعد للسيارة ويخبر السائق بوجهته ثم قال للعم طاهر

" سأبحث عن أقرب حجز يعيدني للوطن .. أرجوك طمأني حالما تلتقيها او تتصل بك.."

فجأة قال العم طاهر " هذه زوجتي حياة تتصل.. سأعاود الاتصال بك.."

حالما أغلق طاهر الخط مع فرقد فتح الخط مع زوجته فينتابه قلق فوري من نبرة صوتها المرتبكة المضطربة ليسألها مباشرة

" هل اتصلت هاجر ؟"

فترد وهي تبدو بقمة الارتباك وقلة الحيلة

" هاجر عادت يا طاهر .. وصلت قبل دقائق للشقة .. لكن .. لكنها رحلت ! أخذت دجاجتيها ورحلت .. "

كان طاهر يمشي وسط مرآب مؤسسة الجراح متوجهاً لسيارته حينما كان يخطط للذهاب

الى المطار فيتوقف وسط المرآب ويتمتم بخوف حقيقي " رحلت ؟! رحلت الى اين ..؟! "

جاء صوت حياة مرتعشاً بشعور الذنب لانها لم تستطع فعل شيء فتقول مبررة بمزيد من الاضطراب

" لم استطع منعها يا طاهر .. كانت في حالة يرثى لها .. شاحبة متعبة لكنها لم تكلمني الا بضع كلمات ولم تستجب لأي من محاولاتي لجعلها تبقى او حتى تتصل بك .. لقد رفضت بشكل قاطع وهي تحمل الدجاجتين في قفص وتتجه لباب الشقة وأنا اتوسلها انتظارك على الاقل .. ثم فجأة غيرت رأيها وذهبت لغرفة مكتبك اخرجت ورقة وقلماً وكتبت لك رسالة من بضعة اسطر .."

شعر طاهر بقلبه ينكمش فيسأل بصوت مبحوح " ماذا كتبت في الرسالة ؟"

أخذت حياة تقرأ بارتعاش من الورقة التي تحملها بيدها لتنقل كلمات هاجر لعمها

(اشعر أني سأموت وانا ألد التوأم يا عماه .. سأذهب لقرية الشيوخ حتى أنجب طفليّ هناك بين احضان عشيرتهما .. واذا مت .. اريد أن أموت وأدفن هناك ..)

على الطريق الى قرية الشيوخ

كانت صامتة هادئة وشعاع المغيب يُلقي بتأثيره على قلبها فيزيده احساساً بالخوف ..

عاودتها تلك التقلصات التي تصيب اسفل بطنها منذ ساعة فتغمض عينيها حتى تختفي مرة اخرى ...

سائق سيارة الاجرة كان طيباً متفهماً لتعبها الواضح فلم يكثر معها الكلام ولم يزعجها طيلة الطريق ..

وهي حقاً كانت في اشد حالات الإنهاك فلم تكن ستحتمل فضول أحد ..

تأخذها رتابة الطريق الى افكار بعيدة لتتوه في جمال السماء الواسعة مع خط الشمس المحمر الذابل...

اخذت تناجي وعيناها تدمعان وقلبها متوجع بالخوف والشعور بالذنب

" هل تعاقبني يا الله ؟ هل تذيقني من نفس الكأس ؟ ألأنني يوماً سعيت لآخذ رافد من غالية ؟ لكني دفعت الثمن غاليا مع فرقد .. وللتو كنت اتصالح معه ومع نفسي .."

سالت دموعاً جديدة منها وهي تواصل مناجاتها لربها " هل تريد أن تعاقبني هذه المرة بأن افقده هو ايضا ؟! لا .. لا يمكن .. مؤكد لن تحرمني منه الآن .. انه يحبني .. يحبني انا فقط ولا امرأة سواي .. أنا بيته ووطنه .. هو جعلني اشعر أني كذلك .. بل جعلني اشعر أنه موطني أنا ايضا .. وجدت فيه ما كنت أبحث عنه طيلة حياتي .. "

تنساب الدموع وهي تشم رائحة القرية القادمة فتستعيد كل ذكرياتهما المجنونة ...

مع اطلالة اولى بساتين قرية الشيوخ يسألها السائق " الى ايّ من بيوت قرية الشيوخ تبغين سيدتي ؟ انا اعرف بعض البيوت هنا فربما يكونون من معارفي .."

فتحت فمها لتقول (عبد الملك الشيخ) لكنها بدلا من هذا أطلقت صرخة بأعلى صوتها وموجة تقلصات اقوى تنتابها مما جعل السائق يجفل وهو يوقف سيارته جانبا على قارعة الطريق ويلتفت اليها يسألها بقلق

" هل انت بخير يا اختي ؟"

فتعاود هاجر الصراخ متوجعة تلوح بيدها وكأنها تخبره ان يتحرك قدماً ليقول الرجل الخمسيني مقترحاً بارتباك

" هل أخذك للمركز الطبي ؟ انه قريب .."

تهز رأسها بنعم وهي تعتصر بيدها ظهر المقعد الامامي ...

قرية الشيوخ .. المركز الطبي

نظرت الدكتورة رهف لوجه الفتاة التي لا تتعد العشرين لتقول لها بصبر وهي تكتم غضبها " رغد ما تطلبينه مني ليس اخلاقياً ويعارض كل الشرائع الدينية .."

لكن الفتاة كانت مصرة وهي تضرب على بطنها وتقول ببكاء مختنق

" لا اريد هذا الطفل .. لا اريده.."

عقدت رهف حاجبيها وهي تحدق بوجه الفتاة الجميل .. كانت جميلة ببشرتها التي شابهت لون سنابل الحنطة وشفتيها الممتلئتين وعينيها الواسعتين الداكنتين ..

جسدياً تبدو أكبر من سنها لكنها واقعاً تتصرف بطفولية متهورة ...

لا تعرف رهف لماذا ذكرتها بنفسها وهي بعمر الرابعة عشرة ! ربما لانها .. كانت متهورة مثلها ...

نظرت رهف للحظة الى الباب المغلق حيث في الخارج يقف زوج رغد لتجازف بالتدخل وتسألها بصوت خافت " لماذا لا تريدينه ؟"

عندها شعت عينا الفتاة الباكيتان غضباً ورفضاً وهي ترد بصوت خافت ايضا

" اكره زوجي عبد الهادي.."

عند ذكرها لكلمة (عبد الهادي) عاود رهف ذاك الاحساس بعدم الارتياح ..

عبد الهادي الاسدي ابن الشيخ عمران الاسدي.. رجل ضخم التقته عدة مرات ..

كانت المرة الاولى عندما عالجت والدته ثم تكرر الامر ..

نظراته الغامضة اليها تسبب لها .. الخوف !

دوماً يطيل النظر اليها أكثر مما يجب خاصة ان بيئة القرية تحتم على الرجال غض ابصارهم لكن هذا الرجل جعلها استثناء له

وهي تحاول جهدها تجنبه والتغاضي عن نظراته ...

ابتلعت رهف ريقها لتسأل بنبرة عملية

" هل يعاملك عبد الهادي باسلوب سيء ؟"

ردت رغد وهي تمسح دموعها بحركات حادة خشنة " لا .. لكني اكرهه واكره القرية وكل شيء هنا .. اريد العودة لحياتي .. للعاصمة .. لا اريد ان يربطني شيء هنا .."

تحاول أن تكون رهف منطقية وعملية وهي ترد عليها بلطف " انت ما زلت صغيرة عزيزتي... ان كان زوجك يحسن معاملتك ستعتادين نمط الحياة بالقرية ..."

فتهدر رغد بلوعة " انه جاف قاس ..."

توترت رهف وهي تسأل

" هل يؤذيك جسدياً ؟ هل يهينك ؟ "

رد رغد طمأنها قليلا وهي تنفي " لا ..."

فتتنهد رهف وعيناها تحومان حول الباب المغلق لتسأل بصبر " لماذا اذن ؟ لا بد من وجود سبب لكرهك زوجك .."

تحمر الفتاة وتطأطئ رأسها وهي تعض شفتيها فينتاب رهف حدس لتسألها بشكل مباشر

" هل تحبين احدهم هناك ؟ اقصد في العاصمة ..؟ "

عندها رفعت رغد رأسها وبكل تهور وانفاس أخذت تتسارع قالت بخفوت

" سأخبرك بالسر فلا تفرطي فيه دكتورة رهف لانهم .. سيذبحونني.."

ارتفع حاجبا رهف واتسعت عيناها ذهولا وهي تتساءل " من يذبحك ؟!"

لترد رغد بغضب وهي تشوح بكلتي يديها

" كل عشيرة آل الاسدي الذين انتمي اليهم بالدم .. واولهم عمي وزوجي عبد الهادي .."

ثم تقترب برأسها للامام وتبوح للدكتورة رهف هامسة بانفاس لاهثة من فرط المشاعر التي تكبتها " انا كنت متزوجة قبلاً .. من استاذي .. احببنا بعض بقوة وتزوجنا بالسر قبل ان يتدخل عمي ويلغي كل شيء بيني وبينه ..."

الصدمة اكتسحت ملامح رهف بالكامل وتكاد لا تصدق ان هذه الفتاة تصارحها ببساطة بهذا السر الرهيب ...

اخذت دموع رغد تسيل وهي تتكلم بطفولية هذه المرة وكأنها مجرد مراهقة صغيرة العقل

" يكذبون علي ويقولون انه كان يفعل هذا كثيرا مع فتيات اخريات قبل أن يرميهن .. لكني أعلم أنهم يكذبون وان طارق يحبني... يحبني انا وحدي.."

عقدت رهف حاجبيها ولم يعجبها على الاطلاق ان تتغنى امرأة متزوجة بحب رجل اخر ..

حتى لو كان هذا الاخر هو زوجها الاول فلا يجوز ما يحصل ..

الامر منفر لها مهما بدت رغد كمراهقة رومانسية متهورة ...

حاولت الدكتورة رهف ان تردعها قائلة بحزم " ما تقولينه لا يجوز يا رغد .. يجب أن تنضجي وتفكري ملياً ببيتك وزوجك وسمعتك .. وايضا بالجنين الذي تحملينه في احشائك وليس له ذنب بكل هذا .."

أطرقت الفتاة وكفها تلامس بطنها التي ما زالت مسطحة لتهمس للدكتورة بخجل

" ماذا أفعل اذن ؟ اقسم باللّه لا اعرف .. وامي توبخني باستمرار وتذكرني على الدوام بما فعلته وكأني اجرمت !.. ولا تكف عن امتداح عبد الهادي لانه .. ستر علي ! كم أكره هذه الجملة ... ثم لا افهم من طلب منه من الاصل ان يتدخل بحياتي "

أحنت الدكتورة رهف رأسها وهي تنهي هذا الحوار فالتقطت دفترها لتكتب وصفة لرغد قائلة " سأكتب لك بعض المقويات ، ما يجب أن تفعلينه الآن العناية بطفلك والحفاظ عليه لانه نعمة من اللّه .."

بعد لحظات جاءت طرقات على الباب وقبل أن تسمح رهف بالدخول كان عبد الهادي بضخامته وهيئته القاسية يدخل ..

عيناها اصطدمتا بعينيه فأشاحت بنظرها لنقطة وهمية بينما تسمعه يسأل

" كيف حال زوجتي يا دكتورة ؟"

وقفت رهف على قدميها وهي ترسم ابتسامة هادئة وتنظر لرغد التي وقفت هي الاخرى على قدميها تنظر بوجل (لزوجها) فتمد رهف بالورقة لرغد وهي تقول

" انها بخير يا شيخ .. لا تقلق .. تحتاج بعض المقويات لاجل الحمل .."

جاء صوت عبد الهادي آمرا لزوجته وكأنه يتعامل مع طفلة " اذهبي واجلسي في السيارة يا رغد .. اريد أن أكلم الدكتورة على انفراد"

أطاعته الفتاة وهي تلقي لرهف نظرات متوسلة وكأنما تذكرها ان لا تبوح بسرها فتمنحها رهف نظرة مطمئنة ...

خرجت رغد وهي تلف وشاحها حول رأسها جيداً تاركة طبيبتها تواجه زوجها ...

وضعت رهف يديها في جيبيّ مريولها الابيض لتنظر ناحية عبد الهادي بتماسك وهي تسأل باسلوب عملي " بماذا اخدمك يا شيخ ..."

نظر اليها عبد الهادي تلك النظرات التي تجعلها تشعر أنها محاصرة ثم يصدمها بالسؤال بنبرته الجافة الخشنة

" هل طلبت منك رغد اجهاض الجنين ؟"

تصدم رهف وتبدو للحظة هشة مكشوفة فتنبض نظرات عبد الهادي وهو يحدق في محياها ليضيف بنبرة مختلفة

" لا تفزعي هكذا يا دكتورة .. رهف .. ولا تظني أني كنت اتنصت عبر الباب .. لكني افهم حماقات زوجتي .."

نطقه باسمها مفصولا قليلا عن لقبها كدكتورة جعلها تتوتر أكثر بينما تحاول التركيز بما قاله والرد عليه فتولى هو مهمة الحوار ليعود لنبرته الخشنة الجافة قائلا

" ما اردت قوله لك .. ان لا تتأثري كثيرا مع معاناتها المفترضة .. وأكاد أجزم أنها اخبرتك الكثير .. فابنة عمي غير ناضجة ومتهورة ..."

فجأة تعالى صوت الممرضات بالنداء لتجدها رهف فرصة كي تهرب من هذا الموقف المربك فتقول وهي تتحرك من خلف مكتبها متجهة ناحية الباب حيث يقف عبد الهادي

" عن اذنك .. يبدو أن حالة طارئة وصلت .."

كانت ستخرج عندما اوقفها قائلا

" اتمنى أني كنت واضحاً معك .."

فترفع وجهها وتشعر كأنه طود ضخم يخيم فوق رأسها .. طود مظلم مخيف غامض فقط لديه عينان تلمعان جاحظتان قليلاً بتكوينهما الطبيعي ...

ردت عليه أخيرا قبل أن تغادر " لا تقلق يا شيخ.. رغد وطفلكما سيكونان بخير .."



ثم سارعت لتغادر بتعجل وهي تحمد اللّه لوصول الحالة الطارئة التي انقذتها من احساسها بحصار عبد الهادي الاسدي ..

ثرا هل يحاصرها فعلاً أم انها تتوهم ؟!

في احدى غرف المركز الطبي

في حالة شبه هستيرية تضطجع هاجر على السرير الابيض وتلف ذراعيها حول بطنها ودموعها تهطل بغزارة وهي تنقل نظراتها المرتعبة بين وجه الطبيبة الشابة وكيس المحلول المعلق والذي يتقاطر عبر انبوب مطاطي طويل ينتهي بأبرة مغروزة في يدها ، ومن شدة تشوشها وهلعها لا تعلم متى ومن غرزها هناك!

تتساءل بجزع " طفلاي بخير اليس كذلك ؟! رباه .. لم ادخل شهري السابع حتى .. "

فترد رهف بابتسامة لطيفة مطمئنة تعلمت بالخبرة مدى تأثيرها على المرضى

" لا تقلقي .. اهدأي عزيزتي .. ستكونين بخير .. يبدو أنك انفعلت واجهدتِ نفسك كثيراً لتحصل هذه التقلصات ، المحلول الذي يتقاطر الآن لدمك هو لايقافها وخلال ساعات ستكونين بالف خير .. وسأعطيك علاجاً ايضا لتأخذيه الفترة القادمة .. "

تنهار هاجر وهي تردد باختناق البكاء

" الحمد لله .. الحمد لله .."

تربت رهف على ذراعها بمواساة بينما تمسح هاجر دموعها وهي تسألها بخوف لم يغادرها بعد " لكن .. الالآم كانت قوية .. ارجوك دكتورة اخبريني الحقيقة .. هل هما بخير ؟"

فتؤكد لها رهف " اقسم لك انهما بخير .. بل انهما شقيان وكثيرا الحركة .. "

تتنهد هاجر وتعاود الحمد من صميم قلبها

" الحمد لله .. الف حمد وشكر يا رب .."

تنظر اليها رهف بفضول لا تستطيع اخفاءه بينما تسألها " انت عجمية الشيوخ اليس كذلك ؟ زوجة الابن الاصغر فرقد الشيخ .."

ارتفع حاجبا هاجر بعجب وهي تحدق في وجه الطبيبة وتسأل " كيف .. عرفتني ؟!"

تتسع ابتسامة رهف وترتفع وجنتاها اكثر وكأنهما تحتضنان عينيها لتغدوا شبه مغلقتين وأقرب لقوسين من الاهداب الجذابة بينما ترد على هاجر بالقول

" حضرت عرسك انا وامي .."

فردت هاجر بعفوية " حقاً ؟.. لم أرك ...!"

فتسحب رهف كرسياً لتجلس قريبا من هاجر وتقول لها بألفة " كنت تبدين جميلة جدا ومأخوذة بأجواء العرس والقرية .. "

احمرت هاجر وهي تتذكر ليلة عرسها التي لا تنتسى بينما تحيد بالكلام بعيداً وهي تسأل الطبيبة

" انت من العاصمة صحيح ؟ لهجتك تدل على هذا بوضوح .."

فترد رهف بنبرة مختلفة يسودها الهدوء النسبي " نعم .. انا من العاصمة .. عند تخرجي تم تكليفي بالعمل والاقامة الخاص بالاطباء المتخرجين في قرية الشيوخ "

شعرت هاجر بالاسترخاء وهي تتحاور معها لتقول بعفوية

" اذن ستعودين للعاصمة عندما تنهينه .."

تجمدت ملامح رهف للحظة قبل ان تستعيد تعابير الهدوء وهي ترد " لا .. سأبقى هنا .. في الواقع انا انهيته مؤخرا وطلبت التعيين هنا في المركز بشكل دائم وتمت الموافقة .. لقد اعجبني الريف واريد البقاء فيه .."

لم تتنبه هاجر لوجود اي غرابة في كلام رهف فاستمرت حوارها بعفوية معها وقد ارتاحت لها او ربما وجدت فيها ألفة تحتاجها الآن كونها من العاصمة مثلها

" قلتِ والدتك معك ؟"

ترد رهف بابتسامة تشع محبة وحناناً

" نعم .. فوالدي متوفٍ وهي لا تتركني ابدا.."

تتألق عينا هاجر تأثراً ونغزة غيرة في قلبها فتبتلع ريقها وتواصل حشريتها متسائلة

" أليس لديك اخوة واخوات ..؟ "

أطرقت رهف رأسها قليلا لتقول بنبرة غامضة

" لدي اخت واحدة كبرى اسمها مرام .. هي متزوجة ولديها أطفال .."

وقبل ان تسأل هاجر المزيد سارعت رهف لتقطع عليها الطريق وهي ترفع عينيها اليها وتقول ببشاشة مصطنعة " الآن دعك مني .. اخبريني هل اتصل ببيت الشيخ عبد الجبار ليأتي احدهم ويكون معك ؟"

في لحظة عادت هاجر لواقع حالها واين هي وماذا حصل ولماذا هي هنا ...

غامت عيناها النرجسيتين لتهمس " لا .. بل ببيت عبد الملك الشيخ لو سمحت .. اريد زوجته نسرين أن تحضر .."

ثم نظرت لرهف لتضيف بامتنان كبير

" دكتورة رهف .. لن انسى معروفك .."

فتقف رهف على قدميها وهي تقول بنبرتها الحلوة " صدقيني لم أفعل شيئا .. انت من يجب أن تفعلي وتهدأي تماماً لاجل طفليك .. وسأكتب لك راحة لمدة اسبوع .."

تهز هاجر رأسها وتعابير الالتزام والاصرار تشع من محياها وهي تقول " شكرا ..."

تتحرك رهف ناحية الباب وهي تسأل

" هل لديك مشكلة بالبقاء في القرية لهذه المدة ؟"

تحرك هاجر رأسها بعزم يميناً وشمالاً وهي ترد بصوت مبحوح " لا على الاطلاق .. أنا اتيت لأبقى هنا حتى موعد ولادتي .."

فتحت رهف الباب وهي تقول " جيد ..."

وقبل ان تغادر رهف صرخت هاجر بارتياع

" رباه اين توتو وجوجو ؟"

نظرت اليها رهف مجفلة وهي لا تفهم فتتساءل

" من ؟!"

لتهتف هاجر " دجاجتاي ..."

لم تستطع رهف كتمان ضحكتها قبل أن تقول لها " لا تقلقي انهما بالحفظ والصون عند احدى الممرضات .."

عاودت هاجر الاسترخاء وهي تنظر للطبيبة بامتنان كبير هامسة " شكرا لكل شيء .."

فجر اليوم التالي .. قرية الشيوخ

بيت عبد الملك ..

منهك مرهق مستنزف الى حد لا يوصف وهو لم ينم منذ اربع وعشرين ساعة ...

يدخل مع ابن عمه لبيته وسط هدوء الفجر يحمل حقيبتي سفر احداهما حقيبة هاجر التي تركتها وسط الشارع في اسطنبول ..

رفض حتى ان يساعده عبد الملك في حملها
بينما يسأله بهمس خشن " اين هي ؟"

يغلق عبد الملك باب البيت خلفهما وهو يرد
على سؤاله ومطمئنا اياه في نفس الوقت

" انها في غرفتها نائمة .. نسرين قالت أن كل
الامور بخير فلا تقلق .. طبيبة المركز جيدة
رغم صغر سنها وحداثتها في المهنة.."

يصمت عبد الملك للحظة ثم يعبس وهو
يحدق بوجه فرقد متسائلا

" ما هذه الخدوش في وجهك ؟!"

يكاد فرقد يبتسم ! فقط يكاد ...

لكنه يهز رأسه لابن عمه العابس دون أن يرد
ثم يحمل خطواته المنهكة ناحية الدرج
ووجهته الطابق العلوي حيث ... هي !

لقد وصل اليها اخيراً ...

يرتقي درجات السلم وهو متجهم عابس
وافكاره تدور حولها ... (هي) وحدها ..

في الواقع قلبه كانت يرتحف بين اضلعه قلقاً
عليها .. لكنه يتجلد ولا يظهر ضعفه ..

لم تكن هذه المرة الاولى التي يطمئنه فيها
عبد الملك عن حالتها خلال الاربع والعشرين
ساعة الماضية...

لقد قضى فرقد هذه الساعات الطوال وهو لا يكف عن الاتصال وبعدة اشخاص ليعرف اين هي وكيف حالها ..

اولها ابتدأت وهو يلملم اغراضه بحقيبة السفر تساعده السيدة فخرية بينما يكلم عمها طاهر عبر الهاتف يطالبه أن يقرأ له رسالتها الرهيبة (مرة جديدة) فيحاول جاهداً استيعاب فحواها المخيف .. وينقبض قلبه كما لم يحصل له يوماً ...

ثم يكلم عبد الملك وهو يتوجه بسيارة أجرة لمطار اسطنبول ليفجعه ابن عمه أن هاجر لم تصل اليهم بعد ..

ثم ... ينتظر هناك حتى يحين موعد رحلته والمكالمات مستمرة بينه وبين عمها طاهر من جهة وبين عبد الملك الذي خرج يبحث عنها بنفسه في انحاء القرية من جهة اخرى ..

لم يعاني يوماً في حياته من شعور مدمر كهذا..

احساس فظيع مدمر أنها ..ستضيع منه وهو بعيد عنها .. أنها ... قد ..يحصل لها أي مكروه وهو بعيد عنها .. أنه .. قد .. قد لا يراها تتنفس هواء الأحياء من جديد ..

يحدق بأرضية المطار في قاعة الانتظار وهو يحترق عجزاً فعلياً من الداخل ..



الرحلة كانت جحيماً بطيئاً حتى انتهت وهبطت الطائرة في مطار الوطن ...

وكان أول ما فعله ان أتصل بعبد الملك وعندها فقط عادت اليه بعض روحه وعبد الملك يخبره أن هاجر في المركز الطبي ومعها نسرين وانها تحتاج للراحة بعد تقلصات شديدة انتابتها وهي في طريقها الى قرية الشيوخ..

لم يكن فرقد يفكر بأي شيء الا رسالة هاجر لعمها فيختض داخله اختضاضاً من شدة فزعه عليها ...

ومن مطار العاصمة الى قرية الشيوخ ..

طريق طويل بائس في ظلمة الليل تنقشع تدريجياً ليشقها شعاع الفجر ، يرافق رحلته العصيبة الطويلة هذه في آخر محطاتها سائق أجرة صامت ، مجرد عجوز كئيب تتدلى من فمه بتراخ سيجارة مشتعلة .. سيجارة لم تنطفئ طوال الطريق..!

بينما يجلس فرقد جواره بصمت مماثل يقاوم كل الخيالات المفزعة ويتجلد بالصبر وهو يرسل الرسائل لاخته نسرين بين الحين والآخر يسألها كيف حال هاجر.. هاجر الحشا .. هواه وعشقه ومقتله ..

زفر نفساً عميقاً من صدره وهو يصل غرفتها ...

فتح باب الغرفة بهدوء شديد ... ودخل الظلمة التي تعمها .. عيناه وسط الظلمة تتجهان ناحية السرير الضخم فيتنفس الصعداء وهو يلمح خيال جسدها المضطجع عليه ..

اغلق الباب بنفس الهدوء والحذر ثم وضع الحقيبتين جانبا ليتحرك نحو ذاك السرير فيخلع حذائيه اولا ثم يتبعهما بسترته ويلقيها ارضا بلا اهتمام ثم يخلع قميصه وهو عند حافة السرير ودون ان ينظر لتلك التي ترقد على جانب السرير الايمن ألقى بجسده ليضطجع على بطنه مغمضاً عينيه ...

اخيرا وصل اليها .. في هذه اللحظة لم يعد يهم اي شيء ..

اشتاق لفرشتها .. اشتاق مجاورتها النوم على نفس السرير ...

انها هنا وهو هنا ..

هي بخير و.. جواره ... مع طفليه في احشائها..

داعب شفتيه خصلة شعر شاردة منها فيلثمها ويغلق عينيه ليغفو من فوره ...

صباحاً ...

" ارفع ساقك عن ساقي !"

صوتها الغاضب ايقظه من نومه ودون ان يفتح عينيه يحاول استيعاب اين هو الآن ...

وعندما استوعب ملأته النشوى من أخمص قدميه وحتى قمة رأسه ثم شعر بها كيف تحاول التخلص منه وهي ترفس بساقيها وتدفع.. ذراعه !

لا يعلم متى وكيف حاوط بطنها بذراعه هكذا رغم انه ما زال يضطجع على بطنه ..

هدرت فيه وهو يعاند إبعاد ذراعه عنها فيتشبث بها أكثر ليجعلها ترعد فيه هادرة

" ابعد ذراعك عن طفليّ .. ووشمك الكريه هذا الذي امقته لا اريد أن أراه .."

بهجة خالصة ..آه من العشق كم هو متطرف !

رغم كل ما حدث ورغم كل ما يتوقعه منها بسبب ما رأته في اسطنبول الا انه جوارحه تفيض بالسعادة ! بل انه ثمل لدرجة الترنح سعادة ...

لا يحاول الاقتراب منها اكثر كما يرفض ابعاد ذراعه وساقه عنها ليرفع وجهه الناعس وبعينين نصف مغمضتين ينظر لوجهها الغاضب الثائر المحيا فيهمس بابتسامة عشق

" الغيرة تليق بك يا جنية ! كنت اسمع دوماً عن حكاوي الجنيات عندما يعشقن رجالاً من الانس وأنهن يتحولن لنار ثائرة اذا اقتربت انسية من رجالهن .. لكن هذا هراء لا احتاجه أنا وقد عشقتني انسية بروح جنية ولمست نارها بيدي ونشبت اظافرها في وجهي .."

اطلقت صوتاً مزمجراً وهي تهدر فيه بفقدان سيطرة " ايها البائس الخائن .. لماذا أتيت ؟ لماذا تلحق بي ؟ اذهب اليها واحترق معها تلك التركية القذرة المبتذلة الرخيصة .."

ينظران ببعض وعيونهما تحكي كلاماً آخر لا يقال .. هي غاضبة وتأبى الاعتراف وهو يذوب لغضبها وغيرتها التي تمنعها الاعتراف..

هذه المتوحشة الغيرة النارية العواطف اخيراً منحته ما يريد .. منحته روحها وعاطفتها كلها..

يكفي أنها لجأت لقريته برضاها ..

لقد أتت اليه هنا في مسقط رأسه ، حتى وأن سبقته المجيء لكنها كانت تقصده وهي تقصد ارض مولده ومرتع صباه ومصدر فخره وعزوته ..

هذا يعني له أكثر بكثير من ذهابها له في اسطنبول ... يعني انها باتت هي الاخرى تنتمي لهذه الارض .. ارضه هو .. وهو اقصى درجات العشق الذي يبغيه منها...

يقول لها بصوت أجش " الا تريدين أن تعرفي ما هو موشوم على ذراعي ؟"

تتسارع انفاسها وتدمع عيناها قهراً دون أن ترد فيهمس بالتركية

" (Ateş kırbaç) أتيش كورباج .."

تشتعل عيناها بالغضب فتهمس من بين شفتيها واظافرها تنغرز في ذراعه التي تطوقها

" هل .. هذا اسمها ؟! انطق ولا تكذب .. هل ..
هل كنت على علاقة معها في أي وقت ؟ "

لا يعرف اي رغبة مجنونة تلبسته ليعذبها
ويشهد عذابها فيصمت للحظات حارقات قبل ان
يهمس بخشونة " اخبريني اولا أنك
تعشقينني وأنك اتيت لاسطنبول كي تعودي
الي وأنا في المقابل .. سأخبرك الحقيقة ..."

تفاقم انفعالها واخذت تتحرك بعنف تقاومه
فيهدئها بحزم

" توقفي هاجر .. تذكري الطفلين يحتاجان
منك للانضباط والسيطرة على مزاجك
الناري هذا .."

وكأنه ضغط على زر سحري جعلها تهدأ في
لحظة واشفق على تلك النظرات الهلعة التي
تقافزت في عينيها وهما تنظران لبطنها ..

اقترب منها أكثر يقبل عنقها هامساً معترفاً
متنازلاً عن شروطه

" الوشم هو ... أسواط النار .... جنيتي.."

تجمدت وقبلاته كالنار تشتعل فوق وجهها
المصدوم فتهمس متعثرة بصدمتها تلك

" كا ... كـ..ـكاذب ..."

يرفع وجهه فوق وجهها يتطلع لملامحها فيضرب
قلبه جدار صدره من الداخل هاتفاً بنبضات
العشق ليقترب من شفتيها ينهل منهما ثم
يبتعد قليلا يهمس بخشونة انفاسه المتسارعة

" تعرفين اني في هذا ... لا اكذب ابدا .."

تنظر اليه وتتسع عيناها النرجسيتان وهما تحدقان فيه ثم تنتقلان نحو ذراعه ببطء لتحدق في حروف الوشم التي لا تفهمها فتبحث فيها عن دليل يحمل صورتها وهيئتها لتصدقه..

تريد أن تؤمن بأنها هي وحدها من دون النساء التي وشمت بوجودها روحه وقلبه قبل جلده ...

أن تشعر انها امرأة لا مثيل لها في عينيه ...

هذا البدوي النشأة ، العنيف النزعة ، الخشن الصفات كخشونة بني عشيرته ، المتطرف في العشق كتطرفه بالانتقام ...

هذا الذي لا يملك من وسامة الرجال شيئا الا ما يراه فيه قلبها فعشقه ورآه الأوسم بينهم ...

وبينما هي في حالتها تلك وانفاسها تتسارع كانت كفاه تسافران في رحلة شوق وعذاب تلمسانها وهو يقول بصوت خشن

" ربااه .. لا استطيع أن .. اليس كذلك .."

رفعت نظراتها المحدقة من وشمه لعينيه ..

وهناك .. رأت صورتها .. رأت روحها .. رأت وجودها موشوم في عينيه ...

عيناه في ضوء النهار المشرق تشعان بالدفء ..

ابتسامته الناعسة مغرية أكثر لتذوب بحرارتهما ..

غامت عيناها بإغواء فطري وتملك الانثى لرجل تعرف عن يقين أنه لها وملكها ولا يأبه للعالم ما دام معها ... رجل يقطع الآف الاميال فقط كي يمد يده ليسند ضعفها ..

رجل .. ضعيف امام اغواء النساء !

انقلب مزاجها في لحظة وهي تتذكر تلك الحقيرة تقبله في فمه ..

عقدت حاجبيها واشرست نظراتها لتؤكد لنفسها .. أجل انه ضعيف عندما يصل الامر لغريزة جسده واحتياجاته ...

حاله كحال باقي الرجال عندما تغازلهم اي انثى حقيرة رخيصة يتهاونون في صدها ..

هتفت به وهي تدفعه بعنف في كتفه

" ومن سيسمح لك من الاصل ؟! ابتعد عني.. اريد الذهاب للحمام .."

يتنهد باحباط وهو يبتعد عنها مرغماً مجبراً متذكراً كلام الطبيبة الذي نقلته اليه نسرين ..

غادرت هاجر السرير بجلبابها القطني الملتصق بحنايا جسدها ، ففكر فرقد .. مؤكد هذا الجلباب يعود لاخته نسرين نظرا لصغر حجمه، تنهد مرة اخرى وهو يضطجع على ظهره يراقبها وهي تلبس خفيها لتخطو مبتعدة فخطر في باله خاطر جعله يثب متحركاً لينزل ساقيه عن السرير ثم يقف على الارض ليلحق بها حافي القدمين وهو يقول

" سآتي معك .. قد تشعرين بدوار او تعب مفاجئ .."

استدارت اليه بحركة حادة ترفع سبابتها نحوه وتعابيرها تشع بالحياة بل وكأنها الحياة نفسها لتهتف به

" ابق مكانك والا اقسم بالله سأثير لك فضيحة في قرية الشيوخ بأسرها تعادل فضيحة اسطنبول بالامس "

بتراخٍ يبتسم وهو يتخصر امامها عاري الصدر وقح النظرات محدقاً بجسدها عبر الجلباب الملتصق بها لتتركز نظراته على بطنها الكبيرة فتتسع ابتسامته العابثة لتبدو أكثر حرارة ودون ارادة منه أخذ يضحك !

التفت اصابعها حول مقبض باب الحمام وهي تعقد حاجبيها لتضيف بحنق انثوي

" اضحك كما تشاء لكن اثبت في مكانك هذا.. لم يتبق الا ان تدخل معي الحمام ..! رجل لا يعرف معنى الحدود والخصوصية .. استبدادي خانق .."

استفزها وعيناه لا تطرفان بعيداً عن بطنها فتجيش في صدرها المشاعر تأثرا بنظرته الفخورة تلك .. انه فخور بتوأميهما ..

حسن .. فليمت بغيظه وينتظر مفاجأتها التالية ..قالت وهي تشمخ بأنفها

" وليكن في معلومك أن عمي طاهر سيصل قرية الشيوخ ربما خلال ساعتين او ثلاث ..

بشق الانفس ليلة الامس اقنعته أني بخير ولا داعي ان يقطع الطريق البري الموحش في المساء .. لذلك سأكون مشغولة معه اليوم.."

عندها فقط رفع نظراته لوجهها ليبتسم ابتسامة مختلفة تفيض مكراً فيعض شفته السفلى قبل أن يقول بصوت مبحوح

" اذن فقد اقنعتِ عمك ان لا يأتي بالامس وأصريت على نسرين أن لا تبيت بغرفتك رغم قلقها عليك ونمت على جانب السرير تاركة جوارك فاااغ يكفي لثور ان يرقد فيه..."

احمرت وارتبكت بينما يضيف هو بلؤم

" كنتِ تنتظرين وصولي اليس كذلك ؟ كنتِ تعرفين أني في طريقي الطويل اللعين من اسطنبول الى هنا .. أركض لألحق بخطواتك "

عندها فاجأته وهي تستعيد سيطرتها لتدعي اللامبالاة رغم تورد خديها قائلة بثقة

" وما زلت لم تصل يا ابن الشيوخ ! طريقك طويل كالجحيم .."

ثم دخلت الحمام واغلقت الباب خلفها بعنف ..

رفع فرقد يده ليمسد فوق رأسه من الخلف وهو يتمتم مغتاظاً " افففف هل هذا وقتك يا عم طاهر ! الا تستطيع تركها لي الآن وقد حظيتَ بها لاشهر طويلة لعينة ؟! "

بعد ربع ساعة خرجت هاجر من الحمام وهي تتجاهل النظر اليه متوجهة ناحية خزانة الملابس ، وبينما هي في منتصف الطريق مر بجانبها ليوقفها وهو يخطف قبلة من خدها قائلا بصوت أجش " تمددي على السرير .. سآخذ حماماً سريعاً ثم أخرج لاحضر لك الافطار هنا في الغرفة .."

ضربته على يده التي تسللت لبطنها فيهز كتفيه ضاحكاً وهو يتحرك مبتعداً ناحية الحمام ...

ثلث ساعة اخرى وخرج من الحمام وهو يلف منشفة حول وسطه لكن نظرة سريعة للغرفة ليعرف أن هاجر اللئيمة غادرتها !

زفر بقوة وهو يرفع نظراته للسقف قائلا

" هذه المرأة ستعجل بدنو أجلي !"

غرفة العمة عجمية (ام عبد الملك)

تنظر هاجر للعمة عجمية باضطراب ..

كانت العمة تستمع لها بصمت وعيناها الزرقاوان باهتتان تحدقان بالسقف وكأنها في ملكوت آخر ...

الى درجة كانت هاجر تتوقف احياناً عن سرد الحلم خشية أن العمة لا تستمع فيأتيها صوت العمة موبخاً لتوقفها وآمرا لها بأن تكمل ...

حتى أكملته هاجر لآخره وصمتت تنتظر منها رداً ...اصابعها دون ان تدري كانت تشد بفرشة السرير من شدة توترها ..

لقد تركت فرقد في الغرفة مستغلة دخوله الى الحمام لترتدي العباءة والوشاح ثم تتسلل الى الطابق السفلي ومنه للسلم الخاص المؤدي لجناح العمة ...

أتتها وهي تشعر أنها وحدها من سيطمئنها عن حال توأميها اذا فسرت لها الحلم ..

أنحنت هاجر لتلثم ظاهر يد العمة عجمية وهي تقول لها باختناق الخوف

" ارجوك عمتي .. فسريه .. لقد أتيت خصيصاً لك ولم احكيه لاحد غيرك "

فجأة تغير لون عيني العمة وهي تدير وجهها اليها ... ارتعدت اوصال هاجر وشهقت رغماً عنها فقد بدا اللون هو ذاته الذي رأته في الحلم..

ليأتي صوت العمة أكثر تأثيراً وهي تقول

" انثى مخلوقة من صلصال مزاجها من نار

تماثلك توهجاً أو تتجاوزك بمقدار

هي من آلاء العاطل الجبار

لكنها تتعلق باذيال مقاتل مغوار

بيرق ... بارق

يسبق خروجها للدنيا بلا زمن فارق

يرفرف في سماء حياتها كشهاب حارق

وكما رافقها في ظلمة احشائك يرافقها في

النور

غيور.. جسور

في الغضب شعلة تنور

وفي الهدوء غامض أعمق من اعمق البحور "

خفقان قلب هاجر كان صاخباً مدوياً بشكل رهيب .. تحدق في عيني العمة عجمية بلونهما العجيب وهي مسلوبة الارادة .. يتردد في داخلها صدى الكلمات التي تفسر الحلم وكأنه طلسم يفسر طلسم ؟

" بيرق ... بارق ؟ "

كان هذا صوت فرقد جاء محملاً بالذهول مزداناً بالفخر .. يقف على بعد خطوات من سرير العمة دون أن تنتبه هاجر لدخوله ولا وجوده ....

اغمضت العمة عينيها وتاه سحر عينيها خلف ظلمات غموضها الآسر لتتمتم شفتاها النحيلتان

" ها قد جاء الخيّال يبحث عن فرسه الاصيل.."

ثم رفعت كفها النحيل المجعد لتلوح به وهي تقول بتعب حقيقي

" خذها من جواري يا ابن عبد الجبار .. اعانك اللّه عليها .. انها امرأة متعبة ؟ ما أن تقترب مني حتى تداهمني الرؤى المنهكة .."

كان فرقد قد عاد لارتداء زيّ رجال القرية ..
جلباب صحراوي وكوفية حول راسه ..

اقترب وهو يمد كفه لزوجته يقول لها بنبرة
هادئة حازمة في الوقت ذاته

" تعالي .. يجب ان ترتاحي في السرير ... امي
وبعض النسوة قادمات.. لا اريدهن ان يطلن
البقاء ويتعبنك "

لم تشعر هاجر الا وهي تعطيه يدها ليغمرها
بكفه فتغادر معه تلملم عباءتها حول جسدها
وكأنها تحمي طفليها من الاعين وصدى
كلمات العمة عجمية ما زال يتردد داخلها
فيوقد فيها مشاعر فرح و ... خوف ...

العاصمة ... مساء ...

" ثلاثة اسابيع وبضعة ايام وستكونين معي ..
دون حجاب و .. موانع .. ومؤكد .. دون ..
الحجوج .."

تحمر وهي تعض شفتيها لتهمس له بتلعثم
شديد عبر الهاتف " انا .. لا اعرف ماذا.. ارد .."

يضحك منذر قائلا باستمتاع وقح " هذا
افضل.. اريدك لا تعرفين .. لافاجئك
بالمزيد "

هتفت والحرارة تشع من خديها " منذر ! "

يواصل الضحك ويجد ألف عذر وعذر ليطيل
المكالمة أكثر ..

حتى اللحظة مكالماتهما الليلية هي الفترة الوحيدة التي تكون له خالصة دون مقاطعة او مراقبة دائمة ..

انه ببساطة سعيد .. هذه السعادة البسيطة التي لا تتخمك لكنها تشبعك وتشعر قلبك أنه موفور الصحة .. وان الحياة كلها خفيفة كالريش المتطاير لا يعوق سيرها شيء ...

هكذا هو مع دينا .. وكأنه اكتشف للحياة سراً ابسط من اي تعقيد ... سراً يبحث عنه البشر ولشدة بساطته لا يرونه ...

الامر لا يحتاج لعشق جنوني ولا جموح عاطفة غير مسيطر عليها ...

اخيراً فهم مقصد اخيه حازم عندما قالها له يوماً .. لكن منذر وجد ما يبغيه بطريقته واسلوبه .. بما يلائم شخصيته ..

ورغم ان والدته كانت تفهم شخصيته تلك دوماً الا انها حتى اللحظة لم تفهم ما وجده في دينا .. بل ربما لم تستوعب انها اخطأت بتقدير ما يلائمه من وجهة نظره لذلك تأبى الفهم عن غير ادراك منها للاسباب ..

فرغم صمتها ورضوخها للامر الواقع وتعاملها الظاهري (اللطيف) مع دينا الا انها لم تفهم وبالتالي لم تقتنع ...

" منذر .. اريد أن اتكلم معك بأمر ما .. لكن أرجوك لا تغضب .."

اخرجه صوت دينا المرتبك من افكاره فعقد حاجبيه قليلا وشعر ببعض القلق ، لكنه سألها بخفوت رقيق

" الليلة لن اغضب من شيء على الاطلاق وقد حددنا أخيرا موعد الزفاف وحجزنا القاعة .."

ترددت دينا للحظة قبل ان تسأل بشجاعة

" هل احببت ..فتاة قبلي .. اقصد.. قبل ارتباطك بي ؟ "

ازعجه التصحيح الذي اختارته للجملة اكثر من السؤال الاساسي لها ..

سألها بلطف وهو يقاوم ضيقه " سأرد عليك لكن اولا اريد أن اعرف ودون اي مراوغة .. ما الذي جعلك تطرحين هذه السؤال اليوم تحديداً ؟"

ترددت قليلا لتقول له بثبات وصدق

" ناهد زوجة اخيك .. لمحت اليوم بعد الغداء في بيت عائلتك .. عن فتاة ما .. لكن خالتي سلوى رمقتها بنظرة موبخة محذرة اسكتتها عن قول المزيد .."

كز منذر على اسنانه وشعر بالغضب الجارف لان حازم لم يغلق فمه امام زوجته السخيفة التافهة ..

أخذ وقته ليهدأ لبضع لحظات ثم قال اخيراً متخذا اسلوباً صريحاً مباشراً لكن دون ان يفصح عن التفاصيل

" لقد مررت ببضع تجارب يا دينا لا انكر ..
اولاها ربما ايام المراهقة .. انت تعرفين ..
مجرد مشاعر متأججة غالباً لا تكون واضحة
الرؤيا .. ثم تجربة اخرى قبل سنوات..
اعجبتني فتاة من محيط .. معارفنا .. ظننتها
لن ترفضني ابدا لكنها رفضتني واختارت
الزواج ممن رأيته أنا اقل من أن يقارن بي .."

لحظة صمت ليأتي صوت دينا ثابت الجأش
رغم بعض الغيرة " وهذا آلمك ؟"

فيرد ببساطة " مؤكد .. آلم كبريائي
لسنوات وبشكل بشع مبالغ فيه .. لقد
اخبرتك أكثر من مرة أني رجل مغرور "

عندها قالت دينا ببعض التشكك

" لكن ناهد لمّحت .. لتجربة .. حديثة
العهد.. مررت بها قبل تعرفك علي مباشرة .."

لمحة من ماض قريب .. ماضٍ من خريف رحل...

هاجر ..امرأة مختلفة حمراء الشعر مرت
كشهاب حارق في حياته .. ألهمته .. اثارته ..
شدهت تفكيره ولمست قلبه بنارها
واختلافها.. ثم انطفأ كل شيء .. ومر الشهاب
مغادراً ليل سمائه واضمحل حتى تلاشى ..

أفل الشهاب واستمر الليل .. ولم يعد يرى في
ظلمة سمائه الا نجمة سطعت على حين غرة ..
نجمة توهجت برسوخ في وجدانه..

نبض قلبه وهو يتذكر مذاق قبلات دينا
البريئة المرتبكة ..

انها نجمته الوحيدة .. التي كان ينتظر سطوعها طوال حياته ..

في هذا كانت امه محقة .. هو عاطفي حقاً..

قال اخيراً بصوت أجش " نعم .. مررت بتجربة مختلفة .. تركت أثرا سيئاً من نوع مختلف.. احيانا نظن اننا نحتاج لشجاعة حتى نحارب القناعات الثابتة ونغيرها .. لكننا نحتاجها لنحارب الخاطئة منها فقط .. وتلك التجربة علمتني أن اتقبل قناعاتي ما دامت صحيحة وأن اتقبل قدراتي على التغيير .. وما لا استطيع أن اغيره في نفسي .. اتقبله وامضي قدماً .."

سألت ببعض الحرج " أفهم من كلامك .. انها كانت تخالف قناعاتك عن .. زوجة المستقبل ؟"

فيرد بكلمة واحدة " اجل ..."

كانت انفاسها المضطربة تصله بوضوح وهو ينتظر بصبر جملتها القادمة فيغمض عينيه عندما سألت بتحشرج " هل... احببتها ؟"

كان منتهى الصدق وهو يرد " لم يعد يهمني السؤال الآن يا دينا .. ان كنت تثقين بي فصدقيني لا يهم .. انا نفسي لم أعد اهتم فلماذا انت تهتمين .."

ترددت لحظة قبل أن تسأل ما يعرف أنها تحتاج لتأكيده وربما فهمه " وماذا عني انا يا منذر ؟ اصدقني القول .. أثق انك ستفعل .."

تأثر بقوة لثقتها الغريزية به .. تأثر وهي تطلب منه ذاك التأكيد بشجاعة انثى نقية صافية تبحث عن عن مكانها في قلب رجلها فتسأله بوضوح دون اي مراوغة ...

ابتسم عفوياً وهو يقول لها بنبرة رجولية

" انت تسللتِ لعقلي ووجداني دون أي تخطيط او حتى تفكير ثم بنيتِ صرحا عظيما هناك حجراً فوق حجر .. فانشده قلبي لهذا الجمال ووقع بالغرام.. هل يرد هذا على سؤالك ؟ "

صمتت للحظات حتى همست بتأثر بالغ

" شكرا ..."

ناغشها وهو يشعر بفرح غامر " حسن .. الا استحق .. شيئا .. من الغزل في المقابل؟"

فجأة شهقت ولم يفهم ما يحصل الا أن صوتها اصبح مكتوماً نوعاً ما وهي توجه كلاماً ليس له قائلة " ابي ! هل هناك شيء ؟"

على الطرف الآخر كانت دينا قد دسّت الهاتف بعفوية تحت الغطاء حيث كانت نصف مستلقية على سريرها وتكلم منذر ..

كل يوم كانت تكلمه بعد منتصف الليل حينما تتأكد ان والدها نام تماماً ..

الحجوج يغار وربما يبالغ بحمايتها فيفرض عليها قيوداً شديدة في علاقتها مع خطيبها..

نظرت بقلق وبعض الخجل لوالدها العابس الذي دخل غرفتها على حين غرة ودون حتى أن يقرع الباب ثم حاولت مغادرة السرير فيوقفها الاب قائلا " ابقي في سريرك حبيبتي .. سأجلس أنا جوارك واتكلم معك بموضوع "

كانت قد نسيت تماماً الهاتف المخبأ بين طيات الغطاء بينما يجلس الحجوج جوارها ويضع عصاه جانباً ثم يطرق برأسه صامتاً !

وضعت دينا يدها على ذراعه تسأله " ماذا هناك ؟! اقلقتني ! هل صحتك بخير ؟"

هتف بها وهو يرفع وجهه حانقاً " صحتي بألف خير .. لا تشوشي عليّ .. اريد أن اتكلم بموضوع زواجك ..."

ارتفع حاجبا دينا وهي تتساءل

" زواجي ؟! ما به زواجي ؟! "

فيرد الاب وهي يبدي تعابير الجدية

" يا ابنتي الا تعتقدين اننا تعجلنا بالقبول ؟"

صدمة اكتست ملامحها وهي تردد

" تعجلنا ؟!"

فيؤكد الاب بحزم " أجل .. ربما عليك ان تعيدي التفكير بالامر .."

تراخت تعابير الصدمة ويشعر قلبها بالاشفاق عليه لتسأله بصبر

" لماذا يا حجوج قلبي انت؟!"

فيبدو والدها كصبي شقيّ وهو يقول دون اي تردد " إنه احول .."

تكتم دينا ابتسامتها وهي تهمس بعجب

" أحول ؟!"

فيؤكد بقناعة تامة " نعم .. عندما يحدق للتلفاز اقسم ان عينه الشمال تحيد جانباً !"

تحدق في عيني والدها اللتين تفيضان بنظرات الغيرة فينعصر قلبها من شدة حبها له ..

ليندمج الحجوج بما يقنع نفسه به من براهين ليضيف " كما انه طويل بين الذكور وانت متوسطة الطول بين الاناث .. وهذا الفارق سيخلق فجوة بينكما دون ريب .."

فتسأله بحنان وصبر " وكيف هذا ؟"

فيشرح بعبوس جاد " عندما تتجادلان .. وهذا سيحصل كثيرا صدقيني في اي حياة زوجية .. سيشعرك الفارق بينكما انه متفوق عليك ولن تستطيعي أن تأخذي حقك منه "

يرفع يده ويلوح بها وكأنه ينهي معضلة صعبة بجرة قلم قائلا بنبرة قاطعة " انا اقول أن نؤجل العرس شهراً اخر .. او حتى نلغيه حتى اشعار اخر .."

تتلألأ ابتسامة دينا وهي تهمس كنيته

" حجوج..."

فيرد ببراءة " نعم .."

تمسك يده المتوترة وتمسد فوقها قائلة بإقناع حقيقي حتى وان بدت حجته مضحكة

" لا بأس اذا كان احولا .. هذا سيبعد عنه عيون الفتيات كما انك ربيتني أن ابحث عن داخل الانسان لا خارجه .."

بدا محرجاً مرتبكاً وهو ينظر اليها بغير رضا لتضيف بنفس الابتسامة " وأعدك كلما حصل نقاش معه سألبس حذاء بكعب عال لألغي الفوارق ..!"

فيتمتم هذه المرة بعبوس " نعم .."

تنحني دينا لتقبل ظاهر كفه وهي تقول برقة " تصبح على خير .. يجب أن انام الآن .. وانت ايضا يجب ان تنام فالسهر يتعبك .."

يقف على قدميه وهو يلتقط عصاه بينما يتمتم بتشبث وحنق طفوليين

" لا زلت اعتقد أننا تسرعنا .. من هو ليستحق فتاة مثلك ؟! عجبي على هذه الدنيا غير العادلة.."

تراقبه دينا وهو يستدير مغادراً غرفتها بينما تكتم ضحكتها بشق الانفس ..

تكاد تشك .. شك اقرب لليقين أنه مدرك انها كانت تكلم منذر عندما دخل غرفتها هكذا .. بل وتشك ايضا أنه كان يرجو بأن الخط ما زال مفتوحاً ليسمع منذر ما قاله ..

رباه .. منذر ... الخط مفتوح فعلا !

كالمجنونة اخذت تبحث بين طيات الغطاء عن هاتفها حتى وجدته ..

اغمضت عينيها للحظة واحدة تتمنى ان يكون مغلقاً لكن للاسف ذهبت امنيتها ادراج الرياح وحالما وضعت الهاتف على اذنها تناديه " منذر.."

جاء صوت منذر المصدوم وهو يسأل

" انا .... احول ؟!!"

وعندها انفجرت دينا بالضحك ....

قرية الشيوخ.. بيت عبد الملك ..

حول النار الموقدة وقد استقر فوقها ابريق القهوة العربية يجتمع فرقد وعبد الملك وهما يتحاكاوان بالماضي ويتسامران ...

لكن بال فرقد مشغول ونظراته رغماً عنه تسرح بعيداً لشباك في الطابق العلوي ..

يكتم عبد الملك ضحكة في جوفه ويتذكر ايام ماضيات عندما كان مجرد عاشق محروم ...

ابتسامة خفية تظل عالقة على شفتيه وهو يتذكر نسرين ليلة زفافهما .. صغيرة جدا فيلمُها كلها بين ذراعيه وعلى صدره ...

امه اخبرته مراراً منذ حداثة سنه أن قلبه لن يكون الا لامرأة عصفورة بجدائل مجعدة ...

وقلبه هذا ضرب بمقتل عندما سبقه ابن عمه سلطان للزواج بنسرين ..

اي عذاب عاشه وهو يرقص مع الرجال في عرسهما ويطلق الاعيرة النارية بنفسه احتفالا بزفاف ابن عمه سلطان ..

أمه لم تتوقف عن ترديد جملة واحدة (وعد مكتوب) .. ظنها بالبدأ تعني انه موعود بالفراق .. لكن بعد عشر سنوات فهم أنه موعود بلقائها لآخر عمره .. وكانت له العصفورة مجعدة الشعر ..

بغصن شجرة يابس يحرك عبد الملك الحطب المشتعل وقد عمّ صمت الليل المريح..

قال اخيرا وعيناه تراقبان شرارات النار المتطايرة " اذن فقد غادرنا العم طاهر مطمئناً على ابنة اخيه معنا .."

فيرد فرقد ببعض الغموض " ارجو ذلك .. "

تفلت ضحكة من فم عبد الملك وهو يتساءل بمكر " حتى لا يعود مرة اخرى ؟"

عندها قالها فرقد بصراحة وقحة " نعم ...."

انفجر عبد الملك ضاحكاً ويرتج كتفيه بينما يرفع فرقد حاجباً واحداً لا مبال لتسرح نظراته منه ناحية نفس الشباك ..

سأل عبد الملك ببعض الخبث

" هل الدجاجتان في غرفتكما ؟"

فيرد فرقد بغيظ خشن " نعم .. برائحتهما الكريهة .. ليتهما ماتتا مع اختهما ! لندفنهن جميعاً بنفس الحفرة .."

هذه المرة اوشك عبد الملك أن يقع للخلف على ظهره من شدة الضحك بينما يقبض فرقد على بعض الحصى الصغير جواره ويرميه نحو ابن عمه ..

كان مزاج عبد الملك مشاكساً مستمتعاً الليلة فقال وهو ما زال يضحك ويحمي وجهه من الحصى " من يصدق ان فرقد أمهر الصيادين والقناصين في قرية الشيوخ يدفن بيديه صوصاً قد نفق ! ستكون اضحوكة اخوتك واولاد عمك لاشهر ان عرفوا بهذه الحكاية (الرقيقة).."

اخذ فرقد يتلاعب ببعض الحصى والرمل في كفه بينما يقول بنبرة مختلفة عميقة

" لم يكن مجرد صوص بالنسبة لها..."

نظر اليه عبد الملك وشعر حقاً بالغرابة ليعبر بالقول " اجل .. تعلقها بهم مؤثر وغريب.. حتى اختك نسرين اثارت عجبي تلك الليلة وهي تبكي وعندما سخرت منها ضاحكاً من حزنها قالت لي انها تبكي لأجل عجمية لا لأجل الصوص الميت .. "

ثم يهز عبد الملك كتفيه بحيرة مضيفاً وكأنه يبحث عن التفسير " ربما هو دأب اهل المدينة الذين يتعاملون مع الحيوانات بنظرة مختلفة عنا نحن اهل البادية .."

فيوضح فرقد بنفس النبرة العميقة

" ولا حتى هذا .. هي تعلقت بالصيصان لاسباب خاصة بها..."

رد عليه عبد الملك " المهم انك تفهم هذه الاسباب يا ابن العم .."

نظر فرقد للنار المشتعلة فيبتسم عفوياً وهو يتمتم بشرود " اجل ..."

ثم فجأة يثب على قدميه وهو يقول ساخراً

" لقد مللت قهوتك .. انها سيئة جدا كضيافتك يا ابن العم .. تصبح على خير "

يضحك عبد الملك بخفة بينما ينسحب فرقد ليقول له مشاكساً

" تستطيع اختيار كل الحجج متى ما شئت .. على الرحب والسعة "

مستلقية هاجر في السرير تمسد براحة يدها فوق بطنها تشعر بالاطمئنان والفخر لحركة طفليها بينما تسمع صوت ابنة عمها عبر مكبر الصوت للهاتف الملقى جوارها وهي تبدي بعض القلق متسائلة

" هل انتابتك التقلصات مرة اخرى ؟"

فردت هاجر تطمئنها

" لا .. الحمد للّه .. انا وطفلي بخير يا سهر .. صدقيني .. هل تظنين ان عمي سيتركنا لو لم أكن كذلك ؟!"

ثم تحيد بنظراتها ناحية القفص حيث تنام (توتو وجوجو) قريرتي العينين لتضيف هاجر بحنان " توتو وجوجو ايضا بخير "

يأتيها صوت سهر المشمئز بوضوح

" ييييع .. انت اكثر جنوناً وغرابة من جودا اقسم بالله .. لقد تلبستك روح اخرى برائحة دجاج مقرفة.. اعيدي ابنة عمي لي برائحتها الانثوية العصرية الجريئة .."

أرخت هاجر جفنيها تستنشق ملأ انفاسها رائحة البخور التي تملأ الغرفة ...

لقد أتت حماتها الشيخة نزهت وبخرت الغرفة بنفسها لتبعد عيون الحساد عنها (كما قالت .. واوصتها أن لا تخبر احدا عن حملها بتوأم ..

هنا تجد نفسها بعيدا عن قناع الانثى (العصرية الجريئة) الذي وصفته سهر للتو .. قناع اتخذته كواجهة لها لسنوات وسنوات

بينما في داخلها هي انثى مختلفة .. انثى لم يعرفها الا رجل واحد .. فرقد الشيخ ...

جاء صوت سهر بنبرة مختلفة تحمل رائحة النميمة الفكاهية " وعلى سيرة المتوحشة المجنونة جودا .. هل تعلمين آخر الاخبار ؟"

تمتمت هاجر بإطلاق صوت متراخ

" امممممم .."

خفت صوت سهر بعض الشيء وهي تدلو بدلو نميمتها " انها... حامل ! "

اثارت اهتمام هاجر قليلا لتتساءل بعجب

" حقا ! لكني تصورت انكِ قلتِ مرة بأن سعد يفضل الانتظار لحين انتهائها من الدراسة الجامعية .. خاصة وهي متأخرة فيها .."

بنفس النبرة الخافتة قالت سهر " اخت الجلف اتفقت مع حماتها ام السعد على المتعوس سعد الذي ابتلي بزوجة مجنونة و ام متلهفة للحفيد ... "

تضحك هاجر بمزاج رائق بينما تضيف سهر بإثارة النميمة " لقد استطاعت الخالة منيرة اقناعها أن تخدع المسكين وتسمح بحصول الحمل ووضعه امام الامر الواقع .. ! اقسم بالله اشفق عليه منهما معاً .. سعد هذا كان يستحق امرأة من نوع مختلف .. راقية كرقيّ شخصيته .. لكنه ابتلي بحب هذه الفتاة العجيبة .."

غامت عينا هاجر ويخفق قلبها وهي تهمس

" العشق احياناً ... اروع بلوة ..! "

تتساءل سهر " بماذا تدمدمين ؟! لا اسمعك .."

تضحك هاجر من قلبها بخلو بال لم تشعره طوال حياتها غافلة عن وجود فرقد عند باب الغرفة يتطلع اليها وهي مستلقية على السرير.. يستمع للحوار الممتع بينها وبين ابنة عمها ثم يراها تضحك فتتغير خفقات قلبه على امواج ضحكاتها تلك ...

برداء عربي الطراز اسود واسع ذي نقوش ذهبية احضرته لها امه ليلائمها تماماً ويعكس لون بشرتها الشاحبة البياض .. اما شعرها الاحمر الطويل فيناقض سواد الرداء ويضفي توهجاً فوق توهج النقوش ...

عن عمد اغلق الباب خلفه بقوة مصدراً صوتاً مدوياً جعل هاجر تعبس مجفلة وهي تنظر ناحيته فيقول لها غامزاً وهو يخلع كوفيته عن رأسه " جنيتي الحمراء تضحك !..."

ببرود مصطنع مكشوف تماماً له تنهي هاجر المكالمة مع سهر قائلة " سأرتاح قليلا يا سهر.. أشعر بالتعب فجأة ورغبة فورية بالنوم.."

لم يكن الاثنان يستمعان لرد سهر قبل ان تنهي المكالمة وتغلق الخط ..

تقدم فرقد منها وهو يمد يده لجيب جلبابه ويخرج شيئا لامعاً منه ..

وقف جوار السرير ودون تفسير كان يلتقط معصمها ليلف الاسورة حوله وهو يهمس

" هاجر الحشا .."

بنفس البرود المصطنع كانت تقاوم تأثرها الشديد لاسترجاع اسورتها الغالية بينما تقول له " اسمع .. لن تضحك علي مثلما حصل في الصباح .. حتى لو وشمت نفسك بصورة لي ذات ثلاثة ابعاد لن اسامحك .. ما الذي أتى بك ورائي الى هنا ؟ الا يوجد مكان اختبأ فيه منك ؟.."

يضحك فرقد من قلبه وهو يجلس جوارها ويقول بنظرة ذات معنى مشاكس

" العشق .. (بلوة) يا ابنة الاحمدي "

تهتف به بحنق " ها انت تعود لاسلوبك بمحاصرتي ! لما تتنصت على مكالمة خاصة مع ابنة عمي ؟! اذهب وعد لتركيا ودعني بمفردي مع طفليّ .."

قال واصابعه تداعب الاسورة حول معصمها

" سأقدم استقالة من عملي في المحطة او حتى آخذ اجازة مفتوحة وسأقعد لك هنا .."

سحبت معصمها بعنف وهي ترد عليه بغضب لم يهدأ حتى اللحظة " وماذا عن .. الفتاة الحقيرة في اسطنبول (الخلابة) ؟! الآن علمت لِمَ كنت ترى المدينة خلابة يا شهريار ال الشيوخ .."

تنهد وقد بدأ يشعر بالضيق والملل من موضوع هوليا برمته ! قضى النهار ينتظر هذه الساعة التي سيختلي بها بعد افواج من الزائرات رافقن والدته عدا وجود عمها طاهر الذي انشغل معه ليعرفه برجال العشيرة والقرية ...

قال اخيراً بنزق " كفي عن غيرتك هذه .. هوليا مجرد .. طفلة .. "

اوجعها قلبها وهو يلفظ اسم الفتاة لتدمع عيناها رغماً عنها وهي تقول بغيظ

" نعم طفلة تحبو على أربع ! "

تنهد مرة اخرى ليهمس لها محبطاً

" انها لم تتعد الثانية والعشرين بحق اللّه .. جربت معها كل الوسائل لتبتعد عني ..

لكنها متشبثة بفكرة طفولية انها ..

تحبني!"

ثم يضيف بنظرة ونبرة ذات معنى واضح

" ومؤكد تركك اياي بمفردي في الغربة

اوحى لها ان لديها فرصة حقيقية معي "

زمجرت دون شعورها ورفعت نفسها وهي تضربه

بقبضتيها فامسك بمعصميها بسهولة ليعيدها

مرغمة مستلقية على ظهرها وهو يقترب

بوجهه منها قائلا قرب شفتيها بعاطفة حارة

" انظري أثارك على وجهي .. الا يكفيكِ

هذا ؟! "

هتفت بغيرتها الحارقة وعيناها تشتعلان

" ليتني اتركها على قلبك .."

صدره يعلو ويهبط .. يعلو ويهبط .. اوردته

وشرايينه تتوسع بالدماء التي تضخ بعنف

نبضات قلبه ...

رباااه .. أهكذا الشعور يكون عندما تعشقه

الجنية ؟!

هتفت اخيراً بانفلات عاطفي وكأنها ترد على

افكاره

" لكنك لا تستحق كل هذا الذي اشعره ..

انا لا اعرف كيف .. كيف ..."

من فرط عاطفتها تعجز عن نطقها ...

يضحك بأنفاس ما زالت تلهث ثم يميل لاذنها

قائلا بلهجته القروية

بعد كل ما كان .. ألم تفهمي بعد كيف
عشقتني يا طفلة ؟!
إفتحي اذنيك واسمعيني اشرح لك لوهلة
غرزتُ قلبي في قلبك كطعنة من جمرة
لتنزفي ناراً فأنزفُ بركاناً وكانت بيننا أول
الثورة
لا تغضبي من ضحكتي فقد تذكرت للتو
كل صولة وجولة
ثم وسط الجحيم زرعت من روحي في رحمك
بذرة
فكانت أنس لك وعذاب لي وقد سرق (جزء
مني) الحظوة
الا زلت لا تفهمين ؟! آه منكِ ومن عشقك يا
بلوة البلوة ...!

تدعو عليه بحرقة قلب غيور عليه وهي
تتذكر تلك الحقيرة التركية

" فليبتليك الله بالمزيد ! "

يرفع وجهه فوق وجهها تتراقص الضحكات
على شفتيه ثم تخرج كلماته محملة
بشكوى عاشق اضناه الهوى هامساً بلوعة
وعتب " اكثر من هكذا ابتلاء ...؟! سأموت !
أيرضيكِ موتي يا جنية ؟!"

كانت شريرة في غضبها .. تعقد حاجبيها
بإصرار .. وتطلق عينيها سهام رغبة القتل
لفعلته ... لكن ... وجع لهفتها عليه تفضحه
ارتعاشة شفتيها ..

ابتلع ريقه بصعوبة وهو يقاوم بعنف ليبعد جسده عنها وهو يستقيم بجذعه هامساً

" س ... آخذ حماماً .. ثم آتي لانام جوارك .."

ثم ابتعد أكثر وهو يقف على قدميه يترنح من رغبته بوصالها .. لكنه .. يجبر قدميه لتحمله بعيداً ... عنها ...

عاد بعد ربع ساعة وقد هدأ جموح رغباته بعد حمام بارد فيراها ما زالت مستلقية وعيناها مرخيتا الاهداب وكأنها شبه نائمة ..

اقترب من السرير ليستلقي جوارها بصمت وهو يعلم أنها كانت بانتظاره ..

أطفأ النور ودون أن يقولا كلمة كان هو يلف ذراعيه حولها في نفس اللحظة التي تسللت هي لحضنه تتنهد كـ..طفلة ...

آه..يا نارك التي لا تنطفئ يا ابن الشيوخ ...

صباح اليوم التالي

دخل الغرفة وعلى فمه ابتسامة دافئة عندما اصطدمت عيناه بمنظر لن ينساه حتى الممات..

هاجر بجلبابها الاسود المنقوش الواسع تجلس على الاريكة قرب الشباك المفتوح ..

وشاح ذهبي باهت غطى شعرها الاحمر ، تتطاير اطرافه لتنكشف بعض الخصل النارية السارحة على ظهرها وكتفيها ..

تحمل بكفها الايسر كتاب القرآن بينما تمرر راحة كفها الايمن فوق بطنها وهي تقرأ بصوت خافت...

عيناه تعلقتا بشفتيها حيث الدمعات التي انحدرت وتعلقت بهما..

ظل مسمراً مكانه يشبع عينيه من جمال اومتها ... لم ينطق بكلمة وهو ينتظرها تنتهي، فقط قلبه يتكلم بخفقان هادر ..

عندما سمع همستها (صدق اللّه العظيم) تقدم نحوها وهو يراها تقبل القرآن وتضعه على وجهها كما تفعل أمه بالضبط فقال بصوت أجش " لم أرك يوماً تقرئين القرآن .."

التفتت اليه بوجهها الذي شع بنور الصباح وطمأنينة الفجر لتقول بهمس مؤثر

" اقرأ سورة (يس) على طفليّ .. والدتك اخبرتني أن أفعل هذا كل صباح .. لقد قرأت عليّ بالامس واوصتني أن أفعل المثل.."

مد يده وهو يقف جوارها فيلامس خدها ويمسح دمعات اومتها ... ما اجملها وهي أم تخاف على طفليها هكذا ... ما اروعها وهي تعود لقرية الشيوخ كي تأمن فيها على ساكنيّ احشائها المتعجلين ربما للخروج ..

انها خائفة عليهما .. قضت الليل تشد باناملها على ذراعيه كأنها تبحث فيه عن ملجأ لمخاوفها .. تلك الرؤيا التي حكتها للعمة العجمية تثير فزعها على الطفلين...

سألها بابتسامة فياضة " هل انتهيتِ ؟"

هزت رأسها وهي ترفع وجهها إليه قائلة

" نعم .. اين كنت أنت ؟ "

رد بنوع من الغموض " ذهبت لأركب الخيل برفقة عبد الملك.. وتفقدنا بعض الاراضي والاعمال.."

وقبل أن تسأل المزيد كانت كفه تنحدر لكفها يشدها لتقف بينما يقول

" تعالي لاريك ما احضرته لك .."

وضعت القرآن في مكان آمن قرب الشباك قبل أن تتحرك معه ، خطوة واحدة وتوقف فرقد وسط الغرفة ليقول لها عابساً متجهما على حين غرة " البسي العباءة والوشاح الاسود .. أخفي شعرك جيداً .."

تأففت وهي تنفض كفه عن كفها لتنفذ ما يريد دون اعتراض بالكلمات ثم عادت لتتقدمه الخروج من الغرفة ...

كانت تقف بتململ حيث طلب منها في الباحة الخلفية لبيت عبد الملك ثم اختفى في مكان ما ...

لكن لم يطل انتظارها الا نصف دقيقة قبل أن يعود اليها حاملا بين ذراعيه خروف صغير ناصع البياض ..

خفق قلبها باثارة طفولية وهي تتقدم لتقطع ما يفصله عنها هامسة بحشرجة وهي تمد يدها لتلامس فراء الخروف " هل هذا لي ؟!"

همس بنبرة حلوة " نعم ..."

احساس غامر ملأها بفرح الطفولة كلها التي حرمت منها .. تحرك يدها بشغف فوق الفراء الصوفي الابيض والخروف الصغير يطلق اصواته المضحكة فتضحك هاجر بسعادة ...

لم تكن تدري ما تفعله بفرقد وهي تبدي سعادة خاصة جداً كهذه ...

كفه قبضت على كفها فوق الفراء تعتصره وهو يميل فجأة ودون قدرته على ضبط نفسه فيقبل جانب فمها ثم فوق شفتيها ..

ترتد برأسها للخلف بعنف وهي تقول بعبوس " تأدب يا فرقد .. قد يرانا عبد الملك وهذا لا يصح .."

عض شفته السفلى قبل أن يقول بغيظ

" رصاصة في رأس عبد الملك هو الحل الامثل لوقف حشر اسمه بيننا .."

تتمسك بقناع العبوس لكن داخلها يمتلئ بالرضا لغيرته هذه .. قالت أخيرا وهي تولي الخروف الصغير كل اهتمامها

" انزل سعيد للارض .."

يعقد فرقد حاجبيه وهو ينقل نظراته للخروف متسائلا " من سعيد ؟! لا تقولي انه الخروف ؟!"

فترد ببساطة واستغراب من ردة فعله

" مؤكد هو .. يجب ان يكون له اسم .."

يهز فرقد رأسه وكأنه يقول (حالة ميوؤسة)

ثم يضع الخروف الصغير على الارض فيترنح بينما هاجر تضحك وهي تهبط للارض بحذر لتجلس عليها وتحتضنه بل وتمرغ وجهها في فرائه قائلة " ستحبانك كلا من توتو وجوجو.. ستحبانك كثيرا.."

يضرب فرقد كفاً بكف ثم يتخصر قائلا

" الحيوانات تحولك لكائن عجيب اقرب لمهبولة .."

ترفع نظراتها اللامبالية اليه ثم تعود لتخفضها نحو خروفها تدلله وتداعبه ..

ابتسم فرقد راضياً رغم كل هذا (الهبل) الذي يختبره برفقتها المجنونة ثم يقول

" أنا سأخرج .. ربما سأنشغل عنك الايام والاسابيع القادمة ببعض الامور.."

تعاود رفع وجهها اليه لتسأله بضيق جدي

" هل ستذهب للعاصمة ..؟"

فيطمئنها بالقول " مؤكد لا .. لا تقلقي .. انا سأظل قريباً منك دوماً .. داخل القرية او على اطرافها في أبعد تقدير.. "

صمت للحظة قبل أن يسأل ببعض التفكير

" هل غيرتِ رأيك بشأن الولادة هنا ؟"

أخذت تهز رأسها نفياً لترد بنبرة لم يحبها

" لا .. طفلاي سيولدان هنا في قرية الشيوخ ..

في بيت جدهما الشيخ .. وبين احضان

عشيرتهما .. لن اسمح أن يولدا وحيدين ..."

فيؤكد لها بشراسة

" سيولدان في حضنكِ انتِ ... فكيف

سيكونان وحيدين بوجودك..."

تطرق برأسها وهي تتمتم بدعوة من صميم

قلبها

" يا رب ... يا رب .. لا اريد الا أن يولدا بصحة

جيدة .. محاطين بكل الحب والاهتمام ..."

بعد ثلاثة اسابيع

المركز الطبي .. قرية الشيوخ

تسأل هاجر بتوتر " هما بخير ؟"

فترد الدكتورة رهف بابتسامتها الحلوة

" بألف خير .. قلت لك لا تخافي هكذا .."

تتنهد هاجر وهي تمسد فوق بطنها وهي تهمس

بالحمد بارتعاش ..

أضافت الدكتورة رهف وهي تجلس على

كرسيها خلف مكتبها " الحمد للّه اننا دخلنا

السابع بأمان .. وأظن انهما ليسا مستعجلين

للخروج .. وقد نصل التاسع اذا شاء اللّه "

طرقات على الباب لتسمح الدكتورة رهف بالدخول فيطل وجه فرقد المتجهم بالقلق..

تسارع رهف لطمأنته بالقول

" انها بخير لا تقلق .. والطفلان بألف خير .."

زفر فرقد بارتياح ثم يشكر الطبيبة وهو يغادر مع هاجر ..

لكن بضع خطوات يقطعها فرقد بالممر ثم يتوقف ليطلب من هاجر ان تسبقه للسيارة فلديه بعض الامور يسأل الطبيبة عنها ..

لم تناقشه هاجر وهي تشعر بحاجة للاسترخاء في هدوء وعزلة بعد الارتياح النسبي لكلام الطبيبة المطمئن ..

عندما عاد اليها فرقد كانت شبه نائمة في مقعدها فتبسم وهو يجلس بمقعد السائق وينطلق بصمت الى وجهته ...

ما بين اغفاءة وصحوة ضبابية لم تكن هاجر تميز الى اين يأخذها حتى توقفت السيارة تماماً لتفتح هاجر عينيها وهي تتثائب متوقعة رؤية الباب الكبير العالي المألوف لبيت عبد الجبار الشيخ حيث قضيا الاسبوعين الاخيرين بناء على اوامر مشددة من شيخ العشيرة ..

لكن .. ما تراه عيناها الآن لم يكن الا بوابة مشبكة مألوفة لـ... مزرعة ...

التفتت اليه تسأله بدهشة وبعض التوتر

" ماذا نفعل هنا ؟"

رد وهو يرمقها بنظرات عميقة غامضة

" ألم تكوني تريدين أن تعرفي ما الذي يأخذني منك طيلة ساعات النهار خلال الاسابيع الماضية ..؟ سترين الجواب الآن بأم عينيك .."

ترجل من السيارة ليذهب ناحية البوابة المشبكة فيفتحها ..

كانت تراقبه وقلبها ينخلع من مكانه باضطراب وعندما عاد فرقد للسيارة ليقودها الى داخل المزرعة كان لسانها عاجز عن النطق وهي تحدق في انحائها وتستعيد كل الذكريات الرهيبة هنا ...

بدت المزرعة مختلفة ! منظمة أكثر والزرع مشذب ومعتنى به بشكل واضح ..

ابتلعت ريقها والسيارة تصل لمقدمة بيت المزرعة وهنا لم تستطع منع شهقتها وهي تنظر للتغييرات الواضحة الرائعة في واجهة البيت وقد تحولت من اللون الرمادي الى اللون الصحراوي الدافئ وتم تغيير الشبابيك بأخرى أكثر جمالية باطارات بنية خشبية ودون اي قضبان ..

ترجلت هاجر من السيارة وهي مبهورة بما ترى ..

حتى باب البيت تغير بآخر أكثر جمالا وألقا...

التفتت اليه وهو يقترب ليقف قربها يراقبها بصمت فتبادر لتسأله

" هل جددت البيت بأكمله ؟!"

يرفع يده ليزيح عن رأسها الوشاح ويقول بصوت أجش " معظمه فقط .. ما زال هناك المزيد لافعله لكن المال نضب مني لذلك سأؤجله ربما للمستقبل .. "

امسك بكفها ويأخذها معه قائلا

" تعالي لاريك شيئا .."

توقعت انه سيأخذها الى داخل البيت ليريها ما أنجزه هناك لكنها تفاجأت به يلتف حول البيت ليأخذها الى الجزء الخلفي..

وهناك.. توقفت خطواتها واتسعت عيناها وهي تنظر لاقفاص ضخمة وباحة خاصة بها مجهزة بوسائل خاصة للاعلاف وسقاية الحيوانات..

رمشت وهي تتساءل بانشداه

" ما هذه الاقفاص ؟ ماذا تنوي أن تفعل هنا ؟ "

يتبسم في وجهها المشدوه وهو يرد " سأفتتح مشروعاً لتربية الدواجن .. وانت شريكتي فيها .. ما رأيك ؟"

تلتفت اليه تحدق في الجدية النابضة في عينيه رغم الابتسامة المداعبة لشفتيه ..

لقد كان جاداً تماماً !

عادت لتنظر للاقفاص وشعرت ببعض الارتباك فتمتمت " فرقد ... انا ... انا .."

كان يعرف ما يجول بخاطرها فطمأنها بالقول

" لا تقلقي .. لن نعيش هنا بشكل دائم ان كان هذا ما يربكك .. متى ما احسست برغبة بالمغادرة بعد ولادة الطفلين ان شاء اللّه سنعود للعاصمة .. ونعود لعملنا في القناة او اي قناة اخرى .."

بدت متحيرة وهي تتساءل

" لكن .. ماذا عن هذا المشروع ؟"

فيرد فرقد شارحاً لها خطته للمستقبل

" لا تقلقي كل شيء محسوب في رأسي ومخطط له .. اولاد اخي ناصر لهم باع طويل في تربية الدواجن وسيتكفلون بالاهتمام بالمزرعة في غيابنا .. "

ما زالت تبدو مشدوهة وهي تعاود النظر للاقفاص الشاغرة .. تتخيل عشرات الصيصان يتراكضون فيها ...

شعرت به يسحبها من جديد ليعودا لمقدمة البيت وهو يقول بصوت أجش

" الآن .. عليك الاهتمام بي .. قليلاً.."

لم تفهم مقصده ولا ما ينتويه اللحظة وهو يقودها حتى باب البيت بخطوات تتعثر بلهفته ثم يفتحه امامها فتأتيها رائحة صباغ الحائط وهي تعبر عتبة الباب ..

اغلق الباب خلفها وهو يهمس بحشرجة

" لا تقلقي .. رائحة الصباغ لن تؤذيكِ.. الشبابيك مفتوحة في.. غرفتنا.."

لكن قلقها كان من امور اخرى وذراعه تلتف حول جسدها يضمها اليه وهو يسير بها في ممر مألوف فتهمس وهي تحاول دفعه

" فرقد .. توقف .."

وصل بها لباب تلك الغرفة التي سكنتها كسجينة يوماً فيفتحها دون تأخير فتتلاشى في لحظة رؤى تلك الايام لتنسج صورة اخرى مختلفة تماما للغرفة ...

جدران الغرفة تم صبغها بلون الحليب وتوزعت بعض الرسوم البسيطة لاشجار البساتين وبضع خراف وغزلان وبلون بني غامق يعكس ألوان الاثاث الجديد ..

همس قرب اذنها واصابعه تحل ازرار عباءتها ليزيحها عنها " نسرين تجيد الرسم .."

سقطت العباءة أرضا وهاجر ترتعش بين ذراعيه وعنف مشاعره التي كبتها لثلاثة اسابيع فلم يقربها الا لقبلات متولهة او حضن دافئ في ظلام الليل ...

كانت تلهث وهو يتمادى بلمساته وقبلاته وتغيم عيناها بنظرات محمومة نحو السرير المزدوج ذو النقوش العربية المحفورة باليد ..

الشبابيك كانت مفتوحة بالفعل فيصلها ذاك الهدوء اللذيذ الذي يشعل مزاج العشاق فيزداد حلاوة بغمامة من اصوات الطيور وحفيف اغصان الشجر ..

كل هذا جعلها تقاوم وهي تتشبث بكتفيه
حتى لا تنهار على صدره ...تذكر نفسها
برعب تلقائي يجب أن توقف هذا لاجل
صغيريها .. يجب أن تقاوم ...

يهاجم مقاومتها تلك بهمسه الحارق وهو يخلع
قميصه عنه هادراً بعنف شوقه الذي لن
يصطبر أكثر " الدكتورة رهف قالت .. لا
مانع على الاطلاق .."

يفتح ربطة شعرها فتسرح اصابعه بين خصلات
النار ويشدها وهو يلفها لفاً حول كفه بينما
تتأوه بعجز لا يخلو من طفيف مقاومة متلاشية
ليوبخها بعتاب العشاق " لقد جعلتني انتظر
ثلاثة اسابيع رغم عدم وجود مانع .. "

يقبل عنقها وهي تشرح بتعثر استسلامها

" اخاف عليهما .. اخاف جددددا .."

يرفع وجهه قليلا ينظر لوجهها المتورد فيعدها
بانفاس متقطعة " اقسم بالله سأكون ..
حذراً.. هاجر .. فقط استرخي .. و.. دعيني
اعشقك..ثلاثة اسابيع مروا كالجحيم ليلة
بعد ليلة "

ضاعت وتركته يفعل ما يشاء..

" فرقد.. فرقــد ..."

همست اسمه مراراً وهي تضعف في حرارة
حضنه ودفء وجوده ...

سأل بخشونة نبرته القروية وهدير عشقه الصاخب " هل اشتقت لحضني ..لقبلاتي .. لغرامي يا حشاشة قلبي ..يا كل الغرام انت "

مسلوبة الارادة ترتعش الكلمات على لسانها

" اشتقت .. اشتقت ..."

صباح اليوم التالي (الخميس)

بشعر ناري مشعث وقميص نوم قطني يصل لركبتيها وفوقه مبذل بنفس الطول تخرج بخفين قطنيين وهي تفرك عينيها من أثر النوم وتنادي بصوت ناعس " فرقد .. فرقد ..."

تسمع رده " انا هنا .. تعالي وساعديني .."

تعبس هاجر قليلا وهي تتحرك باتجاه صوته حتى وجدته يجلس على حجر كبير عاري الصدر يلتفت نحوها مبتسماً بجذل لتشع ابتسامته وتطل نظرات وقحة من عينيه وهو يغازلها بصوت مبحوح " يليق بك العشق يا جنية وكأنك خلقت منه "

تتورد وهي تتذكر يوم الامس وجنونهما معاً معزولين عن كل البشر ..

ابتلعت ريقها وهي تنظر اليه ثم تتلاهى بالنظر لما في يده وهي تسأل

" ماذا تفعل بالمرآة في يدك ؟"

فيرفع بيده الاخرى ماكنة الحلاقة الكهربائية ويقول " أحلق رأسي.."

يغمزها بحرارة وقحة ويضيف

" تعالي.. اريدك ان تحلقي لي بنفسك"

تتحرك بحذر وهي تحاوط بطنها بحركة عفوية حتى وصلت اليه وسط الارض المعشوشبة فتقف خلفه تحذره بالقول

" يجب ان تعلم أني .. لست خبيرة .."

يضحك وهو يسلمها الآلة ويرفع المرآة ليراقب عملها كما يفترض..

شغلت الآلة وانحنت للامام لتمررها بتأن فوق رأسه بينما يدها الاخرى ترتكز على كتفه..

كانت تعبس بتركيز على ما تفعله وهي تسأل بقلة ثقة " هل هكذا جيد ؟!"

لم يكن يراقب حقاً ما تفعله برأسه .. مرآته لم تكن ترى الا خصل شعرها المتدلية التي حاذت كتفه وتلامسه .. تلك الخصل تسرق انفاسه بينما يرد على سؤالها بحشرجة

" امممم .. نعم ..."

يرفع المرآة قليلا لينظر لوجهها ويستمتع بعبوسها وكيف تعض طارف شفتها السفلى بغير رضا ثم تقول بنبرة أسف وهي توقف تشغيل الماكنة

" اظنني حلقت لك بشكل خاطئ ولسبب ما باتت هناك حفر في رأسك .. ماذا تفعل ؟!"

كان هو يمد يده لخصلة شعرها يتلاعب بها
لاه بها عما فعلته هي بما تبقى من شعره فيقول
بصوت أجش " شعرك هذا ... أفٍّ منه ومن
جمال لونه في الصباح .."

تبتسم لغزله لكنها ترد عليه بذكرى من
الماضي

" عندما كنت طفلة .. كان شعري مثار
سخرية الجميع .. الاطفال معي لم يتوقفوا عن
ترديد نفس الفكاهة الساخرة حول كيس
طماطم انفجر في شعري .."

رمى المرآة ارضاً ثم سحبها من معصمها واجلسها
بحذر فوق حجره ينظر لوجهها بحميمة
تقاربهما الفريد هذا قائلا بمزيد من الغزل

" لون شعرك الاحمر مع لون بشرتك
الشاحبة .. آآه .. لا استطيع وصف ما تفعله بي
تلك الخلطة .."

تسبل اهدابها وقلبها سينفجر في صدرها ..

لمسات يديه المميزتين تمنحانها كل
الاكتفاء فتلف ذراعيها حول رقبته ولا تبالي
بفضح تعلقها الكامل به ...

همست له " هناك غرفة مقفلة !"

شعرت لحظة بتوتره قبل أن يسترخي وهو يرد
بنبرة عادية " أجل .. فيها بعض الاغراض ..
ليست لنا .. بعد .."

رفعت عينيها اليه تسأله بفضول

" ماذا تقصد ...؟ "



يراوغها بذكاء وهو يسأل ببشاشة " هل هناك اغراض تحتاجين لاحضارها اليوم؟"

فترد بجدية " مؤكد .. علينا احضار توتو وجوجو و سعيد ..."

يوبخها وهو يدق بسبابته فوق ذقنها قائلا

" كم مرة قلت لك نحن لا نطلق الاسامي على الحيوانات .. خاصة من نربيها للذبح .."

اشتعلت عيناها بالغضب وهي ترد عليه بشراسة

" من سيرفع سكيناً ناحية توتو او جوجو او سعيد سأذبحه بها اقسم باللّه.. "

يضحك وهو يشدها لصدره ويقول بثقة

" سيأتي يوم وتعتادين .."

كانت مغتاظة منه لكنه وأد كل شيء في حضنه الذي تحبه فيهمس لها بلهجته القروية

" الليلة سنسهر في بر الصحراء ... انا وانت فقط.. "

مساء .. عرس منذر ودينا ..

على باب الجناح يقف منذر ببدلة العريس وهو يخفي بصعوبة تململه واحراجه من وقفته وحيداً بينما عروسه تقف على بعد بضعة امتار منذ ثلث ساعة ووالدها يأبى فكاكها!

أخذ الاب يمسد بكفه فوق الوشاح الابيض الحريري الذي يخفي شعر ابنته متسائلا بشجن

" من سيضفر لك شعرك قبل النوم ؟!"

ترفع يدها لكفه تلك فتأخذها وتقربها لشفتيها تلثمها ثم تقول بحشرجة بكاء تكتمه بشق الانفس

" ستضفره لي صباحاً عندما تأتيني لاراك قبل أن نسافر للشمال ..اليس كذلك ؟"

اطلق تنهيدة ليعود لنبرة المشاكسة قائلا

" يا ابنتي هذه فرصتك الاخيرة .."

تضحك بخفوت وعيناها تلمعان بدموع تقاومها وهي تهمس له بنبرة مؤنبة

" يا حجوج !"

يعبس قائلا بنفس النبرة الابوية الغيورة

" صدقيني لا يهمني العرس الذي أقيم ولا الناس الذين حضروه ولا حتى هذا الأحول الذي ارتضيتيه زوجاً ويقف متململاً بانتظارك وكأنه لم ير انثى في حياته .. ان لم تكوني واثقة فـ.."

تقاطعه بخفوت خشية أن يسمع منذر الحوار

" انا واثقة .."

يمط الاب شفتيه وكأنه غير مقتنع ليعبر عن عدم اقتناعه (المفترض) بسؤال مقتضب

" لا تراجع ؟"

تهز دينا رأسها تؤكد بحياء لا يخلو من الثقة..

ما زال عابساً حانق المحيا وهو ينقل نظراته الى عريس ابنته الذي يقف في الممر كتلميذ تم معاقبته ليقف قبالة جدار !

فيقول الاب لابنته كنصيحة اخيرة

" هاتفي جنب رأسي اذا احتجتِ لشيء .. "

تميل لتقبل وجنته ثم تتأبط ذراعه وتسير معه ناحية عريسها ...

العرس كان جميلاً والحضور رائعاً .. حماتها كانت راضية عنها وفخورة بها .. لاول مرة تشعرها فخورة وراضية هكذا .. دوماً اشعرتها بنوع من الرفض لها رغم تعاملها اللطيف ..

حماها طيب القلب وكان يعاملها بتقبل ولطف اكثر من زوجته .. اما حازم وزوجته ناهد فكانا لا يتدخلان بشيء وكأنهما مجرد غريبين .. لكنهما الليلة بدوا فرحين من القلب لاجل منذر ...

منذر ... آآه .. الليلة ستعني لها كل شيء او .. لا شيء ..

اخذت تنظر اليه وهي تسير نحوه برفقة والدها .. كان ينتظرها بلهفة حقيقية ..

كم هي ممتنة له لصبره على والدها وتفهمه لطباعه ..

ابتسمت له وقلبها يخفق بجنون فيرد لها
بابتسامة خاصة ونظرات لامعة تعد بالكثير
الذي يجعلها تحمر خجلا وارتباكاً و.. خوفاً..

قطع عليهما تلك اللحظة صوت والدها الذي
حمل نبرة التهديد " اقسم بالله إن فعلـ..."

صدمت دينا لكن منذر كان سريع البديهة
وكأنه توقع جملة مشابهة من الاب الغيور
ليقاطعه بالوعد الرجولي الصادق " اقسم بالله
سأضعها فوق رأسي ووسط قلبي .."

لكنه لم يسلم من سخرية والدها وقد فاض
احساسه بالغيرة " رأسك فوق وقلبك تحت
في جانب صدرك فكيف ستفعلها يا فهيم ؟!"

أطرق منذر برأسه وهو يكتم ضحكة يائسة
منه بينما تهتف دينا بحنق " ابي ! "

بدا الاب كطفل غير راض عن توبيخه ليقول
وهو ينزع ذراعه من ذراع ابنته ويتكئ
بالكامل على عصاه قائلا " حسن انا ذاهب .."

تغمره ابنته العروس بين ذراعيها لتؤكد عليه
بصوت متحشرج مختنق النبرات تأثرا

" ان احتجت لشيء الليلة فلا تتردد لحظة
بالاتصال .. اي شيء يا ابي اتوسل اليك لا
تكابر واتصل بي .."

يتمتم بصوت خفيض " ليتني احتاج ! ..
لكني لن افسد ليلة زفافك بتدللي عليك "

تضحك دينا بخفوت ودمعات أفلتت منها وهي تشدد من احتضان ابيها بل وتعتصره كأنها تستمد منه كل قوتها ...

سار الاب بمفرده حتى المصعد بعد أن ودع صغيرته وزوجها ..

دموعه اخيرا هطلت واغرقت وجهه ..

ضغط الزر ليطلب المصعد وهو يتمتم بعرفان

" احمدك يا رب واشكر فضلك .. احمدك يا رب واشكر فضلك .. أخيرا زوجت صغيرتي لمن يعرف قيمتها ... "

داخل جناح العروسين .. بعد نصف ساعة ..

لم يكن منذر يشعر بالارتياح اطلاقاً ، ينظر لباب الغرفة حيث أصرت دينا (بغموض) على منحها فترة لتختلي بنفسها ...

فك ربطة عنقه وسحبها بهدوء ثم وضعها على ظهر الاريكة ثم خلع سترته ليطويها ويضعها جوار الربطة ..

كان متحيراً وغير مرتاح في الآن ذاته ..

الاسبوع الاخير مع دينا لم يكن طبيعياً على الاطلاق .. كانت هادئة صامتة وكأنها تعيد التفكير بالامر برمته ...

لكنه لم يدخر جهداً لاظهار تشبثه وتمسكه بها .. بل إنه اظهر ضعفاً امامها دون ان يسيطر على ردات فعله ..

اذا غابت عنه يشتاق لرؤيتها فيركب سيارته ويذهب اليها حتى لو كان الوقت غير مناسب ويتحمل تقريع الحجوج له ، واذا تأخرت بالرد على مكالمة يغضب ويلومها ، اما اذا رآها تكلم زميلاً لها بالعمل فيشتعل غيرة و.. يغضب ايضا ...

كل هذا لانه يشعر .. بعدم الامان !

انها .. ما زالت تفكر وتعيد حساباتها الخاصة..

ابتلع ريقه وهو يتقدم ناحية الباب المغلق فيرفع يده لينقر باصابعه محدثاً صوتاً خافتاً قبل ان يقول " هل انت بخير يا دينا .. لقد بدأت أقلق عليك.. تأخرتِ كثيراً.."

هدوء تام وتسارعت نبضات قلبه عندما طال ذاك الهدوء واوشك ان يناديها مرة اخرى وسيناريوهات في رأسه أنه سيضطر لتحطيم الباب عندما سمع صوتها من خلف الباب يأتيه بنبرة غريبة تماماً وهي تقول بثبات

" سأخرج في الحال .. لكن اريدك أن تبتعد لخطوتين عني .. وتعدني بألا تقترب حتى اقول لك كل ما اريد وتسمعه جيدا"

هذه المرة نبضاته تسارعت بجنون الخوف
بينما يتمتم " حاضر ..."

يتراجع للخلف خطوتين والباب يُفتح اخيراً..

الانطباع الاول طمأنه بل.. رفع معنوياته جدا
واثقل انفاسه انجذاباً تلقائيا اليها ...

لكنه يتلقى اشارات غريبة منها ولا يفهمها ..

سمرتها شعت بقميص نوم حريري طويل بلون
زهري فاتح وشعرها الداكن الطويل مصفف
بشكل جميل ومحلول بحرية على خلف
كتفيها ...

تغطي كتفيها بوشاح شبه شفاف من نفس
اللون لكنه استطاع التمييز عبر شفافيته ان
قميص النوم بحمالات رفيعة عند الكتفين ..

اصابعها متشنجة وهي تتشبث بطرفي الوشاح
عند مقدمة صدرها مما يجعله يتوتر ويتشتت
عن احساسه بها كانثى ...

رفع نظراته لوجهها يبحث عن اجابة فيتوه
قلبه وهو ينظر لعينيها الواسعتين
الـ..خائفتين!

سألها وهو يقاوم ليفي بوعده بألا يقترب

" ماذا هناك دينا ..؟"

كانت تبدو رابطة الجأش تشع بشيء آخر
يفوق جاذبية انثى في ليلة عرسها ..

تشع بالشجاعة .. شجاعتها هذه تخلب لبه..

شجاعتها دوماً في الحق .. في العدل ...في
المواجهة.. في الصبر على الابتلاء...

ابتلعت ريقها بشكل ملحوظ دون ان يخفت توهج شجاعتها ثم ... قالت بصوت ثابت عازم

" ربما ستستغرب ما سأفعله اللحظة ويعلم اللّه كم احتاج من قوة لأقهر حيائي وخجلي كي أفعله.."

في لحظة اسقطت الوشاح عن كتفيها لتتكشف امامه كما لم يرها من قبل ...

كان مأخوذاً بما فعلت وعيناه تمران فوق كتفيها العاريين .. الايسر املس ناعم بسمرة شهية والآخر ... جزء منه بقدر مساحة راحة الكف متعرج .. مشوه بشكل طفيف ..

بينما هو يحدق دون أن يفقه ما تريده منه كانت هي تضيف لتوضح

" هناك بعض الكريمات التي تخفي.. عيوب البشرة .. نصحتني بها طبيبة المعالجة بالليزر بل واعطتني واحداً لاجل .. ليلة عرسي.. لكني لم استخدمه .. اريدك ان تمعن النظر هكذا وتستوعب حقيقة ما تراه لانك ستراه لوقت طويل اذا .. اخترت أن تكمل طريقك معي .. "

ألم قاتل اوجع قلبه وهي تقف فخورة شجاعة امامه هكذا وتقول المزيد " إن اخفيته عنك الليلة سينكشف غدا .. لذلك عليك ان تعرف الحقيقة .. اقصد .. عليك ان تراها بعينيك وتحكم بنفسك .. "

رفعت ذراعيها المغريين لتلم شعرها الكثيف وتجمعه كله فوق كتفها الايسر السليم

تاركة الايمن مكشوفاً أكثر تحت اضاءة الجناح البراقة .. ثم أرخت ذراعيها الى جانبيها قائلة بقرار لا رجعة فيه ولا في جديته " لن تلمسني الليلة ولن أكون لك الا اذا شعرت وصدقت أنك تتقبلني هكذا... "

ما زال صامتاً يسمعها وعيناه تمران ببطء فوق كتفها الايمن ثم تصعدان لعنقها ليلمح أثرا بسيطا جدا من بقعة صغيرة رآها مرارا حتى نسي وجودها ثم تعود عيناه لتهبطا الى كتفها الايمن وهو يسمعها تضيف ببعض التوتر هذه المرة وكأنها استنزفت شجاعتها

" صدقني انا قوية كفاية لاتقبل انهاء الامر الآن .. لكن .. ان اصبحت زوجتك حقا فلن احتمل ان تصد عيناك عني .. مشمئزا او كارهاً لما تراه .."

رفع عينيه اخيرا لعينيها قائلا بصوت أجش " هل استطيع أن اقترب الآن؟"

ارتعشت شفتاها اللامعتان بأحمر شفاه بلون التوت بينما تهز رأسها بـ(نعم) ...

اقترب منذر وقلبه يخفق بعاطفة طاغية كأنها اجراس الفرح تقرع لتغني حواسه على انغامها فتحكي حكاية اخرى مختلفة عن كل حكاوي العشق والهوى ..

وقف امامها يرفع كفيه بارتعاشة شوق لم تفهمها هي وتلك البراءة الفاتنة تشع من عينيها ..

يبتسم وتلتمع عيناه الرماديتان عندما رآها تغمض عينيها حالما لامست كفاه جانبي عنقها..

ثم يمرر ببطء راحتي كفيه من عنقها الى كتفيها .. الايمن والايسر .. لا يهم ان كان احدهما مختلف بملمسه ومنظره عن الآخر .. كلاهما يعود لامرأته وعروسه وبهجة قلبه ...

كان يزيح الحمالتين بوقت واحد ليتدليا على اعلى ذراعيها فتهمس باعتراض عفوي

" لا .. لحظة .. من فضلك.."

لم يعد يستمع اليها وهو ينحني ليلمس بقبلته اول جزء منها ..

تلك البقعة التي تخشاها من الكتف الايمن..

تأوه شوقاً ومشاعره تتفجر دفعة واحدة لتزداد قبلاته جرأة وحرارة وهو يلف ذراعيه بتملك حار حولها يشدها اليه بتشبث عاشق بينما هي ما زالت تعترض بخجل وحياء ليهمس بضجيج المشاعر الحارة التي أفلتت منهما معاً

" ابدا حكايتنا ليست ككل الحكاوي.."

ختام الجمرات .. عشق الجنيات

بعد اسابيع .. بداية صيف لاهب..

بيت الشيخ عبد الجبار

يجالس فرقد أمه صباحاً وباله شارد قلق..

ناولته امه فنجان قهوة وهي تقول له

" لا تقلق عليها ، انها قوية البنية "

فيرد فرقد " منذ يومين ووجهها لا يعجبني اماه ، وكأنها ليست هي .. ذابلة منهكة شاحبة.."

اخذ يرتشف من قهوته وامه تشرح له " انها على وشك الولادة بني صدقني .. وجهها يخبرني أنها ستلد اليوم او غداً .. الحمد لله أنكما قررتما المبيت عندنا منذ ليلة الامس ، افضل من البقاء في المزرعة البعيدة .."

يعبس فرقد وهو ينظر اليها ويقول

" انها عنيدة وتصر على الولادة هنا في بيت الشيخ ، ترفض الذهاب للمركز الصحي او المستشفى في الناحية القريبة من القرية .. لا اعرف ما..."

قاطع جملته دخول دون استئذان من احدى الخادمات وهي تقول بصوت هلع

" عجمية تصرخ في غرفتها !"

أوقع فرقد الفنجان من يده ارضا لتتسكب القهوة على السجاد وهبّ واقفا ليركض مغادرا غرفة الجلوس نحو الدرج ...

يهرول فرقد صعوداً على السلالم في نفس اللحظة التي كانت فيها العمة عجمية تدخل من باب بيت الشيخ متكئة على ذراع كنتها نسرين ...

غرفة هاجر وفرقد

يكاد يجن وهو ينحني نحوها ينظر للعرق المتصبب من جبينها بينما تمسك بيد امه التي تجلس جوارها وتشد عليها من الألم الذي تشعره فيحاول لآخر مرة معها قائلا بغضب وحنق " لا تكوني عنيدة يا هاجر .. دعينا نذهب للمركز الطبي او المستشفى العام القريب.."

تهز رأسها يميناً وشمالا ترفض مرة جديدة وهي تقول " لا .. لن ألد طفليّ الا هنا .. والدكتورة رهف تعرف ..فقط احضرها ..."

تقف نسرين جوارها وهي تنظر بقلق اليها بينما الشيخة نزهت تحثه بالقول " يا ولدي اذهب واحضر الطبيبة .. لا تخف .. انت وكل اخوتك واخواتك ولدتكم في هذا البيت.."

العمة عجمية التي اذهلت الكل بحضورها تحمل مبخرة في يدها والدخان يتطاير منها فتقول بنبرتها العجيبة

" اذهب يا ابن عبد الجبار.. انت تناطح الجدران .. عِجميتك ستلد طفليك هنا .."

أخذ فرقد يشتم وهو يبتعد مغادرا الغرفة ليركض مهرولا نزولا للطابق الارضي بينما العمة عجمية تتحرك بخفة في انحاء الغرفة تقرأ سورة الرحمن ...

جلست نسرين جوار هاجر لتمسك بيدها الاخرى وتشد عليها بينما الشيخة نزهت تنظر بعبوس ناحية العمة عجمية الذي علا صوتها بالايات الكريمة لتمتم متسائلة

" ما الذي احضرها ؟! "

تهز نسرين كتفيها وهي ترد بخفوت على امها

" منذ الصباح الباكر استيقظت على حين غرة تطالب عبد الملك بإلحاح واصرار ان يأتي بها هنا حتى تحضر ولادة طفليّ هاجر .."

تحدق نزهت بالجسد الضئيل الذي يوحي بالتهالك فتقول بعجب

" كيف دبّت فيها القوة وهي لا تغادر الفراش منذ أمد بعيد ! سبحان اللّه .. حقا يُحيي العظام وهي رميم.."

ارتفع صوت العمة من وسط الغرفة لتوقف قراءتها للقرآن وهي تزجر الشيخة نزهت

" صه يا نزهت .. تشوشين علي وانت ترمقينني بعينيك الحاسدتين هاتين.."

تعبس نزهت بغيظ بينما تعود العمة عجمية لتحرك مبخرتها بشكل دورانيّ وهي تقرأ من جديد سورة الرحمن التي تحفظها عن ظهر غيب ..



عينا هاجر لا تفارقان العمة عجمية كما الآلآم المبرحة التي لا تفارق جسدها ..

العرق يتصبب منها لكن صوت العمة وهي تقرأ الايات يمدها بالقوة فتنظر لبطنها وتهمس لصغيريها بشجاعة " ستكونان بخير .. اصبرا معي وكونا قويين .. وستكونان بخير .."

المركز الطبي ..

تسير رهف في ممر قصير داخل المركز الطبي عندما اوقفتها احدى الممرضات تسألها عن حالة معينة فتذهب معها حتى مقدمة المركز حيث موظفة الاستقبال تتجادل مع مراجع فتتدخل رهف لتحل الاشكال وبعد أن تفرق الجميع التفتت رهف لتعود للممر حيث غرفة المعاينة التي تفحص فيها المرضى عندما لمحت عيناها هيئة رجل يقف مسمراً عند بوابة المركز المفتوحة على مصراعيها امام المراجعين ...

توسط بوقفته الغريبة تلك بوابة المركز بملابسه الداكنة .. ضيّقت رهف عينيها بفضول عفوي تحاول ان تتعرف ملامحه لكن عبثاً فضوء الشمس خلف ظهره جعلت ملامحه مظلمة وتمييزها مستحيلاً ...

لكن احساس غريب انتابها وهي تحدق فيه ..

احساس أنه ينظر اليها هي تحديداً ..

احساس أنه يعرفها .. وأنها ... تعرفه !

دون تفكير خطت نحوه ليخفق قلبها بشكل عجيب عندما تحرك هو الآخر نحوها مباشرة وفي لحظة مذهلة صادمة ظهرت ملامحه المحفورة بخيالها منذ المراهقة لتهمس بهلع تلقائي " فراس ! ماذا تفعل هنا ؟"

كانت تبذل جهداً جباراً حتى لا تفقد سيطرتها على مشاعرها امامه .. فتحاول التشبث باستعادة قناع الهدوء خاصة وهو ينظر اليها بتلك الطريقة التي تحمل الكثير من... السخرية !

ظل ينظر نحو عينيها لفترة طويلة وتذكرت مرة عندما تغزل بعينيها قائلا

(عيون الريم .. كان حريّ بوالديك تسميتك ريم لا رهف ..)

نحت بحزم كل ذكرياتها لتواجهه بتصلب وهي تضع يديها في جيبي مريولها الابيض لتعيد سؤالها بصوت ثابت النبرات

" ماذا تفعل هنا يا فراس ؟"

نفس قصير اطلقه مع ابتسامة ساخرة ليرد عليها بنبرة باردة فيها بعض القسوة

" انا الطبيب الجديد الذي سيفتتح عيادة للاطفال .. ألم تسمعي بها يا .. دكتورة ؟ "

عقدت حاجبيها وهي تتساءل ببعض العجب

" الاطفال !؟ "

فيرد بمزيد من السخرية وكلمات تحمل معانٍ مبطنة " نعم الاطفال .. فيبدو اني أجذبهم وأجيد التعامل معهم ... يحبونني بالفطرة .."

ثم يعاود التحديق بعينيها مضيفاً بصوت هامس يحمل رائحة ذكرياتها المخجلة معه

" خاصة المراهقين منهم ..."

هذه الذكرى من حياتها وهي مراهقة متعلقة عاطفياً بخطيب اختها كم تود لو تمحوها !

لقد حاولت ان تتجاوزها ونجحت بالفعل حتى عاد فراس لحياتها وهي طالبة جامعية ..

ثم .. حصل ما حصل لتصيبها الذكرى بمزيد من الخزي والندم ومحاسبة الذات بقسوة ..

دون شعورها قالت بتوتر وحنق " لماذا هنا ؟ لماذا في قرية الشيوخ تحديدا؟ لقد انتهى الموضوع بيننا منذ عامين .."

توتر هو الاخر ونظراته اصبحت حادة ...

لم يقل شيئا ليرد على كلماتها تلك ...

لماذا لا يتركها وشأنها .. لما لا ينسى ويدعها تحاول النسيان من جديد ...؟

فجأة سألت " هل امي من اخبرتك اين نحن ؟"

اقترب منها ليقول من بين اسنانه وقد بدا غاضبا " انت تعرفين أن والدتك لن تفعل .."

لكنها كانت غاضبة مثله فتصر " اذن من ؟!"

فيصدمها بالرد الساخر " ربما اختك مرام ..."

عندما نطق اسم اختها .. وجع .. وجع رهيب اعتصر قلبها عصرا...

كانت الغصة تخنقها وهي تطرق بنظراتها وتقول بصوت خافت

" هذا لن يغير شيئا يا فراس .."

وقبل أن يرد عليها رن هاتفها النقال فسارعت لاخراجه من جيبها علها تجد فيه خلاصاً ومهرباً من هذا الوضع الجديد حتى تفكر فيه بروية وتجد حلا ..

كل حواسها المهنية كطبيبة تأهبت عندما رأت المتصل هو فرقد الشيخ ..

فتحت الخط مباشرة وجاءها صوت ابن الشيخ في قمة التوتر

" دكتورة رهف أنا قادم لاخذك.. هاجر حالتها صعبة وتصر على ان تلد في بيت والدي الشيخ.."

فترد عليه وهي تتحرك آليا نحو غرفة المعاينة

" لا تقلق .. لقد اخبرتني بطلبها وانا مستعدة لهذا ونتمنى ان تسير الامور بخير .. سأجهز نفسي وانتظرك عند باب المركز .."

اغلقت الخط وهي تتحرك مبتعدة عن فراس وهي تعتذر منه بالقول " يجب أن أذهب حالا .. انها حالة طارئة ومريضتي على وشك ولادة توأمها في بيت الشيخ "

لم تشعر بخيال فراس وهو يتبع خطواتها لكن صوته أجفلها عند باب غرفة المعاينة وهو يقول " سأوصلك بنفسي .."

التفتت اليه وهي تمسك بمقبض الباب تقول بحيرة " لكن زوجها قادم .."

فيعبس فراس ويظهر جانبه الحازم العملي كطبيب محترف قائلا

" حالتها طارئة فلا تعاندي يا دكتورة رهف .. الاولى ان تصلي اليها باسرع وقت .."

عندها اتخذت رهف قراراً سريعا قائلة

" حسن .. هيا بنا .. سأتصل في الطريق بزوجها ليعود ادراجه .."

بعد ساعات ...

غرفة الضيوف .. بيت الشيخ

وسط ضجيج الزغاريد بولادة توأم آل الشيوخ التي عمت أرجاء البيت الكبير يجلس فراس على احدى الارائك المنخفضة بتصميم متصل كـ (مجلس عربي الطابع) ، وحيداً في غرفة الضيوف حيث تركه أهل البيت منشغلين بولادة الحفيدين، فقط خادمة صبية تهتم به وتكرم ضيافته ، وها هو يشرب قهوته للمرة الرابعة مكتفياً بها رافضا اي شيء آخر قدمته له تلك الخادمة ..



ساهم عابس معتل المزاج مثقل بافكاره الخاصة ...

لم يكن قد غادر بيت الشيخ منذ أن أوصل رهف الى حالتها الطارئة وطلب من الخادمة ان تبلغ الطبيبة اذا سنحت الفرصة لتكلمها بأنه بانتظارها ليعيدها بنفسه للمركز الصحي ..

رغم كل شيء كان فخوراً بها وبانجازها اليوم وقد ساعدت امرأة على انجاب توأم بشكل طبيعي ..

يكاد يجزم أنها المرة الاولى لها لتتعامل مع وضع كهذا ولكنها لم تخف ولم ترتبك ، الخادمة لم تتوقف عن وصفها له كيف كانت ثابتة الجأش .. واثقة وحازمة في تعليماتها حتى اخرجت الطفلين من رحم امهما واحدا بعد الآخر.. ولد ثم بنت.. كما اخبرته الخادمة مفصلاً ...

آل الشيوخ سيرفعون رهف الى عنان السماء امتناناً وعرفاناً ..

فجأة انفتح الباب وظن فراس أنها الخادمة من جديد لكنه تفاجأ بدخول امرأة غريبة عجوز نحيلة ضئيلة .. بيدها مبخرة يتطاير منها الدخان ..!

وقف فراس على قدميه احتراماً وهو يضع فنجانه جانباً ويلقي التحية لكن العجوز لم تنظر نحوه على الاطلاق فقط أكتفت بأن لوحت له بيدها حتى يعاود الجلوس ..

لم تمر لحظة ودخلت الخادمة في اعقاب العجوز تناديها بارتباك واضطراب

" يا عمة .. هذه مجلس الضيوف للرجال .."

لكن العجوز تزجرها قائلة

" اتركيني وشأني أنا اجلس حيث اريد .."

برمت الخادمة شفتيها لتتركها وتمضي وهي تدمدم غاضبة بكلمات غير مفهومة ..

كان فراس هو الآخر محرجاً بعض الشيء لوجوده هنا من الاصل خاصة وأنه جديد على القرية ولا يعرفه أحد ولم تتم دعوته من اهل الدار لكنه لم يستطع المغادرة وقد آثر البقاء قلقاً على... رهف ...

توليد امرأة حامل بطفلين في البيت ليس هيناً على الاطلاق وفيه مسؤولية عظيمة وكان يجب أن يبقى في حال احتاجت رهف لمساعدة منه ...

عاود النظر باهتمام للعجوز وتصرف بلياقة وانتظرها حتى جلست هي اولا ليجلس هو ..

كانت قد اختارت ان تجلس قبالته تماماً وهي تضع مبخرتها امامها على الارض .. ثم .. رفعت وجهها اليه ...

الدخان يتطاير فيضبب ذاك الوجه المتجعد البشرة فلا تبدو ملامحها الا كهالات ملامح غير حقيقية .. بل اقرب لخيال غامض..

كان يفترض أن يغض البصر لكن شيء ما اقوى منه جذبه ليواصل النظر اليها خاصة وهي تبادله النظرات !

وسط الدخان تقدح عيناها بلون ازرق رهيب لم ير له مثيلاً في حياته ..

ثم جاء صوتها بنبرة عجيبة

" ماذا تحمل في قلبك يا طبيب ؟!"

ارتفع حاجبا فراس وهو يتمتم متسائلا

" ماذا ؟!"

تشمخ العجوز بنظرة اشد توهجاً قائلة بنبرة أعجب

" دعنا ... نرى ...! "

بعد نصف ساعة خرجت العمة عجمية من غرفة الجلوس تترنح وقد انطفأت مبخرتها كما انطفأت قوتها ووسط الباحة الداخلية للبيت قريباً من الدرج اخذت تنادي بحنق على كنّتها لتأتيها نسرين مهرولة نزولاً على الدرج حتى وصلت اليها فاتكأت العمة على ذراعها قائلة بوهن رغم حنقها " لقد تعبت وانت تتركيني بمفردي .. اين عبد الملك ؟"

في نفس اللحظة من الباب الامامي المفتوح لبيت الشيخ أطل صاحب الدار بهيبته ومعه ولده ناصر وابن اخيه عبد الملك لتنظر اليهم العمة عجمية نظرة مائلة وهي تمد كفها نحو ولدها بنداء صامت بينما تسلم مبخرتها باليد الاخرى لكنّتها نسرين ..

يقطع عبد الملك خطواته نحو أمه يمسك بكفها ويحاوط جسدها الصغير بذراعه الاخرى حتى أوشك أن يرفعها عن الارض ..

يسير بها وهو يقبل رأسها حتى حاذوا الشيخ عبد الجبار الذي ما زال يقف مكانه مهيباً عند الباب وجواره ابنه الاكبر ..

بملامحه المتحجرة ألقى التحية للعمة عجمية

" كيف حالك يا عِجمية ؟"

لم ترد العمة تحيته فقط قالت

" حظيت بحفيدين يا ابا ناصر .. ليسا كأي حفيدين رأيتهما من قبل .. إنهما البارق وآلاء .."

للحظة خاطفة ارتعشت نظرة تأثر في عيني الشيخ لكنه كان جلداً كفاية ليخفيها عن الجميع عدا تلك العجوز العجمية التي رأتها...فأخذت تدمدم

" وعد مكتوب .. وعد مكتوب .."

تكمل العمة طريقها لتغادر مع ولدها بينما نسرين تخبر زوجها أنها ستبيت الليلة للعناية بهاجر وتوأميها ...

يتحرك الشيخ بمهابته ناحية الدرج عندما نزلت امامه شابة بوشاح خفيف يغطي شعرها الداكن بشكل جزئي لكن الوشاح منحها منظراً محتشما وقد عرفها الشيخ أنها طبيبة المركز ...

كانت محتشمة الملبس ايضا لكن مؤكد انها لا تشبه ملابس نساء القرية ...

انتظرها حتى نزلت فحيته وباركت له فيشكرها ويثني عليها ثم التفت لولده ناصر يطلب منه ارجاع الطبيبة للمركز فيتفاجأ الشيخ بصوت رجل غريب من عند باب مجلس الضيوف وهو يقول " السلام عليكم .."

التفت الشيخ عاقد الحاجبين وهو يتساءل

" من أنت ؟! وكيف دخلت ؟"

ترتبك الدكتورة رهف وهي ترد عنه

" اسفة يا شيخ .. انه الطبيب الجديد الذي سيفتتح عيادة الاطفال في القرية .. كان معي في المركز عندما طلبوني لاجل هاجر فعرض ايصالي الى هنا بنفسه.."

هز الشيخ عبد الجبار رأسه وهو يقول مُرحباً يضيق الشيخ عينيه بينما يتقدم فراس باحترام وهو يمد يده مصافحاً

" مرحباً يا شيخ .. انا الدكتور فراس .. اعتذر لتطفلي في بيتك دون وجودك .. لكنها كانت حالة طارئة وأردت المساعدة .."

صافحه الشيخ وهو ينظر اليه ثم يستدرك بالقول " أنت الذي كلمني عنه الشيخ عمران.. صحيح ؟"

فيؤكد له فراس " نعم يا شيخ .. الشيخ عمران الاسدي جازاه اللّه خيراً ساعدني لاحصل على بيت صغير حتى أحوله لعيادة خاصة .."

" حللت اهلا ونزلت سهلا .. قرية الشيوخ ممتنة لافتتاحك العيادة فيها .."

يتبسم فراس باحترام ويتمتم بعبارة مجاملة بينما تراقبه رهف بقلب مقبوض خاصة وقد بدا لها شاحباً بشكل غريب ونظراته ليست ثابتة تماماً !

عيناه اصطدمتا بعينيها فثار فيهما وهج فتشيح رهف بنظراتها بعيدا بينما يسألها فراس بهدوء

" هل انت جاهزة للمغادرة ؟"

تكتفي رهف بهز رأسها وقد تملكها الإنهاك الكامل فلم تكن في حال يسمح لها بالتفكير بما سيحصل مع فراس وحقيقة مجيئه وبقائه هنا في قرية الشيوخ ...

خرج الدكتور فراس من بيت الشيخ شارد النظرات بافكار بعيدة عن الجميع الا من عجوز غريبة تواصلت معه بطريقة مبهمة...

تتبعه رهف بخطواتها فتشعر بالاضطراب فجأة وهي تفكر كيف ستخبر امها ؟!

غرفة هاجر ...

كانت اخوات فرقد يشعرن بالغيرة وهنّ يرون امهن تطعم (عجمية) بيدها ! احداهن ثار غيظها لتعلق على المولود الأصهب قائلة بسخرية " هذا الصغير سيكون اضحوكة قرية الشيوخ بشعره هذا ولون بشرته! "

هدرت الشيخة نزهت " سأقطع بيدي لسان كل من يمس ابن فرقد الشيخ بكلمة .. واول الألسنة لسانك انتِ يا ابنة بطني.."

انخرست الالسن لكن نظراتهن تشع بمزيد من الغيرة ..

تدخل نسرين الغرفة وهي تنظر لهاجر المرهقة في سريرها فتقول بضحكة مكتومة بينما تنقل نظراتها لاخواتها

" فرقد يريد رؤية التوأم وقد ضاق ذرعاً بوجودنا هنا .."

حنقت الاخوات أكثر وكل واحدة قالت انها مغادرة لبيتها بينما تسلم الشيخة نزهت صحن الحساء لابنتها نسرين وهي تقول بابتسامة فخورة لكنتها

" يحق لابن الشيوخ الفخر بكِ يا عجمية .. كنتِ افضل النساء اللواتي شهدتُ انجابهن لاطفالهن .. قوية ثابتة تتحمل بصمود .. لم تخيبي ظني .. وقد افرحك الله بتوأم هما قرة عين لك ولابيهما ولنا جميعاً.."

تدمع عينا هاجر وتخنقها العبرة ...

بينما تنحني حماتها لتقبل جبينها وهي تقول

" سنحضر لك عشاء يملأ صدرك بالحليب.."

تتورد وهي ترخي اهدابها بوهن ...

تنظر لولديها النائمين جوارها وتكاد لا تصدق نجاتها معهما ...

لم تكن تفكر للحظة أنها تريد النجاة .. لم تكن تريد الا ان ينجوا بصحة وعافية ودفء عزوتهما وعشيرتهما ...

كانت شديدة الوهن .. مستنزفة تكاد لا تقو على رفع يدها ... لكنها حركت اناملها لتصل لخد ولدها تداعبه وتلامس شعراته الخفيفة الحمراء ثم تمرر اناملها فوق حاجبيه المعقودين لتهمس له بابتسامة

" لا تكن جدياً هكذا يا ابن الشيوخ .. ما زلت في المهد لتتجهم في وجه الدنيا هكذا.."

وقبل أن تداعب ابنتها كان فرقد يدخل وهو يغلق الباب بحركة عنيفة بعض الشيء !

التفتت اليه توبخه بصوتها الواهن

" الا تستطيع ان تغلق الباب دون ان تفزع الصغيرين ؟!"

لم تكن قد رأته الا بعد الولادة مباشرة عندما دخل كالمجنون ليتأكد من سلامتهم جميعاً ثم لم تعد تشعر بشيء وقد تملكها احساس بالارتخاء وعدم القدرة على التركيز..

المخاض استمر لعدة ساعات عصيبة حتى تمت الولادة بسلام .. لا تريد الآن أن تفكر بكل الآلآم التي واجهتها .. كله يهون لاجل طفليها الحبيبين ..

لم تشعر الا بفرقد يجلس بعنف جوارها وهو يهدر بعنف شديد " لن انسى لك طوال حياتي ما فعلته بي اليوم.. "

كانت تعلم عمّ يوبخها .. كانت تعلم بغضبه الشديد منها لأنها اصرت على الولادة في بيت الشيخ .. قالت تبرر له وهي تنظر اليه بعينين ناعستين من شدة الوهن

" كان يجب ان يولدا بسلام .."

هتف بها وهو يسحق اسنانه " هل انت مجنونة؟! اي سلام هذا ؟! لقد عرضتِ حياتك وحياتهما للخطر ..."

تميل بنظراتها لصغيريها وهي تهمس بيقين عجيب " لا يهم حياتي انا فعلت هذا لاجل حياتهما.. الحلم .. ذاك الحلم كان يجب أن يتحقق .. "

اتسعت عينا فرقد من شدة ذهوله ثم يقول بمزيد من الغضب والعنف " حلم ؟! لاجل ذاك الحلم؟! اقسم بالله ان العمة عجمية مستك ببعض جنونها وخرافاتها ..."

عبست وهي تعاود النظر اليه قائلة بحنق

" لا تقل عنها هذا .."

امسك بذراعها وحدق في وجهها الذابل ليقول بغضب أشد " بل اقول وأكثر ! لقد جعلتني اتشاجر مع المستشفى حتى اجبرهم على ارسال سيارة اسعاف فقط لتكون حاضرة هنا لو حصل ...مكروه... لا قدر الله"

كان يختنق وهو يقول اخر جملة فترد عليه بصوت خفيض رقيق لا تخلو نبراته من العناد

" لم يحصل مكروه وانا وولديك بألف خير.."

زمّ شفتيه وعيناه تمران فوق وجهها فيشعر برغبة لخنقها ! زفر بقوة ثم قال بغيظ

" لا فائدة .. عنيدة وستظلين هكذا .. تتصرفين بحمق وتعرضين نفسك للاسوأ ولا تعترفين بالخطأ .."

طرق على الباب قطع عليهما مشاحناتهما ليقف فرقد على قدميه ويتحرك ناحية الباب ويفتحه ...

كان والده .. الشيخ عبد الجبار ..

يدخل الشيخ مرفوع الرأس ثم يقترب من سرير هاجر ينظر اليها والى ولديها ...

قال بنبرته القوية " مبارك لكما ما اعطاكما رب العباد .. "

يميل فرقد ليقبل يد ابيه بينما تتمتم هاجر

" بارك اللّه في عمرك يا شيخنا .."

شبح ابتسامة مرت على شفتي الشيخ قبل ان يركز بنظراته على الطفلين فتتسع عيناه بشكل طفيف قبل أن يسأل ولده

" ماذا اسميتهما ؟"

فتحت هاجر فمها لترد لكن فرقد سبقها قائلا

" البارق وآلاء .."

يضيق الشيخ عينيه ثم يقول بما يشبه الفكاهة السرية

" اذن صدقت تلك العجوز .."

ثم أمر ولده بالقول " اعطني البارق ..."

تقدم فرقد من السرير وبدت هاجر خائفة من فكرة أن يحمل احدهم صغيرها فقالت له بارتعاب " هل انت متأكد من قدرتك على حمله ؟"

يضحك فرقد مجلجلا وهو يطمئنها بالقول

" لقد حملت عشرات الاطفال قبله .."

ما زالت غير مطمئنة وتراقبه بوجل وهو ينحني ليحمل (البارق) بخبرة واضحة !

ثم تحرك وهو يمطره بالقبل حتى سلمه لجده فيأخذه الجد في حضنه وينحني ليلثمه ثم يقول وهو يحدق فيه

" إنه احمر الشعر .. شاحب البشرة ..! ليت عمري لقد اقتحمت عجميتك عروقك والتحمت بدمك .."

احمرت هاجر بينما يبتسم فرقد بلا مبالاة ليتحرك الجد مستديراً وهو ما زال يحمل الحفيد الاصهب مضيفاً " تعال معي .. قرية الشيوخ ينتظرون رؤية الحفيد الجديد .. هذا العابس سيكون له شأناً بينهم .."

ارادت هاجر ان تعترض لكن نظرة صارمة من فرقد اخرستها لتبتلع ريقها وهي توصيه

" لا تتاخر بارجاعه .. ارجوك .."

غادر فرقد مع والده الشيخ الذي يحمل ولده ويغلق الباب خلفه ...

تقترب هاجر من صغيرتها النائمة ترمقها بعشق امومي وهي تحدق بجمال وجهها الفتّان ..

همست لها وهي تلثم جبينها الناعم

" لا تخافي يا لولا .. إنهم يحبونك كأخيك البارق .. لكنهم فقط لا يحبون كشف نسائهم امام الغرباء .. "

تضحك بخفة وتغمض عينيها بارتياح وتهمس

" انت والبارق معاً ستكونان شمعة قرية آل الشيوخ .. الحمد للّه أنه رزقني بكما .."

تكاد تغفو وهي لا تكف عن الحمد حتى سالت دمعتها وهي تستسلم لسلطان النوم ..

لا تعرف كم مر على اغفاءتها تلك عندما شعرت بمن يمسح على خدها فتبتسم طواعياً وهي تسمع صوت فرقد يهمس لها

" استيقظي يا حشاشة قلبي.. هناك من يريد مكالمتك .."

فتحت عينيها واول ما فعلته كانت تبحث عن طفليها فلا تجدهما جوارها فتهلع بينما يطمئنها فرقد بالقول " لا تخافي .. البارق نائم جوار اخته في سرير جاءهما هدية من عبد الملك .. امي سقتهما ماء وسكر .. وقالت عندما تتغذين سترضعينهما من صدرك .."

تبتسم ابتسامة واسعة هذه المرة وهي تنظر لهاتفها في يد فرقد فتسأل بتوقع

" هل هذا عمي طاهر ؟"

صمت فرقد للحظة قبل أن يقول " عمك اتصل بالفعل لكنه عندما علم انك نائمة قال سيتصل بك لاحقاً .. "

عبست تتساءل " اذن من يتصل؟ لا بد أنها سهر"

فيهز رأسها نفياً ثم يخبرها بهدوء

" بل انه .. والدك .."

تجمدت ملامح هاجر واحساس فظيع تجمع كعقدة في صدرها لتهمس له بحشرجة وهي تحدق في الهاتف " هل .. انت من اتصلت به ؟"

فيهز رأسه نفياً ويقول وهو يمد يده ليمسد فوق شعرها " لا .. هو من اتصل .. مؤكد عمك من أخبره .. ما زلت اضعه على الانتظار واذا لم تريدي مكالمته استطيع اخباره انك نائمة "

ترتجف شفتاها وتتجمع الدموع في عينيها فلم يحتمل فرقد ليقول من بين اسنانه

" اقسم اذا انزلتِ دمعة واحدة على خدك الآن سأعاود الرد عليه بنفسي وأخبره أن يذهب للجحيم بأبوته التعيسة ! "

تعض شفتيها وهي تقاوم دموعها ، منذ اخر مرة اتصلت به من اسطنبول تطلب مساعدته ولم تسمع صوته ولم يسأل .. والمؤلم أكثر أنها لم تكن تنتظر منه أن يسأل ...

عمها طاهر وحده من منحها دعم العائلة ..
حتى إنه زارها اكثر من مرة في بيت المزرعة
وكان سعيداً جدا لاجلها ...

تذكرت في آخر مرة ما قال لها " العائلة وصلة
الرحم هي الاهم يا ابنتي .. فلا تغلقي اي باب
بينك وبين والدك اذا اراد يوماً ان يفتحه ..
ولا تذمي افعاله امام زوجك فأنت من والدك
وهو منك .. وزوجك مهما احبك واسندك
يجب أن يعرف ان له حدوداً لا يتجاوزها
معك.."

ابتلعت ريقها وابتلعت معها غصتها وتلك
العقدة التي خنقت صدرها ثم قالت برباطة
جأش " دعني أكلمه ..."

للحظة تردد فرقد قبل ان يسلمها الهاتف وقبل
ان تفعّل الاتصال طلبت منه

" دعني بمفردي معه يا فرقد .."

ولم يخيب فرقد ظنها و... أصر على البقاء !

تنهدت باحباط منه ومن أفعاله .. دوماً يفرض
ارادته ويتدخل بتفاصيل حياتها ويفرض
وجوده في تلك التفاصيل بكل غرور
واستبداد حتى وإن كانت لا تخصه .. يكفيه
أنها تخصها ..

لا يتردد حتى بالاستماع لحواراتها الخاصة مع
سهر إن سنحت له الفرصة ومهما اعترضت او
رفضت لا يرتدع وكأنها تناطح الصخر ..

أخذت نفساً عميقاً ثم فعّلت الاتصال مع ابيها لتغمض عينيها وهي تتكلم بصوت هادئ في ظاهره " مرحباً .. ابي .."

ولأول مرة في حياتها تسمع صوت ابيها فيه لمحة .. مجرد لمحة تأثر تخدش على استحياء جدار الجليد العاطفي وهو يقول لها " حمدا للّه على سلامتك وسلامة طفليك يا ابنتي .."

تغمض عينيها ويتحشرج صوتها رغماً عنها وهي ترد عليه " سلمك اللّه من كل مكروه .."

ثم صمت .. وكأنه لا يعرف ما يجب أن يقال أكثر ... ألمها شعورها أنه بعيد .. دوماً بعيد..

سأل بارتباك واضح " ماذا .. اسميتهما ؟"

عندها فتحت عينيها لتطالعها عيني فرقد المراقبتين عن كثب ..كالعادة يحاصرها بمتابعته لكل اختلاجاتها وانفعالاتها ..

تبتسم .. هذا هو فرقدها ولن يتغير ...

ردت على ابيها بفخر وعيناها تلامسان بنظراتهما شفتيّ زوجها المزمومتين غضباً مكبوتاً " اسميتهما البارق و آلاء .."

عندها كان والدها تائهاً تماماً فيحاول انهاء المكالمة بوعد واهن " جميل اختيارك .. سأحاول.. الحضور باقرب .. وقت .. يجب ان ارى .. حفـ..يديّ .."

لاول مرة تشفق عليه ..

انه لا يعرف كيف يشعر على الاطلاق ..

لا مشاعر مشاركة ولا كلمات دافئة ولا حياة تتنفس الهواء ...

قالت أخيراً بصوت خفيض

" نعم .. مؤكد .. سأنتظر زيارتك دوماً.."

ولم تتفاجأ وهو ينهي المكالمة بتمتمة غير مفهومة وكأنه يتخلص من عبء غريب بمختصر الحروف !

بهدوء شديد وضعت الهاتف جانباً وهي تتساءل

" لماذا لا يعرف كيف يكون أباً ؟!"

عندها انفجر فرقد قائلا بمزاجه الناري " لا تستفزيني أكثر يا هاجر .. انه يعرف لكنه اناني ومتقاعس عن اداء واجبه، لا افهم اي نوع من الرجال هو والدك هذا ؟! "

رغم كل شيء يؤلمها أن يصف والدها بهذه الطريقة .. يوجعها لانه سيظل والدها ..

أسبلت اهدابها وهي تشعر بالوجع الخانق ..

يد فرقد لامست خدها فتتنهد بينما يأتيها صوته خافتاً هذه المرة

" على الاقل سيأتي لرؤية حفيديه .."

كان يواسيها .. يواسي تلك الطفلة التي انتظرت مراراً من والدها أن يفعل ويفعل و.. يفعل ..

انتظرت الكثير من الوعود التي لم تقال..

فلا فعل يحدث ولا وعد يُنفذ ..

همست بحشرجة " لن يحضر ابدا .."

توترت انامله وهو يسأل " كيف تعرفين ؟"

عندها رفعت جسدها ودون ان تفتح عينيها

همست " فقط احضني فرقد .. ولا تسأل .."

ذراعاه طوقتاها بعنف وهمساته الغاضبة

غرقت في شعرها

" من يحتاج اليه ذاك الابله..."

تقاطعه موبخة وهي ترفع وجهها اليه

" صن لسانك يا فرقد.. انه سيظل ابي .."

ينظر اليها وعاود زم شفتيه وكأنه يكتم

غضبه بشق الانفس .. غضب لاجلها هي ..

ترققت نظراتها ثم تهمس له بضعف

" على الاقل اتصل .. هذا بحد ذاته انجاز نسبة

لطباعه يا فرقد .. لقد كان مرتبكاً ! هل

تتخيل ؟!"

زفر بقوة وهو يعيد رأسها مستكيناً فوق صدره

قائلا " كلنا نتحمل اوزار اعمالنا يا هاجر ..

والدك ليس استثناء .. سيأتيه يوم يندم

لكل ما فرط فيه معك .."

عندما تمتمت هاجر تؤيد كلامه

" اجل .. هذا صحيح .. كلنا نتحمل الاوزار ..

لكننا نتعلم الصفح ايضا .."

أغمض فرقد عينيه وكلمة الصفح ترن في

اذنيه ....

بعد ثلاثة اشهر .. المزرعة ..

يتكئ بكتفه على اطار باب غرفة طفليه يراقب بجذل هذه (الطفلة) التي لم تولد من ظهره لكنه يشعرها ولدت منه كالتوأم اللذان انجبتهما له ..

ممددة على بطنها فوق ارضية الغرفة التي التي غطتها بالكامل مفارش قطنية بينما الصغيران يتقلبان امامها ومعها ..

شعرها منكوش والبارق يجرجر خصلاته ببعض العنف وهو عابس بينما لولا ترفس بساقيها وذراعيها وهي تضاحك السقف ..

انها سعيدة .. وهذا كان اقصى ما يحتاج ان يحققه معها .. ايامهما معاً تمضي صاخبة دوماً وفي كل حالاتها ...

ساعة من جنون العشق والوصال الجامح بينهما وساعة من دفء الهوى في خلا الصحراء بما جمعهما به الخالق وساعة في العمل الدؤوب ومشاركة خطط المستقبل لتحسين معيشتهما وساعة من مشاحناتهما النارية وشجاراتهما المتكررة أو خصام بارد قد يطول ليوم .. يومين .. ثلاث .. لكن .. ينتهي الامر بها تشده اليها لتغمر نفسها في حضنه.. و.. ساعة هي من اجمل الساعات وأكثرها تميزاً عندما يراقبها هكذا مع الصغيرين الأصهبين تلعب معهما بكل روحها...

عاطفة الام لا تخطئها .. لكنها في الداخل تظل طفلة .. طفلة غيورة جدا .. فتشاركهما اللعب بتلك العاطفتين العجيبتين ..

تغار عليه اذا دلل لولا وقد اعتاد أن يلتهم صغيرته اللذيذة بالقبلات او يسرقها من سريرها ليحشرها في حضنه ..

تغار حتى من البارق ! تغار من فخره به وتعلقه لانه يحمل اسمه ويجعله ممتداً لجيل اخر ..

تثير جنونه بغيرتها هذه .. ويضعف بشكل رهيب كلما شعر أنها تتملكه كرجل ...

كالرجل الوحيد في حياتها الذي لعب كل الادوار ..

تنبه فرقد للصمت الذي عمّ فجأة فتقدم خطوتين بقدمين حافيتين وهناك رآى (اطفاله الثلاث) نائمين !

هي بمنامتها القطنية القصيرة الزرقاء وشعرها المربوط المشعث الخصل الذي تعلقت به اصابع البارق قبل أن يغفو منبطحاً على بطنه وساقه فوق ساق توأمه آلاء النائمة في هناء فريد وهي تنحشر في شقيقها التوأم ..

بخطوات هادئة يتحرك ليحضر الغطاء ثم يعود اليهم ويلقيه فوقهم يدثرهم ..

انها آخر ساعات العصر التي يغلبهم النعاس ثلاثتهم بينما يسرح هو في المزرعة ينجز بعض الاشغال ..

لكن اليوم عليه القيام بأمر مختلف طال تأجيله ...

غادر الغرفة مغلقاً الباب خلفه بحذر ثم يتحرك آخر الممر حيث الغرفة المغلقة منذ أكثر من شهرين ...

بعد نصف ساعة كان يجرها من يدها ليجبرها حتى تتبعه في الممر ناحية غرفتهما بينما تفرك هاجر عينيها تغالب نعاسها وهي تتذمر قائلة

" ماذا هناك ..؟ ما زلت نعسانة لم أنم كفاية لتوقظني عنوة! .. البارق ظل يجر بشعري ويقلق قيلولتي.."

التفت اليها قليلا يرمقها بنظرة غريبة قبل ان يجرها ببعض الخشونة هامساً بصوت أجش

" لدي شيء مهم اريك اياه .."

عبست وهي تقف عند باب الغرفة بينما تحدق بعيدا لباب الغرفة الاخرى في نهاية الممر ..

قالت بدهشة " باب تلك الغرفة مفتوح ! هل وجدت المفتاح الضائع ؟"

ابتلع ريقه وهو يسحبها لتدخل غرفتهما قائلا

" لقد كذبت عليك .. المفتاح لم يضع ابداً.."

كانت الغرفة تغرق في ظلال العصر المتلاشي تضفي عليه حمرة المغيب القادمة نوعاً من الغموض و.. الحيرة !

كانت لا تفهم ما يحصل وهي تستعيد كامل تركيزها بينما ترى فرقد يغلق الباب ويضيء الانوار كلها دفعة واحدة ...

رمشت وهي تتلقى الانارة المفاجئة فتتذمر

" على رسلك .. لماذا اضأتها كلها هكذا ؟! "

ترك يدها ليتقدمها حتى احدى زوايا الغرفة.. زاوية كانت خالية تماماً حتى ظهر اليوم .. اما الآن .. فإنها .. إنها...

تلاشت انفاس هاجر وعيناها تتسعان وهي لا تصدق ما تراه...

يقف فرقد ثابتاً شامخاً جوار ... مرآة ضخمة ...

لا .. ليست... آي مرآة .. بل ..مرآتها ... !

مرآتها التي اشترتها يوماً كأنتيكة مميزة زينت غرفة الجلوس في شقتها القديمة في العاصمة ..

مرآتها التي شهدت ايامها العصيبة ..

الاسوأ في حياتها على الاطلاق ...

المرآة التي ... حطمتها بيدها !

يفسر لها بصوت مبحوح خشن

" لقد أخذتها في نفس اليوم الذي كسرتها به.. واخبرت عمك طاهر أني .. رميتها ..."

كانت هاجر تسمعه و لا تسمعه ..!

تتحرك ناحية المرآة الضخمة وعيناها تتشربان مرآها المألوف...

تقف قبالتها وترفع اناملها لتلامس تفاصيل الاطار ونقوشه الفريدة كأنها تتأكد أنها حقاً هي !..

ثم تنتقل تلك الانامل لتمررها الآن فوق انعكاس صورتها في قلب المرآة...

كانت تطفو بإحساس غريب .. هي نفسها كانت تبدو غريبة عن مرآتها .. غريبة عن ذاتها التي كانت تراها فيها..

وكأنها تقارن صورتين شديدتي الاختلاف ..

بدت الآن .. جسدياً مختلفة.. وجهها نحيل متعب ببعض الهالات الداكنة تحت العينين... شعرها الاحمر معقود للخلف بإهمال وقد تشعثت منه بعض الخصل من الامام بطريقة مضحكة محببة .. منامتها القصيرة بزرقتها الزاهية تلطخت ببقعة صغيرة دائرية من رطوبة حليب درّ من صدرها الايمن..

كل شيء كان عنواناً لامومتها في الشهور الاولى لرضيعيها..

ورغم الوهن والتعب والمنامة الملطخة الا انها بدت اكثر دفئا وحياة من اي وقت مضى في حياتها..

سعادة تجمل محياها اكثر حلاوة من اي تبرج اتقنت وضعه على وجهها .. انوثة حارة من جسدها الذي فاض بالامومة والامتلاء العاطفي..

ابداً لم تقف يوماً امام هذه المرآة بإحساس كروعة الامتلاء الذي تعيشه اليوم ...

وهل كانت تعيش قبلها ؟! هل كانت.. حية؟!

عادت عيناها لاتساعهما الطبيعي بينما تسأله بثبات عجيب " لماذا اصلحتها وأعدتها ؟"

كان يغلق فمه مطبقاً فكيه وعضلة ترتجف في جانب خده .. لم تكن تنظر اليه فقط تحدق في مرآتها ...

قال اخيراً يرد على سؤالها بـ..بعض الصدق

" لانها هدية من والدك .."

تعبس قليلاً وهي ترفع يدها لشعرها تلامس تلك الخصل المشعثة وهي ترد

" انا التي اشتريتها بنفسي .. وليس ابي.."

فيؤكد فرقد بصوت مبحوح " بماله.."

تمط شفتيها وهي ترد بنفس الهدوء الذي بدأ يقلقه " وان يكن .. المال لا يعني شيئا على الاطلاق .."

بنفس الوقفة الصلبة ردّ مؤكداً

" صدقتِ ... لا يعني شيئا على الاطلاق لذلك حرصتِ على استخدام ماله لشراء شيء قيم مميز يمس اهتماماتك وتذوقك الفني .. لقد اخترتها لتملئي حاجة ملحة داخلك بالحصول على شيء مميز معنون كـ(هدية من والدك).. "

تتراخى يدها لتهبط الى جانبها بينما تواصل تحديقها في تفاصيل هيئتها وهي ترد عليه بصوت لم يهتز " ربما انت محق ..."

لم يعد يحتمل.. يريد أن يفهم ما يدور بخلدها فيتقدم ملتفاً حولها ليقف جوارها خلف كتفها يمرر نظراته فوق صورتها المنعكسة في المرآة من اعلى رأسها وحتى أخمص قدميها فيقول لها معترفاً بالاهم وهدير نبضات قلبه يتعالى " كنت احب النظر اليك عبر هذه المرآة .. وددت لو استطعت النظر لتفاصيلك بألف عين وعين.. "

مع اعترافه هذا ولجت عبر باب الذكريات المفتوح .. كل الماضي يعود ليتجسد في مخيلتها .. كل الصور القاتمة ... الوحدة .. المشاعر الحميمية الجامحة .. الحصار.. الاذلال .. الوجع ...

لكن العجيب انها لا تشعر بشيء !

لا شيء على الاطلاق ...ربما عدا .. شعورها بالاشفاق !

وكأنها خرجت من جسدها لتنظر .. باشفاق .. فقط اشفاق على تلك الـ(هاجر) التي كانت تتوجع وتنهار وتستسلم وتعاود الوقوف بعناد ..

عيناها لا تفارقان النظر لصورتها في المرآة لكنهما الآن اخذتاها لتحدق بصورة ... فرقد... الرجل الذي شاركته كل شيء ..

تنظر لشفتيه وهما تتحركان بالقول

" لم أكن اسعى .. الى ..اذيتك واذلالك في تلك اللحظات الحميمية .. او ربما لم اقصدها حقاً عبر النظر اليك من خلال هذه المرآة .. كانت لحظاتي الخاصة جدا معك وسط تلك النيران التي اشعلتنا سوية .. كنت اريد أن.."

تردد .. فتسأله بهمس أجش وهي ترفع نظراتها لعينيه " كنت تريد ماذا ؟"

نظر الى عمق عينيها النرجسيتين يحاول قراءة افكارها فلا يستطيع التخمين بوضوح ..

كم كان يحسب ألف حساب لخطوته هذه معها .. منذ أن قرر الاحتفاظ بهذه المرآة التي كسرتها بيدها في لحظة غضب هستيري ..

منذ أن قرر اعادتها اليها بمرآة جديدة ليتواجها بالماضي الذي فرقهما وجمعهما ...

لقد كان يشعر بأهمية هذا .. حتى لو تجاوزت هي التفكير فيه الا انه يحتاج لبرهان ساطع..

يحتاج .. أن يقلب هذه الصفحة من ذاكرته هو .. أن ينسى الى اين قاده جنونه وغضبه..

لكن .. ليس كل ما حصل بينهما في تلك الفترة القاتمة كانت .. انتقاماً ..

يحتاج أن يخبرها بهذا لتعرف .. ربما اذا علمت بمشاعره هذه ستمنحه ما يرد له كرامته التي بعثرتها حمى رغبة مجنونة بالانتقام..

اعترف لها ورائحة العاطفة الجامحة تفوح من كلماته

" في ذلك الوقت العصيب بيننا كنت اريد ..
ان اراك ملكي .. حتى وانت لست ملكي
حقاً.. أنا كنت جائعاً اليك جوع الضواري ...
اردت أن ارى في المرآة تفاصيل المرأة التي
اعشق حد الجنون واشتهي النظر لجمالها
متوهجاً بين ذراعي .. انا وحدي و لا غيري من
الرجال .. فتملؤني النشوى واكاد اصب باغماء
الرضا "

رفع كفيه لغرز اصابعهما في اعلى ذراعيها من
الجانبين يعتصرهما وهو يضيف

" هذا لا يمنع أني كنت اريد الانتقام .. لا
يمنع أني كنت اذيتك كما آذيتني بل
وأكثر .. "

فجأة قفزت لمخيلتها آخر ذكرى مؤلمة لها مع
هذه المرآة .. قبل قرابة العام عندما وقفت
امامها تنظر لانعكاس صورتها بتمعن مؤلم ...

تعيسة محطمة ... تائهة !

اجل تائهة بكل حرف ومعنى ..

ترتدي ثوب زفاف اهداه لها ... منذر ...

ثوب لا يناسبها ولم يكن لها لتأخذه منه ..

شفتا هاجر اخذتا تتحركان بهمس كلمات لا
صوت لها .. لايسمعها احد .. سواها ...

كلمات قالتها لنفسها في ذاك اليوم البعيد
البائس عندما كانت تقاوم الانهيار ...مجدداً !

احدق في المرآة.. ابحث عن موطن علّتي

هل تشكو زينة شعري من شيء ؟

ام ربما هو فستان زفافي ؟

هل سال الكحل من عيني أم تلطخ احمر

شفاهي ؟!

لا ..انه فقط... أنت ..جمرٌ.. في حشا روحي

يداه تهزانها وهو يطالبها بفقدان سيطرة

" الى ماذا تحدقين هكذا باللّه عليكِ؟!"

فترد بعفوية بأول الخاطرة

" احدق في المرآة .. ابحث عن ..."

تلكأت .. عيناها تتسعان وهما تحدقان في

عينيه الجائعتين عبر المرآة .. يهزها مرة أخرى

وهو يأمرها " عن ماذا يا هاجر ؟ أكملي ..."

تطايرت الصور القاتمة .. تطايرت محترقة في

عينيه هو .. تطايرت لتسكنها صور من حياة

اخرى تعيشها معه ومع التوأم ..

تعيش في كنف ابوته وتحت سقف رجولته ..

انه ... همستها " أبحث عن موطنـ...ـي ..."

كانت انفاسهما معاً تتسارع وهما ما زالا

يتواجهان بالنظرات عبر تلك المرآة ...

لهفة .. لهفة .. لهفة ..

مع كل نفس منهما يتحد بتلك اللهفة ..

شدها بتملك عنيف ليلتصق ظهرها بصدره

ويسألها بخفوت خطير

" هل ترينني موطنك الآن ؟ أمعني النظر .. تأكدي مما ترينه فيّ .. انظريني .. بكل عيوبي وجنوني وغبائي .. قوليها باللّه عليك .. لقد انتظرت طويلاً .."

كانت هي نفسها تطير .. تطير في سماء مظلمة لا ينيرها الا اياه ..

استدارت اليه بكل جسدها دون ان يطلق سراحها فيشدها لصدره وهو ينظر لعينيها مباشرة فتعترف " ولا وطن لي سواك يا نجمي اللامع في السماء .. نجمي انا وحدي ..."

اوشك أن يمزق قميص النوم ذاك وهو يصرخ اسمها بلهفة تحرره مما اثقل رجولته طويلاً

" هاااجر .."

اليوم التالي.. في الصباح الباكر

كانت قد تسللت بعيدا عن التوأم وقد ارضعتهما وابدلت حفاظتيهما وبدلا من أن تذهب لحضن فرقدها قررت ارتداء الجينز وبلوزة صيفية خفيفة والخروج لتتسامر مع .. دجاجتيها !

تضحك في سرها وهي تتخيل ردة فعل فرقد إن اخبرته بهذا .. خاصة بعد ليلة الامس التي كانت لا تجاريها ليلة غرام الا ليلة زفافهما في القرية ... الليلة التي حملت في احشائها بذرتين .. البارق وآلاء...

التفت حول البيت لتصل الى حيث اقفاص الدجاج ... لكنها انحنت جانباً الى قفص خاص منعزل حيث توتو وجوجو ...

لقد عزلتهما عن الاقفاص الخاصة التي جهزها فرقد لتربية الدجاج للبيع ... ستظلان دجاجتيها الاثيرتين .. وصديقتيها الحميميتين..

اخرجتهما وهي تبتسم ضاحكة ، تسير خلفهما في مشيتهما الفخورة ليتحركا بحرية ناحية الزرع وكأنهما تعرفان بغيتها ..

في طريقها أخرجت سعيد ايضا من مكانه المسيج ليرافقهن ..

فتحرك بكسل وكأنه لم يحبب الصحبة !

تضحك وهي تكمل طريقها حتى استقرت تحت احدى الاشجار العالية تنعم بظلها ...

هواء الصباح في المزرعة يملأ رئتيها فيمنحها استرخاء وفرحاً طفولياً ..

لا تصدق انها توشك على بلوغ الثانية والثلاثين .. انها تشعر بنفسها لا تتجاوز الثانية عشرة !

تمددت بشقاوة على ظهرها فوق العشب بينما توتو وجوجو تحومان حولها وتلتقطان من فتات الارض بمنقاريهما ..

الشمس تداعب وجهها عبر اغصان الاشجار وكأنها تشاغب وتتسلل لاسترخائها .. صباحات الخريف وهو يطرق ابواب الصيف مميزة..

رائحة الخريف جعلتها تسرح بتلك الايام التي عاشتها (سجينة) فرقدها المجنون ..

تعبس قليلا وهي تتذكر كل التشوش والغرابة التي عاشتها هنا برفقته ...

لقد اختطفها حرفياً كأعتى المجرمين لكنها رغم كل شيء كانت في عمقها مطمئنة .. راضية !

يجب أن تعترف لنفسها على الاقل انها كانت تختبئ خلف افعال فرقد لتهرب من مواجهة عمها ومواجهة منذر بعد كذبها عليهما وان اختلف فحوى الكذبة بينهما ..

ودون شعورها كانت تكلم دجاجتيها كما تفعل احياناً عندما تحتاج لـ(حوار خاص) ..

" هل تعلمان .. وسط رفضي وغضبي من كل ما فعله بي فرقد الا اني كنت أألفه ! شعور غريب ان اشعر بالكره والرفض والألفة في الآن ذاته ! ربما لانه .. الوحيد الذي انتميت اليه وان كان بطريقة خاطئة .."

تتنهد وهي تضيف " عندما كان يلمسني لم أنفر منه قط .. حواسي كانت تعرفه .. بل و .. تشتاق الشبع منه .. هل انا مجنونة يا توتو ؟ ام ربما أنا اعاني من غباء مفرط ؟! ما رايك يا جوجو ؟"

فجأة اجفلها ظل يجثم فوقها وصوت هادر رجولي مغتاظ " اقسم بالله اني تزوجت امرأة مجنونة ! هل تكلمين دجاجتين عن خصوصياتنا الزوجية واسرارنا الحميمية؟!"

نظرت اليه وهو يقف عاري الصدر عابس الوجه يحلق فوقها متخصراً ...

لا تعرف ما جرى لها لتبتسم ابتسامة مشعة لعوب كشمس الصيف المشاكسة بحرقتها ثم تهمس له دون تفكير

" انا متولهة بك ..."

تعابير الصدمة على وجهه لا تضاهيها اي تعابير اخرى رأتها منه يوماً!

ببطء هبط اليها لينحني ويغمر جسدها بجسده وهو يحدق في وجهها وانفاسه اللاهثة تحرق خديها..

سأل بنبرة تشتعل " ماذا .. قلتِ للتو يا ابنة الاحمدي ؟ "

غطت عيناها غيمة عشق ثم امطرت غراماً..

لفت ذراعيها حول رقبته تقرب فمه الى فمها لتهمس له باسرار قلبها وهي تشدو كطير حر طليق محلق ...

وتوله حشا روحي بابن الشيوخ

بعد رحلة من تيه وعذاب وشروخ

اولها انتزع قلبي من صدري يطالبه الرضوخ

قلت له هيهات.. انا (عِجمية) عنواني الشموخ

فأمكر بي واستعان بالهوى ليوقعني بالفخوخ

ثم زرع في رحمي البارق وآلاء فكانا لعشقه رسوخ

فانهرت و..عشقت و...تولّهت ..



" آه يا ابن الشيوخ كم توللللهت

كان جسده يختض انفعالا مجنوناً وشفتاه

تلتقطان كلمة (توللللهت) من فمها ...

تهمس اسمه بغرام وهو يهمس بخشونة

" بل آه من عشق الجنيات .."

تشده بجنون لا يقل عن جنونه وقد نسيا كل

ما حولهما ثم فجأة يجفل الاثنان معاً و..

(توتو) تنقر رأسيهما !

يرفع فرقد رأسه غاضباً هادر الانفاس شاتماً

بينما تضحك هاجر من قلبها وهي تختم شدو

حكايتهما ...

وانتهى بي الامر معه ..اربي له الفروخ..!

**** تمت ****

ملتقانا مستقبلاً باذن الله مع الجزء السابع من

سلسلة قلوب تحكي

تحياتي .. كاردينيا73

2017/ 10 / 24